المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين

موقف المستشرقين من أهل السنة والجماعة

عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة
نورة بنت حمد بن عبد الرحمن الحرقان

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد بن عبد الرحمن الخميّس

١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

منهج البحث.

الدراسات السابقة.

خطة البحث.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد:

فقد دأب كثير من المستشرقين والمنصرين وغيرهم من الأعداء باختلاق الأكاذيب المضللة، والاتهامات الجائرة، والافتراءات الحاقدة حول الإسلام والمسلمين، وقد كان لأهل السنة والجماعة في كتب بعض المستشرقين االنصيب الأوفر من هذه الاتهامات، والافتراءات والتنقيص من شخصياتهم، والتشكيك في مناهجهم، مما جعل مؤلفاتهم مملوءة بالأخطاء بسبب التشويه المتعمد من كتّابها، إضافة لأخطاء كثير منهم لجهلهم باللغة العربية، وحقائق الإسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ التوبة: ٣٢ - ٣٣ .

ولما كان أهل السنة والجماعة مهتدين بالكتاب والسنة في المسائل العلمية الشرعية؛ تراءى للمستشرقين فكرة الطعن فيهم تحت مواريثهم الدينية والفكرية وأطماعهم الذاتية، فانبرى بعض منهم بتمويه الحقائق والكذب والتعسف في فهم النصوص عن طريق ما يسمى بالدراسات الاستشراقية في العلوم الإسلامية، المبني على الزعم بالالتزام بالموضوعية والأمانة العلمية في البحث للتشكيك في الدين الإسلامي، وأئمة أهل السنة والجماعة.

ومما يزيد الأمر سوءاً أنه على اختلاف سياسات الدول المهتمة بالدراسات الاستشراقية، وعلى اختلاف اللغات التي ينطقها المستشرقون، فإن التعامل مع التراث الإسلامي ثابت؛هدفه حرب فكرية على الإسلام والمسلمين وليست دراسة بحته مبنية على مقدمات ونتائج صحيحة.

وقد تعرض أئمة أهل السنة على اختلاف مذاهبهم الفقهية بالطعن في عقائدهم أو مناهجهم، فاتهموا الإمام أبا حنيفة بالإرجاء، ونسبوا له بعض أقوال الجهمية التي عارضها أبو حنيفة بشدة، واتهم الإمام مالك بالتشدد وتقديم عمل أهل المدينة على الحديث، واتهم الإمام أحمد بالتجسيم والتشبيه، وكذلك أتباعه، كما اتهم بالتأويل المجازي للقرآن، وتأويل الأحاديث، واتهم بالتصوف، وتقديس الآثار، مثل كونه يقبل شعرة من شعر النبي وقصعة النبي ﷺ يشرب فيها، وماء زمزم يستشفي به ويمسح به.

وقد درس شاخت في مؤلفه: (أصول الشريعة المحمدية) كتابي الموطأ لمالك، والأم للشافعي، ثم عمم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى [(١)].

كما طعن المستشرقون في الإجماع، واعتبره المستشرق (جيوم) مدخلا ومبررا لتلفيق الأحاديث، ونسبتها للرسول، وأن سلطة الإجماع تعادل سلطة المجامع الكنسية.

واعتبر (هنري لاووست) الإجماع سببًا للخلافات ضمن الطائفة السنية، واتهم شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه بأنهم لا يعترفون بالقياس والإجماع، وأن هذا الموقف قد ورثه ابن تيمية من شيخه الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله[(٢)].

كما عمدت دائرة المعارف الإسلامية تشويه مذهب أهل السنة والطعن في علماء الأمة ودعاتها، والطعن في أهل الحديث، ووصفهم بمجانبة العقل في تقرير العقائد، والطعن في الأئمة الأربعة ــ ولاسيما المذهب الحنبلي ــ ووصف أتباعه بالتشبيه والتشدد، والانتقاص من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته، واتهامهم بالتشبيه واتباع الهوى، ومخالفة الإجماع، وإثارة الشبهات حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووصف أتباعها بالتطرف والتكفير، وإنكارهم الإجماع والقياس، وإنكار التقليد في الفروع.

يقول (فنسك) عن مصادر التشريع: «وهذه الأصول الأربعة لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية، فضلا عن الشيعة. أي أنهم يقتصرون على الكتاب والسنة وينكرون الإجماع

---

(١) انظر: إدريس: د.جعفر ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، (١/ ٨٩)، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج ــ الرياض، ١٤٠٥هــ.

(٢) انظر: لاووست: هنري، شرائع الإسلام في منهج ابن تيمية،(٣/ ١٢، ٣٦، ٣٩)، دار الدعوة،١٩٩٧م.

والقياس»[١].

وقال شاخت: «وينكر الوهابية، وأولهم إمامهم ابن عبد الوهاب التقليد»[٢] ،كما يتهموهم بإنكار كرامات الأولياء، وغير ذلك من التهم[٣].

ومن هذا المنطلق، وامتدادا لمسيرة علماء الإسلام في الدفاع عن شعائر الدين، وجدتُ أنه لا بد من بحث هذا الموضوع في رسالة علمية لنيل درجة العالمية الدكتوراه من قسم العقيدة -كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، دفاعا عن الإسلام وأهله وامتثالا لأمر الله عز وجل:﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة: ١٢٢.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولا: محاولة بعض المستشرقين تأصيل الفكر اليهودي والنصراني؛ للتقليل من شأن القرآن والسنة بما يوافق هواهم، مدعين التناقض بين النصوص بطريقة تعسفية، بلا أمانة، وبلا موضوعية في الحكم، مما يتطلب منا إعادة النظر في مؤلفاهم لتنقية معتقد أهل السنة والجماعة من شوائب بعض المستشرقين، وكشف ما اشتملت عليه كتاباهم من أغاليط وتهم باطلة.

ثانيًا: انتشار مؤلفات بعض المستشرقين في الأوساط العلمية وغيرها دون تنقيح وتمحيص وتصحيح، واغترار بعض المثقفين بأسماء أولئك المستشرقين، وقبولهم كل ما يكتبونه.

ثالثا: وجود الخلط بين مذهب أهل السنة والجماعة وغيره، حيث وصف المستشرقون مذهب الأشاعرة والماتريدية بمذهب أهل السنة والجماعة.

رابعًا: إظهار بعض المستشرقين الآراء الضالة والانحرافات العقدية على أنها من جوهر الإسلام

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (الدائرة الأولى) (١٢ / ٢٨٥)، السنة، فنسك.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (الدائرة الأولى) (٩ / ٤٧٦)، التقليد شاخت.

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية (الدائرة الأولى) (٥/ ١٤٣ — ١٤٤)

وثمرته، وفي ذلك تشويه لصورة الإسلام.

خامسًا: كثرة مؤلفاتهم ورسائلهم العلمية في مجال العقيدة، والتشويه المتعمد في معتقد أهل السنة والجماعة.

سادسًا: أثر تلك الدراسات الاستشراقية على بعض المثقفين والمتعلمين من أبناء الأمة الإسلامية، وظهور ذلك التأثر في مؤلفاتهم وبحوثهم، فكان لابد من وجود دراسات نقدية لبيان الغث من السمين منها.

سابعًا: حاجة المكتبة الإسلامية للدراسات التي تهتم بكشف أخطاء بعض المستشرقين، ودحض أقوالهم بالحجة والبرهان.

ثامنًا: عدم وجود دراسة متخصصة سابقة في هذا الموضوع على حد علمي.

لكل ما سبق تتجلى أهمية دراسة موقف بعض المستشرقين من العقيدة الإسلامية، مما دفعني لاختيار هذا الموضوع رغبة مني في بيان وجه الحق بعيدا عن العصبية والهوى.

منهج البحث:

١ - كان منهجي في هذا البحث المنهج الاستقرائي النقدي، والوصفي التحليلي، وتناولت الدراسات الاستشراقية الحديثة، والمعاصرة ـــ قدر المستطاع ـــ مما هو مكتوب باللغة العربية، وعدم الاقتصار على الكتب الاستشراقية القديمة.

٢ - عرضت أقوال بعض المستشرقين من كتبهم المترجمة مع توثيق النقل بالعزو إلى الكتاب والجزء والصفحة، مع التعليق والنقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة في كل مبحث من مباحث الرسالة مما يستحق النقد، مع الالتزام بالمنهج العلمي المتبع في كتابة البحوث العلمية.

٣ - استخدمت في بعض المواضع عبارات التنــزيه عند ذكر لفظ الجلالة والصلاة والسلام على رسوله الكريم في حالة ما إذا كان الكلام نقلاً عن بعض المستشرقين.

٤ - عند تناول مسألة ما فإنني تارة أقدم لها بتعريف مناسب وفق العقيدة الصحيحة، ثم أورد قول بعض المستشرقين حول تلك المسألة، ثم أسوق الأدلة على تفنيد مزاعمهم المفتراة حسب اجتهادي؛ إذ ربما تعلق شبههم بذهن من لم يعرف حيلهم ومقاصدهم؛لكن طبيعة بعض الفصول قد تفرض علي أن يكون هناك تقديم أوتأخير

في عرض بعض آراء أهل السنة وما يقابلها من كلام بعض المستشرقين؛ لذا لم ألتزم بمنهج محدد في ترتيب عرض الآراء.

٥ - تعاملت مع أكثر من طبعة في بعض الكتب، وغالبا أذكر ما يميز إحداهما عن الأخرى.

٦ - اعتمدت على ثلاث نسخ من دائرة المعارف الإسلامية:

الأولى: دائرة المعارف الإسلامية (المسماة الدائرة الأولى وتقع في خمسة عشر مجلدًا)، يصدرها باللغة العربية: محمد ثابت الفندي (ليسانس وماجستير في الفلسفة)،وأحمد الشناوي (ليسانس في التاريخ وليسانس في الفلسفة)، وإبراهيم زكي خورشيد (ليسانس في التاريخ)، وعبد الحميد يونس، مراجعة وزارة المعارف، عضو إدارتها المنتدب حافظ جلال، رئيس تحريرها: إبراهيم زكي خورشيد، جمادى الثانية ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م. طبع انتشارات جهان تران ــ بوذرجمرى.

الثانية: دائرة المعارف الإسلامية. أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة بعض المستشرقين في العالم، ويشرف على تحريرها: تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية: (هوتسما، وفنسك، وهفننك، وليفي بروفنسال، وشاده، وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور، ولويس، وبلا، وشاخت) النسخة العربية: إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس)، ط٢، طبعة دار الشعب ــ القاهرة ١٩٦٩م.و قدتم الانتهاء من ترجمتها بتاريخ ٣٠ يونية ١٩٣٣م.

ولاحظت بعض الاختلاف بين كتابها، مثال ذلك:كتب مادة أبي بكر في الدائرة الأولى المستشرق (بول) وفي طبعة الشعب (مونتجومري وات) وما يؤيد ذلك شهادة المستشرق:د. ساسي سالم الحاج بقوله: واستقرأنا مادة الحديث التي تناولتها الموسوعة الأولى والثانية ووجدنا اختلافا في أسماء كتابها»[1].

ثالثا: موجز دائرة المعارف الإسلامية. وقد صدرت الترجمة الكاملة عن طريق مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وتقع في ستة وثلاثين مجلدًا، أ.جى.بريل، تحرير: م.ت. هوتسما، ت.و،أرنولد، ر.باسيت، ر.

(١) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (١/ ٤٤٣)، ط ١، دار المدار الإسلامي، بيروت ــ لبنان ٢٠٠٢م.

هارتمان، الأجزاء الأولى من (أ) إلى (ع) إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس.الأجزاء من (ع) إلى (ي) ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، طبعت برعاية كريمة من سمو الشيخ الدكتور: سلطان بن محمد القاسمي.

٧ - ذكرت بعض النصوص عن بعض المستشرقين، بالرغم من عدم موضوعيتها وما بها من الإسفاف الشنيع، والافتراء على الإسلام والمسلمين.

الدراسات السابقة:

ظهرت الدراسات الاستشراقية حديثًا، فأخذ بعضها طابع العموم كالدراسات التي تناولت العقيدة الإسلامية مثل:

١- رسالة (العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية) من خلال النسخة المترجمة ــ عرض ونقد، للشيخ خالد بن عبد الله القاسم.

وهي رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، واستهدفت التعريف بدائرة المعارف الإسلامية، والتعرض للمسائل العقدية في دائرة المعارف مثل: مسألة توحيد الله، ومسألة النبوة، والملائكة، واليوم الآخر، وقد اعتمد الباحث على نسخة الدائرة التي لم تكتمل طباعتها، والمكونة من ستة عشر جزءاً فقط.

٢- رسالة (الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية) دراسة تحليلية نقدية، وهي مشابهة للرسالة الأولى، للدكتور: حميد بن ناصر الحميد، وهي رسالة دكتوراه في قسم الاستشراق كلية الدعوة والإعلام بالمدينة المنورة، وركزت هذه الدراسة على الأخطاء العقدية في مسائل الإيمان، مع حصر الدراسة على دائرة المعارف الإسلامية.

٣ - رسالة (الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية) دراسة ومناقشة وتحليل، وهي رسالة ماجستير للشيخ: زيد العبلان، بجامعة الإمام، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، هذه الدراسة فيها التعرض إلى وسائل بعض المستشرقين لمحاربة العقيدة الإسلامية، وأسلوبهم في دراسة العقيدة الإسلامية وموقف بعض المستشرقين من الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ والرد عليهم في موقفهم من نبوته وموقفهم من

القرآن الكريم وإعجازه، مع تفنيد شبهاتهم حول العقيدة الإسلامية، وموقفهم من كمال العقيدة الإسلامية وزعمهم بتطورها.

وتهدف رسالة الأستاذ/ زيد العبلان إلى بيان تاريخ الاستشراق، وأهدافه ودوافعه ووسائله وأصناف بعض المستشرقين. ولم يتعرض الباحث في هذه الرسالة إلى مناهج بعض المستشرقين في طعنهم في قضايا العقيدة، أو طعنهم في علماء أهل السنة. ولا يخفى أن هذا يعد من النقاط الرئيسة في مثل هذه الدراسات النقدية، كما أنه لم يتعرض إلى موقف بعض المستشرقين من علماء السنة، وطعنهم فيهم، وهو المحور الأساس في هذه الرسالة. كما لم يتعرض الباحث إلى نقاط جوهرية في دراسات بعض المستشرقين حول السنة، والإجماع، والعقل، وأكثر أركان الإيمان. وإنما تعرض إلى موقفهم من القرآن وثلاث مسائل عقدية أخرى هي: زعمهم أن التوحيد نتاج تطور، وزعمهم إبقاء الإسلام على بعض الوثنية، والقضاء والقدر، كما أن البحث المذكور تعرض إلى آثار الدراسات الاستشراقية بشكل عام، ولم يتعرض بالتفصيل لآثار موقفهم من أئمة أهل السنة، وما ترتب على ذلك من تشويه وخلاف استغله كثير من خصوم أهل السنة في العصر الحاضر.

أما بالنسبة للدراسات الاستشراقية التي أخذت طابع الخصوص نحو: الدراسات التي اقتصرت على الموقف من أحد كبار المستشرقين أو نحو ذلك، مثل: دراسة الدكتور مازن صلاح المطبقاني عن المستشرق الأمريكي (برنارد لويس) لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة لعام ١٤١٦هـ.

وهناك دراسات ناقشت المستشرقين في بعض القضايا الإسلامية نحو: (موقف المستشرقين من العبادات من خلال دائرة المعارف الإسلامية) لمحمد بن عبد الله السرحاني.

خطة البحث:

بالنسبة للخطة العامة لهذا البحث فهي كالتالي:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وستة أبواب، وخاتمة.

أما **المقدمة** فقد تناولت فيها الأسباب التي دفعتني لكتابة هذا البحث، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والصعوبات التي واجهتني أثناء إعداده.

وأما **التمهيد** فإنه يشتمل على:

تعريف أهل السنة والجماعة.

تعريف الاستشراق، وبيان نشأته.

وأما **الباب الأول**: منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: أسس منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث:نقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

الباب الثاني :مفهوم أهل السنة والجماعة عند المستشرقين.

وفيه فصلان:

الفصل الأول:نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة، وموقف المستشرقين منها.

الفصل الثاني:خلط المستشرقين بين أهل السنة والجماعة، وبين غيرهم من الفرق.

الباب الثالث: موقف المستشرقين من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: موقف المستشرقين من القرآن الكريم.

الفصل الثاني:موقف المستشرقين من السنة النبوية.

الفصل الثالث:موقف المستشرقين من الإجماع.

الفصل الرابع: موقف المستشرقين من مترلة العقل، ومترلة الفطرة عند أهل السنة والجماعة.

الباب الرابع: موقف المستشرقين من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: التوحيد

الفصل الثاني: الملائكة.

الفصل الثالث: الكتب.

الفصل الرابع: الرسل.

الفصل الخامس: اليوم الآخر.

الفصل السادس: القدر.

الفصل السابع: نواقض الإيمان.

الباب الخامس:موقف المستشرقين من أئمة أهل السنة والجماعة.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول:الصحابة.

الفصل الثاني: التابعون.

الفصل الثالث:الأئمة الأربعة.

الفصل الرابع: ابن تيمية وابن القيم.

الفصل الخامس:محمد بن عبد الوهاب.

الفصل السادس: بعض أعلام أهل السنة المعاصرين.

الباب السادس: آثار الدراسات الاستشراقية المتعلقة بأهل السنة والجماعة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أشهر الكتاب المتأثرين بهم.

الفصل الثاني: أثرهم على غير المسلمين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة أن ما يثبته بعض المستشرقين ينفيه بعض الآخر ويكون كلام بعضهم حجة على بعض، كما أنه من الصعب حصر مصادر المعلومات والدراسات الاستشراقية التي قام بها المستشرقون منذ نشأة الاستشراق إلى اليوم في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة، لتعدد منابع نتاجهم الفكري، وتعدد الموضوعات داخل الثقافة الإسلامية، وتعدد اللغات التي كتب بها المستشرقون دراساتهم، واختلاف مدارسهم ومواقفهم من الإسلام، وأغراضهم، وتشتت نتاجهم العلمي.

هذه الأسباب مجتمعة تبرز الصعوبة العلمية في تقصي المعلومات حول دراسة المستشرقين

لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وختاما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية أصول الدين ــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ــ على ما قدمته من خدمة لطلاب وطالبات العلم ورعايتهم للذود عن الدين، فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لمشرفي الفاضل:(أ. د.محمد بن عبد الرحمن الخميّس) على ما أولى الباحثة من رعاية واهتمام، والذي كان لملاحظاته وتوجيهاته أكبر الأثر على الرسالة، فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر موصول للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر،وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة فجزاهما الله خير الجزاء.

كما أدين بالشكر والعرفان لزوجي العزيز/سليمان بن ناصر العمران، وابني عبد العزيز ،وابنتي غادة على ماأولوه لي من توفير الجو المناسب للبحث، وما قدموه لي من معونة، ودعم حسي، ومعنوي، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر الله لنا ،ولهم ، ولوالدي وجميع موتى المسلمين.

وختاما أشكر كل من أعانني على استكمال هذا البحث بعبارة، أو توجيه، أو زودني بالكتب والمصادر قاصدا بذلك وجه الكريم ﷻ فجزى الله جميعهم خير الجزاء، وأجزل لهم في الدارين العطاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

ويشتمل على:

أولا: تعريف أهل السنة والجماعة.

ثانيا: تعريف الاستشراق ونشأته وأهدافه:

أ/ الاستشراق لغة.

ب/ الاستشراق في المفهوم الاصطلاحي.

ج/ نشأة الاستشراق وأهدافه.

التمهيد

أولاً: تعريف أهل السنة والجماعة:

معنى السنة في اللغة: قال في تعريفها ابن منظور[١]: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم سيئة[٢].

أما السنة في الاصطلاح: فقد ذكر العلماء لها تعريفات عدة، فالمحدثون لهم تعريف، والفقهاء لهم تعريف، والأصوليون لهم تعريف، والذي يهمنا في هذا المقام تعريف السنة عند المشتغلين بتقرير مذهب أهل السنة في الاعتقاد. والسنة عند هؤلاء هي: ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه اعتقادا واقتصادا، وقولاً وعملاً[٣].

أما مصطلح الجماعة فهو:

الجماعة لغة: من جمع، يقال: جمع المتفرق، والجماعة ضد الفرقة[٤].

الجماعة اصطلاحًا: وردت أحاديث بالأمر بلزوم الجماعة والنهي عن الخروج عليها، منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية»[٥].

---

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأفريقي، ولد في القاهرة وقيل في طرابلس سنة٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، وتوفي في سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، وقد أجمع المترجمون له على أنه كان محدثا فقيها، كانت حياته حياة جد وعمل موصول، وكان مشاركا في علوم كثيرة. (انظر: ابن منظور: لسان العرب، (١/ ٧)، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي،طبعة دار المعارف، الناشر: دار المعارف ـــ القاهرة / ١١١٩م) .

(٢) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث ـــ الجزء الرابع والعشرون، مادة سنن،(ص:٢١٢٤)

(٣) انظر: ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين بن رجب الحنبلي البغدادي ت ٧٩٥هـ، (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم)، ٢/ ٧٧٣، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع لصاحبها عبد القادر محمود البكار، ط٢، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

(٤) انظر: ابن منظور:لسان العرب، المجلد الأول ـــ الجزء التاسع، مادة جمع، (ص: ٦٨١).

(٥) أخرجه البخاري – مع الفتح – في كتاب الفتن ـــ باب قول النبي ﷺ:((سترون بعدي أمورًا تنكروها)) ١٣ / ٥، ح (٧٠٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ج٣/١٤٧٧، ح (١٨٤٩).

ومنها:حديث: «يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار»[١]. وغيرها من الأحاديث التي وردت بلزوم الجماعة.

وقد اختلف العلماء في المقصود بالجماعة في هذه الأحاديث وغيرها على أقوال نذكر أهمها بإيجاز:

١ – قال الشاطبي: «إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة، أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق»[٢].

٢ – هم أهل السنة العالمون المجتهدون وهو اختيار الترمذي[٣]، قال الترمذي عن الجماعة: «وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث»[٤].

٣ – وقيل: إن الجماعة هم الصحابة دون غيرهم على وجه الخصوص «فإنهم هم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبدًا»[٥].

٤ – وقيل إن الجماعة هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر ما، وهو الإجماع[٦].

٥ – وقيل إن الجماعة: هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير[٧]، وهو رأي أبي جعفر الطبري رحمه الله بعد أن ذكر الأقوال السابقة قال: «والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث ببيعته

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤/ ٤٦٦، ح (٢١٦٧) وقال:« هذا حديث غريب من هذا الوجه»، ورواه الحاكم في مستدركه بطرق متعددة، (١ / ١١٥ ـــ ١١٦)، وصححه الألباني دون قوله ومن شذ،في صحيح الترمذي ح(٢١٦٧).

(٢) الشاطبي: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي ت(٧٠٩هـــ)، الاعتصام،(٢/ ٧٧٠ ـــ ٧٧٦)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط٣، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية / الخبر ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٤م.

(٣) سنن الترمذي (ج٤ / ٤٦٦)

(٤) سنن الترمذي (ج٤/٤٦٦)

(٥) الشاطبي: الاعتصام، (٢ / ٧٧٢)

(٦) انظر: الشاطبي: الاعتصام، (٢/ ٧٧٣)

(٧) انظر:الشاطبي: الاعتصام (٢/ ٧٧٤)

خرج عن الجماعة»[١].

هذه الأقوال في الجماعة لا تعارض بينها، وحاصلها أنهم كلهم متفقون على اتباع المنهج الحق، وتقديم أهل العلم والاجتهاد. يقول أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيرًا، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ﵃، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»[٢].

ثم ذكر قول عبد الله بن مسعود ﵁: «إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك[٣]»[٤].

وقد بين هذا الأمر ابن القيم رحمه الله قائلاً: «وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرًا يسيرًا، فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة حينئذ، والمفتون، والخليفة وأتباعه، كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة»[٥].

والجماعة هم أهل السنة والعلم والحديث، يقول ابن تيمية رحمه الله: «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه ظاهرا وباطنا، واتباعه باطنا وظاهرا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما، وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما»[٦].

---

(١) العسقلاني:ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري،(١٣ / ٣٧)

(٢) أبو شامة: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي ت ٦٦٥هـ، الباعث على إنكار البدع والحوادث، (ص: ١٩)، ط٢، مطبعة النهضة الحديثة، مكة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١/١٠٨-١٠٩ ح (١٦٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦١)

(٤) انظر: أبو شامة:الباعث على إنكار البدع والحوادث، (ص: ٢٠).

(٥) ابن قيم الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين، (٣ / ٤٨٩)، تحقيق وضبط: عبد الرحمن الوكيل، ط (بدون) دار إحياء التراث العربي ــ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.

(٦) ابن تيمية: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، (٤/ ٩٥)، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ــ المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

وعلى هذا فالمبتدعة ليسوا من أهل السنة والجماعة. حيث يطلق لفظ أهل السنة في مقابل الرافضة، كما أن الرافضة يعنون به من عداهم، يقول ابن تيمية: «فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة. وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى... وهذا الرافضي ــ يعني المصنف ــ جعل أهل السنة بالاصطلاح الأول، وهو اصطلاح العامة: كل من ليس برافضي. قالوا: من أهل السنة»(١).

إذًا فالإطلاق العام لمصطلح أهل السنة: ما يكون في مقابل الرافضة، فتدخل جميع الفرق ماعدا الرافضة في مفهوم أهل السنة.

أما الإطلاق الخاص:فهو ما يقابل أهل البدع، فلا يدخلون في مفهوم أهل السنة، وهذا واضح من خلال كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

«وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»(٢).

والجماعة: ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(٣)."

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة،(٢ / ٢٢١)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة، (٢ / ٢٢١).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،(٥ / ٤٤)، ح (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، و أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج٥/١١ح (٤٦٠٧)، وابن ماجه في كتاب السنة، باب لزوم سنة الخلفاء الراشدين،ج١/١٥،ح(٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح(٤٦٠٧).

على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا بأهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين و(الإجماع)هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين»[(١)].

فأهل السنة والجماعة هم: من تابعوا منهج أئمة الحق، ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة، وهم أهل الأثر، أو أهل الحديث، أو الطائفة المنصورة، أو الفرقة الناجية[(٢)].

ثانيا: تعريف الاستشراق ونشأته وأهدافه:

أ/ الاستشراق لغة:

الاستشراق مأخوذ من الشرق، والشرق والمشرق جهة شروق الشمس[(٣)].

جاء في المعجم: «والمشرق: جهة شروق الشمس، والبلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية»[(٤)].

وقد وردت لفظة استشراق بمعنى: «طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم (مولدة عصرية) يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة»[(٥)].

---

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٢ / ١٥٧).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (١/ ٣٦)، ط ٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر:ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث ـــ الجزء الرابع والعشرون، مادة شرق (ص: ٢٢٤٤).

(٤) المعجم الوسيط الصادر من جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، (ص: ٤٨٠)، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط (٤)، إشراف: د. شوقي ضيف، ونخبة من أساتذة مجمع اللغة العربية وهم: شعبان عبد العاطي عطية، أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي، ومدير مكتبة الشروق الدولية: عبد العزيز النجار، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٥) رضا: أحمد، معجم متن اللغة،(موسوعة لغوية حديثة)،(٣ / ٣١٠)، مادة (ش ر ق)، ط (بدون) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـــ ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م.

فلفظة (استشراق) مولدة عصرية، كما يؤيد ذلك المستشرق (جوزيف شاخت)[١] وزميله(كليفورد بوزورث)[٢] بقولهما: «وقد ظهرت كلمة (Orientalist) (مستشرق في إنجلترا حوالي سنة ١٧٧٩ وكلمة (Orientaliste) (في فرنسا عام ١٧٧٩، وأدرجت كلمة (Orientalisma) (الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية (Dic.de I'Academie Francaise) عام ١٨٣٨، وأخذت فكرة إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق تلقى المزيد من التأييد[٣].

فكلمة استشراق مولدة عصرية ظهرت في كتب المصادر اللغوية الحديثة من تراجم اللغة الأجنبية.

ب/ الاستشراق في المفهوم الاصطلاحي[٤]:

ذكرت عدة تعاريف للاستشراق قد تكون متقاربة في مفهومها، غير أنها لا تخرج عن كونها:دراسة الغرب للشرق في شتى مناحيه، وإذا كان هناك اختلاف بين المفكرين فإنه لا يعد جوهريا. ومن هذه التعاريف:

الاستشراق هو: علم الشرق، أو علم العالم الشرقي[٥].

وقد عرف البعض الاستشراق بأنه: ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته، وأديانه، ولغاته، وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار

---

(١) جوزف شاخت Josef Schacht ١٩٠٢-١٩٦٩ م، من آثاره:كتاب الشفعة من كتاب الطحاوي، ودين الإسلام، نشأة الفقه في الإسلام، تاريخ الفقه الإسلامي، تاريخ علم الكلام.(انظر: العقيقي: المستشرقون، ٨٠٣/٢ـــ ٨٠٤)

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) شاخت: جوزيف، بوزورث: كليفورد، تراث الإسلام،(١ / ٧٣)، ترجمة: دز محمد زهير السمهوري، د. حسين مؤنس، د. إحسان صدقي العمد، ط٣، عالم المعرفة (٢٣٣)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المحرم ١٤١٩هـــ / مايو / أيار ١٩٩٨م.

(٤) حاول الدكتور علي بن إبراهيم النملة حصر التعريفات التي تعرض لها الدارسون لظاهرة الاستشراق في كتاب الاستشراق في الأدبيات العربية، من ص ١٧ ـــ ٢٢ ـــ الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م.)، و انظر: سما يلو فتش: د. أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، من ص: ٢٧ ـــ ٣٠، فقد ذكر اثني عشر تعريفا، دار الفكر العربي ـــ القاهرة ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م.

(٥) انظر: بارت: رودي، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة)، ص: ١١، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٧م.

في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي معبرًا عن الخلفية الفكرية للصراع بينهما»[١].

وعرفه الدكتور. أحمد عبد الحميد غراب بقوله: «إن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون ـــ من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخا، ونظما، وثروات، وإمكانات،..بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي»[٢].

ثم إن: كلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه، ووسطه، وأدناه، في لغته، وآدابه، وحضارته، وأديانه»[٣].

لكن المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق:

«يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته، وآدابه، وتاريخه، وعقائده، وتشريعاته، وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع أيضًا في كتابات المستشرقين المعنيين»[٤].

فالمستشرق هو: كل من تجرد من أهل الغرب في دراسة علوم الشرق، وآدابها، ودياناتها، وتاريخها، وغير ذلك من العلوم المختلفة.

---

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/٦٨٧).

(٢) غراب: أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص: ٧، ط ٢، صدر عن المنتدى الإسلامي ـــ لندن، توزيع مؤسسة المؤتمن ـــ الرياض، ١٤١١هـــ.

(٣) زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص: ١٨، ط (بدون)، دار المعارف ـــ القاهرة، ١٩٩٧م.

(٤) زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص: ١٨.

وقد نبذ مصطلح (الاستشراق) كما قال المستشرق (برنالد لويس[١]) : ((وقد أخذ ذلك النبذ شكله الرسمي خلال المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين، والذي عقد في باريس عام ١٩٧٣. وكانت تلك الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي للمستشرقين والذي عقد عام ١٨٧٣ في باريس أيضا..لقد بدا واضحا أن هناك شبه إجماع لصالح إلغاء تلك الكلمة...ولكن نجحت الحركة المطالبة بإلغاء كلمة مستشرق...وهكذا ألقي اصطلاح (المستشرق) في مزبلة التاريخ ولكن المزابل ليست مناطق آمنة. لقد نبذت كلمات (الاستشراق) و (المستشرق) في أوساط المستشرقين، ولكنها تستعمل الآن لأغراض أخرى في جدل لا ينتهي))[٢].

لكن الاستشراق مستمر ومتواصل والغرب ينطلقون في دراساهم للعالم الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً واجتماعاً استنادا إلى الجهود الاستشراقية السابقة من كتابات المستشرقين.

ومهما حاول علماء الغرب إخفاء هذا المصطلح بحجة أن مصطلح الاستشراق ينطوي على دلالات سلبية في العالم الإسلامي، حيث كان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣ بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمـــــرات العالمية للدراسات الإنسانية حـــول آسيا وشمال أفريقياICHSANA) وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية ICANAS) [٣].وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية (روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها) [٤].ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية وشمال أفريقية الذي عقد في

---

(١) (برنارد لويس المولود عام١٩١٦.Bernard Lewis تخرج من جامعتي لندن وباريس، وعين معيدا للتاريخ الإسلامي في جامعة لندن، من آثاره: أصول الإسماعيليين والإسماعيلية، وتاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، والسياسة الدبلوماسية العربية، وسفر الوحي وأثره في التاريخ الإسلامي.

(انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ٢ / ٥٦١).

(٢) لويس: برنالد، الإسلام والغرب، ص: ٤٤ ـــ ٤٦،ط١، دار الرشيد ـــ دمشق ١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م.

(٣) Bernard Lewis." The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June ٢٤،١٩٨٢. Pp. ٤٩-٥٦.

(٤) Bernard Lewis. " The Question of Orientalism." Op., Cit.

بودابست بالمجر كان مصطلح استشراق ومستشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن الأوروبيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح ولعل هذا ليفيد المغايرة بحيث يتحدثون عن المستشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك بل هم مستعربون Arabists أو إسلاميون Islamists أو باحثون في العلوم الإنسانية Humanistsأو متخصصون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة، أما موقفنا نحن من هذا التخصص أو التخصصات فإنه يسعنا ما وسع الغربيين فإن هم اختاروا أن يتركوا التسمية فلا بأس من ذلك شريطة أن لا نغفل عن استمرار اهتمامهم بدراستنا والكتابة حول قضايانا وعقد المؤتمرات والندوات ونشر الكتب والدوريات حول العالم الإسلامي واستمرار أهداف الاستشراق، وأن لا يصرفنا تغيير الاسم عن الوعي والانتباه لما يكتبونه وينشرونه. [(١)].

ج / نشأة الاستشراق وأهدافه:

أما عن بداية الاستشراق فمن الصعب تحديده بفترة زمنية معينة، ذلك لأنه حركة نشأت، ثم تطورت لتكون منظمة لها مؤسساتها المختلفة.والباحثون يختلفون في تحديد تاريخ معين لظهور الاستشراق، وهناك محاولات فردية أو جماعية لتحديد بداية الاستشراق ولكنها لم تكن بشكل منظم أو رسمي.

قال الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند: «لا نستطيع الجزم بتحديد من هو أول شخص نبتت في ذهنه فكرة الاستشراق، وغزو الشرق من الداخل، إلا أن معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه الحركة نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي، وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وإن الراهب الفرنسي (جرير دي أولياك ٩٣٨ - ١٠٠٣ م) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق»[(٢)].

وقال الدكتور محمد شامة: «بدأت حركة الاستشراق في القرن العاشر الميلادي من الفاتيكان، فقد كان رجال الدين ـــ وهم تابعون للكنيسة آنذاك ـــ يكونون الطبقة المتعلمة

---

(١) http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=١&RPID=٠&LID=٠

(٢) الجليند: أ. د. محمد السيد، الاستشراق والتبشير، ص: ١٣ ـــ ١٤.

في أوربا فاتجه منهم أناس لتعلم اللغة العربية ليتمكنوا من المجادلة مع فقهاء المسلمين، وقد حمل الفرنسسكانيون والدومنينكانيون لواء هذه الدراسة، وكان طابع العصبية واضحًا في بحوث هؤلاء. ثم ازدادت أهمية هذه الدراسة بعد الحروب الصليبية، وبلغت ذروتها في أيام الاستعمار حيث كان المستشرقون يعملون مستشارين في وزارة المستعمرات))[(١)].

وقال الدكتور محمود زقزوق: ((وبدءًا من عام ١١٣٠م كان العلماء المسيحيون في أوربا يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية في الفلسفة والعلوم. وكان لرئيس أساقفة طليطلة وغيره الفضل في إخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية، بعد الاقتناع بأن العرب يملكون مفاتيح قدر عظيم من تراث العالم الكلاسيكي))[(٢)].

فالغرب المسيحي لجأ إلى الترجمة كأساس لمعرفة العقيدة الإسلامية من خلال أصولها، فعمدوا إلى ترجمة القرآن الكريم ونقله إلى اللاتينية ومن ثم إلى الترجمات الأخرى باللغات المختلفة.

وقد ظهر في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي أول نقل للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وكان ذلك عام ١١٤٣م برعاية الراهب الفرنسي بطرس الناسك[(٣)]، وكان هدفه من ذلك الحصول على نسخة مترجمة يستخدمها للرد على عقائد الإسلام. ولم تكن الترجمة إلا لتحقيق أهداف عدائية من قبل الدراسات الاستشراقية.

بينما يرى رودي بارت أن بداية الدراسات الإسلامية والعربية الاستشراقية في أوربا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة

---

(١) شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، حاشية الكتاب ص: ٦ ــ ٧، ط ١، دار التراث ــ مكتبة وهبة ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م.

(٢) زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص: ٢٣.

(٣) بطرس الملقب بالمحترم (١١٥٦ ــ ١٠٩٢م)، ولد في أوفرن وسط فرنسا وصار رئيسا لدير كلوني في فرنسا، عني بأحوال المستعربين الكاثوليك: أي المسيحيين الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين في أسبانيا وكانوا يتكلمون العربية، ترجم القرآن من العربية إلى اللاتينية في طليطلة و أنجزت هذه الترجمة في سنة ١١٤٣ م وكانت أول ترجمة إلى اللاتينية للقرآن كله من اللغة العربية.

(انظر: بدوي،عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص: ١١٠ ــ ١١١) .

اللاتينية، كما ظهر أيضًا في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي[١].

أما الدكتور محمد البهي أشار إلى أن القرن الثالث عشر بداية رسمية، ثم انتشر بصفة جدية بعد فترة ما يسمى في التاريخ الأوربي عهد الإصلاح الديني[٢].

واتفق الدكتور: محمد البهي والدكتور صابر طعيمة على أن البدايات الأولى لظهور الاستشراق ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي[٣].

ومن المتفق عليه أن الاستشراق اللاهوتي الرسمي قد بدا وجوده حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي، يقول إدوارد سعيد: «وفي الغرب المسيحي يؤرخ بدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢ بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية واليونانية والسريانية في جامعة باريس وأكسفورد وبوبلونيا وأفنيون وسلامانكا»[٤].

أما الأستاذ: محمد عبد الله الشرقاوي، فقد ذهب إلى أن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى القرن الرابع عشر[٥].

وعموما فقد بدأ الغرب باستعمار العالم الإسلامي عن طريق الدراسات الاستشراقية المغرضة لتحقيق المطامع الدينية والسياسية، وتصوير الإسلام مشوها عن طريق الطعن والتشكيك ما وجدوا لذلك سبيلاً بدعم من المؤسسات التبشيرية، وما إن بدأت خططهم تنكشف حتى استخدموا حيلا أخرى، وحولوا الخطط الهجومية إلى أساليب محورية هادئة لكسب ثقة الناس، والدخول بهدوء بعد إثارة الشبهات الخفية المُقَنَّعة. ومع وجود أساليب

---

(١) انظر:بارت: رودي، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ص: ٩.

(٢) انظر: البهي: د. محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص: ٤٢٩، الناشر: مكتبة وهبة. ط ١٢، القاهرة ـــ مكتبة وهبة، ١٤١١هـــ / ١٩٩١ م.

(٣) انظر: البهي: محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص: ٤٢٩ ـــ طعيمة:د. صابر، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ـــ بحوث في العقائد الوافدة، ص: ٧٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤ م.

(٤) إدوارد سعيد: الاستشراق: (المعرفة. السلطة. الإنشاء)، ترجمة: كمال أبو ديب، ص ٨٠، ط ٣، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ـــ ١٩٩١م.

(٥) انظر: الشرقاوي:محمد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات تحليلة تقويمية، (ص: ٨) منشورات مطبعة المدينة ـــ القاهرة (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

التحذير من خططهم المدروسة، إلا أنهم وَرَّثُوا تلاميذ تلقفوا شبهاتهم وعملوا جاهدين لنشرها ونسبها بعضهم لأنفسهم.

وإذا كان الاستشراق قد نشأ في أحضان الكنيسة، إلا أنه قد عايش التطورات والتحولات التي شهدتها الساحة الغربية، إذ إن حركته: «كانت تسير جنبًا إلى جنب مع التحولات والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي سادت العصور التي عاش فيها أولئك المستشرقون، فلا يمكن - إذًا - أن نفصل بين ما شهدته من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية، وبين ما أنتجه أولئك المستشرقون من دراسات»(١).

والذي يهمنا ليس بداية مصطلح الاستشراق، بقدر ما يهمنا قدم بداية الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، والاشتغال بالإسلام وأهله سواء كانت الدراسات موضوعية أم خلاف ذلك.

وخلاصة الكلام أن بداية الاستشراق يصعب تحديدها بفترة زمنية معينة، لكن الاستشراق نشأ في أحضان الكنيسة، ممادفع كثير من المستشرقين أن يعملون جاهدين على ترجمة الكتب العربية لفهم الإسلام،والتمكن من مجادلة فقهاء المسلمين؛ بالتالي يمكننا أن نعتبر القرن الثالث عشر بداية رسمية للاستشراق،لكنه تشكل كعلم في القرن التاسع عشر.

قال رودي بارت: «عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء المسبقة، وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتي، والاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذي تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا في نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً»(٢).

فالقرن التاسع عشر بداية لظهور الصفة العلمية للدراسات الاستشراقية، والتخلص من سيطرة اللاهوت، لكن هذه النـــزعة العلمية التي تتجه لدراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها لم تستطع التخلص من التعصب الديني لدى الكثير من المستشرقين.

---

(١) R. Walzer.Le Veil de la Phiosphie Islamique. p.(٤١)
نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلها وزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ص: ١٧ ـــ ١٨ ـــ، سلسلة الرسائل الجامعية (٢١)،ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن ـــ فيرجينيا ـــ الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٧هـــ /١٩٩٧م.

(٢) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص: ١٧.

فالدراسات الاستشراقية في تناولهم للعقيدة الإسلامية قديمًا وحديثًا تقدم في صورة من الشك، والافتراضات الخاطئة، والنتائج الخاطئة المسبقة.

يقول برنارد لويس: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[١].

وقد بدأ نشاط المستشرقين عن طريق إنشاء الجمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، وسرعان ما نشطت هذه الجمعيات في إصدار المجلات والمطبوعات المختلفة، وللمستشرقين ثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات[٢].

كما تم تنظيم عقد المؤتمرات الدولية المنظمة التي تضم مئات العلماء، وتنشر بحوث هذه المؤتمرات في مجلدات أصبحت أصولاً وأمهات وأسانيد للباحثين[٣].

وقد أفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي، حيث شهد القرن التاسع عشر استيلاء المستعمرين الغربيين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، ففي عام ١٨٥٧م تم استيلاء الإنجليز سياسيًّا على الهند، وأصبحت الهند بذلك تابعة للتاج البريطاني رسميا ، وتم استيلاء فرنسا على الجزائر كلها بعد أن كان الفرنسيون قد بدؤوا غزوها عام ١٨٣٠م...وبعد عام (١٨٨١ م) تم احتلال مصر وتونس، وظل الاستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية. وبعد الحرب العالمية كان العالم الإسلامي كله تقريبًا خاضعًا لنفوذ الاستعمار الغربي[٤].

وقد دخل الاستعمار بديلاً للكنيسة في رعاية جهود المستشرقين لما رآه من حاجة ماسة إلى الدراسات الاستشراقية التي تساعد في التمهيد لحركة الاستعمار الأوربي للعالم الشرقي.

والاستعمار في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية، وكانت بعض الدراسات الاستشراقية بمثابة دليل للمستعمر من أجل فرض السيطرة على الشرق، والعودة إلى احتلال بلاد العرب ظل حلمًا يراود الغربيين منذ هزيمة الصليبيين.

---

(١) زقزوق: محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص: ٧٦، دار المعارف (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٢) انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، ٣ / ١١٤٧.

(٣) انظر: العقيقي: نجيب، المنستشرقون ٣ / ١١٠١ـــ١١٠٦.

(٤) انظر: البهي: د. محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص: ٢٩ ـــ ٣٠.

«فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة، وعادات، وأخلاق وثروات ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه»[(١)].

فالهدف من الحروب الصليبية هو تدمير الإسلام؛ حتى لا يقف حجر عثرة أمام تقدم انتشار المسيحية بالإضافة إلى الأطماع الاستعمارية.

وبعد انتهاء الحروب المسيحية تغير أسلوب المجابهة للإسلام، وأصبح يعتمد على الحرب الفكرية التي تعتمد على التشويه والتشكيك عن طريق دراسة الإسلام فكرًا وثقافة وحضارة ثم الكتابة عن الإسلام بطريقة مغلفة في قالب يبرز المفهوم الغربي، ويخفي ما عداه.

وليس أدل على ذلك لمعرفة سر الإسلام ومصدر قوته من صراحة الأمير الإيطالي (كايتاني) الذي جمع كل الدوريات والأخبار الواردة عن حركة الفتح في اللغات القديمة، واستخلص تاريخ الفتح في تسعة مجلدات ضخمة بعنوان:

(حوليات الإسلام) بلغ بها سنة أربعين للهجرة. استهلك كل ثروته الطائلة، حتى أفلس تمامًا، قال في مقدمة كتابه (حوليات الإسلام):

«..إنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض، ما يزالون حتى اليوم يؤمنون برسالة محمد، ويدينون به نبيًّا ورسولا»[(٢)].

واستمرت جهود المستشرقين بدافع من الكنيسة، مبنية على وحدة الديانة المسيحية التي تربط كثيرا من المستشرقين في محاولة مستمرة لمحاربة الإسلام والحيلولة دون انتشاره.

فغاية الدراسات الاستشراقية هي معرفة الإسلام لمحاربته، وتشويهه، وإبعاد النصارى عنه، وإفساد صورة الإسلام، بطمس معالمه، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، وتقديمه للعالم

---

(١) السباعي: د. مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص: ١٧، ط٢، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ــ دمشق ١٣٩٩هـــ ١٩٧٩م.

(٢) بنت الشاطئ: تراثنا في الشرق والغرب، محاضرات مطبوعة على الآلة الناسخة ألقيت على الدارسين بمركز تحقيق التراث القومي ونشره، القاهرة عام ١٩٦٧م، ص: ٧ ــ١٠، نقلاً عن الذيب: عبد العظيم محمود، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص: ٤١ ــ٤٢، ط١، من كتاب الأمة السابع والعشرون، ضمن سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات، برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١هـــ / ١٩٩٠ م.

على أنه دين متناقض، وتشكيك المسلمين في دينهم وقيمة تراثهم الحضاري، وتثبيت مفهوم أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان؛ لإضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم. كذلك عمد بعض المستشرقين إلى إثارة الشبهات حول الإسلام، لإضعاف صلة المسلمين بهذا الدين وارتباطهم به، و إحياء النعرات القبلية، والعصبيات المذهبية، والنزعات الطائفية والعقائدية، وإثارة الخلافات، لتفريق وحدة المسلمين، وإضعاف روح الإخاء بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وغرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وتمجيدها، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها، حَتَّى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين والعمل على تحللهم، ثم توجيههم لخدمة مصالحهم، وإزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية، وتمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثير والانقياد لهم، و هذا من أهم أهداف المستشرقين من الناحية الدينية.

كما أن للغرب أهدافًا علمية فلم يترك مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درس هذه الكتابات، وترجمها، للاستفادة منها، فكان لها أثر كبير في بناء الحضارة الغربية ورقيها، ولو رجعنا إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة هذا الأمر، ولهم أيضا أهداف سياسية واستعمارية، فقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية، حيث قدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها.

ومما يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية عند المستشرقين بالأهداف السياسية الاستعمارية أن بعض الحكومات الغربية موّلت عددًا من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الغربية.

أما الهدف الثقافي فيتمثل في نشر الثقافة الغربية، ومحاربة اللغة العربية من خلال الدعوة إلى العامية، ومحاربة اللغة الفصحى، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، فأسست المعاهد العلمية التنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي، وسعى الغرب النصراني إلى نشر ثقافته وفكره، ومازالت صورة الإسلام في الغرب أسيرة تصورات خاطئة، ومفاهيم فاسدة

أصبحت عميقة الجذور، متأصلة في الوعي، لا يمكن اقتلاعها بسهولة ويسر، تغذي المجتمع الغربي بمشاعر عاطفية تعبر عن أثر ذلك الموروث التاريخي في الذاتية الغربية.

والاستشراق في معظم كتاباته حرص على ترسيخ ذلك الموروث، وتعميقه وتأكيده، وإقامة الأدلة عليه، مما أدى إلى أن تفقد الدراسات الاستشراقية مصداقيتها في مجال البحث العلمي.

وعلماء الغرب مهما بلغوا من موضوعيتهم ليسوا بقادرين على التجرد الكامل من الهوى.وللأسف نجد بعض العرب المتأثرين بالثقافة الغربية، الذين بهرهم ما وجدوا عندهم، فاتبعوهم، وانقادوا لآرائهم، وتنكّروا لتراثهم فصاروا أذنابًا لهم يرددون ما يقوله هؤلاء بلا نقد ولا تمحيص.

الباب الأول

منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: أسس منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنةوالجماعة.

الفصل الثالث: نقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

الفصل الأول

مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المصادر العامة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:جمع المخطوطات العربية (جمع التراث الإسلامي)

المطلب الثاني:رحلات المستشرقين

المطلب الثالث:الترجمة

المطلب الرابع:رهبان الكنائس (آباء الكنائس وهم البابوات)

المطلب الخامس:المعاجم

المبحث الثاني: المصادر الخاصة

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول: مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

المطلب الثاني:مصادر المستشرقين في دراسة مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:السنة النبوية

ثالثا: الإجماع

المطلب الثالث: مصادر المستشرقين في دراسة أصول الإيمان.

أولا:التوحيد.

ثانيا:الملائكة.

ثالثا:الكتب (التوراة والإنجيل والتوراة)

رابعا: الرسل.

خامسا:اليوم الآخر.

المطلب الرابع: مصادر المستشرقين في دراسة أئمة أهل السنة والجماعة.

أولا:مصادر المستشرقين في دراسة الصحابة (الخلفاء الأربعة)

ثانيا: مصادر المستشرقين في دراسة التابعين .

ثالثا: مصادر المستشرقين في دراسة الأئمة الأربعة (الإمام أبي حنيفة،الإمام مالك بن أنس،الإمام الشافعي،الإمام أحمد بن حنبل)

رابعا: مصادر المستشرقين في دراسة ابن تيمية.

خامسا: مصادر المستشرقين في دراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الفصل الأول

مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

تمهيد:

إن تحرير المصادر الموثقة والرجوع إليها يساعد على الفهم الصحيح للإسلام، لكن بعض المستشرقين أسرهم المصادر المحرفة التي كتبها أصحاب الفكر المنشق، وتلقفها بعضهم ليؤيدوا ضلالهم وانحرافهم.

والمصادر الموثقة أساسها ورأسها القرآن الكريم، فهو ثابت بالتواتر القطعي؛ لأنه صادر من لدن عليم حكيم ثم كتب الحديث والسيرة النبوية، وقد خضعت مصنفات المحدثين التي تناولت أخبار السيرة والروايات للنقد من قبل علماء الجرح والتعديل، ونصوا على صحيحها وميزوا ضعيفها، كذا نصوا على الرواة العدول، والضعفاء، والمجهولين؛ ليسهل على الباحث القدرة على النقد، ومعرفة الصحيح من غيره.وقد نجد بعض المصادر التاريخية تحوي عددًا من الروايات المتعلقة بالأحكام الشرعية، والآداب النبوية التي اتبع فيها منهج المحدثين من حيث القبول والرفض للروايات؛ لكن الروايات المتعلقة بأخبار الحضارة والتاريخ والقصص مما لا يتعلق بحكم شرعي فهذا لا يلزم منه الدقة في اتباع منهج المحدثين لأنه لا يستدل بها على الفرائض والأحكام.

وقد تشدد العلماء في الاستدلال على الفرائض وأحكام الحلال والحرام حيث ورد عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»(١).

وذوو الاختصاص من المحدثين لديهم القدرة على تمييز الصحيح من غيره بحسب

(١) الخطيب البغدادي: الإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ، كتاب الكفاية في علم الرواية، تقديم المحدث: محمد الحافظ التيجاني، مراجعة الأستاذين: عبد الحليم محمد عبد الحليم، عبد الرحمن حسن محمود، (ص: ٢١٣)،ط٢، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة دار التراث العربي (بدون ذكر تاريخ الطبعة).

سلسلة إسناد الحديث، والقرائن المحيطة به.

والمؤلفات التي ألفت بعد عصر الرواية والإسناد ينظر إليها بحسب اتجاهات مؤلفيها الفكرية والعقدية، ومناهجهم في التصنيف، وتُسبر طريقتهم بالمقارنة والنقد لتمييز الصحيح من غيره.فما كتبه الثقات من أهل السنة والجماعة وعلى طريقة السلف في الاعتقاد ومنهج التلقي والاستدلال، فهذه مصادر يعتمد عليها ويهتم بدراستها، مع ملاحظة اجتناب ما قد يقع فيه بعضهم من خطأ، إذ لا عصمة لأحد من الخطأ، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ ونوع من المصادر كتبها علماء يغلب عليهم أو تترعهم اتجاهات ونزعات فكرية مخالفة لطريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، نحو:(الاتجاه المعتزلي، أو الشيعي، أو الصوفي..، إلخ، وتلك المصنفات لا تخلو من التأويل الفاسد أو الأخبار الضعيفة؛ لذا ينبغي تجنب تلك المصادر والمراجع خاصة من قبل الدارسين المبتدئين[1].

إذًا فدراسة الإسلام الصحيحة وفق تصور صحيح لابد أن تؤخذ من منابعها الأصلية حتى تفهم حقيقة الإسلام وشموليته لكافة مناحي الحياة.وهذا هو منشأ الخلاف بين الدراسات الإسلامية ودراسات بعض المستشرقين، حيث تكون دراساقم وأبحاثهم صورة لأفكارهم وعقائدهم المنكرة للعلوم الغيبية، المهتدية بالعقل وحده في تفسير بعض الأمور الشرعية، فكيف نقبل كتاباقم عن الشرع وهم يكفرون بالله، ولا يؤمنون برسالته! وهل يمكن أن تكون كتاباقم مصادر يعتمد عليها لدراسة الإسلام، علمًا أن الغالب في مؤلفات بعض المستشرقين النقل عن مصادر استشراقية، أو محققة من قبل مستشرقين حرفوا وبدلوا في أثناء التأليف أو التحقيق، وللأسف وجد من المسلمين الباحثين من تأثر بأفكارهم، وأصبحت مؤلفاقم صورة لأفكار بعض المستشرقين نتيجة الروح الانهزامية لديهم.

وبعض المستشرقين يورد أحدهم رواية ثم ينسبها لمصدر شرعي وهو في الحقيقة يعبر عن رأيه الشخصي، والقارئ قد لا يفرق بين تحليل المستشرق الشخصي وما ينسبه إلى المصدر الشرعي؛ لأن بعض المستشرقين يخلط بين الأمرين أو يُداخِل بين الرأي والرواية،

(١) انظر: السلمي: د. محمد بن صامل، مقال بعنوان (مسائل في منهج دراسة السيرة النبوية) (ص: ٨٤١ ــ ٨٤٤)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مجلد (١٤) العدد (٢٤) ربيع الأول ١٤٢٣ هـ / مايو (آيار) ٢٠٠٢م.

وعلى الباحثين أخذ الحيطة من مصادر بعض المستشرقين التي أصبحت فيما بعد مصدرًا للمتأثرين بكتابات بعض المستشرقين.

ولنا أن نقسم المصادر التي اعتمد عليها بعض المستشرقين في نقل معلوماتهم عن العلوم والمعارف الإسلامية إلى نوعين هما:

المصادر العامة: وهي التي تناولت الدراسات الإسلامية بشكل واسع من غير تخصص، ولكنها في حد ذاتها من المصادر الاستشراقية التي ساهمت في إثراء المعلومات لدى بعض المستشرقين بشكل عام.

المصادر الخاصة: هي المواد التي اعتمد عليها بعض المستشرقين في دراسة المسائل العقدية في جلّ دراساتهم الاستشراقية.

المبحث الأول

المصادر العامة

المطلب الأول: جمع المخطوطات العربية: (جمع التراث الإسلامي):

ونعني به ما خلفته الأمة الإسلامية في الكشف عن العقلية الإسلامية من كتب ومخطوطات عربية إسلامية دينية، تمت مصادرها، وحفظها داخل خزائن الغرب بطرق مختلفة شرعية، وغير شرعية. وقدتم الاستيلاء على المخطوطات والوثائق عن طريق الحملات الاستعمارية التي أصيب بها العالم الإسلامي، وعن طريق التبادل والهدايا، أو عن طريق شراء المؤسسات الثقافية الغربية للمخطوطات بشكل رسمي، حتى أصبح لدى الغرب مخزون ثقافي عربي ينهلون منه أعقاب اليقظة الأوربية، للاستفادة مما تشمله هذه المخطوطات من علوم أدبية ودينية وعلمية.

ونجد التراث الديني الإسلامي لدى الغرب قد حُقق منه بعض الكتب، والآخر لا يزال محفوظًا في خزائنهم.

وقد اهتم الغرب بنشر التراث الخاص بالمذاهب الفكرية المنحرفة دون الاكتراث بنشر الأصيل منه، محاولة منهم للدس والتحريف المتعمد لتقديم الإسلام إلى العالم مشوهًا عن طريق إخراج مثل هذه الكتب، لكن مهما يكن فالاهتمام بجمع التراث من قبل الغرب أدى إلى حفظها من الضياع.

قال (يوهان فوك)[1]: «نشط العمل على غير صعيد لاستنطاق الثقافة العربية الإسلامية،

(١) يوهان فوك عمل عضوًا مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،و أستاذ متقاعد لفقه اللغات السامية والعلوم الإسلامية. بدأ فوك دراساته عام ١٩١٣ في جامعة هاله مع كارل بروكلمان .ثم انتقل حينئذ إلى فرانكفورت (على نهر ماين) مارابيرلين وهناك نال درجة الدكتوراه في الفلسفة ببحث أدبي تأريخي عن ابن اسحق مؤلف سيرة النبيLiterachistorische Untersu chungen ، Muhammad Ibn Ishaq بإشراف يوسف هورفوفتس Joset Horviz وهو من أحسن العارفين بالقرآن والأدب العربي القديم. وفي عام ١٩٣٠ لبى دعوى للقيام بالتدريس لمدة خمس سنوات في دكا عاصمة جمهورية بنجالادش حاليًا. وفي عام ١٩٣٨ قدم إلى مدينة هاله أستاذًا بجامعتها. وشغل فوك ببعض المسائل الأساسية في العلوم الإسلامية. وفي عام ١٩٥١ نشر فوك مقالاً بعنوان "محمد –شخصية وتأسيس دين،وفي سنة ١٩٧١ ظهر بحث شارك به في "مرجع الدراسات الشرقية Handbuch der Orientalistik "تحت عنوان (دين الإسلام السنِّي Die Religion)
=

لاسيما بعد وفرة المراجع من مخطوطات مهاجرة، ومسروقة، وكتب، وشهود عيان، وآثار باقية، بالإضافة إلى مذكرات وأعمال الرحالة والمستكشفين، وقد أعانهم على ذلك أيضًا اعتماد مقاعد للغة في بعض الجامعات والمعاهد الأوربية العليا»[١].

فللمستشرقين فضل على تراث المسلمين من حيث حفظ جزء منه، ونشره وتحقيقه، لكنهم في مجال التحقيق انطلقوا من دوافع وأهداف غير علمية، وفق منهج أوربي قاصر بقصد تشويه الإسلام.

ونتمنى من مؤسساتنا العلمية استعادة هذا التراث بالطرق المشروعة وتوجيه الباحثين لدراسة هذا التراث، والكشف عن محاسنه لتصحيح النظرة الغربية عن الدين الإسلامي، ولتضييق الهوة بين المسلمين وبين تراثهم الزاخر.

المطلب الثاني: رحلات المستشرقين:

اهتم بعض المستشرقين بالرحلات إلى بلاد المسلمين لأهداف وغايات متعددة يرأسها الدافع التنصيري والاستعماري.

وقد اعتمد الاستشراق القديم على نقل الأخبار من الحجاج المسيحيين بعد عودتهم من زيارة الأراضي المقدسة في فلسطين،لكن الاستشراق المعاصر قد انتقل إلى العقل والنقد من دون أن يتخلص نهائيًا من جوهر المرحلة السابقة[٢].

---

der Sunnitischen Islams، ويوهان فوك نفسه قد نشر كتابًا في عام ١٩٥٥، أسماه "الدراسات العربية في أوروبا إلى بداية القرن العشرين Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des ٢٠. Jahrhunderts ورسم في هذا الكتاب صورة واضحة لتطور هذا الفرع من العلوم عرض فيها الآراء المختلفة حول الإسلام وشخصية نبيه ابتداء من العصور الوسطى في أوروبا ثم في عصر الإصلاح الديني والتنوير والرومانسية حتى عصر النظر التأريخي في القرن ١٩.

http: //www.dahsha.com/viewarticle.php?id=٢٦٥٧٧

(١) انظر:فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين)، (ص: ١٠)، ط ٢، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي ـــ بيروت / لبنان ٢٠٠١م.

(٢) انظر: النملة: علي بن إبراهيم، رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، (نصف سنوية محكمة) المجلد الأول ـــ العدد الأول، (ص ٤٥)، محرم ـــ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يونيو ـــ ديسمبر ١٩٩٥ م.

ومن الرحالة المستشرقين، رحالة تسموا بأسماء المسلمين مثل (سنوك هرخرونية ١٨٥٧ ١٩٩٣٦م)[١]، حيث سمى نفسه (عبد الغفار)، وأيضًا المستشرق الألماني: (أولريش جاسبر زيتسن تـ ١٨١١م[٢]) الذي سمى نفسه بالحاج موسى[٣].

وهناك من عاش بين المسلمين يتصيد أسوأ الممارسات التي تقع من بعض المسلمين، ويقدمها معيارًا يبني عليه خلفية ثقافية لمجتمع مسلم.

قال يوهان فوك في حديثه عن الرحالة الغربيين: «نجح الرحالة (هاينريش فون ما لزان) في الدخول إلى مكة.....أما الشخص الثاني الذي قام بزيارة مكة فكان الإنجليزي (ي. ف. كياني)[٤]...وجاء بعده الهولندي سنوك هورجرونيه ١٨٨٥ الذي تفوق على من سبقه بموضوعيته ومعرفته اللغوية بدرجة كبيرة، وإنه وإن لم يطلع على أحداث الحج، فقد قدم في كتابه (مكة) مجلدين، وأطلس(١٨٨٨ ــ ١٨٨٩) وصفًا صادقًا للمدينة وتاريخها»[٥].

---

(١) سنوك هر خرونية ١٨٥٧ ــ ١٩٣٦م: عالما وسياسيا في آن واحد، تعلم اللاتينية واليونانية، حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها (موسم الحج إلى مكة) قام برحلته عام ١٨٨٤م، إلى الجزيرة العربية ووصل لمكة سنة ١٨٨٥م تحت ستار اسم مستعار هو: عبد الغفار، وأقام في مكة طوال ستة أشهر وعين مدرسا للشريعة الإسلامية في جامعة ليدن، ومستشارا للحاكم العام الهولندي في أندونيسيا، له مؤلفات عدة منها: محاضرات عن الإسلام وفيها عرض الإسلام عرضا شاملا، كما له عدة مقالات جمعها ونشرها تلميذه فنسك.(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٣٥٣ ــ ٣٥٥)، (وانظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٢/ ٦٦٦ ــ ٦٦٧)

(٢) أولريش جاسبر زيتسن: مستشرق ورحالة ألماني، ولد سنة ١٧٦٧م، جاء مصر سنة ١٨٠٧م، وكان يلبس الزي الإسلامي،وأقام بها عامين،تعرف على همر بورجشتال في استنبول، والتقى بالشيخ عبد الرحمن الجبرتي،ومن مؤلفاته: أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ماوراء الأردن، وبلاد العرب ومصر السفلى، توفي سنة ١٨١١م. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٣٣١)

(٣) انظر: المنجد: صلاح الدين، المستشرقون الألمان (تراجمهم وماأسهموابه في الدراسات العربية)، ط(بدون)،(١/ ٧٩ــ ٩٢)، حيث كتب الأستاذ: محمد علي حشيشو عن: الرحالين الألمان إلى البلاد العربية) دار الكتاب الجديد، بيروت / لبنان.

(٤) (المترجم).J.F. Keane، S ix months in Mecca، ١٨٨١

(٥) فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين)، (ص: ٢٠٢ ــ ٢٠٣)

والحق أن يقاس المجتمع المسلم بالإسلام، وليس أن يقاس الإسلام بالمجتمع أو الفرد كما يتصور هؤلاء المستشرقون في نقلهم للأخبار لوصف الواقع المسلم.

قال إنجمار كارلسون(١): «هناك أمثلة أخرى لا حصر لها لكتب الرحلات المشبعة بالتجني المسبق، والتي لا تزال مقروءة بشغف، وعلى سبيل المثال يساهم كتاب مارك توين (مسيرة الحاج الجديد) حتى يومنا هذا في خلق وتثبيت تلك الصور، تمامًا مثل (آيات الله المسيحيين) الذين يساهمون في مواعظهم وكتاباتهم في تصوير العرب كأناس موضع شك، يقفون في وجه تحقيق النبوءات التوراتية، وهناك حاليًا الواعظ التلفزيوني الأمريكي (بيلي جراهام) الذي يقف على رأس موجة عارمة، والذي يتشدق بمثل تلك الدعاوي، ولدينا هنا في السويد (أولف إيكمان) الذي يكرر مثل هذه الترهات في مواعظه التي يلقيها في كنيسته المنشقة، والتي أطلق عليها اسم: (كلمة الحياة)»(٢).

كما ساهمت رحلات بعض المستشرقين في العالم الشرقي بالكثير من المعلومات التي مهدت لحركة الاستعمار(٣)، ثم أصبح هناك تلاحم بين الاستشراق والاستعمار ودخل بعض بعض المستشرقين في مرحلة جديدة تدعم صناع القرار الغربي لاختيار الأماكن الملائمة لتوجيه جيوشهم.

وقد كتب بعض المستشرقين الرحالة عن بعض شخصيات الدعوة السلفية من غير إلمام بثقافة المناطق التي مروا بها، يقول كوبر(٤): «وخلاصة القول أنه نظرًا لعجز أغلب الرحالة

---

(١) إنجمار كارلسون: ولد في مدينة (بيورشيرود) ودرس في السويد، بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة (جوتنبرج) التحق بالسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية السويدية، أصبح قائمًا بالأعمال في سفارة بلاده بدمشق إلى عام ١٩٨٣م ترأس قسم التخطيط السياسي في الوزارة، وفي هذا الأثناء وضع هذا الكتاب، عين سفيرًا في براغ وبراتيسلافا، وضع الكاتب ثمانية كتب نشرت بالسويدية وترجم بعضها إلى لغات أخرى.(انظر: كارلسون: إنجمار كارلسون، الإسلام وأوربا، تعايش أم مجابهة، (ص: ١٩٥)، ترجمة: سمير بوتاني، ط ١، مكتبة الشروق الدولية ــ القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.)

(٢) كارلسون: إنجمار كارلسون، الإسلام وأوربا، تعايش أم مجابهة، (ص: ١٨)، ترجمة: سمير بوتاني

(٣) انظر: حمدان: نذير، مستشرقون جامعيون سياسيون مجمعيون، (ص: ٢٤ ــ ٢٥ ــ ٤٧)، فقد ضرب الأمثلة على الارتباط بين الاستشراق والاستعمار لبيان الصلة بينهما، ط١،مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية ــ الطائف ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

عن اختراق وسط نجد وجنوبها، قاعدة الوهابية، فقد خلت تقاريرهم من المرئيات الأصلية عن سلوك الوهابيين وسياستهم، أضف إلى ذلك أن الكثير منهم كانوا يفتقرون إلى فهم ثقافات المناطق التي مروا بها»[١].

المطلب الثالث: الترجمة:

حرص بعض المستشرقين على ترجمة الكتب التي ترسم صورة مشوهة عن العالم الإسلامي مثل كتاب: «(ألف ليلة وليلة) وكتاب (كليلة ودمنة)، وهما كتابان فارسيان هنديان في الأصل، أضيف إلى الأول إضافات كثيرة مما يرويه الرواة من أساطير وأقاصيص وخرافات، ليست في جوهرها عملاً محققا، ولا علما موثقا، فكيف يمكن أن تكون مرجعا.والحق أن المستشرقين ودعاة التغريب هم الذين ألحوا على هذه الكتب، وأولوها الاهتمام، وأعادوا طبعها، وأذاعوا بها، وحرضوا أولياءهم من التغريبيين أن يتحدثوا عنها، وأن يحرضوا الباحثين على اعتمادها مراجع، وذلك لأنها تفسد الحقائق، وترسم صورة غير صحيحة، ولا صادقة للمجتمع الإسلامي»[٢].

كما حرص بعض المستشرقين على ترجمة كتاب رسائل إخوان الصفا[٣]، لتصوير الفكر الإسلامي على أنه متأثر بالفكر اليوناني، مع أن إخوان الصفا قد خلطوا الدين بالفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية وخرافات السحر، والتنجيم، وهم في الغالب يمجدون المجوسية[٤]، ويعتبرونها من أفضل الأديان.

---

(١) كوبر: لي ديفيد، رينتز: جورج، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، (ص: ١٢١)، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الله بن ناصر الوليعي، ط١، مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(٢) الجندي: أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين، (ص: ١١) ط ٢،دار الجيل، بيروت / مكتبة التراث الإسلامي — القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٣) إخوان الصفا: جماعة سرية باطنية مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية في خليط متضارب، وبالتالي فهي أولى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيع والتصوف الفلسفي ستارًا لنشر رسائلهم وأفكارهم، وكان أول ظهورها في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني،(٢/ ٩٥٠)

(٤) المجوس: هم القائلون بالنور والظلمة، وأن النور مصدر الخير، والظلمة مصدر الشر، فأثبتوا إلهين وهم عدة فرق، ومن عقائدهم: عبادة النار، والصلاة إلى الشمس، وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيمًا لها، ولا يغتسلون =

يقول الأستاذ أنور الجندي: «إن جماعة إخوان الصفا الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري بالبصرة، إنما هم جمعية سرية من الباطنية[١]، والمجوس، والزنادقة[٢] الحاقدين على الإسلام واللغة العربية، ولهم صلتهم المريبة بالحركات السرية التي كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامي، ولم يكن إخوان الصفا، وهم في سبيل وضع منهجهم، مخلصين للإسلام أو الدولة الإسلامية، بل كانوا على العكس من ذلك يمهدون للقضاء عليها، ولذلك فقد عمدوا إلى الفلسفة اليونانية، وأخذوا يجمعون بين الآراء اليونانية ونظريات أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين، وفيثاغورس، وغيرها، وبين العبادات الشرعية الإسلامية في دعوة باطلة، تقول إن الشريعة قد دنست بالجهالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة»[٣].

بالماء تعظيمًا له إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها، ويستحلون فروج الأمهات.(انظر: ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن،تلبيس إبليس،(ص: ٧٥ ــ ٧٧)، نشره محمود مهدي الإستانبولي ١٣٩٦هـ) و(انظر: الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، (١ /٢٧٤ ــ٢٨١)، ط١، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.)

(١) الباطنية: فرقة منتسبة للإسلام، وممن أسسها ميمون بن ديصان المعروف بالقدّاح، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعوا مع ميمون بن ديصان في سجن والي العراق فأسسوا مذاهب الباطنية، وظهرت بداية زمن المأمون، وسموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن، وأولوا أصول الدين على الشرك، وهم زنادقة دهريون يقولون بقدم العالم، منكرون للرسل والشرائع كلها.(انظر: البغدادي: الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، تعليق الشيخ: إبراهيم رمضان، (ص: ٢٥٠ ــ٢٦٠)، ط١، دار المعرفة ــ بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.)

(٢) الزندقة لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام وعرب، وفي البداية كانت تطلق الزندقة على من يؤمن بكتاب المجوس ثم توسع استعمالها على كل إنسان يتشكك في الدين أو يجحد شيئا مما ورد فيه، أو يتهاون في أداء عبادته، أويهزأبها أويتجرأعلى المعاصي والمنكرات أو يقول بمقالة بعض الكفار ويؤمن ببعض عقائدهم، وقد عدَّ الملطي فرق الزنادقة خمس فرق: المعطلة، والمانوية، والمزدكية، والعبدكية، والروحانية،(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني،(٢/ ١٠٦٥)

(٣) الجندي: أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين،(ص: ١٢)

المطلب الرابع: رهبان الكنائس (آباء الكنائس وهم الباباوات)

غرس بعض رهبان الكنائس (الباباوات) في نفوس بعض المستشرقين التعصب ضد الإسلام والتحامل عليه منذ القدم وتوارثوه فيما بينهم رغبة منهم في توهين العقيدة والشريعة الإسلامية، وإن قلّت حدته منذ بدء الدراسات الأكاديمية المنظمة في الجامعات في الآونة الأخيرة، بحيث أصبح مغلفًا غير مكشوف، مستخدمًا أساليب عدة لتحقيق أهدافه.

يقول الدكتور محمد شامة: «أما المستشرقون فقد ادعوا أنهم ينهجون المنهج العلمي الحديث في الدراسات الإسلامية، لكن بحوثهم دارت في دهاليز التعصب ضد الإسلام، لأن اللاوعي عندهم مليء بما غرسته الكنيسة في عقول أسلافهم»(١).

ويقول أيضًا: «فآباء الكنيسة اتخذوا الهجوم المباشر أسلوبًا، وتشويه الحقائق منهجا، فجاءت كتاباتهم عن الإسلام مخالفة للواقع، طافحة بمظاهر التعصب والتحامل، مما جعل الإسلام يبدو للأوربيين حين كانت الكنيسة هي المصدر الوحيد للمعرفة ـ مخيفًا، والمسلمين وحوشًا»(٢).

فبعض المستشرقين بفضل هذه الترسبات الفكرية في أذهانهم أصبحت كتاباتهم تتسم بالعداء والكراهية للإسلام والمسلمين، ويؤيد ذلك ما قاله الدكتور محمود ماضي: «إن الكثير من كتابات كثير من المستشرقين سارت على هذا النهج، مدفوعة في أغلب الأحيان بأفكار مسبقة، وأفكار متصورة، سبق أن اعتقدها المستشرق حول: ماذا يجب أن يكون الإسلام ونبي الإسلام، فضلاً عن الضلال والكذب، وادعاء العلمية والموضوعية. ثم يقول: أما المستشرق الموضوعي فهو الذي يبدأ في عرض موضوع بحثه من وجهة نظر أهله وأتباعه كما يعتقدون»(٣).

كما أن بعض المستشرقين درجوا على اللجوء إلى كتابات من سبقوهم من زملائهم، وكأنها (المصادر الأصلية) معتمدين على التوجيه الكنسي الذي يستوحون منه الأفكار

---

(١) شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي،(ص: ٦)

(٢) شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٦)

(٣) ماضي: د. محمود، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، (ص: ٢٩ ـ ٣٠)، ط (١)، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

مسبقة، يتصيدون الأدلة لإثباتها من واقع التاريخ من غير اكتراث لصحتها.

فمما هو متفق عليه عموما أن التصورات الأوربية عن الإسلام تشكلت مابين القرنيين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد، لكنها في كثير من جوانبها تكونت في الحقيقة على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية[١].

لقد ارتبط الاستشراق بالكنيسة فعدلوا عن السيف إلى الكلمة من أجل درء الخطر الذي شكله الفتح الإسلامي، وكانت الروح الصليبية واضحة في دراساتهم الاستشراقية.

يقول (برنارد لويس): «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية»[٢].

---

(١) انظر: ياسين: الشيخ خليل، ياسين: د. محمد،محمد عند علماء الغرب، (ص: ١٠٦)، ط١، دار العلم والحكمة ــ بيروت ٢٠٠٧ م.

(٢) فوزي: أ.د فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، (ص: ٢٩)، ط١،الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ــ ١٩٩٨م.

المطلب الخامس: المعاجم

درس بعض المستشرقين اللغة العربية لفهم المجتمعات الإسلامية، وتعتبر اللغة من أهم عوامل التواصل والتفاهم وبناء الثقافة، وصياغة الشعور، واللغة العربية لغة الثقافة الإسلامية العالمية لأنها لغة القرآن، وهي الأساس في نقل المعلومات الإسلامية، فاللغة العربية بما حوته من ألفاظ ومعان ودلالات تشكل عائقًا أمام بعض المستشرقين في الوصول لفهم وإدراك معاني ودلالات بعض الآيات القرآنية؛ لذا اتجه بعض المستشرقين لوضع المعاجم اللغوية لفهم اللغة العربية وأسرارها.

ذكر يوهان فوك أن فلهلم فريتاج (١٧٨٨ ــ ١٨٦١) ألف المعجم العربي اللاتيني(١).

وقال يوهان فوك: «أحد معالم ذكرى الدعوة إلى الاشتغال باللغة العربية من قبل البعثات التبشيرية للمسلمين في القرن ١٣، معجم لمفردات اللغة العربية نشره (شيبا ريللي) في سنة ١٨٨١»(٢).

وذكر رودي بارت أن: «يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ــ ١٩١٣) (٣) الذي اهتم في دراساته القرآنية اهتمامًا شديدًا بالاستعمال اللغوي في أعمال شعراء قبل الإسلام، وفكر في إنشاء معجم للشعر العربي القديم، وقام في معهد الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية التي افتتحت عام ١٩٢٥ في القدس بتفريغ الدواوين العبرية المطبوعة في بطاقات لتحقيق هذا الهدف، ولكن شيئًا لم يخرج مطبوعًا من هذا المشروع.

---

(١) انظر: فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين) (ص: ١٥٥)

(٢) فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين)، (ص: ٣٣)

(٣) جوزيف هوروفيتش (١٨٧٤ ــ ١٩٣١م) مستشرق ألماني يهودي، من أشهر أساتذة جامعة فرانكفورت، عمل أستاذًا للغة العربية في الهند وكان متخصصا في الإسلام ثم انتقل إلى جامعة فرانكفورت عام ١٩١٥ ــ ١٩٣١م حيث عد من أشهر أساتذتها، من آثاره: رسالة دكتوراه عن كتاب المغازي للواقدي، وكتب عن أصل التشيع وأخباره، ومن أهم إنتاجه: (مباحث قرآنية). (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢/ ٧٤٣ ــ ٧٤٤) (وانظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (٦٢١ ــ ٦٢٢)

وينبغي أن نشير إلى اشتراك علماء العربية الألمان[1] في تفريغ مؤلفات الحديث في بطاقات، وهو عمل بدأ بعد الحرب العالمية الأولى إعدادا (المعجم الحديثي المفهرس) الذي اضطلع (ا. ى. فنسك)[2] بإخراجه، وقد ظهرت من هذا المعجم المفهرس الضخم الذي يقصد إلى تبويب ألفاظ الحديث تبويبًا منظما، والذي يتسم بأهمية كبيرة للمعاجم العربية عامة، خمسة أجزاء، في الفترة بين عام ١٩٣٦ و١٩٦٥»[3].

والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث: «رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ونشره أحدهم وهو الدكتور:(أرند جان ونستك[4]) سنة ١٩٣٩م أستاذ العربية بجامعة ليدا بهولندا، وشاركهم في إخراجه ونشره المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وقام هذا المشروع بمساعدات مالية من المجامع العلمية البريطانية والدنمركية والسويدية والهولندية والانيسكو وأيك ف. س، والهيئة الهولندية للبحث العلمي البحت، والاتحاد الأممي للمجامع العلمية، ويتألف هذا المعجم من سبعة مجلدات ضخمة طبع الأول منها سنة ١٩٣٦م. وطبع المجلد الأخير وهو السابع سنة ١٩٦٩م، فكانت مدة طبعه ٣٣ سنة.

والكتاب جيد في بابه، وإن لم يبلغ درجة الكمال، وهو يفيد الباحثين في مجالات السنة النبوية، وتوفير الجهد والوقت لهم، وإن كان يضعف الصلة بينهم وبين المصادر الإسلامية، ويحرمهم من فوائد كثيرة كانت تعود عليهم من البحث والتفتيش والغوص في بطون الكتب وأمهات المراجع والمصادر، والكتاب قد فهرس أحاديث الكتب التسعة الآتية: صحيح

---

(١) قام بذلك المستشرق فنسك وهو مستشرق هولندي وليس ألماني..

(٢) فنسك (١٨٨١ـ ١٩٣٩ (A.J.Wensinck): مستشرق هولندي أتقن اللغات السامية، وتخصص في أديان الشرق، وانتدب أستاذًا للعبرية في جامعة ليدن (١٩٠٨ـ ١٩٢٧م) ثم أستاذًا للعربية (١٩٢٧ـ ١٩٣٩م) وعنى بالحديث (١٩١٦) وسعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظه من أمهات مصنفاته، فانظم إليه لفيف من المستشرقين العالميين، كما اشترك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية بلغاتها الثلاث، ومن آثاره الأخرى: موقف الرسول من يهود المدينة وهي رسالة دكتوراه، ومحمد واليهود، والإسرائيليات في الإسلام، محمد والنبوة، ومفتاح كنوز السنة مرتبًا بالأبجدية، والعقيدة الإسلامية وتطورها التاريخي، والأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية وغير ذلك.(انظر: العقيقي: المستشرقون، (٢/٦٦٧ ـ ٦٦٨)

(٣) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة، (ص: ٦٣)، ترجمة الدكتور: مصطفى ماهر.

(٤) أي المستشرق فنسك.

البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داوود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجـــه، سنن الدارمي، موطأ الإمام مالك، مسند الإمام أحمد»[1].

فالمعاجم اللغوية وغيرها من أنواع المعاجم المختلفة ساهمت في إثراء المعلومات لـــدى بعض المستشرقين وغيرهم لدراسة العلوم والثقافة الإسلامية.

---

(١) صالح: محمد أحمد رضوان، منا هج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي، مقال في مجلة المنهل، (ص: ١٢٥ ــ ١٢٦) العدد (٤٨٤) المجلد (٥٢) ربيع الآخر وجمادى الأولى، ١٤١١هــ، أكتوبر ــ نوفمبر ــ ١٩٩٠ م.

المبحث الثاني

المصادر الخاصة

تمهيد:

المتتبع لمصادر بعض المستشرقين من خلال ما كتبوه عن عقيدة أهل السنة والجماعة يجد أنهم اعتمدوا على مؤلفاتهم الاستشراقية المملوءة بالشك والتزوير واعتبروها مصادر صحيحة يجب عدم إهمالها، فهذا مونتجومري وات.(W.Mantgamery Watt)[(١)] وصل به الأمر إلى القول بـ: «إن مخالفة جولد زيهر ليست بالأمر السهل»[(٢)].

كما اعتمدوا على كتب التاريخ والسير، ومعروف أن المؤرخين جمعوا في مصنفاتهم ما حكاه القصاص، وأهل الأهواء، والمذاهب السياسية، وأصبح التاريخ الإسلامي خليط بين الأخبار الصحيحة والباطلة[(٣)].

قال ابن خلدون في حديثه عن المقدمة في فضل التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها: «وكثيرًا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًا أوسمينًا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلُّوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم

---

(١) مونتجمري وات (**Montgomery Watt**) عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرة، آثاره: عوامل انتشار الإسلام (الفصول الإسلامية١٩٥٥)ومحمد في مكة(لندن١٩٥٨)والإسلام والجماعة الموحدة، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام(١٩٦١م).(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم)،(٢/ ٥٥٤)، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٤م.)

(٢) محمد في مكة (باللغة الإنجليزية) (ص: ٨٢) نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلهاو زن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ٤٦ــ ٤٧)

(٣) انظر: البهنساوي: سالم علي، الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، (ص: ٤٥)، ط (١)، دار القلم / الكويت، ١٤٠٦هـ.

والغلط...»[١].

ثم ذكر أمثلة على ذلك وختم كلامه بقوله: «وقد كدنا أن نخرج من غرض الكتاب بالإطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت أفكارهم، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضًا من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم،حتى صار فن التاريخ واهيًا مختلطًا،وناظره مرتبكا»[٢].

وبالرغم من ذلك فإن بعض المستشرقين ركز على مقدمة ابن خلدون فقد:

«استفاد أولسنر olsner، كثيرًا من ابن خلدون حين تعرف عليه عن طريق سيلفستر ديساسي، وكانت استفادته بشكل خاص في موضوع السمات الأساسية لمجتمع ما قبل الإسلام، وموقف محمد والنبوة وعوائد البربر.

كما استفاد جولد تسيهر من المقدمة في دراسته للفرق الإسلامية وذلك في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) واستفاد جب[٣] من آراء المقدمة في بعض التحليلات

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،(١/ ١٣)،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور: سهيل زكار، ط (بدون) دار الفكر — بيروت لبنان ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م.

(٢) ابن خلدون: ، مقدمة ابن خلدون، (١ / ٣٧)

(٣) سير هاملتون جيب.Sir Hamilton R. A. Gibb (١٨٩٥- ١٩٦٧) ولد هاملتون جيب في الإسكندرية وانتقل إلى أسكتلندا وهو في الخامسة من عمره؛ للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية. التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية. عمل محاضرًا في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام (١٩٢١)م، وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذًا للغة العربية عام(١٩٣٧)م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد. انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديرًا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذًا للغة العربية في الجامعة.،يعد امام المستشرقين الانكليز المعاصرين، استاذ اللغة العربية في جامعة لندن سنة ١٩٣٠، واستاذ في جامعة اكسفورد منذ سنة ١٩٣٧، وعضو مؤسس في المجمع العلمي المصري، تفرغ للأدب العربي وحاضر بمدرسة المشرقيات بلندن. من آثاره: (دراسات في الادب العصرية)(١٩٢٦)، (الفتوحات الاسلامية في آسيا الوسطى وعلاقتها ببلاد الصين)، (رحلات ابن بطوطة)، (اتجاهات الاسلام المعاصرة)، وهو احد محرري دائرة المعارف الاسلامية.

=

السياسية الإسلامية، وذلك في كتابه (المحمدية)»[1].

وقد حاول بعض المستشرقين من خلال دراسة مقدمة ابن خلدون إظهار الجوانب الاجتماعية والمادية في فكر ابن خلدون دون الجوانب الدينية، حتى اعتبره بعض المسلمين عالما ماديا أقرب إلى الفكر العلماني منه إلى الفكر الإسلامي.

يقول الدكتور محمد عبد الله الزيادي: «حاز المستشرقون قصب السبق في اكتشاف ما توصل إليه ابن خلدون من نظريات، واستطاعوا من خلال هذا السبق تقديمه إلى العالم في الصورة التي يريدون، ولذلك ظهرت براعته قوية في الجانب الاجتماعي، وضعفت أو ربما اختفت براعته في الجانب الديني»[2].

ويقول: ف.ف.بارتولد (١٨٦٩ـ١٩٣٠)[3] عن مقدمة ابن خلدون:

«فمؤرخ العرب إذًا أخصب من مؤرخي اليونان علمًا وتجربة؛ فقد اتخذ ابن خلدون تطور الحالات الاقتصادية والانتقال من البداوة إلى حالة الاستقرار، ومن الحياة القروية إلى حياة المدن أساسًا لنظريته، بدًّل تغير النظم السياسية المتخذة أساسًا لدى مؤرخي اليونان...فمقدمة ابن خلدون الجليلة كمقدمة (ديودورس) تشبه جدارًا مزخرفًا لواجهة جميلة؛ فإذا أخرجنا المقدمة بقي كتابه مجموعة من الحوادث؛ فهو كجميع جامعي القرون الوسطى ينقل روايات من سبقه من المؤرخين بدون تغيير في معظم الأوقات»[4].

فبعض المستشرقين يركزون على الكتب التي تجمع الروايات المختلفة، والانتقاء منها

(انظر: عقيقي: نجيب، المستشرؤقون،(٢/ ٥٥١ ــ ٥٥٤)

(١) الزيادي: د. محمد فتح الله، الاستشراق، أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، (ص: ٢٥٠)، ط١٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

(٢) الزيادي: د. محمد فتح الله، الاستشراق، أهدافه ووسائله، (ص: ٢٩٩)

(٣) بارتولد: هو: ف.ف.بارتولد (١٨٦٩ـ١٩٣٠) وهو مستشرق روسي، تخرج من جامعة بطرسبرج ١٨٩١م، وعين أستاذًا لتاريخ الشرق الإسلامي عام ١٩٠١م، وكان رئيسا دائما للجنة المشرفين في مجمع العلوم الروسي حيث كان عضوًا بها سنة ١٩٠١م، وله العديد من المؤلفات تربو على أربع مئة أشهرها: حضارة الإسلام، العالم الإسلامي، تاريخ تركستان، تاريخ إيران وغيرها. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، ٣ / ٩٤٣ـ٩٤٤)

(٤) بارتولد: ف، تاريخ الحضارة الإسلامية، (ص: ٩٣ ــ ٩٤)، ترجمة: حمزة طاهر، ط ٤، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٦م.

حسب ما يوافق هواهم خاصة الكتب التاريخية ــ كما سبق في مقدمة ابن خلدون ــ ويتم ذلك أيضًا في كتابي تفسير وتاريخ الطبري رغم ما فيه من الإسرائيليات، وهذه الكتب قد تضم أخبارًا صحيحة، وأقوال المبتدعة الباطلة، قال الطبري في آخر مقدمة كتابه:

«فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضيين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهًا من الصحة، ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا»(1).

قال: ل. أ سيديو ١٨٠٨ ــ ١٨٧٥م(2) عن كتاب (تاريخ الأمم والملوك). لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري):

«ويعتقد أن ذلك التاريخ الذي وصل إلينا هو خلاصة أتى بها الطبري لكتاب عظيم له، والأمر مهما يكن فإن هذا الكتاب ذا الخطورة الكبيرة لدى الشرقيين والمترجم إلى اللغة التركية، واللغة الفارسية، هو من الكتب الموثوق بها كثيرًا، وهذا الكتاب قد لخصه وذيله جرجيس النصراني المصري المولود سنة ١٢٢٣م المتوفى بدمشق سنة ١٢٧٣م، والمعروف بالمكين ابن العميد، وترجم قسم من كتاب المكين هذا إلى اللاتينية من قبل إربينيوس، وإلى الفرنسية من قبل فَاتيه، وعلى ما في كلتا الترجمتين من أغاليط كثيرة تجدهما حافلتين بالحوادث المفيدة والتواريخ الصحيحة، ويمكن الانتفاع بكتاب المكين، ووضعه على محك

---

(1) الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير ٢٢٤هـ ــ ٣١٠هـ، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، (١ / ٢٥)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٨م.

(2) سيدِيّو(١٨٠٨ ــ ١٨٧٥ م) لوي (لويس) بيير أوجين أميلي سيديو Eugène،Louis Pierre ، Amèlie Sèdillot.مستشرق فرنسي وهو الابن الثاني لجان جاك سيديو، تعلم على يدي أبيه اللغات الشرقية والرياضية، بين كيف تحولت الأرقام العربية إلى الأرقام الأوربية المستعملة الآن كذلك بين أن أسماء النجوم عربية، له مؤلفات عدة في علم الفلك. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقون،(٣٤٥ ــ ٣٤٧)

(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقون،(ص: ٣٤٥ ــ ٣٤٧)

النقد واستخراج مواد ذات نفع منه لمحبي الآداب الشرقية»[(١)].

ويعتمدون أيضًا على مؤلفات ابن الأثير، وابن سعد، وابن هشام، والواقدي، بما تحتويه من وجود الروايات المتناقضة والتي هي بحاجة للتوفيق بينها، مع استبعاد ما تحتويه من روايات شاذة.. ولم يركز بعض المستشرقين على كتب السنة لأنهم يدركون أنه قد تم تمحيصها من قبل نقاد الحديث وفق ضوابط معينة لتمييز الصحيح منها من السقيم.

كما نجد أن البعض يركز على الأخبار الموضوعة والضعيفة التي ليس لها أساس من الصحة.وهذا من باب التشويه المتعمد للإسلام عقيدة وشريعة. كما اعتمدوا على ما كتبه المسعودي. قال ل. أ. سيديو: «وكان فضل المسعودي واسعًا في الزمن الذي ذاع صيته فيه، لا لأنه قرأ جميع الكتب الباحثة في شؤون العرب فتدبرها فقط، بل لأنه أحاط في مباحثه العظيمة بتاريخ اليونان والرومان، وجميع الأمم القديمة والحديثة أيضًا، وكان المسعودي عالمًا بمعتقدات اليهود، والنصارى، والزنادقة، والمسلمين، والمجوس، والوثنيين على السواء. ولا نخشى التكذيب إذا قلنا إنه لم يظهر بين العرب مؤرخ بلغ من الفضل الشامل ما بلغه المسعودي، وإذا كان المسعودي محتاجًا إلى روح النقد أحيانًا، فلنذكر أن حب الاطلاع الشديد فيه حفزه إلى زيارة الأماكن التي أراد الوقوف على تاريخها، فكان يساق إلى نقل قصص ذات أصل مشكوك فيه»[(٢)].

كما اعتمدوا على كتب التفسير المشوبة بالفكر الاعتزالي مثل: (تفسير الزمخشري) الذي قال ابن تيمية عن تفسيره إنه: «محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة[(٣)] من إنكار الصفات والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير

---

(١) سيديو: ل. أ. تاريخ العرب العام، (ص: ٤١٢ ــ ٤١٣)،، نقله للعربية: عادل زعيتر، ط (٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

(٢) سيديو: ل. أ. تاريخ العرب العام، (ص: ٤١٢)، نقله للعربية: عادل زعيتر.

(٣) سبب تسميتهم بالمعتزلة لاعتزال واصل بن عطاء (١٣١هـ) حلقة الحسن البصري بعد مخالفته في حكم مرتكب الكبيرة، وزعمه أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، فطرده الحسن البصري، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم إليه عمرو بن عبيد وسمي أتباعهما بالمعتزلة.(انظر: البغدادي: الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، تعليق الشيخ: إبراهيم رمضان،(ص: ١١٦)

ذلك من أصول المعتزلة»[١].

والزمخشري من المعطلين للصفات الإلهية، إما بالتأويل أو النفي؛ لأنه موافق للمعتزلة[٢] كما أنه مبتدع متجاهر ببدعته،ويسيئ أدبه على أهل السنة والجماعة[٣].

واعتمدوا أيضًا على:(تفسير البيضاوي ٦٨٥هـ)، وهو اختصار لتفسير الزمخشري — وكذلك استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير المسمى(بمفاتيح الغيب للفخر الرازي)، ضم كثيرًا من الأحاديث الموضوعة في فضل السور وما لقارئها من الأجر عند الله، وقد تابع في هذا الزمخشري[٤].

وقد «نقل معظم تأويلات الزمخشري»[٥].وكان مذهبه في تفسير الصفات وفق مذهب الأشاعرة[٦]. [٧].

يقول بروكلمان(١٨٦٨ــ١٩٥٦)[٨]: «وأهم تصانيف البيضاوي (أنوار التتريل وأسرار التأويل) وهو تفسير للقرآن اعتمد فيه على تفسير الزمخشري المعروف، مستعينًا في ذلك

(١) ابن تيمية: الفتاوى، (١٣ / ٣٨٦)

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣ / ٣٨٦)

(٣) انظر: الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، (١ / ٣٢٨)، ط ٧، الناشر: مكتبة وهبةــ ٢٠٠٠م.

(٤) انظر: الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون،(١ / ٢١١ — ٢١٢)

(٥) المغراوي: محمد عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، ٢ / ٩٧٨، ط (١)، نشر مؤسسة الرسالة ــ دار القرآن ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م.

(٦) الأشاعرة: هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون إن الإيمان هو التصديق. (انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور،(١/١٠٦ ــ ١١٧)

(٧) انظر: المغراوي: محمد، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، (٢ / ٩٥)

(٨) كارل بروكلمان(١٨٦٨ــ١٩٥٦)ولد في روستوك، وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم: نولدكة.ونبغ فيها وطارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة،وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي حتى عدَ إمامًا من أئمتها،من مؤلفاته: العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري،وتلقيح فهم أهل الأثر لابن الجوزي،وفهرس المخطوطات وكتب عدة يطول حصرها.(انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، (٢/٧٧٧ــ٧٨٣)

بمصادر أخرى»[١].

وقال بروكلمان(١٨٦٨ـ١٩٥٦) أيضًا: «جاء البيضاوي فكتب تفسيره ليكون نظيرًا لتفسير الزمخشري عند أهل السنة»[٢].

كما اعتمد بعض المستشرقين على تفسير الرازي (مفاتح الغيب) ويغلب عليه علم الكلام، قال عنه بعض العلماء: «فيه كل شيء إلا التفسير»[٣].

قال الإمام أحمد:

«ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي.ويروى ليس لها أصل أي إسناد لأن الغالب عليها المراسيل»[٤].

كما اعتمد بعض المستشرقين على ما كتبه الواقدي، علمًا أنه قد جرحه بعض نقاد الحديث، واتهموه بالتساهل، وتركيب الأسانيد[٥].

كما اعتمد بعض المستشرقين على مؤلفات الغزالي مثل:إحياء علوم الدين، ومن المعلوم أن كتاب الإحياء قد انتقده بعض العلماء منهم: ابن الجوزي حيث يقول عنه: «اعلم أن في كتاب الإحياء آفات لا يعرفها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة، والموقوفة، وقد جعلها مرفوعة، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افتراها، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع والاغترار بلفظ مصنوع»[٦].

---

(١) موجز دائرة المعارف،(٦ / ٢٠٤٨) وتقع في ستة وثلاثين مجلدًا، أ.جى.بريل، تحرير: م.ت. هوتسما، ت.و،أرنولد، ر.باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء الأولى من (أ) إلى (ع) إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس.الأجزاء من (ع) إلى (ى) ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، وقد صدرت الترجمة الكاملة عن طريق مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب، طبعت برعاية كريمه من سمو الشيخ الدكتور: سلطان بن محمد القاسمي.

(٢) موجز دائرة المعارف، (١٧ / ٥٣٢٢)

(٣) الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، (١ / ٢١٠)

(٤) ابن تيمية: الفتاوى، (١٣ / ٣٤٦)

(٥) انظر: الصالح: صبحي: علوم الحديث ومصطلحاته،(ص: ٣٤٢)، ط٥، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ١٣٨٨هـــ ١٩٦٩م.

(٦) المقدسي: أحمد بن عبد الرحمن قدامة، مختصر منهاج القاصدين،(ص: ١١)، تعليق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان ـــ دمشق، ١٣٩٨ ـــ ١٩٧٨م، مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر ـــ بيروت.

وقال ابن تيمية عن الغزالي: «أبو حامد ليس له من الخبرة بالآثار النبوية والسلفية ما لأهل المعرفة بذلك الذين يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولهذا يذكر في كتبه من الأحاديث والآثار الموضوعة والمكذوبة ما لو علم أنها موضوعة لم يذكرها»[1].

واعتمد أيضا بعض المستشرقين على: (كتاب الأغاني للأصفهاني) ويعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه،وقد قام الأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه:(السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني)؛ ليميز صحيحه من سقيمه، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب، وأخذ يرد على أباطيل الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة غير موثقة،كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ كما تناول الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام، وغيرها من الأباطيل[2]. كذلك اعتمدوا على تاريخ اليعقوبي، الذي كتب عنه الدكتور: على محمد محمد الصلابي مبينا أنه: «مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويسمي عليًا بالوصي، وعندما أرَّخ لخلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، لم يضف عليهم لقب الخلافة، وإنما قال تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارًا سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا، ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي ابن أبي طالب ــ الذي هو الوصي في نظره ــ وطريقته في سياق الاتهامات

---

(١) ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، (٧ / ١٤٩)، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(٢)، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) انظر: الأعظمي: وليد، السيف اليماني في نحر الأصفهاني، (من ص: ٩ ــ ١٤)،ط ٢، دار الوفاء ــ المنصورة، مصر ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

الباطلة هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهي إما اختلاق الخبر بالكلية، أو التزيد في الخبر، والإضافة عليه، أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى ينحرف معناه. ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الإسلامي، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي، وسيرة رجاله،مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية، إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات،والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقر من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي»[١].

هذه بعض الأمثلة للكتب التي انتقدها علماء المسلمين، واعتمدها بعض المستشرقين في كتاباتهم العلمية، والتي سوف نستعرضها من خلال ما كتبوه عن المواضيع المتعلقة بهذا البحث، وللأسف اعتمدوا أيضًا على كتب المخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة في نقد عقيدة أهل السنة والجماعة، ويظهر ذلك واضحًا من خلال ما اعتمدوه من مصادر في دراستهم لعقيدة أهل السنة والجماعة.

ولقد قمت بتتبع مصادر بعض المستشرقين فيما يخص أبواب وفصول هذه الرسالة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر من موجز دائرة المعارف الإسلامية، وبعض الكتب المطبوعة، باعتبار أن الموجز هو آخر سلسلة تاريخ دائرة المعارف الإسلامية، ولأن (دائرة المعارف الإسلامية Encyclopedia of Islam) تمثل خلاصة جهود بعض المستشرقين في الدراسات الإسلامية .

فمن خلال حصر مصادرهم تبين لنا جمعهم بين المصادر الصحيحة والسقيمة ليضفوا على كتاباتهم الطابع العلمي السليم.

ومن أبرز بعض المستشرقين ممن تناول بعض موضوعات هذ البحث من موجز دائرة

---

(١) الصلابي: علي محمد محمد، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين من الميلاد حتى الاستشهاد (شخصيته وعصره) ضمن سلسلة عصر الخلفاء الراشدين، (ص: ٤٧٤ ـــ ٤٧٥)، ط (بدون) دار الكتاب الثقافي، الأردن ـــ إربد، ٢٠٠٨م ـــ ١٤٢٩هـــ.

المعارف الإسلامية حسب ترتيب أبواب وفصول هذه الرسالة مايلي:

المطلب الأول : مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة:

مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان، وغيره من المذاهب مبتدع ومحدث، ولكن بعض المستشرقين اعتبروا الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة، معتمدين على ما كتبه بعض متأخري المتكلمين، ودونوه في كتبهم على أنهم هم أهل السنة والجماعة.

ومن أمثلة هؤلاء المستشرقين جولد تسيهر (١٨٥٠ـ ١٩٢١)[١](Golziher):

حيث عدّ أبا الحسن الأشعري أكبر حجة عقيدية[٢] في الإسلام السني[٣]، ووصف الماتريدية بأنهم هم أهل السنة[٤].

وقال (هاملتون جب) عن الأشاعرة والماتريدية إنهم أنصار السنة[٥]. واعتبر المستشرق الهولندي (ت.ج. ده بور ١٩٤٢ ـ ١٨٦٦م) الأشاعرة والماتريدية هم أنصار السنة[٦].

---

(١) جولد تسيهر: تخرج باللغات السامية، واشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية، له مقالات في المجلات الآسيوية والغربية بالألمانية والفرنسية والإنجليزية والروسية والمجرية والعربية، من آثاره: العقيدة في الإسلام وآداب الجدل، والحديث في الإسلام، ودراسات متفرقة عن الشيعة والفرق الباطنية..(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٣/٩٠٦ـ ٩٠٨)

(٢) والصواب عقدية

(٣) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية)، (ص: ١٠٨)، نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي بيروت ـ لبنان، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري بتاريخ فبراير ١٩٤٦م.

(٤) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ١٠٠)

(٥) انظر: جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، (ص: ٢٦٧)، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس،د.محمد يوسف نجم،د. محمود زايد،ط ٢، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٤م.

(٦) انظر: دائرة المعارف الإسلامية المسماة: (الدائرة الأولى)،(٨ / ٤١٣، مادة (خلق)، كتبها: ده بور، وتقع في خمسة عشر مجلدا، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي،وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، مراجعة وزارة المعارف، عضو إدارتها المنتدب حافظ جلال، رئيس تحريرها: إبراهيم زكي خورشيد، جمادى الثانية ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، طبع انتشارات جهان تران ـ بوذرجمرى.

كما عدَّ ماكدونالد(١٨٦٣ـ ١٩٤٣م[١])(D.B.Macdonald) المذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة[٢].

ـ كارديه (L.Gardet)

كتب عن مادة جماعة معتمدًا على القرآن الكريم، وعلى بعض الترجمات الأجنبية كما ظهر في صلب المادة العلمية، ثم ختم موضوعه بذكر بعض المصادر هي: محمد حمد الله: الوثائق السياسية، الإبانة، ومقالات الإسلاميين: لأبي الحسن الأشعري، ابن عساكر: تبيين كذب المفترى، الخلافة والإمامة العظمى: رشيد رضا، وأربعة من المصادر الأجنبية[٣].

ومصادر هؤلاء المستشرقين ترديد ما دونه كُتّاب الفرق الإسلامية ممن ذكر أن الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة نحو: عبد القاهر البغدادي. حيث صاغ مذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة، وخلط مذهب السلف بأهل الرأي[٤]. وكذلك ما كتبه بعض المتكلمين ممن ينتسب لمذهب الأشاعرة والماتريدية كما سيأتي بيانه.

---

(١) دنكان بلاك ماكدونالد تلميذ نيكلسون أنشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة عالم الإسلام، من آثاره علم الكلام في الإسلام، وعقيدة الوحي في الإسلام.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣/ ١٠٠١)

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،(٤/ ٢٦١)، الله، ماكدونالد، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية: هوتسما، فنسنك، وكب، وهفننك، وليفي بروفنسال، وشاده، وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور، ولويس، وبلا، وشاخت، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د.عبد الحميد يونس، ط٢، طبعة دار الشعب ـ القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٠ / ٣١٦١ ـ ٣١٦٨)

(٤) انظر: البغدادي: أبي منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق، (ص: ٣٤)

المطلب الثاني:مصادر المستشرقين في دراسة مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة:

أولاً: القرآن الكريم:

ـ أ.ت. ولش (A.T.Welch)(١):

حاول بعض المستشرقين التشكيك في القرآن الكريم في الاسم والمضمون لإثبات أنه مأخوذ من مصادر أجنبية سواء اليهودية أو المسيحية، فنجدهم أحيانا يعتمدون على مصادر صحيحة وأحيانا نجدهم يعتمدون على مصادر غير موثوقة.

نحو ماكتبه المستشرق (أ.ت. ولش) عن القرآن الكريم في موجز دائرة المعارف فمن مصادره المشبوهة: البيضاوي: أنوار التزيل وأسرار التأويل، الكاشاني: الصافي في تفسير كلام الله الوافي، القُمِّي:تفسير القُمي،سيد قطب: في ظلال القرآن، المحلى مجاهد بن جابر:تفسير مجاهد، مقاتل بن سليمان:الأشباه والنظائر، سفيان الثوري:تفسير القرآن، الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ، الباقلاني:إعجاز القرآن، الداني: كتاب التفسيرفي القراءات السبع، الداني: المقنع في معرفة مرسوم مصحف أهل الأمصار، هبة الله: الناسخ والمنسوخابن جني: المحتسب في تبيان وجوه القراءات العشر، ابن خالويه: المختصر في شواذ القراءات،مصطفى زيد: النسخ في القرآن الكريم، الرافعي: كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لبيب السعيد، الجامع الصوتي الأول للقرآن الكريم، الزنجاني: تاريخ القرآن، وكثير من المراجع الأجنبية(٢).

ـ باريه (R.Paret):

عمد بعض المستشرقين إلى التشكيك في القرآن عن طريق الترجمات الخاطئة، معتمدين على مصادر أجنبية سابقة مملوءة بالحقد على الإسلام والمسلمين(٣).

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٦ / ٨٢٥٥ ــ ٨٢٥٦)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٦ / ٨٢٥٦)

ــ جفري[1] (A. Jeffery):

اعتمد على كتاب ابن منظور: لسان العرب، وعدد من المصادر الأجنبية؛ لإثبات أن لفظ الآية لها صلة بالاستعمال اليهودي والنصراني من خلال عرض بعض المراد فات العبرية والسريانية لها[2].

ــ شريك (B.Schrieke)[3]:

ذهب إلى تحكيم العقل في الحكم على النصوص القرآنية، خاصة فيما يتعلق بالأمور الغيبية والمعجزات، وأخذ يشكك في معجزة الإسراء، ومسألة الرؤيا، وما إلى ذلك من بعض الأمور العقدية فيما كتبه عن الإسراء، معتمدًا على مصادر أجنبية فقط في مادة (إسراء)[4].

ــ فنسك (١٨٨١ ــ ١٩٣٩) (A.J.Wensinck):

تناول القصص القرآني مثل قصة أصحاب الأخدود معتمدًا في ذلك على: المسعودي: مروج الذهب، التفاسير المختلفة على حد قوله من دون تحديدها، الثعلبي: قصص الأنبياء، وسبعة من المراجع الأجنبية[5].

أما قصة أصحاب الكهف فقد اعتمد على الطبري[6]: تاريخ، الطبري: تفسير القرآن، ياقوت: المعجم، ابن الأثير، البيروني، الآثار الباقية.المقريزي: تاريخ السلاطين، الدميري:حياة الحيوان، الثعلبي:قصص الأنبياء، وثلاثة عشر مصدرًا أجنبيًا[7]. وتكلم عن قصة الخضر عليه السلام

(١) أرثر جفري، استرالي، عين أستاذًا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم في جامعة كولومبيا.من آثاره: نشر كتاب المصاحف للسجستاني، القرآن، ودراسة عن مختصر شواذ القراءات لابن خالويه،تاريخ محمد، وغير ذلك.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣/ ١٠١٣)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١/٥٥)

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ، (٣ /٧١٦)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٣/ ٨٠٨)

(٦) يقول محمد عرفة: "أما كتاب ابن جرير الطبري فقد كان غرض مؤلفه أن يجمع الروايات التي كانت في زمنه سواء ماكان فيها إسرائيليًا وما كان غير إسرائيلي، وترك للناظر أن ينقدها ويتخير منها الصحيح وينفي الزائف الباطل، وقد جاء العلماء بعده فخرجوا رواياته واقتصروا منها على الصادق الصحيح. (موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤ / ١١٦٦)

(٧) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣/ ٨١٦ ــ٨١٧)

معتمدًا على تفسير البيضاوي والزمخشري في سورة الكهف، والدميري: حياة الحيوان، الثعلبي: قصص الأنبياء، الديار بكري: تأريخ الخميس، أبو حاتم السجستاني: المعمرين، المسعودي: مروج الذهب، الفردوسي: الشهنامة، وأربعة مصادر أجنبية(١).

ـ باريه (R.Paret)(٢):

تحدث عن قصة أصحاب الأخدود معتمدًا على تفسير الطبري، ابن هشام، الطبري: التاريخ، المسعودي: مروج الذهب، واثني عشر مصدرًا أجنبيا.

ـ كاراده فو (١٨٦٧م ـ ١٩٥٣م(٣))(B.Carra De Vaux) وبر نشفيك (R.runvschvig)(٤):

اعتمد هذان المستشرقان على مصادر أجنبية أثناء محاولة إرجاع لفظ براءة لمصادر أجنبية للتشكيك في القرآن الكريم. كما شكك كاراده فو(B.Carra De Vaux) في البراق واعتبره أسطورة فارسية معتمدا على مصادر أجنبية ومطعمًا ما كتبه بروايات من الطبري، الجزء الخاص بتاريخ الفرس(٥). أما فيما يتعلق بالبسملة فنجده يفسرها معتمدًا على تفسير (الكشاف) للزمخشري المعتزلي(٦).

ـ جولد تسيهر (١٨٥٠ـ ١٩٢١)(Golziher):

حاول إثارة الشك في شخصية ذي الكفل الواردة في القرآن الكريم من سورة الأنبياء معتمدًا على: الطبري: التفسير، الزمخشري: الكشاف، فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، الطبري: التاريخ، الثعلبي: العرائس، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطهر بن

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٥ / ٤٦٨٦ ـ ٤٦٨٧)

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) البارون كارا دى فو: درس اللغة العربية في المعهد الكاثوليكي بباريس، وعني بالرياضيات والفلسفة والتاريخ، من آثاره: عقيدة الإسلام، العبقرية السامية والعبقرية الآرية في الإسلام،وله مؤلفات في الرياضيات وعلم الفلسفة، والرسالة الشرقية في النسب التأليفية وغيرها.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢٦٣/١) و(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (٤٦٢ـ٤٦٣)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٦/ ١٦٣٢ ـ ١٦٣٩)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (٦ / ١٦٦٩)

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٦/١٦٤٠ ـ ١٦٤١)

مطهر المقدسي: المنحول على البلخي، ثم اعتمد على ستة من المصادر الأجنبية للحديث عن قبر ذي الكفل(١).

ـ بول (F.Buhi)(٢):

كتب عن مادة (سورة) واعتبرها فصلاً من فصول القرآن وتحريًفا للعبرية، معتمدًا على ثلاثة مصادر أجنبية(٣).

وكتب عن قصة عاد معتبرها قصة أسطورية، وقد اعتمد على: الطبري، الهمذاني: صفة جزيرة العرب، وسبعة من المصادر الأجنبية(٤).

ـ فنسك وجونستون(A.J.Wensinck) (Penelope Johnston)

كتبا عن مريم عليها السلام معتمدين على: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، والطبري: التفسير، الكسائي: قصص الأنبياء، والثعلبي: قصص المجالس، بالإضافة إلى الاستشهاد من القرآن الكريم والمصادر النصرانية المختلفة(٥).

ثانيًا: السنة النبوية:

ـ جوينبول (G.H.A. Juyn boll) :

كتب مادة الحديث فيه كلام عجيب يوهم أن المسلمين أجازوا وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب، مدعيًا أن هناك أحاديث تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح، من غير أن يستدل على صحة مزاعمه، فقط مجرد افتراء على السنة النبوية من خلال الطرح

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٦ / ٥٠٠١ ـ ٥٠٠٢)

(٢) (بول Frantz Buhl: مستشرق دانمركي. من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد وتوفي في كوبنهاغن. كان أستاذ اللغات الساميّة في جامعتها. كتب في دائرة المعارف الإسلامية فصولاً في تراجم بعض أعلام المسلمين. وله كتاب في « جغرافية فلسطين القديمة» باللغتين الدانمركية والألمانية، وكتاب « حياة محمد» كتبه باللغة الدانمركية، وتُرجم إلى الألمانية. وكان غزير العلم بأدب الجاهلية العربية وتاريخها. من الموقع:

http://www.madinacenter.com/post.php?ResultSerach=١&RPID=٤٨&DataID=٤٨&word&المستشرقين٢٠%طبقات=LID=٢

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٩ / ٥٩٨٤ ـ ٥٩٨٦)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٢ / ٧٠٤٨)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣٠ / ٩٣٠٤)

والعرض بعيدًا عن المنهجية العلمية الصحيحة، وقد اعتمد على الكتب المؤلفة في قواعد علم الرواية لمنافشة تقسيم الحديث مع الإحالة على الكتب الأجنبية بشكل كبير(١).

ـ روبسون المولود عام(١٨٩٠(٢)) (J.Robson):

تحدث عن الحديث القدسي محاولاً ربطه بما هو في التوراة والإنجيل، ومما رجع إليـه في مادته مشكاة الأنوار: لمحيي الدين ابن عربي ت ٦٣٨هـ، إضافة إلى أربعة مصادر مما كتبه بعض المستشرقين حول الموضوع بلغاهم الأجنبية(٣).

ـ فنسك١٨٨١ـ ١٩٣٩م((A.J.Wensinck):

يعتبر فنسك من كبار المساهمين في تقديم مادة استشراقية عن السنة النبوية، ولكنه خرج عن المنهج العلمي لتدخله في النصوص والمضامين الصحيحة بالشك والنفي، ودراسة السنة من المصادر الاستشراقية أكثر من الاعتماد على المصادر الصحيحة الموافقة لمنهج أهل السنة والجماعة، والموضوعية في البحث تستوجب عرض المادة العلمية من مصادرها الأصلية، ولكن الأسلوب المستخدم لدى فنسك وغيره من الكتاب قلة الاعتماد على القرآن والسنة وكتب أهل العلم التي تتفق مع منهج السلف الصالح.

وقد كتب مادة السنة معتمدًا على:كتاب ابن أمير الحج: التقرير والتكبير في شرح كتاب تقرير ابن همام، وعلى هامشه كتاب منهاج الأصول للبيضاوي وخمسة مصادر أجنبية(٤).

ـ ليفلي دلا فيدا (المولود١٨٨٦(٥))(G.Levi Della Vida):

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ، (١١/ ٣٤٩٦ ـ ٣٥١٢)

(٢) روبسون J.Robson: تخرج باللغات الشرقية من جامعة جلاسجو، وعين أستاذ اللغة العبرية فيها، من آثاره: المدخل إلى علم الحديث والإعجاز في القرآن، والإسناد في الحديث عند المسلمين، ومحمد في الإسلام، والغزالي والسنة وغير ذلك.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢/ ٥٤٧)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١١ / ٣٥٢٥)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٩ / ٥٩٠٧ ـ ٥٩٠٨)

(٥) ليفلي دلا فيدا G.Levi Della Vida: أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي، من آثاره: دراسة حديثة عن الرسول وأصل الإسلام، وكتب في دائرة =

كتب عن مادة السيرة معتمدا على: سيرة ابن هشام، ابن سعد: الطبقات، عيون الآثار لابن سيد الناس، وعشرة من المصادر الأجنبية(١).

ــ ألفريد جيوم (١٨٩٥ ــ ١٩٧١م)(٢)(Alfred Guiaume) :

كتب مادة صحيح، فيها قصور وتوضيح غير صحيح معتمدًا على: الجرجاني، واثنين من المصادر الأجنبية(٣).

ثالثًا: الإجماع:

ــ ماكدونالد(١٨٦٣ــ ١٩٤٣م)(D.B.Macdonald)

تناول مادة إجماع معتمدًا على:الشافعي:الرسالة، القرافي:شرح تنقيح الفصول في الأصول، كشاف اصطلاحات الفنون، وأربعة من المصادر الأجنبية(٤).

وكذلك اعتمد جولد تسيهر، سنوك هرجرونيه في كتابة مادة إجماع على الرسالة للشافعي، القرافي: شرح تنقيح الفصول في الأصول(٥).

المعارف الإسلامية عن الرسول والخوارج وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(١/٣٩٠ــ٣٩١)

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٩ / ٦٠٢٧)

(٢) جيوم، ألفرد (١٨٨٨ - ١٩٦٢ م) تخرج من جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى،من آثاره: تراث الإسلام، مدخل إلى علم الحديث،وجدل بين فقهاء النصرانية والإسلام، وعلم الكلام المسيحي والإسلامي بين الشهرستاني وتوما الإكويني، وفقرات من الإنجيل استعملت في المدينة سنة ٧٠٠ م، وأين كان المسجد الأقصى. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢/ ٥٤٣)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢١ / ٦٥٠١)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢/٤٥١)

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الدائرة الأولى، المجلد الأول، (ص: ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠)، ماكدونالد مادة إجماع، العدد الأول جمادى الثانية ١٣٥٢ هــ ــ أكتوبر ١٩٣٣م

المطلب الثالث: مصادر المستشرقين في دراسة أصول الإيمان:

أولاً: التوحيد:

ـ ماكدونالد(D.B Macdonald)

تحدث ماكدونالد عن الاعتقاد،ومايتعلق به من الإقرار والعمل، معتمدًا في ذلك على التفتزاني:شرح العقائد النسفية، الباجوري:حاشية على شرح ابن قاسم، وحاشية على متن السنوسية، كشاف اصطلاحات الفنون[١].

كما تناول مادة إيمان معتمدًا على الإيجي: المواقف، وعدد من المراجع الأجنبية [٢].

ووقع ماكدونالد في أخطاء عدة لعدم وقوفه على مذاهب العرب ودياناهما في الجاهلية، مما جعله ينسب الخطأ لبعض الآيات، ويصفها بالاضطراب لعدم فهمه القرآن، والأحاديث التي تصور عقيدة التوحيد.ومن مصادره التي اعتمد عليها في مادة (الله) ﷻ: تفسير البيضاوي، واثنين وعشرين مصدرًا أجنبيًا[٣].

وفي معنى (إله) اعتمد على غرائب النيسابوري، تفسير أبو السعود، ولسان العرب؛ ليثبت أن اللفظ له أصل عبري[٤]. وقد كتب تعريف التوحيد في دائرة المعارف معتمدًا على مقدمة التفتازاني لعقائد النسفي، وكشاف مصطلحات الفنون ليثبت تطور معنى التوحيد[٥].

ـ كارديه (L.Gardet)

تناول مادة الله ﷻ معلقًا على الأسماء الحسنى مستفيدًا من تفسير الجلالين، المقصد الأسنى للغزالي، المواقف للإيجي[٦]، ومن المراجع الصوفية: القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد، وأربعة مراجع باللغات الأجنبية[٧].

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣/ ٨٦٨ ــ٨٦٩)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٥ / ١٤٣٧)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤/ ١٠٣٠ ــ١٠٣١)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤/ ١١٦٠)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٨/٢٣٨٨)

(٦) ورد ذكرهذه المصادر في صلب المادة العلمية.

(٧) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ، (٤/ ١٠٤٩ ــ١٠٥٠)

وقد تحدث عن التوحيد وصفات الله معتمدًا على كثير من مصادر أهل السنة،و المتكلمين، والفلاسفة، ذكرها في صلب المادة العلمية أثناء عرضه للأشعري، الباقلاني، والجويني، والغزالي، وابن سينا، وابن حزم، وابن رشد، وفخر الدين الرازي، وابن تيمية، وسعد التفتازاني، والجرجاني، والسنوسي، والباجوري، وعبد الرحيم بن علي، ومحمد عبده، وأحمد أمين.

وكتب أخرى ذكرها كمصادر في نهاية الموضوع،منها الأشعري: اللمع، الباقلاني: التمهيد، عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، والجويني: الشامل، والعقائد:لأبي حفص النسفي، والملل والنحل للشهرستاني، نهاية الإقدام طبعة أكسفورد، والبيضاوي: طوالع الأنوار، والعمدة لأبي البركات النسفي، وثمانية عشر مصدرًا أجنبيًا(١).

ثانيًا: الملائكة:

ــ فنسك ((A.J.Wensinck:

كتب عن الوحي معتمدًا على:ابن هشام:السيرة، ابن سعد: الطبقات، تفسير البيضاوي، وخمسة من المصادر الأجنبية(٢).

ــ كاراده فو(B.Carra De Vaux)

كتب عن جبريل،ومال إلى استخدام الدليل المادي للتشكيك في وجود الملائكة، علمًا أنهم من الغيب الذي لايمكن إثباته بالأدلة الحسية. ورجع إلى كتاب مختصر العجائب، تاريخ الطبري، مع الاستدلال ببعض الآيات القرآنية(٣).

ــ ماكدونالد(D.B Macdonald)

كتب مادة ملائكة معتمدا على تفسير البيضاوي، والمواقف للإيجي، والعقائد للنسفي، عجائب المخلوقات للقزويني، والدميري:حياة الحيوان، بالإضافة لثلاثة من المصادر الأجنبية(٤).

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤/ ١١٢٧ ــ ١١٢٩)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣٢ / ١٠١٢٦)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٩ / ٢٦٥٠ ــ٢٦٥٣)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣١ / ٩٥٩٨ ــ٩٦٠٦)

ـ فنسك ((A.J.Wensinck:

كتب عن الملكين منكر ونكيرمعتمدًا على: أبي جعفر عمر النسفي: العقائد، الغـزالي: إحياء علوم الدين، ومصدرين أجنبيين(١).

ثالثًا: الكتب (التوراة والإنجيل والقرآن):

ـ كاراده فو(B.Carra De Vaux)

حاول بعض المستشرقين أن يرجعوا مافي القرآن إلى اقتباس من الكتب السابقة، وقد حاول كاراده فو أن يربط الإنجيل بالقرآن ليثبت منهج الأثر والتأثر من القرآن الكريم، ومن مصادره التي اعتمد عليها حوالي اثنين وعشرين مصدرًا أجنبيًا، أما العربية فهي:اليعقوبي:طبعة هوتسما، البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية.تاريخ الطبري(٢).

ـ هوروفتز (J.Horovhz)

قام هذا المستشرق بربط الآيات القرآنية بما هو موجود في الكتاب المقدس(٣)، معتمدًا على كتب التاريخ، والتفاسير والشعر و الأسفار من الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، بالإضافة إلى (٢١)مصدرًا أجنبيًا(٤).

كما حاول في كتابته عن مادة زبور أن يربط اشتقاق الكلمة بالعبرية والسريانية معتمدًا

(١) انظر: موجز دائرة المعارف، (٣١/ ٩٧١٩ ــ٩٧٢٠)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٥/١٢٦٦ــ١٢٦٨)

(٣) الكتاب المقدس هوعبارة عن العهد القديم والعهد الجديد، والعهد القديم: هو التوراة والكتب الملحقة بها، أما العهد الجديد فهو مجموعة من الأناجيل والرسائل الملحقة بها. قال الدكتور: علي عبد الواحد وافي: "استقر رأي المسيحيين في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرا من أسفارهم، وقرروا أنها وحدها الأسفار المقدسة، أي الموحى بها، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها، وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد)..للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم (العهد القديم)..فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور المسيحية ويقصد بكلمة (العهد) في هاتين التسميتين مايرادف معنى الميثاق. أي إن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس، فأولاهما تمثل ميثاقا قديما يرجع إلى عصر موسى، والأخرى تمثل ميثاقا جديدا بدأ بظهور عيسى.(انظر: وافي: د. علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام،(ص: ٨٥)، مطبعة نهضة مصر للطباعة والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٨/ ٢٤١٠ ــ ٢٤١٨)

على عشرة مصادر أجنبية(١).

رابعًا: الرسل:

ـ ناجل(٢)(T.Nagel) :

كتب عن مادة قصص الأنبياء معتمدًا على:الثعالبي: عرائس المجالس في قصص الأنبيـــاء، الكسائي: قصص الأنبياء، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، عبد الوهاب النجـــار: قـــصص الأنبياء(٣).

ـ بيدرسن: (J.Pedersen)(٤).

المصادر التي اعتمد عليها هذا المستشرق في حديثه عن قصة أبي البشر آدم عليه السلام محـــاولاً إثبات شبهة أن القرآن تأثر بالقصص اليهودية والمسيحية.هي:(٥) الكسائي، قصص الأنبياء، ليدن سنة ١٩٢٣م. الثعالبي، العرائس، القاهرة سنة ١٣٥٢هـــ، البغدادي:الفرق بين الفرق، القاهرة ١٣٢٨هـــ/١٩١٠م. ثم اعتمد على ١٢ مصدرًا أجنبيًا(٦).

ـ ج.أيزنبرج(٧) (J.Eisemberg) :

اعتمد في حديثه عـــن إبـــراهيم عليه السلام علـــى الثعـــالبي، قـــصص الأنبيـــاء، طبعـــة القاهرةسنة١٣٢١هـــ، الكسائي، قصص الأنبياء، والطبري، وابن الأثير، وأربعة من مصادر المستشرقين الأجنبية(٨). أما مصادره فيما كتبه عن النبي إسحاق عليه السلام فهـــي الزمخـــشري،

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٧ / ٥٢٤٥ ــ ٥٢٤٦)

(٢) تيلمان ناجل مدير معهد الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة جوتنجن الالمانية.

.shtml٠٠/deen/detail٢٣/٠١/٢٠٠٣http: //www.gom.com.eg/algomhuria/

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٧ / ٨٣٣٤)

(٤) بدرسين المولود عام ١٨٨٣م، التحق بالجامعة لدراسة اللاهوت عام ١٩٠٢م سافر لمصر وفلسطين وسوريا ولبنان، وكتب عدة مقالات عن: جزيرة العرب والوهابيين، والدليل على اليوم الآخر في القرآن، وصنف كتابا في التصوف باللغة الدنمركية، وخصص بابا للتصوف الإسلامي ضمنه آراء وتفاصيل من مبتكراته ١٩٣٣م..(العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢ / ٨٤٩)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٩/١)

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٤/١)

(٧) لم أعثر له على ترجمة.

(٨) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٧٦/١)

البيضاوي، الثعلبي:قصص الأنبياء، الكسائي:قصص الأنبياء، الطبري طبعةليدن، ابن الأثير، وثلاثة من المصادر الأجنبية.

ــ فنسك ((A.J.Wensinck:

من مصادره فيما تناوله عن النبي إدريس عليه السلام تفاسير القرآن، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، اليعقوبي، طبعة هوتسما، المسعودي طبعة باريس، ابن الأثير، طبعة تورنبرغ، الثعلبي:قصص الأنبياء، الديار بكري:تأريخ الخميس، أبوزيد:كتاب البدء والتاريخ.وثلاثة من المصادر الأجنبية[١]. وفيما كتبه عن إسماعيل عليه السلام اعتمد على تفاسير القرآن، وتاريخ الطبري، ومطهر بن طاهر: البدء والتاريخ طبعة باريس، الثعلبي: قصص الأنبياء، أبو الفداء طبعة فليشر، وابن قتيبة.وثلاثة من المصادر الأجنبية[٢].

واعتمد في كتابته عن إلياس عليه السلام على تفاسير مختلفة ــ على حد قوله ــ وتاريخ الطبري، الديار بكري: تأريخ الخميس، الثعلبي: قصص الأنبياء، وثلاثة من المصادر الأجنبية[٣].

وقد كتب مادة رسول محاولاً ربطها بالاستعمال النصراني للتشكيك في رسالة نبينا محمد ﷺ[٤].

ــ ووكر (J.Walker)[٥]:

كتب عن النبي سليمان بن داود عليه السلام معتمدا على تفاسير القرآن، الثعلبي: قصص الأنبياء، الطبري، والإدريسي: وصف أفريقية، مروج الذهب، الهمذاني: صفة جزيرة العرب، تأريخ أبي الفداء، وخمسة عشر مصدرًا أجنبيًا[٦].

ــ كاراده فو(B.Carra De Vaux):

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية ، (٢/٥٦٨ــ٥٦٩)

(٢) انظر: وجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣ / ٧٥٦ ــ ٧٥٧)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤ / ١١٦٥)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٦ / ٥١٥١)

(٥) جون ووكر المولود عام ١٩٠٠، تخرج من جامعة جلاسجو وعمل في المتحف البريطاني عام ١٩٣١م.
(انظر: العقيقي: نجيب، (٢/ ٥٧٠)

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٩ /٥٨٤١ ــ ٥٨٤٢)

كتب عن النبي داود ﷺ محاولاً ربط التشابه القصصي بين التوراة والقرآن على أن التوراة مصدر إلهام النبي محمد ﷺ من باب التشكيك في الديانة الإسلامية، وقد اعتمد على: الكتب المقدسة ــ حسب قولهم ــ والمسعودي: مروج الذهب، الجلابي: كشف المحجوب، الثعلبي: قصص الأنبياء، وثلاثة من المصادر الأجنبية[١].

ــ برنارد هيلر[٢] (Bernhard Heller):

كتب عن النبي زكريا ﷺ معتمدًا على الطبري، الثعلبي: قصص الأنبياء، ابن الأثير: الكامل، الكسائي: قصص الأنبياء، وثلاثة من المصادر الأجنبية[٣].

ــ بول (Fr.Buhl):

كتب عن النبي شعيب ﷺ معتمدًا على: الثعلبي: قصص الأنبياء، وكتاب آخر مترجم[٤].

وكتب بول أيضًا عن النبي صالح ﷺ معتمدًا على تفاسير القرآن الكريم، المسعودي: مروج الذهب، الثعلبي: قصص الأنبياء، ترجمة بالمر للقرآن الكريم، وثلاثة من المصادر الأجنبية[٥].

ــ إيز نبرج (J.Eisemberg):

كتب عن عمران أبي مريم أم المسيح عيسى ﷺ معتمدًا على الطبري: التفسير، الثعلبي: عرائس المجالس، الكسائي: قصص الأنبياء،ومصدرٍ أجنبي[٦].

ــ قناواتي (G.C.Anawati):

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٥ / ٤٨٤٥)

(٢) بيرنارت هيللر تخرج من جامعة بودابست وعني بالعلوم الإسلامية واليهودية، آثاره: نشر أعمال جولد تسيهر العلمية، قصة أصحاب الكهف، وحكايات وأبطال يهود في القصص الإسلامي.
(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٣/٩٠٩)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٧ / ٥٢٧٦)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٠ / ٦٢٨٦)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢١ / ٦٤٥٩)

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٤ / ٧٤٩٨)

كتب عن عيسى عليه السلام معتمدًا على ثلاثة وأربعين مصدرًا أجنبيا(١).

ـ أ.بيركن (A.Birken):

كتب عن لوط معتمدًا على الثعالبي: قصص الأنبياء(٢).

ـ ف. بول، ت.ولت (F.Buhl- OA.T.Welt)

كتبا عن النبي محمد ﷺ معتمدا على تاريخ الرسل والملوك للطبري، المغازي للواقدي، الطبقات الكبرى لابن سعد(٣).

ـ برنارد هيلر(Bernhard Heller):

كتب عن موسى عليه السلام معتمدًا على قصص الأنبياء للثعلبي، وقصص الأنبياء للكسائي

ـ دنكان بلاك ماكدونالد (١٨٦٣ـ١٩٤٣)(D.B Macdonald)

كتب عن موسى عليه السلام في التراث الإسلامي معتمدًا على تفسير البيضاوي، ولسان العرب لابن منظور، ومصدرين أجنبيين(٤).

ـ ج.أيزنبرج(J.Eisemberg) :

كتب عن هارون عليه السلام معتمدًا على القرآن الكريم، وقصص الأنبياء ومصادر يهودية أخرى(٥).

ـ فنسك، بيلات (A.J.Wensinck.Ch.Pellat):

كتبا عن النبي هود عليه السلام معتمدين على: ابن قتيبة: المعارف، الثعلبي: قصص الأنبياء.

ـ كاراده فو(B.Carra De Vaux):

كتب عن يحيى عليه السلام معتمدًا على: تاريخ الطبري:تاريخ الرسل والملوك، المسعودي: المروج، ومصدرًا أجنبيًا(٦).

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٤ / ٧٥٣٦ ـ ٧٥٣٨)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٨ /٨٨٥٣)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٩٢ /٩١٥٨)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣١ /٩٧٩٦ ـ ٩٧٩٧)

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣٢ / ١٠٠٢٤ ـ ١٠٠٢٥)

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف، (٣٢ / ١٠٢٠٢)

ـ بيرنهارد هيلر(١٨٥٧ـ١٩٤٣) (Bernhard Heller)

كتب عن النبي يعقوب عليه السلام معتمدًا على: الثعالبي: قصص الأنبياء، والكسائي: قصص الأنبياء، ومصدرين أجنبيين[١]. كما كتب عن يوسف عليه السلام معتمدًا على الطبري وغيره في شرحهم لسورة يوسف، وثلاثة من المصادر الأجنبية[٢].

وكتب عن يونس عليه السلام معتمدًا على: كتابهم المقدس، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، والثعالبي: قصص الأنبياء[٣].

ـ و.مونتجومري وات. (W.Mantgamery Watt)

وقد تناول مونتجومري وات في مقدمة كتابه محمد في مكة نبذة عن المصادر التي اعتمد عليها قائلا:

«المصادر الرئيسية لحياة محمد هي أولاً القرآن، أو مجموعة السور التي أوحى الله بها إليه (كما كان يعتقد) ثم المؤلفات التاريخية لكتّاب القرن الثالث والرابع الهجريين. ومن بين مؤلفات النوع الثاني:

١- سيرة ابن هشام (ت ٨٣٢ م / ٢١٨ هـ)

٢- تاريخ الطبري (ت ٩٨٢ م / ٣١٠هـ)

٣- المغازي للواقدي (ت ٨٢٢ م / ٢٠٧ هـ)

٤- طبقات ابن سعد (ت ٨٤٥ م/ ٢٣٠ هـ) وكان كاتب الواقدي، ويجب أن نشير أيضًا إلى كتب الحديث كـ (صحيح البخاري) و(مسند أحمد بن حنبل) فهما يحتويان على كثير من المواد المهمة بالنسبة للمؤرخ، وإن كان هدف الجامعين تشريعًا. وتحتوي آخر الكتب عن سير صحابة محمد ـ أسد الغابة لابن الأثير (مات ١٢٣٤ م / ٦٣١ هـ) و(الإصابة لابن حجر (مات ١٤٤٧ م / ٨٥١ هـ) ـ على معطيات متممة.

وهناك كتَّاب سيرة مسلمون متأخرون، ولكن لا يبدو أن أحدهم استعمل مصادر

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣٢ / ١٠٢٢٢)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٣٢ / ١٠٢٣٠ ـ ١٠٢٣١)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٣٢ /١٠٢٣٣)

جديدة مهمة غير المصادر التي استعملها الكتَّاب المذكورون آنفًا»[١].

واعتمد كذلك على دراسات بعض المستشرقين أمثال لا منس[٢]، وشاخت، وكايتي[٣]، وكذلك على دراسات ريتشارد بل، وتيودور نولدكة، وبروكلمان[٤]، ولم يورد أي رواية من رواياتهم.

المصادر التي اعتمد عليها المستشرق سفاري[٥] في كتابه حياة محمد:

«كان أكثر اعتماد المستشرق (سفاري)على تاريخ أبي الفداء، صاحب حماة، وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي.وينتهي نسبه إلى السلطان الملك الأفضل أبي الشكر نجم الدين أيوب، والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي المتوفى عام ٧٣٢هـ[٦]. وقد جمع أبو الفداء تاريخه من المراجع الكبرى الجامعة في أربعة أجزاء سماه (المختصرفي أخبار البشر) وقد ذكر أبو الفداء أنه كتاب مختصر من (الكامل) لابن الأثير الجزري، و(تجارب الأمم) لأبي علي أحمد بن مسكويه وغيرهما من الكتب.

وكتاب أبي الفداء من كتب التاريخ العام تناول بدء الخليقة حتى عصر الرسول ثم مضى مع الزمن يؤرخ له حتى توفى.

وقد نشرته دار الطباعة العامرة الشاهنية بالقسطنطينية في أواخر ذي الحجة الحرام ختام

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٧ ــ ٨)، تعريب: شعبان بركات،ط (بدون)، منشورات المطبعة العصرية، صيدا ــ بيروت.

(٢) الأب لا منس (١٨٦٢ــ١٩٣٧) بلجيكي المولد فرنسي الجنسية، من آثاره: ثمانون مقالاً في دائرة المعارف الإسلامية عن تاريخ الإسلام والإسلاميات، والحكام الثلاثة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، سن محمد وتاريخ السيرة، وإخلاص محمد، وفاطمة وبنات محمد،خصائص محمد بحسب القرآن، الإسلام عقائد ونظم وغير ذلك.(انظر: العقيقي: المستشرقون، (٣/ ١٠٦٨ ــ ١٠٧٢)

(٣) الأمير كايتني(١٨٦٩ــ١٩٢٦) Leone ،Caetani مستشرق إيطالي ولد في روما وتخرج من جامعاتها، من آثاره: انتشار الإسلام وتطور الحضارة، تاريخ الإسلام، حوليات الإسلام، ترجم لعدد كبير من علماء الأندلس وأدبائها.(انظر: العقيقي: المستشرقون١/٣٧٢)

(٤) انظر: وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٩ ــ ١٠)، تعريب: شعبان بركات.

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

(٦) والصواب أن صلاح الدين الأيوبي مات سنة ٥٨٩هـ.

عام ١١٨٦هـ، وقد ألحق بالكتاب تاريخ السنوات التي أعقبت وفاته حتى عام ٧٤٨هـ..... وقد حظي كتاب أبي الفداء باهتمام بعض المستشرقين. فنشر الجزء الخاص بالعصر الجاهلي منه المستشرق الألماني أفريتاج (١٧٨٨ ـ ١٨٦١م)[١] وكان نشره عام ١٨٣٧م، وهكذا نشر الجزء الخاص بالعرب قبل الإسلام المستشرق سبيتا SPITTA (١٨١٨ـ ١٨٨٣م)[٢] وترجم نفس الجزء فليشر الألماني (١٨٠١ـ١٨٨٨م)وعلق حواشيه، وطبع في (ليبزج) عام ١٨٣١م، كما ترجم الكتاب جميعه بالألمانية المستشرق (مسيبكه)[٣] كما نقله إلى اللاتينية المستشرق (رايشكة)(١٧١٦ ـ ١٧٩٤م)وكان ذلك عام ١٧٥٤ وتم ذلك في خمس مجلدات[٤]».

يقول الدكتور: عبد المتعال محمد الجبري في مقدمة كتاب (السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون):

«وقد اخترنا من المستشرقين (م.سفاري)وهو مستشرق فرنسي ألف (مختصر حياة محمد[٥]) وقد اعتمد فيه على أبي الفداء، وعلى ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) سبِيْتّا(١٢٣٣ ـ ١٣٠٠ هـ = ١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م) فلهلم سبيتا Willhelm Spitta: مستشرق ألماني. أقامَ مدة بمصر. له كتاب في « لهجات المصريين العامية» ورسالة عن أبي الحسن «الأشعري» ومذهبه، كلاهما بالألمانية.

http: //www.madinacenter.com/post.php?DataID=٥٠

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون وهو عبارة عن: (نقد وترجمة لكتاب مختصر حياة محمد للمستشرق. م. سفاري)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري، (ص ١٢ ـ ١٣)، ط ١، دار الدعوة للطبع والنشر ـ الإسكندرية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٥) مختصر حياة محمد أعده المستشرق الفرنسي "م.سفاري " لفق فيه أحداث السيرة مع دقة في ترتيب الأحداث التاريخية لتحقيق غرضه، نشرهذا الكتاب مصوبا تحت مسمى (السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي،،نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري) هذا المختصر هو دراسة تمهيدية مضافة إلى ترجمة باللغة الفرنسية للقرآن الكريم بأكمله، أعدهام.سفاري، في ٢٩من أبريل عام ١٧٨٢(الطبعة الأولى) وترجمت هذه الدراسة إلى اللغة العربية عن طبعة سنة ١٩٢٣، مطبعة لوتيتيا، باريس. فرنسا. والناشر مكتبة إخوان جارنييه ٦شارع سان بير. باريس ـ فرنسا، وقد تولى نقلها إلى العربية الأستاذ / محمد عبد العظيم علي، =

بالقاهرة.

وابن سيد الناس هذا قد أخذ عن بهاء الدين عبد المحسن، أحد رواة الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع المتوفي سنة ٢٣٠هـ وابن سعد وبهاء الدين ليسا من ثقات المحدثين، ولذا فإن اعتماد المستشرق (سفاري) عليه اعتماد على أقوال واهية لايحتج بها.

والمختصر إنما هو مقدمة كتبها سفاري لترجمة القرآن الكريم بالفرنسية، قال إنه ترجمه عن العربية، بعد أن زار القاهرة، واتصل بأهل القرآن، ودرس لغتهم. وطبعت الترجمة الفرنسية لأول مرة في ٢٩ من إبريل سنة ١٧٨٢م وهو نموذج لكتابات المستشرقين. وقد نقله بأمانة إلى العربية زميلي الأستاذ/محمد عبد العظيم علي، وقد توليت تبويبه وتحقيق نصوصه، وبخاصة المروية عن رسول الله ﷺ »[1].

خامسًا: اليوم الآخر:

ـ جارديه المولودعام١٩٠٧م[2] (L.Gardet)

كتب د. جارديه عن القيامة معتمدًا على: الجرجاني:شرح المواقف، الغزالي: تهافت الفلاسفة، ومصدرأجنبي[3].

ـ كاراده فو(B.Carra De Vaux)

وتولى الأستاذ الدكتور: عبد المتعال محمد الجبري تحليل هذه الدراسة، ونقدها، والتقديم لها ورد النصوص العربية في الأصل الفرنسي إلى العربية وغير ذلك.

انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ترجمة: علي: محمد عبد العظيم،نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري،(ص ٥ ـ ٩)

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري، (ص: ١١)

(٢) لويس جارده المولود عام ١٩٠٧م أستاذ الفلسفة واللاهوت في معهد تولوز، وهو فيلسوف مسيحي وقف علمه ونشاطه منذ عشرين عامًا على أغراض الثقافة والفلسفة والدين والتصوف المقارنة.من آثاره: المدخل إلى أصول الدين الإسلامي، والمقدمات الفلسفية للتصوف لدى ابن سيناء، وغير ذلك.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (١٠٥٦/٣)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٨٤٣٦/٢٧)

تكلم عن الجنة بكلام خيالي فيه تخليط واضح لمن يقرأه، وجهل بمعاني القرآن وبلاغته.معتمدًا على أحاديث مكذوبة من كتاب مختصر العجائب في مسألة رؤية الله ﷻ بالإضافة لبعض الكتب الأجنبية مدعمًا ببعض الاستشهاد من القرآن، والأسفار المقدسة لديهم(١).

كما كتب مادة جهنم يزعم أن المعنى مأخوذ من العبرية، وصور جهنم بالحيوان، وكلام ليس فيه ما يطابق المنهج العلمي الصحيح.معتمدًا على أسفارهم المقدسة، الغزالي: الدرة الفاخرة، وكتابه:المضنون به على غير أهله، كما استند إلى أقوال لابن سينا والأشعري، وأربعة من المصادر الأجنبية(٢).

ـ فنسك (A.J.Wensinck):

كتب مادة الشفاعة بمفهوم غير إسلامي معتمدًا على: لسان العرب، وأسفارهم المقدسة، وكتاب التنبيه: لأبي إسحاق الشيرازي، والغزالي، الدرة الفاخرة، وثلاثة من المصادر الأجنبية(٣).

كما كتب عن يأجوج ومأجوج معتمدًا على تفاسير القرآن، والمسعودي: مروج الذهب، ياقوت الحموي: معجم البلدان، وستة مصادر أجنبية(٤).

ـ ماكدونالد(D.B Macdonald)،ل.جرانديه(L.Grandet) (٥):

كتبا مادة الغيب لبيان معنى مصطلح الغيب معتمدًا على مصادر أجنبية(٦).كما كتب عن بيان معنى الفردوس معتمدًا:على مصادر أجنبية أخرى(٧).

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١١ / ٣٢٤٠ ــ ٣٢٤٥)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١١ / ٣٢٥٤ ــ ٣٢٥٧)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٠ / ٦٢٩٣)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف، (٣٢/ ١٠١٨٦)

(٥) لم أعثر له على ترجمة

(٦) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٤ / ٧٦٥٩)

(٧) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٥ / ٧٨٢١)

المطلب الرابع:مصادر المستشرقين في دراسة أئمة أهل السنة والجماعة:

أولاً: مصادر المستشرقين في دراسة الصحابة (الخلفاء الأربعة):

ــ مونتجمري وات Montgomery Watt

كتب عن أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق ﷺ معتمدًا على الكتب التاريخية مثل:مؤلفات ابن هشام، والوا قدي، وابن سعد، والطبري، والمسعودي: مروج الذهب، وثلاثة مصادر أجنبية[(١)]. كما اعتمدت دائرة المعارف الإسلامية في الكتابة عن مادة أبي بكر على عدة مصادر، منها: طبقات ابن سعد، سيرة ابن هشام، الكامل لابن الأثير، أسد الغابة، الإصابة لابن حجر، النووي، اليعقوبي، وبعض المصادر الأجنبية.

ــ ليفي دي لا فيداLevi Della Vide

ممن كتب عن الخليفة عمر بن الخطاب في دائرة المعارف الإسلامية[(٢)]. معتمدًا على الكتب التاريخية مثل مروج الذهب للمسعودي، كتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني (٢٨٤ ــ ٣٥٦هـ)، كتاب التاريخ لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) مما كان سببًا في الوقوع في تجاوزات تاريخية كثيرة تثير الشبه حول عمر بن الخطاب ﷺ[(٣)].وكذلك كتب هذا المستشرق عن الخليفة الثالث الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ (٢٣هـ /٣٥ هـ)[(٤)].

ــ فاكليرى((L.Veccia Vaglieri

كتب عن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ﷺ معتمدًا على كتب بعض المستشرقين وبعض الكتب الحديثة مثل: محمد كفافي:ظهور الخوارج[(٥)]، طه حسين: الفتنة الكبرى[(١)].

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١ / ٣٠٣)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٤ / ٧٥٠١)

(٣) انظر: مظاهري: محمد عامر عبد الحميد، مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية) ٥٢ ــ ٥٣، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: حامد غنيم أبو سعيد للعام الجامعي ١٤٢٢هـ / ١٤٢٣هـ.

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٣ / ٧٢٠٢)

(٥) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما،كما أجمعوا ماعدا النجدات منهم ــ على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرًا =

ـــ جولد تسيهر(Golziher)

كتب عن مادة الصحابة معتمدًا على: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تجريد أسد الغابة: الذهبي، معجم الصحابة، الذهبي: طبقات الحفاظ، وأبو عمر بن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب[٢].

ثانيًا: مصادر المستشرقين في دراسة التابعين:

ـــ ر يتر (H.Ritter)[٣]:

اتهم الحسن البصري من بعض المستشرقين بأنه قدري، وصوفي، وغير ذلك. وقد اعتمد المستشرق (ريتر) في كتابته عن الحسن البصري على مصادر عدة، منها:ابن سعد: الطبقات، الفهرست، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة، ابن قتيبة: عيون الأخبار، ابن خلكان: وفيات الأعيان، الشهرستاني: الملل والنحل، أبو طالب المكي: قوت القلوب، أبو نعيم: حلية الأولياء، الهجويري: كشف المحجوب، فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ابن الجوزي: آداب الحسن البصري، أخبار الحسن البصري (مخطوط)، الجاحظ: البيان والتبيين، جمهرة رسائل العرب، وخمسة من المصادر الأجنبية[٤].

ـــ هوروفتز J.Horovtiz

كتب عن الزهري معتمدا على كتاب المعارف لابن قتيبة، والطبقات لابن سعد، والأغاني، وبعض مؤلفات المستشرقين.

عليها. (انظر: الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور،(١/١٣١ ـــ ١٣٧)

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٤ / ٧٤٢٣)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٣/٨٠٤، ٨٠٧)

(٣) هيلموت ريتر Hellmut Ritter(١٨٩٢-١٩٧١))مستشرق ألماني اشتهر بتحقيقه لمخطوطات عربية وفارسية وتتلمذ على يد (تيودور نيلدكة، وكارل بروكلمن) عمل مديرا لفرع الجمعية الشرقية الألمانية في استنبول واطلع على المخطوطات في استنبول، وحقق بعضها نحو: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن البصري،الوافي بالوفيات للصفدي،فرق الشيعة للحسن النوبختي،وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني وغير ذلك من المخطوطات وله كتابات ومقالات (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (من ص: ٢٧٧ ـــ ٢٧٩)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٢ / ٣٧٧٩ ـــ ٣٧٨٠)

ثالثاً: مصادر المستشرقين في دراسة الأئمة الأربعة:

أ- الإمام أبو حنيفة: النعمان بن ثابت (٨٠هـ / ١٥٠هـ):

ـ شاخت (J.Schacht)

من أعلام المستشرقين ممن كتبوا في السنة، فقد اعتمد فيما كتبه عن الإمام أبي حنيفة النعمان ت ١٥٠هـ على: الأشعري:مقالات الإسلاميين، الفهرست، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ابن خلكان، الذهبي، تذكرة الحفاظ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، محمد أبو زهرة:أبو حنيفة، بالإضافة إلى خمسة من المصادر الاستشراقية الأجنبية[١].

ـ هفننك وشاخت (Heffening - Schacht)):

كتبا عن مادة الحنفية في الدائرة معتمدين على ثلاثة مصادر أجنبية[٢].

ب- الإمام مالك بن أنس(٩٣ / ١٧٩هـ):

ـ شاخت (J.Schacht)

كتب عن الإمام مالك معتمدًا على: ابن قتيبة في كتاب المعارف، السيوطي في تزيين الممالك، كتاب الأغاني، ابن القاسم في المدونة، عيسى بن سعود الزواوي: مناقب سيدنا الإمام مالك[٣].

ـ ن. كوتارت(N.Cottart):

كتب عن المالكية معتمدًا على: المدارك للقاضي عياض، ومالك بن أنس، كتاب الموطأ، سحنون: المدونة الكبرى، القرافي:تنقيح الفصول في الأصول، القرافي: كتاب الفروق، أحمد باشا تيمور: نظرة تأريخية في المذاهب الأربعة، الخشني: كتاب طبقات علماء أفريقية.ومصدر أجنبي[٤].

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢/٣٢٤)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٤ / ٤٣٨٧)

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٩ / ٨٩٧٥)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٢٩ /٨٩٩٢)

ت- الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (١٥٠هـ / ٢٠٤هـ):

ـــ هفننك (Heffening):

كتب عن الإمام الشافعي معتمدًا على: السمعاني: كتاب الأنساب، ياقوت: إرشاد الأريب، النووي: الطبقات، ابن خلكان: الوفيات، العسقلاني: توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، السبكي: طبقات الشافعية، وسبعة من المصادر الأجنبية(١).

ث- الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ / ٢٤١هـ):

ـــ جولد تسيهر(Golziher)

كتب عن الإمام أحمد بن حنبل معتمدًا على كثير من المصادر الأجنبية(٢).

ـــ هنري لاووست المولود (١٩٠٥)(٣) (H.Laoust)

كتب عن الإمام أحمد معتمدًا على مصادر أجنبية، وبعض كتب التراجم الحديثة مثل: محمد أبو زهرة: أحمد بن حنبل، كما اعتمد على مناقب الإمام ابن الجوزي، والذهبي قطعة منفصلة من تاريخه الكبير نشرها منفصلة أحمد محمد شاكرأعيد طبعها في المسند وقد علق إبراهيم خورشيد قوله: «يغلب عليهما المديح، وتفتقران إلى ضبط التاريخ»(٤) ،اعتمد على محمد أبو زهرة:ابن حنبل، ومصدرين من كتب المستشرقين.

وكتب مادة حنابلة في الدائرة معتمدًا على طبقات الحنابلة: لأبي الحسين، وابن رجب الحنبلي: ذيل على طبقات الحنابلة، كتاب الاختصار:للنابلسي، ابن العماد: شذرات الذهب، جميل الشطي: مختصر طبقات الحنابلة، وابن بدران: مدخل إلى مذهب الإمام أحمد، بالإضافة

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٩ / ٦٠٨٤)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٥١٥)

(٣) **هنري لاووستH.Laoust** : ابن المستشرق أميل لاووست(١٨٧٦ـــ١٩٥٢)من آثاره: مجلة الدراسات الإسلامية، وآراء في مذهب ابن تيمية في إشهار الطلاق، ودراسة المنهج الأصولي لابن تيمية، ورسالة في مبادئ ابن تيمية الاجتماعية والسياسية، وسيرة ابن تيمية نقلا عن ابن خضير، ورسالة في القانون العام لابن تيمية وبحث في مذاهب الحنابلة في القرنين السادس والسابع للهجرة، والطرائف الأولى لمذهب الحنابلة وغير ذلك. (انظر: العقيقي: المستشرقون،(١/ ٣١٩ـــ٣٢٠)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢/ ٥٢٣)

لاثنين من المصادر الأجنبية[١].

رابعاً: مصادر المستشرقين في دراسة ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (٦٦١ هـ / ٧٢٨هـ):

جاء في موجز دائرة المعارف عن مصادر بعض المستشرقين في دراسة ابن تيمية منها:الذهبي:تذكرة الحفاظ، ابن شاكر الكتبي:الفوات، السبكي:الطبقات، ابن الوردي:تأريخ، ابن حجر الهيتمي:الفتاوى الحديثة، السيوطي: طبقات الحفاظ، الآلوسي:جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، محمد بن أبي بكر الشافعي: الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، مرعى بن موسى الكرمى: الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية، وثمانية من الكتب الاستشراقية[٢].

خامساً: مصادر المستشرقين في دراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ـ د.ي. مرجليوث[٣] (D.S.Margouth)

كتب عن الوهابية معتمدًا على ستة مصادر أجنبية[٤]. وممن كتب عن مصادر بعض المستشرقين في دراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدكتور ناصر بن إبراهيم التويم في الفصل الأول من كتابه:(الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية) فقد قام بدراسة وصفية لأهم مصادر المستشرقين عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته[٥].

ومن المصادر العربية:روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١٤ / ٤٣٧١)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (١ /١٤٩ ـ ١٥٠)

(٣) مرجوليوث (دافيد صمويل،١٨٥٨ ـ ١٩٤٠ م) درس اللغات السامية في أكسفورد،ألف كتاب (محمد ونشأة الإسلام) له محاضراتعن (تطور الإسلام) تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة،وله محاضرات عن: (العلاقة بين العرب واليهود) (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٥٤٦)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ١٠١٧٩)

(٥) للتوسع: انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص: ٢٢ ـ ٥٢)، ط١، سلسلة الكتاب الإسلامي رقم (٧) سلسلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

الإسلام لحسين بن غنام الإحسائي،عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي، تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي، أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب لمحمد حامد الفقي، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب.

كما اعتمد بعض المستشرقين على عدد من كتب الرحالة الغربيين في كتاباتهم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ومن أبرز مؤلفات هؤلاء الرحالة:رحلات إلى الجزيرة العربية والبلاد الشرقية، لمؤلفه كارستن نيبور، وهي كتابة موجزة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكنها تعد من أقدم الكتابات في هذا الموضوع، واستقى معلوماته بالسماع، مما جعله يقع في أخطاء عن الشيخ ودعوته' وكتاب مذكرات عن البدو والوهابيين، من تأليف جوهان لود فيج بوركهاردت، ويعد هذا الكتاب من المراجع المهمة لعدد كبير من المستشرقين الذين تناولوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ترجم جزء من هذا الكتاب تحت عنوان: (مواد لتاريخ الوهابيين) قام بترجمته الدكتور عبد الله الصالح العثيمين. ويعد بوركهاردت من أدق الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية وأصحهم تدوينًا،ولقد كتب عن الشيخ ودعوته في مقدمة كتابه وتحدث عن الفرق بين مبادئ دعوة الشيخ وما عليه الأتراك الذين لم يقبلوا الدعوة، وقد وقع في بعض الأخطاء، واعتمد على عدد قليل من المصادر.وقد كتب بعض المستشرقين عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب معتمدين على مصادر المعارضين للدعوة السلفية، نحو:(الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي)، (الرد على محمد بن عبد الوهاب. لمحمد بن سليمان الكردي الشافعي)،(فتنة الوهابية للسيد أحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية في مكة)، (الدرر السنيةفي الرد على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان) إلى غير ذلك من كتب المعارضين،وقد كتب بعض المستشرقين عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله معتمدين على أقوال خصومه فقط، ومن خصوم الشيخ ودعوته: الدولة العثمانية، وولاتها، وأمراء الأقاليم في الحجاز والإحساء والجزيرة العربية، ورؤساء الطرق الصوفية ومريدوهم، وزعماء الفرق الأخرى، والرافضة، وبعض العلماء في نجد وما حولها.

كذلك الاعتماد على مؤلفات مجهولة من كتّاب أعداء الدعوة السلفية مثل اعتمادهم على كتاب:(لمع الشهاب في سيرة ابن عبد الوهاب)، لمؤلف مجهول فيه من الكذب على

الشيخ ما اعتبره بعض المستشرقين مادة دسمة صاغها بعضهم وفق هواه للنيل مـــن الـــشيخ ودعوته.

الفصل الثاني

أسس منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه تمهيد وستتة مباحث

المبحث الأول: المنهج العلماني أو المادي

المبحث الثاني:المنهج الانتقائي.

أولا:الافتراضات المسبقة(الحكم المسبق)

ثانيا:منهج الأثر والتأثر.

ثالثا: جمع الروايات الشاذة والغريبة للطعن في الدين الإسلامي.

رابعا:المدح والذم (منهج التمجيد)

المبحث الثالث:التحريف

أولا: التشكيك في النصوص الإسلامية الصحيحة.

ثانيا: بتر النصوص الصحيحة واستنباط الأحكام الكلية من الأحداث الجزئية.

ثالثا: تبديل وتحريف العبارات.

رابعا: نفخ بعض الأخطاء اللفظية في بعض التسميات.

خامسا: بناء النتائج الخاطئة على المقدمات الصحيحة.

سادسا: عدم الدقة في استخدام المصطلحات.

سابعا: استخدام منهج التعميم

ثامنا: عدم الإشارة إلى المصادر

تاسعا: استخدام المنهج الجدلي.

المبحث الرابع:المنهج التطوري.

المبحث الخامس:المنهج الإسقاطي.

المبحث السادس:إحياء بعض الدراسات الهدامة ودراسة الفرق المنشقة عن الإسلام ومدحها.

الفصل الثاني

أسس منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

تمهيد

يتمثل أغلب الاستشراق في مؤسسات غربية ذات مجالات متعددة، تشترك في الأهداف، وإن اختلفت اتجاهاتها ومصادرها في عدد من المدارس المتنوعة: كالمدرسة البريطانية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، والأسبانية، والأمريكية، والهولندية، وقد يكون هناك مدرسة صهيونية، وإن لم يشر الباحثون لها بشكل مستقل، ولكن سماتها واضحة من خلال سيطرة اليهود والصهاينة في الفترة الأخيرة على زمام الأمور في مختلف المجالات، خاصة في القرن العشرين.وليس أدل على ذلك من وجود كبار المستشرقين من يهود وصهاينة قد تستروا بالزى الغربي كي يلاقوا قبولاً أكثر لدى المسلمين، وغيرهم.

كما تساهم التقاليد وأساليب المعالجة التي طبقها بعض الدارسين المستشرقين على الدراسات الإسلامية من حيث الزمان والمكان، بنوع من الاتساق نتيجة اتصال بعض المستشرقين ببعضهم ، وتعاونهم في العمل بالرغم من اختلاف جنسياتهم، وبغض النظر عن عقبات اللغة، والمسافات، والتخصصات المختلفة المتناقضة.

كما أن مختلف القوى الاجتماعية، والسياسية، والتيارات الفكرية، تحت مختلف الضغوط الخارجية على بعد فترات زمنية مختلفة كان لها أثرها في المنهجية الغربية؛ فهل ينجح بعض المستشرقين في تطبيق المنهجية الغربية على الدراسات الإسلامية بالرغم من اختلاف اللهجات، وتباعد الدارسين من الناحية الجغرافية؟

وهل يمكن تناول جميع المنهجية الغربية في الدراسات الإسلامية لمؤلفات بعض المستشرقين الذين لايمكن دراستهم إلا من خلال الترجمة، وحتى إذا توافرت الترجمة فإنها لا تخلو من العيب والنقص إذا ما قارناها بالمؤلفات الأصلية.

إن الحوافز التي تدفع بعض المستشرقين في كل مدرسة من المدارس الاستشراقية تعكس المنهجيات التي تميز كل مدرسة بعينها، وبرغم ذلك نتمنى القيام بعرض مواقف تتسم بروح النقد والواقعية للدراسات الاستشراقية في مجال منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة

والجماعة.

ولنا أن نتساءل: متى بدأ الغرب يهتم بدراسة العلوم الإسلامية؟ وما العوامل التي ساعدت ولها أكبر الأثر على تطورهذه الدراسة؟وما العلاقة المنهجية بينهما؟

لقد بدأ الغرب دراسة الإسلام في كثير من الأحيان بافتراض أن الإسلام يتكون من مجموعة تأثيرات أجنبية، وديانات مختلفة، وأفكار وحضارات متعددة، وبالرغم من أن المسلمين لا ينكرون الصلة بينهم وبين سائر الأديان، باعتبار أن الإسلام ذروة ما وصلت إليه الديانات السابقة، وأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، فالإسلام ينبع من المصدر نفسه للديانات السابقة قبل تحريفها، وبعض المستشرقين يختلفون عن المسلمين في أن لديهم أهدافًا خارج الإطار الذي يضعونه في مؤلفاقم، بالرغم من وقوعهم تحت تأثير الروح الاستعمارية السائدة في الغرب.

إن كل مستشرق يتميز بخواص وتباين عن بقية المستشرقين، لذلك يصعب تصنيف المنهجية الغربية على نحو دقيق، فبعض المستشرقين الذين تم تصنيفهم من ناحية العقيدة قد يقدمون تفسيرات مختلفة عن بقية أبناء جلدقم الذين ينتمون إلى نفس الاتجاه. ثم إن الدراسات الإسلامية وتفريعاقما لتسهم في جعل تصنيف المنهجية الغربية التي طبقها بعض المستشرقين مهمة عسيرة لتداخل العلوم الإسلامية التي يعتمد بعضها على بعض، ويستمد بعضها من بعض.

فالتصنيف المنهجي الدقيق لدراسة منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة أمر صعب للغاية، إلا إذا درسنا طريقة كل مستشرق على حدة، وهذا مما يصعب حصره. لكننا يمكن أن نضع الخطوط العريضة السائدة للمنهجية الغربية في الدراسات الإسلامية. ولا ننسى أن الاتجاهات الفكرية هي التي يحاول من خلالها بعض المستشرقين تفسير الشريعة الإسلامية حسب نزعتهم الدينية، ومحاولة إيجاد علاقة التأثر والتأثير بين الإسلام، والنصرانية، واليهودية، والوثنية، وغيرها.

وكل اتجاه من هذه الاتجاهات له عوامله وأهدافه التي تجعل الشبهات المثارة تختلف في طبيعتها عن الأخرى، ويجمعهم اتجاه عقدي هدفه التشكيك في العقيدة الإسلامية.

ولقد اتبع بعض المستشرقين مناهج عديدة في كتاباقم عن الإسلام والمسلمين، ولكن هل

يلتقون في تصور عام عن الفكر الإسلامي؟وهل رسموا لأنفسهم منهجا يتسم بالموضوعية؟أم كان خاضعا لأهوائهم وأغراضهم؟

ومن ملامح المنهج الغربي في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة أنه منهج يتسم بالاضطراب، ويفتقد لكثير من مقومات المنهجية العلمية السليمة، ويتضح ذلك من خلال المباحث التالية .

المبحث الأول

المنهج العلماني أو المادي

يعتمد هذا المنهج على فصل الدين عن الدولة وتناول القضايا الدينية تناولا ماديا بحتا،فبعض المستشرقين في مؤلفاتهم ينظرون إلى ما جاء به الرسول على أنه وسيلة جذب لشخصية قيادية وزعيم ديني، دون النظر إلى النبوة والدين والرسالة كهدف أساس في الدعوة.

وهذا المنهج: «تستبعد إمكان وقوع الظواهر الدينية التي لا تعتمد على الفلسفة ولا تخضع لقوانين الأجسام المادية المعروفة»[١].

كما أنه يرتكز على أنه لا وجود حقيقي إلا للأشياء المحسوسة، وأن المشاعر والأحاسيس تابعة للمادة، فالدراسات الاستشراقية للتاريخ الإسلامي ترتكز على الجانب المادي، وتستهين بالجانب الروحي، مع تفسير أحداث التاريخ الإسلامي بالعامل الاقتصادي، وأن سر الفتوحات الإسلامية، بل ظهور الإسلام نفسه يفسر بالعامل الاقتصادي، ويرى وات أن: «إعلان الدين الجديد جاء ردًا على مرض العصر الذي سببه التطور الذي انتقل بالعرب من حياة بدوية إلى اقتصاد حضري[٢]، أي:إن العامل المادي كان وراء ظهور الإسلام»[٣].

ومن أخطاء بعض المستشرقين المنهجية في تناولهم للتاريخ الإسلامي التركيز على العامل الاقتصادي في تفسير أحداث التاريخ، وذلك يظهر من خلال القصص التاريخية المزورة، والمبالغ فيها عن الغنائم الكبيرة التي حصل عليها المسلمون في فتوحاتهم الإسلامية، وكأن الهدف الأساس للمسلمين هوالطمع في الغنائم والحصول على الثروات، والبذخ، والإنفاق السخي الواسع بسب الحروب التي خاضوها، وأدت إلى تحسين مستواهم المعيشي، و لم

---

(١) إدريس: د.جعفر شيخ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية،(١/ ٢٣٦)، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج ــ الرياض، ١٤٠٥هــ.

(٢) Muhammad at Medina ،p.(٢٦١)(Oxford at the Clarendon press ،london: ١٩٧٢)

(٣) نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلهاو زن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ٧٥)

يدركوا أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال وأنه ينهى عن التبذير والإنفاق الباذخ. والحقيقة أن اليهود هم أكثر من يتهم بأنهم قوم ماديون، وهم أقلية مكروهة ومضطهدة في أرجاء الأرض، وفي العالم المسيحي بوجه خاص، والأدب الإنجليزي غني بالشواهد على كراهية الإنجليز لليهود في القديم والحديث، ولقد تأثر (سيجموندفرويد) اليهودي بهذا الاضطهاد والتحقير الذي يلقاه اليهود، لذا قد تكون آراء فرويد الأساسية كلها استجابة لا شعورية لما يعتمل في نفسه كيهودي من حقد على العالم كله، ورغبة في الانتقام، وأول ما يعاب عليه هو تحقيره الإنسان بتصويره مجموعة من الغرائز والشهوات لا يرتفع عن واقع الأرض المادي، وهو لا يؤمن بالخير في الإنسانية متأثرًا في ذلك بنزعته المادية اليهودية، وبالمجتمع الأوربي الذي كان يعيش فيه[1].

لذا نجد بعض المستشرقين في كتاباتهم عن الإسلام يقوم على أساس اعتمادهم على المنهج الميكيافيلي في دراساتهم الاستشراقية (الغاية تبرر الوسيلة) واستخدموا لأجل ذلك كل الوسائل، كالدس، والتزوير، والاحتيال، وتمويه الحقائق.

ومن أمثلة المنهج المادي أو العلماني:

أولا: تفسير بعض المستشرقين لغزوات النبي محمد ﷺ وانتصارات المسلمين تفسيرا ماديا بحت دون اعتبار للعامل الدعوى في نشر الإسلام.وأن شرعية الجهاد الإسلامي لم تأت إلافي آيات متأخرة بعد أن كانت الغنائم العظيمة قد أثارت مطامعه.

يقول دومينيك سورديل[2] في حديثه عن محمد بعد الهجرة: «وقد تطلب الأمر أيضًا ضمان الحياة المادية للمجتمع، ولم يتردد محمد عن إرسال بضعة رجال للاستيلاء على قافلة قادمة من الشام باتجاه مكة، وذلك في أيام حُرُمٍ مقدسة في شهر رجب. غير أنهم عندما أرادوا تكرار ما سبق لهم أن قاموا به اصطدموا بجيش مكي مما أدى إلى معركة بدر في العام

(١) انظر: قطب: محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، (ص: ٢٨ ــ ٣٩)، ط٤، بيروت ــ ١٩٦٥م.

(٢) دومينيك سورديل مستشرق فرنسي معاصر، ولد في عام ١٩٢١م، اهتم في دراساته بالسورية، وله صلة جيدة بالمعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق، وعني كذلك بدراسة الوزارات في الدول الإسلامية القديمة وبالآثار والوثائق الإسلامية لمختلف الدول، حقق عددًا من المؤلفات الداخلة في إطار اهتماماته.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(١ / ٣٢٩)

الثاني للهجرة.وذلك عندما أنزل المسلمون هزيمة بخصومهم الذين تركوا تسعة وأربعين منهم في ساحة المعركة(١). وكانت هذه المواجهة القليلة الأهمية في ظاهرها ذات نتائج بالغة الأهمية: فقد أعلن الله أنه إلى جانب النبي. وبذلك فقد أطلق القرآن على هذه الموقعة تسمية يوم الفرقان»(٢).

ويتضح من النص تفسير بعض المستشرقين غزوات النبي بأنها لضمان الحياة المادية، مع التشكيك في غزوة بدر من حيث عدد القتلى، وتقليل شأنها في أعين المسلمين وغيرهم.

وحينما يشكك بعض المستشرقين في عملية المدد الإلهي، وهو اشتراك الملائكة في صف المعسكر الإسلامي في غزوة بدر الكبرى فإن ذلك بسبب استخدام بعض المستشرقين المنهجية المادية في تفسير الواقعة التاريخية.ومع ذلك فالواقعة ثابتة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ الأنفال:٩ - ١٣ .

قال المستشرق: (م. سفاري):

«وخالف النبي قانون الغنيمة الذي كان ينص على أن يأخذ منها الخمس، فاحتجز الغنائم كلها لنفسه [؟] ونصت سورة الحشر على هذا المبدأ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) عدد قتلى بدر زاد عن السبعين. (المترجم)

(٢) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٥٣ ــ٥٤)، ترجمة: سليم قندلفت، تقديم: د. طيب تيزيني، (ترجمة عن الطبعة الثانية عشرة باللغة الفرنسية) الناشر: دار حوران / سوريا — دمشق، الطبعة العربية الثانية: ٢٠٠٣م.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ الحشر: ٧.

وقد علق الدكتور عبد المتعال الجبري على ذلك بقوله: هكذا صور الكاتب عمل النبي في الفيء، وتجاهل الفرق، فالنبي يأخذ الخمس من الغنيمة التي تغنم من الكفار في معركة وقع فيها قتال فعلي، وفي هذا نزلت الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الأنفال: ٤١ .وأما هنا حيث لم يقع قتال فعلي، وإنما استسلم الكفار للإنذار بمجرد الحصار فالأمر له حكم آخر: هو الذي نزل في سورة الحشر»[١].

وهو دخول الفيء الذي يحصل عليه من الكفار بيت المال لينفق منه على كافة مصالح الدولة والأفراد، بما فيهم الجنود.

يقول (م. سفاري) في كتابه (مختصر حياة محمد): «كان محمد كلما رجع من إحدى الغزوات، يخطط لغزوة أخرى. فقد كان دائم الاهتمام بتثبيت دينه، وبسط سلطانه. ولما كانت مشاغل الحكم تحتجزه في المدينة، فإنه كان يرسل فرقًا من قواته لتلقي الذعر بين أعدائه، وتعود محملة بالغنائم»[٢].

كما تناول إنجماركارلسون في حديثه عن (الاقتصاد الإسلامي طريق ثالثة بين الرأسمالية والاشتراكية) الآيات الاقتصادية في القرآن بقوله: «المسلم المؤمن على سبيل المثال، يرفض مادية العالم الغربي وما يتبعها من أفكار تركز على النمو والتوسع؛ ذلك لأن زيادة الإنتاج أو الاستهلاك في منظور الاقتصاد الإسلامي ليسا هدفين مهمين، بحيث يلقيان ظلالهما على كل ماحولهما. إن البديل الإسلامي عنهما هو الوصول إلى توازن اقتصادي وانسجام في المجتمع، أصل هذه الكلمة يكمن في الاعتقاد بأن الله خلق الكون لكافة مخلوقاته، وأمر بأن تعود ثروات هذا الكون بالنفع للجميع، ونهى الناس عن الإفراط في الاستغلال والاستمتاع بهذه الثروات، أو التسابق بطريقة جشعة ونهمة للحصول عليها، وعلى الأفراد دائمًا مراعاة الصالح

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستبشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري (ص: ١٣٤)

(٢) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي،نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري (ص ١٤٣)

العام للمجتمع، وذلك على الأمد الطويل كما على الأمد القصير»[١].

ثم أثبت أن حق الملكية الشخصية ليس مطلقًا في الإسلام، لأن الحق المطلق هو لله، حيث يقول: «يمكن للمرء أن يستنتج من هذه الفلسفة أن الإسلام قريب من الرأسمالية[٢] في تقديسه للملكية الشخصية، وقريب بالمثل من الماركسية في تحفظاتها القوية على الأضرار الاجتماعية التي تنبع من جراء تطبيق سياسة (دعه يعمل دعه يمر) أو سياسة الحرية الاقتصادية الرأسمالية»[٣].

وقد كتب أرمنيوس فامبري عن غزوات العرب وانتشار الإسلام مصورًا هدف المسلمين من الغزوات على أنه الطمع في الكنوز، والأسلحة، والثياب، وأدوات الذهب والفضة[٤].

كما كتب (بيتر جاكسون[٥]) في حديثه عن بدايات الهند الإسلامية مانصه:

«ومن المؤكد أن محمود الغزنوي، استفاد من أفول نجم هذه الإمبراطورية، ومن تمزيق أرضها، بين عدد من الدويلات التالية المتحاربة، لم يتمخض العديد من انتصاراته في الهند عما هو أكثر من الحصول على مقادير لم يسبق لها مثيل من الغنائم، حيث نهب المدن الهندوسية، ولاسيما ميناء سومنات الكبير في غوجرات(٤١٦هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦م) وسلب موجودات معابدها، فضلاً عن تحطيم أصنامها الذهبية تعبيرًا عن التقوى، ونقل

(١) كارلسون: إنجمار، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، (ص: ١٠٠)، ترجمة: سمير بوتاني.

(٢) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعًا في مفهوم الحرية معتمدًا على سياسة فصل الدين نهائيًا عن الحياة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني،(٢/ ٩١٠)

(٣) كارلسون: إنجمار، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، (ص: ١٠١)

(٤) انظر: فامبري: ارمنيوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، (ص: ٥٧)، ترجمة وعلق عليه: د. أحمد محمود الساداني، راجعه وقدم له، د. يحيى الخشاب (العميد السابق لكليات الآداب بجامعة القاهرة ورئيس قسم اللغات الشرقية) ط (بدون) مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

أشلائها إلى غزنة، لملء خزائن محمود حتى الثمالة»(١).

ويقول المستشرق الإنجليزي: (سير توماس ارنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠ Sir Thomas Arnold(٢)) مفسرًا الانتصارات الإسلامية بقوله: «وأقوى من هذا وذاك ما رغبهم فيه الرسول ﷺ من غنى مؤكد باكتسابهم الغنائم الوافرة في الجهاد للدين الجديد، ومن استبدال الأقاليم الخصبة المثرية: كفارس، والشام، ومصر، بصحرائهم المجدبة العارية التي تجود عليهم بالكفاف فقط»(٣).

ونجد بعض مؤلفات المستشرقين لكتب التاريخ تصف انتصارات العرب مركزةً على حب المادة والظفر بالغنائم، يقول (سيتن لوبد)(٤) في حديثه عن العرب، (الخلفاء الراشدون والأمويون): «نال العرب أول نصر على الفرس في الحدود العراقية، فقد هزم الجيش العربي في القادسية رستم آخر القادة المشهورين، لقد كانت هذه المعركة من المعارك الحاسمة البعيدة النتائج.....ووقع في أيدي العرب مقدار هائل من الغنائم عندما قتل رستم، وولى الفرس هاربين، فاستولوا في ساحات القتال على الراية العظيمة للإمبراطورية الفارسية (وكانت هذه مصنوعة من جلود النمور، تزينها أحجار كريمة تقدر قيمتها بـ ١٠٠،٠٠٠ قطعة

---

(١) جاكسون: بيتر، سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، (ص: ٣١)، تعريب: فاضل جتكر، ط ١، مطابع العبيكان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

(٢) هو السير توماس أرنولد١٨٦٤م ــ ١٩٣٠م مستشرق إنجليزي تعلم في كمبريدج، وقضى عدة سنوات في الهند كأستاذ زائر في جامعة (عليجرة) ١٨٨٨ــ ١٩٩٨م، وكأستاذ للفلسفة في لاهور ١٨٩٨ ــ ١٩٠٤م، ويعد أول من جلس على كرسي الأستاذية لقسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ١٩٠٤م، ثم عميدًا لها وزار مصر عام ١٩٣٠م، وحاضر في الجامعة المصرية عن التاريخ الإسلامي.(العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٢ / ٥٠٤)

(٣) أرنولد: توماس، الدعاية الإسلامية، ترجمة الأساتذة: السرنجاوي: عبد الفتاح، عمر الدسوقي، عبد العزيز عبد المجيد، (ص: ٩١٣)، مقال في مجلة الرسالة، العدد (٣٠٥) القاهرة في يوم الأثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٥٨ ــ الموافق ٨ مايو سنة ١٩٣٩م، السنة السابعة.

(٤) ستون لوبد المولود عام ١٩٠٢م، تخرج من إبنجهام، واشتغل في التنقيب للجمعية المصرية،ومديرا للمعهد البريطاني في أنقره،من آثاره: مابين النهرين، وخرائب حواضر العراق، والتنقيب عن الآثار في العراق..(العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢/ ٥٧١)

ذهب.)وبعد هذه المعركة كان انهيار الساسانيين»[١].

ثم تجد (سيتن لوبد) يصور حب العرب للمادة، وكأنه معهم وهم يدخلون جنبات القصر الذي اغتنمه المسلمون، ويستشهد في مؤلفه بما قاله جيبون وهو يصور دخول العرب على الفرس حيث يقول: «أما الفرس فقد انهزموا جماعة بعد أخرى، متدافعين على ضفة النهر الشرقية وهم يحدقون دهشين بالقصر الشهير العظيم بإيوانه ذي الرخام الأبيض الذي يتسامى شاهقًا مطلاً على المدينة. وسرعان ماكان العرب يطوفون في حجرات القصر الفخمة الذي كان الشرق يصب كنوزه فيه مدى عصور.

.. ثم قال عن العرب: إن العرب أثروا على غير[٢] غرة إثراء تجاوز حدود أملهم أو عملهم. لقد انفتحت كل حجرة عن كتر جديد حوى أبدع آيات الفن والجمال، وإن الذهب، والفضة، والخزائن المختلفة، والأثاث الثمينة فاقت كل خيال وحصر، وكان يزين أحد أقسام القصر بساط طوله ستون ذراعًا وعرضه مثل ذلك، فيه صورة جنة أو جنينة، أزهارها وأغصانها مطرزة بالذهب، وبألوان الحجارة الثمينة، وحافاته تحيط بها كالأرض المزروعة، والأرض المثقلة بالربيع. وقد أقنع القائد العربي جنوده كي يتخلى عن حقهم في البساط آملاً أن يفرح الخليفة بعظمة فنه الطبيعي والصناعي، إلا أن عمر الحازم لم يبال بقيمة فنه وأُبهته بل وزع الغنيمة على إخوانه أهل المدينة، فتلفت الصورة، ولكن قيمتها المادية كانت ثمينة جدًا، فكان ما أصاب عليًا وحده قطعة منه باعها بعشرين ألف درهم»[٣].

وقد وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العراق بقوله: «فإن أحد الشباب النجديين المسمى محمد بن عبد الوهاب بعد أن حصل على العلم في بغداد ودمشق عاد إلى بلاده وأسس فرقة سلفية (puritan) جديدة عرفت بالوهابية، وكانت دعوة الوهابيين التمسك الشديد بالشرع الإسلامي كما كان عليه في أول الإسلام ومحاربة كل ما يمت

---

(١) لوبد: سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، العرب في القرن العشرين)، (ص: ١٩٥)، نقله إلى العربية: طه باقر أمين المتحف العراقي، بشير فرنسيس مفتش الآثار القديمة، نقله إلى العربية بإذن المؤلف والناشرين أصحاب مطبعة جامعة أكسفورد، المتحف العراقي، بغداد. ط (بدون تاريخ).

(٢) والصواب على حين

(٣) لوبد: سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، العرب في القرن العشرين)، (ص: ١٩٦)

بصلة إلى الوثنية أو ترف الحياة...فإنه بعد أن قاد أتباعه باتجاه الفرات قاصدًا العراق انتظر يومًا ذهب فيه معظم سكان كربلاء لزيارة النجف فهجم لنهب ضريح الشهيد الحسن المقدس فعرى الجامع من كل مافيه من مسحة من الوثنية بما في ذلك مافيه من تحف مثل صحون الذهب والفضة وأحزمة من الحجارة الكريمة والطنافس الفاخرة مما كان يؤلف النذور التي قدمها أغنياء الشيعة[(١)] مدى قرون»[(٢)].

وقال المستشرق (روسو[(٣)]): «وأصبح الوهابيون أكثر تسامحا مع المسيحيين، بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم، وإنما يجب عليهم دفع الجزية، وفي هذا له كسب مادي لم يكن ليزهد فيه»[(٤)].

فكثير من المستشرقين قد تأثروا بالفلسفة المادية في طريقة تفسيرهم لأحداث التاريخ الإسلامي، وكان تأثرهم هذا يقود إلى إهمال الجوانب الدينية والعقائدية والأخلاقية في تحليلهم التاريخي ــ خاصة في الفتوحات الإسلامية ــ فقد أهملوا الدوافع الدينية للفتوحات الإسلامية، واتجهوا للجوانب الاقتصادية باعتبارها أساسًا، وعاملاً محركًاومؤثرًا في الغزوات الإسلامية

ثانيا: حادثة شق صدر الرسول ﷺ ، وحادثة شق صدر رسول الله ﷺ ثابت في صحيح

---

(١) الشيعة: الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته،وخلافته نصًا ووصية، إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده،..(انظر: الشهرستاني، الملل والنحل،(١/١٦٩)

(٢) Coke ،R. ،B aghdad ،city of Peace. London ،١٩٢٧

نقلاً من: لوبد: سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، العرب في القرن العشرين)، (ص: ٢٤٩)

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) العجلاني: الأستاذ الدكتور: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية،، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول (سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته، سيرة محمد بن سعود وحروبه)، (١/ ٣٠٩)، ط٢، طبع بمطابع دار الشبل للنشر والتوزيع ــ الرياض،١٣١٣هــ / ١٩٩٣م.

مسلم[(١)]، وقد أفادنا راوي الحديث أنس بن مالك ﷺ والذي خدم رسول الله ﷺ بعد الهجرة، ودخول الرسول ﷺ العقد السادس من عمره، أنه رأى أثر المخيط في صدره نص يلغي أي محاولة لتأويل النص، والقول بأنه تطهير معنوي.

ثالثا: قصة بحيرى الراهب حينما خرج رسول الله مع عمه أبي طالب إلى الشام لاحظ غمامة تظلل رسول الله من بين القوم، وخاتم النبوة بين كتفيه، فقال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه من اليهود[(٢)].

وقد يكون سبب إنكارها لما تحمله من مضامين دينية إذ إنها اعتراف مسيحي بنبوة محمد ﷺ من رجل دين نصراني.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١ / ١٤٧ ــ١٤٨، ح: (١٦٢).(وانظر: ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هــ)، سيرة النبي ﷺ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١ / ٢٢١ــ٢٤٢، (مطبعة حجازي / القاهرة،،نشر المكتبة التجارية بدون تاريخ)

(٢) انظر: ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٠١ ــ ٧٧٤ هــ، البداية والنهاية،(٣ / ٤٣٥ ــ ٤٣٧)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ــ مصر، ط١، امبابة: ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٧م.

المبحث الثاني

المنهج الانتقائي

اعتمد بعض المستشرقين على المنهج الانتقائي، وذلك باختيار المصادر والروايات التي يعتمدون عليها في كتاباتهم، وموضوع دراستهم، خاصة الكتب التي قد تتضمن بعض المرويات الضعيفة، أو الإسرائيليات المدسوسة، بدون منهج علمي ليس إلا لاتباع الهوى وتنفيس للأحقاد.

ومن أمثلة ذلك:

أولا:الافتراضات المسبقة: (الحكم المسبق)

تناول بعض المستشرقين الدراسات الإسلامية وهم مقتنعون بفكرة أساس مسبقة مؤداها: «أن الإسلام دين باطل، لابد من هدمه والقضاء عليه، فكان الواحد منهم يبدأ أبحاثه عن الإسلام بهذا الحكم الذي آمن به، وهذا مخالف لمنهج البحث العلمي الذي يحتم على الباحث أن يبدأ بحثه وهو خالي الذهن من الأحكام، ثم يصل إلى أحكامه من خلال الأدلة والبراهين الواقعية[(١)].

فهم يضعون الفكرة مقدمًا، ثم يبحثون عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفة.

: «ومما يهد كيان المنهجية العلمية أن يدخل الباحث بمسلمات ثابتة يحاول إخضاع بحثه لتأكيدها، والصحيح علميًا أن يتوجه البحث لاختيار فرضيات متوقعة، يمكن أن تثبت أو تنفي حسب ما تمليه الحقيقة العلمية»[(٢)].

يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي: «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية، ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع المعلومات — من كل رطب ويابس — ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو

---

(١) صالح: د.سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، (ص: ١٠٤)، الزقازيق، دار الأرقم، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٢) الزياد: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، (ص: ١١٦)، ط ١، دار قتيبة، ١٩٩٨م.

الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة. وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في أذهانهم»[١].

ويقول رودي بارت: «حقيقة أن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام، وكانوا يتصلون بها على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعًا ما، كانت تصطدم بحكم مسبق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للنصرانية لايمكن أن يكون فيه خير، وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون منهم كل الأخبار التي تلوح لهم مسيئة إلى النبي العربي، وإلى دين الإسلام »[٢].

وقد بين الدكتور ساسي سالم الحاج عقم مناهج بعض المستشرقين في الدراسات الإسلامية، وسبب ذلك: «لافتقارها إلى المقومات العلمية التي تمكنها من أداء وظيفتها الحيوية.وهكذا تكون نتائج هذه الدراسات صادرة عن الأحكام الشخصية المسبقة التي تتأثر بالعاطفة والهوى أكثر من تأثرها بالحقائق الدامغة التي لا يطال الشك مصداقيتها.

وهذا المنهج يعتمد في الدرجة الأولى على إيمان الباحث بصدق الرسالة المحمدية واستمداد معارفها من المصادر العلوية. وإذا كان الإيمان لا يتحقق لدى هؤلاء المستشرقين فإنه ينبغي على الأقل احترام المصادر الغيبية لهذه الرسالة السماوية. كما يعتمد المنهج الإسلامي على منهج موضوعي يقود إلى حقائق المادة المدروسة، دون فرض الفروض المتعسفة، أو إصدار الأحكام المسبقة، ونبذ وتجاوز سائر الإسقاطات التي تعرقل الوصول إلى الحقائق العلمية المجردة»[٣].

---

(١) الندوي: أبو الحسن علي الحسني، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، (ص: ١٦)،مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٨٥م.

(٢) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، (ص: ٩ ــ ١٠)، ترجمة: مصطفى ماهر.

(٣) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (٢ / ١٩٧)

ثانيا: قضية الأثر والتأثر:

الهدف منه إفراغ الإسلام من ذاتيته، وإحالته إلى مصادر خارجية كالمجوسية واليهودية والنصرانية.

ويعتبر بعض المستشرقين أن النبي محمدًا ﷺ قد تأثر بأفكار السابقين، واستفاد من أفكار ورقة بن نوفل المسيحي.

يقول مونتجومري وات: «فمن الأفضل الافتراض بأن محمدا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر، وتعلم أشياء كثيرة. وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيرًا بأفكار ورقة»(١).

كما يفسرون هجرة النبي ﷺ إلى المدينة لكي ينقل عن اليهودية والمسيحية لصياغة الدين الجديد وهو الإسلام.ويزعمون أيضا أن اتصاله عن طريق التجارة بالمسيحيين العرب والقبائل البدوية القادمة إلى مكة للتجارة دليل على أن محمدًا حاول صياغة الإسلام على شاكلة الدين الأقدم.

وقد حكم ريجيس بلاشير R.L. Blacher(١٩٧٣ ـ ١٩٠٠)(٢)، على القرآن بأنه قد نقله محمد ﷺ عن راهب من رهبان الكنيسة، وأن مافيه من قصص هي أساطير معروفة في الجزيرة العربية(٣).

يقول إنجمار كارلسون:

«عاش الإسلام والمسيحية جنبًا إلى جنب ما يقرب من ١٤٠٠ سنة، عاشا جارين دائمًا متنافسين في غالب الوقت، ومتناحرين في كثير من الأحيان، وهما في واقع الأمر دينان

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٩٣)، تعريب: شعبان بركات.

(٢) بلاشير (ريجي)١٩٧٣ ـ ١٩٠٠م: ةلد في باريس، وسافر مع أبويه إلى المغرب،١٩١٥م، درس الثانوية في الدار البيضاء وتخرج من جامعة الجزائر وعين في معهد الدراسات العليا المغربية عام ١٩٢٩م، وحصل على دكتوراه الدولة من جامعة باريس، وعين أستاذا للغة العربية الفصحى في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس، ومن مؤلفاته: تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر، ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ١٢٧)

(٣) انظر: بلاشير: ريجي، القرآن (نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره)، (ص: ٢٨)، ترجمة: رضا سعادة، وأشرف على الترجمة الأب فريد جبر، وحققه وراجعه الشيخ: محمد علي الزغبي.

شقيقان؛ لأنهما يتقاسمان الموروثات الشرقية الهيلينية واليهودية، ولقد كانا دائمًا ــ وفي الوقت ذاته ــ قريبين من بعضهما البعض وعدوين لدودين، وتميز عداؤهما بمرارة خاصة، تحديدًا بسبب وحدة مصدرهما الأصلية. إن ما فصل بينهما هو التشابه أكثر من الاختلاف»[(١)].

وقد أخذ المستشرق برنارد لويس بشبهة أخذ الرسول عن اليهود والنصارى حيث يقول: «تثير مشكلة خلفية الرسول ﷺ كثيرا من التساؤلات، فمن الواضح أنه كان موضع تأثر باليهودية والنصرانية، وذلك لأن فكرة التوحيد، والعناصر الكتابية الكثيرة في القرآن تثبت ذلك.

ويقول أيضًا: ولكن روايته للقصص الكتابية تشير إلى أنه قد حصل على معلوماته الكتابية بطريقة غير مباشرة. ومن المحتمل أن تكون من التجار، والرحالة اليهود والنصارى الذين كانت معارفهم خاضعة للتأثيرات المدراشية[(٢)]، واليهودية والأبوكريفيه[(٣)]»[(٤)].

ويقول اجنتيس جولد تسيهر: «إن نمو الإسلام مصطبغ نوعًا بالأفكار الهلينستية ونظامه

---

(١) كارلسون: إنجمار، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، (ص: ١٤٥)، ترجمة: سمير بوتاني.

(٢) المدراش: نصوص يهودية في تفسير (الكتاب المقدس) في الكتابات الربانية. والتفسير المد راشي لا يسعى للبحث عن المعنى الواضح للنصوص المقدسة بقدر ما يبحث في العلاقات بين الفكرة أو القضية التي يتناولها الكتاب المقدس والمضامين الاجتماعية والثقافية لليهودية الربانية. (انظر: مطبقاني: مازن بن صلاح، منهج المستشرق برنالد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، حاشية(ص: ١١٣)، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد (رئيس قسم الاستشراق) وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الاستشراق بالمدينة المنورة ١٤١٤هـ.

(٣) الأبوكريفا: مجموعة من النصوص اليهودية التي استبعدها اليهود من كتابهم المقدس لأن العلماء عدوها نصوصًا غير موحى بها، ولذا ترى اليهودية أن الأبوكريفا تعليمية وليست نصية مقدسة. (انظر: منهج المستشرق برنا رد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، الحاشية، (ص: ١١٣)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: مازن صلاح مطبقاني، إشراف: الأستاذ الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد..

(٤) Lewis ،The Arabs.Op. cit ،p.٣٩.

(نقلا من منهج المستشرق برنا رد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، (ص: ١١٢ ــ ١١٣)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: مازن صلاح مطبقاني، إشراف: الأستاذ الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد.

الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني، ونظامه السياسي كما تكون في عصر الخلفاء العباسيين، يدل على عمل الأفكار والنظريات السياسية الفارسية، وتصوفه ليس إلا تمثلاً لتيارات الآراء الهندية، والأفلاطونية الجديدة الفلسفية...ثم قال: وهذا الطابع العام يحمله الإسلام مطبوعًا على جبهته منذ ولادته. فمحمد ﷺ مؤسسه لم يبشر بجديد من الأفكار، كما لم يمدنا أيضًا بجديد فيما يتصل بعلاقة الإنسان بما هو فوق حسه وشعوره وباللانهاية، لكن هذا وذاك لا ينقصان من القيمة النسبية لطرافته الدينية»[1].

وهذا الادعاء فاسد لتزييف أصالة الفكر الإسلامي، فالفلسفة اليونانية ليست أساسًا للفكر الإسلامي، ولاننكر أثرها على الفكر المعتزلي، لكنها ليس لها تأثير على الفكر الإسلامي الأصيل من منابعه الأولى القرآن والسنة.

فالفكر الإسلامي غني عن كل فكر يخالف أو يحارب شريعة الله، فقد جاء القرآن بالحق منزهًا عن النقائص، بل إن بعض علماء السلف حاربوا المنطق الأرسطي وردوا عليهم كما فعل ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين) ومن ثمَّ فالفكر الإسلامي ينبثق من الإسلام نفسه: من القرآن والسنة، وليس من محاولة التوفيق والتلفيق كما ادعاها بعض المستشرقين، وأتباعهم المستغربين.

وقد جعل بروكلمان النبي محمدًا ﷺ مدينًا للمعلمين المسيحيين تارة، وأخرى عارفًا من غير معلم معرفة سطحية بمادة الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) متجاهلاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ ، حيث يقول عن نبي الأمة صلوات الله وسلامه عليه:

«وهكذا نجده في عهده الأول يكثر من الإشارة إلى قصص هؤلاء الأنبياء، وإلى قصة موسى بخاصة، وليس من شك في أن معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مدينًا ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي، ولكنه مدين بذلك دينًا أكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرَّفوه بإنجيل الطفولة، وبحديث أهل الكهف السبعة، وحديث الإسكندر، وغيرها من الموضوعات

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٥)

التي تتواتر في كتب العصر الوسيط»[١].

وقد تناسى بعض المستشرقين أن القرآن الكريم صحح الكثير من الأخطاء المحرفة في التوراة، وأن التوراة لم تثبت سلامة نصوصها من التحريف، بعكس القرآن الكريم.

كما رد كثيرمن المستشرقين الدراسات الإسلامية إلى مصادر أجنبية، يقول الدكتور ساسي سالم الحاج بعد أن فرغ من دراسته للمبحث الرابع بعنوان (السيرة النبوية بالمدينة): «لقد رأينا أن من تعرضنا لدراساتهم حول السيرة النبوية حاولوا رد أصولها إلى عوامل خارجية تتمثل في الديانتين اليهودية والمسيحية. وهذه الهوة سقط فيها كل المستشرقين بلا استثناء. وقد انتهز هؤلاء القوم ذلك التشابه بين الديانة الإسلامية والديانتين السماويتين السابقتين لها فحكموا عليها بعدم الأصالة واعتبروها عالة على مقبلها من الديانات. ولكنهم لا يبرزون تلك الاختلافات الأساسية والجوهرية التي تفرق بينهما. وهذا خطأ منهجي بحت طالما أثبتنا عقمه، وعدم صحته، وتهافت حججه»[٢].

وأثار بعض المستشرقين موضوع صلة الشرع الإسلامي بالقانون الروماني، ورد عليهم بعض علماء المسلمين المدافعين[٣]. وهذا المنهج (الأثر والتأثر) أحد مناهج المستشرقين المتبعة لإرجاع الفقه الإسلامي إلى عوامل ومصادر خارجية في بيئات ثقافية أخرى وإصدار الحكم بمجرد وجود اتصال بين بيئتين، وظهور تشابه بينهما حتى وإن كان هذا التشابه كاذبًا؛ وذلك لاقتناع بعض المستشرقين بأن كل حضارة حديثة، إنما تستمد أصولها من الحضارة اليونانية، بناء على كون الحضارة الأوربية تأسست على الحضارة اليونانية.

---

(١) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، (ص: ٣٩)، ط ٥، دار العلم للملايين ـــ بيروت.١٩٦٨م..

(٢) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (٢ / ١٩٨)

(٣) انظر: الغزالي: محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،(ص: ٩٣) (بعنوان: هل استفاد الفقه الإسلامي من الرومان) ط٤، دار الكتب الحديثة ـــ مصر، عابدين ١٣٩٥هـــ / ١٩٧٥م، وانظر: الكبيسي: فاضل محمد عواد، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة، دراسة نقدية،(ص: ١٨١ ـــ ١٨٨)، (بعنوان: صلة الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني).

علمًا أن فقهاء المسلمين الأوائل لم يصرحوا بمثل هذا التأثر والاستفادة من القانون الروماني في الفقه الإسلامي في مؤلفاتهم، بل إن فقهاء المسلمين القدامى لديهم قناعة تامة بكمال الشريعة الإسلامية، لأنها وحي من عند الله،كما أنهم ليسوا على علم باللغة الرومانية، ولم يثبت المؤرخون في كتب التاريخ الإسلامي ترجمة الفقهاء لكتب القانون الروماني،وقد ثبت بطلان مثل هذه الدعوى من الناحية التاريخية، لأن القانون الروماني متأخر عن الشريعة الإسلامية.

قال الأستاذ أنور الجندي: «إن القانون الروماني متأخر عن الشريعة الإسلامية،...هذا فضلاً عن اختلاف الهدف، فالأول منها (الشرع الإسلامي) قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول، والثاني (الشريعة الرومانية) قائمة على المصالح والمنافع الدنيوية، ويبنى على هذا التخالف أن الشرع الإسلامي يمثل مصلحة الفرد في الدنيا والآخرة، بينما يمثل الشرع الروماني مصلحة الجماعة فقط، وكذلك فإن الشريعة الإسلامية وجدت كاملة دفعة واحدة، لم يزد فيها الفقهاء شيئًا، أما الفقه الروماني فهو أحدث، حيث لم يعمل به إلا في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر بعد الميلاد، أما قبل القرن الحادي عشر فإنه لم يكن معروفًا حتى عند الرومان أنفسهم. (والمعروف أن الشريعة الإسلامية نزلت في القرن السادس الميلادي) والمعروف أن الفقه الإسلامي قرر وصنف قبل ظهور الفقه الروماني بقرون، فكيف يكون متأثرًا بشيء لم يوجد بعد!وما قيمة هذا الزعم بالتأثر بالفقه الروماني، إذا كان مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة، والثوري، والأوزاعي، درسوا وألفوا وصنفوا قبل أن توجد القوانين الرومانية للرومان أنفسهم، بل إن الأصح هو أن الفقه الروماني مأخوذ من الفقه الإسلامي»(١).

ثم إن من مزايا التشريع الإسلامي عدم التمييز بين المتقاضين، بخلاف التشريع الروماني فأساسه التمييز العنصري بين المتحاكمين والمدنيين، فهو يفرق بين من هو من أصل روماني، وبين من لم يمت إلى الرومان بنسب، كما يفضل الخاصة على العامة، إذ يجعل للأولين الزعامة والقيادة والحماية، ويفرض على الآخرين الخضوع والانقياد والطاعة.

---

(١) الجندي:أنور، الموسوعة الإسلامية العربية،(٦)، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ واللغة والأدب والاجتماع،(ص: ٩٧ ــ ٩٨)،ط (بدون)، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧٤م.

وشاهد ذلك ماجاء في مدونة (جوستنيان) القانونية: «من يستهو أرملة مستقيمة أو عذراء، فعقوبته مصادرة أمواله إن كان من عائلة كريمة، وإن كان من بيئة ذميمة، فعقوبته الجلد، والنفي من الأرض»[١].

وممن دافع عن أصالة الفقه الإسلامي كما ذكر الأستاذ:عبد الخالق سيد أبو رابية،" العميد الدكتور عبد الرزاق السنهوري في كتابه (أصول القانون)، فقد فند فيه زعم أولئك المستشرقين، وأثبت بطلانه، إذ قال:

«لم تسلك الشريعة الإسلامية في نموها الطريق الذي سلكه الفقه الروماني، فإن هذا القانون بدأ عادة، ونما، وازدهر من طريق الدعوى والإجراءات الشكلية، أما الشريعة الإسلامية فقد بدأت كتابًا منزلاً ووحيًا من عند الله...»[٢].

ويكفينا أن نذكر بعض أقوال أساتذة القانون الغربي الذين شهدوا بامتياز التشريع الإسلامي وأصالته، كما أوردها الأستاذ أحمد محمد جمال في كتابه مفتريات على الإسلام: يقول الأستاذ يوسف زخريا — وهو مسيحي يقوم بتدريس الشريعة الإسلامية في الجامعة الأمريكية: أن الشريعة الإسلامية تمتاز عن سواها من الشرائع المعمول بها في عصرنا الحاضر: بأنها فضلاً عن كونها مجموعة القواعد التي يجب أن يتبعها كل مسلم بما حوت من أمر ونهي — هي أيضًا شريعة مدنية صالحة للأمم التي لا تزال تعمل بها، سواء كانت هذه الأمم مسلمة، أم غير مسلمة[٣].

ويقول (سانتيلانا)[٤]: إن الفقه الإسلامي ما يغني المسلمين في تشريعهم المدني، إن لم نقل ما يغني الإنسانية كلها[١]. وغير ذلك من أقوال رجال القانون الغربيين[٢].

---

(١) جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، (ص: ٥٤ — ٥٥).

(٢) أبو رابية: عبد الخالق سيد، في جولة مع المستشرقين، (دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة،(ص: ١٣٥ — ١٣٦)، ويشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، العدد:١٧٩، السنة السادسة عشر ١٥ من صفر سنة ١٣٩٦هـ— ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٦م.

(٣) عن كتابه (المحاضرات الشرعية) نقلا من حاشية الكتاب.

(٤) سانتيلانا: مستشرق إيطالي من أصل يهودي، ولد في تونس، والتحق بجامعة (روما) وحصل على الدكتوراه في القانون، واشتهر بدراسة الفقه المالكي، ووضع القانون المدني والتجاري لتونس معتمدًا على الشريعة الإسلامية، =

ثالثا: جمع الروايات الشاذة والغريبة للطعن في الدين الإسلامي:

لقد أخذ بعض المستشرقين بالخبر الضعيف الشاذ في بعض الأحيان، وحكموا بموجبه، واستعانوا بالشاذ الغريب، لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك، كما فعل أرثرجفري حينما تناول مصنف ابن أبي داود (المصاحف) الذي يشتمل على روايات شاذة تلقفها أرثرجفري من بطون الكتب نحو: (البرهان) للزركشي و(الإتقان) للسيوطي، ليطعن بها في القرآن الكريم ــ حتى أصبح فيما بعد ــ طعمًا لأعداء الإسلام والمتخرصين بحيث لا يرون إلا مثل هذه الروايات الشاذة وأمثالها يبنون عليها حقائقهم وافتراءاتهم، وبالرغم من أن علماء الجرح والتعديل قالوا عن ابن أبي داود إنه كثير الخطأ، ويصفه أبوه بالكذب، إلا أن بعض المستشرقين دافعوا عنه بقولهم:

إن بعض المستشرقين اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صادقة. لكن آرثرجفري للأسف ساق ما يكذب دعواه حينما قال: يغلب على الظن أن هذه التهمة إنما نشأت من كونه يروي أحاديث شاذة لا يرضى عنها أهل النقل[3][4].

كما يهدف بعض المستشرقين إلى التشكيك في الوحي، وفي عقيدة التوحيد بذكر الأخبار الشاذة لتشكيل أرضية صلبة للبنية الاستشراقية،من ذلك:اعتماد بعض المستشرقين قصة الغرانيق التي أشار إليها أكثر من مفسر ومؤرخ وباحث إسلامي، منهم الطبري[5]،

وكان مولعا بدراسة التصوف ومن كتبه: نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك». (انظر: بدوي: عبد الرحمن، المستشرقون،(٣٤١ ــ ٣٤٢).

(١) عن كتاب (روح السياسة) نقلا من حاشية الكتاب.

(٢) انظر: جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، (ص:٥٦).

(٣) انظر: السجستاني: الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ت ٣١٦هـ، تحقيق: د.آثر جفري، مقدمة كتاب المصاحف،(١ / ١٢) ،ط ١، (المطبعة الرحمانية ــ مصر، ١٣٥٥هـ /١٩٣٦م، ومعه ملحقه الذي نشرسنة١٩٣٧م، طبعة ليدن.)

(٤) سنتعرض لهذه المسألة ــ إن شاء الله ــ في حديثنا عن موقف المستشرقين من القرآن الكريم. (القراءات والقراء)

(٥) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير ٢٢٤ ــ ٣١٠هـ، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)،(٢ / ٣٣٨ ــ ٣٣٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

وابن إسحاق، والواقدي، وأبو الحسن النيسابوري[١]، في كتابه (أسباب النزول).

وقد تمسك بعض المستشرقين بتلك القصة في جميع كتاباتهم المتعلقة بالقرآن، والسيرة، والتاريخ الإسلامي العام، بتعليقات مكيفة حسب أهوائهم، كما يفعلون في جميع تناولهم للقضايا الإسلامية، مع أن القصة ساقطة تماما بمقاييس النقد الحديثي[٢].

يقول بروكلمان تعليقًا على قصة الغرانيق: «ومع الأيام أخذ الإيمان بالله يعمر قلبه، ويملك عليه نفسه فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى. ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبروهما بنات الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى»[٣].

ومن الروايات الشاذة أيضًا:ما ذكره مونتغمري وات عن الآيات الإبليسية في كتابه (محمد في مكة[٤]).

كذلك جولد تسيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامية) يأتي إلى القراءات غير المعتمدة، والشاذة، أوغير الثابتة التي حكم عليها العلماء بالرفض، أو إلى بعض الكلمات التي هي تفسيرات لكلمات، أو جمل قرآنية، فيزعم أنها من القراءات محاولاً بذلك التشكيك في القراءات المشهورة، والتشكيك في استقامة النص القرآني، وبالتالي التشكيك في سلامة معاني نصوص القرآن.ومن أمثلة ذلك قوله في معرض حديثه عن القراءات: وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماما، ويوضع ماهو نقيضه[٥].

واستدل على زعمه هذا بقراءتين في قوله تَعَالَى:﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ

(١) انظر: النيسابوري: أبي الحسن علي بن أحمد الو احدي، أسباب النزول، (ص: ٢٠٨ ــ ٢٠٩)، طبعة مؤسسة الحلبي ــ القاهرة.

(٢) للتوسع انظر كتاب: (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: ٣٤)، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي.

(٤) انظر: وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص ١٧٠)، تعريب شعبان بركات.

(٥) انظر: تسيهر: أجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامية (ص: ٢٩ــ ٣١)، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، ط٢، دار اقرأ ــ بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الروم: ١ - ٤، القراءة المشهورة والمعتمدة (غُلبت) بالبناء للمجهول(سيغلبون)بالبناء للمعلوم. فعليها المغلوبون هم الروم والغالبون هم الفرس في البداية، ثم يكون الأمر عكس ذلك في النهاية. والقراءة الثانية غير المعتمدة غير المعتبرة (غلبت) للمعلوم (سيُغلبون) بالبناء للمجهول. فعليها الغالبون هم الروم والمغلوبون هم العرب، ثم في النهاية ينعكس الأمر، فيتغلب العرب المسلمون على الروم.فعلى الرغم من عدم الاعتداد بالقراءة الثانية وعدم اعتمادها إلا أن(جولد تسيهر) يأتي إلى القراءتين زاعما وجود تعارض أو تناقض بينهما، مع أنه لا تناقض ولا تعارض بين القراءتين لاختلاف الموضوع بينهما، بل على الافتراض بصحة القراءة الثانية فالمعنى سليم حيث قد تحقق هذا التنبؤ على كلتا القراءتين في غضون عشر سنوات، فأي تناقض يدعيه (جولد تسيهر)؟

وهكذا نراه يورد قراءات جاءت في أحاديث الآحاد التي لاتثبت قرآنا، ويستدل بقراءة من لم يكن من طائفة القراء المعتد بهم[1].

رابعا: المدح والذم (منهج التمجيد):

يمدح بعض المستشرقين الإسلام كوسيلة لوضع الغشاوة علـى الأعـين، وكمـدخل للتخريب من الداخل، بحجة أن الخير ماشهد به العدو، لتهيئة قبول الفكر الغربي من خـلال التخدير الثقافي عندما يحركون غريزة الزهو لدى المسلمين بذكر أمجادهم الماضية، ودعمهم بجرعات الفخر والاعتزاز، والاستغراق فيه على حساب الحاضر حتى يكونوا قادرين علـى السيطرة الفكرية، وسلب الإنتاج الفكري الفعلي لوقف آليات الفهـم، وتبقـى الـصناعة الفكرية غربية بحتة.وكذلك نجدهم يمتدحون أعلام أهل السنة والجماعـة ويـذمونهم في آن واحد من هذا المنطلق ـــ كما سيأتي بيانه في موضعه.

وقد ركزوا على كتب التاريخ الإسلامي أكثر من القرآن والسنة في كتاباتهم، مع العلم أن التاريخ لا يخرج عن أن يكون اجتهادًا فكريًا بشريًا، قد يكون صحيحًا أو خطًا، فاعتبار التاريخ هو مصدر الدين لدى المسلمين فيه الكثير من السلبيات والإصابات، والصواب منـه ماكان تنفيذًا للقيم والتعاليم الإسلامية الصحيحة الواردة في الكتاب والسنة، وهو محل العظة

(١) انظر: تسيهر: إجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامية، تعليق النجار، (ص ٢٥)

والعبرة، ولايمكن بأي حال من الأحوال أن يكون النص التاريخي كالنص الإلهي.لكن فن المديح لدى بعض المستشرقين والإشادة بحضارتنا، وهو من أساليب التمجيد المستخدم لدى بعض المستشرقين جعلنا نعيش في حالة من الاسترخاء، والاكتفاء بالإشادة بأمجاد الأجداد. ونلاحظ أن دراسات بعض المستشرقين لا تخلو من الإطراء لبعض الدراسات الإسلامية، والعمل على إبرازها، لكن سرعان ما تجدهم يقومون بهدم الجوانب المضيئة التي عمدوا إلى إبرازها، وتسليط الرؤية الغربية عليها.

ومن أمثلة ذلك: دراسة مونتجمري وات في كتابه (محمد بمكة) نجده يرفع من قدر النبي محمد ﷺ عند الغرب، ويشيد بعزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، ثم يختم قوله معلقا:

«فاتهام محمد بأنه دجال (Imposteur) يثير من المشاكل أكثر مما يحل. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُط من قدرها في الغرب كمحمد»[1].

ثم عمل على إبراز حياديته في دراسة سيرة محمد ﷺ حيث يقول: «أما فيما يتعلق بالمسائل الفقهية التي أثيرت بين المسيحية والإسلام فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منه »[2].

وختم دراسته في كتابه(محمد في المدينة) مفندًا المزاعم التي أثيرت ضد النبي محمد ﷺ ومشيدًا بعظمته، ومابين المقدمة والخاتمة لا يجد الباحث سوى منهجية خاطئة، وتلاعبًا بالألفاظ. ويستخدم بعض المستشرقين منهج التمجيد للمغالطة والإيهام، وهو أسلوب ماكر، فالمستشرق إنجمار كارلسون بالرغم من أسلوبه في التشكيك في الإسلام في حديثه عن الآيات الاقتصادية في القرآن في الفصل الرابع ـــ كما يزعم ـــ (الاقتصاد الإسلامي طريق ثالثة بين الرأسمالية والاشتراكية) نجده في الفصل الخامس في حديثه عن موضوع (إسلام أوربي أم إسلام العزلة) نجده يمجد الإسلام قائلاً:

«إن تعليم التلاميذ عن الإسلام لا يجب أن يقتصر على التطوير فحسب، بل يجب أن يصبح إلزاميًا أيضا في مدارسنا، ويجب على كلا الطرفين نبذ الاتهامات و(شيطنة) الطرف

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٩٤)، تعريب شعبان بركات.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٥)، تعريب شعبان بركات.

المقابل.إن الجهل يولد الكراهية، والأحكام الجزافية المسبقة، وعلى وسائل الإعلام أيضًا تصحيح مفاهيمها عن الإسلام، ونبذ الصورة النمطية والقوالب المسبقة التي تنشرها عن الإسلام»[1].

---

(١) كارلسون: إنجمار، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، (ص: ١٤٢)، ترجمة: سمير بوتاني.

المبحث الثالث

التحريف

أولا:التشكيك في النصوص الإسلامية الصحيحة

شكك بعض المستشرقين في الآيات القرآنية، وزعموا أن بعض الآيات مدسوسة، يقول المستشرق الفرنسي (دومينيك سورديل) في حديثه عن جمع القرآن الكريم:

«وقد استقرت إحدى نسخ القرآن الأم في دمشق، وأخرى في الكوفة، وثالثة في البصرة. بينما وضعت النسخة الرابعة في حمص. وعندئذ قرر الخليفة عثمان جمع اللجنة التي عملت بإمرة زيد، ووضع النص الرسمي للقرآن على أساس مصحف حفصة. وبقي النص الأصلي في المدينة. بينما أرسلت نسخ عنه إلى المدن التي كانت قد انتشرت فيها نصوص مختلفة. إن هذه النسخ التي لا تزال أقدم نسخة منها محفوظة، والتي يعود تاريخها لسنة ٧٧٦م، لا تجزم بأنها تحوي على كل الآيات المتزلة. فهي تضم دون شك آيات يزعم أنها مدسوسة. وليس ثمة ما يستأهل أي اشتباه بأصالة النصوص التي أجمع عليها المسلمون»(١).

وكتب شاخت في دائرة المعارف الإسلامية مادة (أصول) قوله: «إن أول مصادر الشرع في الإسلام، وأكثرها قيمة هو الكتاب، وليس هناك من شك في قطعية ثبوته، وتنزهه عن الخطأ على الرغم من إمكان سعي الشيطان لتخليطه. ويقول أيضاً: كما أنه ليس من شك أيضا في أنه وصل إلينا من غير تحريف، على الرغم من نسيان الرسول لعدة من آيات الكتاب»(٢).

ثانيا: بتر النصوص الصحيحة واستنباط الأحكام الكلية من الحوادث الجزئية:

ومن أمثلة بتر النصوص الصحيحة استشهاد (آرثر جفري) ببعض الحديث المروي عن البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب، حيث ترك الجزء الأخير منه لأنه يدل على خلاف ما أراد مقتصرًا على جزء من الحديث،

---

(١) سورديل: دومينيك، (ص: ٩٢)، ترجمة: سليم قندلفت.

(٢) دائرة المعارف(٣/ ٣٨٣) (طبعة الشعب) وانظر:(٢ / ٢٦٦ ــ ٢٦٧ ــ ٢٦٨) (الدائرة الأولى)

ماروي عن زيد بن ثابت قال: ((قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء))[١] ، بهدف إثبات أن الرسول مات دون وجود كتاب بين يدي أصحابه للتشكيك في الحفظ، والطعن في الكتابة، وما رواه البخاري يدل على أن القرآن جمع في عهد أبي بكر بمشورة عمر رضي الله عنهما، مما كتب في عهده ﷺ من صدور الرجال وإن كان ما كتب في عهده ﷺ مفرقًا في العسب[٢] واللخاف[٣] والرقاع[٤] والأكتاف[٥]، وكان الدافع وراء ذلك هو مقتل كثير من حفظة القرآن في موقعة اليمامة[٦].

ويتحدث (إنجمار كارلسون) عن الآيات الاقتصادية في القرآن كما سماها ـ كأنما يصف الإسلام بأنه يجيز السرقة قائلاً: «أمر الإسلام أيضًا بإشباع حاجات الفقراء الأساسية، لأن لهم حقًا معلومًا في أموال الناس وأرزاقهم؛ لأنها أموال الله وأرزاقه أصلاً، ويجوز للفقير المهدد بالهلاك أن يستولي بالقوة على الزاد الذي يحتاجه للبقاء على قيد الحياة، إذا كان هذا هو السبيل الوحيد أمامه، وإذا أمسك أصحاب المال عن رزقه الضروري»[٧].

ومن باب التشكيك أيضًا اعتمادهم على أقوال باطلة ردها العلماء المسلمون بدلائل علمية، فتجاهلوا الردود والدلائل، وركزوا على الفلسفة وعلم الكلام وأبحاث أهل الاعتزال، والباطنية، والخلافات السياسية.فالحكم قائم على استقراء ناقص لا يثبت دليلاً يعتمد عليه. لأن الغالب على أبحاث بعض المستشرقين وضع الهدف والنتيجة ثم تلمس

---

(١) انظر فتح الباري (ج٩ / ١٢)

(٢) العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.(انظر: السيوطي: الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، الاتقان في علوم القرآن،(٢ / ٣٨٦)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة للشؤون العلمية، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية.)

(٣) اللخاف: بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة، آخره فاء، جمع لخفة، بفتح اللام وسكون الخاء وهي الحجارة الدقاق، وقال الخطابي: صفائح الحجارة. انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦)

(٤) الرقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.(انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (٢ / ٣٨٦)

(٥) الأكتاف: جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه. (انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (٢ / ٣٨٦)

(٦) انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (٢ / ٣٧٩)

(٧) كارلسون: إنجمار، الإسلام وأوربا تعايش أم مجابهة، (ص: ١٠٠)، ترجمة: سمير بوتاني.

الأدلة، وذلك لأن أهواءهم وميولهم الشخصية تسبق العلمية في الكثير من مناهجهم.مثال ذلك نجد (جوتشالك Gottschalk)[١] في كتابه (الإسلام قوة عالمية متحركة) يرجع هزيمة أبرهة في حملته على مكة إلى انتشار الطاعون في جيوشه، ومفهوم جمهور علماء المسلمين أن جيش الحبشة قدم مكة لهدم الكعبة المشرفة بقيادة أبرهة الأشرم الحبشي أمير اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة، ومعه الفيل، فسلط الله عليه طيرًا جاءهم من جهة السماء جماعات متتابعة، بعضها في إثر بعض، هبت عليهم من كل اتجاه، فرمتهم بحجارة من سجيل فأهلكتهم[٢].

فنرى بعض المستشرقين قد تجاهلوا رمي الطير الحجارة على جيش أبرهة، وركزوا فقط على أن سبب الهزيمة الريح التي حملت الوباء دون ذكر الطير التي تحدث عنها القرآن.

ثالثا: تبديل وتحريف العبارات:

يقول الأستاذ سالم علي البهنساوي:في معرض حديثه عن: تحريف النصوص بين المستشرقين وعلماء الشهرة:

«فالمستشرقون وأتباعهم هم الذين يشككون في السنة، فقد كذب اليهودي (جولد تسيهر) على الإمام الزهري فنقل عنه (إن الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث) بينما ما قاله الزهري هو (إن الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث) أي على تدوين السنة النبوية... فالتعريف لكلمة الأحاديث تفيد أن الإكراه وقع على كتابة الأحاديث النبوية، أي على تدوينها، لأن الزهري كغيره ممن دونوا السنة كانوا يتحرجون من التدوين لأن النبي ﷺ كان قد نهى عن كتابة السنة، وقال ((لا تكتبوا غير القرآن، ومن كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه)) رواه مسلم[٣].

ولقد أراد النبي ﷺ بذلك حفظ خاصية الإعجاز للقرآن فمنع التدوين العام للسنة. ولكن الأمراء لما وجدوا أن السنة قد دخل عليها ما ليس منها بفعل الملحدين والمنافقين

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) انظر: شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٢٩)

(٣) سيأتي تخريجه.

ووجدوا أن القرآن قد جمع وكتب، وقد حفظ، ومن ثم فلا خوف من أن يختلط بالسنة، أمروا بكتابة الأحاديث النبوية، فجاء الخليفة عمر بن عبد العزيز وأمر طارق[١] بن شهاب الزهري بمباشرة هذه المهمة. فسجل الزهري ذلك فيقول إن الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث.فأتى (جولد تسيهر) فحرف الكلمة ونقلها (أكرهونا على كتابة أحاديث). وهذا يقلب المعنى إلى نطاق وضع الأحاديث النبوية. وجولد تسيهر يريد بهذ التحريف أن يسبغ شرعية لحقده وأهدافه التي وردت في كتابه:

(العقيدة والشريعة)إذ زعم أن ألوف الأحاديث هي من صنع العلماء»[٢].

هذه من تحريفات جولد تسيهر للنصوص الإسلامية عن طريق اتهام الإمام محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري بأنه كان مستعدًا لوضع أحاديث لبني أمية؛ ليضعف الثقة بمروياته وأحاديثه، وإذا ذهبت الثقة به فقد ذهبت الثقة بكتب السنة كلها لأنه أول من دونها.

وقد أشار فؤاد سزكين إلى أن جولد تسيهر لم يصب في فهم كثير من المواضع بسبب الترجمة الخطأ مثبتًا أن تدوين الأحاديث إنما يرجع إلى وقت مبكر وأنه لم يكن الزهري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المتناثرة في كراريس مختلفة[٣].

ومن خلال دراسة كتاب مختصر حياة محمد (م. سفاري) ضمن كتاب: (السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون) نجد كثيرًا من العبارات المحرفة، والتي أشار إليها الأستاذ الدكتور عبد المتعال محمد الجبري ضمن تعليقاته على المادة العلمية للكتاب في معرض نقده، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

ـ عند الحديث عن موضوع تجديد بناء الكعبة ادعى أن الرسول وضع بساط مع أنه وضع رداءه باتفاق المؤرخين.

---

(١) والصواب: محمد بن مسلم.

(٢) البهنساوي: المستشار سالم علي، السنة المفترى عليها، (ص: ٣١٤)، ط ٣، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دار الوفاء ـ المنصورة، دار البحوث العلمية ـ الكويت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٣) انظر: سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ـ الجزء الأول، ٧٥ ـ ٧٦، نقله إلى العربية: د.محمد فهمي حجازي، راجعه: د.عرفة مصطفى، د. سعيد عبد الرحيم، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي سلمان بن عبد العزيز، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

ـــ زيادة مفتعلة لم يذكرها أبو الفداء في الحديث عن الدعوة العامة، وعلق د.الجـــبري على إضافة ما ورد على لسان نبيه الكريم قوله: وقد أمرني الله أن أدعوكم إليـــه. فـــأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم.

يقول الجبري (أضاف النص الفرنسي، ويكون وزيري، ويكون قائد جيشي. وهي زيادة مفتعلة[١] لم يذكرها أبوالفداء...ثم عقب قائلاً: وهكذا يحرص الكاتب منذ البدء، وفي خواتيم الكتاب على إبراز الرسول وصهره ودينهما في صورة المحارب وفي صورة وحـــشية، ولهـــذا أضاف الكاتب من نسج خياله الكاذب قوله: وقائد جيشي.ثم قال: والقصة لم يصح منـــها إلا دعوة عشيرته الأقربين، أما ما جاء بشأن علي بن أبي طالب والوصية له، فهو من خيـــال فسقة الشيعة حينما لعبت بهم الأهواء السياسية، وقد ردده أيضا در منجم في كتابه (حيـــاة محمد..ص٩٢ ط٢)...[٢].

ـــ وضع زيادات تخدم أحقاد بعض المستشرقين نحو: اتهام قريش النبي بحماسته المتهورة فيه زيادة من الكاتب للإيحاء بأن حركة الإسلام كانت دفعة شباب[٣].

ورواية سفاري على لسان أبي طالب (إني أستهجن سلوكك) فهي زيادة وافتراء علـــى التاريخ[٤]، ووصف الرسول بالمبتدع الخطير[٥]. والتزوير في الأسماء نحو تسمية أخت عمـــر بن.الخطاب بأمينة، والمعروف أن اسمها فاطمة وليس كما قال سفاري[٦]. ووصف الـــبراق بأنه رمادي فضي كما صوره خيال سفاري[٧]. ووصف ثمرة سدرة المنتهى بقوله: وبلغـــت ضخامة هذه الشجرة أن ثمرة واحدة منها تكفي غذاء لجميع مخلوقات الأرض يومًا كـــاملاً. وهذا الوصف لهذه الشجرة من خيال سفاري، والبخاري لم يصف ثمرة السدرة بمـــا قالـــه

(١) الأولى (زيادة موضوعة)

(٢) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري (ص ٧٤ ـــ٧٥)

(٣) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٧٩)

(٤) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٨٠)

(٥) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٨٦)

(٦) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٨٣)

(٧) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٩٦)

سفاري،فقد ورد وصف الثمرة في السنة: «فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة»[١].

رابعا: نفخ بعض الأخطاء اللفظية في بعض التسميات:

نحو: إطلاق لفظ (مصحف فلان) على بعض القراءات، وهذا اصطلاح غير دقيق، إذ يوهم الاختلاف بين مصاحف الصحابة والمصحف الإمام (مصحف عثمان بن عفان ـ ﷺ)، مما يشعر باستقلالية كل مصحف، حتى ليوضع لمصحف أبي موسى الأشعري ﷺ اسم يشعر بذلك فيسمى (لباب القلوب!) بالرغم من أن فيه فقط أربع صور من الاختلاف اثنين منها يخرجان على أنهما قراءتان، والآخرين على أنهما روايتان تفسيريتان، وهذه المسميات للمصاحف التي ذكرها ابن أبي داود وأمثاله قديمًا تناولها بعض المستشرقين ونفخوا فيها حديثًا، فادعو اختلاف مصاحف الصحابة (الخاصة) عن المصحف العثماني، وهم لا يدركون أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وما افتروه مخالف لإجماع المسلمين من أن القرآن يستحيل أن يقع فيه تحريف لكفالة الله له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩، كما أن المستشرق آرثر جفري أصبح يتلمس القراءات الشاذة والروايات التفسيرية بين مصحف الإمام عثمان بن عفان ﷺ ويثبتها على أنها قرآن وقد ألحقها بكتابه الذي حققه، حيث جمع (٣٦٠) صفحة ألحقها بكتاب المصاحف الذي حققه والذي لا يتجاوز (٢٢٣)[٢].

خامسا: بناء النتائج الخاطئة على المقدمات الصحيحة:

يقول موريس بوكاي: «وكذلك فإن مجموعات الحديث هي مثل الأناجيل من حيث إنها لم تعتبر كلها صحيحة ثابتة، ولهذا فإن أصحاب الإحصاء في علم الحديث لم يقبلوا من هذه الأحاديث بصورة شبه إجماعية إلا عددًا قليلاً منها، وأصبح من الممكن أن يوجد في نفس المجموعة الواحدة أحاديث مظنون فيها، أو مرفوضة قطعًا إلى جانب الأحاديث التي

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص: ٩٧)

(٢) انظر: عبد العال: د. إسماعيل سالم، المستشرقون والقرآن، (ص: ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٧)، سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد ١٠٤، تصدرها رابطة العالم الإسلامي، مكة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

اعتبرت صحيحة»[١].

ويقول مؤكدًا هذا الفهم: «فإن مجموعة الأحاديث ـــ حتى تلك التي تعتبر بوجه خاص أنها صحيحة ـــ قد خضعت كلها لفحوصات نقدية عميقة قام بها أساتذة الفكر الإسلامي لتحديد درجتي القبول والعمل بها»[٢].

فقد قام موريس بوكاي بنقل أخبار تفتقر إلى الرواية الصحيحة، وماهي إلا مجرد آراء شخصية للطعن في السنة النبوية، معتمدًا على ما قام به المحدثون من نقد لروايات الأحاديث لتمييز الثابت منها عن النبي ﷺ من غير الثابت عنه، زعمًا من هذا المستشرق وأمثاله من المستشرقين بأن هذا الطعن في السنة قد قام به المحدثون أنفسهم. وهذا الأمر يشكك في كتابة السنة، وصحة الأحاديث، بدليل قوله: إن علماء الأحاديث لم يقبلوا من الحديث بصورة شبه إجماعية إلا عددًا قليلاً منها، حتى الأحاديث التي اعتبرت بوجه خاص صحيحة قد خضعت كلها لفحوصات نقدية عميقة من قبل أساتذة الفكر الإسلامي لتحديد درجة القبول والعمل بها. وكيف يكون ذلك والأحاديث على حد تعبيره صحيحة..لا يخفى مافي هذا الأسلوب من مغالطة. فالحديث الصحيح مقبول ابتداء، وهو بهذا يريد الوصول إلى نتيجة خطيرة تتركز على جانب التشكيك في السنة، ومن ثم عدم الوثوق بها.

سادسا: عدم الدقة في استعمال المصطلحات:

يسعى بعض المستشرقين إلى عدم الالتزام بالمصطلحات الإسلامية، وهذا خلط ينتج عنه التضليل، وتمييع الأحكام الشرعية.

و: «استعمال المصطلحات ذات العلاقة بالإسلام يمثل ظاهرة مرضية في منهج البحث الاستشراقي، فهو مجال واسع دخلت منه الإساءة والتشويه إلى الدين والفكر الديني في الإسلام، ومن ذلك مثلاً استعمالهم لمصطلح الإسلام حين التعبير عن المسلمين، وشتان مابين المصطلحين في المعنى، ولكن الغرض واضح

(١) بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص: ٢٨٠)، ط٢، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٤م.

(٢) بوكاي: د.موريس، (القرآن والإنجيل والعلم)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة(ص: ٢٨٠ ـــ ٢٨١)

يتجلى في تقديم الإسلام من خلال سلوك المسلمين وتصرفاتهم، وهو أمر يسهم في الحد من انتشار الإسلام، لأنه يتعمد إخفاء الحقائق عن الآخرين»[١].

وهناك مصطلحات إسلامية يترتب عليها ثواب وعقاب مثل: مؤمن وكافر، فنجد بعض الكتاب المستشرقين يستخدمون مصطلحات وافدة من بيئة غير إسلامية، واستخدامها في كتاباتهم عن التاريخ الإسلامي، كالتقدمي والرجعي، ومعلوم أنه في الشريعة الإسلامية لا ينظر إلى المصطلح والوصف الذي يطلق، وإنما ينظر إلى موقف من يوصف بذلك المصطلح من الشرع أو عدمه فقد يكون الرجعي ممدوحًا ويكون ذلك من باب التنابز بالألقاب المنهي عنه شرعًا.وكذلك يكثر في كتابات بعض المستشرقين استعمالهم لمصطلح (الدين المحمدي) بدلاعن (الدين الإسلامي) حين التعبير عن الديانة الإسلامية، وشتان مابين المصطلحين في المعنى، ولكن الغرض واضح يتجلى في تقديم الإسلام من خلال وصفه بالدين المحمدي لإثبات بشريته وأنه من اختراع نبينا محمد ﷺ من باب تشويه الحقائق وتقليص انتشار الإسلام.

ومن المصطلحات الغربية قول المستشرق هـ. أ، ر. جيب:

«ولا شك أن نظرتي إلى الإسلام هي نقيض ذلك فالكنيسة الإسلامية وأعضاؤها يشكلون معا مزيجا متشابها...»[٢] فمصطلح الكنيسة مصطلح غربي غير مستعمل بين المسلمين البتة.

سابعا: استخدام منهج التعميم:

اعتمد بعض المستشرقين في كتاباتهم العلمية على أسلافهم المستشرقين الذين غلبت على أبحاثهم صفة العموم والشمولية في نتائج دراساتهم الاستشراقية، مما جعل أغلب دراساتهم تتسم بالنقص، والتشويه، والبعد عن المنهج العلمي الدقيق.و: «يتحقق هذا المنهج باستخدام كلمات غير علمية وغيردقيقة، كلفظ (كل) الذي لايمكن استخدامه منهجيًا، إلا وفق منطق

---

(١) الزياد: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، (ص: ١٢٢)

(٢) جيب: هـ. أ. ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، (ص: ٢٢)، ط (بدون) منشورات دار مكتبة الحياة ـــ بيروت ١٩٦٦م.

إحصائي يعتمد على التأكد من جزئيات الموضوع، ومثل هذا يمكن أيضًا أن يرد حين ذكر القاعدة أو الراوي دون إيراد شواهد أو أدلة علمية. ومن التعميم أيضًا عدم ذكر المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، ومنه كذلك تعمد عدم ذكر من يستشهد بآرائهم، كأن يقال: ويذكر بعض العلماء. أو: وقد قال بعض الباحثين والمفكرين، دون أن يشار إلى نموذج منهم. مثل هذا المنهج يفقد صفة العلمية لأنه يفقد الدقة واليقين، ويميل إلى المراوغة، وهذه صفات تهد أساس البحث العلمي»[١].

وهذا المنهج دليل على عدم استقصاء النصوص، وهم يرون فيه تحقيقا لأهدافهم وترويجًا لأباطيلهم.

ثامنا: عدم الإشارة إلى المصادر:

كتب فنسك عن السنة في دائرة المعارف مانصه:

«بل ذهب المسلمون إلى أبعد من ذلك، فقالوا: السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة»[٢].

وعلق الأستاذ أمين الخولي على هذا بقوله:

«ليس من الصواب إطلاق الكاتب القول هكذا دون أن يعزو هذا إلى قوم بأعينهم، ثم يترك هذا الكلام دون نسبته إلى مصدر نقل عنه هذا النقل...فالمنهج كما يبدو غير سليم في الناحيتين»[٣].

فغالبية المستشرقين يجيدون اللغة العربية، ويدرسونها في جامعاتهم وهذا واضح من خلال تراجمهم؛ مما يدل على تعمدهم الدس والتشويه في العقيدة الإسلامية الصحيحة، لكنهم مع ذلك يعوزهم الرجوع إلى المصادر الأصلية لكتابة المواد العقدية الموافقة لمنهج أهل السنة والجماعة، وهم في الواقع اعتمدوا على كثير من المصادر الاستشراقية. إلى جانب عدد ضئيل من المصادر الإسلامية الصحيحة التي كان الاستشهاد بها على سبيل التشكيك، نحو:

---

(١) الزياد: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، (ص: ١٢٣)

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١٢/ ٢٨٣ ــ ٢٨٤ (الدائرة الأولى)

(٣) حاشية دائرة المعارف الإسلامية، الحاشية رقم (١) (١٢/٢٨٣ ــ ٢٨٤)، (الدائرة الأولى)

«ثم دخل على الحديث فيما بعد زيادات وتغييرات كثيرة، وأول هذه الزيادات ماكان خاصًا بالأساطير، ثم جعلت الأحاديث صفات الله أكثر وضوحًا، وفصلت الكلام في صلته بالملائكة والجن، وأصبح الكلام في فعل الله معقدًا، نجد هذا كثيرًا في صحيح البخاري، وبخاصة في كتاب التوحيد، وبدء الخلق»(١).

و: «ذكر روايات لم يقل بها أحد، أو إيراد أحاديث أو نصوص تفسيرية ونسبتها إلى غير قائلها في محاولة للوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة العلمية، ولإخفاء جرائمهم لا يشيرون إلى مصادرهم، وعدم ذكر المصادر وحده خروج عن منهج البحث العلمي السليم»(٢).

وغالبية المستشرقين يعتمدون على آراء ردها علماء الإسلام، مثل قولهم إن المراد بصفة الوجه لله تعالى هي الذات الإلهية،(٣) وإن المراد بالتوحيد هو القول بأن لا إله إلا الله، أو القول بالحلول(٤).

«فالمستشرقون يتوارثون آراء معينة ينقلها أحدهم عن الآخر دون مراجعة أو تدقيق، خاصة تلك المسائل التي لها علاقة بالقرآن، أو النبي، أو السنة أوغير ها، مما له صلة بها، وهذا الأمر سبب في أن تكون هناك ما يشبه المصادر الثابتة في حركة الاستشراق، تمثلت في تربع بعض المستشرقين على عرش الدراسات الإسلامية»(٥).

تاسعا: استخدام المنهج الجدلي:

الجدل هو: «نزاع ومراء وعناد، وإثارة شبهة وإشاعة مغالطات، وإعراض وتملص، باستعمال أساليب لا يقرها منهج، ولا يرتضيها منطق لعدم استنادها على سلطان ولا على برهان من عقل، ولبعدها عن الموضوعية، وانغماسها في الذاتية ومقتضيات الهوى وعدم

---

(١) دائرة المعارف،(٢ / ٥٧٠ ـــ ٥٧١)

(٢) الزياد: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، (ص: ١١٨)

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،(٢/ ٥٦٩) (الدائرة الأولى)

(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ،(٥/ ٥٢٨)(الدائرة الأولى)

(٥) الزياد: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله (دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، (ص: ١٢٠)

تخلصها من المنفعة المصلحية»[١].

إن الجدل في قضايا الإسلام العقدية وغيرها منهج التزم به بعض المستشرقين على سبيل المنازعة لا على سبيل دفع الباطل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الكهف: ٥٦.

وهذا هو النوع من الجدل المذموم يرتكز على الهوى والتعصب، ليس له هدف إلا الخصام فقط، المبني على الذاتية والتعصب، ويفتقر إلى العقل والرصانة والحكمة، ولم يلتزم الجدل الاستشراقي بالطرح الصحيح في الدراسات الإسلامية، كما أنه لم يستطع التخلص من العداوة الموروثة والتواطؤ الاستعماري والكنائسي، وهذا النوع من المنهج ظهر في دراستنا حول موقف بعض المستشرقين من بعض أعلام أهل السنة والجماعة،حيث ناظر بعض المستشرقين بعض أعلام الدعوة المعاصرين ، فكانت المناظرة بين الطرفين سواء عن طريق المشافهة أو الكتابة عبر المراسلات، وفي أوساط المجلات، ومن هؤلاء: الشيخ رحمت الله الهندي، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد بن باديس، وكانت تلك المناظرات للدفاع عن الدين مع الغرب النصراني.

(١) التومي: محمد، الجدل في القرآن الكريم فعالية في بناء العقلية الإسلامية، (ص: ١١)، سلسلة دراسات قرآنية (٢)، طبع الشركة التونسية ـــ تونس ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م.

المبحث الرابع

المنهج التطوري

يهدف بعض المستشرقين إلى تعزيز فكرة مسبقة، وهي أن الرسالة أو العقيدة الإسلامية لا علاقة لها بالوحي الإلهي، بل هي فكرة بشرية تطورت في نفس الرسول ﷺ مع محاولة إثبات أن القرآن الكريم من تأليف النبي محمد ﷺ وهو من إملاء عقله الباطن، وشخصيته غير الواعية، فالقرآن من عالم اللاوعي ــ في نظر بعض المستشرقين ــ كل ذلك لأجل إثبات دعوى بشرية القرآن، وحاشا أن يكون الرسول مؤلفًا وكاذبًا لأن القرآن الكريم من لدن حكيم عليم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ النمل: ٦.

إن موضوع التطور ثابت، وهو سنة إلهية في هذا الكون، فالإنسان خلقه الله أطوارًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾ نوح: ١٤، فأطوار الجنين ثابتة في بطن أمه، والتطور حقيقة علمية ثابتة، والإنسان يعيش بين مبدأين: التطور، والتغير. ولكن هناك تطور معنوي وحسي، ويرتبط التطور المعنوي بالعقيدة ومدى قوة الإيمان باليوم الآخر لتحقيق القيم العليا السامية، وهو مصدر دفع نحو العمل والإنتاج، وعامل أساس لتكوين الضمير الإنساني. والتطور المادي قصير المدى مؤقت، ينتهي بمجرد الحصول عليه عن طريق التقدم العلمي، والعلم يتطور وليس الدين، وسيظل متطورًا، ولن يبلغ القمة بغير هداية الله. والقرآن الكريم مصدق لما في التوراة والإنجيل، وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان، لا تتطور ولا تتبدل، نزل من عند العليم الحكيم، وليس علمًا بشريًا يتقدم في الاختراع والتطوير كما يعتقد بعض المستشرقين. ولم تقتصر فكرة التطور عند بعض المستشرقين على القرآن الكريم، بل شملت السنة النبوية[1]. فقد اعتبر جولد تسيهر أن الحديث النبوي متطور عن العادات والتقاليد[2].

وتوصل جولد تسيهر إلى النتيجة التالية:

«إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني، والتاريخي، والاجتماعي، الإسلامي

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، (٤ / ١١٠٢) فقد تناولت الدائرة الإسلامية موضوع التطور في الحديث والكلام.

(٢) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤١)

خلال القرنين الأولين للهجرة»[١].

وتطور الشريعة الإسلامية ــ كما يرى بعض المستشرقين ــ لا أساس له من الصحة، لأن النبي محمد ﷺ قد نظم أمور المسلمين في جميع الأمور الاعتقادية والاجتماعية قبل أن يتوفاه الله برحمته. وقد زعم بعض المستشرقين أن التطور الشامل في حياة المجتمع الإسلامي أدى إلى وضع الحديث، وهذا التحليل لا أساس له من الصحة.

وحقيقة الأمر أن هناك أحاديث موضوعة، ولكن علماء المسلمين تصدوا لهذه الظاهرة.وقاموا بتأليف المصنفات لجمع الأحاديث الموضوعة والتحذير منها، وقد رد الشيخ أبو شهبة على هذه المسألة بقوله:

«ولا أدري كيف تكون جل الأحاديث من آثار التطور مع اتفاق الأمصار الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في معظم العبادات والتشريعات في المعاملات وغيرها؟ فلو أن الأمر أمر تطور، كما زعموا ــ وبئس ما زعموا ــ لما اتفقوا هذا الاتفاق، ومعظم الاختلافات في الفروع الفقهية إنما ترجع لاعتبارات أخرى، معظمها يرجع إلى طريقة الاجتهاد، واختلاف أنظارهم في الدليل الواحد»[٢].

وممن قال بالتطور في الديانة الإسلامية (مونتجومري وات) فقال: «جعلت الهجرة محمدًا على اتصال أوثق باليهود، وقد حددت علاقات النبي باليهود، منذ ذلك العهد، تطور الدين الإسلامي فيما بعد. ومرت فترة كان فيها الدين الجديد ينقل عن اليهودية، ثم جاءت فترة أخرى أخذ فيها يعارضها، فإذا كان اليهود في البدء يصومون، فكذلك يجب على المسلمين، ثم أصبح فيما بعد إذا صام اليهود بطريقة، فعلى المسلمين أن يصوموا بطريقة أخرى. وهكذا نجد في الإسلام أوجه شبه مع اليهودية، كما نجد أوجه خلاف، وقد أدخل كل من أوجه

---

(١) Goldziher ،Muslim Studies ،tr. Stern ،(London ،١٩٧١) Vol.٢ ،P١٩.
نقلاً عن الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن، (ص ١١ ــ ١٢)،ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

(٢) أبو شهبة: محمد بن محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة عن السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا، ويليه: الرد على من ينكر حجية السنة للدكتور: الشيخ عبد الغني عبد الخالق رحمه الله ، (ص: ٢٩١ ــ ٢٩٢)، مكتبة السنة ــ القاهرة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

الشبه والخلاف عن عمد. إذ إن هذا الموقف المزدوج، نحو الدين القديم الموحد، وإن كان أشد وضوحًا في الفترة المدنية، يلاحظ منذ بداية الإسلام. وكانت الديانتان تحتويان على جوانب سياسية لا ترضي محمدا. فكان هدفه إذا أن يقيم دينا موازيا لليهودية، ولكنه مرسل للعرب خاصة. حتى إذا ما رفض اليهود الاعتراف بدين محمد على أنه مواز لدينهم، أدى هذا الرفض إلى تحويل الدين الجديد الذي لم يصبح دينا خاصا بالعرب، بل أصبح دينًا ذا طابع عربي صرف»[١].

ثم إن نظرية داروين[٢]، وهي نظرية التطور والارتقاء نالت من الشهرة بسبب احتكاك هذه النظرية بمعتقدات الناس وأفكارهم، واستغل هذه النظرية الماركسيون بما يعتريها من غموض فيما يتعلق بالروح، وموضوع تطور الكائنات الحية، فأصبحت من الدعائم التي يتمحك بها الماديون لنصرة مذهبهم الإلحادي. وخلاصة نظرية التطور هي: «أن أنصارها يزعمون أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة، أو جراثيم قليلة، تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعل طَبعيَّة، حتى وصلت إلى هذه التنوعات التي نراها، وعلى رأسها الإنسان»[٣].

وقد أثرت نظرية داروين في فكر كثير من الغربيين، لأن فيها تأليهًا للطبيعة، وإنكارًا لوجود الله تعالى، فأصبح الخلق عندهم نتيجة للنشوء الطبيعي، وأول المؤسسين لنظرية التطور والارتقاء هما: «لامارك. وهو مؤسسها، وداروين.وهو مطورها وحامل لوائها، وباذل عمره في سبيل تعضيدها ونشرها »[٤].

فالملحدون جعلوا من نظرية داروين مطية لترويج الكفر والإلحاد، وسندًا لهم في إنكار الخالق، ومن ثم تصبح المادة عندهم لها صفة القدرة، وهذه النظرية ليست من الحقائق الثابتة،

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٤٦٢ ــ ٤٦٣)، تعريب: شعبان بركات، ط (بدون)، منشورات المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت (بدون تاريخ)

(٢) **تشارلز روبرت داروين** Charles Robert Darwin(١٨٠٩م ــ ١٨٨٢م) عالم حيوان، إنجليزي الجنسية، اشتهر بنظرية التطور ومبدأ الانتخاب الطبيعي حول نشأة الإنسان.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪.AF%D٨٪.A٧٪.D٨٪.B١٪.D٩٪.٨٨٪.D٩٪.٨A%D٩٪.٨٦

(٣) باشميل: محمد أحمد، الإسلام ونظرية داروين، (ص: ٢١)، ط ١، جدة ــ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م

(٤) باشميل: محمد أحمد، الإسلام ونظرية داروين، (ص: ٢٤)

بل هي فرض من الفروض.

ونظرية التطور لا يمكن قياسها على الشريعة الإسلامية، بل على العكس لابد أن يكون الشرع هو الأساس، والتطور يقاس بمقياس الشريعة.وللأسف فلقد استمر بعض المستشرقين في كتاباتهم ينادون بالمذهب التطوري، ويصفون الدعوة الإسلامية ودعاتها بالمذهب التطوري،قال هنري لاووست:

«وقد أثر ابن حنبل في التطور التاريخي للإسلام، وفي نهضته الحديثة، وأسس أحد المذاهب السنية الأربعة الكبرى، وهو المذهب الحنبلي، وكان عن طريق تلميذه ابن تيمية »[١].

وقد علق الدكتور مصطفى حلمي على فكرة تطور الشريعة مبينا أن: «فكرة التطور التي طغت على معظم أفكار بعض المستشرقين، وتسللت إلينا، فأخذ البعض يتحدث عن (تطوير الشريعة) لتتلاءم مع العصر، فمردها إلى خلطهم أصول الإسلام الثابتة، وبين آراء المجتهدين المستندة إليها، فالإسلام لا يؤخذ من نظريات بشرية تخطئ وتصيب، ولكنه آية محكمة وسنة صحيحة ثم إجماع وقياس وفقا لقواعد قررها علماء أصول الفقه، وهي إذ تعالج ما يطرأ من مسائل ومشكلات جديدة، تعالجها دون أن تتغير، أو تتطور معها»[٢].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٣٧٠)، مادة أحمد بن حنبل، (طبعة الشعب)

(٢) لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي، (٢/ ٢٨م)، مطابع السفير ــ الإسكندرية ــ ١٩٧٩م.

المبحث الخامس

المنهج الإسقاطي

وهو: «إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ، فيفسرونها في ضوء خبراتهم، ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم»[(١)].

ومن أمثلة ذلك: إسقاط ما عليه حكومات المجتمع الغربي في الانتخابات في تفسيرهم لما حدث من مبدأ الشورى قبل تولي عثمان بن عفان ﵁ الخلافة[(٢)].

وتفسيرهم تحنث النبي محمد ﷺ في غار حراء يمكن أن يكون فرارًا من حر مكة أثناء الصيف[(٣)].

يقول مونتجومري وات: «إن زيارة محمد لحراء، وهو جبل قريب من مكة، بصحبة عائلته أو بدونها، ليست مستحيلة، ويمكن أن يكون ذلك للفرار من أتون المدينة خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجه للطائف»[(٤)].

أيضًا:يعتبر بعض المستشرقين تدرج الدعوة الإسلامية عدم فهم من النبي ﷺ أبعاد دعوته غير مدركين أن المرحلة المكية مرحلة تثبيت للعقيدة، بينما المرحلة المدنية مرحلة تشريع.أيضًا:يرون أن الوحدانية التجريدية التي كانت أساس قوة للإسلام في غزو القلوب، واكتساب للأتباع لم تنشأ إلا تدريجيًا معتبرين أن الرسول اعترف بداية بالآلهة المكية، وتطور النقد الموجه لعبادة الأصنام إلى الاعتراف بإله واحد. مثاله:نجد بروكلمان يريد إسقاط المفهوم الغربي فيما يتعلق بتطور الأديان على دعوة النبي محمد ﷺ قال بروكلمان: «إن

---

(١) الديب: د. عبد العظيم: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، (ص ٩٩ـ١٠٠)

(٢) سيأتي بيانه في الفصل الأول من الباب الخامس في بيان موقف المستشرقين من بيعة عثمان بن عفان ﵁ قبل توليه الخلافة..

(٣) انظر: Watt ،W.M. ،Muhammad at Mecca ،p.(٤٤) Fifh edition،(Oxford: (١٩٧٢).
نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات- بروكلمان- فلها وزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ٧٠)

(٤) وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٨١)،تعريب شعبان بركات.

الوحدانية التجريدية التي كانت إلى حد بعيد أساس قوة الإسلام على غزو القلوب واكتساب الأتباع لم تنشأ إلاتدريجيًا. ويبدو هذا في نزوع النبي إلى الاعتراف بالآلهة المكية شفعاء عند الله. وفيما كان المفهوم الإلهي يتبلور في وجدان محمد كانت بعض التشبيهية تجد سبيلها إلى هذا المفهوم[١]»[٢].

ولكن نرد عليه بقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ يونس: ١٨. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١.

---

(١) Broklmann ،Carl: History of the Islamic Peoples ،p.(٣٧)(London: ١٩٦٤) من حاشية الكتاب.

(٢) النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ـــ بروكلمان ـــ فلها وزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ٨٧)

المبحث السادس

إحياء الدعوات الهدامة ودراسة الفرق المنشقة عن الإسلام ومدحها

اهتم بعض المستشرقين بإثارة الصراع بين الفرق، وتتبع أخبارها لدى الأمة الإسلامية، والعناية بتاريخ الزندقة والزنادقة على أنهم أصحاب فكر، لإثارة النعرات الدينية بين المسلمين، والعناية بتمجيد الفرق الضالة، كالباطنية والمتصوفة وغيرهم. والهدف من ذلك إبعاد النشء عن القدوة الصالحة، وإسقاط الرموز العظيمة في التاريخ الإسلامي، وصولاً إلى أن التاريخ يبدأ بالغرب، وينتهي إليه لإنكار؛ دور المسلمين، والدليل على ذلك أخذ الحضارة الإسلامية إلى أوربا، وإخفاء طابعها الإسلامي، وصبغها بالفكر الأوربي لإخفاء هويتها الإسلامية ومن ثم تقديمها على أنها فكر أوربي خالص.

وكجزء من تشويه التاريخ الإسلامي ركز بعض المستشرقين جهودهم على بعث الحركات الهدامة،ووضعها في صورة حركات حديثة ذات مسميات جديدة وبالتالي إحياء أنواع معينة من التراث، وخاصة التصوف الفلسفي وعلم الكلام وأبحاث الاعتزال والباطنية، لطرح خلافات سياسية قديمة أفسدت فكر المسلمين ومزقتهم[(١)].

ونجد (لويس ما سينون[(٢)]) مثلاً خصص حياته للكتابة عن الحلاج، والفرق المغالية، لأنه كانت تستهويه المذاهب المستورة والحركات السرية الروحية والسياسية في تاريخ الإسلام[(٣)].

وهناك من المستشرقين من أمثال: إدوارد براون[(٤)] اهتم بدراسة الصوفية[(١)]، والباطنية[(٢)]،

---

(١) انظر: الجندي: أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، (ص: ٨٨)، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٢) لويس ماسينون ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م: مستشرق فرنسي، عرف بدراسته للتصوف الإسلامي عامة والحلاج خاصة. انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ٥٢٩ ـ ٥٣٥)، له آثار تربوا على ٦٥٠ بين مصنف ومحقق وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة.((انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، (١/ ٢٨٩)

(٣) انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٥٢٩)

(٤) إدوارد جرانفيل براون (١٨٦٢ ـ ١٩٢٦) درس الطب وتعلم اللغة العربية والفارسية والهندية، انتخب عضوا في المجمع البريطاني والمجمع العلمي العربي في دمشق.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٢ / ٥٠٠ ـ ٥٠١)، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٥م.)

كما تعرض لفرقة إخوان الصفا[٣]، بشكل موسع عن بقية المستشرقين، لكنه مع ذلك يكثر من نقله من مصادر المستشرقين أنفسهم دون الرجوع للمصادر الأصلية لـذلك وقـع في أخطاء منهجية كثيرة عند حديثه عن فرق الإسلام، حيث رجع إلى فون كرمر[٤]، شـتايز، دو زني[٥].

وقد: «أخرج (ريتر) كتاب (فرق الشيعة) للحسن بن موسى النوبختي، أو على الأصـح لأبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعري القومي (المجلد رقـم ٤ مـن المكتبـة الإسـلامية، ١٩٣١م. أما (ر ودلف شتروتمن ــ ١٨٧٧م /١٩٦٠م[٦]) فقد تعمق في دراسـة الفـرق الإسلامية خاصة إلى أبعد حد، وخص بمقاليه الأولين الرائعين فرقة الزيدية الموجودة بـاليمن للآن»[٧].

---

(١) " التصوف: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيرا عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية. " (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (١ / ٢٤٩)

(٢) سبق التعريف بها، وقد لزمهم هذا القب لحكمهم بأن لكل ظاهرًا باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه.(انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، (١ / ٢٢٨)

(٣) سبق التعريف بها في الفصل الأول تحت مادة الترجمة.

(٤) البارون فون كريمر (١٨٢٨ ــ ١٨٨٩ م) ولد في فينا وتخرج من جامعاتها، عمل قنصلا في مصر لدولته، ثم في بيروت، من آثاره: نشر الاستبصار في عجائب الأمصار، وصنف تاريخ الفرق في الإسلام، والملامح البارزة لتاريخ الثقافة في الإسلام، وتاريخ العرب وعاداتهم قبل الإسلام. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢ / ٦٤١)

(٥) انظر: براون: إدوارد، تاريخ الأدب في إيران، الجزء الأول، البابان الثالث والرابع، (ص: ١٢٢ ــ ١٢٨)، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور: أحمد كمال الدين حلمي (أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الكويت)، لجنة التأليف والتعريب والنشر ــ مجلس النشر العلمي، ط ١، مطبوعات جامعة الكويت ــ الشويخ ١٩٩٦م.

(٦) اشتروطمن (رودولف) ١٨٧٧ ــ ١٩٦٠ م) مستشرق ألماني اهتم بالمذاهب المستورة في الإسلام،فعني بدراسة الزيدية المنتسبين إلى زيد بن علي بن أبي طالب،وفرق الشيعة، ومؤلفات الشيعة، وعلم العقائد الإسلامية..(انظر: بدوي: عبد الرحمن، المستشرقين، ٣٤ ــ ٣٦) وانظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، رودلف شترثمان،(٢ / ٧٨٩)

(٧) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة، (ص: ٤٥)، ترجمة الدكتور: مصطفى ماهر، ط (بدون تاريخ)، دار الكتاب العربي.

وذكر رودي بارت في موضع آخر قوله: ((وينبغي أن نضيف هنا إلى ما سبق أن ذكرناه من أعمال ريتر: (دراسات في تاريخ التنسك في الإسلام)،(بداية فرقة (الحروفية) (١٩٥٤)،(احتفالات مولانا في قونية من ١١ إلى ١٧ سبتمبر ١٩٦٠ م (١٩٦٢)..وهناك بقلم يوزف فان اس (١٩٣٤) عرض عميق بعنوان (أفكار الحارث المحاسبي) بناء على ترجمات لكتاباته (١٩٦١).. وقد أخرجت زوزانة ديفالد ــ فيلتسر كتاب المرتضى (طبقات المعتزلة)(١٩١٦)، وقام (ارنست ماينتس[١]) بأبحاث في (الأخلاق عند المعتزلة (١٩٣٥)، وهناك أبحاث أخرى نذكرها في هذا المقام: (الماتريدي)[٢] وكتابه(تأويلات القرآن) (١٩٦٥) بقلم مانفريد جوتس، و(الفاطميون وقرامطة البحرين[٣])(١٩٥٩) بقلم فيلفردماديلونج، وبقلم ماديلونج أيضًا (الإمامة في فجر المذهب الإسماعيلي[٤]) (١٩٦١)و (الإمام القاسم بن إبراهيم ومذهب الزيديين) (١٩٦٥) وهناك أعمال كثيرة تدور حول التصوف والفرق))[٥].

ومن محاور التشويه في كتابات بعض المستشرقين التركيز على فترات الخلاف بين

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي مؤسس الماتريدية وهي من الفرق الكلامية التي تنسب إلى أبي منصور الماتريدي ت٣٣٣هـ، نسبة إلى (ما تريد)وهي محلة قرب سمرقند.. (انظر: الزركلي: الأعلام،(٧ / ١٩) (و انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني،(١/٩٥)

(٣) القرامطة: حركة باطنية هدامة تنسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه... وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد، والإباحية، وهدم الأخلاق، والقضاء على الدولة الإسلامية.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (٣٧٨/١)و (انظر: البغدادي: الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩هـ، الفرق بين الفرق، تعليق الشيخ: إبراهيم رمضان، (ص: ٢٥٠ ــ ٢٥١)

(٤) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة وقد مالت إلى الغلو لدرجة أن الشيعة الإ ثنى عشرية يكفرونها.(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (٣٧٨/١)

(٥) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة، (ص: ٨٦ ــ ٨٧)

المسلمين، مع إثارة العنصرية لإضعاف روح الإخاء الإسلامية، مع تمجيدهم لمن خان الإسلام مثل كمال أتاتورك، وتشكيكهم في التراث الحضاري الإسلامي.

الفصل الثالث

نقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: نقد منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نقد منهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي.

المبحث الثالث: نقد المنهج المادي.

المبحث الرابع: نقد منهج المستشرقين باعتمادهم على الدراسات الاستشراقية.

الفصل الثالث

نقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

تمهيد:

لعلنا من خلال عرض الأخطاء والمخالفات المنهجية في بعض الدراسات الاستشراقية أن نصل إلى نقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

قد اهتم بعض المستشرقين بدراسة الإسلام، لكن هل التزموا بالمنهج العلمي في أبحاثهم، وهل عمدوا إلى توثيق المعلومات والصدق في عرضها، والأمانة في نقلها، والنزاهة في تفسيرها؟

إن المنهج الغربي في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة منهج يتسم بالمصلحة والأنانية، مع أنه يدعي العلمية في المنهج، ولو كان علميًا لما أمكننا رصد الأخطاء الفاحشة في المنهجية الغربية في الفصل الثاني من هذا الباب.

ثم إن من شروط المنهج الصحيح التجرد من الأهواء، وعدم وضع النتائج المسبقة والبحث المضني عما يؤيدها، والتنقيب عما يثبتها، ولو حصل بعض المستشرقين على مادة تافهة لا قيمة لها، يقدمونها بكل جرأة، ويبنون عليها نظرياتهم بعد عناء واستقصاء على أنها من الحقائق.

وتكاد آراء بعض المستشرقين تتفق في بعض الآراء الخاطئة عمدًا ضد الإسلام والمسلمين، وكأن الآراء خارجة من منبع واحد.

كما أن بعض المستشرقين يأخذون من بعضهم البعض، فتغدو الأكاذيب من المسلمات عندهم دون الرجوع للمصادر الإسلامية الصحيحة للتأكد من مصداقية الخبر. وحينما تلتقي الأفكار الإسلامية مع الأفكار اليهودية والنصرانية لا ينظرون إليها من زاوية وحدة المنبع، لكن يبحثون من زاوية صراع الأديان،وبالتالي تضيع مجهودا تهم العلمية في: من أخذ ممن؟ومن تأثر بمن؟

إن الذي يجب توضيحه هو أن الإسلام لم يأت حربًا على الديانة اليهودية والمسيحية المحرفة بل جاء لتصحيح الانحرافات التي لحقت بهما. وأنه دين يدعو لعبادة الله وحده، قَالَ

تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة: ٥.

وإن من أغرب مالا يتفق مع المنهج العلمي المعروف: «تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها. فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب مايحكون به تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ مايحكون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله (الدميري) في كتاب (الحيوان)، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ، كل ذلك انسياقًا مع الهوى، وانحرافًا عن الحق»[1].

فبعض المستشرقين يتناقضون في التعامل مع المناهج العلمية التي رسموها حينما يُقَيمون العقيدة الإسلامية. كما أن طبيعة الاستكبار الغربي التعامل مع التراث الإسلامي وأصول العقائد الصحيحة بدونية لا مثيل لها، وذلك بالتوسع بذكر المصادر الاستشراقية دون الرجوع للمصادر الأصلية، ومناقشة العقيدة الإسلامية من وجهة نظر غربية بعيدة عن الإطار الإسلامي الصحيح، فبعض المستشرقين الذين يدعون تمسكهم بالمنهج العلمي عند دراستهم للعقيدة الإسلامية يعتمدون على المصادر المليئة بالمغالطات، بل إنهم يتناولون الأفكار الخاطئة ويحملوها من المعاني مالا تحتمله، معتمدين على مصادر غير موثوق بها كما عنوا بتعظيم علمائهم وتحقير علماء المسلمين.

والمنهج الغربي يتسم بالاضطراب والتناقض، ويفتقر لكثير من مقومات المنهجية العلمية السليمة، فهو قائم على المصلحة الغربية، يفتقد إلى الدلائل العلمية في كثير من الأحيان.

ومن الجوانب الهامة في عرض المنهجية الاستشراقية محاولته الجادة في إهمال دور العقل في القضايا الإسلامية، وكأن المنهجية الإسلامية تقليدية بحتة بغرض عكس صورة التبعية الفكرية للمسلمين، مع أن الدين الإسلامي أعطى العقل مكانته اللائقة.

ومن أخطاء بعض المستشرقين أيضًا استخدامهم مناهج علماء الاجتماع المادية المرتبطة بالمشاهدات والوقائع الحسية التي تربط نشأة المعتقدات الوثنية بالبيئات والمجتمعات، حتى يمكنهم إثبات أن البيئة أثرت في عقيدة نبينا محمد ﷺ ومن ثم تطبيق هذا المنهج على

(١) السباعي: الدكتور الشيخ مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ٢١٣)، ط١، الناشر: المكتب الإسلامي ــ دار الوراق ٢٠٠٠م.

الدراسات الإسلامية، وهذا غير موضوعي لأن الدين الإسلامي رباني المصدر، ولن يستطيع هؤلاء المستشرقون فهم معنى الإيمان بالغيب لاعتمادهم على الحس والمشاهدة ومن ثمّ أصبحت الدراسات الاستشراقية متحيزة وغير دقيقة.

وقد يطمح كثير من المستشرقين وعلماء الغرب في دراساتهم للمواد العقدية إلى التشكيك في الإسلام، وإثارة الريبة في أصالة مصادره، وكل من هؤلاء المستشرقين قد شحن بجملة من الأفكار والمعتقدات المسبقة عن الإسلام، وبكل إصرار يحاول أن يلصق همه على جل دراساته التي يقوم بها حول الإسلام وأهله.ولو حوكمت دراساتهم وفق مناهج علمية صحيحة، خالية من الهوى، وفق منهج نقد نزيه لتساقطت دعاواهم التي يروجها المعجبون بهم[(١)].

إن احتقار الإسلام جزء أساس من التفكير الأوربي، وغريزة موروثة تقوم على المؤثرات

---

(١) نشيد بالدور الذي قامت به المملكة العربية السعودية بالعناية بالدراسات الاستشراقية التي تناولت القرآن الكريم فقد صدر في (جريدة الرياض، الخميس ٢٧رمضان ١٤٢٧هـ - ١٩أكتوبر ٢٠٠٦م - العدد ١٣٩٩٦) بأنه تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة، نظمت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - ممثلة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة - في السادس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢٧هـ (١٦ / ١٠ / ١٤٢٧هـ.) ندوة بعنوان (القرآن في الدراسات الاستشراقية)، وذلك بفندق ميريديان المدينة. ومن أهداف الندوة التنبيه على أخطار تحريف مقاصد القرآن الكريم في تشويه صورة الإسلام، وخدمة كتاب الله تعالى من خلال دراسات علمية منهجية، وإثراء الساحة العلمية بكتابات نقدية جادة تتصل بالدراسات الاستشراقية، كما تهدف إلى دراسة أهداف المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة تقويمية، وبيان مناهج المستشرقين في دراساتهم للقرآن الكريم وعلومه، ودراسة النظريات الغربية المعاصرة، والاتجاهات الحديثة في دراسة القرآن الكريم وتقويمها، وحصر دراسات المستشرقين، وجهودهم حول القرآن الكريم وعلومه قديمًا وحديثًا، والتعريف بجهود علماء المسلمين في تقويم كتابات المستشرقين المعنية بالقرآن الكريم، وإزالة العوائق الفكرية التي تحول بين دارسي الإسلام، والفهم السليم للقرآن الكريم.و التنبيه على أخطار تحريف مقاصد القرآن الكريم في تشويه صورة الإسلام، كما أن من أهدافها خدمة كتاب الله - تعالى - من خلال دراسات علمية منهجية، وإثراء الساحة العلمية بكتابات نقدية جادة تتصل بالدراسات الاستشراقية، وتشجيع البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية، وتنمية الوعي العلمي الناقد للاستشراق ومدارسه، وتنمية أوجه التعاون المثمر بين المعنيين والمهتمين بالدراسات الاستشراقية، إلى جانب إبراز جهود مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

التي خلفتها الحروب الصليبية، بكل مالها من ذيول في عقول الأوربيين الأولين[(١)].

ومن يدرس المنهج الغربي يجد أنه لا يتلاءم مع المنهج الإسلامي من حيث التصور، والمنطلق، والهدف، والمعالجة، والحل.

فكيف يركب منهج على منهج!وكيف يصبغ المنهج الإسلامي بالخلفية الغربية التي لا تعبر بصدق عن أسسها الذاتية، كما لا تصور الواقع على حقيقته! فهذا المزج السلبي يخلط الأصالة بين نقيضين في الفكر والمنهج. ثم إن الدين الإسلامي قد ضبط بنصوص سماوية لا تدع مجالاً للشك في مصداقيتها، بخلاف غيرها من المناهج الغربية التي لايمكن تطبيقها على الإسلام.

وإنه من المدهش حقًا أن يتجه بعض الباحثين العرب المسلمين إلى دراسة التراث الإسلامي وفق مناهج غربية؟ والدهشة والغرابة تشتد حين نعلم أن التبعية للغرب عند بعض باحثينا فرضت أنماطًا من السلوك فوقفوا عند مواطن القوة و لم يبرزوها.وحللوا بعض الأمور وفق عقلية غربية بحتة[(٢)].

والطريقة العلمية الصحيحة للبحث في الموضوع الواحد جمع الأخبار الواردة في الموضوع للخروج بحكم واضح وصحيح، فهل التزم بعض المستشرقين في مناهجهم العلمية بالمنهج العلمي الصحيح؟ خاصة فيما يتعلق بالمواد العقدية الشرعية، فالأولى أن يكون المنهج متماشيًا مع عقيدة التوحيد؛ لأن:

«المنهج يعتبر الأداة التي يمارس بها العقل هذه الوظيفة المقدسة،وظيفة اكتشاف الخطأ وإبعاده»[(٣)].

وكما لا يخفى فإن المناهج تختلف باختلاف الموضوعات، والباحث عليه أن يسلك المنهج العلمي الصحيح للوصول إلى الحقائق، لأن إتباع المناهج الخاطئة لا تقود إلى الحلول

---

(١) انظر: أسد: محمد، الإسلام على مفترق الطرق،(شبح الحروب الصليبية: من (ص: ٥٢ ــ ٦٦)، ترجمة: د. عمر فروخ، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٦٥م.

(٢) سوف نتعرض لبعض الشخصيات المتأثرة بمناهج المستشرقين في الباب السادس ــ الفصل الأول.

(٣) حلبي: خالص، في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية، (ص: ١٥٦)، ط ٣، مؤسسة الرسالة ــ بيروت١٤٠٥ه ــ ١٩٨٥م.

الصحيحة، إذًا الباحث الواعي عليه أن يحرص على اتباع المنهج الحق في البحث، والبحث هو السؤال والتقصي عن شيء معين، وقد عرفه الدكتور: عبد الرحمن عميرة بقوله: «طلب الحقيقة، وتقصيها، وإذاعتها بين الناس»(١).

فالهدف المبتغى من وراء البحث هو طلب الحقيقة، وبعض المستشرقين في مناهجهم التي اتبعوها في أبحاثهم مجرد تجميع معلومات، ولكن هل هذه المعلومات هي حقائق، أم أنها تكون مغلوطة؟ فالسعي وراء الحقيقة وعرضها عرضًا علميًا صادقًا هو المطلوب من الباحث المتميز، خاصة أن بعض المستشرقين يخلطون بين الرأي والتحليل الشخصي وبين الرواية في مؤلفاتهم ويحصل بينهما التداخل. فينبغي التثبت من كتابات بعض المستشرقين، والحذر من الروايات الزائفة التي تعبر عن آراء بعض المستشرقين وليست من مصادر صحيحة كما يدعي بعض المستشرقين في مؤلفاتهم العلمية.

ثم لماذا تفتقد كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامي الموضوعية في الطرح، ولماذا الإسلام بالذات يهاجم من بين الديانات التي ظهرت.

حاول عبد الرحمن بدوي بعد أن لمس حقد بعض المستشرقين على الإسلام في أواخر عمره أن يرد عليهم للكشف عن جهل القوم وجنايتهم على الإسلام فردها إلى أصول خمسة(٢). هي كما يلخصها الأستاذ الدكتور: نعمان السامرائي:

١ - «جهل باللغة العربية وعلومها.

٢ - ضحالة ونقص معلومات تتعلق بالمصادر العربية.

٣ - سيطرة الحقد على الإسلام الذي ورثوه من طفولتهم، حتى نقلوا الأكاذيب بعضهم عن بعض، ويتمثل ذلك في كتابات كل من (هرسفيلد، وهورفيتس، وسبا ير) على سبيل المثال.

---

(١) عميرة: عبد الرحمن، أضواء على البحث والمصادر، (ص: ٢٥)، ط٤، دار الجيل ـــ بيروت١٤٠٦هـ ـ/١٩٨٦م.

(٢) انظر: بدوي: د.عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه (مترجم عن الفرنسية) ترجمة: د.كمال جاد الله، (ص: ١٥ ـــ ١٦)، القاهرة ـــ دار الجليل ـــ ١٩٩٨م.و انظر: مقال في مجلة الفيصل بعنوان (رحلة في كتاب ـــ دفاع عن القرآن ضد منتقديه للدكتور: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: ثابت عيد ـــ زيورخ ـــ سويسرا، العدد (٣١٥)، (ص: ٩٩)

٤- المشابهة الخاطئة التي دفعت السطحيين منهم إلى إصدار أحكام سريعة، بين نقل واقتباس، وتقليد، وتأثير، وتأثر... ما كتبه كل من (نولدكة[١]، ومرجليوث، تسيهر، وشبالي) حول القرآن، وإن كان نولدكة قد تراجع عن آرائه، ورفض إعادة طبع كتابه: (تاريخ القرآن).

٥ ـ الالتزام التبشيري شديد التعصب، مثل حال زويمر[٢]، وموبير»[٣].

فالجهل باللغة العربية سبب رئيس في عدم معرفتهم بمقاصدها، وبالتالي كيف لمن يجهل الشيء أن يحكم عليه؟ ولفساد مناهج بعض المستشرقين وجهلهم أصبحت ترجماتهم هزيلة؛ انعدمت فيها صفات البحث العلمي الصحيح.

إن الجهل باللغة العربية يترتب عليه فساد في الفهم، ومثل هذا الخطأ قد يؤدي إلى خلل كبير في فهم النصوص الشرعية،من ذلك تفسير بعض المستشرقين بعض الآيات القرآنية خلاف المعنى الصحيح، مثاله:تفسير مونتجومري وات لغض البصر في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن

---

(١) تيودور نيلدكه ١٨٣٦ ـــ ١٩٣١م،مستشرق ألماني، يعد شيخ المستشرقين الألمان، له إطلاع واسع على الآداب اليونانية، وأتقن اللغة العربية والسريانية والعبرية، حصل على الدكتوراه برسالة عن (تاريخ القرآن) من المهتمين بالنحو العربي والنحو المقارن للغات السامية. (انظر: بدوي: عبد الرحمن،موسوعة المستشرقين ٥٩٥ ـــ ٥٩٨)

(٢) زويمر، صمويل (١٨٦٧ – ١٩٥٢ م). رئيس المنصرين في المنطقة العربية من الشرق، تولى تحرير مجلة عالم الإسلام التي أنشأها مع ماكدونالد، وله مصنفات منها: يسوع في إحياء الغزالي، وفرنسيس الأسيزي والإسلام،وفي العلاقات بين النصرانية والإسلام، امتازت بالتعصب والتضليل. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٣ / ١٠٠٥)

(٣) السامرائي: أ. د. نعمان، قراءة في كتاب (إ ظهار الإسلام لروجيه دُوَبا سكويه)، (ص: ٤١ ـــ ٤٢)، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.

زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١، بأنه التواضع مع أنه لاصلة بين التواضع وغض البصر[١].

وقد أكد الدكتور محمود حمدي زقزوق أن على المستشرقين أن يكونوا منصفين في فهمهم للنصوص الشرعية،وذلك في قوله:

«ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده، ويعتقد ما نعتقده عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أولويات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم، فعندما أرفض وجهة نظر معينة لابد أن أبين للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لي بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها»[٢].

وما يكتبه بعض المستشرقين تحريف مقصود، يخدم أغراضهم، ويقوي مزاعمهم، قام على أكتاف الرهبان والمبشرين، ثم اتصل بالأطماع الاستعمارية لغزو المسلمين اقتصاديًا وفكريًا بغرض تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف عصوره بالمتهافت المتفكك.

إن دراسة الدين الإسلامي وفق عقيدة أهل السنة والجماعة يعتمد على مصدرين هامين هما أساس العقيدة الإسلامية: القرآن، والسنة، وقد حاول بعض المستشرقين جاهدين من خلال هذين المصدرين إثبات التأصيل اليهودي والنصراني للقرآن الكريم، والتأكيد على أنه من وضع النبي محمد ﷺ ورد كثير من آياته إلى أصول يهودية ومسيحية، وإغفال الحقائق المخالفة لاستنتاجاتهم، مع التعسف في التفسير والمغالطة في فهم النصوص الدينية، مع الأخذ بفكرة التطور العقدي في العهدين المكي والمدني.كما عمد كثير من المستشرقين في دراساتهم التقليل من شأن السنة النبوية، والطعن في النبي محمد ﷺ ما وجدوا لذلك سبيلاً.

كما استخدموا في ذلك مناهج عدة سبق أن عرضناها منهجًا ونقدًا؛ لذا أفردت لنقد منهج المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة بمصدرين أساسيين هما: القرآن والسنة. كما قمت بنقد منهجهم المادي في دراسة الغزوات والفتوحات الإسلامية التي تنم

---

(١) انظر: وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٤٣٦)

(٢) زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكري للصراع الحضاري، (ص: ٨٣)

عن نظرتهم المادية تجاه الهدف من الجهاد الإسلامي، والسلف الصالح. وختمت الفصل بنقد منهجهم بالاعتماد على المصادر الاستشراقية في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول

نقد منهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم

إن نقاد الكتاب المقدس عند الغرب اعتمدوا في نقدهم للعهد القديم على منهج نقدي يسمى (النقد الأعلى) الذي يهدف إلى دراسة نصوص ذلك العهد على أنها نصوص تاريخية، على الباحث أن يطبق عليها كل المعايير التي يطبقها على أية نصوص تاريخية أخرى، بصرف النظر على أنه نصوص مقدسة(١)، هذا النقد قد حقق نتائج باهرة في نقد العهد القديم (التوراة وكتب أخرى ملحقة بها) وقد تبين للعلماء أن تلك الأسفار مكتوبة بأقلام اليهود، وتظهر فيها الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل(٢).

هذا مما جعل بعض المستشرقين يظنون أن بوسعهم إن عمدوا إلى تطبيق قواعد هذا النقد على القرآن الكريم أن يتوصلوا إلى نتائج مماثلة، ومن ثمَّ استندت دراساتهم للقرآن على تلك القواعد.فبعض المستشرقين طبقوا المناهج الغربية على الدراسات الإسلامية مما أدى إلى نتائج غير علمية.

يقول رودي بارت: «ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها، المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن»(٣).

وتطبيق المنهج النقدي على القرآن الكريم غير مجدٍ كما يقول المستشرق الإنجليزي

---

(١) انظر: حسن: د.محمد خليفة، آثار التفكير الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، (ص: ١٠٥)، مصر-١٩٧٧م. نقلا من: جمال الدين.أ.د.محمد السعيد، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية،(ص: ٧)، بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه،(وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة)

(٢) انظر: قنديل: قنديل محمد، النقد الأعلى للكتاب المقدس في فكر الغرب وينابيعه الإسلامية، (ص: ٢٢-٢٣)،طبعة مصر ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م. نقلا من: جمال الدين.أ.د.محمد السعيد، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية،(ص: ٨)

(٣) بارت: رودي، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، (ص: ١٠)

(آربري)[1]: «أنا ألح على الرأي القائل بأن عملاً خالدًا كالقرآن لايمكن أن يفهم بصورة أحسن لو أخضعناه لتجربة النقد الأدبي، إنه أمر خارج عن الموضوع أن تتوقع أن المواضع المطروحة في السور المستقلة، سوف تنظم بعد عملية إحكام رياضي بعض الشيء لتشكل نموذجًا منطقيًا.

إن منطق الوحي ليس منطق رجال لمدرسة فليس هناك (قبل) و(بعد) في رسالة النبي، عندما تكون هذه الرسالة صادقة فإن الحقيقة الدائمة لايمكن أن تحصر داخل إطار زماني أو مكاني، ولكن كل لحظة تعرض نفسها بشكل كلي مطلق»[2].

فالمبدأ الذي اعتمده بعض المستشرقين في نقدهم للقرآن الكريم فاسد باعتبار الحكم سلفًا بأن القرآن بشري، و لم يؤمنوا بأنه من لدن حكيم عليم، ومن ثم إنكار الغيبيات والعقائد، والبحث في دائرة المحسوس معتمدين على المنطق والمعرفة في النقد.واجتهد بعض المستشرقين لتقديم القرآن الكريم على أنه صورة مشوهة للديانات السابقة، فمن ذلك:الافتراء على نبينا محمد ﷺ بأنه جامل المشركين في عقائدهم، وأدخل بعضًا من شركياتهم حين ذكر قصة الغرانيق[3].. ليثبتوا اقتباس النبي من عقائد السابقين، والزعم بأنه متأثر ببيئته.

و لم يدركوا أن العقيدة الإسلامية ثبتت بالوحي الرباني، وأن المسلمين يعتمدون على التسليم المطلق لما جاء به الوحي، ولا أثر للبيئة والمجتمعات في العقيدة الإسلامية الصحيحة.فقد استدل بروكلمان بقصة الغرانيق العلى ليثبت أن النبي محمد ﷺ تأثر بالتقاليد

---

(١) آرثر جون آربري Arthur John Arberry(١٩٠٥-١٩٦٩ م) ولد في بورتسموث جنوب إنجلتره، ودرس في جامعة كامبردج وحصل على الدكتوراه في الآداب،تأثر بأستاذه رينولد ألن نيكلسون، برز دوره في غهرست المخطوطات العربية والفارسية، ومن مؤلفاته: المستشرقون البريطانيون، وكتاب قراءة في اللغة الفارسية الحديثة...(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٥ — ٦) و(انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون،(٢ / ٥٥٦ —٥٥٩)

(٢) من مقدمة المستشرق الإنجليزي جون آرثرآبري المولود عام١٩٠٥م لترجمة القرآن الإنجليزية ط ١، ١٩٥٥، نقلا من: سمايلوفيتش: أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، حاشية رقم (١) (ص: ١٧٣)

(٣) الغرانيق: هي الطير البيض المعروفة واحدها غرنوق كزنبور وفردوس، وفيه لغات غير ذلك، يزعمون أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض فتشفع لعابديها."(الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٥ / ٧٣٢)، عالم الكتب — بيروت."

العربية الشركية في الجاهلية، وأن الإسلام قد قبل مثل هذه الشركيات، حيث ذكر أن النبي محمد ﷺ اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاثة اللواتي كان مواطنوه يعتبروها بنات الله، وقد أشار إليها في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: (تلك الغرانيق العلى.وإن شفا عتهن لترتجى)[1].

كل ذلك محاولة من بعض المستشرقين لإثبات تأثير الأوضاع الاجتماعية على الدين الإسلامي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ حتى يتمكنوا من إثبات أثر المعتقدات الوثنية وواقع البيئة عليه، إذ زعموا زورًا أن اعتقاد وحدانية الله مقتبس من البيئات والديانات الأخرى، وتدرج بهم الأمر إلى دعوى الاقتباس من اليهودية والمسيحية.

ولو أن بعض المستشرقين عرفوا الفرق بين الدين الإسلامي والعادات الجاهلية التي كان عليها أهل مكة وقت بعثة النبي محمد ﷺ لعرفوا يقينا أن الدين الإسلامي يخالف ماكان عليه أهل مكة وبقية البلاد العربية. فهناك عبدة الأصنام، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ الزمر: ٣. وأيضًا كان هناك المنكرون للبعث، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الجاثية: ٢٤، مما يثبت وجود عقائد في مكة قبل مجيء الإسلام غير مشابهة للعقيدة الإسلامية الصحيحة كما يظن هؤلاء المستشرقون، فالرسول محمد ﷺ لم يعبد الأوثان قط و لم يدعُ إلى عبادتها،بل على العكس من ذلك، فقد حاربها بكل ما أوتي من قوة، ثم إن قصة الغرانيق باطلة ومستحيلة، فمن احتج بثبوتها من المستشرقين وغيرهم فلا يقوى على الدليل، فالعلماء الذين تتبعوا الرواية أثبتوا عدم صحتها، قال ابن حزم: «وأما الحديث الذي فيه: (وإنهن الغرانيق العلى

---

(١) انظر: بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: ٣٤)، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي. وقال محمد حسين هيكل: " وإنما ورد الغرنوق والغرنيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض، والشاب الأبيض الجميل، ولا شيء من ذلك بلائم معنى الآلهة، أو وصفها عند العرب. " هيكل: محمد حسين، حياة محمد، (ص: ١٦٦)، ط١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

وإن شفاعتها لترتجى) فكَذب بحت موضوع؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، فلا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد»[١].

وقال الشيخ محمد الشنقيطي:

«اعلم أن مسألة الغرانيق مع استحالتها شرعًا، ودلالة القرآن على بطلانها، لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب، والمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس عن طريق الكلبي.. ومعلوم أن الكلبي متروك »[٢].

مما يدل على أنها من وسوسة الشيطان، وأن عبارات الثناء في القصة على الغرانيق وآلهة المشركين روايات مشكوك في نقلها، بدليل وجود آيات ليس فيها إلا ذم لآلهة المشركين، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣ ، والثابت جزء من القصة، وهو قراءة سورة النجم وسجوده في آخرها.

والمعروف عند بعض المستشرقين تصيد الشاذ من الروايات، وقد وردت قصة الغرانيق عند الواقدي، وهو معروف بسرد الإسرائيليات والخرافات. والطبري أيضًا معروف بجمع كثير من الرويات دون تمحيص.

«ويعتبر الواقدي أول من روج لقصة الغرانيق، ثم أخذها عنه ابن سعد[٣]، والطبري[٤]، وغيرهم»[٥].

---

(١) ابن حزم الظاهري، الإمام أبي محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل،(٤ / ٤٨)، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل ــ بيروت ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

(٢) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٥ / ٧٣٠)

(٣) انظر: : الزهري: محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠هـ، كتاب الطبقات الكبير، (١ / ١٧٤ ــ ١٧٥)، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي ــ القاهرة، الشركة الدولية للطباعة ــ مصر، ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري،(٢ / ٣٣٨ ــ ٣٣٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٥) النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات ــ بروكلمان ــ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص ٩٧ ــ٩٨)

وقد علق (هربرت جوتشالك) على قصة الغرانيق كما ترجمها د. محمد شامة عنه من كتابه: (الإسلام قوة عالمية متحركة) بقوله:

«يذكر المؤلف أنه حين اشتدت الوطأة بمحمد وصحبه، نزل الوحي بأن الله اعترف بنبوة ثلاثة من الأصنام كبنات له، فأدخل ذلك السرور على المسلمين وهدأت ثورة المشركين ضد الدعوة، ورجع المهاجرون من الحبشة عندما وصلهم النبأ، ولكن الوحي عاد فصحح ذلك اللبس الذي حدث، ويستدل على ذلك بنصوص إسلامية»[١].

كما علق أبو شامة على ذلك مبينًا أن القصة رويت من كتب إسلامية، وبعض المستشرقين يولونها اهتمامًا بالغًا، فالمستشرق ليست لديه الروح الإسلامية التي تدفعه إلى محاولة تنقية التاريخ الإسلامي مما علق به، لأن تلك الروح مصدرها المجتمع الإسلامي أو العقيدة، وكلاهما غير موجود في عالم هذا المؤلف، فهو ليس مسلمًا[٢].

فيعتقد بعض المستشرقين أن كل حضارة لابد أن تستمد أصولها من الحضارة اليونانية، كما في الحضارة الغربية، لذا حاولوا إرجاع الحضارة الإسلامية إلى مصادر خارجية، فالقرآن والسنة عندهم ترجع لعوامل خارجية خاضعة لقواعد الأثر والتأثر، بالتالي ينفي بعض المستشرقين كل أصالة للدين الإسلامي بتغليب المؤثرات الخارجية، سواء فارسية، أو يهودية أوغيرها لإثبات الامتزاج والتأثر بتلفيقات غير موفقة، من أجل لصق الاستعارات الباطلة في أصول العقائد الإسلامية،ومن أمثلة العبادات التي يحاول بعض المستشرقين ردها إلى أصول أجنبية الصلاة والصيام.

يقول المستشرق دومينيك سورديل: «ويبدو أن محمدًا أراد في الأيام الأولى كسب اليهود لما رأى من تقارب بين ديانتهم وتلك التي كان يبشر بها، فقد كان المسلمون يتجهون في صلاتهم نحو القدس. غير أن يهود المدينة سرعان ماردُّوا على النبي بلهجة ملؤها الاستهانة والسخرية. مما حدا بمحمد إلى مقاطعتهم، وقد أقام دين الله في مقابل شريعة موسى، وبذلك أصبح حرم مكة المركز الذي يتوجه إليه المسلمون في صلاتهم (القبلة). لابل إن محمدًا وثق صلة الدين الجديد بديانة إبراهيم، الذي عاش قبل ظهور الشريعة الموسوية، والذي لم يكن

(١) شامة: محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، ٤٧

(٢) انظر: شامة: محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، ٤٧

يهوديًا ولا نصرانيًا. وبذلك يكون قد أكد استقلاله المطلق تجاه أهل الكتاب الذين لم تكن أفكارهم عن دينهم كاملة أو واضحة، مثلما كان الأمر عليه في القرآن»[١].

ويقول بروكلمان: «كان واجب المسلمين الرئيسي الذي يعلنون بواسطته انتماءهم للجماعة الصلاة مرتين أول الأمر، ثم ثلاث مرات، وأخيرًا خمس مرات في اليوم الواحد، وكانت الصلوات يقدم لها منذ البدء بالوضوء، الذي كان مألوفًا أيضًا عند الفرق النصرانية»[٢].

إن الروايات الإسلامية جاءت متواترة لإثبات أن الصلوات الخمس فرضت بعد حادثة الإسراء والمعراج في الفترة المكية، فكيف تفرض صلاة الظهر في المدينة مجاراة للعبادات اليهودية كما يدعي وات قوله: «فرضت صلاة الظهر مجاراة للعادات اليهودية»[٣].

كما نقل وات عن (سنوك هورجرونج) بقوله:

«ولما نظمت الصلاة فيما بعد على أيدي الفقهاء الدينيين، أصبح على كل مسلم يؤديها خمس مرات في اليوم،ومن الممكن أنه خلال سنوات النبي الأخيرة لم يحترم فرض الصلوات الخمس بانتظام، فقد حذفت صلاة العشاء، العزيزة على قلوب المكيين من أتباع محمد في المدينة»[٤].

ويرى بروكلمان أن الرسول قد اقتبس فريضة صيام رمضان من الغنوصية حيث يقول: «ولسنا نعرف حتى الآن ما إذا كان محمد قد اقتبس هذه الفريضة عن إحدى الفرق

---

(١) سورديل: دومينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٥٣)، ترجمة: سليم قندلفت.

Broklmann ،Carl: History of the Islamic Peoples ،p.(٢١-٢٢)

نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة (London:(٢) ١٩٦٤) تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ١٨٢)

(٣) Muhammad at Medina ،p.(١٩٩)(Oxford at the Clarendon press ،london: ١٩٧٢)

نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ١٨٢)وفي النسخة العربية عن الصلاة (انظر: وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٣٠٤)، تعريب شعبان بركات.

(٤) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٤٦٥)، تعريب شعبان بركات، ط (بدون) منشورات المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت

الغنوصية، أم عن المانيين الذين نفذ مبشروهم إلى بلاد العرب. أيضًا فقد لا يعرف شيئًا عن الحرانيين في العراق الذين كانوا يصومون كذلك شهر آذار / مارس تمجيدًا للقمر»(١).

والصيام عبادة مفروضة على السابقين واللاحقين لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣.

وعلى المستشرقين قبل محاكمة المسلمين دراسة الدين الإسلامي من منابعه الأصيلة، دون الاعتماد على المراجع المحرفة المصبوغة بالصبغة العلمية، بل يجب عليهم الرجوع إلى مصادر الإسلام الصحيحة المتمثلة في الكتاب والسنة حتى تكون أحكامهم موضوعية، ومناهجهم صحيحة.

إن ما قدمه بعض المستشرقين لنا لدليل كاف على أن الدراسات التي قاموا بها يوجد بينها التباين والاختلاف في النتائج، فلو قامت الدراسات الاستشراقية على الموضوعية والمنهج العلمي لما اختلفت النتائج.

والعقائد الإسلامية ليست من صنع البشر، بل هي مستمدة من الوحي الإلهي، والقرآن الكريم وحي من الله، ولو وجد التأثر، وقد انتفى العنصر البشري، فهو كتاب سماوي كالكتب السماوية التي سبقته.

فما جاء به القرآن والرسول في الواقع تقرير لما جاءت به الديانات السابقة غير المحرفة. قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٩. فالقرآن لم يبطل إلاَّ ماقد حرف منه، والهدف من الوحي الإلهي واحد في جميع الرسالات الإلهية، وإذا كان الإسلام خلاصة الأديان السماوية، فهو متميز بخاصية العالمية؛ بالتالي يصبح الأمر مجالاً لطرح أمور مشتركة ومتقاربة بين الأديان السماوية، لكن علينا أن لا ننسى أن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت مصححة لكثير من الأخطاء في الديانات السابقة، والتي اعتبرها بعض المستشرقين (مقتبسات) فإذا ماوجد تطابق بين

---

(١) History of the Islamic Peoples p.(٢٢)

نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لأراء (وات ــ بروكلمان ــ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص ١٨٨ ــ ١٨٩)

التعاليم الإسلامية وما عند غيرهم من أصحاب الأديان السماوية الأخرى فهذا دليل صادق على أنه وحي من الله لتصويب ماقد حرف، خاصة أن الإسلام دين سماوي جاء بعد كل من الديانة اليهودية والديانة المسيحية، ثم إن الأصل مشترك لعقيدة التوحيد بالنسبة للأديان السماوية كلها،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء: ٢٥.

فمزاعم المستشرقين أن الدين الإسلامي مستمد من الأديان السابقة مزاعم باطلة خالية من الدليل مع انعدام الموضوعية.ويتمثل خطأ بعض المستشرقين الأساس في نظرتهم القاصرة للأديان السماوية، ودراسة كل دين بشكل مستقل.وهذا من الأخطاء المنهجية؛ لأن جميع الأديان السماوية تتلاقى في الكثير من تعاليمها، خاصة في مسألة التوحيد.

يقول ابن القيم: «الشرائع كلها في أصولها وإن تباينت متفقة، مركوز حسنها في العقول، ولو وقعت على غير ماهي عليه لخرجت من الحكمة والمصلحة والرحمة»[1].

فالأديان منبعها واحد، وإن تلاقت بعض الأفكار، ورسالة محمد هي الرسالة الخاتمة للديانات السابقة.ويتزايد الخطر فداحة عندما يصر المستشرق على الزعم بأن الإسلام مستمد من مصادر الأديان السابقة، فأصبح مشغولاً برصد واستكشاف الأصول اليهودية والمسيحية في كتاباته عن العقيدة الإسلامية، ولاريب أن ذلك يعود إلى عداء تاريخي قديم، فالمستشرق اليهودي يؤكد على المصادر اليهودية،والمسيحي سوف يؤكد على المصادر المسيحية، وليس بالوسع إلا التأكيد على الخطر الذي يترتب على مثل هذه المزاعم لانعدام الموضوعية فيها، بالرغم من أن التنقيب المتأني من قبل بعض المستشرقين عن العناصر المشتركة بين ما جاء به الوحي في الدين الإسلامي وبين اليهودية والمسيحية، جهلاً منهم أنها تنبعث من مصدر واحد لغاية واحدة، وماذلك إلا دليل على مدى التخبط العلمي والمنهج الخاطيء الذي رسم وحدد النتائج المرغوب التوصل إليها سلفًا لنفي الأصالة عن الدين الإسلامي، متناسين أن الأصل المشترك بين الديانات السماوية هو التوحيد والدعوة إليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ فصلت: ٤٣.

---

(١) الجوزية: ابن قيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (٢/٢)، دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

وكما لا يخفى فإن القرآن الكريم يشهد أن الكتب السابقة كتب سماوية نزل بها الوحي من عند الله، لكنها قد بدلت، ودخل عليها العديد من التحولات والتحريفات، وقد أرشد موريس بوكاي في دراسة له مقارنة معتبرة بين الكتب المقدسة ساهمت في تفنيد الزعم بالاستلهام من المصادر اليهودية والمسيحية(١).

فدعوى تبعية الإسلام كما يصورها بعض المستشرقين باطلة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هود: ٤٩.

فمحاولة استعمار الدول الإسلامية، واستغلال خيراتها، جعلت جل المستشرقين يتعدون عن جادة البحث العلمي وموضوعيته. مما أدى إلى انحراف في العقلية الاستشراقية بشكل شامل للمستشرقين على مر العصور. فاتهم بعض المستشرقين النبي بأن دينه الجديد انبثق بالدرجة الأولى عن اليهودية، وتم تكييفه وفق حاجات شعبه.

وأكد ذلك بروكلمان بقوله: «ليس من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية، فكيفه محمد تكييفًا بارعًا وفقًا لحاجات شعبه الدينية، وبذلك ارتفع بهم إلى مستوى أعلى من الحساسية الخلقية والإيمان الفطري»(٢).

ولكن من يقارن بين العقيدتين يجد الإسلام بعيدًا جدا عن الاقتباس المدعى، فالمفارقة بين العقيدتين واضحة من خلال مفهوم الإله عند اليهود (يهوه) فهو إله اليهود وحدهم لا يتصف بالعموم، وهو إله يصاب بالتعب والإرهاق، بينما الإسلام يعرف اسم (الله) إله الجميع. كما أن بعض المستشرقين يصفون اليهود والنصارى في الجزيرة بالجهل، ومن سيأخذ عنهم بالجهل أيضًا.

يقول بروكلمان: «وليس من شك في أن معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مدينا ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي

(١) انظر: بوكاي: د.موريس، (القرآن والإنجيل والعلم)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(٢) Broklmann ،Carl: History of the Islamic Peoples ،p.(٣٦)(London: ١٩٦٤)
نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ١٧٨)

يحفل بها القصص التلمودي. ولكنه مدين بذلك دينا أكبر إلى المعلمين الذين عرفوه بإنجيل الطفولة، وبحديث أهل الكهف السبعة، وحديث الإسكندر وغيرها من الكتب التي تتواتر في كتب العصر الوسيط.. في هذه القصص نجد أسلوبه ينـزع إلى أن يكون أكثر إسهابا، وأقل توقدًا، كما نجد أنه كان يوشح هذه القصص بمناقشات خطابية تدور حول إثبات وجود الله بمختلف الدلائل الطبيعية»(١).

هؤلاء المستشرقين هدفهم نفي نبوة محمد ﷺ وإثارة الشكوك في الوحي الإلهي عن طريق عقد صلات مستمرة، مع اليهود خاصة معلم النبي الأول ــ كما زعموا ــ ورقة بن نوفل.

وهدف بعض المستشرقين من هذا واضح القصد،فالهدف منه تحجيم الدعوة الإسلامية لنفي عالميتها بحجة أن دعوة النبي كانت دعوة خاصة بالعرب دون غيرهم. بل إن (مونتجومري وات) تمنى لو كان اليهود قد انضموا إلى محمد ﷺ حتى يصبح الإسلام طائفة يهودية.

قال (مونتجومري وات): «من المفيد أن نتخيل ماكان يحدث لو أن اليهود انضموا إلى محمد بدلا من معاداته. وكان بإمكانهم في بعض الأوقات أن يحصلوا منه على شروط مفيدة لهم جدًا. ومنها الاستقلال الديني، فتقوم على هذا الأساس إمبراطورية عربية يؤلف اليهود جزءًا منها، ويصبح الإسلام بذلك طائفة يهودية [؟]»(٢).

وفي محاولة خاسرة حاول بعض المستشرقين إثبات تأثر الفكر الإسلامي بالفكر الهيليني، بالرغم من أن السلف الصالح قد رفض المنطق الأرسطي، بما حفظ عنهم من نصوص كثيرة مروية في ذم علم الكلام وأهله(٣).

يقول رودي بارت: «إن التراث الإغريقي العلمي قد أثر بصفة عامة تأثيرًا خارقًا للعادة

---

(١) Broklmann ،Carl: History of the Islamic Peoples ،p.(١٦-١٧) (London: ١٩٦٤) نقلاً عن: النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء: وات ــ بروكلمان ــ فلها وزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ١٧٨)

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٣٣٤ ــ ٣٣٥، تعريب شعبان بركات.

(٣) انظر: السيوطي: جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، (ص: ٣٣ ــ ٨٢)، حيث ذكر ملخص الشيخ إسماعيل الهروي الأنصاري ت (٤٨١) في ذم علم الكلام،علق عليه: : د. علي سامي النشار، منشورات عباس أحمد البازــ المروة، مكة المكرمة ــ (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

على نشأة الثقافة العربية الإسلامية»[(١)].

ويقول هيربرت جوتشالك في كتابه (الإسلام قوة عالمية متحركة) من أن:

«قضية التأثير والتأثر بين الإسلام وغيره من الأديان والعقائد السابقة التي أثارها المستشرقون، ولازال بعضهم يضرب على وترها قد ثبت بطلانها علميًا، فالإسلام لم يأخذ شيئًا من غيره، وإن وافقت تعاليمه ما عند الآخرين؛ ورسول الله ﷺ لم يقتبس شيئًا من العقائد الأخرى، بالإضافة إلى ما ثبت من أن ما أخبر به وحي، بدليل أنه خارج عن قدرة البشر العقلية، فإذا قيل بعد ذلك: إنه تأثر بهذا أو بذاك، فليس إلا ادعاء يفتقر إلى الدليل العلمي»[(٢)].

(١) بارت: رودي، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، (ص: ٥١)

(٢) شامة: محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٦٦)

المبحث الثاني

نقد منهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي

إن الباعث على توجيه سهام الطعن في الحديث من قبل بعض المستشرقين لأنهم أدركوا أن الحديث النبوي مكمل للقرآن، ومتناول كل جوانب أمور الحياة، فكان لابد من هدمه عن طريق التشكيك فيه، وادعاء أن أكثره مختلق، وما لا سبيل للطعن فيه من الأحاديث الصحيحة قاموا بعرضها على القرآن، فإن جاءت بحكم ليس في القرآن لا يلتزم به، حتى يسهل لهم بالتالي تعطيل دور القرآن أيضًا في الأحكام والتشريع، إذ كان أكثر أحكامه من الكليات والعموميات، وهي في حاجة إلى تفسير وتوضيح، فالصفة الإعجازية وغيرها من الصفات التي اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون القرآن على ماهو عليه من إجمال لكثير مما جاء فيه من أحكام، توجب الاعتماد على الحديث النبوي في البيان عند الحاجة.

ويخطيء من يتوهم أن العمل بالقرآن وحده كاف في تنفيذ الشريعة، لأن العمل بالكتاب وحده غير ممكن في كثير من المواطن المجملة إلا بالرجوع إلى الحديث المفسر، ولأن الحديث تضمن أحكامًا جديدة لم ترد في الكتاب، كميراث الجدة وكحد شرب الخمر، وغيرها.ففكرة ترك الحديث والاقتصار على القرآن وحده هي إما جهل لا يقوم على علم وحقيقة، وإما تضليل يهدف إلى أهداف تهديمية سيئة لا إلى حقيقة علمية(١).

وقد كتب الدكتور: محمد يوسف موسى أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة مقدمة نفيسة لكتاب(البيوع)جاء فيها بيان منزلة السنة من الكتاب، حيث رد على الجماعة المغرضة الذين هدفهم الطعن في سنة الرسول، ثم بين أنهم: «ينتهون إلى ما انتهى أسلاف لهم ضالون، من ضرورة الاكتفاء بالقرآن، وكأن الله يبعث رسله المصطفين من خلقه لحمل كلماته وكتبه دون بيانها! وهم بموقفهم هذا يكذبون القرآن نفسه إذ يقول ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

(١) انظر: الزرقاء: مصطفى أحمد، في الحديث النبوي،(آمال ومحاضرات لطلاب شهادة علوم اللغة العربية في كلية الآداب من الجامعة السورية)، (ص ١٢ ــ ١٩)، ط ٢، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤»[١].

ويقول مونتجومري وات: «ولقد قام نقد الأحاديث الإسلامية على يد العلماء الأوربيين، ولاسيما أنياس جولد زيهر في كتاب (دراسات محمدية)، ويوسف شخت في كتابه (أصول التشريع المحمدي) على نقد الأحاديث الشرعية الموجودة في كتب البخاري ومسلم وغيرها، أكثر مما قام على نقد الأحاديث التاريخية حيث يظهر الوضع والاصطناع. ولهذا فليس من الغريب أن تظهر نظريات خاصة حول الأحاديث. وإذا نظر المرء مع ذلك إلى القسم المتفق عليه، أو القسم التاريخي الصرف من المواد التاريخية في الحديث يبدو له وجود نواة صلبة من الواقع»[٢].

فبعض المستشرقين يرفضون الأسانيد المتواترة، ويقبلون الأحاديث الضعيفة إذا كانت توافق الواقع حسب أوهامهم وتصوراتهم،قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ٢٣.

ومن المستشرقين الذين كتبوا عن السنة النبوية جولد تسيهر فلم يكن أمينا في دراساته. يقول الأستاذ أحمد محمد شاكر عن جولد تسيهر: «قرأت له كتابا ترجمه أحد علماء الأزهر وهو كتاب (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) فرأيته نقل شيئًا في القراءات عن كتب مطبوعة، فحرف في النقل عن عمد، ونسب إلى أكثر القراء قراءة شاذة باطلة جعلها قراءة أكثرهم.... فجولد تسيهر لوعاملناه بما نعامل به رواة الحديث من النقد، بعد أن نغضي عن شروط العدالة المعروفة للعلماء، ونتمسك منها بشرط الصدق وحده، وجدنا أنه ممن لا يجوز قبول نقله في شيء أصلاً، لأن الصدق والأمانة في الرواية شرط في قبول ما ينقل الناقل، فإذا ثبت أنه جانب الصدق في روايته، ولو مرة واحدة سقط كل ما يرويه وبطل، لاتقبل له رواية بعد ذلك، إلا أن يثبت أنه أخطأ و لم يتعمد الكذب و(جولد سيهر) تعمد أن ينسب

(١) الخطيب: محب الدين، الندوي: سليمان،السباعي: مصطفى، دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه. (ص: ١٨)، ط (بدون) الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام ١٤ شارع علي عبد اللطيف بمصر.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٥١٥ ــ ٥١٦)، تعريب شعبان بركات.

إلى أكثر القراء غير الحقيقة في شيء مادي يلمسه كل قارئ نقله عن كتب مطبوعة في أيدي الناس، وكان جريئًا جدا.إذ أشار إلى المواضع التي ينقل منها بالجزء والصفحة ظنًا منه أن القراء يصدقون نقله، فلا يرجعون إلى ما ينقل منه»(١).

والواجب على الباحث المسلم التمييز بين الروايات الصحيحة وغير الصحيحة، حيث رسم المحدثون هذه الطريق في منهج واضح ميسر لمن أراد الرجوع إليه في نقد الروايات.

كما أننا نرى بعض المستشرقين في دراستهم للعقيدة الإسلامية أعرضوا عن الحقائق وتصرفوا في تأويل الأحاديث ومن ثم أخطؤوا في استخلاص النتائج، وهذا خلاف المنهج الحق في البحث العلمي الصحيح، كما أن المستشرقين الأوائل أغلبهم مبشرون صنعوا صورة مشوهة مدبرة عن الإسلام، وهذه الغريزة الموروثة استمرت مع الدراسات الغربية في دراسة الإسلام بمنهج منحرف ينم عن حقد دفين.

ومن منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال بيان الخطأ من أجل أن يحذره غيره، دون ذكر محاسنهم، إلا إذا دعت الحاجة إلى بيان ما عندهم من حق، فالمنهج الإسلامي الصحيح السير وفق المنهج القرآني في التعامل مع الكفار وأتباعهم بعدم ذكر محاسنهم؛ لأنها لا تستحق أن تذكر؛ لأن كفرهم وضلالهم قد أفسدا وشوها تلك المحاسن، وصيرها هباء منثورا.**قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣(٢).

ويعتبر شاخت الإسناد هو الجزء الأكثر اعتباطا من الحديث، وأن المسلمين نسبوا أحاديثهم تدريجيًا إلى الرسول ﷺ ووضعوها باسمه. ولهذا فإن آراء المستشرقين ومن أيدهم في هذا المجال لايمكن قبولها بأي صورة من الصور، والتحقيق أن الحديث ونقده كان يعتمد على قواعد علمية شاملة وصارمة، لذا يمكن الوثوق بكل ما عندنا من الحديث النبوي الشريف(٣).

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الحاشية، (٧ / ٣٣٤)، مادة الحديث، (الدائرة الأولى)

(٢) انظر: المدخلي: ربيع هادي عمير، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف، مقدمة الكتاب من (ص: ٥ ــ ١٠)، ط ٢، دار المنار ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٣) انظر: الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن، (ص: ٦١)، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م.

فيستحيل التسوية بين تدوين التوراة والإنجيل وبين تدوين القرآن الكريم، وقد قام الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) بدراسة للكتب المقدسة (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم[١]) فبين فيها تناقضات التوراة والإنجيل مع العلم، في الوقت الذي سلم فيه القرآن من أي تناقضات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ .

كما اعتبر بعض المستشرقين الحديث النبوي عبارة عن تطور ديني للإسلام، حيث توصل جولد تسيهر إلى نتيجة عبر عنها قائلاً:

«إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني، والتاريخي، والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة»[٢].

وهذا زعم باطل تكذبه النصوص الثابتة، فرسول الله ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد وضع الأسس الكاملة لبيان الإسلام الشامخ بما أنزل الله عليه في كتابه وبما سنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ من سنن وشرائع، وقوانين شاملة وافية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة: ٣ .

ولم يقتصر التطور على الحديث، بل شمل الدين الإسلامي لدى بعض المستشرقين، حيث اعتبر جولد تسيهر أن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل، وأخذت من عدة روافد أجنبية، كاليهودية، والهلينسية، وبالقانون الروماني، والنظريات السياسية

---

(١) انظر: بوكاي: د.موريس، (القرآن والإنجيل والعلم)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،(ص: ١٣٠)، حاشية رقم (٣٧٣)

(٢) Goldziher ،Muslim Studies ،tr. Stern ،(London ،١٩٧١) Vol.٢ ،P١٩.
نقلاً عن الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن، (ص ١١ ــ ١٢)،ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هــ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م.

الفارسية، والآراء الهندية والأفلوطونية وغيرها، وإن الإسلام استطاع أن يمتص هـذه الآراء الأجنبية، ويتمثلها، وكأنها جزء أصيل من تعاليمه[1].

(١) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٥)، ترجمة: محمد يوسف موسى.

المبحث الثالث

نقد المنهج المادي

من الأسباب التي أدت ببعض المستشرقين إلى استخدام مناهج غير علمية التركيز على الجانب المادي، وإخضاع الأفكار الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية، وإهمال عنصر الروح والقيم الإسلامية، وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيرًا ماديا.

وقد مارس بعض المستشرقين تطبيقهم للمنهج الغربي في تفسير الأحداث التاريخية الإسلامية، وإرجاع الفتوحات الإسلامية إلى أسباب غير دينية، مرتبطة بالحصول على الغنيمة والمال، والتركيز على الجانب الإقتصادي، حتى دخول الناس في الإسلام فسروه تفسيرًا ماديًا، وأنه كان لإعفائهم من الجزية، أو للحصول على الغنيمة.وقد فسر المستشرق (السيرتوماس.و. أرنولد) الأسباب التي أدت إلى دخول الناس في الإسلام بأنهم: «مدفوعين إلى قبول الدين، متأثرين بمطالب وأحوال اجتماعية، وسياسية، واقتصادية»[(١)].

وقد أضاف سبب تحول الناس إلى الإسلام «لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية»[(٢)].

ونرد على هؤلاء وغيرهم بأن الإسلام انتشر بأخلاق المسلمين وتسامحهم، فالإسلام لم يكره أحدًا على الدخول فيه، ولكن: كانت السماحة العربية وأسلوب الحياة العربي مما استحوذ على نصارى أسبانيا، وليس كما زعم المبطلون ـــ زورًا عظيما ـــ بأنهم أرغموا على الإسلام خشية السيف البتار، والحرق بالنار[(٣)].

والجهاد فرض من باب الدعوة لدين الإسلام وفق ضوابط شرعية،والمسلمون لم يفرضوا الإسلام فرضًا على أهل البلاد المفتوحة، لأنه لا إكراه في الدين، والدليل على ذلك انتشار

---

(١) توماس: سير، أرنولد: و،الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، (ص: ٣٣)، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠.

(٢) توماس: سير، أرنولد: و، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، (ص: ٩٧)

(٣) انظر: هونكة: زيجريد، الله ليس كذلك، (ص: ٤٠ ـــ ٤١)، ترجمة: غريب محمد غريب، ط٢، دار الشروق، مؤسسة بافاريا، مجلة النور الكويتية، ١٤١٧هـــ ـــ ١٩٩٦م.

الإسلام في شتى ربوع العالم، وفي بقاع عديدة لم يفتحها المسلمين.

فالفكر الاستشراقي المتأثر بالشيوعية يفسر الغزوات الإسلامية تفسيرًا اقتصاديا حسب نظرتهم للتاريخ البشري، وأن الصراع فيه هو على الموارد الاقتصادية ولأجلها، وهكذا نجد بعض الدراسات الاستشراقية في دراستها عن الإسلام تتجه حسب منهجها الفكري، لذلك تبرز أهمية معرفة اتجاه الباحثين وبعض الكتاب المستشرقين للتمكن من التحليل المنهجي للنصوص المستخدمة لتسويق فكرهم المنحرف.

وقد اعتبر بعض من المستشرقين الغزوات الإسلامية بحثًا عن زيادة الدعم الاقتصادي، وتحقيق الرفاهية للنبي محمد ﷺ وصحابته الكرام.

يقول مونتجومري وات: «وكانت أخبار بدر، ومشاهدة الغنيمة قد أدتا إلى ازدياد قوة محمد، وأصبح أهل المدينة أكثر رغبة في الاشتراك بغزواته»(١). ويقول أيضًا: «وقد وزع فيء بدر، كما يبدو، حسب رأي محمد. وهذا ما يؤيد الرأي القائل بأنها كانت غزوة شخصية نظمها محمد، ودعا الآخرين للاشتراك فيها. ويقال بأنه قبل المعركة، وعد بمكافأة الذين يقتلون عدوًا أو يأسرونه، وبعد أن وفى بوعده (واحتفظ ببعض الفيء لاستهلاكه الشخصي) وزع الباقي بالتساوي على المشتركين، وربما أحس محمد فيما بعد أن هذه الطريقة في القتال وتوزيع الغنائم ليست حكيمة، أو أن أصداء بدر في المدينة حتمت إجراء تغييرات. ومهما كان الأمر فقد قرر أثناء القيام بالغزوات ضد قينقاع، في الشهر الذي تلا بدرًا، أن خمس الغنائم التي تؤخذ في غزوة من الغزوات من نصيب محمد. وهذا التغيير يعني حدوث تغيرات أخرى كثيرة. وأولها الاعتراف بمحمد أنه قائد الأمة. وكان من عادة العرب في شبه الجزيرة العربية أن يأخذ شيخ القبيلة ربع الغنيمة، وذلك لاستهلاكه الخاص، ولكي يستطيع القيام ببعض المهام باسم القبيلة، كمساعدة الفقراء، وقرى الضيف. واستبدال الخمس بالربع يدل على الفرق بين زعيم أمة وزعيم قبيلة، أما الآية التي تقرر أن خمس الغنيمة لمحمد (ربما نزل بها الوحي رأسًا بعد بدر) فهي تشير إلى أن هذا الخمس يجب أن يستعمل جزء منه لخير الأمة»(٢).

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٢٦)، تعريب شعبان بركات.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٣٥٢ ــ ٣٥٣)، تعريب شعبان بركات.

وهكذا يوصف النبي بصفات سيئة عند بعض المستشرقين ومن ثمّ سحب خاصية الدعوة الإسلامية من لدن أتباع النبي محمد ﷺ كما عمد بعض المستشرقين إلى التقليل من أهمية انتصارات النبي محمد ﷺ في بدر، وتضخيم هزيمة المسلمين في معركة أحد، وكأنها نهاية للوجود الإسلامي. ولم يفهما أن هزيمة المسلمين كانت بسبب عدم طاعة الرماة لأوامر النبي محمد ﷺ.

ويكفينا لنقد المنهج المادي ما ذكره الدكتور: ساسي سالم الحاج بقوله:

«ولعل السبب في عقم مناهج المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية بصورة عامة، والسيرة النبوية بصورة خاصة، أن هؤلاء الباحثين إما أن يكونوا ماديين علمانيين لا يؤمنون بالتصورات الغيبية، ولا بالأفعال اللااعتيادية، ويضعون كل شيء تحت مجهر الحقائق المادية العادية، وإما أن يكونوا من اليهود أو النصارى وبالتالي فإنهم لا يؤمنون بالديانة الإسلامية، ويشككون في مصدرها الإلهي، ويعتبرونها على الأقل من الأعمال الإنسانية العظيمة، التي لا علاقة لها بالفيض الإلهي. وهكذا عندما تدرس أفكار وتحاليل هؤلاء الناس فإنك تجدهم يشكّون في العديد من الحوادث والأخبار التاريخية، التي أجمعت على صحتها معظم المصادر الإسلامية»[(١)].

(١) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ١٩٧)

المبحث الرابع

نقد منهج المستشرقين باعتمادهم على الدراسات الاستشراقية

سبق أن ذكرنا كثرة اعتماد بعض المستشرقين على الكتب التاريخية والسير في دراستهم للعقيدة الإسلامية، مع قلة إحالتهم إلى القرآن والسنة، والكتب الموافقة لمنهج أهل السنة والجماعة،و إحالتهم إلى المصادر الاستشراقية بشكل كبير من خلال تتبع مصادرهم في دراسة المواد العقدية من خلال دائرة المعارف الإسلامية(١).

إن كثرة اعتماد كثير من المستشرقين على بعضهم البعض سيؤدي إلى تكرار الأخطاء المنهجية في الدراسات الإسلامية، والموضوعية في البحث تستوجب عرض المادة العلمية من مصادرها الأصلية حتى لاتكون الأحكام مسبقة، ومن ثم تصبح موروثة بين الأجيال كما هو الواقع ــ فالإسلام يجب أن يؤخذ من منابعه الأصيلة دون انتقاء للنصوص الموافقة للهوى.

والملاحظ أنه يكثر بعض المستشرقين من الاعتماد على بعضهم ــ لاسيما كبار مناظريهم ــ وأخذ أقوالهم بالتسليم.ومن دراسات بعض المستشرقين ما قام به المستشرق الذائع الصيت: «(أغناس غولتسيهر) الذي نشر بحثه سنة ١٨٩٠م بعنوان (دراسات إسلامية) باللغة الألمانية،...وأصبح كتابه في دائرة الاستشراق منذ ذلك الوقت حتى الآن (إنجيلاً مقدسًا) يهتدي به الباحثون.

وبعد مضي ستين عامًا بالتقريب على نشر ذلك الكتاب، نشط البروفسور شاخت، وأمضى وقتا غير قليل بل ربما كان ــ كما قيل ــ أكثر من عشرة أعوام في البحث والتنقيب في معادن الأحاديث الفقهية، ونشر نتيجة (بحوثه) في كتابه الشهير: (The Origins Of Muhammadan Juris prudence(٢)) وخلاصة ما وصل إليه من نتائج أنه ليس هناك حديث واحد صحيح، وخاصة الأحاديث الفقهية، وصار هذا الكتاب منذ ذلك الحين (إنجيلاً ثانيًا) لعالم الاستشراق، وفاق شاخت سلفه غولتسيهر حيث غير من نظرته التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها.

---

(١) انظر: الباب الأول ــ الفصل الأول (مصادر المستشرقين في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة)

(٢) أصول الشريعة المحمدية.

ولقد ترك كتابه هذا أثرًا عميقا في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية حتى تنبأ البروفسور جب قائلاً: إنه ـــ يعني كتاب شاخت ـــ سيكون في المستقبل أساسًا لكافة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع، وعلى الأقل في الغرب»[١].

ويقول الأستاذ أحمد فارس الشدياق: «إن هؤلاء الأساتذة (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً، وتوثبوا فيه توثبًا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئًا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق، أو ترجم شيئًا منها، تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه حمن فرجح منه المرجوح، وفضل المفضول»[٢].

أما أسلوب بعض المستشرقين في البحث عن الحقائق يتحدث عنه الأمير شكيب أرسلان بقوله:

«وأما هؤلاء المستشرقون المتنطعون فإذا عثروا على حكاية شاردة، أو نكتة فاردة في زاوية كتاب قد يكون محرفا سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلواء، وجعلوها معيارًا ومقياسًا، لا، بل صيروها محكا يعرضون عليها سائر الحوادث ويغفلون، أو يتغافلون، عن الأحوال الخاصة، والأسباب المستثناة، ويرجع هذا التهور إلى قلة الاطلاع في الأصل، هذا إذا لم يشب ذلك سوء قصد، لأن الغربي لم يبرح عدوا للشرقي، ورقيبا له والنادر لا يعتد به »[٣].

ومن أضخم أعمال المستشرقين (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) وقد علق على جهدهم في إخراج هذا العمل الدكتور: سعد المرصفي قائلاً:

«واضح أنهم قاموا بإعداد هذا المعجم لحاجتهم الماسة إلى تلك الفهرسة في دراساتهم

(١) الأعظمي: د. محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه،(١/ المقدمة ـــ ي)، ط١، المكتب الإسلامي ـــ بيروت، ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م.

(٢) الشدياق: أحمد فارس، ذيل الفارياق، (ص: ٢)، نقلاً من: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣ / ١١٥١)

(٣) أرسلان: الأمير شكيب، الرد على الأدب الجاهلي، (ص: ١٠٠)، نقلاً من: لعقيقي: نجيب، الاستشراق والمستشرقون،(٣ / ١١٥١ ـــ ١١٥٢)

الاستشراقية، ولم يقصدوا بتصنيفه أن يقدموا خدمة للمسلمين......وقد اطلعت على هذا المعجم أثناء إعدادي لكتاب (الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم) فهالتني أخطاؤهم التي وقعوا فيها فيما يخص صحيح مسلم وحده. وقد صنفت هذه الأخطاء وقسمتها إلى سبعة أنواع، وفق ماهو مفصل في (أنواع الأخطاء) واكتفيت بإيراد نماذج لكل صنف منها، دون استقصاء لها، إذ إنها من الكثرة بحيث تفوق الحصر.وقد بلغت هذه النماذج في مجموعها (٤٧٩)تسعة وسبعين وأربعمائة نموذجا.وننبه هنا إلى أن المستشرقين قد بدأوا بالمضعّف في كل باب من أبواب المعجم وقدموه على ماسواه، وهذا مخالف لما جرت عليه جل المعجمات العربية»[1].

وعلق الدكتور أحمد الطيب في ترجمته للمقدمات الفرنسية للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي جاء فيها: إن المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف يعتبر من أكبر الأعمال العلمية التي قدمها بعض المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية والعربية بشكل عام. لقد نشأت فكرة المعجم ــ ونمت وترعرعت ــ في أحضان الاستشراق الهولندي في المقام الأول، وكان المستشرق الهولندي: أ.ج. فنسك، هو أول من طرح هذه الفكرة ووضعها موضع التنفيذ، حين عرض المشروع على الأكاديمية الملكية بأمستردام عام ١٩١٦م، وبالرغم من أن فنسك ــ مؤسس المشروع ــ قد مات عام ١٩٣٩م. إلا أن مشروع المعجم لم يتوقف أو يتجمد بوفاة مؤسسه. بل ظلت الهيئات والأكاديميات العلمية في أوربا وأمريكا واليابان تتبنى المشروع، وتنفق عليه، وتدفع به قدما إلى الأمام، وتمده بالمتخصصين في المجال العلمي، والمجال الفني، إلى أن اكتمل بظهور آخر جزء فيه عام ١٩٦٩م. وبرغم هذه الطاقات الهائلة العلمية والمالية والفنية، وبرغم هذا العمل المتواصل المشترك بين لفيف من كبار بعض المستشرقين في الغرب، فإن أحدًا من هؤلاء كانوا ــ على العكس ــ يصفونه ــ وبصورة متكررة ــ بشيء غير قليل من النقص الذي كان بتسرب

---

(١) المرصفي: الدكتور سعد محمد محمد الشيخ، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مقدمة الكتاب (ص ١٠)، ط ١، دار القلم للنشر والتوزيع ــ الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

إليه، على رغم منهم، نتيجة ملابسات خارجية عن حدود الطاقة والإمكان[1].

فاستخدام بعض المستشرقين لكتب السنة ليس بغرض البحث، والتقصي عن الحقيقة بقدر ما يقوم على النقد، والتدخل في المضمون بالشك والنفي عن جهل وعمد ــ لدى البعض ــ وإغفال للحقائق من أجل إسقاط رؤية يهودية ونصرانية على أسس منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة.

(١) انظر: الطيب: أحمد، مجلة مركز بحوث السيرة، العدد الأول ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م، جامعة قطر. نقلا عن: المرصفي: الدكتور سعد محمد محمد الشيخ، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مقدمة الكتاب (ص: ١٣ ــ ١٤)

الباب الثاني

مفهوم أهل السنة والجماعة عند المستشرقين

وفيه فصلان:

الفصل الأول:

نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة وموقف المستشرقين منها.

الفصل الثاني:

خلط المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: انتشار المذهب الأشعري.

المبحث الثاني:خلط المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق.

الفصل الأول

نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة وموقف المستشرقين منها.

الفصل الأول

نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة وموقف بعض المستشرقين منها

مذهب أهل السنة والجماعة هو مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، وليس بمذهب حادث، وقد سبق أن أشرنا إلى أن مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق على الاصطلاح العام لكل من ليس برافضي، وعلى الاصطلاح الخاص لمن هم أهل الحديث والسنة المحضة(١).

وقد ارتبط بدء التسمية بأهل السنة والجماعة بنشأة الفرق، لتمييز الاعتقاد الصحيح من غيره، بعد ظهور البدع والفرق استنادا إلى الأحاديث والآثار الدالة على التمسك بالسنة، والارتباط بالجماعة.

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٢).

كما برز مذهب أهل السنة والجماعة عندما حذر علماء المسلمين من أهل الكلام والبدع، فصار لقب أهل السنة في مقابل أهل البدع، واشتهر عند الأئمة المتقدمين: كمصطلح مقابل لمصطلح (أهل الأهواء والبدع) من الرافضة(٣)، والجهمية(١)،

---

(١) انظر: تعريف أهل السنة والجماعة في مقدمة هذه الرسالة (التمهيد).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع،(٥ / ٤٤)، ح (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، و أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج٥/١١ح (٤٦٠٧)، وابن ماجه في كتاب السنة، باب لزوم سنة الخلفاء الراشدين،ج١/١٥،ح(٤٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح(٤٦٠٧).

(٣) الرافضة: هي تلك الطائفة من الشيعة التي تعتقد بأحقية أهل البيت في الإمامة على باقي الصحابة بمن فيهم الشيخان رضي الله عنهما ، على أن هذه الإمامة ركن من أركان الدين بنص النبي ﷺ ، وأن الأنبياء والأئمة معصومون. ويشمل أيضًا: كل من يقول بالبداء والرجعة والغيبة والتولي والتبري إلا في حالة التقية. ويرجع العلماء سبب التسمية لرفضهم إمامة الشيخين وأكثر الصحابة، وقد أطلق عليهم هذا الاسم بعد رفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه؛ لعدم موافقته على أفكارهم، وكانت تسمى من قبل الخشبية والإمامية، ومن أشهر فرقهم الاثناعشرية. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (٢/ ١٠٥٩)

والخوارج[٢]، والمرجئة[٣]، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافًا لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع»[٤].

وقال ابن تيمية: «وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[٥].

فقول أهل السنة في صفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله واحد، وفي الرؤيا وسائر السمعيات لا يختلف، ولم يختلفوا إلا في بعض أمور الأحكام الاجتهادية، أوفي بعض المسائل التي ليست من أصول الاعتقاد، مثل: مسألة اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ يقول ابن قتيبة: «إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ»[٦].

ويطلق أهل السنة والجماعة على أتباع مذهب السلف الصالح في الاعتقاد، الثابت بالنص والإجماع، ومذهبهم امتداد لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

يقول ابن تيمية: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة، ومالكا، والشافعي، وأحمد. فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة

---

(١) هم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي، تلميذ الجعد بن درهم، قتله سالم بن أحوز المازني في عهد هشام بن عبد الملك آخر ملوك بني أمية. انظر ترجمته: (الذهبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد علي البجاوي،(١ / ٤٢٦، دار المعرفة بيروت ـــ لبنان ١١٩٦م) (وانظر: الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل،(١ / ٩٧)

(٢) سبق التعريف بها في الفصل الأول من الباب الأول.

(٣) الإرجاء يطلق على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير، والثاني:إعطاء الرجاء،وعلى المعنى الأول فهم جماعة يؤخرون العمل على النية والعقد، وعلى المعنى الثاني: فهم يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية،كما لا تنفع مع الكفر طاعة،(انظر: الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل،(١ / ١٦١ ـــ ١٦٢)

(٤) ابن تيمية: أحمد، مجموع الفتاوى،(٢٤ / ١٧٢)(باب صلاة الجمعة).

(٥) ابن تيمية:أحمد، منهاج السنة النبوية،(٢/ ٢٢١)

(٦) ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء التعارض،(١ / ٢٦٣)

حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم»(١).

وقال ابن تيمية:

«فاعتقاد أهل الحديث هو السنة المحضة، لأنه هو الاعتقاد الثابت عن النبي ﷺ»(٢).

وسئل الإمام مالك رحمه الله «: من أهل السنة؟ قال:أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لاجهمي، ولا قدري، ولا رافضي»(٣).

فمذهب أهل السنة والجماعة هو امتداد لما كان عليه الرسول وصحابته أجمعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «ولاريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ ، وآثار أصحابه، هم أهل السنة، لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث: وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه»(٤).

فمصطلح أهل السنة والجماعة يطلق على اتباع مذهب السلف الصالح،قال الإمام أحمد بن حنبل: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ...(٥)» ثم ذكر جملة عقائد السلف.

وأهل السنة يقفون حيث تقف بهم النصوص، بخلاف غيرهم ممن أصل لنفسه قواعد حاكموا بها النصوص الشرعية، فما وافق منها قواعدهم قبلوه، وما خالفها ردوه بتأويل، أو تضعيف، وخلافه.

---

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، منهاج السنة، (٢/ ٦٠١)، تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، منهاج السنة(٢/ ٥٢١)، تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

(٣) القرطبي: أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري ت ٤٦٣هـ، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وأبي حنيفة) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم.، (ص: ٦٠١ ـــ ٦٠٣)، عن نسخة دار الكتب المصرية مع اتمامها ومقابلة بعضها بنسخة خزانة كوبريلي محمد باشا بالآستانة، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس،(ص: ١٦)،دار الكتب العلميةـــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٥) انظر: اللالكائي، أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم،(١ / ١٥٦ ـــ ١٥٧)، رقم (٣١٧)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط٢، دار طيبة للنشر ـــ الرياض ١٤١١هـــ.

فمنهج أهل السنة والجماعة تلقي الدين من الكتاب والسنة والتسليم بما جاء به الرسول ﷺ وثبت عنه، وعدم التعمق فيما لم يرد فيه نص من مسائل الاعتقاد بالبحث والسؤال، مع الالتزام بقواعد الاستدلال الشرعية، أما أهل الأهواء والبدع فهم لا يكتفون بالكتاب والسنة، ويعولون على الأوهام والفلسفة، وتلقي الدين من كتب الأمم، والرؤى، والحكايات. يقول ابن تيمية في بيان مصادر الحق إنها: «الكتاب والسنة والإجماع. وبإزائه لقوم آخرين المنامات، والإسرائيليات، والحكايات»[1].

ويلاحظ البعض أن التسمية ربطت بالإمام أحمد رحمه الله لأنه لما صارت للجهمية سلطة امتحنوا الناس، ودعوهم إلى التجهم بالترغيب والترهيب، فسخر الله لأهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حيث صبر على امتحانهم وابتلائهم، وناظرهم وفند حججهم، وأعلن السنة،ووقف في وجه أهل البدع.

يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة، والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولا، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المئة الثالثة — على عهد المأمون، وأخيه المعتصم، ثم الواثق — ودعوا الناس إلى التجهم، وإبطال صفات الله تعالى، وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخرو الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاة الأمور، فلم يوافقهم أهل السنة حتى تهددوا بعضهم، بالقتل، وقيدوا بعضهم وعاقبوهم، وأخذوهم بالرغبة والرهبة، وثبت الإمام أحمد على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته، فانقطعوا معه في المناظرة يومًا، بعد يوم، ولم يأتوا بما يوجب موافقته لهم»[2].

فمصطلح أهل السنة ربط بالإمام أحمد لامتحانه وصبره، وهو مصطلح مشهور عند الأئمة المتقدمين في مقابل المخالفين من المبتدعة الظالين.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «وأحمد وغيره من

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى ،(١٩ / ٥)

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة(٢ / ٦٠٢ — ٦٠٣)،تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

علماء السنة والحديث ما زالوا يعرفون فساد مذهب الروافض والخوارج والقدرية والجهمية والمرجئة، ولكن بسبب المحنة كثر الكلام، ورفع الله قدر هذا الإمام، فصار إمامًا من أئمة السنة، وعلمًا من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيًا، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي،والظهور لأحمد، يعني أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال»[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والاعتقاد إنما أضيف إلى أحمد لأنه أظهره وبينه عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، حظ أحمد منه كحظ غيره من السلف: معرفته، والإيمان به، وتبليغه والذب عنه»[2].

وقد صنف الإمام أحمد وغيره من العلماء كتبًا في الرد على أهل البدع لبيان عقيدة السلف الصالح، حيث كانوا يطلقون عليها السنة[3].

فالسنة أطلقها السلف في القرن الثالث على الأمور الاعتقادية وأصول الدين، من خلال مؤلفاتهم في الرد على المخالفين،حيث يعنون به في الغالب أصول الدين.

يقول ابن رجب: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد، لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم»[4].

وأهل السنة والجماعة هم الذين حفظ الله بهم الدين الإسلامي،قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يظهر دين محمد ﷺ قط على غيره من الأديان إلا بأهل السنة، كما ظهر في

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة(٢/ ٦٠٥ــ ٦٠٦)،تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل،(٥/ ٥)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٣) انظر مثلاً: كتاب ابن حنبل: أحمد، السنة، مطبوع مع الرد على الجهمية والمعتزلة، تصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتار والدعوة والإرشاد ــ السعودية (بدون رقم الطبعة وتاريخها). والخلال: أبي بكر أحمد بن محمد٣١١هــ، السنة، مطبوع في ثلاثة كتب في سبعة أجزاء، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، ط٢، دار الراية ــ الرياض ١٩٩٤هــ / ١٤١٥هــ.و ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، السنة، مطبوع في جزئين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،ط١، المكتب الإسلامي ــ بيروت، ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠.

(٤) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم،(٢ / ٧٧٣)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور.

خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ ظهورا لم يحصل لشيء من الأديان، وعلي ﷺ مع أنه من الخلفاء الراشدين، ومن سادات السابقين الأولين، فلم يظهر في خلافته دين الإسلام، بل وقعت الفتنة بين أهله، وطمع فيهم عدوهم من الكفار والنصارى،والمجوس، بالشام والمشرق، وأما بعد علي فلم يُعرف أهل علم ودين، ولا أهل يد وسيف، نصر الله بهم الإسلام إلا أهل السنة»[1].

وَبِدْءُ التسمية بأهل السنة والجماعة له صلة وثيقة بالفتنة التي وقعت عند مقتل عثمان بن عفان ﷺ فقد حدثت وقعة الجمل[2] وصفين[3] وبرزت من خلال ذلك أول فرقة خارجة عن جماعة المسلمين وإمامهم، وذلك بظهور(الخوارج والشيعة).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهاتان الطائفتان ــ الخوارج والشيعة ــ حدثوا بعد مقتل عثمان، وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان في السنة الأولى من ولايته، متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعًا من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان، فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، منهاج السنة،(٤/ ١١٧ ــ ١١٨)،تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

(٢) معركة الجمل وقعت بين طلحة والزبير وعائشة ﷺ من جهة، وبين علي بن أبي طالب من جهة أخرى، سببها الرئيسي إصرار عائشة ــ رضي الله عنها ــ على أخذ الثأر لعثمان بن عفان من قتلته، وقد حدثت محاولة إصلاح بين المتنازعين لكن تدخل السبئيين أسقط هذه المحاولة فحدثت معركة الجمل نسبة لجمل كانت تركبه عائشة ــ رضي الله عنها ــ وانتهت المعركة بانتصار علي ﷺ ونقل الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة، وكان ذلك سنة ست وثلاثين للهجرة.(انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،(٢ / ٦٠٦ ــ ٦٢٢)

(٣) معركة صفين وقعت عند صفين غرب الفرات بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما بسبب ترك الدخول في طاعة علي، ولما رفض معاوية الدخول في طاعة علي ﷺ كانت الحرب فيما بينهم، وأثناء المعركة كانت بوادر النصر لصالح علي ﷺ لولا تدخل عمرو ابن العاص، وطلب أن يرفع جند معاوية المصاحف على أسنة الرماح طلبًا للتحكيم، فأوقف علي بن أبي طالب ﷺ المعركة بعد أن طلب منه الجيش قبول التحكيم، فقبل رغم أنه قد أحس بأنها خدعة، لكن بعض جنده رفضوا عملية التحكيم وأرادوا استمرار الحرب، لكن عليًا ﷺ رفض ذلك، فانفصل جزء من الجيش عن علي ﷺ ورفضوا دخول الكوفة وسموا بالخوارج، وذلك سنة سبع وثلاثين للهجرة..(انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،(٢ /٦٢٥ ــ ٦٣٥)

حروراء»[١].

ومن آثار الفتنة ظهور الكذب على رسول الله ﷺ قال محمد ابن سيرين رحمه الله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٢].

فالكذب على رسول الله ﷺ ظهر بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه لدوافع عديدة. حملت العلماء على تتبع الأحاديث ومعرفة طرقها، ورواها، وأحوالهم، قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: «فما حملهم ـ يعني المحدثين ـ على ذلك عندنا ـ والله أعلم ـ إلا النصيحة للمسلمين، لا نظن أنهم أرادوا الطعن على الناس أو الغيبة، إنما أرادوا ـ عندنا ـ أن يبينوا ضعف هؤلاء، لكي يعرفوا؛ لأن بعضهم ـ من الذين ضُعِّفوا ـ كان صاحب بدعة، وبعضهم كان متهمًا في الحديث، وبعضهم كانوا أصحاب غفلة، وكثرة خطأ، فأراد هؤلاء الأئمة أن يبينوا أحوالهم، شفقة على الدين وتبيينا، لأن الشهادة في الدين أحق أن يُتَثبت فيها من الشهادة في الحقوق والأموال»[٣].

وأهل السنة والجماعة اختصوا بالحرص على الأسانيد، قال ابن تيمية: «الإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة»[٤].

فالسنة وافقت اهتمامًا بالغًا من علماء الأمة مما كان له أثر عظيم في حفظها وصونها؛ وبالتالي يبدأ من هنا تميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم، فأهل السنة يسمون الاعتقاد الصحيح سنة[٥].

وهذا شاهد على أن بدء التسمية مرتبط بنشأة الفرق، وأن أهل السنة هم الباقون على الأصل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

---

(١) ابن تيمية، الشيخ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٣ / ٣٢)

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين،(ج ١ / ١٥)

(٣) ابن رجب الحنبلي: الحافظ عبد الرحمن بن ٧٣٦ـ ٧٩٥هـ، شرح علل الترمذي، حققه وكمل فوائده بتعليقات حافلة: نور الدين عتر،(١/ ٤٣ ـ ٤٤)، دار الملاح، ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٤) ابن تيمية: الشيخ أحمد، منهاج السنة،(٧ / ٣٧)،تحقيق:د.محمد رشاد سالم.

(٥) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، (٢ / ٧٧٣).

وقد ينتسب لأهل السنة والجماعة بعض المتكلمين من الأشاعرة، والماتريدية. وهؤلاء مالوا إلى أصول التجهم، والاعتزال، والفلسفة، وبعض التصوف، وكذلك الإرجاء (إرجاء الفقهاء) من أصولهما، والجبر الخفيف الذي يعبرون عنه بالكسب(١).

ومن هنا وقع الخلط في مسمى أهل السنة والجماعة عند بعض المستشرقين في التسمية بأهل السنة والجماعة، سواء بقصد، أو غير قصد؛حيث تابع بعض المستشرقين في تصنيفهم بعض متكلمي الأشاعرة والماتريدية الذين سموا أنفسهم (أهل السنة والجماعة).

قال المستشرق سيديو: «وعلماء الكلام قسمان: معتزلة يجعلون التعقل أساسًا للدين، بمعنى أنهم يوجهون عقولهم نحو المطلوب فيحصلونه،ثم يؤولون الشرع إلى ما أدركه العقل.وسنية يجعلون الدين أساسًا للتعقل، وهم أشاعرة وماتريدية...ومن رجال أهل السنة فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى سنة ١٢٠٩ميلادية، وأبو سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي المتوفى سنة ١٢٨٩ أو سنة ١٣١٩،ميلادية وأبو البركات عبد الله أحمد بن محمد النسفي المتوفى سنة ١٣١٠ ميلادية..»(٢).

و المستشرقون يعتبرون الأشاعرة والماتريدية شبه فرقة واحدة، لذا جمعوا بينهما في التسمية.

يقول المستشرق (دي لاسي أوليري(٣)): «وكان الماتريدي السمرقندي معاصرًا للأشعري، وقد توصَّل إلى نتائج شبيهة جدًا بنتائجه»(٤).

وقد برر بعض المستشرقين بروز المذهب الأشعري بسبب انتشاره في الآفاق، قال المستشرق دي لاسي أوليري: «وتكمن أهمية الأشعري على كل حال في تأسيسه مدرسة

---

(١) انظر: العقل: ناصر بن عبد الكريم، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها،(ص: ٢٠٤)، ط ١، دار أشبيليا،السعودية ــ الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) سيديو، خلاصة تاريخ العرب،(ص:٢٤١ ــ ٢٤٢)، ط٢، دار الآثار ــ بيروت ١٤٠٠هـ.

(٣) دي لاسي أوليري: من آثاره: مختصر تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزيرة العربية قبل محمد، والفكر العربي ومكانه في التاريخ..(العقيقي: نجيب، بعض المستشرقين،(٢ / ٥٢٣)

(٤) أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ١٨٧)،ط١، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت، ١٩٧٢م.

للإسكلائية[١] السنية، سارت في تطورها فيما بعد نحو الكمال على يد الباقلاني، وانتشرت بالتدريج في جميع أنحاء العالم الإسلامي»[٢].

وهذا خلط واضح من قبل هذا المستشرق وغيره من المستشرقين الذين خلطوا بين أتباع الإمام أحمد بن حنبل، والأشاعرة والماتريدية وسموا الجميع بأهل السنة نتيجة ترديد ما قاله كتاب الفرق الإسلامية من تسمية الأشاعرة، والماتريدية بأهل السنة والجماعة ــ

فأهل السنة والجماعة عند بعض المستشرقين مصطلح له مدلول مناقض لما عليه اصطلاح علماء المسلمين السلف، والهدف من ذلك إقصاء أهل السنة والجماعة؛بالتالي إقصاء الدين الصحيح.

(١) كلمة اسكلائية مقابل الكلمة الإنكليزية Scholasticism التي تعني الفلسفة المدرسية التي كانت منتشرة في العصور الوسطى، والتي كانت غايتها استخدام الفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية لإثبات حقائق الدين والدفاع عنه ضد خصومه. (المترجم ص:٧).

(٢) أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ١٨٣)

الفصل الثاني

خلط المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: انتشار المذهب الأشعري.

المبحث الثاني: خلط بعض المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق.

المبحث الأول

انتشار المذهب الأشعري

الأشاعرة هم:المنتسبين لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٢٢٤هـ)، والماتريدية: هم أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ)[١].

علمًا أن الماتريدية مذهب نشأ في زمن الأشعري، لكنه كان في بلاد ما وراء النهر و لم ينتشر كانتشار المذهب الأشعري، وقد اعتبر البعض الماتريدية شعبة من شعب أهل السنة والجماعة، يقول الدكتور إبراهيم مدكور:

«الماتريدية شعبة من شعب أهل السنة الجماعة»[٢].

لكن الأستاذ زاهد الكوثري ت ١٣٧١هـ قال عن مذهب الماتريدية:

«والماتريدية هم الوسط بين الأشاعرة والمعتزلة»[٣].

وأرجع الدكتور علي المغربي التقارب بين الأشاعرة والماتريدية إلى التشابه بينهما في المنهج حيث يقول:

«ويمكن تفسير وجوه الشبه بينهما في الآراء، بأنه يرجع إلى تشابه منهج كل منهما إلى حد ما، في التوسط بين العقل والنقل»[٤].

والبعض علق بأنه قد يكون الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لفظيًا في أغلب المسائل[٥].

---

(١) سبق التعريف به في الباب الأول ــ الفصل الثاني.

(٢) مدكور:د. إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق،(٢ / ٥٦)،الناشر: المكتب المصري للطباعة والنشر ــ سمير كو (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع).

(٣) ابن عساكر الدمشقي: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت (٥٧١هـ)، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مقدمة الكوثري،(ص: ١٩)، تعليق: زاهد الكوثري، دار الفكر ــ دمشق ١٣٩٩هـ

(٤) المغربي: د. علي عبد الفتاح، إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية،(ص: ٤٢٤)، ط١، مطبعة الدعوة الإسلامية، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٥) انظر: موسى، د. جلال، نشأة الأشعرية وتطورها،(٣٠٧ ــ ٣٠٨)، ط١، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت، ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.

وعموما هناك بعض وجوه الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية في المنهج والمذهب مما لا يتسع المجال لذكره(١).

ومعلوم أن هاتين الطائفتين تتفاوتان في مدى القرب والبعد من الحق، وهذا حال أكثر المنتسبين إلى السنة والجماعة، وأهل السنة والجماعة يقفون منهم موقفهم من سائر الطوائف، يعترفون بما معهم من الحق، وينكرون مامعهم من الباطل، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨.

ومن الإجحاف والتجني أن نحمل السلف ــ أهل السنة والجماعة ــ ماابتدعه الأشاعرة والماتريدية ــ خاصة متأخريهم ــ من علم الكلام والفلسفة والبدع والخرافات والتصوف، فمن ينتسب لأهل السنة يلزمه أن يعتقد ما اعتقدوه في الأصول والفروع، وذلك بالتمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ واتباع هدي الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى الأعلام في العصور الثلاثة الفاضلة، والذين اتبعوهم، واقتفوا آثارهم، ولم يغيروا، ولم يبدلوا إلى يوم الدين.

وقد تكون قصة انتقال الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب السلف ــ وإن كان رجوعًا غير كامل(٢) ــ سببًا في انتشار المذهب الأشعري.

وأيضًا رده على المعتزلة، وكشف ضلالاتهم، وتَبَنِّي بعض الأمراء مذهب الأشاعرة، وحمل الناس على ذلك(٣)، كان سببا في اشتهاره في أنحاء العالم الإسلامي حتى كاد يعتقد البعض أن مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: الحربي: أحمد بن عوض الله، الماتريدية دراسة وتقويمًا،(ص: ٤٩٤ ــ ٥٠١)، بعنوان: الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة، ط٢، دار الصميعي للطباعة والنشر، السعودية ــ الرياض ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: كتابه اللمع فقد اتبع فيه طريقة المتكلمين ومنهجهم.

(٣) مثاله: السلطان صلاح الدين الأيوبي حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر. (انظر: المقريزي: تقي الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٢ / ٣٤٣)، مصورة طبعة بولاق، دار صادر ــ بيروت (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع).

فالأشعري نظرًا لكثرة مؤلفاته، وذبه عن السنة والدين ضد المعتزلة وغيرهم، تعلق به كثير من أهل السنة، وكثر أتباعه الذين سلكوا طريقته، فسموا باسمه، وانتشر المذهب الأشعري كخصم أول للمعتزلة.وقد تطور المذهب الأشعري حتى دخل فيه علم الكلام والتصوف والفلسفة ــ

قال المقريزي في خططه عن المذهب الأشعري:

«نُسي غيره من المذاهب وجهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل»[١].

وقد تتابعت جهود الأشاعرة في خدمة ودعم المذهب الأشعري إلا أن بعضهم قام بإدخال التصوف في المذهب الأشعري، كما فعل القشيري (٤٦٥هـ[٢]) وبعضهم دخل في متاهات كلامية وفلسفية، كفخر الدين الرازي،[٣]وسيف الدين الآمدي[٤].

علما أن التطور في المذهب الأشعري بدأ متأثرًا ببعض أصول المعتزلة، ثم زاد ليشمل بعض أصول الفلاسفة وغيرهم[٥].

ومع ذلك فقد وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنهم من أهل السنة في مقابل المعتزلة والرافضة، يقول شيخ الإسلام عن الأشاعرة: «..فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم

---

(١) المقريزي: الخطط ،(٤ / ١٨٤)

(٢) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب، ولد سنة (٣٧٦هـ) وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ، من كتبه: التيسير في التفسير (التفسير الكبير)، لطائف الإشارات، والرسالة القشيرية.(انظر: الزركلي، الأعلام،(٤ / ٥٧)

(٣) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء التعارض،(١ / ٣٤٣)، ومجموع الفتاوى،(١٧ / ٢٤٧)

(٤) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء التعارض،(٤/ ٢٣٤)

(٥) انظر:ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء التعارض،(٢/ ١٥٩)

المعتزلة والرافضة ونحوهم»[١].

وقال أيضًا إنهم:» أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة والحديث»[٢].

وقد تدرج الأشاعرة والماتريدية ـــ خاصة متأخريهم ـــ من القول ببعض المسائل الكلامية في الصفات والأفعال إلى بعض أصول الجهمية والمعتزلة، والفلاسفة والصوفية وهذا التطور في المذهب الأشعري جعلهم يخالفون أقوال شيخهم أبي الحسن الأشعري، كما استطاع بعضهم أن ينشر بين الناس أن المذهب الأشعري هو المذهب الصحيح، وعقيدهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة، والماتريدية مذهبهم قريب من مذهب الأشاعرة حتى إن القدماء ليعدون مسائل الخلاف بين المذهبين في بضع عشرة مسألة[٣]. وهم يشكلون مع الأشاعرة الجناح الكلامي لأهل السنة عند المتكلمين .

وللأسف نجد بعض المستشرقين اعتمد على كتب الأشاعرة والماتريدية المحملة بالأخطاء من غير تمييز في تقرير المسائل الاعتقادية .

---

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية (نقض أساس التقديس)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن القاسم (٢ / ٨٧)، مطبعة قرطبة (بدون تاريخ الطبعة ومكانها وسنة الطبع).

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٦ / ٥٥)

(٣) انظر: المقريزي، الخطط المقريزية،(٤ / ١٨٩)

المبحث الثاني

خلط بعض المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق

تلقف بعض المستشرقين أقوال كتاب الفرق في مؤلفاتهم باعتبار دعواهم أنهم هم أهل السنة والجماعة، ونقلوا ذلك في مؤلفاتهم.

لذا نجد بعض المستشرقين توهم صحة ما ذهب إليه بعض الأشاعرة من أن العقيدة الأشعرية هي عقيدة أهل السنة والجماعة،وتبعوا في ذلك كُتَّاب الفرق الإسلامية؛فهذا جولد تسيهر اعتبر أبا الحسن الأشعري أكبر حجة عقدية في الإسلام السني(١)، كما اعتبر المستشرق (س. بينيس) مذهب الأشاعرة الكلامي مذهب جمهور المسلمين، وقد نال هذه المكانة بفضل حله لمشكلة العلاقة بين الله والمخلوقات،والعلاقة بين العلم والوحي(٢)، واعتبر هاملتون جب الأشاعرة والماتريدية في تناوله موضوع الشريعة وعلم الكلام هم أنصار السنة(٣).

من أمثلة خلط المستشرقين بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من الفرق:

المثال الأول:

اعتبر بعض المستشرقين أن الأشعري والغزالي هم من يمثل علم التوحيد السني بقولهم: «وقد سلم علم التوحيد الإسلامي السني الذي يمثله الغزالي والأشعري»(٤).

وجاءفي دائرة المعارف الإسلامية أن الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة،فقد جاء بعد ذكر موقف الفلاسفة والمعتزلة والصوفية في مسألة الخلاف في القدر قولهم: «وقد تطور موقف أهل السنة من هذه الاتجاهات على الأيام،ولم يقبلوا مذهب المعتزلة في خلق الأفعال

---

(١) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ١٠٨)

(٢) انظر: س. بينيس، مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذهب اليونان والهنود ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازي،نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدة،(ص: ١)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م.

(٣) انظر: جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام،(ص: ٢٦٧)، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس،د.محمد يوسف نجم،د. محمود زايد.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٣)،(مادة الجنة كتبها كاراده فو).(الدائرة الأولى).

إلا بصيغة معدلة، فوصفوا أفعال الإنسان بالكسب عند الأشاعرة، أو الاختيار عند الماتريدية بدلاً من الخلق، وأنكروا إنكاراً باتًا قول الفلاسفة بعالم لا أبدية له....

ونما مذهب أهل السنة الذي كان يتفق مع الصوفية في بعض المسائل بفضل الصراع الذي نشب آنئذ بينه وبين المعتزلة والفلاسفة، وبلغ أقصى ما بلغه من نجاح بفضل مدرسة الأشعري»[1].

نقد النص:

هذا النص فيه خلط واضح بين أهل السنة والجماعة والأشاعرة والماتريدية، حيث جعل بعض المستشرقين الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة، ووصف مذهب أهل السنة والجماعة بقولهم:(نما مذهب أهل السنة الذي كان يتفق مع الصوفية) وذلك ينطبق على متأخري الأشاعرة أكثر من غيرهم، مما يدل على جهلهم بالمذهب الحق.

المثال الثاني:

جاء في الدائرة: «ولم يقبل أهل السنة طريقة المتكلمين قبولاً تامًا إلا في أوائل القرن الرابع الهجري، وخصوصًا على يد الأشعري، وبعد ذلك وضع علم الكلام الذي يوفق بين الدين والعقل، ولم ينكره إلا المتطرفون من أهل الحديث، ومذهب الأشعري في صورته النهائية لم يحد قيد شعرة عن مذهب أهل السنة»[2].

ولنا مع هذا النص وقفات:

أ ــ قوله: «ولم يقبل أهل السنة طريقة المتكلمين قبولاً تامًا إلا في أوائل القرن الرابع الهجري، وخصوصًا على يد الأشعري»[3].

إن مذهب الأشعري في القرن الرابع الهجري لم يمثل منهج أهل السنة والجماعة على الحقيقة؛ لأن الناس حملوا على الالتزام بالمذهب الأشعري ــ كما سبق أن ذكرنا ــ.

ب ــ قوله (وبعد ذلك وضع علم الكلام الذي يوفق بين الدين والعقل، ولم ينكره إلا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(الدائرة الأولى)،(٨ / ٤١٣)، مادة(خلق)، كتبها:ده بور.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٦٠ ــ ٢٦١)، مادة الله، ماكدونالد.(طبعة دار الشعب بالقاهرة).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٦٠ ــ ٢٦١)، مادة الله، ماكدونالد.(طبعة دار الشعب بالقاهرة).

المتطرفون من أهل الحديث)[1].

علم الكلام يقدم العقل على النقل، ويمثله المعتزلة ومتأخرو الأشاعرة، وهو مخالف لما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين،وهو ماأنكره أهل الحديث.

وهذا خلط بين الحق والباطل، وفيه إساءة لعلماء الحديث فهم يرون النصوص القرآنية واضحة لا يحتاج معها سوى تفسير معانيها من غير تحريف، ويؤمنون بما جاء به النبي محمد ﷺ ويميزون بين صحيحه وضعيفه، وهم يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، ولكنهم لا يعطلون عقولهم، والشاهد على ذلك أن أهل الحديث أكثر الطوائف إعمالاً للعقل، وأئمة الحديث والفقهاء قد استفاضت اجتهاداتهم الدالة على إعمال عقولهم، ودقة استنباطهم، وتمييزهم بين صحيح الحديث وسقيمه، وما ذلك إلا بالعقل، لكن إن قصد بعض المستشرقين باستخدام العقل تحريف النصوص الشرعية كما تفعل الفلاسفة، والمتكلمون من المعتزلة وغيرهم، فهذا من قبيل التحريف الباطل المنهي عنه.

يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قول لا ينضبط؛ وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة، الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات، كل منهم يقول: إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعي الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه»[2].

كما أن علم الكلام لم يكن القصد منه بداية التوفيق بين العقل والدين، وذلك واضح من تعريف علم الكلام، قال ابن خلدون في تعريفه لعلم الكلام: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف»[3].

من خلال التعريف نجد أنه لم يقصد منه التوفيق بين الدين والعقل وإن أدى بأصحابه إلى البدع، والغالب بداية الأوضاع الكلامية دفع شبه الخصوم والفرق الضالة، وهو علم مذموم عند السلف، كما حرموا الاشتغال به.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٦٠ ـــ ٢٦١)، مادة الله، ماكدونالد.(طبعة دار الشعب بالقاهرة).

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء تعارض العقل والنقل،(١ / ١٥٦)

(٣) ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون،(١/ ٥٨٠)

ج ــ قول المستشرق: «ومذهب الأشعري في صورته النهائية لم يحد قيد شعرة عن مذهب أهل السنة»[١].

لم يقصد هذا المستشرق ــ في اعتقادي ــ المرحلة التي أشرنا إليها من قبل وهي مرحلة الإبانة في حياة الأشعري، وإنما يقصد استقرار المذهب على مرحلة اللمع في حياة الأشعري، وهذا المذهب الأشعري قد حاد كثيرًا عن مذهب أهل السنة والجماعة.

وعموما من ينتسب للأشعري قاصدا بذلك الانتساب له تحديدا في مرحلة الابانة من حياته، لموافقته لعقيدة السلف في ذلك الوقت؛ فذلك بدعة مذمومة، قال ابن تيمية: «وأما من قال منهم بكتاب (الإبانة) الذي صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لاسيما وأنه بذلك يوهم حسنًا بكل من انتسب هذه النسبة وينفتح بذلك أبواب شر»[٢].

المثال الثالث:

قول المستشرق دي لاسي أوليري في نص مطول آثرت أن آتي به لأهميته، ومن ثم يتم نقده مفصلاً، قوله: «ويبدو فعلاً أن الأشاعرة في تناولهم المسائل القديمة المتعلقة بعلم الإلهيات الإسلامية، كقدم القرآن، وحرية الإرادة، وغير ذلك، قد جاءوا بعبارات معقولة في مذهبهم تشفي غليل المطالب الرئيسية لأهل السنة. فمن جهة القرآن قالوا إنه قديم في الله، ولكن التعبير عنه بالكلمات والحروف قد خلق في حدود الزمان، وهذا لايعني بالطبع أن التعبير عنه يعود إلى النبي الذي تنزّل عليه القرآن وحيًا، وإنما إلى الله. وهكذا أكدوا فكرة الوحي باللفظ، ولكن في أضيق صورها، ولم يكن خلق القرآن وليد اللحظة التي أوحى فيها الله به إلى نبيه، ولكنه خُلق في أعماق الزمان السحيق، وذلك حين تلاه الله على الملائكة والملأ الأعلى، ثم نزل به جبريل فيما بعد إلى النبي محمد. واعتقاد أهل السنة هذا ــ وهو الشائع الآن ــ قد أوجد الفرصة للجدل بالنسبة للمسيحين والعقليين المحدثين من الذين ركزوا انتباههم على استعمال كلمات خاصة جاءت إلى العربية من السريانية والفارسية واليونانية، وظهرت في القرآن. وهم يتساءلون: كيف يمكن تبرير وجود كلمات تعكس أثر اللغات

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٦٠ ــ ٢٦١)، مادة الله، ماكدونالد.(طبعة دار الشعب بالقاهرة).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،((٦/ ٣٥٩ ــ ٣٦٠).

الأجنبية في اللغة العربية في القرن السابع الميلادي في نص خلق حقبة سحيقة في الأزل، أي قبل خلق العالم كما يؤكدون عادة؟ أما المسلمون المدافعون عن قدم القرآن، والذين يرون دائمًا في العربية الخالصة للنص القرآني دليلاً على أصله السماوي، فإنهم يعتبرون هذا الأمر صعبًا للغاية»(١).

ولنا مع هذا النص وقفات:

الوقفة الأولى: قدم القرآن:

قول المستشرق: «ويبدو فعلاً أن الأشاعرة في تناولهم المسائل القديمة المتعلقة بعلم الإلهيات الإسلامية، كقدم القرآن، وحرية الإرادة وغير ذلك، قد جاءوا بعبارات معقولة في مذهبهم تَشْفِي غليل المطالب الرئيسية لأهل السنة»(٢).

كلام هذا المستشرق في القدم خطير جدًا، وهذا عائد لجهل هذا المستشرق بمذهب أهل السنة والجماعة، فما جاء به في أمر القرآن، وفي أمر حرية الإرادة لا يشفي غليل المطالب الرئيسة لأهل السنة والجماعة، وذلك لاختلاف مذهب الأشاعرة كلية عن مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم.

وقد تبنى بعض المستشرقين وجهة نظر أشعرية في الحديث عن صفة الكلام لله تعالى ظنًا منهم أن ذلك يمثل وجهة نظر إسلامية صحيحة، ونسبوا ذلك الاعتقاد إلى أهل السنة والجماعة.

ثم إن قول الأشاعرة في كلام الله جزء من مذهبهم في الصفات الاختيارية وقيامها بالله تعالى، والتي نفوها لأجل دليل حدوث الأجسام والأعراض.

وبناء على نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى(٣) منعوا أن يقال: أن الله يتكلم إذا شاء،

---

(١) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ١٨٣ ـــ ١٨٤)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٢) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ١٨٣ ـــ ١٨٤)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٣) حجة مسألة حلول الحوادث التي منعوها هي من الحجج المشهورة التي بنوا عليها مذهبهم في كلام الله وفي الصفات الاختيارية. (انظر: مجموع الفتاوى،(٦ / ٥١٩).

متى شاء، كلامًا قائمًا به.

وقد تبع الأشاعرة ابن كلاب[١]، الذي أثبت لله الصفات المعنوية والذاتية كالعلم، والإرادة، والكلام، والوجه، واليدين، ونفى ما يتعلق بمشيئته وإرادته مما يقوم بذاته من الصفات الاختيارية.

وقد ابتدع ابن كلاب مقالة نفي الصفات الفعلية القائمة بالله، ومقالة القول بقدم كلام الله، وأنه معنى واحد، لا يتعلق بمشيئته وإرادته، ليس بحرف ولا صوت، فالقول بقدم القرآن، وأنه معنى واحد، أول من ابتدعه ابن كلاب بناء على نفي الصفات الاختيارية القائمة بالله[٢]، وتبعه في ذلك الأشعري وجمهور الأشاعرة، وقولهم هذا مبتدع في الإسلام، وهم يخالفون بذلك أهل السنة الذين يثبتون صفة الكلام، وأن الله يتكلم إذا شاء،متى شاء، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا شامل لحروفه ومعانيه، وأن نوع الكلام قديم، وجنسه حادث لأن الله يتكلم بمشيئته وإرادته[٣].

وقد بنى الأشاعرة مذهبهم في القرآن على قولهم: إن الكلام معنى قائم في النفس، والصواب أن الكلام هو اللفظ والمعنى، ولا يسمى كلامًا مادام قائمًا في النفس[٤].

أما قولهم إن الكلام لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته فهو باطل؛ لأنه قد دلت النصوص على خلاف ذلك، وهو: أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه مثل فعله، وهذا ثابت لله. والقرآن الذي يتلى هو عند الأشاعرة مخلوق، خلقه الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ، أو إنه أحدثه جبريل، أو محمد ﷺ ، وليس هو كلام الله.

وقد استدل الأشاعرة على أن القرآن من جبريل بقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ التكوير: ١٩، أو من محمد ﷺ بقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ الحاقة: ٤٠.

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء التعارض،(٢ / ٨٣)، فقد نقل شيخ الإسلام نصًا لأبي نصر السجزي في رسالته المعروفة إلى أهل زبيد والتي تسمى باسم (الرد على من أنكر الحرف والصوت ــ بين فيه نشأة قول ابن كلاب ومن اتبعه في كلام الله) .

(٢) انظر: ابن تيمية:، مجموع الفتاوى،(١٢ / ٣٠١ ــ ٣٠٢)، ٥ / ٣٣، ٥٥٢ ــ ٥٥٣)

(٣) انظر:اابن تيمية، مجموع الفتاوى، المسألة المصرية في القرآن،(١٢ / ١٧٨)

(٤) مجموع الفتاوى ١٢ / ٢٧٢ ــ ٢٧٣، ٣٧٦ ــ ٣٧٩)

وهذا استدلال غريب لأن النصوص دلت أن القرآن من عند الله والوحي والرسول مبلغان لرسالة ربهما غير منشئين لكلامه، وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلالهم بقوله: «فأضافه إلى الرسول من البشرتارة، وإلى الرسول من الملائكة تارة، باسم (الرسول)، و لم يقل: إنه لقول ملك، ولانبي، لأن لفظ الرسول يبين أنه مبلغ عن غيره، لا منشئ له من عنده ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ النور: ٥٤ . فكان قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ الحاقة: ٤٠ ، بمترلة قوله: لتبليغ رسول، أو مبلغ من رسول كريم، أو مسموع عن رسول كريم، أو جاء به رسول كريم، وليس معناه أنه أنشأه أو أحدثه أو أنشأ شيئًا منه، وأحدثه رسول كريم، إذ لو كان منشئًا لم يكن رسولا فيما أنشأه وابتدأه، وإنما يكون رسولا فيما بلغه وأداه، ومعلوم أن الضمير عائد إلى القرآن مطلقا»[1].

الوقفة الثانية : حرية الإرادة:

لافرق عند الأشاعرة بين الإرادة والمشيئة، والمحبة والرضي، فكل ما أمرالله بـه فقـد رضيه، وكل ما أراده فقد أمر به وأحبه،[2] وهؤلاء قد ساووا بين الإرادة والمحبة والرضـى، وقالوا: إنها بمعنى واحد، بالتالي يصبح ما يقع في هذا الوجود من الكفر والمعاصي فالله يحبـه ويرضاه، ومالم يقع من الطاعات وغيرها فالله لا يحبه ولا يرضاه. وهو قول الجبريـة مـن الجهمية ومن تبعهم.

والقول الفصل في هذه المسألة هو على التفصيل الآتي:

الإرادة في كتاب الله نوعان:

النوع الأول: الإرادة الكونية: وهذه الإرادة مستلزمة للوقوع، وهي بمعنى المشيئة العامة الشاملة لكل ما يقع في هذا الكون من خير وشر، وهي التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية،(١٢ / ٢٦٥ ــ ٢٦٦)،(١٢ / ٣٧٧ ــ ٣٧٨)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية،(٤٧٥/٨)

﴿ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ الأنعام: ١٢٥ .

أما النوع الثاني: فهوالإرادة الدينية الشرعية: وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، بل تستلزم المحبة والرضا[١].

وأمره تعالى نوعان:

١ ـ أمر كوني قدري: وهو متعلق بمشيئته تعالى وإرادته الكونية المستلزمة للوقوع دون المحبة والرضا.

٢ ـ أمر ديني شرعي: متعلق بإرادته الدينية الشرعية، المستلزمة للمحبة والرضا دون الوقوع.

وعلى هذا، فقد يأمر ويريد ﷻ كونًا مالا يأمر به ولا يريده شرعًا، فيقع مالا يحبه ولا يرضاه، وكذلك قد يأمر ويريد دينًا مالا يأمر به ولا يريده كوناَ، فلا يقع ما يحبه ويرضاه[٢].

الوقفة الثالثة: مسألة حلول الصفات:

بالرغم من خلاف الأشاعرة فيما أتوا به من رأي في كلام الله بما لا يتفق مع أهل السنة والجماعة، إلا أنهم لم يقولوا بأن هذا التعبير يوحي بحلول الصفة في ذات الله ﷻ فقول المستشرق: «فمن جهة القرآن قالوا إنه قديم في الله»[٣].

فقوله:قديم في الله، فالصفة لاتحل فيه، وهذا لا يقول به الأشاعرة فضلاً عن أهل السنة والجماعة، وهي نفثة مسيحية سرت في عباراته.

الوقفة الرابعة: خلق القرآن:

قول المستشرق: «ولكن التعبير عنه بالكلمات والحروف قد خلق في حدود الزمان، وهذا لايعني بالطبع أن التعبير عنه يعود إلى النبي الذي تنزّل عليه القرآن وحيًا، وإنما إلى الله.

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ١٨٨)، (رسالة مراتب الإرادة).

(٢) انظر: الغصن: سليمان بن عبد العزيز، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (عرضًا ونقداً) ،(٢ / ٦٢٩)، ط١، دار العاصمة ـ الرياض ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.

(٣) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ١٨٣ ـ ١٨٤)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

وهكذا أكدوا فكرة الوحي باللفظ، ولكن في أضيق صورها، ولم يكن خلق القرآن وليد اللحظة التي أوحى فيها الله به إلى نبيه، ولكنه خُلق في أعماق الزمان السحيق، وذلك حين تلاه الله على الملائكة والملأ الأعلى، ثم نزل به جبريل فيما بعد إلى النبي محمد. واعتقاد أهل السنة هذا ـــ وهو الشائع الآن ـــ قد أوجد الفرصة للجدل بالنسبة للمسيحين والعقليين المحدثين من الذين ركزوا انتباههم على استعمال كلمات خاصة جاءت إلى العربية من السريانية والفارسية واليونانية، وظهرت في القرآن»[١].

هذا الجزء من النص فيه مسألتان:

أ ـــ خلق القرآن:

إن القرآن الكريم غير مخلوق، وهذا مذهب السلف، والأشعري نفسه يطلق على القرآن كلام الله، وقول المستشرق: «قد خلق في حدود الزمان»[٢] افتراء على الأشعري لأنه لم يقل بخلق القرآن، ولكنه يقول: إن القرآن العربي مخلوق، خلقه الله في الهواء أو الجسم، وأما إطلاق أن هذا القرآن العربي كلام جبريل عليه السلام أو محمد ﷺ، فقد جاء من المنتسبين إليه، ولم يكن قولاً للأشعري[٣].

فالمعنى عندهم القرآن كلام الله، أما الكلام العربي ـــ يقصدون به القرآن الذي يتلى ـــ فليس كلام الله، وإنما خلقه الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ، أو أحدثه جبريل أو محمد ﷺ، والقرآن عندهم هو عبارة عن كلام الله القائم في النفس[٤].

وهذا باطل لأن الكلام هو اللفظ والمعنى، وما يقوم بالنفس لا نسميه كلامًا، والقرآن الذي يتلى هو الذي كان يفهم منه المشركون أنه كلام الله، دون أن يفرقوا بين ألفاظه ومعانيه[٥].

---

(١) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ١٨٣ ـــ ١٨٤)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٢) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ١٨٣ ـــ ١٨٤)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٣) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى،، (١٢ / ٥٥٧)

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية،(١٢ / ٢٧٢ ـــ ٢٧٣، ٣٧٦، ٣٧٩)

(٥) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى،(١٢ / ٢٦٦ ـــ ٢٦٧، ٣٠٧)

والدليل على أن القرآن العربي لفظه ومعناه من الله ﷻ قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٢ – ١٠٣ ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التوبة: ٦ .

فالله نزل القرآن العربي بلفظه ومعناه بدليل أن الله أبطل قول الكفار،في قوله تعالى:(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ) فالله تعالى أبطل قول الكفار، لأن اللسان الذي يضيفون إليه القرآن أعجمي، والقرآن بلسان عربي مبين[١].

ومما يدل على نزول القرآن من عند الله،وأنه اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه، قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ الأنعام: ١١٤ .

فالله أنزل القرآن مفصلاً يتناول نزول القرآن العربي، على كل قول من الأقوال التي تفرق بين كتاب الله وكلام الله، أو بين القرآن (المعنى)، و(اللفظ)، لأن الله سمى مجموع اللفظ والمعنى كتابًا وقرآنا وكلاما[٢].

فالأشاعرة يقولون بخلق القرآن العربي وهو عندهم ليس كلام الله حقيقة، ولكن كلام الله مجازًا، ويخالفون المعتزلة القائلين بخلق كلام الله حقيقة.وهم بذلك يوافقون اللفظية[٣] وغيرهم من الجهمية.

والأشاعرة يثبتون لله كلامًا هو معنى قائم بذاته، والمعتزلة يقولون: لا يقوم به كلام.

---

(١) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى،(١٢ / ١٢٣ ــ ١٢٤)

(٢) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى،(١٢ / ١٢٤ ــ ١٢٦)

(٣) هم الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وعدهم الإمام أحمد بن حنبل من الجهمية.(انظر: ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٢ /٣٦١ ــ ٣٦٢)

ومن هذا الوجه فالأشاعرة خير من المعتزلة، وإن كان جمهور الناس يقولون: إن إثبات الأشاعرة للكلام النفسي، وقولهم إنه معنى واحد هو الأمر والنهي، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة ــ يؤدي في النهاية إلى أن لا يثبتوا لله كلاما حقيقة غير مخلوق(١).

وهم بذلك قد خالفوا السلف لقولهم: بأن كلام الله معنى واحد، لا يتجزأ ولا يتبعض، فالخبر والأمر والنهي شيء واحد.

فلم يقل أحد من السلف إن القرآن خلق في أعماق الزمان السحيق، والقرآن عندهم هو كلام الله تعالى.

والله تعالى: «لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة»(٢).

ب ــ دعوى وجود ألفاظ غير عربية في القرآن الكريم:

القرآن الكريم ليس فيه ألفاظ أعجمية بدليل قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ يوسف: ٢ ، ودعوى أن القرآن يحتوي على ألفاظ غير عربية دعوى قديمة من الدعاوى التي أثارها خصوم الإسلام الأولين ضد القرآن وسجلها القرآن مع الرد عليهم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ فصلت: ٤٤.

وقد اختلف الفقهاء والمفسرون وعلماء اللغة حول مسألة الألفاظ الأعجمية في القرآن،

---

(١) انظر: ابن تيمية:أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٢ / ١٢١ ــ ١٢٢، ١٣٢ ــ ١٣٣)،(١٥ / ٢٢)

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ١٢٩)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط (بدون) طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هــ.

بين قبول وإنكار[١]. ومهما قيل فإن القرآن لايمكن أن يفهم إلا من جهة لغة العرب ولا سبيل إلى طلب فهمه من غير هذه الجهة، وكونه يشتمل على ألفاظ أعجمية أو لا يشتمل أمر ينبغي أن لا نتوقف عنده، وبخاصة إذا كان العرب قد تكلمت بهذه الألفاظ وجرت في خطابها وفهمت معناها وصيرتها من كلامها من قبل أن ينزل القرآن الذي جاء كله على أساليب العرب ومعانيهم وقواعد لغتهم[٢].

وقد اهتم بعض المستشرقين بالكتابة حول موضوع الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم للتشكيك في أصالة القرآن الكريم،وأنه مستمد من الديانات الأخرى[٣].

المثال الرابع:

يقول المستشرق إدوارد براون:

«كما أن أهل السنة يرون أن القرآن ــ شأنه شأن الواحد الأحد ــ أزلي أبدي. ويرون أن صفات الحق منفصلة عن ذات الحق، أو هي قابلة للانفصال، لهذا فإنهم مشركون»[٤].

---

(١) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والثلاثون (فيما وقع فيه من لغة العرب)،(٣ / ٩٣٤ ــ ٩٧٤)

(٢) انظر: الشاطبي: أبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت ٧٩٠هـ، الموافقات في أصول الشريعة وعليه شرح جليل لتحرير دعاويه وكشف مرميه، وتخريج أحاديثه ونقد آرائه نقدا علميا يعتمد على النظر العقلي وعلى روح التشريع ونصوصه، بقلم: شيخ علماء دمياط الشيخ: عبد الله دراز، وقد عني بضبطه ووضع تراجمه الأستاذمحمد عبد الله دراز، الجزء الثاني وهو كتاب المقاصد وهو القسم الثالث من الموافقات،(٢ / ٦٤ ــ ٦٥)، طبعة دار الفكر العربي (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع).

(٣) من هؤلاء المستشرقين: دفوراك: (حول الكلمة الأجنبية في القرآن، صدر في فيينا ١٨٨٥م)، و:(مساهمة حول مشكلة الكلمات الأجنبية في القرآن، ميونخ ١٨٨٤)، وس.فرانكل: (المفردات العربية القديمة الأصلية والمحولة عن الأصل في القرآن، ليدن، ١٨٨٠م.) (الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية، ليدن ١٨٨٦م.)...آرثر جيفري: (الكلمات الأجنبية في القرآن، نشره رينالدز في عام ١٩٢٧م. (انظر:: بدوي:د.عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه (مترجم عن الفرنسية) ترجمة:د.كمال جاد الله،(ص: ١٤٥ ــ ١٤٦)

(٤) براون: إدوارد، تاريخ الأدب في إيران، الجزء الأول، البابان الثالث والرابع،(ص: ١٠٣)، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور: أحمد كمال الدين حلمي.

ولنا مع هذا النص وقفات:

الوقفة الأولى: قدم وأبدية القرآن:

التعبير بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة، فوصف الله بالأزلي الأبدي من الأوصاف المبتدعة التي لم ترد في القرآن والسنة النبوية،فالله ﷻ موصوف بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله محمد ﷺ كما أن أهل السنة لم يرد عنهم وصفهم القرآن بأنه أزلي أبدي.والقرآن في نظر أهل السنة والجماعة. كما قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»(١).

الوقفة الثانية: علاقة الصفات بالذات:

قول المستشرق: «ويرون أن صفات الحق منفصلة عن ذات الحق، أو هي قابلة للانفصال»(٢).

هذا القول: من أقوال المعتزلة فهم يجعلون الصفة غير الموصوف، أو الصفات غير الذات، ظنًا منهم أن إثبات صفة لله يلزم منه أن تكون قديمة، وإذا كانت غير الموصوف لزم تعدد القدماء فنشأت شبهة تعدد القدماء فظنوا أن تحقيق التوحيد، والخلوص من شرك النصارى لايتم إلا بنفي جميع الصفات عن الله، وبنوا على ذلك: أن الصفة غير الموصوف وغير الذات، وأن الصفة لله لابد أن تكون قديمة، بالتالي فإن إثبات الصفات لله يستلزم تعدد القدماء، وهذا باطل(٣).

والأشاعرة لكي لا يقعوا فيما وقع فيه المعتزلة فرقوا و لم يجمعوا بينهما، لأن الجمع بين النفي فيه من الإيهام ما ليس في التفريق، وهذا قول أبي الحسن الأشعري، الذي يقول على

---

(١) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ١٢٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٢) براون: إدوارد، تاريخ الأدب في إيران، الجزء الأول، البابان الثالث والرابع،(ص: ١٠٣)، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور: أحمد كمال الدين حلمي.

(٣) انظر: القاضي عبد الجبار: أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،(ص: ١٩٥ ــ ١٩٧)، حققه د. عبد الكريم عثمان.

هذا: الموصوف قديم، والصفة قديمة، ولا يقول عند الجمع: قديمان، كما لا يقال عند الجمع:لاهو الموصوف ولا غيره(١)، لكن جاء بعد الأشعري من يجمع بين السلبين، وصاروا يقولون: ليست الصفة هي الموصوف ولاغيره(٢)، والصواب أن يُفَصل لفظ الغير على حسب مافي لفظ الغير والذات من إجمال، لأن الموصوف لا تنفك عنه صفاته، والسلف فصلوا فما كان حقًا قبلوه، وما كان باطلاً ردوه(٣)، وبسبب خوض الأشاعرة في مثل هذه الأمور الفلسفية خالفوا السلف، وبالتالي؛ فهذه مغالطة خطيرة من هذا المستشرق، وافتراء على أهل السنة والجماعة.

وهكذا حاول بعض المستشرقين التشكيك في المنهج السلفي الصحيح، وتسمية المخالفين بأهل السنة والجماعة، وترديد ذلك في مؤلفاهم. وما ذلك إلا لبث روح التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وهذه السمة قد ذمها الله ﷻ لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩ .

وصلاح المسلمين مرتبط بصلاح عقيدهم واستقامتها على الدين الحق، والميزان الحق هو: الكتاب والسنة وما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وأئمة الهدى المتبعون.

---

(١) انظر: الأشعري: أبي الحسن،رسالة إلى أهل الثغر،(ص: ٧٠ ــ ٧١)، تحقيق: محمد السيد الجليند، طبعت تحت مسمى(أصول أهل السنة والجماعة)، مطبعة التقدم ــ القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.(وانظر:مجموع الفتاوى(الرسالة الأكليلية) (٦ / ٩٦)

(٢) انظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض،(٥ / ٥٠)

(٣) انظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض،(١/ ٢٨١)، وانظر: مجموع الفتاوى،(١٧ / ١٦٠ ــ ١٦١)

الباب الثالث

موقف المستشرقين من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: موقف المستشرقين من القرآن الكريم.

الفصل الثاني:موقف المستشرقين من السنة النبوية.

الفصل الثالث:موقف المستشرقين من الإجماع.

الفصل الرابع: موقف المستشرقين من مترلة العقل ومترلة الفطرةعند أهل السنة والجماعة.

الفصل الأول

موقف المستشرقين من القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى القرآن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:القرآن لغة

المطلب الثاني: القرآن اصطلاحا

المبحث الثاني: بعض شبه المستشرقين حول القرآن الكريم.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نزول القرآن.

المطلب الثاني: جمع القرآن وترتيبه.

المطلب الثالث: القراءات والقراء.

المطلب الرابع: الجدل القرآني.

المطلب الخامس: القصص القرآني.

المطلب السادس: ترجمة القرآن.

المبحث الأول

معنى القرآن

المطلب الأول: القرآن لغة:

القرآن في اللغة، مصدر مرادف للقراءة، جاء في المعجم:«قرأ الكتاب. قراءة وقرآنا:تتبع كلماته نظرًا أو نطق بها، وتتبع كلماته و لم ينطق بها، وسميت حديثا بالقراءة الصامتة.

والآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو حفظ. فهو قارئ.. والقرآن: كلام الله المترل على رسوله محمد ﷺ المكتوب في المصاحف..ومنه في التتريل العزيز: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ القيامة: ١٨: أي قراءته»[١].

وقد حاول بعض المستشرقين إثارة الشبهات حول المعنى اللغوي للقرآن الكريم، ورد بعض ألفاظه إلى أصول عبرية أو سريانية حتى يثبتوا أن القرآن من اختراع محمد ﷺ ومن هؤلاء المستشرقين: المستشرق الألماني (شفا لي) في كتابه (تاريخ القرآن) حيث ذكر أن القرآن مأخوذ من الكلمة السريانية (قرْيانا) التي تعني الكتاب المقدس، أو درسًا من دروسه، ثم يقول:والنتيجة الراسخة التي نخرج بها هي أن كلمةً (قرآن) ترجع إلى القرآن ذاته.إنها كلمة قرآنية...قرآنية تمثل الكلمةالسريانيةقريانا keryana لكنها اشتقاق على وزن فعلان من الفعل قرأ[٢].

---

(١) المعجم الوسيط،(ص: ٧٢٢)

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٦ / ٨١٥٥ـ٨١٥٧).،Encyclopedia Britannica). وانظر: دائرة المعارف البريطانية) ط١٥، ١٩٧٤ Benton Chicago، فقد كتب مادة القرآن فيها باللغة الإنجليزية H.R، كذا بدون تعريف كافي في المجلد الخامس عشر، على عمودين كاملين من ص ٣٤١ـ٣٥٤)، مقسمة على النحو التالي: مقدمة،الشكل والمضمون،مصادر القرآن،مانتهت إليه دراسات المستشرقين،تفاسير القرآن،ترجمات القرآن،وقد ركز الباحث على تشويه صورة الإسلام على أنه صورة مشوهة للتراث اليهودي والنصراني. نقلاً من: جمال الدين.أ.د.محمد السعيد، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية،من ص١ـ٧،ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه،(وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) .

وفي دراسة قام بها الدكتور محمد أبو ليلة لمقال كتبه المستشرقان: (أ.ت ويلش)[(١)] و(ج.د. بيرسون) عن القرآن في دائرة المعارف باللغة الإنجليزية الصادرة عن دار برلين للنشر في ١٩١٣ ـــ ١٩٣٨م،نقل مقولة:أ.ت.ويلش وهي:

«إن معظم علماء الغرب قد قبلوا وجهة النظر التي طورها ف. اسكواللي وآخرون، والتي تذهب إلى أن لفظ القرآن مأخوذ من الكلمة السريانية قريانا keryana (التي تعني درسًا في قراءة الكتاب المقدس كما هو مستعمل في الطقوس والشعائر النصرانية»[(٢)].

وقال(ريجيس بلاشير ١٩٠٠ ـــ ١٩٧٣م):

«وردت كلمة (قرآن) بمعنى التلاوة، ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية، التي يرد فيها لفظ مشابه جدًا هذا المعنى»[(٣)].

كذا المستشرق (هر برت جوتشالك)، فقد ذكر الأستاذ:محمد شامة في تعريبه لكتابه (الإسلام قوة عالمية متحركة) قوله:

«شرح المؤلف كلمة (قرآن) وبين علاقتها بكلمة (قرأ) محاولاً ربطها بفعل الأمر (اقرأ) في أول آية نزلت على محمد ﷺ وهي قوله تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ العلق: ١ ، ثم ذهب إلى أن معنى كلمة (اقرأ) في اللغة العربية هو نفس كلمة (قارا) في اللغة العبرية»[(٤)].

وكذلك مونتجومري وات قال: «إن كلمتي (قرأ) و(قرآن) هما من الكلمات الدينية التي أدخلتها المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية. وتعنى قرأ مثلاً نصوص مقدسة، بينما (قرآن) هي (كريانا) السورية [(٥)]، استعملت للدلالة على (القراءة)»[(٦)].

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) أبو ليلة: محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (دراسة تحليلية نقدية)،(ص: ٢٥)، ط١، دار النشر للجامعات ـــ مصر ١٤٢٣هـــ ـــ ٢٠٠٢م.

(٣) بلاشير: القرآن،(نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره)،(ص ٢٣)، نقله إلى العربية: رضاء سعادة، أشرف على الترجمة:د. الأب فريد جبر، حققه وراجعه: الشيخ محمد علي الزعبي.

(٤) شا مة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص:٥٧).

(٥) لعلها السريانية.

(٦) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٨٦)، تعريب: شعبان بركات.

وعلى كل فقد تداول العرب قبل الإسلام لفظ قرأ بمعنى تلا، وهذا كافي لاستعمال العرب في تسمية القرآن به.ثم إن لفظ (القرآن) «اسم وليس بمهموز و لم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل»[١].

فالقرآن يوحى بمعنى القراءة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ القيامة: ١٦ – ١٨ .

فبعض المستشرقين يحاولون من خلال مثل هذه الشبه إثبات بشرية القرآن الكريم، والطعن في كتاب الله.

قال مونتجومري وات: «نجد في قصة دعوة محمد أنه قال (ماأقرأ) وهذا يعني إما أنه لايعرف القراءة، أو (ماذا يقرأ) وربما كان المعنى الأخير هو المعنى الأصلي. غير أن بعض الفقهاء المتأخرين ألحوا على عجز محمد عن القراءة كتأكيد لعقيدة إعجاز القرآن، لذلك نجد روايات تبدلت فيها الكلمات ليعني قوله (لاأستطيع القراءة) ماأنا بقارئ»[٢].

وأمام هذه الافتراءات الخطيرة ضد الإسلام، يقول تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ الجمعة: ٢ – ٤ .

---

(١) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، النوع السابع عشر في معرفة أسمائه وأسماء سوره،(٢/ ٣٣٩)

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص: ٥١٤ ــ ٥١٥)، تعريب: شعبان بركات.

المطلب الثاني: القرآن اصطلاحــا:

هو:«الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنــه بــالتواتر، المتعبد بتلاوته، وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلمــاء العربية»[١].

وقد حاول بعض المستشرقين الطعن في القرآن، والانتقاص منه بمنهج ظــاهره النزعــة العلمية وباطنه الهوى والتعصب، وهذا المنهج يبدو واضحا في الكتب التي تناولت القــرآن بكثير من الزيف والباطل.

فبعض المستشرقين اعتبره كتابا نثريا، قال المستشرق لويس يونغ:

«إن القرآن الذي هو أعظم كتاب نثري في العربية، قد ظهر بظهور الــنبي محمــد،وهو كتاب يعتمد السجع، وتتفاوت سوره طولا وقصرا. وقــد تــرك أثــرا بعيــدًا في الأدب العربي»[٢].

وبعضهم اعتبره مجموعة من الخطب المجموعة، قال هــــ. ر. جيــب عــن القــرآن بأنه:«مجموعة من الخطب ألقاها محمد طيلة العشرين سنة الأخيرة من حياته، مجموعة هي في أكثرها عبارة عن تعاليم دينية أو أخلاقية، أو براهين ساقها ضد خصومه،أو تعليقات علــى حوادث العصر، فضلاً عن بعض التعليمات على الصعيدين الاجتماعي والقــانوني، وكــان محمد نفسه يعتقد أن تلك الأقوال موحى بها، لأنها لا تعود في شكلها إلى عقلــه الظــاهر، وهكذا اعتبر محمد تلك الأقوال، وتبعــه في ذلــك جميــع مــسلمي عــصره والعــصور اللاحقة،...»[٣] ويقول مونتجومري وات: «يعتقد المسلمون السنيون أن القرآن في أصله من مصدر إلهي بأكمله.هو كلام الله غير المخلوق (وإن كانت الأصوات، والكتابــات علــى

(١) الصالح: صبحي، مباحث في علوم القرآن، أسماء القرآن وموارد اشتقاقها: (ص:٢٠)، ط ٢٤، (دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثاني ـــ يناير ٢٠٠٠م).

(٢) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة،(ص: ٨٥)، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر ـــ بيروت ١٩٧٩م.

(٣) جيب: هــ. أ. ر، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، (ص: ٢٧ـــ ٢٨).

الورق الخ مخلوقة). ويعتقد الغربي المدني (أو ربما اعتقد)، إذا أخذ بالتمييز الذي قام به محمد) أن القرآن من صنع شخصية محمد غير الواعية»[١].

ونقول له:لو كان كذلك لقبل العرب التحدي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ ، أما المستشرق دومينيك سورديل فقد اعتبر القرآن المكتوب بلغة أهل الحجاز المختلط ببعض الألفاظ المستعارة من اللغات المجاورة ماهو إلا كتاب عربي وسامي يمكن مقارنته ببعض أسفار العهد القديم، فهو ينتقل بسرعة شديدة صعبة كتلك التي كانت سائدة في اللغات السامية[٢]. [٣].

ويقول المستشرق (رينولد الن نيكلسون ١٨٦٨ ــ ١٩٤٥م)[٤]: «والقارئون للقرآن من الأوربيين، لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه، وعــدم تماســكه في معالجــة كبــار المعضلات، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات، ولم تكن حجرة عثرة في ســبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج للقرآن على أنه كلام الله»[٥].

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٩٥)، تعريب: شعبان بركات.

(٢) لي تعليق على كلمة اللغات السامية: فالمفروض أن تسمى باللغات القديمة، قال الدكتور شوقي خليل:" وكلمة: سامي، وساميون، تسمية توراتية مرفوضة،..مأخوذة من التوراة."

(انظر: خليل: شوقي، موضوعية فيليب حــتي في كتابه تاريخ العرب المطول،(ص: ٥٨)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ــ دمشق، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٥م) .

(٣) انظر: سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص ٥٦)، ترجمة: سليم قندلفت، تقديم: د. طيب تيزيني.

(٤) رينولد الن نيكلسون: مستشرق انجليزي يعد بعد ماسينون أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي،درس اليونانية واللاتينية والفارسية، إنتاجه العلمي يدور حول التصوف خصوصا،لكنه اهتم بالأدب العربي والشعر الفارسي، له مقالات عديدة في دائرة معارف الإسلام. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٥٩٣ ــ ٥٩٤).

(٥) نيكلسون: ر. أ، الصوفية في الإسلام،(ص: ٦)، ترجمه وعلق عليه: نور الدين شربية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م.

وقد عرّفت عميدة الاستشراق (أ. دكتورة أنا ماري شمل)[١] القرآن في مقدمة كتاب (الإسلام كبديل) للدكتور مراد هوفمان.[٢] سفير ألمانيا بالرباط بأن: «إن القرآن في اعتقاد المسلم كلمة الله مجسدة في كتاب، كما أن عيسى في اعتقاد المسيحيين كلمة الله المجسدة لحمًا، أي أن محمدًا هو الوعاء الذي احتوى كلمة الله فتدفقت منه إلى العالم، وكما أن القرآن ظل قرونًا وقرونًا غير مفهوم... كذلك ظلت صورة النبي محمد غير مفهومة، بحيث أسيئ تصوير شخصيته، إذ هو لكل مسلم أسوة حسنة، وقدوة مثلى في كافة أفعاله وأقواله، فترى المسلمين حريصين على اتباع سنته، والاقتداء به، بصفته المثل الأعلى للمسلم»[٣].

والحق أن القرآن الكريم هو كلام الله، يقول الدكتور مراد هوفمان:«والمسلم يؤمن أن القرآن كلمة الله، وأنه ليس مخلوقًا من المخلوقات، وأن الله أوحاه إلى محمد بلسان عربي مبين في تلك الفترة الزمنية المحددة، وهو معجزة الإسلام الوحيدة، والدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد»[٤].

ومن تتبع النصوص القرآنية في مواطن متعددة وجد أنها تشير إلى أن القرآن الكريم من عند الله ــ تعالى ــ وليس من عند محمد ﷺ وجبريل هو الذي تلقاه عن ربه، فكان واسطة بين الله وبين النبي محمد ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم: ٤ ، وأكبر دليل على

(١) أ. دكتورة آنا ماري شميل (Annemarie Schimmel ١٩٢٢م) من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، بدأت دراسة اللغة العربية في سن الخامسة عشرة، وأتقنت العديد من لغات المسلمين، وهي التركية والفارسية والأوردو. درّست في العديد من الجامعات في ألمانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي أنقرة. اهتمت بدراسة الإسلام، وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبني قومها، حتى نالت أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا تسمَّى جائزة السلام. أصدرت العديد من الكتب منها كتاب (محمد رسول الله) http://www.dorar.net/enc/adyan/٧٨٢

(٢) مراد هوفمان: مستشرق ألماني في المغرب يدعى من قبل إسلامه (فيلفريد) وقد أسلم عام ١٩٨٠م، وألف كتابه (الإسلام كبديل)وفرغ منه في رمضان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. (انظر: مقدمة الكتاب وخاتمته،(ص: ٢٠)، ٢٥١) .

(٣) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ١٢)، ط ٤،طبعة خاصة صدرت باتقان خاص من مكتبة العبيكان والناشران الأصليين (مجلة النور الكويتية، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات) مكتبة العبيكان ــ الرياض ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م.

(٤) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٤١).

ذلك وجود بعض آيات العتاب والتقريعات المؤلمة، ولو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما استطاع الجهر بها، ولكنه مأمور بعدم كتم ما يوحى إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧ .

ومن شهادة بعض علماء الغرب المنصفين على أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ قول المستشرق (لوبلوا[١]):

«إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الذي ليس فيه أي تغيير يذكر»[٢].

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) دراز: محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي مقارن)، (ص: ٤٠)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة الدكتور: السيد محمد بدوي، ط (بدون)، دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية ١٩٩٠م.

المبحث الثاني

بعض شبه المستشرقين حول القرآن الكريم

المطلب الأول: نـــزول القـــرآن:

ذهب بعض المستشرقين إلى التشكيك في مجئ الوحي الإلهي إلى نبينا محمدﷺ وتخـبط بعضهم في تفسير مظاهر الوحي، التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ فمن المستـــشرقين مـــن يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي ﷺ حينا بعد حين، ومنهم مـــن يفـــسرها بمـــرض نفسي.. وهكذا، كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير الوحي، ولمـــا كـــان بعض المستشرقين مابين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء الله كان إنكارهم لنبوة محمد تعنتًـــا من باب مبدأ التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان، وقسس، ومبشرين(١).

قال المؤلـــف الإنجليـــزي الـــشهير إدوارد جيبـــون ١٧٣٧ ــ ١٧٩٤ (Edward Gibbon(٢)): «وفي غار حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة، كان محمد ينـــاجي روح الخداع أو الحماسة التي لا تقطن السماء، وإنما تسكن عقل النبي، ويتألف الدين الذي بشر به عشيرته وأمته باسم الإسلام من حقيقة أزلية، وقصة حتمية: لاإله إلا الله، محمـــد رســـول الله»(٣).

لكننا نجد بعضهم يعترف بالوحي، فالمستشرق (جوتشالك) قال:

«فهو الوحي المترل من الله، الذي يهدي إلى طريق الحق وسط الضلالات البشرية. يجد المسلم فيه إرادة الخالق. نزلت من السماء في صورة وحي، فإليه يتجه، وفيه يبحـــث عمـــا

---

(١) انظر: السباعي: مصطفى، المستشرقون مالهم وما عليهم، (ص:٢٠).

(٢) ولد ادوارد جيبون في ٢٧ أبريل ١٧٣٧ في بلدة بتني في مقاطعة سرى بجنوب إنجلترا من أسرة غنية عريقة نشأت أصلا في بلدة رولفندن بمقاطعة كنت وكان أبو آنذاك عضوا في البرلمان الإنجليزي، تعلم اللاتينية، نشأ محبا لقراءة التاريخ، وفي عام ١٧٥٢م التحق بكلية مودلين بجامعة أكسفورد، وأكثر من القراءة في الدين وتحول من مذهب الكنيسة إلى المذهب الكاثوليكي، ثم ارتد إلى البروتستانية، استطاع القس بافيار أن يدرب جيبون على طرائق البحث ومناهجه،له مؤلفات عدة وأولع بالتاريخ الروماني مما دفعه لكتابة مؤلفه(اضمحلال الإمبروطورية الرومانية وسقوطها) (انظر: جيبون: إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، مقدمة الكتاب من(١/ ١٢ ــ ٢٥)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ــ فرع مصر ١٩٦٩م.

(٣) جيبون: إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها،(٣/ ٣٥).

يريد، لأنه كلام الله نفسه.وهو الدليل الوحيد ــ ولاشيء غيره ــ على نبوة محمد ﷺ فــلا يجوز لمسلم أن يشك في هذا لحظة»[١].

وقد يقول ذلك مداراة للمسلمين كما فعل (مونتغمري وات) البريطــاني الجنــسية في كتابه (محمد في مكة) حيث قد درج في عباراته أن القرآن أوحي إلى محمد مجاملة للمسلمين، لكنه لا يعتقد بأن القرآن كلام الله، وحاول التشكيك في القرآن عند حديثه عن بدء الوحي، في خلط بين الرؤى المنامية التي سبقت الوحي ورؤيا جبريل وهو يتزل باقرأ، ورؤيا جبريــل وهو يتزل في صورته الحقيقية، بعدة، وسائل منها:

أ ــ أن ما رآه الرسول من قبيل الهلوسة والوهم والخيال[٢].

فبعض المستشرقين تجاهلوا كثيرًا من حقائق الوحي، وتباينت آراؤهم فيه مــشككين في مجئ الوحي الإلهي إلى نبينا محمد ﷺ.

وفي تمسك بعض المستشرقين ببعض حالات نزول الوحي، كالتي فيها غطــيط وعــرق ليفتروا على النبي محمد ﷺ ،وهذا نابع من منطلق رفضهم أن تكون رسالة النبي محمــد ﷺ ربانية المصدر.

مثاله: نجد أن غوستاف لوبون[٣] يصف النبي حين نزول الوحي بالهوس، ويقول:

«بأنه يجب عدُ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كما هو واضح وذلــك كأكثر مؤسسي الديانات......ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم لا ذوو المــزاج البارد من المفكرين، هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، ومتى يبحــث في عمــل

(١) شامة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي،(ص ٥٨)

(٢) انظر: إدريس: جعفر شيخ، منهج مونتغمري وات في دراسة نبوة محمد – صلي الله عليه وسلم ــ بحث ضمن (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية،(١ / ٢٠٧ ــ ٢١٩) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس ــ إدارة الثقافة ١٩٨٥م.

(٣):Dr. G. lebon كوستاف لوبون ولد عام ١٨٨١م، وهو طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية. مــن آثاره: (حضارة العرب) (باريس ١٨٨٤)، (الحضارة المصرية)، و(حضارة العرب في الاندلس).

http://quran.maktoob.com/vb/quran/٤٩٨٠٨

المفتونين في العالم يُعترف بأنه عظيم، وهم الذين مثلوا هذا الدور وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر»[١].

ويذكر نولدكه:«إن سبب الوحي النازل على محمد، والدعوة التي قام بها،هو ماكان ينتابه من داء الصرع»[٢].

وكيف يكون ذلك والمصاب بالصرع تتعطل ذاكرته ورسول الله ﷺ يحفظ القرآن من الوحي إذا نزل عليه!

كذلك المستشرق الفرنسي (أميل در منغم)[٣] وصف النبي في غار حراء بالهوس وغياب الحس.

والوحي في رأي هذا المستشرق ليس إلا وحيًا من داخل محمد ﷺ أي: من العقل الباطن، فأنزل النبوة منزلة الهلوسة، وحديث النفس، وأن النبي فقد عقله، وغرق في خياله، وأثمر له انبثاق ذلك الوحي من حسه وتخيله[٤]. كذلك (مونتغمري واط) يصف طريقة الوحي بالتسمع أو التنويم المغناطيسي[٥].

---

(١) لوبون: غوستاف، حضارة العرب، (ص: ١١٤)، ترجمة:عادل زعيتر، ط (بدون) طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٦٩م.

(٢) ستودارد الأمريكي: لوثروب، حاضر العالم الإسلامي،وفيه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث، (البعثة المحمدية)،(١ / ٣٤)، بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير: شكيب أرسلان، ط٢، دار الفكر العربي ــ ١٣٥١هـ.

(٣) إميل درمنغم :E.Dremenghem مستشرق فرنسي، عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، من آثاره: بمعاونة محمد الفاسي: قصص من فاس، وله: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من ادق ما صنّفه مستشرق عن النبي ﷺ، و(محمد والسنة الاسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عددًا من الابحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الافريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية). (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(١/ ٢٧٩ ــ ٢٩٨).

(٤) انظر: رضا: السيد محمد رشيد، الوحي المحمدي،(ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام، دين الأخوة الإنسانية والسلام)،(١٣٧ ــ ١٣٩) (تصوير حالة النبي الروحية في تحنثه بالغار)،ط٣، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان ١٤٠٦هـ.

(٥) انظر: إدريس:جعفر شيخ، منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد - صلي الله عليه وسلم ــ بحث ضمن (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ٢٢٩/١.

كما حاول أن يصف خوف نبينا محمد ﷺ عند نزول الوحي بأنه تقليد لــه جــذوره التاريخية كما فعل الأنبياء السابقون، حيث يقول: «والخوف من الاقتراب من الله له جذور عميقة في العقلية السامية، كما يشهد عليه العهد القديم....والانتقال الفاشل من. زملوني إلى (المدثر) يدل على أن تفسير (المزمل) كان في الأصل لا علاقة له قط بقصة رسالة محمد، وأن هذه العلاقة المفروضة قد أدخلت فيما بعد.وربما بدا، من ناحية ثانية، من الطبيعــي لهــؤلاء المفسرين اللاحقين أن يفسروا (المزمل) على هذه الصورة لأن الخوف من الانبثــاق الإلهــي كان منتشرًا، فكان على محمد أن يشعر به، هذا كل ما يمكننا قوله. ويمكن مقارنة مــشاعر الخوف مع أنبياء العهد القديم وحياة القديسين المسيحيين»[١].

ولكن بعض المستشرقين نجده يصف الوحي بالظاهرة النفسية فقال دومينيك سورديل: «عندما كان الروح القدس يخاطبه كانت تنتابه حالة خاصة من القشعريرة والجهــد، وهــو مغطى بعباءته، وكأنه في حالة عصبية غير عادية. إنها ظواهر فيزيولوجية ونفــسية تعتــري أحيانًا أولئك الذين يشعرون بأنهم تحت تأثير الإلهام. وهذا أمر لايمكن استبعاده أو إســناده بالبراهين العقلية الصرف. لما فيه من صدق وأصالة»[٢].

وقد تناولت الدائرة الإسلامية موضوع الوحي تحت عنوان محمدﷺ والقرآن الكريم[٣]، وبين الكاتب نظرة المسلمين إلى السُنة: بأنها لاتعدو أن يكون الله في القرآن هــو المــتكلم دائمًا، ومحمد هو المتلقي، وجبريل هو الوسيط.

ومن خلال بعض سور القرآن حاول الكاتب التشكيك في ماهية الله المتكلم مثل سورة (الشمس، القارعة، التكاثر، العصر) فقال:بأن هذه السور ليس فيها إشارة إلى أن الرســالة تأتي من الإله إنما فيها إشارة إلى الخالق المعبود، والكاتب يرمي إلى أن اسم الإله، لم يتحــدد إلافي الفترة المدنية، بعد أن اتصل محمد ﷺ باليهود في المدينة.

فبعض المستشرقين يتصورون أن هجرة النبي ﷺ لتكوين مجتمع مستقل إسلامي بالمدينة مرهون بوضع كتاب مقدس، ومن ثم عمد الرسول إلى تأليف القرآن؛ لذا فهم يشككون في

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٩٠ ــ ٩١)، تعريب: شعبان بركات.

(٢) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٥٠)، ترجمة: سليم قندلفت.

(٣) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٦ /٨١٦٦)

مصداقية الوحي، وحجتهم في ذلك فهمهم الخاطئ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء: ٩٠ــ٩٣ .

وهذا تمهيد للزعم بأن القرآن أتى به محمد ﷺ استجابة لهذا التحدي من جانب خصومه، لإظهار إنكارهم للدعوة إلى الإيمان بالغيب، وبمالاتدركه حواسهم، وهو ما جاءت به السور التي نزلت من القرآن قبل نزول هذه السورة، و لم تكن بين محمد ﷺ وقومه خصومة قبل نزول القرآن، فقد لبث عمرًا بين ظهرانيهم لا يتحدونه ولا يتحداهم، حتى نزل القرآن، و لم يكن هناك مجال للتحدي، ولا سبب له قبل نزوله.

فلم يصرح الكفار بهذا التحدي إلا بعد نزول القرآن بزمن، ولايمكن أن يكون هذا التحدي سابقًا على الترول[1].

كما أن جهل بعض المستشرقين باللغة العربية جعلهم يظنون أن معنى (سنلقي عليك، سنقرئك، نتلوها عليك)إلقاء مباشرة من الله، وتلاوة مباشرة على المتلقي، و لم يفهموا أن ذلك بمعنى التتريل، وبالتالي لايمكن أن يكون هناك تعارض، فلا يسلم لهم التشكيك في دور جبريل عليه السلام كما أنهم لا ينكرون ظاهرة الوحي في حق الأنبياء السابقين، فكيف ينكرونه في حق النبي محمد ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ.وهذه التفسيرات للوحي مشابهة لتفسير المشركين القدماء، فقالوا:بأنه كاهن، وقالوا: ساحر، وقالوا: شاعر، ووصفوا النبي محمد ﷺ بالجنون.

(١) انظر:جمال الدين: أ.د. محمد السعيد، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية،(من ص: ٣٥ ــ ٣٨)

وبعض المستشرقين في تفسيراتهم لظاهرة الوحي، وما كان يعتري النبي عند تلقيه الوحي مبني على إيمانهم بالعلوم التجريبية الصرفة، وبالتالي أصبحوا لايؤمنون إلا بما يقبله الحس دون ما وراء الطبيعة من عالم الغيب.

المطلب الثاني: جمع القرآن وترتيبه:

القرآن كان يترل على النبي ﷺ منجمًا (متفرقًا)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦ .

والحكمة من ذلك هي تثبيت فؤاد النبي ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ الفرقان: ٣٢ .

وكان النبي محمد ـــ عليه أفضل الصلاة والسلام ـــ يحفظه، ويبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحي بكتابته، وكان النبي يعارض جبريل بالقرآن كل عام مرة في شهر رمضان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥ ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ القدر: ١.

والعام الذي مات فيه عارضه مرتين، ولم ينتقل النبي إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب في العصر النبوي، غير أنه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد، ولا موجودا في مكان واحد، بل كان مفرقًا لدى الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ وكان الصحابة يَعْرِضُوْنَ على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة، ولم يجمع القرآن في مصحف واحد لاهتمام الصحابة بحفظه عن ظهر قلب، ولأن ماكان يترقبه الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ من ورود زيادة ونسخ لبعض آياته، ولهذا يفسر ماروي عن زيد بن ثابت ت ٤٥هـ أنه قال: ((قبض رسول الله ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء [1]))[2].

---

(١) فتح الباري: ابن حجر ج٩، ص٩، والإتقان: السيوطي: ج١، ص٥٧

(٢) محيسن: د.محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم،(ص ١٢٨ـــ١٣٢)، ضمن سلسلة دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي،،السنة الثانية ١٤٠٢هـ جمادى الآخرة (١٥)،ط ٢، ١٤١٤ هـ، طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي ـــ مكة، الناشر: رابطة العالم الإسلامي) .

فالكتابة في عهد النبي ﷺ لم تكن محدثة، بل كتب القرآن في صحف لافي مصحف، فالرسول محمد ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكنه كان مفرقًا في:

الرقاع،والأكتاف، والعسب، والصديق أمر بنسخها من مكان إلى مكان، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط لكي لا يضيع منها شيء[١]. لكن المستشرق الإنجليزي آثر جفري فهم في مقدمة تحقيقه لكتاب المصاحف من مقولة زيد بن ثابت أن الرسول مات دون وجود كتاب سماوي [٢].

يقول إدوارد مونتيه: «وقد خلف عند وفاته مجموعة من النصوص المكتوبة على شكل مهوش،وكثرا من الأقوال المحفوظة»[٣].

ويقول المستشرق الفرنسي (دومينيك سورديل): «إن نص القرآن الذي لا يزال الأساس الجوهري، لم يجمع أثناء حياة محمد. ففي ذلك العهد كان بعض الصحابة: أبي بن كعب، وعبد الله بن أبي السرح، وزيد بن ثابت، وغيرهم[٤]. قد دونوا أجزاء من القرآن.

كما أن أحدًا لم يفكر بتدوين القرآن كاملاً، على اعتبار أن جميع المؤمنين كانوا يحفظون عن ظهر قلب مختلف سوره.غير أن عمر في العام الحادي عشر للهجرة. بناء على توصية من أبي بكر، دعا الشاب زيد بن ثابت لجمع كل ماكان كتب، وكل ماكان الصحابة قد حفظوه في ذاكرتهم. فقام زيد بتدوينها على أوراق أودعها عمر عند ابنته حفصة أم المؤمنين. و لم يصبح لهذا النص حتى وفاة عمر أي طابع رسمي. وكان أربعة من الصحابة هم: أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى والمقداد بن عمرو، قد جمعوا بعض النصوص القرآنية. غير أنها لم تكن متطابقة. وقد أدى بعض التناقض بين بعض تلك النصوص إلى انقسامات بين المسلمين»[٥].

---

(١) انظر: السيوطي، البرهان في علوم القرآن، (٢ / ٣٨٥) النوع الثامن عشر: في جمع القرآن وترتيبه.

(٢) انظر: السجستاني:أبي بكر عبد الله بن أبي داود(ت٣١٦هـ)، المصاحف، تحقيق:المستشرق الإنجليزي/آثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ومعه ملحقه الذي نشرسنة١٩٣٧م، طبعة ليدن.

(٣) عوض:إبراهيم، المستشرقون والقرآن، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، (ص:١٢٨)،دار القاهرة ـــ القاهرة ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

(٤) الصحيح: عبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث، إضافة إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص. (المترجم).

(٥) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٩١ – ٩٢)، ترجمة: سليم قندلفت.

وفي عهد أبي بكر بن الصديق ﷺ تم استنساخ ما في صدور الصحابة، وما في صحفهم، فأصبح القرآن مرتبًا، فالفرق أن الصحف التي جمعت فيها القرآن في عهد أبي بكر، كانت سورًا مفرقة مرتبة بآياتها على حدة، فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفًا[١]، عن طريق استنساخ مافي صدور الصحابة وكتبهم، أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: ((قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان))[٢] وذلك بعد غزوة اليمامة سنة (١٢هـ)والتي استشهد فيها عدد كثير من الحفاظ نحو سبعين رجلاً، فخشي عمر ﷺ من ضياع القرآن، واقترح على أبي بكر جمع القرآن وبعد تردد وافق على ذلك، مكلفًا بعد الاستشارة زيد بن ثابت، ثم شرح الله صدر زيد بن ثابت وشرع يتتبع جمع القرآن، من صدور الصحابة، ومما كان مكتوبًا في عهد النبي ﷺ وكان يستوثق من ذلك بشهادة شهيدين[٣].

وهذا يدل على أن زيدًا كان لا يكتفي بمجرد وجوده مكتوبًا حتى يشهد من تلقاه سماعًا مع كون (زيدٍ)كان يحفظه، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط.

وقد حاول بعض المستشرقين التشكيك في الحفظ، والطعن في الكتابة، وفي ترتيب الآيات.يقول آثر جفري[٤] في مقدمة كتاب المصاحف:

«فإن علماء الغرب لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل النبي ﷺ»[٥].

---

(١) انظر: العسقلاني:أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح البخاري،(٩ / ١٨)

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن،(٢ / ٣٨٣)، النوع الثامن عشر: في جمع القرآن وترتيبه.

(٣) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،(٢ / ٣٨٦ ــ ٣٨٧) (النوع الثامن عشر).

(٤) هكذا ورد اسمه على غلاف كتاب المصاحف غير المحقق تحت عبارة (نُقل من نسخة خطية وحيدة محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وقد صححه ووقف على طبعه الدكتور آثر جفري).

(٥) السجستاني:الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ت ٣١٦هـ، تحقيق: د.آثر جفري،(ص:٥)

فالمستشرق قد طعن في ترتيب الآيات، أوفي ترتيب سور القرآن، أوكليهما معًا. ثم إن طعنه ليس فرديًا باعتبار قوله:علماء الغرب، لكننا لا نسلم بقوله لأن ترتيب الآيات توقيفي عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى، ولا مجال للرأي والاجتهاد فيه،كذلك المستشرق (ريجيس بلاشير) شكك في ترتيب الآيات من خلال ما كتبه عن دراسة القرآن شكلا في ترجمته للقرآن الكريم(١).

ولا شك أن الآيات في كل سورة ترتيبها توقيفي، ولهذا لا يجوز تعكسيها(٢).

أما ترتيب السور فالراجح كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء أن ترتيبها توقيفي، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن(٣).

المطلب الثالث: القراءات والقراء:

الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي سبعة أوجه يقرأ بها،وكل وجه من هذه الأوجه قرآن، يحمل زيادة في المعنى، كما يحمل زيادة في المبنى، فما بين هذه الأوجه من الاختلاف، هو من باب التنوع. لا من باب التناقض أو التضاد(٤).

وقد أثار المستشرق اليهودي (جولد تسيهر)في مقدمة كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي) جملة من المسائل المتعلقة بعلم القراءات، وتورط في أخطاء دفعت الشيخ العلامة عبد الفتاح القاضي، رئيس قسم القراءات بكلية القرآن الكريم بالمدينة النبوية، ورئيس لجنة تصحيح المصاحف بمصر أن يقوم بمناقشة بأسلوب علمي قوي واضح، مبررًا حقائق القراءات القرآنية وأسرارها، بروح العالم المحقق، مبينًا أن لكل قراءة معنى، وأن تلك الأوجه من المعاني غير متضاربة، بل هي من نوع التنوع المحمود في البلاغة.

---

(١) انظر: بلاشير: ريجيس، دراسة سور القرآن شكلا ومحتوى، تعريب: محمد المختار العبيدي، مقال مكتوب في حوليات الجامعة التونسية،(من ص: ٨٥ ــ ١٠٤، العدد الواحد والعشرون ١٩٨٢، تونس.

(٢) انظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن،(٢ / ٣٩٤ ــ ٤٠٤) (النوع الثامن عشر)

(٣) انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن،(٢ / ٤٠٥)

(٤) انظر: القاضي:عبد الفتاح عبد الغني، القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، مقدمة المؤلف،(ص ٤)، ط (بدون) الجامعة الإسلامية ــ المدينة المنورة، الناشر: مكتبة الدار، ١٤٠٢هـ.

وقد أرجع (جولد تسيهر) اختلاف القراءات إلى عدم النقط والشكل[١]، مما دفع الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي (أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة) إلى دحض ما قرره (جولد تسيهر) فبعد جمع الأدلة والبراهين، استطاع أن يقدم دراسة وافية للرد على جولد تسيهر. يقول د.عبد الفتاح:«قرأت ما قاله (جولد تسيهر) وتدبرته فإذا بي أراه يهدم النقل عن الأئمة القراء، وينكر صلة هذه القراءات بالسند عن الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ، ومعنى ذلك.أن ماكان من هذه القراءات متصلاً بخصوصية الخط العربي ــ وهو كثير ــ ليس مما نزل به جبريل على قلب الرسول.وليس من الأحرف السبعة التي نص الرسول في صحيح ماروي عنه ــ أن كلها شاف كاف!! ومعنى ذلك أيضا إنكار هذا القرآن في الجملة والتفصيل، ثم إنكار ما دار حول نصه الكريم من ثقافات متعددة الألوان، وفي ذلك من الخطورة مافيه»[٢].

فما ادّعاه بعض المستشرقين من ربط خلو المصاحف من النقط والشكل بنشأة اختلاف القراءات مغالطة مكشوفة، فالقرآن تُلقي من الرسول بحروفه السبعة، كما أن صحابة رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار بعد وفاته، وقرؤوا على الناس بما تلقوه من رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف))[٣] . ويقول د.إسماعيل سالم عبد العال: «آرثر جفري حاول بتحقيقه لكتاب المصاحف، وبملحقه الكبير الذي ضمنه تلك القراءات الشاذة أو التفسيرية أن يوهم أن قرآننا ليس واحدا، وأن

(١) انظر: تسيهر: إجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامي،(ص ٨ ــ ٩)، ترجمة:عبد الحليم النجار.

(٢) شلبي: عبد الفتاح إسماعيل، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم (دوافعها ودفعها) مقدمة الكتاب،(ص ٣)، ط٢، (دار الشروق، جدة ــ السعودية، ١٤٠٣ هــ/١٩٨٣)

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف،ج ٩ / ٢٣، ح (٤٩٩١)، ومسلم في كتابصلاة المسقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ومعناه،ج٥٦١/١، ح(٨١٩).

المصاحف مختلفة فيما بينها، معتمدا على كتاب المصاحف الذي حققه، متصورًا أن قرآننا قد مر بمراحل تطورية كما مر الإنجيل والتوراة من قبل، وكما ذكر في المقدمة التي كتبها»[١].

وقد بدأ آرثر جفري بمقدمة خطيرة مشككًا في القرآن من حيث جمعه، وموجهًا طعونًا مباشرة لعلماء الأمة، زاد في الكتاب، وحذف، وحرف، ووقع في أخطاء كثيرة، ولم يكن له عمل إلا إخراج الكتاب من حيز المخطوط إلى عالم المطبوع مع ما حصل فيه من الأخطاء. وقد قام د.محب الدين واعظ (الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى) باستعراض مقدمة المستشرق، ومن ثم نقدها[٢].

وقد جمع جفري روايات عجيبة، لإحياء خلافٍ أراد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ القضاء عليه، ففي النسخة غير المحققة نجد ملحقا يفوق عدد صفحات الكتاب الأصلي حيث جمع فيه الروايات الشاذة أو التفسيرية، فهذه الزيادات ليست قرآنا كما اعتقد جفري، وإنما هي بدايات لعلم التفسير.

يقول د.عبد الصبور شاهين:«...ونحن نرى أن تلك الزيادات البيانية كانت ضرورية، وأن وجودها كان طبيعيًافي تلك الظروف التاريخية، وهي في نظرنا تعد الملامح الأولى لما عرف من بعد بعلم (تفسير القرآن) أي: أن الصحابة كانوا بتعليقاتهم هذه ـ الجزئية ـ يضعون النواة الأولى لهذا العلم، وما كان لهم أن يفعلوا غير ذلك، في ظروف لم تعرف مناهج التأليف أو التحليل للنصوص، وقد كان دافعهم إلى ذلك إشفاقهم على من يليهم من الأجيال أن يضلوا في فهم كتاب الله، وآداء الأمانة التي حملوها فحملوها بإخلاص نادر، وولاء صادق متين»[٣].

وعلى كل لم يفتر بعض المستشرقين من التشكيك في سلامة جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين.

---

(١) عبد العال، إسماعيل سالم، المستشرقون والقرآن،(ص ٢٩)، سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد ١٠٤، العام ١٤١٠هـ /١٩٩٠م، تصدرها رابطة العالم الإسلامي ـ مكة.

(٢) انظر:السجستاني الحنبلي:أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ٢٣٠هـ ـ ٣١٦هـ، كتاب المصاحف، دراسة وتحقيق ونقد، د.محب الدين عبد السبحان واعظ، الأستاذالمساعدبجامعة أم القرى، الفصل الرابع من المجلد الأول،(من ص ١١٣ـ ١٣٦)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ دولة قطر.

(٣) شاهين د.:عبد الصبور، تاريخ القرآن،(ص: ١٣٨)، دار الاعتصام ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

قال بلاشير:«وقد تمت خطوة حاسمة بعد عشرين عامًا، إذ أقبلوا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٦٤٤ ـــ ٦٥٦)على جمع نص جديد أقيم على أساس أوسع، ومن وجه ما أشمل حصرًا. كان المنطلق مصحف أبي بكر، فضموا إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيبـــا فقط، وتم أخيرًا إخراج مصحف رسمي قصد الخليفة إحلاله محل جميع المصاحف الخاصة.على أن هذه الرغبة في إحلال نص ثابت ظهرت بتدبير كاد يكون هتكًاللقدسيات:

وهو إتلاف جميع المصاحف التي سجل عليها الأتقياء الموحيات التي جمعت عن لـــسان محمد نفسه، وفي حياته.ومع ذلك فإن مصحف عثمان بقي غير مكتمل في جوانب كـــثيرة منه»[1].

فهو يشكك في سلامة حفظ الصحابة من خلال قوله: (غيبًا فقط) كأنه يحاول زعزعـــة ثقة قارئه في أحد أهم مصادر الجمع، وأكثرها ضبطًا وهي الحفظ، وما يمكن أن يشوبه من خطأ ونسيان. وفي قوله (هتكًا للقدسيات) كأنه يهيب بالمسلمين باستنكار ما فعله عثمـــان بن عفان ﷺ جاء في كتاب المصاحف: «ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الـــذي أرسل به، فذاك زمان حرقت المصاحف بالعراق بالنار»[2].

ونصوص الاختلاف لم تبلغنا إلا بعد أن أحرق عثمان ﷺ المـــصاحف، ومـــا ورد في الروايات التفسيرية في مصاحف الصحابة أصبحت مستندا لما سمي ـــ فيما بعد ـــ (اختلاف مصاحف الصحابة) وراح آرثر جفري يجمع الاختلافات بين مصحف عثمان ﷺ وغيره من الصحابة، ويثبتها على أنها قرآن في ملحق ذيله بكتاب المصاحف الذي قام بتحقيقه.

والفرق بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان أن جمع أبي بكركان لخشية أن يـــذهب مـــن القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد، فجمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، مقتصرا على مالم تنسخ تلاوته، مشتملاًعلى الأحرف السبعة الـــتي نزل بها القرآن.

---

(١) بلاشير: القرآن (نزوله،تدوينه، ترجمته وتأثيره) ،(ص ٣٠ ـــ ٣١)

(٢) السجستاني:أبي بكر عبد الله بن أبي داود(ت٣١٦هـــ)، المصاحف، تحقيق:المستشرق الإنجليزي/آثر جفري، (ص:٢٠).

وجمع عثمان ﷺ كان نسخًا له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على حرف واحد يقرؤون به دون ماعداه من الأحرف الستة الأخرى(١).

فهل المصاحف العثمانية ليس فيها سوى حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو حرف قريش؟

لقد تناول الدكتور محمد سالم محيسن هذه القضية بالتحليل، واعتبر هذا الرأي باطلاً، وذهب إلى القول الآخر إلى أن المصاحف العثمانية في مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التي نزلت على النبي محمد ﷺ. وأن الأحرف السبعة منتشرة في المصاحف التي كتبت في عهد عثمان ﷺ واعتبر هذا هو الرأي الراجح، مبينًا أن وجود الاختلاف في الرسم بين المصاحف العثمانية من الأدلة القاطعة على أنها لم تكتب بحرف واحد، بل كتبت متضمنة الأحرف السبعة(٢).

أما المستشرق الفرنسي دومينيك سورديل فقد ذكر أنه:«لم تكن اللغة العربية تحدد ما إذا كان الفعل فيها هو للشخص المخاطب أو الغائب،وإذا كان مبنيًا للمعلوم أو المجهول، مما سيكون مصدرًا لأخطاء بالغة وخطيرة،تم تحاشيها عمومًا بفضل نظام القراءة المشكولة التي أصبحت معتمدة. وفي القرن التاسع اعتمدت القراءات الرسمية من بين تلك القراءات التي كانت مشتهرة. والتي تختلف فيما بينها اختلافات يسيرة. وقد حصرت في سبع قراءات. وإن أصحاب هذه القراءات (القراء) ينتمون إلى مختلف الأمصار»(٣).

فبعض المستشرقين لم يكتفوا بالتشكيك في صحة وسلامة القرآن الكريم، بل نفوا صحة مصحف عثمان بن عفان ﷺ الذي أجمعت الأمة الإسلامية على أنه القرآن الموحى به من عند الله تعالى.

---

(١) انظر: قطان: مناع، مباحث في علوم القرآن،(١٢٣ــ ١٣٣)، ط ١٢، (مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ١٤٠٣ هــ / ١٩٨٣ م).

(٢) انظر: محيسن: د. محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم،(١٥٤ ــ ١٦٠)، سلسلة دعوة الحق تصدر مع مطلع كل شهر عربي، السنة الثانية ١٤٠٢ هــ جمادى الآخرة (١٥) ط ٢، ١٤١٤ هــ، (طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي / مكة المكرمة).

(٣) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٩٣)، ترجمة: سليم قندلفت.

المطلب الرابع:جـــدل القـــرآن:

«الجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبـــل أي أحكمـــت فتله، ومنه الجديل، وجدلت البناء أحكمته، ودرع مجدوله.والأجدل الصقر المحكم البنيـــة، والمجدل القصر المحكم البناء، ومنه الجدال، فكان المتجادلين بفتل كل واحـــد الآخـــر عـــن رأيه»[١].

والجدل في القرآن الكريم لبيان مقاصد أساسية وتقديم مؤيدات مقنعة لإثبات عقيدة التوحيد، فمن الناس من هو مكابر معاند لا تنفع معه حجة، فيثير الشكوك، ويموه الحقائق، ويبث الشبهات، وهذا بحاجة إلى من ينقض شبهاته، ويكشف حقيقته، ويقارعه الحجة بالحجة، حتى لا يلبس على الناس أمور دينهم وهكذا كان طبيعيًا أن يتعرض القرآن لذكر الجدل، كما أن الجدل مفطور عليه الإنسان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ الكهف: ٥٤ ، فالإنسان أكثر الكائنات جدلاً، والممدوح منه ماكان لإثبات الحق.وهناك نوع من الجدل المذموم: وهو جدال الكفار مع وجود الأدلة القاطعة لإنكار وحدانية الله والنبوة، والشريعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾﴾ غافر: ٤ .

وقد تميز الجدل القرآني بما يعرف بالموضوعية العلمية بعيدًا عن العبارات المطاطة وكل ما ينم عن فوضى في التفكير[٢].

ويتجه الجدل القرآني إلى إرشاد المجادل والأخذ بيده إلى التفكر في ملكوت الـــسماوات والأرض، وتارة إلى إلزام المعاند وإفحامه، مع معاملة الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والاعتقادية.

---

(١) الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد ٥٠٢هـــ، المفردات في غريب القرآن،(ص: ٨٩ ـــ ٩٠)، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان (بدون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٢) انظر: التو مي: محمد،دراسات قرآنية ـــ ٢ ـــ الجدل في القرآن الكريم، فعالية في بناء العقلية الإسلامية،(ص٦ ـــ١٧)، طبع الشركة التونسية، تونس، ١٤٠٠هـــ /١٩٨٠ م.

وقد أثار بعض المستشرقين شبهات سوفسطائية حول القرآن بأنه يحيد عن الجدل العقلي، والنقاش الفكري، كلجوئه إلى المباهلة في قوله تعالى لرسوله ﷺ في شأن عيسى وتأليه النصارى له:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ آل عمران: ٦١ .

علما أن القرآن قد جادلهم وناظرهم قبل المباهلة، ثم لجأ إلى أسلوب التخويف من غضب الله وانتقامه من الضالين المكذبين.والدليل على ذلك من الآية نفسها على تقدم المحاجة، وهو قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٦١ .

وقد ناظرهم القرآن قبل ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ آل عمران: ٥٩ .

فقد أقام الحجة على بطلان دعواهم بأمر يشتمل على شبهتهم وزيادة، فإن آدم وجد من غير أم ولا أب، ولم يقولوا بألوهيته.وشبهتهم في عيسى أنه وجد من أم بلا أب قد نقضها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾المائدة: ٧٥ .

فهل من يأكل الطعام، ويفتقر إليه، ويتركب جسمه،ثم يتحلل، يكون إلهًا؟ وهكذا يظهر لنا أن المباهلة كانت في آخر أيام الدعوة[1].

وخصوم الإسلام هدفهم الأكبر صرف الناس عن القرآن بإثارة المزاعم والشكوك حوله، لأنه الدستور الذي يقوم عليه الدين الإسلامي، وكان من أولئك المجادلين من له جذور

(١) انظر: الألمعي: زاهر بن عواض، مناهج الجدل في القرآن الكريم ،(من ص ٤ ــ ٧)، ط ١، مطابع الفرزدق ــ الرياض ١٩٨٤م .

يهودية لإثبات أن الرسول محمد ﷺ اقتبس القرآن من التوراة، أمثال: (جولد تسيهر)، (س.د. جويتين)[١]، (رودي بارت)، وغيرهم.

ومنهم من حاول أن يثبت أن القرآن له صلة أيضًا بالمسيحية مثل: (فلهلم رودولف) في كتابه (صلة القرآن باليهودية والمسيحية) و(ريجي بلاشير) في كتابه (القرآن))وظهرت بواكير الجدل من خلال ترجمة القرآن، إذ إن أول نصوص مترجمة من القرآن قد جاءت ضمن كتاب(الجدل) الذي ألفه ابن الصليبي،مطران (ديار بكر) (ت١١٧١م) وهو مخطوط بالسريانية، وموجود في كنيسة بطريركية السريانية في بيروت[٢].

وقد بذل المنصرون جهودًا جبارة للتشكيك في أصالة القرآن من خلال الأدلة العقلية والنقلية، لتحويل الناس عن دينهم الإسلامي من خلال المنظمات والجمعيات التنصيرية.

يقول وزير بريطانيا الأول وأحد موطدي أركان الامبراطورية في الشرق المستشرق وليم غلادستون (١٨٠٩ ــ ١٨٩٨ م):«مادام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٣].

والقرآن كشف التحريف والتبديل في الكتب السابقة. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾الأنعام: ٩١ .

ومن هذا المنطلق حاول المنصرون في جدل مع المسلمين إبطال المعجزة القرآنية باعتبارأن القرآن السلاح القوي الذي كشف زيغهم، وأنكر عليهم دعواهم صلب المسيح. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل

(١) س.د. جويتين، من آثاره: الصلاة في القرآن، واليمننيات والاسرائيليات واليهود والعرب، ومن دراساته في الإسلام: شهر رمضان، والحضارة الإسلامية،..(العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣ / ٨٠١ ــ ٨٠٢).

(٢) انظر: البنداق: محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، (عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية)،(ص ٩٧)، ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

(٣) أسد: محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (ص:٤١).

رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨ .

ومحور الجدل يتركز في بشرية القرآن لنفي أن القرآن رباني المصدر، ومن ثم الانتقام من المسلمين بعد فشل الحروب الصليبية في تدمير الإسلام،وذلك عن طريق الغزو الفكري، وتزييف العقائد الإسلامية بواسطة الرهبان الجدليين.

ومن أوائل الرهبان الجدليين الراهب الدومنيكاتي(ريكولدودي مونت كروس ١٢٤٣ــ١٣٢٠م) واشتهر بمؤلفه (الجدل ضد المسلمين والقرآن)(١) والمبشر الإنجليزي(وليم موير١٨١٩ــ١٩٠٥م)(٢) ألف (الجدل مع الإسلام)(٣).

والإسلام لم يفر من الجدل والنقاش ــ كما يعتقد هؤلاء المستشرقون ــ فقد أمر الله ــ تعالى ــ الرسول ﷺ بمجادلة الكافرين، كما أمر بدعوتهم إلى الإيمان، وجاء الأمر بهما في آية واحدة، حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ النحل: ١٢٥ .

المطلب الخامس: القصص القرآني:

القصة هي: الخبر، والأمر، والحديث(٤)، وقصص القرآن: «إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة»(٥).

(١) انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٣٠٦).

(٢) وليام موير (١٨١٩ - ١٩٠٥ م) مستشرق إنجليزي ولد في جلاسجو١٨١٩م وتوفي في أدنبرة ١٩٠٥م عين السكرتير الخارجي لحكومة الهند عام ١٨٦٥م وأثناء وجوده في الهند تعلم اللغة العربية وعني بالتاريخ الإسلامي وكان متعصب للمسيحية وقد شارك في أعمال التنصير في الهند وخاض معركة التنصير بكتاب اسمه (شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية) وألف كتاب: القرآن: تأليفه وتعاليمه، وكتاب: الجدل مع الإسلام.(انظر:بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(٥٧٨ ــ ٥٧٩) .

(٣) انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٥٧٨ ــ ٥٧٩).

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، الجزء ٤٦،(ص: ٣٦٥١)(مادة قصص).

(٥) القطان: مناع، مباحث في علوم القرآن،(٣٠٦)

والقصة من أفضل السبل لجذب انتباه المستمعين، ولتأثير القصة، ومكانتها في القرآن الكريم يعرض لنا القرآن كثيرًا من القضايا بأسلوب قصصي مميز.

وللقصص القرآني أهداف يدركها المتأمل للآيات القرآنية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٦ .

ومن هذه الأهداف: العظة والاعتبار، والحجة والإقناع، وتثبيت المؤمنين، وغير ذلك.

وقد حاول بعض المستشرقين أن يثبتوا جاهدين أن محمدًا ﷺ استقى القصص القرآني من الأحبار، والرهبان الذين كان يلقاهم ويتصل بهم، مدعين أن ذلك ثابت بالوقائع التاريخية. ولكن آثار القصص القرآني ثابت من خلال ماكتشفه علماء الآثار من خلال النقوش في المدن التاريخية، مثل: مدائن صالح في السعودية، وفي اليمن سد مأرب، وغيرذلك من الشواهد التاريخية.

يقول المستشرق مونتجومري وات: «ربما وصلت القصص إلى علمه[1] بواسطة التلباثي..ثم علق قائلاً:لقد اهتم محمد والمسلمون لقصص الأنبياء الأول؛ لأنهم كانوا يستمدون منها مايشحذ عزيمتهم، ويعزيهم.كما أن هذه القصص، كما أشرنا، كانت بمثابة مفاخر بجدودهم... وكان إخراجها يلائم حالة العصر بواسطة الحدس النبوي»[2].

ومن شبه المستشرقين ما ادّعاه المستشرق الفرنسي أميل در منغم أنه ﷺ التقى في رحلته بالشام مع عمه أبي طالب بالراهب (بحيرى)،في مدينة بصرى بالشام وأن محمد لابد أن يكون عَلِم منه عقيدته[3].

يقول الأستاذ أكرم ضياء العمري: فالقضايا التي تتصل بتوحيد الإله، وبطرح العقيدة «الدينية، يشار فيها إلى أثر بحيرى الراهب، وأثر ورقة بن نوفل، فكُتب الحداد الذي لا

---

(١) يقصد النبي ﷺ.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٢٥٢ ـــ ٢٥٣)، تعريب: شعبان بركات.

(٣) انظر:رضا: محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ص: ١٢٧).

نعرف اسمه ــ لأنه لم يصرح به ــ سواء في كتابه عن (المسيح والقرآن) أو (محمد والقرآن) أو كتبه الأخرى التي ظهرت حديثًا، وهذه الدراسات التي قيل إنها للأستاذ الحداد ركــزت كثيرًا على هذا الجانب، وهو أن محمدًا ﷺ كان على صلة بورقة بن نوفل خلال خمسة عشر عامًا، وكان هذا الوقت منذ زواجه بخديجة الذي يزعم الكاتب [أن] ورقه زوجه بها، وهــو أمر طبعًا منقوض تاريخيًا؛لأنه معروف أن الذي زوجها هو عمها عمرو بن أسد،ولكن المهم إيجاد الصلة بورقة الذي يقول إنه كان نصرانيا، وكان على ثقافة كتابية، وأن محمدًا ﷺ تلقى عنه الوحي الأول، ثم جاء الوحي الثاني في الغار»[1].

ويقول جولد تسيهر عن النبي محمد ﷺ أنه:«أفاد من تاريخ العهد القديم،، وكان ذلــك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء، ليــُذَكِّرعلى سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة، الذين سخروا من رسلهم،ووقفوا في طريقهم»[2].

وقال جولد تسيهر أيضاَ:«كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص التي أجملها محمد ﷺ نفسه، وقدمها بمنتهى الإيجاز، وأحيانا على وجه متداخل»[3].

أما المستشرق اليهودي (جويتين) فيقول «...ولقد أتى محمد ﷺ بقصص تكاد تطابق ما جاء في التوراة، مع بعض التشويه لبعض الحقائق عن الأنبياء، وربما نتج عن شعوره بأنه خير هؤلاء جميعًا وخاتمهم، ولقد شملت قصصه بعض أنبياء بني إســرائيل، كنــوح وســفينته، وإبراهيم وزوجته، وموسى ومعجزاته الحسية، وداود وسليمان، وتوليهما الملك، وتزويد هما بالحكمة، وغيرهم، ولكن أغفل ذكر كثير من الأنبياء والملــوك ذوي الــشأن في الديانــة اليهودية»[4].

---

(١) العمري:الأستاذ الدكتور. أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية،(ص ٦٣)، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة النبوية، العدد الثامن ١٤١٥هــ /١٩٩٤ــ١٩٩٥م ــ جامعة قطر.

(٢) جولد تسيهر: أجنتس، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص ١٥)

(٣) تسيهر: إجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامي،(ص٧٥، ترجمة:عبد الحليم النجار.

(٤)٢٨-٣٠ Goitehn: Jews and Arabes..p p. ــ نقلامن ــ ماضي: د: محمود،الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده،(ص ١٣٥)، ط ١،(دار الدعوة للطبع والنشر،١٤١٦هــ /١٩٩٦،الإسكندرية).

وقال القسيس المبشر في فارس، الذي صنف أعنف جدلية في القرآن، وكتبها بالألمانية، (سنكلير تسدل[١])[٢] بعد أن شكك في معنى (النبي الأمي)

قال: «وإذا فرضنا جدلاً أن محمدًا كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة فهل كان يبعد عليه أن يستفهم من غيره، ويقف على تعاليم اليهود وعقائدهم، وأوهامهم،لاجرم أن ذلك كان متيسرًا له ولاسيما أن بعض الصحابة كعبيد الله[٣] بن سلام، وحبيب بن مالك، وورقة كانوا ذواهم من اليهود، أو أهم يدينون بدين اليهود أولاً، ثم آمنوا بمحمد، ومع أنه لم يكن لهم إلمام تام بحقائق تعاليم العهد القديم الصحيحة، إلا أهم كانوا يعرفون أقل ما يكون بعض الروايات الباطلة والقصص والحكايات التي كانت متداولة في تلك الأيام بين اليهود وبلغت مبلغ التواتر.وإذا قارنا بين القرآن وبين تلك القصص المدونة في التلمود وفي غيره من الكتب المشحونة بالأوهام التي لا تزال متداولة بين اليهود، اتضح لنا أنها كانت مستعارة من كتب اليهود الفارغة»[٤].

فبعض المستشرقين كثيرًا ما يربطون بين تشابه القصص القرآني وما ورد في التوراة والإنجيل على أنها قصص انتفع بها محمد ﷺ في دعوته وهو تشابه مرجعه وحدة المصدر الإلهي، وبالتالي أصبحت هناك شبهات حول اشتقاق بعض ألفاظ القرآن الكريم، وردها إلى أصول يهودية أو نصرانية، بهدف استدراج القارئ إلى أن القرآن من اختراع محمد ﷺ علمًا أن اللغات العربية، والعبرية، والسريانية تنتمي لسلالة واحدة، هي سلالة اللغة السامية بشهادة أحدهم وهو المستشرق (يوهان فوك) الذي قال:

---

(١) تسدل، سنكلير.شارك فاندر في تأليف كتاب ميزان الحق الذي رد عليه العالم رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق، كما ألف مصادر الإسلام.

http://docs.ksu.edu.sa/DOC/Articles٤٢/Article٤٢٠٧٣٩.doc

(٢) أ. ل شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي،(ص ٩٨)، لخصها ونقلها إلى اللغة العربية:محب الدين الخطيب، مساعد اليافي.

(٣) والصحيح عبد الله.

(٤) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص ٣١)، باللغة العربية، مطبوعات نور الحياة، ط بدون. ترجمة لكتاب:(LIGHT OF LIF-VILLACH-AUSTRIA)

«فاللغة العربية بحكم تحدرها من أسرة سامية واحدة، إلى جانب الآرامية والسريانية، والعبرية، استأثرت باهتمام الكنيسة، لشرح ما أبهم من نصوص الكتاب المقدس»[(١)].

وهم في تناقض مع أنفسهم حيث ينكرون أن القرآن من عند الله، ثم يحاولون سرد أوجه التشابه بين القرآن وبين غيره من التوراة والإنجيل التي هم موقنون أنها من عند الله، علمًا أن الصحيح مما ورد في التوراة والإنجيل يصدقه القرآن الكريم؛لأن القرآن وحي من السماء، كما أن التوراة والإنجيل قبل التحريف كانا من عند الله.

وقد روج بعض المستشرقين شبههم حول قصص القرآن في بعض مؤلفاتهم[(٢)]، مدعين أن النبي باعتباره مؤلف القرآن قد اقتبس الكثير من القصص القرآني من الكتب المقدسة. وقد ذكر يوهان فوك أن أبراهام جايجر(١٨١٠ -١٨٧٤) الذي ترعرع في المذهب اليهودي المتطرف، وتلقى ثقافة تلمودية قبل أن يواصل دراسته، أنه في مؤلفه الرئيس (النص الأصلي وترجمات التوراة في ارتباطها بالتطور الداخلي لليهودية، ١٨٥٧، الطبعة الثانية، مع مقدمة كتبها باول كاهلة، فرانكفورت١٩٢٨).....ونشر باللغة الألمانية في سنة ١٨٣٣ تحت عنوان (ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟[(٣)])

علق يوهان فوك على ذلك قائلاً: «وبخبرة واسعة بالمخطوطات اليهودية، وبالتلمذ اللغوي، وبذكاء، وروح ناقدة، ناقش جايجر في النص الرئيس من هذا الكتاب كل ما في القرآن، وما اعتقد أنه مأخوذ من التوراة: ألفاظ، تصورات في العقيدة، تعاليم دينية، ولكن وبشكل خاص القصص التوراتي»[(٤)].

---

(١) فوك:يوهان، تاريخ حركة الاستشراف(الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، (ص: ٩).

(٢) مثاله:ود سيدريكي: (أصول الأساطير الإسلامية في القرآن، باريس ١٩٣٣م)،هاينريخ شبرنجر: (الحكايات التوراتية في القرآن، طبع هيلد سهايم ١٩٦٤م. إسرائيل شا بيرو (العناصر التوراتية في الجزء القصصي من القرآن، برلين، ١٩٠٧م) (انظر: مجلة الفيصل، العدد ٣١٥،(ص ١٠٠)، ضمن مقا ل بعنوان (رحلة في كتاب د.عبد الرحمن بدوي دفاع عن القرآن ضد منتقديه بالفرنسية وترجمه د.كمال جاد الله، القاهرة، دار الجليل للكتب والنشر/١٩٩٧م،مراجعة ثابت عيد، زيورخ ـــ سويسرا).

(٣) فوك:يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ١٧٥).

(٤) فوك:يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ١٧٦).

والصحيح أن قصص القرآن الكريم تختلف عن قصص الكتاب المقدس سواء في المنهج أو الهدف، وأيضًا في تفرده ببعض القصص، لبيان تهافت دعوى تكرار القرآن لقصص التوراة والإنجيل[١]، وقد قامت بعض الدراسات بتفنيد شبه بعض المستشرقين حول القصص القرآني، بعقد مقارنات بين قصص القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل ممالا يتسع المجال لذكره[٢]. ويقطع بإلهية النص القرآني، وتفرد القرآن بقصص لا وجود لها في كتبهم، وما تشابه منه يختلف في تفصيله عن ما ورد في التوراة والإنجيل، مع تصويب ما وقع في كتبهم من أخطاء، وقد ضرب لنا المستشرق الفرنسي موريس بوكاي أمثلة على ذلك مثبتًا اختلاف وتباين القصص القرآني عن القصص التوراتي[٣].

كما أن القرآن يحتوي على قصص قديمة ليست في كتبهم، فكيف عرف محمدﷺ هذه الأخبار التي وقعت في الأزمان السابقة عنهم، والتي هي غير موجودة في كتبهم، ومع ذلك ادَعوا أنه أخذها من المجوسية والوثنية بعد تعديل لها وتهذيب، وقد حاول الدكتور (سنكلير تستدل) إثبات ذلك في مراوغة له بنصوص أرمنية وهندية لقصة خرافية فقال:إن اليهود

(١) انظر: عبد المحسن:عبد الراضي محمد، الغارة على القرآن الكريم،(من ص ٩٣ إلى ص ١٠٣)، فقد ذكر أوجه اختلاف منهج القصص في القرآن عن المنهج القصصي في التوراة والإنجيل، وتباين أهداف القصص في القرآن والتوراة والإنجيل، كما عرض القصص الذي إنفراد به القرآن، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر ــ القاهرة، ٢٠٠١ .

(٢) انظر: المجدوب:د.أحمد علي، أهل الكهف في التوراة والإنجيل، فقد تناولت دراسته الفرق بين ما جاء في القرآن وما تناولته الأسطورة المسيحية، حيث فاتهم إدراك أن معجزة النوم لمدة طويلة تختلف عن معجزة الموت ثم البعث فخلطوا بين الأمرين، بل وخلطوا بين أمور كثيرة لم يفطنوا لها،(ص ١٨)، ط ٢، (الدار المصرية اللبنانية ــالقاهرة).

وانظر:نبي:مالك بن، مشكلات الحضارة (الظاهرة القرآنية)، حيث وضع التفاصيل القرآنية في قصة يوسف من ص ٣٠٢ ــ٣٠٣، مفصلاً الرواية القرآنية والرواية الكتابية ومابينهما من ملاحظات ثم عقب الجدول بنتائج المقارنة من(ص ٣٠٤ ــ٣٠٦) ترجمة:عبد الصبور شاهين، ط ٣، (الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٣هــ ــ١٩٨٣م).

(٣) انظر: بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة من (ص: ٢٤٥ ــ ٢٧٦).

يميلون إلى الخرافات المصنعة والحكايات الملفقة فدونوها في التلمود، والمسلمون لم يعرفوا أنها خرافة باطلة فدونوها في القرآن(١).

والذي لا يعرفه هذا المستشرق أن الكتاب المقدس عند النصارى لم يظهر باللغة العربية إلا بعد البعثة المحمدية بقرون عديدة، وهذا أكده الدكتور جراف GRAF(٢) بأنه لم تكن الحاجة ملحة لإنجيل باللغة العربية إلا في القرن التاسع والعاشر(٣).

ثم علق قائلاً: «فالمدون في الكتب الهندية، وفي الخرافات اليهودية، وفي الأحاديث الإسلامية أصله واحد»(٤).

وللرد عليه نقول: بل على العكس من ذلك، فقد ثبت أن بعض النصوص عند البراهمة والبوذيين قد اقتبسها المسيحيون وذلك واضح من خلال الدراسة التي قام بها الدكتور:محمد ماضي حيث عقد مقارنة بين عقائد المسيحيين حاليًا وعقائد الوثنيين من البراهمة والهنود(٥).

وقال أيضًا:«اشتهر في عصر محمد أن سلمان الفارسي ساعد محمدًا على التأليف...فينتج من ذلك أننا ملزمون أن نسلم أن كتب الزردشتية كانت مصدرًا من المصادر التي اتخذت بعضًا منها الديانة الإسلامية»(٦).

والحق أن نبينا محمدًا ﷺ لم يتعلم شيئًا من أحد في السفر ولا في الحضر بشهادة قومه، ولو أخذ شيئًا من أهل الكتاب مع عداوتهم له لأذاعوه، ولقالوا إن هذا تعلمه منا أو عن نظائرنا، أو قرأه في كتبنا، لاسيما وهو يفعل فيهم ما يفعل؛ لغدرهم،وتآمرهم في الخفاء،

---

(١) انظر: تسدل:د.سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص ٦٢)

(٢) جراف، جورج، الأب (١٨٧٥ – ١٩٥٥ م) دكتور في الفلسفة واللاهوت، وأستاذ شرف في كلية اللاهوت بجامعة ميونخ، وعضو مراسل لجمعية الآثار القبطية في القاهرة، من آثاره: الآداب المسيحية العربية إلى عهد الصليبية، ولغة الآداب المسيحية العربية القديمة، والآداب السريانية والعربية، والأسماء القبطية، والنصرانية في نصوص إسلامية، ووصف بعض المخطوطات المسيحية بالقاهرة، وتاريخ الآداب المسيحية العربية، والمفردات في اللغة العربية المسيحية. (أنظر: العقيقي: نجيب، ٢المستشرقون،(/ ٧٧٦ ـــ ٧٧٧).

(٣) انظر: دراز: محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، هامش رقم (١)، (ص: ١٤١).

(٤) تسدل:د.سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص٧٢)

(٥) انظر: ما ضي: د. محمد، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، (ص: ١٦٤ ـــ ١٦٨) .

(٦) تسدل:د.سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص١٦٠)

ومن أسلم منهم، فإنما كان يقبل على الحرمان والمقاطعة، ولو أنهم قالوا ذلك لنقل إلينا وعرف، لأنه من الحوادث التي تتوافر الهمم والدواعي على نقلها[١].

إضافة إلى ذلك يقول هنري دي كاستري:

«ثبت إذن أن محمد لم يقرأ كتابًا مقدسًا، و لم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه»[٢].

والقرآن الكريم لايمكن أن نسويه بالتوراة والإنجيل، فالقرآن محفوظ في الصدور، وفي السطور، كتبه كتاب الوحي إثر نزوله، بخلاف كتبهم المحرفة، بدليل وصف الإنجيل لقصة صلب المسيح وما أصابه.

يقول ابن القيم: «وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه، وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كلام الحواريين، خلطوه بالإنجيل، وسموا الجميع إنجيلاً»[٣].

وقد كان مشركوا مكة يزعمون أن القصص التي جاء بها القرآن إنما تعلمها من نصراني أعجمي اللسان كان بمكة، وكان رد القرآن على زعمهم، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل: ١٠٣ ، وإذا انتقلنا من القصص القرآني إلى الأمثال في القرآن نجد أن بعض المستشرقين قرروا مقابلة الأمثال في القرآن بأمثال الكتاب المقدس وهذا تابع لإيمانهم وإصرارهم على أن الدين الإسلامي مستمد من الديانات السابقة[٤].

---

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،(٣ / ٢٥)، (أربع أجزاء)، مطابع المجد التجارية.

(٢) كاستري: هنري دي، الإسلام خواطر وسو انح،(ص: ٦)، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، (مطبعة الشعب ــ القاهرة، ١٩١١ م).

(٣) ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،(ص ٤٨)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا،ط ٤، المكتبة القيمة للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: العالم: عمر لطفي، المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، الفصل الرابع،(الأمثال في القرآن)من (ص:١٢١ــ١٤٥)، ط١، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي ــ مالطا ١٩٩١م.

يقول الدكتور مراد هوفمان: «ليس القرآن كالعهد القديم أو الجديد، حيث يقص فيهما شخص ما حديثا غير مباشر عن شخص، أو شيء، أو عن الله... أما القرآن، فإن القاص الذي يقص أحسن القصص هو الله مباشرة سبحانه، يُخبر الله فيه عمَّن يشاء أو عمَّا يشاء، كما يعلمنا أن ننزهه عن الجنس والنظير والشبيه.. فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل واعين بمسألة تَنزهه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص.

قد يشك غير المسلم في موثوقية الوحي، وأصالته، لكنه لا يستطيع الشك في أصالة القرآن، وموثوقيته، وأصالة نصوصه، فلقد تحداهم الله كما تحدى قبلهم المنكرين أن يثبتوا العكس، فعجزوا على ماهو متوافر لديهم من وسائل الدرس والنقد والمقارنة، وبَصَرٍ باللغة وعلومها، وغير ذلك، ولا يزال هذا التحدي قائمًا، ولا زال عجزهم بينًا، ولو وقع الإنجيل فريسة لهم، لمزقوه كل ممزق، ولم يسلموا له بالموثوقية والأصالة»[1].

المطلب السادس: ترجمة القرآن:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ فصلت: ٣ . والرسول ﷺ بعث إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨ .

فالقرآن الكريم يجب تبليغه إلى العرب والعجم. وذلك بترجمة معانيه لتيسير فهمه، فالترجمة تكون بترجمة معاني تفسير القرآن الكريم.

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ: «ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن: لفظه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول، ولا يكون بتبليغ رسالة الله إلا كذلك، وأن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم بحسب الإمكان، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني، فيكون ذلك من تمام الترجمة»[2].

---

(١) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٤١ ـــ ٤٢)

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(٤ / ١١٦ ـــ ١١٧)(مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين) .

والترجمة تعني نقل الكلام من لغة إلى أخرى، قال الزبيدي في معنى ترجمة الكلام: «وقيل نقله من لغة إلى أخرى»[(١)].

وترجمة القرآن الكريم هي شرحه وبيان معناه بلغة أخرى، وليس المقصود بها الترجمة الحرفية للقرآن، لأن هذا مستحيل،فالقرآن توضح معانيه للأجنبي بلغته لكي يتدبر أحكامه ومعانيه.وبما أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، فإن الحاقدين على الإسلام من بعض المستشرقين وغيرهم. قد حاولوا إطفاء هذا النور الرباني بشتى الوسائل، من خلال الترجمات الخاطئة عمدًا أو جهلاً بمعاني القرآن الكريم، ففي الغالب يصدرون الترجمات بمقدمات مملوءة بالطعن في الإسلام وأهله.وقد اهتم بعض المستشرقين بترجمة القرآن الكريم، وكانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي لانشغال الكنيسة بحركة الترجمة.و: «أول محاولات الغزو الثقافي والتشكيك في الدين جاءت مع أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية»[(٢)].

يقول يوهان فوك: «ظهرت أول ترجمة لاتينية للقرآن في سنة ١١٤٣م، وقد نسبت إلى مؤلفها الأب بطرس المبجل، رئيس ديركلاني الذي ولد في سنة ١٠٩٢ أو ١٠٩٤ ومات في سنة ١١٥٧...وقد خرج من ذلك كله بقناعة، بأن لا سبيل إلى مكافحة (هرطقة محمد) بعنف السلاح الأعمى، وإنما بقوة الكلمة، ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبة المسيحية،لكن تحقق هذا المطلب كان يشترط المعرفة المتعمقة برأي الخصم أولاً. وهكذا وضع خطة للعمل على ترجمة القرآن إلى اللاتينية.....وحدث أن تقابل في إحدى ضواحي شبه الجزيرة الإيبرية مع راهبين، أحدهما إنجليزي يدعى (روبرتوس كيتينيسيس) والأخر يدعى(هيرمان الدالماتي)، كانا ملمين باللغة العربية.. وترجمة روبرتوس للقرآن تزخر بأخطاء جسيمة، سواء في المعنى، أو في المبنى»[(٣)].

---

(١) الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس،(٨ / ٢١١)، منشورات مكتبة الحياة ـــ بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٦هـــ.

(٢) مجلة المنهل، العدد (٤٧١) السنة (٥٥) مجلد (٥٠) رمضان وشوال ١٤٠٩هـــ / ابريل ومايو ١٩٨٩م) (ص ٩٢، بعنوان: (دراسات استشراقية) .

(٣) فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ١٧ ـــ ١٩)

وقد ذكر يوهان فوك:أن جرمانوس سيليزيا(١٥٨٨ ــ ١٦٧٠)[١] الذي أقام في الشرق أربع سنوات متصلة، له ترجمة لاتينية للقرآن مزودة بشروح أنجزها بعد عودته من الشرق بعد سنة ١٦٥٠في رحاب مكتبة الإسكوريال. ظل بدون طبع بسبب الرفض التام الذي رافق ترجمة القرآن التي قدمها مستعرب القرن السابع عشر الإيطالي (لودوفيجوماراتشي)، بحيث آل عمل المؤلف السابق إلى النسيان التام[٢].

وقد: «صدرت ترجمة القرآن القديمة للإنجليزي (جورج سيل)[٣] المتوفى في سنة ١٧٣٦)وكان محاميا كرس حياته لدراسة العربية...وجورج سيل نفسه قلما استعمل أي مصدر عربي آخر، باستثناء تفسير البيضاوي»[٤].

أيضا: «كان إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠ ــ ١٨٨٢) ...الذي تتلمذ في العامية على يد (رزق الله حسون) ...قد أعد في المجلدين الخامس والسابع لسلسلة ماكس موللر[٥] (كتب

(١) جرمانوس الذي من سيليزيا هو:جرمانوس، دومينيكوس الأب (١٥٨٨ - ١٦٧٠ م). راهب مبشر ألماني، ولد في روما،ثم سافر إلى فلسطين للتمكن من اللغة العربية،وألف العديد من الكتب في اللغة العربية،ألف كتاب نقائض الإيمان،وعمل في التنصير، ورأس البعثة التنصيرية إلى سمرقند، ثم أرسل إلى الأسكوريال لتعليم العربية للرهبان وتأليف كتب تنصيرية تهاجم الإسلام والمسلمين، ومن آثاره: نصوص عربية سريانية، الدفاع عن الديانة المسيحية، وله أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية. (انظر: بدوي: عبد الرحمن موسوعة المستشرقين،ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) انظر: فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ٨١ ــ ٨٢).

(٣) (جورج سيل ١٦٩٧- ١٧٣٦) George Saleمستشرق انجليزي مولد في لندن، أبوه صمويل سيل تاجر في لندن،التحق في البداية بالتعليم اللاهوتي، تعلّم العربية على يد معلّم من سوريا، وكان يتقن اللغة العبرية أيضًا. من أبرز أعماله ترجمته لمعاني القرآن الكريم،وعده عبد الرحمن من المنصفين للإسلام رغم تدينه المسيحي. (انظر: بدوي:عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٣٥٨ ــ ٣٥٩).

(٤) فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ١٠٥ ــ ١٠٦).

(٥) ماكس موللر ١٨٢٣ ــ ١٩٠٠ م، مستشرق بريطاني وعالم لغوي، ألماني المولد،انتقل إلى المملكة المتحدة في عام ١٨٤٦م،واستقر بها وعمل أستاذا للغات الأوربية في جامعة أكسفورد، أسهم في الدراسات المقارنة في مجالات اللغة والدين وصنف الأساطير وفقا للغرض الذي هدفت إليه، من مؤلفاته: محاضرات في علم اللغة، والمدخل إلى علم الدين.

http://www.moqatel.com/openshare/Mostlhat/Alaam/Mokatel٢٠_-١ ٢٦.htm_cvt.htm

الشرق المقدسة) ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، التزم فيهـا تفـسير البيـضاوي بـشكل جوهري»[١] .

وترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة وغير ممكنة، والغرض من الترجمـة الاستعانة بها لفهم القرآن لغير الناطقين به، من باب التبليغ، ونشر الدين.والقـرآن يتـسم باشتماله على مضامين ودلالات خاصة، يعجز أحيانًا كبار المفسرين العرب عن التعبير عنها، فكيف بكبار المستشرقين في ترجمتهم القرآن الكريم، وهي في الحقيقة محاولة لتفسيره، ونقل معانيه، ولكن بلغة أخرى.

ويمكن القول بأن: ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن كلها «قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا، المعجز للبشر»[٢]. إن الترجمات التي ظهرت للقرآن الكريم أنجزها مستشرقون يحسنون لغتهم أكثر من اللغة العربية، ولهذا لا يـدركون فهم القرآن الكريم ومعانيه، كما أنهم لا يدركون أبعاد السياق القرآني للآيـات، فكانـت ترجماتهم للقرآن الكريم ترجمة عقيمة؛ لأن المترجم يلاقي صعوبة في فهم أونقل معنى كلمات نص ما بدقة مكتفيًا بالرجوع إلى المعاجم، فيكون سببًا في عزل الآيات عن السياق الخـاص أو العام الذي ترد فيه. وقد تناول الأستاذ عبد الجبار توأمي (أستاذ النحو والصرف) نقـد ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الغربية وفق المنهج اللغوي الدلالي لنظرية الـسياق، ناقـدًا أحدث الترجمات وأشهرها دقة وإحاطة بالجوانب المعرفية واللغويـة القرآنيـة، كترجمـة المستعرب الفرنسي الشهير (جاك بيرك[٣])[٤].

---

(١) فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ٢١٦)

(٢) رضا: رشيد، الوحي المحمدي، (ص: ٦٤).

(٣) جاك بيرك J.Berque: نزل بالمغرب لدراسة علم الاجتماع،ثم عين مديرا لقسم البحوث الفنية والتجريبية في مصر، وقدعمل أستاذا في كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، من آثاره:وثائق عن تاريخ المغرب الاجتماعي،وتاريخ مدينة فاس،والقداسة في المغرب (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، ١ / ٣١٥ ـــ ٣١٦).

(٤) انظر: توأمي: عبد الجبار (أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية اللغة العربية ـــ الرياض)، مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مقال بعنوان: نقد ترجمة القرآن إلى =

وفي المقابل نجد من يدافع عنه بحماس و: «يعتبر محاكمة جاك بيرك هي محاكمة باطلة لأنها تستند إلى قرائن وأدلة غير صحيحة»(١).

ومهما يكن فلا بد أن تكون ترجمته خدمة للأهداف التنصيرية المدروسة، فالترجمات الحديثة والقديمة تفوح منها رائحة الحقد والعداوة للإسلام، خاصة وأن الترجمات كانت غالبها بتوجيه من الكنيسة لمحاربة الدين بالدين.

يقول يوهان فوك: «ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية»(٢).

وللأسف فإن الترجمات الحديثة اعتمدت على ترجمات قديمة، وورثت منها مجمل الأخطاء، وركزت على أهداف محددة.

«سأل أحدهم:مسيو (بيرك) إذا تحب الإسلام إلى هذا الحد! فلماذا لم تعتنقه كدين؟ فأجابه بقول:إن احترامي لديني الكاثوليكي هو ذروة احترامي للإسلام»(٣).

وذكر الدكتور:حسن العزوزي أن المستشرق الفرنسي (جاك بيرك J.Berque) في مقدمة ترجمته للقرآن قام بالتشكيك في نزول وترتيب وجمع القرآن، وأكد على تأثره بالشعر

الفرنسية في ضوء المنهج السياقي ــ ترجمة جاك بيرك ــ نموذجًا،(من ص ٢٥٧ ــ٢٩٧)، المجلد الخامس، العدد الأول، محرم ــ ربع الأول ١٤٢٤ هــ / ابريل ــ يونية / ٢٠٠٣ م .

(١) اللاوندي: د.سعيد، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، (ص: ٥١)، مركز الحضارة العربية، ط ١، القاهرة ــ ٢٠٠١.

(٢) فوك: يوهان ، تاريخ حركة الاستشراق، (ص: ١٦)

(٣) اللاوندي: د.سعيد، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، (ص:٦٠)

(٣) أندريه شوراكي يهودي ولد بالجزائر عام ١٩١٧، ومنها انتقل إلى القدس ليستقر بها عام ١٩٥٨ وقد ترجم الكتاب المقدس والقرآن إلى الفرنسية، ويعد شوراكي مترجما مصدريا بمعنى أنه يتعلق إلى حد كبيربالنص الأصليوقالت الدراسة: "رغم ثناء البعض على ترجمته واعتباره عبقريا فإنه لجأ بالفعل في الترجمتين إلى استخدام تعبيرات لغوية وألفاظ غير مألوفة للتعبير عن كلمات شائعة مثل استخدام كلمة مشتقة من لفظ الرحم لينقل كلمة الرحمن، وقالت كاميليا صبحي لرويترز: إن شوراكي الذي تعلم بالجزائر وكاد يصبح عمدة للقدس كان يجيد العربية إلا أنه كان يميل إلى إعطاء بناء موسيقي للنص المترجم إليه؛ ولهذا قال: إن "رحمن" مشتقة من "رحم" كما أعطى عنوانا إضافيا لترجمته للقرآن وهو "النداء ووصفت ترجمته للكتاب المقدس بأنها "غير دقيقة" مثل ترجمته للقرآن، وقالت: إن طريقته "الخاصة جدا في الترجمة كانت تتخطى حدودا ومعايير كثيرة.

الجاهلي، وبالفكر اليوناني القديم.ثم علق قائلاً: إذا كان هذا حال (أخي العرب) كما يحلو لبرك أن يسمي نفسه، فكيف بغيره ممن هم دونه أمانة ومعرفة وتعاطفًا مع تراث المسلمين؟

وذكر أن من ترجمات القرآن المشهورة ترجمة: (أندريه شورا كي AndreChouraqui) اليهودي الأصل، مترجم الإنجيل والتوراة، وأنه قد أتى في ترجمته القرآنية بأوهى ما يمكن أن يأتي به مستشرق حاقد على الإسلام، مزدر بتعاليمه ومستهزىء بآياته، حتى إنه لا تكاد تخلو آية من الآيات القرآنية من تشويه أو تحريف، وكانت مقدمة ترجمته مصوغة على الوجه الذي يرضي بعض المستشرقين ولها أثر كبير على جعل الغربيين لا يقدمون على قراءة معاني القرآن مترجمة إلا بعد أن تشحن عقولهم بحشد من المقولات الكاذبة، والحقائق المزيفة والتحذيرات المنبهة إلى كون القرآن الكريم ليس كتابًا سماويًا أوأنه عبارة عن اقتباسات متكررة من التوراة والإنجيل، وكانت مقدمته التي وضعها لترجمته (١٧) صفحة.

ومن أبرز محاورها الرئيسية:

*جمع القرآن لم يتم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ (ص٠ ١)

*النقد القرآني الحديث يكشف أن القرآن من إنتاج بشري لنبي مُلهم (ص١١)

* تعدد القراءات القرآنية يفرز اضطرابًا وتناقضًا بالغين، تجعل القارىء الغربي لا يقوى على قراءة القرآن (ص١٢)

*التشكيك في نزول وترتيب وجمع القرآن (صفحات مختلفة).

*الإنجيل والتوراة أبرز مصادر القرآن (ص١٨)

وكتبت ترجمته بلغة فرنسية شاذة، وفجة، وبأسلوب موغل في التضليل والتعمية، خالف فيها كل الترجمات السابقة واللاحقة(١).

---

(١) انظر: العزوزي: د. حسن (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ــ جامعة القيروان ــ فاس) بحث بعنوان " القرآن الكريم وإشكاليات الترجمة، دراسة تقويمية لمحاولة المستشرق الفرنسي أندريه شورا كي) من ص ١٩٠ إلى ١٩٣)، ضمن الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ــ ليبيا، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ ايسسكو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١،(٢١ ــ٢٣)، أي النار ــ يناير ١٣٦٩من وفاة الرسول ﷺ، ٢٠٠١ مسيحي.

وقد أخطأ البعض حينما سمى ترجمة القرآن الكريم هي القرآن؛ لأن المسلمين أجمعوا على أن القرآن كلام الله لفظًا ومعنى ــ كما سبق تعريفه ــ والتحدي وقع باللفظ والمعنى.والترجمة الحرفية المطابقة للأصل متعذرة، لكن ترجمة القرآن بمعنى توضيحه بغير لغته لغير الناطقين باللغة العربية لفهم النصوص القرآنية أمر لابأس به من باب التبليغ. لكن لاتسمى الترجمة قرآنًا، لأنها ليست كلام رب العباد.وقد ذكر لنا الأستاذ:صالح البنداق وجوه تشويه ترجمات القرآن الكريم لتضليل القارئ إمعانًا في التحريف، وعَرْضِ النص القرآني كما يراه المترجم، مع التقديم، والتأخير، والحذف، والإضافة وغير ذلك(١).

ومن مجمل الملاحظات الموضوعية لنقد ترجمات المستشرقين:

١ ــ عدم احترام القرآن الكريم وخاصيته كنص منزل، لدى بعضهم.

٢ ــ غياب الأمانة العلميةلدى بعضهم الآخر، والتي قد تصل إلى تعمد اختيار الألفاظ المهينة..مثلما ورد بترجمة أندريه شوراكي، وترجمته عبارة الرحمن، أو الرحيم انطلاقا من رحم المرأة، وأن الله ﷻ يعطي رحمه لمن يشاء!! ومن المضحك أنه لا يعرف العربية، وترجم القرآن عن ترجمة أخرى.

٣ ــ عدم القدرة لدى بعضهم على إدراك رهافة معاني القرآن وتنوعها.

٤ ــ لجوء أغلبية المترجمين إلى نوع من الشرح، أو الإضافات التي لا علاقة لها أحيانًا بالنص القرآني، ودمجها مع النص على أنها منه.

٥ ــ الفرق الشاسع بين اللغتين، إذ إن مميزات وإمكانيات اللغة العربية تسمح لها بأن تكون أكثر اتساعًا بعشرات المرات من اللغة الفرنسية(٢).

وللأسف فإن معظم التراجم باللغة الإنجليزية من قبل مترجمين مسلمين اعتمدت بقوة على تراجم ناطقين باللغة الإنجليزية من غير المسلمين الذين كانوا أول من ترجم

(١) انظر: البنداق: محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، من: (ص: ١١٦ ــ ١٣٣) .

(٢) انظر: عبد العزيز: زينب، بحث بعنوان (مشروع لترجمة معاني القرآن الكريم)،(ص ١٦٦)، بحث ضمن الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ــ ليبيا، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ــ ايسسكو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢١ ــ٢٣، أي النار ــ يناير ١٣٦٩من وفاة الرسول ﷺ، ٢٠٠١ مسيحي.

معاني القرآن مثل روس، وسال، وردويل، وبالمر(١٨٨٠) الذي كان لتراجمهم تأثير واضح على أولى التراجم التي قام بها أشخاص مسلمون كترجمة:أحمد محمد علي اللاهوري، التي ظهرت للمرة الأولى عام ١٩١٧م،والتي كان لها تأثير كبير على التراجم اللاحقة من قبل المسلمين[١].

ويكفينا في نقد الترجمات باللغة الأوربية بشكل مجمل ما ذكره لنا المستشرق الفرنسي (موريس بوكاي) في المحاضرة التي كتبها وألقاها بالإنجليزية بقاعة المحاضرات بالجامعة المحمدية في مدينة (صولوو) بإندونيسيا في ١٢/٩ /١٩٨٥ بمناسبة المؤتمر الحادي والأربعين للجمعية المحمدية في اندونيسيا. وكان المترجم حاضرا وفدا إلى هذا المؤتمر عن الأزهر.حيث انتقد أشهر الترجمات الفرنسية وهي ترجمة: مس.د.ماسون عن دار النشر(N.R.F.GALLIMARD) في باريس سنة١٩٧٦م.وترجمة (بلاشير) الصادرة في باريس سنة ١٩٦٦م، وقد ضرب لنا بعض الأمثلة للترجمات الخاطئة التي ينشرها بعض المستشرقين خلال ترجمتهم للقرآن الكريم[٢]. لمحاربة الدين الإسلامي.كما صدر مؤلف حديث تناول دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن، وآرائهم فيه، للدكتور:إبراهيم عوض[٣]، ففي الباب الأول: تناول في دراساته ترجمة سافاري، ومونتيه، وبلاشير، وترجمة أبو بكر حمزة، وفي الباب الثاني: بعنوان(المترجمات والتعليقات)حيث تناول تعليقات المترجمين بالنقد فيما كتبوه عن القرآن، ومصادره لبعض المترجمين، وهم:لسان هيلير، ومونتيه، وهوار، بلاشير.والمطالع لهذا الكتاب يجد في تراجم بعض المستشرقين وأيضا في تعليقاتهم من النوادر والنكات الشيء العجيب، مع التهكم والسخرية على ديننا الإسلامي.

---

(١) انظر: بلانكشينشيب: خالد يحيى، بحث بعنوان، (الإحالة مقابل المحاكمة، الاستمرار في تقليد ترجمة القرآن باللغة الإنجليزية من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين)،(ص ٥٧)، بحث ضمن الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، (٢١ ــ٢٣)

(٢) انظر: بوكاي: موريس، محاضرة بعنوان: (الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم)، مجلة الوحدة الإسلامية، (العروة الوثقى) العدد الثامن والعشرون، الرقم المسلسل (٤٦) عدد الشتاء ١٤٠٧هــ، تصدر عن مكتب العروة الوثقى في جنيف ــ سويسرا.

(٣) انظر: عوض:إبراهيم، المستشرقون والقرآن، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه.

الفصل الثاني

موقف المستشرقين من السنة النبوية

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف السنة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:تعريف السنة

١/تعريف السنة.

٢/ السنة عند بعض المستشرقين.

المطلب الثاني:مصدر لفظ السنة عند بعض المستشرقين.

المطلب الثالث:الوضع في الحديث.

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من سند ومتن الحديث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سند الحديث.

المطلب الثاني:إسناد الحديث.

المبحث الثالث:حجية السنة النبوية.

الفصل الثاني

موقف المستشرقين من السنة النبوية

تمهيـــد:

جاءت السنة النبوية مبينة وشارحة للقرآن، لذا عمد بعض من المستشرقين إلى الشك في ثبوت السنة النبوية، واختلاق الروايات التي تُظهر الأحاديث النبوية بمظهر المخالفة للعقل الصريح والواقع المحسوس،والدس والخديعة، والتظاهر بالنوايا الحسنة مع العمل الدؤوب لتلقي الشبهات، وإثارتها، ونفخها، ومن ثمّ تضمينها في كتبهم، لطرحها كقضايا تهم الدين الإسلامي، لزعزعة الإيمان في قلوب ضعاف الناس.

ومن أوائل من كتب عن الحديث للشك فيه المستشرق اليهودي (جولد تسيهر ١٨٥٠ م ـ ١٩٢١م)

قال عنه كاتب مادة حديث في دائرة المعارف الإسلامية:

إن العلم مدين دينا كبيرًا لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وهو مدين كذلك لما كتبه (سنوك هرجرونييه. ١٨٥٧ ـ١٩٣٦م)[١].

أما البروفسور(جوزيف شاخت) صاحب كتاب(المدخل إلى الفقه الإسلامي)،وكتاب (أصول الشريعة المحمدية) فقد أتى بنظرية جديدة بالرغم من أنها خيالية إلا أنها أثرت في جميع المستشرقين تقريبا في مجال دراسات الشريعة الإسلامية،ومنهم: البروفسور (أندرسون)[٢]و(روبنسون[١]) و(فيزجرالد[٢]) و(كولسون)[٣] و(بوزورث) وتركت نظريته

---

(١) انظر:دائرة المعارف الإسلامية،(١٣ / ٣٩١)(طبعة الشعب)، (وانظر:موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١١/ ٣٤٩٩)

(٢) أندرسون، ج. ن. د. (ق ٢٠ م).إنجليزي، يحاضر في الشريعة الإسلامية في جامعة لندن، " كان يصرح علانية بهدفه التنصيري، ولا يكتم كراهيته الشديدة للإسلام "، ومن آثاره: العالم الإسلامي، ضمنه كل اعتراضات القرون الوسطى النصرانية على محمد ﷺ، ويخرج منه بنتيجة أنه " لا يمكن أن يكون هناك شك على أية صورة في أن يكون محمدا قد تمثل أفكارا من التلمود وبعض المصادر التلمودية والأبوكرافيا (أجزاء من الإنجيل مشكوك فيها)، أما بالنسبة للنصرانية فإن هناك احتمالا طاغيا بأن محمدا قد استمد إيحاءه منها. (الطيباوي: عبد اللطيف، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية،(ص ٤٢ و١٠٥.نقلا عن:

=

تأثيرًا على من تثقفوا من المسلمين بالثقافات الغربية أيضًا. وشاخت زعم أنه ليس هناك حديث واحد صحيح، خاصة الأحاديث الفقهية،وإنها في الواقع كلام علماء المسلمين في القرنين الثاني والثالث الهجريين(٤).

وقال شاخت: «إن الأحاديث الفقهية من الصعوبة بمكان اعتبار واحد منها صحيحا. وهي وضعت للتداول بين الناس من النصف الأول من القرن الثاني وما بعده»(٥).

وقال مونتجومري وات: «وتدفعنا استنتاجات ج. شاخت في كتابه (أصول التشريع الإسلامي) حول الأحاديث الإسلامية إلى التمييز بين الأحاديث الرسمية والأحاديث التاريخية. وتطبق أبحاث جولد زيهر في كتابه (دراسات محمدية) على الأحاديث الرسمية،ويمكن ـــ كما يبدو ـــ أن يكون قد حدث في الأحاديث الرسمية اختلاق صرف للأحاديث، ويبدو في النطاق التاريخي، أن ما يقترب من الاختلاق هي تسوية مغرضة للمعطيات، ماعدا بعض الحالات النادرة كما يصرح (فرانزبهل): يجب الحذر دائمًا من الأحاديث حين يمكننا افتراض مصلحة خاصة معينة، لكي لا تضللنا المظاهر البريئة»(٦).

---

http://docs.ksu.edu.sa/DOC/Articles٤٢/Article٤٢٠٧٣٩.doc

(٢) انظر: الأعظمي: محمد مصطفى، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية،(١ / ٦٧ ـــ ٦٨)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية.

(١) جيمس روبسون، المولود عام (١٨٩٠ م) تخرج باللغات الشرقية من جامعة جلاسجو، وعين أستاذ اللغة العبرية فيها،وتنقل بين العراق والهند،وعدن، من آثاره، عيون، والمسيح في الإسلام،والمدخل إلى علم الحديث،، وحكايات المسيح ومريم، وبشائر الخلاص في القرآن..(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٢/ ٥٤٧)

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) انظر:" مدخل إلى الفقه الإسلامي". و" أصول الشريعة المحمدية" لشاخت.

Also Joseph ،Scacht ،An Introduction to Islamic Law Oxford ،p.٣٤ ،١٩٦٤

نقلاً: من بهاء الدين: محمد، المستشرقون والحديث النبوي،(ص ٢٢)، ط ١، دار الفجر،ودار النفائس للنشر والتوزيع ـــ الأردن،عمان ١٤٢٠هـــ / ١٩٩٩م.

(٥) شاخت، المدخل إلى الفقه الإسلامي،(ص:٣٤)، نقلا من:الأعظمي: محمد مصطفى، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية،(١ / ٦٩)، مكتب التربية العربي لدول الخليج.، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٦) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ١٠)، تعريب: شعبان بركات.

وتقسيم الأحاديث إلى صحيح، وضعيف، وآحاد، ومتواتر، وقدسي، وخلافه. لم يرد عن نبينا محمد ﷺ ولا عن الصحابة في الصدر الأول إنما هو اصطلاح وضعه علماء الحديث، وتلقته الأمة بالقبول.فهو يمثل وجهة نظر استشراقية، لمحاولة فرضها على المسلمين عمدا مما يبين الخطأ المنهجي في الدراسات الاستشراقية للطعن في سنة المصطفى محمد ﷺ.

كما شك بعض المستشرقين في صحة الأحاديث، وسعوا للكشف عما أسموه (المادة الأصلية للحديث) [(١)]، نحو ماذكره فنسك من نهر الكوثر في الجنة[(٢)].

كذلك شكك موريس بوكاي ببعض الأحاديث في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، وكتاب الطب؛ لأنها لا توافق العلم الحديث.

يقول طاعنا في أحاديث الطب في صحيح البخاري: «وليس هناك أدنى شك في أن هذه الصفحات تحتوي على الكثير من الأحاديث الظنية، فضلا عن أنها كلها تتعلق بأمور دنيوية غير دينية»[(٣)].

وقال في معرض رده لحديث صحيح البخاري: ((فإن هذا الحديث في ظاهر معناه هو أكثر من ظني، وهو من أخبار الآحاد، كما هو معروف في علم الحديث. وما كان كذلك فهو لا يفيد العلم القطعي))[(٤)].

أما هاملتون جب فاعتبر الحديث مستمد من المسيحية والبوذية فقال:«إن تضخم كتلة الحديث كان نتيجة لقوة التيار الديني في القرون الأولى..حيث استمد محمد أكثر عناصر حديثه من التراث الديني المسيحي والبوذي»[(٥)].

---

(١) انظر:العمري: أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، (ص: ٣٥).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٨ / ١٥٠) (الدائرة الأولى) .

(٣) بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص: ٢٨٣)

(٤) بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (ص: ٢٨٥).

(٥)جمال: أحمد محمد (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز)، مفتريات على الإسلام،(ص:٣٧)، ط١، دار الفكر ـــ بيروت ١٣٩٢هـــ ـــ ١٩٧٢م.

وقد استخدام المستشرق(فيليب حتي)(١) الأحاديث الموضوعة في بعض دراساته عن الإسلام(٢) ، واعتبر غيوم وصاحبه ماكدونالد أن نهي النبي ﷺ عن كتابة السنة قد تسبب في ضياع السنة متمسكين بحرفية حديث رسول الله ﷺ ((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه..))(٣) وقد تجاهلا الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو وفيه: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق))(٤) ، والحديث الآخر الصحيح الذي خرجه البخاري ومسلم، وفيه قول النبي ﷺ:((اكتبوا لأبي شاة))(٥) ؛ مما يدل دلالة واضحة على أن هذين المستشرقين لا يعتمدان إلا الأحاديث التي توافق هواهما وميولهما الشخصية المعادية للإسلام، ولسنة رسول الله ﷺ)(٦).

---

(١) د.فيليب حتيP. Hitti : المولود عام ١٨٨٦م، لبناني الاصل، امريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت (١٩٠٨م، ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥م)، وعين معيدًا في قسمها الشرقي.(١٩١٥ - ١٩) واستاذًا لتاريخ العرب في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩١٩ – ١٩٢٥)، واستاذًا مساعدًا للاداب السامية في جامعة برنستون (١٩٢٦ – ١٩٢٩م)، واستاذًا ثم استاذ كرسي ثم رئيسًا لقسم اللغات والاداب الشرقية (١٩٢٩ – ١٩٥٤م)، حين احيل على التقاعد، انتخب عضوًا في جمعيات ومجامع عديدة.من آثاره: (اصول الدولة الاسلامية)(١٩١٦م) (تاريخ العرب)(١٩٢٧م وقد نقل إلى العربية والأسبانية والبرتغالية والهولندية)، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين)(١٩٥١م)، (لبنان في التاريخ)(١٩٦١م)..(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣ / ١٠١٠ ــ ١٠١١).

(٢) انظر: الكبيسي: فاضل محمد عواد، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة، دراسة نقدية،(ص: ٨٧)، ط١، دار الفرقان ــ الأردن ــ عمان ١٤٢٥هــ / ٢٠٠٥م.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث،(٤/ ٢٢٩٨ ــ ٢٢٩٩،ح (٣٠٠٤).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب في كتاب العلم ج٣/٤١ح(٣٦٤٦)، والإمام أحمد ج١١/٥٧ح(٦٥١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٥٣٢).

(٥) أخرجه البخاري –مع الفتح – كتاب اللقطة، باب كيف تعرف لقطة الحرم،(ج٥/٨٧،ح(٢٤٣٤)، مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها،(ج٢/٩٨٨،ح(١٣٥٥).

(٦)انظر:طه:د.عزية علي، من افتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين، مقال ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١)، ص ٣٣٧، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

وللأسف فإن هذين المستشرقين ألفريد غيوم، وصاحبه ماكدونالد، قد كتبا اثنتين وعشرين مادة من خمس وخمسين مادة هي مجموع المواد التي تمت دراستها في دائرة المعارف الإسلامية(١).

و لم يدركا أن تدوين الحديث بصفة خاصة وغير رسمية وجد في حياة النبي محمد ﷺ وحصل التدوين العام الرسمي كما جاء عن الإمام مالك على يد ابن شهاب الزهري(٢).

وتتركز شبهات بعض المستشرقين في السنة حول تأخر تدوين الحديث، فهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين أن يزيدوا وينقصوا في الحديث، ومن ثم وضعوا أحاديث تخدم أغراضهم.

فادعى بعض منهم أن الحديث أهمل بعد الرسول أكثر من قرنين إلى أن تم جمعه في كتب السنن في القرن الثالث الهجري، فلم يحفظ كالقرآن منذ ظهور الإسلام. حيث عدّ بعض المستشرقين: «الزهري أول من جمع الحديث، مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث وتدوينها، مما يشكك في إمكانية الثقة بها»(٣).

قال المستشرق برنارلد لويس أن: «جمع الحديث وتدوينه لم يحدث إلا بعد عدة أجيال من وفاة الرسول ﷺ وخلال هذه المدة فإن الغرض والدوافع لتزوير الحديث كانت غير محدودة. فأولا لا يكفي مجرد مرور الزمن، وعجز الذاكرة البشرية وحدهما لأن يلقيا ظلالا من الشك على بينة تنقل مشافهة مدة تزيد على مئة عام»(٤).

---

(١) انظر: الحميد: حميد بن ناصر خالد الحميد، الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)،(ص: ٤٧٥، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة ــ المدينة المنورة (قسم الاستشراق) ١٤١٥هــ.

(٢)انظر: الضاري: د: حارث سليمان، الإمام الزهر ي وأثره في السنة، رسالة دكتوراه مطبوعة، بإشراف فضيلة الدكتور: محمد سيد ندا، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، شعبة الحديث،(ص: ٢٩٥)، منشورات مكتبة بسام، الموصل ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥م.

(٣) العمري: أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية،(ص: ٣٥).

(٤) Lewis. The Arabs ،Op.Cit،P٣٩.

نقلا من رسالة الدكتوراه: مطبقاني: مازن بن صلاح، منهج المستشرق برنالد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي،(ص: ١٣٤).

ويرى جولد تسيهر أن وضع الأحاديث له أسباب منها:

أولا: لأجل إسناد أصحاب المذاهب لأرائهم، فكانوا يضعون الأحاديث لتسند رأيهم، ثم يرفعوها إلى النبي ﷺ فقال: «يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة في ظاهرها، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه. فالحق أن كل فكرة، وكل حزب، وكل صاحب مذهب، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل»(١).

وعلق الدكتور ساسي سالم الحاج على ما كتبه جولد تسيهر قائلاً:

«قدم (جولد زيهر) العديد من الأحاديث التي رآها قد وضعت لخدمة أهداف سياسية صرفة. منها ما يحث على وجوب الطاعة لأولياء الأمر، وعدم الخروج عليهم مهما كانت تصرفاتهم المنافية للدين باعتبار طاعة الخلفاء هي طاعة الله»(٢).

ثانيا: لمساهمة القصاص في وضع الحديث النبوي، وكانوا من المبالغين في اختراع الحوادث الغريبة، وإسنادها بأحاديث موضوعة لتشويق السامعين، خاصة بين العوام من الناس.

حيث كان القصاص يبالغون في الوصف من باب حث الناس على الخير، قال الدكتور ساسي سالم الحاج: «تحدث جولد زيهر عن دور القاصين في وضع الأحاديث، في إطار حديثه عن جهود علماء الإسلام في تنقية الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة. وأشار إلى أن جهود هؤلاء العلماء قد انصبت على تنقية جميع الأحاديث، إلا أنهم قد اهتموا بصورة خاصة بالأحاديث المنظمة للأمور الفقهية أي تلك التي تحل الحلال، وتحرم الحرام. ويرى أن القاصين قد تباروا في وضع أحاديث تندد بالقاصين، وتصور الويل والثبور الذي سيؤولون إليه بسبب اختراعهم للقصص لتسلية الناس. ويروي لنا جولدزيهر قصة (محمد بن جعفر) الآدمي (ت ٣٤٩هـ) عندما كان في طريقه إلى الحج، رفقة محمد الأسدي، والعالم اللغوي أبي القاسم، فعندما وصلوا إلى المدينة رأوا أعمى واقفًا والناس من حوله متحلقون عليه، وهو يروي لهم الأحاديث الموضوعة على الرسول، وأراد أبو القاسم وضع حدّ لهذه

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤١).

(٢) الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية) (١/ ٤٩١).

الفضيحة، إلا أن المقرئ جعفر الآدمي منعه من ذلك خوفًا من أن تناصر الناس هذا القاص المدلس، فاخترع طريقة لطيفة حتى يصرف الناس عنه، فبدأ في قراءة القرآن، وتجويده بصوت رخيم، وما أن سمع الناس هذه التلاوة حتى انفضوا عن الأعمى، وتركوه واقفا، وتحلقوا حوله»(١).

ثالثا: من باب الترغيب والترهيب من قبل بعض الرجال الصالحين، ، قال جولد تسيهر:«وقد سميت أسماء بعض هؤلاء الرجال الذين كانت لهم نية صالحة في وضع هذه الأحاديث النافعة ونشرها بين الناس. كما اعترف كثير من الأتقياء، عند وفاتهم بلا تردد، عمّا لهم من فضل في وضع أحاديث كثيرة، وربما كانوا لا يرون في هذا أمرًا لا يتفق والاستقامة، متى كان الواضع يقصد إلى غايات طيبة»(٢).

وهذه الأسباب التي ذكرها جولد تسيهر ليست بالجديدة، فقد تعرض لها علماء المسلمين بالنقد والتمحيص، فألفوا الكتب، ودرسوا أسباب الوضع والوضاعين منذ عهد مبكر.

وعموما فإن كتابة الحديث النبوي بدأت في عصر النبي محمد ﷺ ولكن بطريقة فردية،بدليل وجود الوثائق والصحف والرسائل في ذلك العصر، مما لا يدع مجالاً للشك في كتابة الحديث(٣)

قال الخطيب البغدادي:«فقد ثبت أن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول إنما هو لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه»(٤).

(١) Goldziher،op.cit ،p.١٩٦.Ibid،p.١٩٧
نقلا من: الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(١/ ٥٠٢).

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤٦).

(٣) ومن أمثلة ذلك: دستور النبي في المدينة، كتاب النبي في الصدقات، كتاب سعد بن عبادة، كتاب النبي لأهل حضرموت، كتاب النبي لأهل اليمن، الصحيفة الصادقة، صحيفة جابر بن عبد الله، الصحيفة الصحيحة،) انظر:البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها، (من ص: ٥٧ ـــ ٦١)، كتابة السنة في العصر النبوي).

(٤) الخطيب البغدادي:الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٩٢ ـــ ٤٦٣هـــ،تقييد العلم،(ص: ٥٧)، تصدير وتحقيق:يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية،١٣٩٤هـــ ـــ ١٩٧٥م.

ومن احتج بالأحاديث المرفوعة إلى النبي التي تفيد النهي عن كتابة الحديث الرواية الواردة عن طريق همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:«لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولاحرج، ومن كذب علي ــ قال همام أحسبه قال ــ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[١].

فقد ذهب العلماء في تأويل هذه الرواية مذهبين:

أولاً:أن أحاديث النهي منسوخة بالأحاديث الأخرى التي تبيح كتابة الحديث النبوي[٢].

وهذا لا يتعارض مع تخصيص بعض الصحابة بالإذن في وقت النهي العام كما حدث مع عبد الله بن عمرو لأن إبطال المنسوخ بالناسخ ليس له تأثير في تخصيص بعض أفراد العام قبل نسخه[٣].

ثانيًا: أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن على ورق واحد مخافة الالتباس بينهما،بدليل إباحة النبي ﷺ كتابة الأحاديث النبوية، حيث وردت أحاديث صحيحة فيها تصريح من النبي بالكتابة[٤].

لذا حافظ الصحابة على الحديث بكتابته، عند زوال أسباب كراهة الكتابة، فقد ثبت عن كثير من الصحابة الحث على كتابته وإجازة تدوينه، فقد أجاز بعضهم الكتابة، وكتب بعضهم بيده، وتغير رأي من عرف منهم النهي عن كتابته حينما زالت أسباب المنع، وخاصة بعد أن جمع القرآن في المصاحف، وأرسل إلى الآفاق[٥].

قال الرامهرمزي:«إنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول، لقرب العهد، وتقارب الإسناد، ولئلا يعتَمدهُ الكاتب فيهمله، أويرغب عن تحفظه والعمل به، فأما والوقت متباعد،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر:ابن قتيبة: أبو محمد ت ٢٢٧هـ، تأويل مختلف الحديث،(ص: ٣٦٧)، راجع أحاديثه وعلق عليها: أبو المظفر سعيد بن محمد السناري، ط(بدون)، دار الحديث ــ القاهرة ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

(٣) انظر: الصالح: صبحي، علوم الحديث ومصطلحه،(٢٢ ــ ٢٣)

(٤) انظر:الأعظمي: محمد مصطفى ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ،(١ /٧٩).

(٥) انظر: الخطيب: محمد عجاج، السنة قبل التدوين،(ص ٣١٦)، ط ٢، الناشر: مكتبة وهبة ــ عابدين ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة،والوهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى»[1].

(١) الرامهرمزي: القاضي الحسن بن عبد الرحمن ٢٦٠ ــ ٣٦٠هـ، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي،(ص ٣٨٦، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط ١، دار الفكر ــ بيروت، ١٣٩١ هـ / ١٧٧١م.

المبحـث الأول

تعريف السـنة

المطلب الأول :معنى السنة

١- السنة لغة:

السيرة: حسنة كانت أو قبيحة[1]..ومنه قوله تعالى:﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الفتح: ٢٣ .

قال ابن كثير: «وقوله تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ النور: ٦٣ ، أي:عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله، ومنهاجه، وطريقته، وسنته،وشريعته»[2].

٢- السنة كما عرفها بعض المستشرقين:

نجد بعض المستشرقين عرف السنة بأنها:

أ- مجرد عادات موروثة عن المسلمين في الصدر الأول من الإسلام.

وقد عبر عن ذلك جولد تسيهر بقوله: «والسنة هي جوهر العادات، وتفكير الأمة الإسلامية قديما، وتعتبر شرحا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرًا عمليًا حيا»[3].

وقال جولد تسيهر في موضع آخر: «ففكرة السنة يمكن أن ندرجها بين الظواهر التي سماها سبنسر: (بالعواطف القائمة مقام غيرها)..وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات البشرية خلال الأجيال والأحقاب،والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة أو الصفات التي يتوارثها أفراد هذه البيئة.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة سنن، المجلد الثالث، الجزء ٢٤،(ص: ٢١٢٤)

(٢) ابن كثير القرشي الدمشقي: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر (٧٠٠ ــ ٧٧٤هــ)، تفسير القرآن العظيم،(٦ / ٨٩ ــ ٩٠)،محقق عن نسخة خطية كاملة، وعن مطبوعة الشعب وأكثر من عشر نسخ خطية أخرى يستوعب مجموعها التفسير كله) تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الجزء السادس (سورة النور ــ يس)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، السعودية ــ الرياض ١٤٢٠هــ ــ ١٩٩٩م.

(٣) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ٤١).

وقد نقل العرب فيما بعد فكرة السنة إلى الإسلام الذي أمرهم بمخالفة سنتهم القديمة،وأصبحت السنة الإسلامية دعامة من دعامات الفقه والتفكير في الإسلام. ولاشك أن نظرية السنة في الجاهلية قد أصابها تعديل جوهري عند انتقالها إلى الإسلام.ففي الإسلام أصبح المسلمون لا يطالبون بإحياء السنن الوثنية التي نسخت معالمها، بل بدؤوا بالمأثور من المذاهب والأقوال والأفعال التي كانت لأقدم جيل من أجيال المسلمين، وأصبح أفراد هذا الجيل هم المؤسسين لسنة جديدة تغاير السنة العربية القديمة، وأخذ المسلمون منذ ذلك الوقت ينهجون في حياتهم نهج الأساليب والآراء التي صح عندهم أنها من أقوال النبي وأفعاله، ويضعونها في المحل الأول، أو تلك التي صحت عن الصحابة، ويضعونها في المحل الثاني، ولم يُعنوا بالنظر في الأعمال إذا كانت في ذاتها صالحة قويمة لا غبار عليها، عنايتهم بالبحث والتنقيب عما قاله النبي والصحابة، أو فعلوه في ظروف تماثلها.وهم لذلك يتوارثون سنة النبي والصحابة، ويدأبون على الاقتداء بهم فيها، على اعتبار أن هذه السنة هي الطريقة المثلى للتفكير الصحيح والعمل الصالح.

لهذا جعل الخلف من الحديث موضع ثقته الكبرى، لاشتماله على ما أثر من أقوال وأفعال السلف الذين يعدهم أئمة الهدى، ومنار النهج القويم»[1].

وقد فصل بعض المستشرقين بين السنة والحديث، حيث يرى البعض منهم أن الأحاديث ليست هي السنة.

ولم يدرك هؤلاء أن السنة والحديث قد يترادفان، خاصة أن كلا منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة للرسول ﷺ فهما يدوران حول محور واحد، وهو الاقتداء بسنة نبينا محمد ﷺ وجولد تسيهر فصل بين مفهوم السنة والحديث في بعض عباراته حينما قال:

«وبهذه الأحاديث صارت التقاليد سواء في العبادة أو القانون محلاً للتقديس، بعد أن بحثت قيمتها، كأنها قد استعملت تحت عين الرسول، ووافق عليها، بما له من الحق في ذلك، هو والمؤمنون الأولون.

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص:٢٢٤).

هذه هي السنة العادة المقدسة والأمر الأول، والشكل الذي وصلت به إلينا هو(الحديث) فهما ليسا بمعنى واحد، وإنما السنة دليل الحديث، فهو عبارة عن سلسلة من المحدثين الـــذين يوصلون إلينا هذه الأخبار والأعمال المشار إليها طبقة بعد طبقة، مما ثبت عند الصحابة على أنه قد حاز موافقة الرسول في أمور الدين أو الدنيا، وما ثبت أيضًا حسب هذا المعنى من المثل التي تحتذى كل يوم، وهنا يرى أنه حق في الإسلام أخذت هذه الفكرة مكانًا أيضا، أعـــني اتخاذ قانون مقدس وراء القرآن مكتوبا أو مسموعا كما هو الحال عند اليهود»[(١)].

هذا الخلط بين مفهوم السنة والحديث بنى عليه بعض المستشرقين بعـــض الاســـتنتاجات الخاطئة وبذلك جانب بعض المستشرقين الحق في فهمهم للسنة النبوية الشريفة.

وقد تبع جولد تسيهر المستشرق شاخت حيث يقول:

«أن الأحاديث ليست هي السنة، بل هي تدوين السنة بالوثائق»[(٢)].

وهذا الخلط في مفهوم السنة ليس صحيحا على الإطلاق، و لم يقله أحـــد مـــن علمـــاء المسلمين وهو زعم باطل من قبل بعض المستشرقين لا يقوم على أساس علمي صحيح.

ب- السلوكيات الصادرة عن النبي محمد ﷺ .

وممن حصرها ببعض سلوكيات النبي محمد ﷺ المستشرق الفرنسي (دومينيك ســـورديل) فقد عرف السنة بأنها: «هي التعبير الذي يعني سلوك النبي، وأسلوب تصرفه. وذلك من أجل تفسير المشكلات المستجدة التي طرحها مجتمع صدر الإسلام. وقد أثارت العادات التي كانت تمارس أيام الرسول قلقًا جعل صحابته يسألون عن أعماله وسلوكه. وهو ماتم جمعه من السنة (الحديث) الذي لعب الدور الحاسم لعلم التشريع. كما نظم شريعة من المأثور الشفهي الذي يكمل التشريع المكتوب (هـــ. ما سينيه)، وهو ما سبق أن حدث لدى اليهود. قد عدّ أولئك الذين يبتعدون عن هذه المبادئ مذنبين مبتدعين»[(٣)].

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص:٤٠ ـــ ٤١).

(٢)The Origins.P.٣ نقلاً من: النشمي: د. عجيل جاسم، المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي،(ص: ٨٤)، ط١، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ـــ الكويت ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤م.

(٣) سورديل: دومنينيك،، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٩٤)، ترجمة: سليم قندلفت.

ثم علق المستشرق الفرنسي (دومينيك سورديل) قائلاً: «وتطلق كلمة السنة على أفعال النبي وأقواله بالنسبة لأهل السنة. (الرأي المستقيم الإسلامي) (هـ. ما سينيه). والسنيون هم حملة المذهب الرسمي، والمدافعون عنه»[(١)].

هذه هي السنة عند بعض المستشرقين، والتي تخالف المعنى الصحيح المتكامل لتعريف السنة النبوية عند المسلمين.

المطلب الثاني: مصدر لفظ السنة عند بعض المستشرقين:

اعتبر بعض المستشرقين أن مسمى السنة مستمد من مصدر أجنبي،يقول الأستاذ أحمد عمر هاشم في كتابه (السنة النبوية وعلومها):

«زعم بعض الباحثين أن المسلمين أخذوا كلمة (سنة)من كلمة (مشناه) العبرية التي أطلقها اليهود على مجموعة الروايات الإسرائيلية، واعتبروها شرحًا للتوراة ومرجعا لهم في تعريف أحكامها، وأن المسلمين عربوها بكلمة سنة، وأطلقوها على مجموعة الروايات المحمدية، واعتمدوها لأحكام دينهم كما فعل اليهود.

والرد على ذلك..

١ـ أن علماء الإسلام الأوائل إنما استعملوا هذه الكلمة في الصدر الأول، فيما استعملها القرآن الكريم، والرسول ﷺ وهي الطريقة العملية المتبعة في الدين، وهي تشمل الأقوال والأفعال التي يطبقها الرسول ﷺ وأصحابه على ضوء فهمهم القرآن الكريم، وما أوحاه الله تعالى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام.

٢ـ أن كلمة السنة عند المسلمين إذا أطلقت على ما أضيف إلى الرسول ﷺ فإنما تعني ماروي عن الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه، وليس ماأثرعن العلماء الذين فسروا القرآن على نحو ما حصل في كلمة (مشناة) ومعلوم أن الرسول ﷺ لا يروى عنه إلا وحي، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم: ٣ – ٤ .

٣ـ كانت الروايات الإسرائيلية عند اليهود تحل محل التوراة، وتعتبر المرجع في أحكامهم بخلاف كلمة سنة، فإنها عند المسلمين في المرتبة الثانية بعد القرآن، فهم لا يتجهون

---

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٩٤)

إليها إلا إذا لم يجدوا في القرآن نصا واضحًا،فهم يتجهون حينئذٍ إلى السنة لمعرفة دلالة القرآن، أو لمعرفة الحكم.

٤ ــ إن كلمة السنة موجودة في اللغة العربية، ومعروفة عند العرب من قديم واستعملوها في لغتهم، ونطق بها كتابهم الكريم»[١].

إذا لفظ السنة معروفة منذ القدم، بدليل أن القرآن أستخدم السنة مضافة لله ورسـوله، وقد استخدمها الصحابة بعد ذلك.

ونجد كذلك بعض المستشرقين يزعم أن السنة النبوية منقولة عن الأمم الأخـرى. قـال جولد تسيهر:«فهناك جمل أخذت من العهد القديم، والعهد الجديد، وأقـوال للربـانيين أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة، وتعاليم من الفلسفة اليونانية، وأقوال من حكـم الفـرس والهنود ــ كل ذلك أخذ مكانه في الإسلام عن طريق الحديث»[٢].

أما المستشرق هربلو (DeHerbe ١٦٢٥ – ١٦٩٥)[٣] فقداعتبرالسنة مستمدة مـن التلمود، قـال الـدكتور أكـرم ضـياء العمـري: «في نهايـة القـرن الـسابع عـشر كتب(هربلوDeHerbe)وهو فرنسي(١٦٢٥ــ١٦٩٥م)صاحب المكتبة الشرقية، وهـي دائرة معارف عن الشرق نشرت ١٧٣٨م بحثا في (حديث، قصة، خبر مـسموع مقـول، أحاديث الرسول، حديث عن أشياء قاله الرسول الزائف، وقد نقل من فم إلى فم من شخص

(١) هاشم: أحمد عمر،السنة النبوية وعلومها ــ دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها في أعظم عصور التدوين ودفاع عن السنة ورد لشبهات المستشرقين وأعداء الإسلام،(١٨ــ ١٩)، ط (بدون) الناشر مكتبة غريب ــ الفجالة / القاهرة ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩م.

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص:٤٢).

(٣) هربلو DeHerbe: مستشرق فرنسي من الرعيل الأول،ولد في باريس،وتعلم في باريس اليونانية واللاتينية والفلسفة، وكذلك درس العبرية والسريانية والكلدانية والعربية والفارسية والتركيةوقام برحلة إلى إيطاليا للدراسة،وعين أستاذا للغات السريانية في الكوليج دي فرانس،ووضع خطة لتصنيف مكتبة شرقية لكل مايتعلق بالشرق من معارف ومعلومات موجودة في الكتب العربية والفارسية والتركية وأن يرتب موادها بحسب الترتيب الهجائي. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٦٠٣).

إلى آخر) وخلاصة رأيه: أن جملة الأحاديث التي في الكتب الستة، والموطأ، والدارمي، والدارقطني، والبيهقي، السيوطي، مأخوذة إلى حد كبير من التلمود»[١].

أما المستشرق (ألفريد غيوم) في كتابه المسمى (الإسلام) فقد زعم أن الأحاديث النبوية مستمدة من التوراة، حيث أورد المستشرق غيوم مقارنته بين بعض أسفار التوراة وبعض الأحاديث النبوية الشريفة، مدللاً على أن أحاديث التوحيد مأخوذة عن توراة اليهود[٢].

وهذا العلم المتوارث بين بعض المستشرقين في تصوير السنة بأنها مقتبسة من الديانات الأخرى، ترمي إلى فكرة أن الشريعة الإسلامية ليست إلا نتيجة تطور الدين المستمد من الديانات الأخرى.

المطلب الثالث: فكرة تطور الحديث عند بعض المستشرقين

توصل أجناد جولد تسيهر المجري اليهودي (١٨٥٠ ــ ١٩٢١م)، الذي اعتبره بعض المستشرقين ومن تأثر بهم الرائد الأول في دراسة الحديث إلى فكرة تطور الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي[٣].

وتبعه في نظريته التطورية لفيف من المستشرقين منهم:

(برنالد لويس المولود عام ١٩١٦م) فقد اعتبر أن السنة النبوية متطورة عن عادات العرب القديمة حيث: «يذكر لويس أن معنى السنة في بلاد العرب القديمة (طريقة الإسلام) و(عادة القبيلة) ومازالت تعني في العصور الإسلامية المبكرة (التقاليد الحية والنامية للمجتمع) التي تطورت بأعمال وسياسات الرسول ﷺ والخلفاء الأوائل»[٤].

---

(١) العمري:د.أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية،(ص ٣٣ــ٣٤)، ط١، مركز الدراسات والأعلام دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

(٢) انظر: مقال د. عزية طـه، بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (علمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر) السنة السادسة، العدد الثالث عشر،(ص٢٤ ــ ٢٥)، رمضان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٣) انظر: العمري: أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية،(ص: ٣٥ ــ ٣٦).

(٤) Lewis" faith and faithful ،Op.Cit. P.٢٩

نقلا من رسالة الدكتوراه: مطبقاني: مازن بن صلاح، منهج المستشرق برنالد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي،(ص: ١٣١)، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد.

وقد نما الحديث النبوي عند المستشرق برنالد لويس حتى أصبح مصدرًا للتشريع حيث يقول: «نمت مجموعة ضخمة من الحديث خلال أجيال قليلة بعد وفاة الرسول ﷺ تغطي كل جوانب حياته وفكره»(١).

وهذا المستشرق قد تبنى رأي شيخ المستشرقين (جولد تسيهر)، الذي ردد مثل هذه العبارات، كما يقول مصطفى السباعي (٢)، والغرض من ذلك التشكيك في صحة الأحاديث النبوية الصحيحة.

ولم يدرك هؤلاء المستشرقين وأمثالهم أن الدين الإسلامي دين كامل، ولم ينتقل النبي محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أرسى قواعد وأسس الدين الإسلامي كاملة.

فالأحاديث النبوية عند بعض المستشرقين نمت وتطورت مع مرور الزمن، وقدحاول بعض المستشرقين التقليل من السنة، واعتبارها متطورة عما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، نتيجة احتكاكها بالمصادر الأجنبية، وقصورها عن استيعاب الأحداث المعاصرة.

يقول جولد تسيهر:«إنه لم تندمج في الحديث أمور القانون والعادات، والعقائد والأفكار السياسية فحسب، بل قد لف فيه كل ما يملكه الإسلام من محصوله الشخصي، وكذلك الأمور الغريبة عنه، وقد غير هذا الغريب المستعار تغييرًا أبعده عن أصله المأخوذ منه، وضم ذلك كله إلى الإسلام»(٣).

وهذه من الأسباب التي ساهمت في تطور السنة النبوية عند جولد تسيهر وغيره ممن تأثر به.فبعض المستشرقين لم يدركوا الفرق بين السنة، والعرف والتقاليد، وخلطوا بينها وبين السنة، وراحوا يلبسون هذا بذاك، حتى أصبح من الصعب التفرقة بينهما.

---

(١) Lewis. The Arabs ،Op.Cit،P.٣٦.

نقلا من رسالة الدكتوراه: مطبقاني: مازن بن صلاح، منهج المستشرق برنالد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، (ص: ١٣٢ — ١٣٣).

(٢) انظر: السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ٢٢٠)

(٣) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص:٤٢).

المطلب الرابع: الوضع في الحديث:

نشطت حركة الوضع بعد فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ واتخذ المحدثون ضدهم سلاح الإسناد، يقول الإمام الثوري:«لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»[(١)].

ويقول ابن سيرين وهو يصف موقف المحدثين من السند فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه:

«لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[(٢)].

وقد ابتدأ هذا التثبت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة،قال عبد الله بن المبارك:((الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء))[(٣)].

كما قام المسلمون بالتصدي للوضع والوضاعين، حتى إنهم أفردوا مصنفات خاصة للأحاديث الموضوعة لتحذير المسلمين من شرها.

لكن المستشرق اليهودي جولد تسيهر اعتبر أن: «الوضع في الحديث بدأ في جيل الصحابة المبكر،وإن كان يثبت وجود مادة أصلية،فهو يعترف بوجود أحاديث مكتوبة في الصحف في أيدي الصحابة،لكنه رغم ذلك يرى أن التدوين للسنة، لم يبدأ إلا في القرن الثاني.وأن معظم الأحاديث ـــ في رأي جولد زيهر ـــ وضعتها الفرق السياسية الكلامية والمذهبية في القرنين الثاني والثالث، لذلك فهي تعكس تطور المسلمين السياسي والفكري خلال القرنين، ولا تمت غالبا إلى القرن الأول بصلة، ويركز على الصراع بين الأمويين الذين يصورهم بصورة الطغاة الجهلة، وبين العلماء الأتقياء،وأنصارأهل البيت، ويتهم الزهري بوضع حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)»[(٤)].

وتبنى شاخت (١٩٠٢ ـــ ١٩٦٩م)آراء سلفه جولد تسيهر، ويصل إلى نتيجة مفادها: أن كل أحاديث النبي ﷺ لم يكن لها وجود أصلاً، بل اخترعت ووضعت خلال منتصف

(١) انظر: البشير: عصام،أصول منهج النقد عند أهل الحديث،(ص: ٨٠)،ط٢، مؤسسة الريان، بيروت ـــ لبنان ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، (ج ١ / ١١)

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة،(ج ١ / ١٥)

(٤) العمري:د.أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، (ص:٣٦)

القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي، فالأسانيد التي نراها مع الأحاديث إنما هي كلها موضوعة[1].

ويرى بعض المستشرقين أن الأحاديث النبوية وضعت لتأييد المذاهب الفقهية، قال أحمد محمد جمال: «ويؤيد المستشرق الألماني (جوزيف شاخت) رأي (قولد زيهر) في الحديث النبوي: أنه وضع لدعم المذاهب الفقهية... أي أن المذاهب الفقهية وجدت أولا، ثم وجدت الأحاديث لدعمها وتأييدها ــ يقول شاخت: إن كتب الحديث لم يتداولها الناس إلا بعد زمن الشافعي، وأن الشافعي عندما اعتبر السنة أصلا من أصول الدين سارع الوضاعون إلى وضع الحديث لتأييد مذهبهم، وإبطال مذاهب من خالفهم[2]»[3].

كما أن بعض المستشرقين شكك فيمارواه البخاري في صحيحه، فمن ادعاءات (موير، ورويل[4] ودووزي[5]) وصف الأحاديث المدونة في صحيح البخاري بأنها ليست أصيلة، وغير موثوق بها[6]، لكن المستشرق موريس بوكاي خالف هذا الرأي بقوله: «ويعتبر صحيح البخاري بصورة عامة أكثر الكتب صحة بعد القرآن»[7].

كما شهد المستشرق موريس بوكاي على دقة حفظ السنة بقوله: «كانت معلومات هذا المصدر الثاني تعتمد فقط على النقل الشفهي، لذلك فإن الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال والأفعال في نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائمًا بالصعوبة... ولهذا كان همهم الأول في

(١) F. Rahman ،Islam،p. ٤٧
نقلاً عن الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن،(ص ٣١ ــ٣٢) ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية،في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هــ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م.

(٢) في كتابه (مصادر التشريع الإسلامي) هكذا في الحاشية دون ذكر بيانات الكتاب.

(٣) جمال: أحمد محمد (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز)، مفتريات على الإسلام،(ص:٣٦)

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) رينهرت دوزي، (Rienhart Dozy) مستشرق هولندي، ولد بمدينة ليدن ١٨٢٠م ــ وتوفي بها سنة ١٨٨٣م، من أتباع الحزب الليبرالي، اشتهر بأبحاثه في تاريخ العرب في أسبانيا وبمعجمه (تكملة المعاجم العربية) (انظر:بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(٢٥٩ ــ ٢٦٣) .

(٦) انظر:جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام،(ص: ٣٥)

(٧) بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ٢٨٠).

عملهم العسير في مدوناهم منصبًا أولاً على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة في حياة محمد ﷺ وبكل قول من أقواله، وللتدليل على ذلك الاهتمام بالدقة والضبط لمجموعات الأحاديث المعتمدة، فإنهم قد نصوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وذلك بالصعود في الإسناد إلى الأول من أسرة النبي ﷺ ومن صحابته ممن قد تلقوا هذه المعلومات مباشرة من محمد ﷺ نفسه، وذلك بغية الكشف على حال الراوي في جميع سلسلة الرواية، والابتعاد عن الرواة غير المشهود لهم بحسن السيرة، وصدق الرواية،ونحو ذلك من دلائل ضعف الراوي الموجبة لعدم الاعتماد على الحديث الذي روي عن طريقه.وهذا ماقد انفرد به علماء الإسلام في كل ماروي عن نبيهم ﷺ»[1].

فبعض المستشرقين حاولوا من خلال إشاعة القول بالوضع في الحديث، وتضخيم القول فيه، توهين السنة وتضعيفها، واستشهدوا بالأحاديث الضعيفة التي تناسب أهواءهم بعيدًا عن الموضوعية في البحث.

ونحن لا نشك في وجود أحاديث موضوعة، لكن علماء المسلمين بذلوا جهودهم لمقاومة حركة الوضع منذ الرعيل الأول، وقد تبين الحديث الصحيح من الضعيف من خلال جهود علماء المسلمين في هذا المجال مما سبق بيانه.

(١) بوكاي: موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص: ٢٧٨.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من سند ومتن الحديث

المطلب الأول: سند الحديث:

السند اصطلاحًا:«سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث من النبي ﷺ وحتى تدوين الحديث في كتب الحديث المعتمدة،أو هو الإخبار عن طريق المتن»[(١)].

أما الإسناد فهو مصدر من قولك أسندت الحديث إلى قائله، إذا رفعته إليه بذكر ناقله، فقول القائل: حدثنا فلان، قال فلان. هو الإسناد. و(السند) هم أولئك الرواة الناقلون المذكورون قبل متن الحديث، والمحدثون يستعملون كلا من السند والإسناد في موضع الآخر، ويعرف المراد بالقرائن[(٢)].

وتعتمد صحة الحديث على صحة الإسناد والمتن معًا، وقد اهتم المسلمون بصحة السند، والتشدد في ذلك، لأن صحة السند من أكبر الأدلة على صحة المتن، لكن بعض المستشرقين ظن أن نقد الحديث، ومعرفة درجة صحته كانت تعتمد فقط على نقد السند دون المتن، من ذلك: المستشرق شاخت لاحظ أن الحديث يرويه عدة رواة يلتقون عند راو واحد وهو المسؤول عن وضع الحديث،أو أن اسمه استخدم في وضع الحديث.

ومن شبههم قولهم:«كما أنه من السهل وضع حديث ما، فقد كان من الأسهل اختراع سند، ولصقه بذلك الحديث الموضوع»[(٣)] .

والمستشرق شاخت قال: «إن أسانيد الحديث النبوي عملية ملفقة»[(٤)].

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي،(١ /٤٣)،تحقيق:عزت عطية وموسى محمد علي، (دار الكتب الحديثة ــ القاهرة /١٩٨٠م) .

(٢) انظر: مجلة أضواء الشريعة، كلية الشريعة، الرياض، العدد السابع،(ص ٤٤ ــ ٤٥)، السنة ١٩٧٦م.

(٣) A.A.Mshereef ،Studies،p.١.

نقلاً عن كتاب: الرد على مزاعم المستشرقين، جولد تسيهر، ويوسف شاخت، ومن أيدهما من المستغربين، د. عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب،(ص ١٣ ــ ١٤)،ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية،في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هــ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م.

(٤) جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام،(ص: ٣٥)

وهذا المستشرق اعتمد على دراسة فقهية، وصب نتائج دراسته في كتب الحديث. وقد أخطأ شاخت عندما اعتمد على كتب الفقه، ثم عمم نتيجته التي وصل إليها في دراسته لتلك الكتب،و فرضها على كتب الحديث.

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «وقد درس شاخت في مؤلفه (أصول الشريعة المحمدية)كتابي الموطأ لمالك، والأم للشافعي، ثم عمم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى»[1].

ولخص الدكتور عبد الرحمن الخطيب رأي شاخت في خمس نقاط:

أولاً:ابتدأ المسلمون باستخدام الإسناد في بداية القرن الثاني الهجري، أو في نهاية القرن الأول على أبعد احتمال.

ثانيًا:ألصقت الأسانيد بالأحاديث بطريقة غير منتظمة، وبأسلوب تعسفي، وقام بإلصاقها أصحاب المذاهب الفقهية الذين أرادوا إعطاء آرائهم قيمة بنسبتها ووضعها على ألسنة علماء السلف.

ثالثًا:بدأت عملية تحسين الأسانيد تدريجيًا، وذلك بوضع أسانيد كاملة،وملئت الفراغات في الأسانيد المنقطعة لتصير متصلة، وذلك قبل أن تجمع الأحاديث في كتب الأحاديث المشهورة.

رابعًا: أضيف في عصر الشافعي مجموعة من الرواة للأسانيد الموضوعة بهدف دحض المعارضة لحجية أحاديث الأحاد التي ترجع لمصدر واحد.

خامسًا: إن الأسانيد المتعددة التي تلتقي عند راوٍ واحدهي أسانيد موضوعة،وكذلك متونها»[2].

---

(١) العمري:الأستاذ الدكتور. أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية،(ص ٧٢)،مجلة مركز بحوث السنة والسيرة النبوية،العدد الثامن ١٤١٥هـ /١٩٩٤ـ١٩٩٥م ـ جامعة قطر.

(٢) M. M. Azami ،On Schch،s Origins Of Mohammedan Jurisprudence (Torontnto ،١٩٨٥) ،p.(١٦٦٠)

نقلا عن: الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن،(ص ٤٣ ـ٤٤)، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية.

وقد بين الأستاذ محمد الأعظمي خطأ شاخت، ودحض حججه التي اعتمد عليها [١].

حيث رأى هؤلاء أن صحة أي حديث يجب أن تبنى أولاً على صحة متنه، وليس على صحة إسناده، وبالرغم من قبول الأوساط العلمية في الغرب لنظرية شاخت، إلا أنها نظرية خاطئة لايمكن قبولها، فضلاً عن تعميمها.

كما أن بعض العلوم الإسلامية أساس في نقد المتن، مثل:علم مختلف الحديث،وعلل الحديث،لذا نجد علماء مصطلح الحديث أطلق على العلل الموجودة في المتن مصطلحات عدة، نحو:هذا حديث منكر المتن،حديث غريب،حديث شاذ،حديث مضطرب[٢].

ومن أفضل من توسع في الحديث عن علامات الوضع في المتن، وعن القواعد والقرائن التي تدل على الكذب في الحديث نفسه دون النظر إلى سنده الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) حيث ذكر أربعاً وأربعين قاعدة، ومثل لها بمئتين وثلاثة وسبعين حديثا، وبيَن وجه بطلانها من مجرد نقض المتن، ولم يعرج على نقد السند في شيء[٣].

وما زعمه بعض المستشرقين من أن العلماء اعتنوا بنقد السند دون المتن من أشد مزاعمهم ضعفا،لأن علماء المسلمين من المحدثين والفقهاء قد نقدوا المتن بمافيه الكفاية، وقد رد عليهم بعض الكتاب المعاصرين[٤].كما أن صحيح الإمام البخاري مملوء بالأمثلة التي تدل على نقده

---

(١) انظر:الأعظمي: محمد، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه،(٢ / ٣٩٤ ـــ ٣٩٧)

(٢) انظر: النيسابوري: الحاكم، معرفة علوم الحديث،(ص ٥٩)، ط ١،دار النفائس،بيروت، عمان،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) انظر:الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن،(ص ٣١ ـــ٣٢)، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية.

(٤) انظر: خلف: نجم الدين عبد الرحمن، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، ط١،مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م ـــالرياض.

للمتن[١]، وكذا نجد الإمام مسلم في كتابه (التمييز) يذكر لنا أمثلة عن خطأ الرواة في السند والمتن أو في أحدهما[٢].

---

(١) انظر: كافي: أبو بكر، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح،(من ص ٣٥٩ ــ ٣٦٢، ط ١، الناشر: دار ابن حزم، بيروت ــ١٤٢١ هـ ـ /٢٠٠٠م.

(٢) انظر:مسلم النيسابوري: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ٢٠٦ ــ ٢٦١هـ، كتاب التمييز،(ص ١٣٤ ــ ١٣٥ ــ ١٤١)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر:جامعة الرياض ــ الرياض / ١٣٩٥هـ.

المطلب الثاني:إسناد الحديث:

إن المستشرق الألماني (الأمير كايتاني ١٨٦٩ ـــ ١٩٢٦م[١]) يعتبر أن:

أقدم من قام بجمع الأحاديث هو عروة المتوفي ٩٤هـــ لا يستعمل الأسانيد، ولا يـــذكر المصدر لكلامه غير القرآن الكريم كما هو واضح في نقول الطبري عنه، لذا يعتقد كايتاني أنه في عهد عبد الملك سنة (٨٠هـــ) لم يكن معروفًا بعد اســـتعمال الأســـانيد في الأحاديـــث النبوية. وعلى هذا في رأيه يمكن القول: بأن استعمال الأسانيد في الأحاديث بدأ بين عـــروة المتوفي ٩٤هـــ وابن اسحاق المتوفي ١٥١ هـــ. وعلى هذا فالجزء الأعظـــم مـــن الأســـانيد الموجودة في كتب الحديث لابد أن يكون قد اختلقها المحدثون في القرن الثاني، بل وفي القرن الثالث أيضًا[٢].

وقد أيد كايتاني المستشرق (شبرنجر[٣]) قائلاً:«إن كتابات عروة إلى عبد الملك خالية من الأسانيد، ولذلك فما نسب إلى عروة من استعمال الأسانيد لابد أن يكون شيئًا نسبيًا[٤]»[٥].

---

(١) ولد في روماوتخرج من جامعاها وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، وتقلد سفارة ايطاليا في واشنطن،من آثار: سيرة الرسول،(ميلانو ١٩١٤) ودانتي والإسلام..(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(١/ ٣٧٢)

(٢) انظر: الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي،(٢ / ٣٩٢) نقلاً عن:

J.Robson The Isnad in Muslim Tradition.(١٨)

وبحوث في تاريخ السنة المشرفة / العمري نقلاً عن:

Schacht The Origins of Muhammadn Juisprudence (٣٧) and Robson the Isnad in Muslim Traditions. p.(١٨).

(٣) ألويس شبرنجر ١٨١٣ ـــ ١٨٩٣م، مستشرق نمساوي متجنس بالجنسية البريطانية، ولد في التيرول عام ١٨١٣ م وتوفي ١٨٩٣م، نال الدكتوراه في الطب من ليدن وأرسل إلى الهند طبيبا وتول رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، كتب في سيرة محمد ﷺ في ثلاثة أجزاء بالتعاون مع نولدكة وترجم أقساما عدة من كتاب مروج الذهب للمسعودي.. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون(٢ /٦٣١).

(٤) انظر: الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي،(٢ / ٣٩٢)، نقلاً عن:

J.Robson The Isnad in Muslim Tradition.(١٨)

(٥) بهاء الدين: الدكتور محمد، المستشرقون والحديث النبوي، (ص: ٩٥) .

وانظر: وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص:١٤)، تعريب: شعبان بركات.

قال الدكتور محمد بهاء الدين:

«ولكننا نقول: هل تصلح كتابات عروة أن تتخذ كدليل على خلو الأحاديث من الأسانيد؟ خاصة أنها لم ترد في الطبري فقط، بل أيضا وردت في كتب أقدم من الطبري، مثل مسند الإمام أحمد[١]، حيث ذكر مصدره عن عائشة[٢]، وكما جاء في صحيحي البخاري ومسلم في حديث بدء الوحي الذي يرويه عنها عن النبي ﷺ وغيره[٣]»[٤].

وقد علق الدكتور الأعظمي على كتابات عروة أنها كتابات متقدمة جدًا وغالب مصدره الصحابة المعاصرون للحوادث، لذلك كان أكثر إسناده من شخص واحد من السهل حذفه، كما أنه قد روى كتاب عروة عدة أشخاص منهم الزهري وعند مراجعة روايته لكتاب عروة نجد عروة يذكر فيها السند أحيانا سندا منفردا، وأحيانا سندا مزدوجا، وهذا يعارض ما دعاه كايتي، وتبعه فيه شبرنجر[٥]، من أن عروة لم يستعمل الأسانيد[٦].

كما أن المستشرق الألماني هوروفيتش (١٨٧٤ ــ ١٩٣١م) رد على الذين نفوا استعمال عروة السند بأنهم لم يدرسوا كتاباته وأسانيده كاملة،كمارد على استنتاج كايتاني وشبرنجر ردا قويا في كتابه: (Horovitz. Alter and Urprung des Der Islam.VIII.(١٩١٨,٣٩-٤٧.)

وبين أن بداية استعمال السند في الثلث الثالث من القرن الأول[٧].

---

(١) انظر: ٤ / ٣٢٣ ــ ٣٢٦ ــ ٣٢٨ ــ ٣٣١.(من الحاشية).

(٢) ٤ / ٢١٢ (من الحاشية).

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ،ج١/ ٢٢ ح(٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بدء الوحي،(ج١/١٣٩-١٤١)،(١٦٠).

(٤) بهاء الدين: الدكتور محمد، المستشرقون والحديث النبوي، (ص: ٩٥)

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) انظر: الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي ،(ص: ٣٩٣)

(٧) انظر: دراسات في الحديث النبوي، الأعظمي،(٢ / ٣٩٢)، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة، العمري (٣٤) نقلاً عن:

J.Robson The Isnad in Muslim Tradition.(١٨)

علما أن السند وجد مع بداية الرواية في عهد رسول الله ﷺ وتمسك به تمسكا شديدا ابن شهاب الزهري، مما دفع بالكثير من المستشرقين وأتباعهم أن يتوهموا أنه أول من بدأ باستعمال السند في مروياته معتمدين على:

مارواه ابن أبي حاتم بسنده إلى خالد بن نزار قال: سمعت مالكا يقول: أول من أسند الحديث ابن شهاب[١].

خلاصة القول: هي أن السند كان موجودا في عهد الرسول، ولا يلزم من عدم السؤال عنه عدم وجوده، وما ذلك إلا محاولات من قبل بعض المستشرقين لكي يثيروا الشكوك حول بدايته، وذلك لإضعاف الثقة بالحديث النبوي.

(١) انظر: ابن أبي حاتم الرازي: أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧هـ، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، (ص: ١/ ٢٠)، ط١، طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن ـ الهند سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

المبحث الثالث

حجية السنة النبوية

فهم بعض المستشرقين من قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل: ٨٩ ، ومن قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨ ، رد للسنة والاقتصار على القرآن، وأنه يلزم عرض السنة على القرآن، فإن أتت بحكم ليس فيه فلا نأخذ به. ولم يدركوا أنه لا سبيل إلى فهم القرآن إلا عن طريق السنة الصحيحة؛ لأن القرآن الكريم قد حوى أصول الدين وأحكامه العامة، ونص على بعضها صريحًا، وترك بيان بعضها الآخر لرسوله ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤ .

وفي القرآن أمثلة على ذلك كالصلاة والزكاة والحج، فالسنة هي الموضحة والشارحة للكيفية والطريقة التي أمر الله بها عباده. وقد اتفق علماء المسلمين على حجية السنة النبوية، فالسنة النبوية الصحيحة شارحة ومفسرة للقرآن، فهي مبينة لأحكامه، وموضحة لإبهامه، ومخصصة لإطلاقه، لذا فهي حجة يعتد بها عند علماء المسلمين قاطبة، ولا يمكن فصل السنة الصحيحة عن القرآن الكريم، قال الشوكاني:

«إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام»[1].

ومن الأدلة على ذلك، قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ ، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

(١) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،(ص: ٣٣)، ط١، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.

﴿الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧ .

وقد حاول شاخت الطعن في حجية السنة، خصوصًا في الأحكام التي لم ترد في القرآن الكريم، أو هي من أفعال الرسول ﷺ فقال:

«على أن جوانب هامة من التشريع الخاص بالعبادات كشعائر الصلاة مثلاً، لم ينظمها القرآن، وإنما احتذي فيها حذو النبي ﷺ لم ترد في القرآن، وهي عادة قليلة الأهمية،ولم تطبق تطبيقًا عامًا بالرغم من صدورها عن النبي ﷺ ثم يضيف قائلاً: ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكتاب، ولكن في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ماس منها أمور الدين، فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ. وقد نفذت هذه الأفعال أكثر من مرة،وكان الكتاب نفسه يلومه أحيانًا على بعض أفعاله، سورة ٦١»[1].

فالمستشرق شاخت يشكك باستقلالية السنة بالأحكام الشرعية خاصة أفعاله ﷺ وذلك للفصل بين القرآن والسنة، وصاحب العقل السليم يدرك أن النبي ﷺ أعطي القرآن ومثله معه، وهو السنة المطهرة، ولايمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال. والصواب أن السنة الزائدة عما ورد في القرآن، حجة يجب العمل بها، وإن اختلفوا في وصف هذه السنة.

قال ابن القيم:«السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:أحدها أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توراد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها،الثاني: أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له، والثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرّمه لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي ﷺ تجب طاعته فيه،

---

(١) Geshichte des Qorans،Noldeke. ١\١٢٦
نقلاً عن:النشمي: د. عجيل جاسم النشمي (مدرس بكلية الشريعة / جامعة الكويت)، المستشرقون ومصادر التشريع، (ص: ١٠٦)

ولا تحل معصيته؛ وليس هذا تقديما لها على كتاب الله،بل امتثال لها لما أمر الله به من طاعة رسوله»[١].

وصحابة رسول الله ﷺ لم يفرقوا بين سنة ورد فيها نص من القرآن وسنة الحكم فيها يعتمد على الحديث وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧ .

وقد أجمعت الأمة على مر العصور، على أن السنة حجة، ويجب العمل بها كالقرآن الكريم، لافرق في ذلك بين المتواتر منه والآحاد. ولا يركز أحد بالإقلال من منزلة أحاديث الآحاد، والتركيز على أنها ظنية الثبوت لأن في ذلك سندًا لأعداء السنة وأصحاب الأهواء.

قال أحد كبار مسلمي الهند السيد سليمان الندوي ــ رحمه الله ــ في دراسته العلمية بعنوان (الحديث النبوي وبيان الحاجة إليه):

«إن القرآن منقول بالتواتر، والحديث منقول برواية رجال معدودين، ولكنهم ليسوا مجاهيل، بل هم رجال مشهورون، أحوالهم معلومة، وأسانيدهم محفوظة. وهذا الفرق يقتضي التفاوت في درجات اليقين والوثوق،لافي نفس القبول والاعتبار. وهذا الفرق مسلم عند كل مسلم، لا يقول أحد منهم بأنهما متساويان من كل جهة»[٢].

فالسنة النبوية واجبة الإتباع،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩ ، فلم يختلف المسلمون في حجية السنة، ووجوب اتباعها، وكونها مصدرًا للتشريع.

---

(١) الجوزية: ابن قيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل،(٢/ ٣١٤ ــ ٣١٥)

(٢) الخطيب: محب الدين، الندوي: سليمان السباعي: مصطفى، دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه،(ص: ٢٧).

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من الإجماع

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإجماع وبيان حجيته.

أولا: الإجماع في اللغة.

ثانيا: الإجماع في الاصطلاح.

ثالثا: حجية الاجماع.

المبحث الثاني: الإجماع عند بعض المستشرقين.

أولا: الإجماع عند المستشرق جولد تسيهر .

ثانيا: الإجماع عند المستشرق دونكان بلاك ماكدونالدز.

ثالثًا : الإجماع عند المستشرق الإنجليزي السير هاملتون

رابعا: الإجماع عند المستشرق لويس غرديه ، ج. قنواتي.

خامسا: الإجماع عند المستشرقة غيانة تستشيجفسكا.

المبحث الثالث: مذهب المستشرقين في حجية الإجماع وأدلتهم.

المبحث الرابع: الغاية من الإجماع عند بعض المستشرقين.

أولا: المستشرق جولد تسيهر

ثانيا:المستشرق جوستاف.أ.فون جرونيباوم.

ثالثا: المستشرق الفريد جيوم.

رابعا:المستشرق هاملتون جيب.

المبحث الأول

التعريف بالإجماع وبيان حجيته

أولاً: الإجماع في اللغة:

جاء في لسان العرب«جمع أمره، وأجمعه،وأجمع عليه: عزم عليه، كأنه جمع نفسه له والأمر مجمع»(١).

وجاء في القاموس المحيط: والإجماع الاتفاق ....وجعل الأمر جميعًا بعد تفرقة (٢).

أما لفظ الإجماع فهو مصدر (أجمع) يقال أجمع يجمع إجماعًا فهو مجمع، وهو مجمع عليه(٣).

فالإجماع قد يأتي بمعنى العزم أوالاتفاق، وما يتم الإجماع إلا بعزم الفقهاء والعلماء للاتفاق على أمر من الأمور المجمع عليها.

ثانيًا: الإجماع في الاصطلاح:

الإجماع اصطلاحًا هو: «اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من العصور، على أمر من الأمور»(٤).

ثالثًا:حجية الإجماع:

الإجماع حجة شرعية يجب العمل بها، واستدل العلماء على حجيته من الكتاب والسنة، ومن العقل(٥).

---

(١) ابن منظور، المجلد الثاني، الجزء ١٧، مادة جمع، (ص: ٦٨١).

(٢) انظر: الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب٧٢٩ ــ ٨١٧هـ ، القاموس المحيط، مادة جمع،(٣ / ١٥)، مادة جمع، دار الجيل ــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٣) انظر: السدحان: د. فهد بن محمد، مناقشة الاستدلال بالإجماع (دراسة تأصيلية تطبيقية)،(ص: ٢٣، ط١، مطبعة العبيكان ــ الرياض، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣ م.

(٤) الشوكاني: محمد علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (ص: ٧١).

(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١١ / ٣٤١).

أ- الدليل من القرآن على حجية الإجماع:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ النساء: ١١٥ .

وجه الدلالة: أن الله ــ تعالى ــ جمع بين مشاقة الرسول ﷺ وبين اتباع سبيل غير المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بينه وبين المحظور، ومتابعة غير سبيلهم تقع بمخالفة أقوالهم أو أفعالهم(١).

ب - الدليل من السنة على حجية الإجماع:

الأحاديث التي تأمر بلزوم الجماعة، وتحذر من الافتراق، كثيرة، جميعها تدل على أن الإجماع حجة.منها: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))(٢).

قال الإمام النووي ــ رحمه الله ــ: «وفيه دليل لكون الإجماع حجة»(٣).

والأحاديث التي تفيد عصمة الأمة ــ في اجتماعها ــ كثيرة، منها:

ماروه الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لايجمع أمتي ــ أو قال: أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»(٤).

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٩/ ١٧٨ ــ ١٧٩)

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب المناقب ح(٣٦٤٠)،و مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ، لا تزال طائفة،(ج٣ / ١٥٢٣)، ح (١٩٢٠).

(٣) النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي،(١٣ / ٧٠)، كتاب الإمارة، دار الكتب العلمية ــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه،(١ / ١١٥ ــ ١١٧)، كتاب العلم، عن المعتمر بن سليمان بأسانيد مختلفة، ورواه الترمذي في سننه ٦ / ٣٣٤، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم(٢١٦٨) وقال: " حديث غريب من هذا الوجه ". وهو في مشكاة المصابيح ١/ ٦١، كتاب الإيمان ــ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ــ حديث رقم (٣٤) وصححه الألباني هامش (٥)، وابن أبي عاصم في السنة ــ حديث رقم (١/ ٣٩) باب ما ذكر عن الرسول ﷺ من أمره بلزوم الجماعة..حديث رقم (٨٠) وتعليق الألباني عليه، و١ / ٤١ ــ ٤٢)، حديث رقم (٨٥) من الكتاب نفسه، قال محققه الألباني: " إسناده جيد، موقوف، رجاله رجال الشيخين ".

المبحث الثاني

الإجماع عند بعض المستشرقين

عرض بعض المستشرقين الإجماع بشكل لا يمكن التسليم به،معتقدين أن الإجماع قادر على وضع أحكام لا إسناد لها من الكتاب والسنة، وأنه عنصر من عناصر التقريب بين السنة النبوية والبدع المستحدثة، كما اعتقدوا أنه مقتبس من القانون الروماني، ومن بين بعض المستشرقين الذين كتبوا عن الإجماع مايلي:

أولاً: الإجماع عند المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر (١٨٥٠ ــ ١٩٢١م)

اعتبر جولد تسيهر أن الإجماع: ((أصل كبير يمثل فكرة تطور الفقه الإسلامي أكثر من غيره، ويصور العنصر الموفق للانقسامات الظاهرة في التطور الفقهي المذهبي الخاص))(١). وعلق على معنى الإجماع بقوله: ((حقا إن هذا المبدأ بالنسبة للإسلام يحتوي على بذور التحرر للحركات الإسلامية الحرة والتطورات المستطاعة، فهو يقدم ضد ديكتاتورية الجمود، وقتل الشخصية،..))(٢).

إن بعض المستشرقين يصرون على فكرة التطور في الفكر الإسلامي(٣)، خاصة في الجانب الفقهي، فكثيرا ما يرددون عبارة (فكرة تطور الفقه الإسلامي) ولم يدركوا أن التشريع الإسلامي في ماضيه وحاضره من أرقى أنواع التشريع، وقد يكون سبب تبنيهم (فكرة تطور الفقه الإسلامي) وصولاً إلى تصور هزيل وهو: أن الفقه الإسلامي متطور بسبب اقتباسه من القانون الروماني، لذا يحاولون جعل الإجماع أصلا كبير من أصول الشريعة الإسلامية.

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٥٢).

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٥٢).

(٣) للأسف نجد من يعتبر مقولة جولد تسيهر السابقة الذكر والتي تشهد بأن الإجماع بالنسبة إلى الإسلام يحمل في طياته بذور التحرر والتطورات المستطاعة... مادة للدعوة إلى الإسلام وشهادة من مستشرق منصف للإسلام، من مبدأ أن الحق ما شهدت به الأعداء، حيث وردت هذه المقولة ضمن الشهادات المنتقاة البناءة في كتاب:خليل: د. عماد الدين، قالوا عن الإسلام، من إصدارات الندوة العالمية للشباب المسلم،(ص: ٢٢٥)،ط١، السعودية ــ الرياض، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.

يقول جولد تسيهر: «وليس غريبًا أن تكون هذه التعاليم الفقهية والتفضيلات المستعملة قد تأثرت كذلك بثقافات أجنبية، كما أن المعارف الفقهية الإسلامية تحمل على سبيل المثال ـــ كما حقق ذلك البحث الحديث تحقيقًا ثابتا ـــ آثار غير منكورة من الفقه الروماني، سواء في ذلك من ناحية الطريقة، أو من ناحية الأحكام الفرعية»(١).

وكذلك أشار دي بور(٢) إلى فكرة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني(٣).

فالإجماع عند بعض المستشرقين فكرة تطورية، وأصل من أصول الدين الإسلامي مقتبس من القانون الروماني، عند جولد تسيهر ومن تبعه من المستشرقين، مثل المستشرق الفرنسي (لويس ماسينون ١٨٨٣ ـــ ١٩٦٢م(٤)) فقد عرف الإجماع بقوله:«الإجماع العام(consentementuniversel) وهو الاعتماد على جمهور الناس في زمن من الأزمنة اتفقوا على شيء (Lamennais).وإن كان هذا القياس حسن، إلا أنه ناقص، إذ إن الإجماع يكون أحيانًا مخطئا»(٥).

وقال في موضع آخر: «..إن طرق الإنسان إلى الحق مقاييس مختلفة أشهرها:

١ ـــ الإجماع (consentement universel) أي (cnsensus) priantum في الفقه الروماني»(٦).

كذلك المستشرق جوستاف ا. فون جرونيباوم(١) اعتبر الإجماع يؤدي نفس وظيفة مذهب اتفاق أهل الحكمة والمعرفة عند الرومان(٢).

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤٧).

(٢) دي بوير (١٨٦٦ ـــ ١٩٤٢) أستاذ الفلسفة في جامعة أمستردام، له العديد من المؤلفات في الفلسفة الإسلامية. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،ط٣،(٢/ ٦٦٨).

(٣) انظر: دي بور: ت. ج.، تاريخ الفلسفة في الإسلام،(ص: ٥٩)، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، دار النهضة العربية ـــ بيروت ١٩٨١م.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ماسينون: لويس، (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ إلى ٢٤ إبريل سنة ١٩١٣)،(ص: ١٥٢)، تصدير بقلم الدكتور: الأستاذ الدكتور: إبراهيم مدكور، حققته وكتبت مقدمته وحواشيه دكتورة زينب محمود الخضيري، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

(٦) ماسينون: لويس، (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ إلى ٢٤ إبريل سنة ١٩١٣)،(ص: ٢٠٩).

ثانيا: الإجماع عند دونكان بلاك ماكدونالد ١٨٦٣ ــ ١٩٤٣م):

يخلط بعض المستشرقين بين أدلة التشريع الإسلامي وبين أصول العقيدة الإسلامية، وقد اعتبر ماكدونالد الإجماع أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية.

قال ماكدونالد عن الإجماع بأنه:«أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية، ويُعَرَّف بأنه اتفاق المجتهدين..من الأئمة بعد وفاة الرسول في كل عصر، وفي كل أمر ديني. ولما كان هذا الاتفاق لا يحدث عن طريق هيئة من الهيئات، أو مجمع من المجامع، بل يحدث بالطبيعة، ومن تلقاء ذاته، فإن وجوده في مسألة من المسائل لا يعرف إلا إذا نظرنا إلى الماضي ورأينا أنه قد حدث بالفعل اتفاق فيها. وعند ذلك يسلم بهذا الاتفاق ويسمى (إجماعًا). وعلى هذا النحو تقررت رويدًا رويدًا بعض المسائل التي كانت موضع جدال، وتصبح المسألة التي تقرر على هذا النحو جزءًا أساسيًا من العقيدة يعد إنكاره كفرًا..... ويصبح كل إجماع كهذا حجة في زمنه، وفي الأزمان التالية. وقد يكون الاتفاق في القول فيسمى (إجماع القول) أو في العمل فيسمى (إجماع الفعل) أو في الصمت الذي يدل على القبول فيسمى (إجماع السكوت) أو التقرير...

ولا يدخل في الإجماع اتفاق العوام؛ كما أن رواية صحابي واحد كانت تكفي لأن تأخذ بها الأجيال اللاحقة،وهذا هو رأي الشافعي في أول أمره قبل انتقاله إلى مصر، ولكنه رأي لا يقول به أحد الآن»[٣].

---

(١) ولد الأستاذ: جوستاف. أ.فون جرونيباوم بمدينة فيينا بالنمسا عام ١٩٠٩م وحصل على دكتوراه في الفلسفة في الدراسات العربية والفارسية والتركية من جامعة فينا(١٩٣١م) عمل مساعد رئيس قسم اللغة العربية بمعهد آسيا بنيويورك، ومساعد لأستاذ اللغة العربية بجامعة شيكاغو، ورئيس اجتماع علماء البحوث الإسلامية الذي عقد بمدينة سبا Spa (ببلجيكا) ١٩٥٣م، وعضو شرف بجمعية الأبحاث الإسلامية، بومباي بالهند. (من مقدمة كتاب حضارة الإسلام).

(٢) انظر: جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي،(ص: ١٩٣، نشر: مكتبة مصر ــ الفجالة، دار مصر للطباعة، بإشراف: إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر.(بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٤٣٨)، مادة إجماع كتبها ماكدونالد (الدائرة الأولى)و انظر:في دائرة المعارف الإسلامية، طبعة الشعب،(٢/ ٢٤٠)

نقد النص:

١ـ الإجماع ليس أصلاً من أصول العقيدة الإسلامية بل هو أحد الأدلة المعتبرة في الشريعة الإسلامية له ضوابطه، يمكن تطبيقه في كل زمان ومكان متى توافرت شروطه المتفق عليها.

٢ـ لا يمتنع حدوث الإجماع في أي وقت، وليس مرتبطًا بزمان معين كما توهم العبارة بأنه يمكن تطبيقه فقط في الزمن الماضي.

٣ـ ليس كل من أنكر الإجماع فهو كافر حسب وجهة نظر ماكدونالد.

٤ـ الخلط بين الإجماع المتفق عليه وبين قول الصحابي المختلف فيه.

ثالثًا: الإجماع عند المستشرق الإنجليزي السير هاملتون جيب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م)

يقول هـ. أ. ر. جيب: «..إن صوت الشعب (أو إرادة المجموعة التي لا يحددها تصويت أو مؤتمر دوري، بل كما تبدو في تصرفات الرأي العام بقوة مضطرة القوة) معترف به في الإسلام الحنيف على أنه يأتي بعد صوت الله وصوت النبي، المصدر الثالث لليقين الديني.يعرف هذا المبدأ باسم (الإجماع) اتفاق الطائفة على رأي واحد»[1].

والصحيح أن الإجماع دليل شرعي، لكنه ليس دليلاً مستقلاً، بل لابد لكل إجماع متفق عليه أن يكون مستندًا إلى دليل شرعي سواء من الكتاب أو السنة.

ويقول هـ. أ. ر. جيب: «..(الإجماع) اتفاق الطائفة على رأي واحد، وحاول بعضهم أن يقصر هذا الإجماع على رأي الفقهاء، لكن حادثًا مشهودًا برهن في القرن السابع عشر على وهن إجماع الفقهاء، أمام ضغط الرأي العام، حتى ولو استند هذا الإجماع إلى السلطة الزمنية، فحين بدأت عادة احتساء القهوة [قيل هي]حرام[2] ويعاقب شاربها كما يعاقب شارب الخمر. وفي الواقع أن حكم الإعدام قد نفذ ببعض الذين أقدموا على هذا العمل. لكن

(١) جيب: هـ. أ. ر.، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، (ص: ٣٥ ـ ٣٦).

(٢) انظر: الجزيري: العلامة المؤرخ عبد القادربن محمد بن محمد، عمدة الصفوة في حل القهوة، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، الباب الرابع (في إبطال القول بحرمتها)، ط١، منشورات المجمع الثقافي ـ أبو ظبي / الإمارات ١٩٩٦م.

إرادة الطائفة هي التي رجحت، بحيث أننا نرى اليوم أكثر الفقهاء محافظة على نقاوة الإسلام يحتسون القهوة بحرية.

وأسباب كون الإجماع مجالاً للخلاف بين المحافظين والمحدودين(١) واضحة. فمبدأ الإجماع ليس مبدًا تحرريًا بشكل من الأشكال، بل هو العكس من أنواع التحكيم. فما تقوله الطائفة لاتمكن مخالفته. لكن سلطة هذا الإجماع لاتقوم إلا في المجال الذي لم يتطرق القرآن أو السنة إليه، فهذه السلطة إنما تعاقب على (البدع) ووقف المتزمتون ضد الإجماع، في حين استعمله المجددون في تبرير حالات ممكنة الوقوع.

تلك هي جذور الإسلام الثلاثة: القرآن والحديث والإجماع، وبامتزاج هذه العناصر الثلاثة تتكون العقيدة الإسلامية بأكملها، فضلاً عن المؤسسات الدينية والاجتماعية وحتى التفكير الديني نفسه. قلت إن مبدأ الإجماع مبدأ تسلط لأنه بالإمكان استعماله (كما حصل فعلاً في أكثر الأحيان) في تضييق مجالات المعتقدات والتطبيقات المسموحة، لكن الإجماع يتضمن رغم ذلك مبدأ التسامح. إذ ينجم عن ذلك أنه لا يعود بإمكان أية فرقة من الفرق الإسلامية أن تدحض آراء الفئة الأخرى أو أن تسعى لانتزاع معتقداها بالقوة. وأصحاب البدعة الوحيدون في الإسلام (باستثناء الطوائف الموفقة كالبابية، والبهائية، والحركة الأحمدية الخاصة في الهند التي قطعت صلتها النهائية بالإسلام) هم أولئك الذين رفضوا مبدأ الإجماع، وسعوا لفرض معتقداهم بواسطة العنف،فلو أن الشيعة اكتفت بالدعاية السلمية بدلاً من تنظيم الثورة وتكييل الشتائم لمعتقدات الأكثرية السنية، لكنت متأكدًا من أنه كان يتم الاعتراف بمذهبهم، وأن الشقة بين السنة والشيعة ضاقت كثيرًا بمرور الزمن، كما أن الخلافات الداخلية ضمن الطائفة السنية كان لها أن تتضاءل بواسطة الإجماع»(٢).

نقد النص:

١ ــ عادة احتساء القهوة لا تقارن مع شرب الخمر،وحد شارب الخمر هو الجلد، عقابًا له وليس القضاء عليه.

---

(١) يبدو لي أن الصواب (المجددين).

(٢) جيب: هــ. أ. ر.، الاتجاهات الحديثة في الإسلام،(ص: ٣٦ ــ ٣٧).

٢ ــ الإجماع لابد له من دليل شرعي، فلا يمكن أن تجتمع الأمة على الهوى من غير دليل شرعي.

٣ ــ الإجماع ليس أمرًا سهلاً، وهؤلاء المستشرقون قد رفعوا من قيمة الإجماع وجعلوه من جذور الإسلام وأساسه.

٤ ــ قد استدل المعترض بقوله:(لا تجتمع أمتي على ضلالة)وهذا دليل ضده حيث أن أمة محمد ﷺ لأن لا تجتمع على ما يعارض الكتاب والسنة من باب أولى.

٥ ــ التشريع الإسلامي رباني المصدر، ليس للناس دخل في تأصيل قواعده وابتكارها كما يظن هؤلاء المستشرقون.

٦ ــ الإجماع لدى بعض المستشرقين غير واضح. وقد اختلطت صورته لدى البعض، مما جعلهم يصلون لنتائج خاطئة في فهمه، فأصبحوا يعتقدون أنه وسيلة لكسر الجمود في الشريعة الإسلامية، وتوهموا أنه طريق التحرر للتطورات المستقبلية في الشريعة الإسلامية.

٧ ــ الإجماع عند المسلمين يكون اللجوء إليه عند الحاجة إذا لم يوجد الحكم الشرعي في الكتاب والسنة، ولكن بعض المستشرقين قد يتصورون أن الإجماع لا يمنع تقدمه على القرآن والسنة، مما جعلهم يقعون في خلط واضح من ناحية ترتيب الإجماع بين المصادر الشرعية الأخرى.

٨ ــ لقد أخطأ بعض المستشرقين في فهم المعنى الصحيح للبدعة على خلاف تعريفها عند علماء المسلمين، معتقدين أن الأعراف والعادات هي بدعة تحولت بعد الإجماع إلى سنة.

٩ ــ أن الإجماع لا يكون على أمر غير شرعي؛ لأن ذلك مخالفة للسنة، ولا يصح الإجماع إذا خالف السنة.

رابعا:الإجماع عند المستشرق المسيحي لويس غرديه المولود عام ١٩٠٧م(١)، ج. قنـواتى:

قال (لويس غرديه)، و(ج. قنـواتى) عن الإجماع:

---

(١) سبق ترجمته، (العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣/١٠٥٦).

«إن الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع في الإسلام، ولقد استغرب معظم المستشرقين ألا يكون له هيئة رسمية، فرأوا فيه صيغة تكاد تكون عفوية، للقول السائد: صوت الشعب صوت الله»(١).

لا خلاف أن الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، ولكن يبدو من خلال هذا النص أن بعض المستشرقين يحاولون أن يستنهضوا الهمم لتمجيد الإجماع لرفع قيمته، حتى يمتلك سلطة تقرير الأحكام الشرعية وإن لم يعتمد على القرآن والسنة، ليصبح الإجماع صوت الشعب المعبر عن صوت الله.

فالإجماع عند بعض المستشرقين يعتبر طريقا مستقلا لتقرير الأحكام الشرعية، وهو دليل بشري يستطيع المسلمون من خلاله التغيير والإضافة في الشرع الإسلامي كما يعتقدون. وقد حاول (لويس غرديه)، و(ج. قنواتي) عقد مقارنة بين الإجماع عند المسلمين والكنائس البروتستنتية، فقالا عن الإجماع الإسلامي:

«إن أصحاب الإجماع من المسلمين الذين حدث لهم بإجماعهم أن يشتركوا فيما وعد به النبي أمته من عصمة، إنما يمثلون شعب المؤمنين حينئذ، ولا يمثلون الله، ولا ينطلقون من كونهم هيئة كهنوتية منظمة. حسبنا أن نقول إذن: إن الإجماع هو اتفاق الأمة ممثلة بعلمائها»(٢).

خامسا:الإجماع عند بوجينا غيانة تستشيجفسكا(٣):

ذكرت المستشرقة البولونية المجازة من جامعة الأزهر (بوجينا غيانة تستشيجفسكا) الإجماع ضمن مصادر التشريع في الإسلام، وعرفته بأنه:

---

(١) غرديه: لويس، قنواتي: ج، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: الشيخ الدكتور: صبحي الصالح، الأب الدكتور: فريد جبر،(٣ / ٢٠٠)، ط١، دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٦٧م.

(٢) غرديه: لويس، قنواتي: ج، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: الشيخ الدكتور: صبحي الصالح، الأب الدكتور: فريد جبر،(٣ / ٢٠٢).

(٣) يوجينا غيانة ستشيجفسكا: Bozena-Gajane stryzewska باحثة بولونية معاصرة، درست الاسلام في الازهر على يد اساتذة ومشرفين اخصائيين زهاء خمس سنوات (١٩٦١ - ١٩٦٥)، تمكنت خلالها من اللغة العربية كذلك، وكانت قد انهت دراساتها العليا في كلية الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا.
http://quran.maktoob.com/vb/quran/٤٩٨٠٨

«الإجماع: هو اتفاق المجتهدين على حكم من الأحكام، وهذا النـوع لا يحـدث الآن، ولكن في صدر الإسلام وحينما كان المجتهدون قليلين من معرفتهم ومعرفة آرائهم فإنه يمكن عندئذ تحقق الإجماع»[1].

والصواب أن الإجماع ليس مقصورًا على عصر الصحابة، بل هو مستمر متى ما توافرت شرائطه.

(١) تستشيجفسكا:بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)،(ص: ٢١ ــ ٢٢)، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م.

المبحث الثالث

مذهب المستشرقين في حجية الإجماع وأدلتهم

يعتقد بعض المستشرقين أن الإجماع حجة شرعية مستقلة لتقرير الأحكام الشرعية، وهو دليل شرعي بشري، بواسطته يستطيع المسلمون الإضافة أو التغيير في الدين حسب الرغبة. فالمستشرق جولد تسيهر اعتبر الإجماع وسيلة للتجديد في العالم الإسلامي، يقول جولد تسيهر: «وفي الحق أن هذا المبدأ المتبع ملحوظ عند مجددي الإسلام في عصرنا، فهو الباب الذي يجب بواسطته أن تنفذ إلى بناية الإسلام عوامل القوى الشابة»[(١)].

كذلك المستشرق ماكدونالد اعتبر الإجماع طريقة لخلق العقائد والسنن، فقال: «والحديث النبوي الذي يعتبر أساس الإجماع هو: ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)) يضاف إليه الآية ١١٥ من سورة النساء التي يتوعد فيها الله من يتبع غير سبيل المؤمنين)﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء: ١١٥ ، والآية ١٤٣ من سورة البقرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣، (انظر: شرح البيضاوي))، وعلى هذا فإنه يكون في مقدور الناس أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم وأعمالهم عقائد وسننا، لا أن يسلموا بما تلقوه عن طريق آخر فحسب»[(٢)].

وقال المستشرق برنارد لويس: «بعد موت الرسول ﷺ واكتمال نزول الوحي، تنص عقيدة أهل السنة على أن الإرشاد والهداية الإلهية انتقلت من الرسول إلى الجماعة الإسلامية ككل، وذلك حسب العبارة المنسوبة إلى الرسول (إن الله لا يدع أمتي تجتمع على خطأ) كذلك ينص قول آخر على عدم خروج الفرد عن الجماعة، وهذا المفهوم يعطي قيمة خاصة للخضوع والالتزام، ويجعل الخضوع ضمن الواجبات الدينية»[(٣)].

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ٥٤).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٤٣٩)، الدائرة الأولى.

(٣) لويس: برنارد، الإسلام والغرب،(ص:١٥٢)، ترجمة: قسم التأليف والترجمة بدار الرشيد، دمشق ـــ بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت ـــ لبنان ط١، ١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م.

دليل المستشرق ماكدونالد على حجية الإجماع:

يقول ماكدونالد:«وأعجب من هذا الاعتقاد بعصمة النبي قد جعل الإجماع ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل فحسب، بل غيَّر عقائد ثابتة وهامة جدًا تغييرًا تامًا، وعلى هذا فهو يعتبر اليوم عند الكثيرين ــ مسلمين وغير مسلمين ــ وسيلة فعالة للإصلاح. فهم يقولون إن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من الإسلام ما شاؤوا على شريطة أن يكونوا مجمعين على أن الآراء غير متفقة فيما يمكن أن ينتظر للإجماع»(١).

وهذا القول مبني على خطأ في مفهوم العصمة، فالنبي محمد ﷺ معصوم عن الخطأ في تبليغ الرسالة وليس له مخالفة النصوص الشرعية، لكن قد يخطئ وينبهه الشارع في بعض الأمور الاجتهادية، والعصمة التي تكلم عنها ماكدونالد ليست صحيحة بالنسبة لغير الرسول، لأن الناس غير معصومين عن الخطأ، والروافض هم الذين يعتبرون قول المعصوم حجة عندهم، والإجماع عندهم ليس حجة بدونه،، فهم لم يقولوا بالإجماع، وإنما يقولون بحجية قول المعصوم.

يقول ابن المطهر الحلي: «الإجماع إنما هو حجة عندنا لاشتماله على قول المعصوم، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها فإجماعها حجة لأجله، لا لأجل الإجماع»(٢).

والسلف الصالح لم يرد عنهم أنهم أجمعوا على مخالفة لأمر الله ﷻ و لم يتخذوا الإجماع وسيلة لتبرير معتقدات خاطئة لم يقرها الدين الإسلامي.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٤٣٩) (الدائرة الأولى).

(٢) تهذيب الوصول،(ص: ٧٠)، وأوائل المقالات،(ص: ١٥٣)، وحسين معتوق، المرجعية الدينية العليا،(ص: ١٦،نقلاً من: القفاري: د. ناصر بن عبد الله بن علي، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة،(١/ ٢٨٤)، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية ــ الرياض، ١٤١٦هــ.

المبحث الرابع

الغاية من الإجماع عند بعض المستشرقين

أولاً: المستشرق المجري اليهودي جولد تسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١م):

لم يتناول بعض المستشرقين دراسة الإجماع وفق المفهوم الإسلامي الصحيح، وظن هؤلاء أن الإجماع وسيلة للتوفيق والتقريب بين السنة النبوية الصحيحة والبدع المستحدثة، ويبدو أن بعضهم يحاول أن يجعل الإجماع ـ حسب تصورهم ـ سببًا لتطوير الشريعة بإدخال البدع والأعراف ضمن أحكام الدين الإسلامي.

فقد صور جولد تسيهر ومن تبعه من المستشرقين الإجماع عنصرًا من عناصر التقريب بين السنة والبدع المستحدثة.

قال جولد تسيهر: «إن فكرة الإجماع التي ثبتت قواعدها خلال هذا التطور الذي مرّ بالشريعة الإسلامية، أصبحت عنصرًا من عناصر التوفيق بين السنة والبدع المستحدثة، وذلك أن المسلمين إذا اتبعوا عادة من العادات، أو ألفوا تقليدًا من التقاليد، وارتضاه جمهورهم زمنا طويلا و لم ينكروه، أصبحت هذه العادة أو التقليد في النهاية جزءاً من صميم السنة. وقد ترتفع أصوات الفقهاء الورعين خلال بضعة أجيال مظهرين استياءهم وتذمرهم من هذه البدعة، غير أن هذه البدعة كلما طال الزمن عليها وانعقد إجماع المسلمين على اتباعها تعتبر مباحة، بل قد ينتهي الأمر بها إلى أن يشترط المسلمون مراعاتها، ويرون البدعة كل البدعة مخالفتها واطراحها؛ وإذًا يصِمون كل من يطالب بإعادة السنن القديمة وإحيائها بأنه مبتدع»[(١)] .

ثم ضرب مثالاً على ذلك بالمولد النبوي، كيف كان الاحتفال به بدعة ثم أصبح مباحا يشترك فيه رجال الدين، حتى أصبح لا يتطرق إلى ذهن مسلم أن يفكر بأن الاحتفال بدعة مستقبحة. وللأسف فشت هذه الفكرة بين كثير من المستشرقين.

قال المستشرق فاسيلييف: «وتجسدت في السنة التقاليد الثابتة، إلا أن تغير ظروف الحياة استوجبت تغيير العادات وتغيير التقاليد على أثرها. ويجري تكييف الإسلام للواقع المتغير عن

---

(١)، تسيهر: أجناس جولد العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٢٢٦).

طريق تبريك التقاليد الجديدة، وإثبات مطابقتها للسنة، ويتحقق ذلك بواسطة إجماع الفقهاء أو بواسطة القياس.

أما المستجدات التي لم يرد ذكرها في الأحاديث الصحاح فتنعت بالبدع، وتبقى البدعة على طرفي نقيض مع السنة، مالم يتم الإجماع عليها، وتعني البدعة رأيا، أو شيئا، أو عملا لم يكن معروفا في السابق، أو لم تنجر العادة على ممارسته.

وهكذا كان تبريك البدعة وتحويلها إلى حديث هو جواب الدين الإسلامي على تغيير الحياة الإجتماعية والاقتصادية وهو رد فعل الإسلام على الواقع المحيط به وتكيفه لمتطلبات المكان والزمان»[(١)].

ثانيا: المستشرق جوستاف. أ.فون جرونيباوم:

أما المستشرق جوستاف. أ.فون جرونيباوم في كتابه حضارة الإسلام فقال:

«فالإجماع هو الذي يستطيع أن يتقبل بدعة من البدع كانت تعتبر في البداية زندقة، فإذا هي جزء لا يتجزأ من السنة، قد تغلبت على ما يعترض طريقها من الآراء التقليدية»[(٢)].

ونجد أيضاً المستشرق (دومينيك سورديل) تبع بعض المستشرقين في قولهم بأن الإجماع وسيلة للتوفيق والتقريب بين السنة النبوية الصحيحة والبدع المستحدثة.

قال (دومينيك سورديل): «أن الشافعي (المتوفى سنة ٨٢٠) صاحب المدرسة الثالثة قد حد إلى حد كبير من نصيب القياس. فبعد القرآن والسنة لجأ إلى الإجماع الذي حاول إعطاءه تحديدا دقيقا: إجماع الفقهاء الأئمة في فترة معينة، وعلى قضية محددة. إن هذا الإجماع القائم على حديث:(لا تجتمع أمتي على ضلالة) أدى دورا هاما في تطوير الشريعة والعقيدة الإسلاميتين. بما يتيح أن يتحول إلى سنة يسير عليها جميع المسلمين، رغم اعتباره حتى ذلك الوقت بدعة: وهو الذي أكد نص القرآن، وكتب الحديث الستة المعتمدة، وعيد المولد النبوي، وتراث الصحابة. ولم يقبل الشافعي مبدأ القياس إلا في دائرته الرابعة، في الحالات التي

---

(١) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية،(ص: ٧٩)، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة) الترجمة إلى اللغة العربية: دار التقدم، ١٩٨٦، طبع في الاتحاد السوفييتي، موسكو.

(٢) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، ص:(١٩٢) .

لم يتعرض لها القرآن والسنة والإجماع، مع بعض التقييدات.. ثم يقول (دومينيك سورديل) في حديثه عن تقديس الأولياء: هي بدعة فرضت نفسها بوصفها ممارسة شرعية نتيجة للإجماع، بعد أن انتشرت بسرعة بين عامة الشعب. إن ما تتضمنه هذه البدع من ورع في العبادة أدى إلى اندماجها بالتقاليد الدينية»[1].

نقد النصوص:

أولاً: إن نسخ الإجماع للكتاب والسنة كما يدعي (دونكان بلاك ماكدونالد ١٨٦٣ ــ ١٩٤٣م) لم يقل به أحد من علماء المسلمين ممن يعتد برأيهم، مما يدل على جهل بعض المستشرقين بالشريعة الإسلامية لأن الإجماع لا يستقل بنفسه في الحكم، فهو يستمد صحة دلالته من الكتاب والسنة، كما أن النسخ خاص بنبينا محمد ﷺ حسب ما يوحى إليه من ربه.

والإجماع يأتي في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة، ويكون مستنده من القرآن والسنة، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء المسلمين.

فالإجماع لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون حاكمًا على القرآن والسنة كما يتصور بعض المستشرقين، مما جعلهم يعطون الإجماع سلطة عليا، وهذا ناتج عن قصورهم في فهم الإجماع عند الأصوليين ومكانته.

ثانيًا: بالنسبة لمحاولة بعض المستشرقين التوفيق بين السنة والبدعة، فهو يكاد يكون ناتجا من عدم التفريق بين السنة والبدعة، واعتقادهم أن التوفيق بين السنة والبدعة من مهام الإجماع الأساسية، ونحن ندرك أن السنة ضد البدعة، فكيف يمكن التوفيق بينهما؟كما أنه يستحيل أن تتحول البدعة مع طول الزمن إلى سنة مجمع عليها، فكيف يكون ذلك والإجماع لا ينعقد إلا باتفاق المجتهدين في عصر من العصور بعد وفاة النبي محمد ﷺ على أمر شرعي، فاعتياد الناس على أمر من الأمور مع مرور الزمن لا يعد إجماعا!

والهدف من ذلك الادعاء واضح، حتى يصبح الإجماع منفذًا مباشرًا لدخول البدع، وعنصرًا من عناصر التجديد في الفقه الإسلامي حتى يسلم لبعض المستشرقين دعواهم بتطور

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٩٦)، ترجمة: سليم قندلفت.

الشريعة الإسلامية وفق المنهج التطوري الذي ينادون به.فالإجماع عند بعض المستشرقين عنصر من عناصر التقريب بين السنة والبدع المستحدثة، وهو عنصر مضاف إلى التشريع الإسلامي دعت الحاجة إليه بسبب قصور في الكتاب والسنة ــ كما يزعمون ــ عن مسايرة مستجدات العصور.

وهذه النظرة بالطبع خاطئة؛ لأن الدين الإسلامي دين كامل لقول الله تعالى تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ المائدة: ٣ .

والإجماع الشرعي يقوم على أساس القرآن والسنة،ووفق أسس ثابتة، والإجماع الذي يقوم على أدلة غير شرعية لا اعتبار له عند فقهاء المسلمين.

والحق أن ذلك من قبيل منهج أهل الأهواء، الذين من سماتهم التلبيس على الناس، ومن التلبيس جعلهم السنة بدعة، والبدعة سنة، وإلحاق بعض بدعهم بأمور مشروعة عن جهل أو هوى، والجاهل والمبتدع لا يمكنه أن يعتقد أن ماابتدعه بدعه بل يلحقها بالمشروعات، ثم يكون لمثل هؤلاء مقلدون يحتجون ببدعهم ويتركون الاحتجاج بالشرع، ويغفلون عن الحكم الصحيح.

وهؤلاء ليسوا على حق، لذا ظن بعض المستشرقين أن مثل هذه البدع التي استحسنها بعض الناس كالاحتفال بالمولد النبوي، والتوسل بالأولياء، بدعة تحولت بعد الإجماع إلى سنة.

وقد أخطأ بعض المستشرقين في فهم المعنى الصحيح للبدعة على خلاف تعريفها عند علماء المسلمين.والبدعة كما عرفها الشاطبي:

«طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»(١).

فالطريقة المخترعة في الدين ليس لها أصل في الشرع، وصاحب البدعة يخترعها ليضاهي بها السنة، حتى يكون ملبسا على الغير، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة، وينصر المبتدع بدعته بدعوى الاقتداء بالغير، ويقصد بتشريعها العبادة وهو بذلك قد نزل نفسه منزلة

---

(١) الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي،(١ / ٥٠)

المضاهي للشارع الحكيم، وهذا أيضا من قبيل اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الجاثية: ٢٣ ، ودعوى الاحتفال بالمولد النبوي، والتوسل بالأولياء بدعة في الدين، لم يقل أحد من أتباع السلف الصالح ممن يقتدي بمنهج السلف بشرعيتها.

ثالثًا: ألفريد جيوم (غيوم ١٨٨٨ ـ ١٩٦٢م):

ادعى غيوم أن الإجماع لدى المسلمين مدخل ومبرر لتلفيق الأحاديث، ونسبتها لرسول الله ﷺ. كما زعم غيوم أن سلطة الإجماع عند المسلمين تعادل سلطة المجامع الكنيسية[(١)].

وهذا التصور الخاطئ لدى غيوم وغيره من المستشرقين لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال؛ لأن علماء المسلمين وفقهاءهم ومحدثيهم لا يجتمعون على توثيق الضعيف من الأحاديث، بل المقصود إجماع أصحاب الحديث على الحكم على الحديث من حيث مرتبته في الضعف والقوة، وفق مناهج علماء الحديث في تحقيق المتن والسند. إذا الإجماع الصحيح لا يمكن أن يكون مبررًا لتلفيق الأحاديث، ونسبتها للرسول محمد ﷺ ثم إن سلطة المجامع الكنسية تمتلك مطلق الحرية في التشريع الديني للمسيحيين، وهذا بدوره يختلف عن سلطة الإجماع عند المسلمين، إذ إن الإجماع عند المسلمين هو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، لا ينسخ القرآن أو الحديث، ولايمكن الاستناد على الإجماع لتلفيق الأحاديث النبوية.

رابعا: السير هاملتون جيب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م):

يقول هـ. أ. ر. جيب للتشكيك في صحة الحديث النبوي...«على أنه ليس ثمة من مجال كبير للشك في أن المجموعات المعتمدة من الأحاديث التي تم جمعها في القرن الثالث تمثل بصورة جوهرية آراء جمهور فقهاء السنة خلال الأجيال الثلاثة أو الأربعة الأولى، ويكاد

(١) انظر: طـه: د. عزية علي، مقال بعنوان:(من افتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين في العناية بمتون الأحاديث)،(ص: ٣٤٤ ــ ٣٤٦)، مجلة البحوث الإسلامية.

يكون من المؤكد أن الآراء التي تعبر عنها تلك الأحاديث تمثل تعاليم القرآن ومبادئه الخلقية تمثيلاً صادقًا.

وكان فقهاء المسلمين الذين قاموا بهذا الدفاع عن الوحدة في وجه الانحرافات الهدامة لا يزالون يشعرون بأن أسس دفاعهم مصطنعة، وأن وسائل الدراسة التي استخدمتها علوم الحديث إنما وضعت لتأييد صحة البناء كله بمعايير شكلية. وهذا لم يكن كافيًا. ولذلك فإنهم استجابة للنزعة العامة في الفكر السني، دعموا تلك الأسس بمبدأ ينص على أنه إذا أجمع الفقهاء المجتهدون على مسألة كبرى من مسائل العقيدة، أو الفقه، فإن إجماعهم حاسم قاطع، وإثارة الجدل من حول تلك المسألة المجمع عليها مروق وضلال. أما المسائل الصغرى فلا مانع من الاختلاف حولها نظريًا وعمليا»(١).

نقد النص:

حذر النبي محمد ﷺ من الكذب عليه، وتوعد من يكذب عليه بعذاب النار يوم القيامة، قال ﷺ:((من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار))(٢).

ولم يكتف المحدثون بتحاشي الكذب عليه، بل إنهم اتبعوا مناهج رصينة لتمحيص متون الأحاديث، والاعتناء بأسانيدها، والتشدد في ذلك، والتصدي للوضع والوضاعين، وكشف مخططاتهم، وأفردوا لذلك مصنفات خاصة، فكيف يقول هؤلاء المستشرقون بأن «المجموعات المعتمدة من الأحاديث التي تم جمعها في القرن الثالث تمثل بصورة جوهرية آراء جمهور فقهاء السنة خلال الأجيال الثلاثة أو الأربعة الأولى.؟!»(٣). وعليه فلا يعقل أن تكون الأحاديث النبوية هي في مجموعها آراء فقهاء السنة خلال الأجيال الثلاثة أو الأربعة الأولى!

---

(١) جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفورد شو، وليم بولك،(ص: ٢٠، ٢١)، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد.

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب العلم ــ باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ج١ / ٢٠٢، ح (١١٠) ومسلم في المقدمة ج١/ ١٠)، وهو من الأحاديث المتواترة.

(٣) جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفورد شو، وليم بولك،(ص: ٢٠، ٢١)، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد.

ثم كيف يعطون الإجماع مرتبة السلطة العليا في الحكم على المسائل الكبرى كما يدعون بقولهم:«استجابة للنزعة العامة في الفكر السني، دعموا تلك الأسس بمبدأ ينص على أنه إذا أجمع الفقهاء المجتهدون على مسألة كبرى من مسائل العقيدة أو الفقه فإن إجماعهم حاسم قاطع، وإثارة الجدل من حول تلك المسألة المجمع عليها مروق وضلال»[1]. فالإجماع ليس له سلطة المجامع الكنسية التي تمتلك السلطة المطلقة في التشريعات الدينية كما يظنون، بل له شروط وأحكام خاصة بما لا يتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية.

وخاتمة القول أنه لا يمكن أن يكون الإجماع سببًا في دخول البدع كما يعتقد بعض المستشرقين، وليس مصدرًا مضافًا للتشريع الإسلامي دعت الحاجة إليه من قصور في الكتاب والسنة لمواكبة العصر والتطورات المستجدة مستفيدا من القانون الروماني لحل المسائل المتنوعة المستجدة.بل إن الإجماع يعتمد على القرآن والسنة، وبدون دليل من القرآن والسنة فلا وزن له ولا اعتبار.

---

(١) جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفورد شو، وليم بولك،(ص: ٢٠، ٢١)، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد.

الفصل الرابع

موقف المستشرقين من منزلة العقل ومنزلة الفطرة عند أهل السنة والجماعة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف المستشرقين من منزلة العقل عند أهل السنة والجماعة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:تعريف العقل.

المطلب الثاني:مكانة العقل في الإسلام.

المطلب الثالث:تقديس العقل عند المعتزلة وأثره على المستشرقين في الدراسات الإسلامية.

المطلب الرابع:العقلية الإسلامية بين الأصالة والتقليد في نظر بعض المستشرقين.

المبحث الثاني:موقف المستشرقين من منزلة الفطرة عند أهل السنة والجماعة.

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول:تعريف الفطرة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني:التوحيد أساس الفطرة.

أولا:دلالة الفطرة على توحيد الربوبية.

ثانيا: دلالة الفطرة على توحيد الأسماء والصفات.

ثالثا: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية

المبحث الأول

موقف المستشرقين من منزلة العقل عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: تعريف العقل:

١- معنى العقل في اللغة:

قال ابن منظور: عقل يعقل عقلا ومعقولا وهو مصدر..وعقل البعير يعقله عقلاً.. والجمع: عُقُل...والعقال: الرباط الذي يعقل به.ويقال لفلان قلب عقول، وقلب عقول: أي فهيم، وعقل الشيء يعقله عقلا:أي فهمه[١].

٢- معنى العقل في الاصطلاح:

اختار الدكتور عثمان بن علي حسن تعريفًا جامعًا لمعنى العقل في المعنى الاصطلاحي، فذكر أن: «العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم»[٢].

ثم شرح هذا التعريف بعد الرجوع لعدة مصادر مثبتًا أن تعريف العقل بذكر بعض معانيه ليس بتعريف جامع، والصواب ذكر معانيه مجتمعة، فقال بأن معنى الغريزة المدركة:هي الغريزة التي في الإنسان، فبها يعلم ويعقل، وهي فيه كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان،وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان. أما العلوم الضرورية: فهي التي تشمل جميع العقلاء كالعلم بالممكنات، والواجبات، والممتنعات، والفلاسفة عرفوا العقل بها، أما العلوم النظرية: وهي التي تحصل بالاستدلال، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جلي وواقع.أما الأعمال التي تكون بموجب العلم فهي الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها عل الحسن. ثم علق قائلا: وفي كل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأنه جوهر قائم بنفسه، خلافا للفلاسفة ومن شايعهم من المتكلمين، بل العقل صفة

---

(١) انظر: ابن منظور،لسان العرب، المجلد الرابع، الجزء السادس والثلاثون،(٣٠٤٦ ــ ٣٠٤٧)

(٢) حسن: عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة،(١/ ١٥٨)، ط٢، مكتبة الرشد ــ الرياض ١٤١٣هــ/ ١٩٩٣م.

أو عرض ــ عند من يتكلم بالجواهر والأعراض ــ يقوم بالعاقل، وكونه صفة يمنع كونه أول المخلوقات، لأن الصفة لا تقوم بنفسها[١].

وقد اختلف أهل العلم في مكان العقل:منهم من خص محله بالدماغ، ومنهم من جعل محله القلب،قال ابن تيمية: «والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب.

والعقل يراد به العلم، ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة، وأصل الإرادة القلب، والمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصورا، فيكون منه هذا وهذا، ويبتدئ ذلك من الدماغ، وآثاره صاعدة إلى الدماغ، فمنه المبتدأ وإليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح»[٢].

(١) انظر:حسن: عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة،(١/ ١٥٨ ــ ١٦٠)

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٩/ ٣٠٣ ــ ٣٠٤).

المطلب الثاني: مكانة العقل في الإسلام:

خلق الله الإنسان، وكرمه على كثير من خلقه، وميزه بالعقل المفكر، وهذه من نعم الله ــ تعالى ــ على الإنسان، إذ وهبه عقلاً يميز به بين الخير والشر، ويكون سببًا من أسباب سلوك طريق الهداية إذا اعتصم بشرع الله، وقد أثنى الله ــ تعالى ــ على أرباب العقول، وخصهم بالخطاب في كثير من آيات القرآن الكريم،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ البقرة: ١٧٩ . وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧ .

كما حث الإسلام على التفكر والتدبر،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠ ــ ١٩٢.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣. وفي المقابل ذم الله المعرضين عن التدبر والتفكر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يوسف: ١٠٥ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢٢.

والعقل له مكانته في العقيدة الإسلامية،والقرآن يناقش ويقيم البراهين والأدلة العقلية، وقد استفاضت الآيات القرآنية في الحث على استخدام العقل في البصيرة والفهم، والحكم على الأمور العلمية والفكرية والدينية.

كما ذم الإسلام التقليد، واتباع الغير دون دليل، لأن في التقليد تعطيلاً لنعمة العقل الإنساني؛ لأن المسلم لا بد أن يبني عقيدته على العلم واليقين، لا على الجهل والتقليد.

وقد علق الإسلام مدار التكليف على وجود العقل، فمن حرم نعمة العقل ـــ كالمجنون ـــ مثلاً فإنه لا يكلف بالأحكام الشرعية. كما أطلق الإسلام العنان للعقل ليتدبر ويتفكر في هذا الوجود مما يقع تحت حواسه، أما ما غاب عنه مما لا يمكنه الوقوف على حقيقته، فإنه لا يشغله بالبحث عنه، لأن ذلك من مسببات الحيرة التي لا توصل إلى أي نتيجة، نحو: التفكر في كنه ذات الله؛ لأن الله أعظم من أن تحيط به العقول، أو تدركه الأبصار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ طه: ١١٠ ، وكذلك البحث في دقائق القدر، وطلب أسراره مما لا يدركه العقل؛ لأن في ذلك مضيعة للأوقات، وضلالاً للأفهام، فكل ماستأثر الله بعلمه من المغيبات، وكل ما طوى الله عنا خبره، فالبحث فيه مما لا تدركه العقول، وكل ماكان كذلك فإن الشرع ينهى عنه، ويوجه العقل لما فيه صلاحه(١).

فالعقل الإسلامي يقوم على اليقين والطمأنينة، لأنه اعتمد على طريق الحق واليقين، وهو الخبر الصادق عن الله تعالى بواسطة الوحي، كما اعتمد على التجربة والبرهان التي تجمع بين الحس والعقل في الوصول إلى المعرفة.

فالعقل الإنساني مصدر من مصادر المعرفة، لكنه ليس مصدرًا مستقلا، بل يحتاج إلى تنبيه الشرع؛ لأنه عاجز عن تفسير الوجود، وعقل الإنسان المسلم استنار بالمنهج القرآني الذي ربط بين العقل والحواس والوحي لتحقيق اليقين والإيمان، والطمأنينة في النفس. بخلاف الإنسان الملحد الذي آمن بمقومات الفكر المادي الغربي، والذي يقوم على إعلاء شأن العقل، مع عجزه عن تفسير الحقائق، لأنه عقل يرفض الغيبيات، ويقر بالمحسوس، وعقل يقبل العلم، ويرفض الدين، وبهذا نشأ الفصل بين الدين والدنيا، وأصبح المنهج العلمي الغربي قائمًا على المحسوسات،واصطبغ بصبغة المنهج المادي.

من هنا أصبح المسلم صاحب منهج علمي متكامل؛ لأن الإسلام ليس دين عبادة فقط،بل هو منهج شامل من ناحية الاعتقاد والنظم والأخلاق.

---

(١) انظر: الغصن: سليمان بن صالح بن عبد العزيز، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة(عرضًا ونقدًا)، (١/ ٢٦١ ـــ ٢٨٠).

المطلب الثالث:

تقديس العقل عند المعتزلة وأثره على المستشرقين في الدراسات الإسلامية:

بعد اتساع رقعة الإسلام، واتصال المسلمين بغيرهم من الأمم، انتقلت للمسلمين الثقافة الأجنبية عن طريق الحديث الشفوي، ثم تطورت حتى وصلت إلى مرحلة النقل والترجمة بتشجيع من خلفاء بني العباس المهتمين بتبني الفكر الاعتزالي،وقد مجد المعتزلة سلطان العقل وجعلوه هو الحاكم في الأمور الاعتقادية،واستظل المعتزلة بالسلطة العباسية التي وقفت معهم، وألزمت خصومهم بتقبل آرائهم، ومن أخطر مفاهيم المعتزلة (القول بخلق القرآن) التي بدأت رأيا ثم انتشرت بمؤازرة السلطة وامتحن لأجله العلماء والفقهاء، وقد اعتنق هذه الفكرة (المأمون ١٩٨ ــ ٢١٨هــ)وحملها على رقاب الناس، وتبعه المعتصم والواثق، ورأى المأمون أن مما يساعد على نصرة رأيه في القول بخلق القرآن ترجمة الكتب اليونانية الخاصة بالإلهيات[١]، ومن المعلوم أن من الخلفاء العباسيين من قاوم بدعة الاعتزال والقول بخلق القرآن وعاقبوهم قتلا بالسيف، مثل:(المهدي بن منصور ١٥٨ ــ ١٦٩هــ) و(الرشيد ١٧٠ ــ ١٩٢هــ) و(الأمين بن هارون ١٩٣ ــ ١٩٨هــ)[٢]، ومن أبرزهم في مقاومة بدعة خلق القرآن، الخليفة العباسي ناصر السنة وقامع البدعة (المتوكل ت ٢٤٧هــ) الذي خالف أباه وأخاه الرأي في مسألة القول بخلق القرآن، واضطهد أصحاب الرأي والمشتغلين بالفلسفة؛ بالتالي ضعف الإقبال على ترجمة العلوم جملة، وعلى ترجمة الفلسفة بالخصوص[٣].

وقد حاول بعض المستشرقين الإشادة بدور المعتزلة الذين غالوا في تقديس سلطان العقل ورفعوا من قدره، وأعلنوا أن منهجهم هو أصدق المناهج التي عرفها الفكر الإسلامي،

---

(١) محمود: عبد الحليم، التفكير الفلسفي في الإسلام،(ص: ١٨١ ــ ٢٨٢)، ط١، منشورات الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧٤م.وانظر:مدكور:د. إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيق) ،(٢/ ٧٧)، ط٢، سميركو للطباعة والنشر ــ مصر من منشورات مكتبة الدار الفلسفية، بدون تاريخ.

(٢) للاستزادة،انظر:جار الله: زهدي حسن، المعتزلة،(١٦٠ ــ ١٦٢)، منشورات النادي العربي في يافا، مطبعة مصر ــ القاهرة ١٣٦٦هــ ــ ١٩٤٧م.

(٣) انظر:البهي:د. محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي،(ص: ٢٣٩)، ط٤، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٧م.

والمعروف أن المعتزلة قد استخدموا الفلسفة اليونانية، التي رفعت من قدر العقل، ودعوا إلى تحكيم العقل في كل أمور الإسلام(١).

فانطلق بعض المستشرقين من فهمهم السيئ للدين ظنًا منهم أن الدين يهاجم العقل وحرية الفكر، معتبرين الفلسفة اليونانية هي التي تمثل العقل وأن المسلمين لم يعرفوا التفكير إلا عن طريق الاحتكاك بها، وقد ذكر المستشرق دي لاسي أوليري أثر الفلسفة اليونانية على (واصل بن عطاء ت١٣١هـ)(٢)، مؤسس فرقة المعتزلة، فقال:

«وتعود هذه المؤثرات عند واصل إلى الفلسفة اليونانية»(٣).

ولم يدركوا أن أتباع السلف الصالح ردوا الفلسفة اليونانية لفسادها، ونهوا الناس عن تعلمها، وحذروا منها، وألفوا من أجل ذلك الكتب التي تحرم النظر في كتب المتكلمين(٤). كما وقف كثير من العلماء ضد الفلاسفة والمتكلمين، مثل:الشيخ:أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث قام بمناقشة الخصوم، ورد البدع إلى أصولها التاريخية، وتفنيدها في كثير من مؤلفاته(٥).

وبعض المستشرقين مثل المتكلمين الذين يجعلون الأدلة العقلية عمدهم، ويكثرون من الاستدلال بالعقليات حتى في الأمور الغيبية.

---

(١) انظر:مقدمة كتاب (جار الله: زهدي حسن، المعتزلة، من منشورات النادي العربي في يافا، مطبعة مصر ـ القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.) فقد أشاد المستشرق البريطاني أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لندن، (الدكتور الفرد جيوم) في مقدمة الكتاب، صفحة (ط) بعمل الأستاذ: زهدي جار الله، الذي قام بإبراز دور المعتزلة العقلي لحث الهمم على العناية بهم والإقبال على دروسهم كما صرح بذلك في مقدمة كتابه.

(٢) هو واصل بن عطاء الغزال، ولد سنة ٨٠هـ،وتتلمذ على يد الحسن البصري، وفارقه عندما خالفه في القول بحكم صاحب الكبيرة، فقال: في المنزلة بين المنزلتين، فاعتزل مجلس الحسن البصري، فقال الحسن: اعتزلنا واصل فسمي هو وأصحابه بالمعتزلة.(انظر: الزركلي، الأعلام،(٨ / ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ٦٧)

(٤) انظر مثلا: ابن قدامه، تحريم النظر في كتب الكلام، تحقيق: عبد الرحمن بن سعيد دمشقية، ط١، دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

(٥) منها: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض التأسيس، والرد على المنطقيين وغير ذلك من الكتب والرسائل.

لذلك اتهم بعض المستشرقين الإمام أحمد بتعطيل العقل، حيث يقول المستشرق دي لاسي أوليري: «اكتفى أحمد بن حنبل في رده على رجال المأمون في مناظرتهم إياه بذكر آيات من القرآن أو الحديث، ورفض استنتاج أية نتائج من هذه الآيات، كما أنه رفض كل النتائج التي تترتب عليها، مكتفيًا بالصمت حين كانت تقدم إليه الحجج العقلية، معترضًا على ذلك بأن تحقيقًا علميًا كهذا إنما هو بدعة بالنسبة للاعتقاد الديني»[(١)].

وهذا خلاف منهج السلف الذين قدموا النقل على العقل، وجعلوا للعقل حدًا يقف عنده، خاصة في الأمور التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق السمع، نحو: المسائل الغيبية التي يعجز العقل عن إدراكها، وهذه نقطة الخلاف بين المعتزلة وبين أتباع المنهج السلفي.

علمًا أن أتباع المنهج السلفي لم يهملوا العقل و لم يعطلوه؛ ولكنهم وضعوا له حدودًا وضوابط لا يتعداها، ولكن بعض المستشرقين ظنوا أن المسلمين أهملوا العقل بسبب سيطرة العلوم الدينية عليه،فقد كتب (أر ثور سعدييف)و (توفيق سلوم) في مؤلفيهما: الفلسفة العربية الإسلامية ما نصه: «إن العلماء المسيحيين، الذين نقلوا التركة الفلسفية اليونانية إلى زملائهم من المسلمين، قد تقاسموا وإياهم ــ كما هو متوقع ــ خبرة التكيف المتبادل بين الدين والفلسفة، وكذلك مختلف الحجج الدالة على مشروعية الاشتغال بالفلسفة....فساعدوا في ترسيخ (العلوم العقلية) في مجتمع تسيطر فيه (العلوم النقلية) الدينية»[(٢)].

وبالرغم من أن المتكلمين رفعوا من قيمة العقل، وعمدوا إلى التسلح بالآيات القرآنية الداعية إلى التأمل والنظر، وبعض الأحاديث المروية في امتداح العقل، والثناء عليه،ومن أشهرها:

(١) أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ١٨٠ ــ ١٨١)

(٢) سعدييف: أرثو، سلوم: توفيق، الفلسفة العربية الإسلامية(الكلام والمشائية والتصوف) (ص: ١٥ ــ ١٦).

(حديث العقل): «لما خلق الله العقل قال له: أقبل. فأقبل، ثم قال له: أدبر. فأدبر، فقال: ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي»[١] .

وغير ذلك من الأحاديث؛ إلا أن حجتهم واهية لأن الأحاديث التي تتكلم عن منزلة العقل وفضله كلها موضوعة، كما نبه عليها العلماء[٢].

والعقل عند المعتزلة وأتباعهم مقدم على الكتاب والسنة، وحجتهم في ذلك: أنه ثمة إله أنزل الكتاب، وبعث الرسول، والعلم بذلك لا يأتي إلا من طريق العقل، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «فالدلالة أربعة: حجة العقل، والكتاب،والسنة، والإجماع؛ ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل»[٣].

وسار على هذا الدرب الأشاعرة ومن وافقهم من الطوائف، فقالوا: بأن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر، وأن أول ما أوجب الله على العبد معرفته: النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله[٤].

والصحيح الذي عليه جمهور المسلمين أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان المتضمنتان توحيد الله، وإفراده بالعبودية، والإقرار بالخالق أمر فطري ضروري في نفوس

---

(١) استشهد بهذا الحديث الضعيف محمد أركون فيما كتبه عن (مفهوم العقل الإسلامي) معقبا على ذلك بقوله:" هكذا نرى العقل يبدو متعاليا وخاضعا لتحديات كلام الله المعنوية وإكراهاته في آن معا.(أركون: محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي،(ص: ٦٥)، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، (منشورات مركز الإنماء القومي،بيروت، والمركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء، ١٩٩٦م) .

(٢) انظر: الجوزية: ابن قيم، المنار المنيف في الصحيح والضعيف،(ص:٦٦)، وأحاديث العقل الموضوعة في كتاب:الكناني: أبو الحسن علي بن محمد بن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة،(١/ ١٧٥)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، ط١، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٩هــ (وانظر:الشوكاني: محمد بن علي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،(ص: ٤٧٥ ــ ٥٧٩)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،ط٢، ١٣٩٢هــ)

(٣) المعتزلي: القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،(ص: ٨٨)، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، ط٢، منشورات مكتبة وهبة ــ القاهرة رمضان ١٤٠٨هــ / إبريل ١٩٨٨م.

(٤) انظر: ابن تيمية، الشيخ أحمد،درء تعارض العقل والنقل،(٧ / ٣٥٢ ــ ٣٥٣)

الناس[١]. كما وصل بالمعتزلة تقديسهم للعقل بأن قالوا أن العقل قادر على التمييز بين الحسن والقبيح قبل ورود الشرع.

قال زهدي جار الله: «إن شغف المعتزلة بالفلسفة وتأثرهم الشديد بها، جعلهم.. يعظمون العقل البشري، ويؤمنون بقوته، ويثقون بمقدرته على إدراك الأشياء والمفاضلة بين الأمور. ولقد أدى بهم ذلك إلى وضع قاعدتهم المشهورة في المعارف ــ knowledge ــ وهي: (الفكر قبل ورود السمع) فالمعتزلة جميعا متفقون على أن الإنسان العاقل قادر بعقله قبل ورود الشرع على التمييز بين حسن الأشياء وبين قبحها، قادر على التفريق بين الخير وبين الشر، قادر فوق ذلك على معرفة الله تعالى، وإن قصَّر في تلك المعرفة استوجب العقوبة أبدا»[٢].

قال المستشرقان (لويس غرديه) و(ج. قنواتي[٣]) في حديثيهما عن استخدام العقل: «لقد أثبت المعتزلة أن في الأمر نظرا عقليا محضا: فليس للعقل أن يرتفع إلى الله بتكليف شرعي، بل بما تمليه عليه طبيعته عقلا»[٤].

وهما بذلك يشيران إلى قضية التحسين والتقبيح العقليين، وقد صرحا بذلك في موضع آخر بقولهم: «لم يتردد المعتزلة، الذين يتصورون العقل هاديا من الباطن، يميز الإنسان بين الخير والشر، في أن يعدوا هذا العقل حكما أيضا في الشريعة، بل معيارا لها»[٥].

ومن المعلوم أن حسن الصدق، وقبح الظلم ــ يمكن إدراكه بالعقل، وهو أمر مركوز في الفطرة، لكن خطأ المعتزلة وقع في ترتيب التكليف والعقاب على ما يدرك بالعقل، ولو لم يرد

---

(١) انظر: ابن تيمية، الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (١٦/ ٣٢٨)

(٢) جار الله: زهدي حسن، المعتزلة، (ص: ١٠٧).

(٣) هو الأب جورج شحاته قنواتي من أصل سوري، من الآباء الدومنيكان، ولد في الإسكندرية سنة ١٩٠٥م وتوفي سنة ١٩٩٤م، تعلم بالإسكندرية، ودرس الصيدلة في جامعة سان جوزيف في بيروت ثم ليون، انتقل إلى المعهد الدومنيكاني في الجزائر، وتعرف على عدد كبير من المستشرقين الفرنسيين، تم تكليفه من قبل (اليونسكو) بوضع دراسة عن الاتجاهات الفكرية المعاصرة في العالم العربي. (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون، ط٤، (٣/ ٢٧٠ ــ ٢٧٣).

(٤) غرديـه: لويس، قنواتي: ج، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: الشيخ الدكتور: صبحي الصالح، الأب الدكتور: فريد جبر، (٣ / ١٠٢).

(٥) غرديـه: لويس، قنواتي: ج، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: الشيخ الدكتور: صبحي الصالح، الأب الدكتور: فريد جبر، (٣ / ١٠٤)

به الشرع، فأوجبوا على الله بعقولهم أشياء لا يجوز أن يخل بها، كاللطف، والصلاح، والأصلح، والثواب على الطاعة، والعذاب على المعصية، ووجوب التعويض عن الآلام، ومنع تكليف مالا يطاق، وخلق أفعال العباد، وغير ذلك(١).

ولاشك أن هذا الإيجاب العقلي من المعتزلة على الله باطل، لأنه يلزم عليه أن يكون هناك موجب فوق الله، أوجب عليه شيئا، ولا موجب عليه ﷻ ، كما يلزم عليه ألا يكون ــ تعالى ــ فاعلا مختارا(٢).

والسؤال: ماذا استفاد بعض المستشرقين من تبني إبراز دور العقل عند المعتزلة؟ وهل له علاقة بالمنهج العقلي الشكي الذي طبقه كثير من المستشرقين في دراساتهم الاستشراقية بتطبيق بالمنهج العقلي الذي قدمه (رينيه ديكارت ١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م(٣)) والذي تتركز فلسفته على أن درجة اليقين في ماهية الأشياء لا تتحقق بالحواس، بل بالعقل؟(٤) .

ومن أمثلة ذلك ما كتبه المستشرقان: جون هرمان راندال(الابن) و(جوستاس بوخلر) عن (رينيه ديكارت ١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م) في بحثه (قواعد لتوجيه العقل) فذكرا أنه في القاعدة الثالثة يصف ديكارت عمليات التوصل إلى المعرفة اليقينية فيقول:«سنلحظ هنا جميع العمليات العقلية التي نقدر بواسطتها، بدون أي خوف من الخداع أن نصل إلى معرفة الأشياء.أُسَلِم الآن باثنتين هما: الحدس والاستنتاج، والحدس حسب مفهومي ليس شهادة الحواس المتأرجحة، ولا الحكم المضلل الذي يتأتى عن تركيبات المخيلة المتخبطة، بل هو

---

(١) انظر: المعتزلي: القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،(ص: ١٣٣)، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر ٦٩١ ــ ٧٥١هـ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي،(١/ ٦٦)،ط٢، دار الكتاب العربي ــ بيروت ١٣٩٣هـ ــ١٩٧٣ م، وانظر: المعتق: عواد بن عبد الله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منه،(ص: ١٦٠)، ط١، دار العاصمة ــ الرياض ١٤٠٩هـ.

(٣) ديكارت فيلسوف فرنسي، يعد رائد الفلسفة في العصر الحديث، وكان رياضيا ممتازا، وابتكر الهندسة التحليلية، من كتبه: مقال في المنهج، تأملات في الفلسفة الأولى.(انظر: كرم: يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة،(ص: ٥٨ ــ ٦٥، مكتبة الدراسات الفلسفية ــ ط٥، دار المعارف ــ القاهرة (بدون تاريخ).

(٤) انظر: ديكارت: رينيه، التأملات في الفلسفة الأولى،(ص: ٥٢ ــ ٥٦)، حيث قدم ديكارت وجهة نظره الفلسفية تجاه الموجودات الحسية وغير الحسية،ترجمة: عثمان أمين، ط٣، مكتبة القاهرة الحديثة ــ ١٩٦٥م.

المدرك الذي يعطينا إياه عقل متنبه غير غائم، واضحا متميزًا في الوقت المناسب فيحررنا تماما من الشك فيما نفهم وندرك»[(١)].

فالعقل عند ديكارت هو وسيلة المعرفة وليست الحواس.

وبعض المستشرقين في كتاباتهم قدموا المنهج العقلي الشكي وكتبوا عن تقديم العقل على النقل مستشهدين برأي بعض المتكلمين الذين.«قالوا بتقديم العقل على النقل،وأنكروا التقليد والمقلدين، وأكدوا على الشك مرحلة تمهيدية تسبق الأخذ بأي من الآراء والمذاهب»[(٢)].

وفي موضع آخر:«ومن مظاهر العقلانية الكلامية كانت النزعة النقدية، المميزة للمعتزلة والأشاعرةعلى حد سواء، فقد قالوا بالشك أسلوبا معرفيا، ضروريا على طريق تحصيل اليقين، إنه مرحلة يتوجب على كل مسلم ومسلمة المرور بها، فينفض عندها كل معتقداته السابقة، ويطهر نفسه من كافة الأفكار الموروثة، حتى تستعد لقبول الحق بالنظر والاستدلال»[(٣)].

ولا ريب أن المنهج العقلي الشكي الذي قدمه بعض المستشرقين لإثبات أثر الفكر الغربي في جوهر العقيدة الإسلامية هو منهج قاصر في تاريخ الفكر الإسلامي،لأنه من صنع قوم آخرين أقاموا نظرياتهم وفق مجتمعاتهم، في ظل ظروف اجتماعية مخالفة.

قال أنور الجندي: «وقد ورث الفكر الغربي ظاهرة الشك واللاأدرية من الفكر اليوناني على هذا النحو الذي يعلق الأشياء، ولا يحكم فيها، وهو مفهوم يختلف عن مفهوم الشك في سبيل الوصول إلى الحقيقة، والكشف عن قوانين العلوم، وتنبعث ظاهرة الشك واللاأدرية من الوقوف عند انتظار الدليل الذي يقدمه العقل البشري، دون تقدير لحجم العقل، ومهمته، ومجال قدرته الحقيقي، وتجاهل الحقيقة المقررة التي تقول إن العقل ليس وحده أداة

---

(١) Serbner Selection;ed.Eaton، pp.٤٦-٤٨.

نقلاً من: راندال:جون هرمان، وبُوخلر:جوستاس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة: الدكتور: ملحم قربان،(ص: ٩٥)، دار العلم للملايين ـــ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت ـــ نيويورك ١٩٦٣م.

(٢) سعدييف: أرثو، سلوم: توفيق، الفلسفة العربية الإسلامية، (ص: ٣٩).

(٣) سعدييف: أرثو، سلوم: توفيق، الفلسفة العربية الإسلامية، (ص: ٥٣).

المعرفة، وأنه ربما كان أداة صالحة في مجال التجريب. ولكنه يحتاج إلى ضوء يسير في هداه إذا ما حاول البحث في مجال الغيب، وهذا الضوء هو الوحي»[(١)].

من خلال هذا العرض نرى أن بعض المستشرقين يحاول الانتقاص من العقلية المسلمة، لتحطيم معنويات الشخصية الإسلامية، حتى يثبتوا للعالم أجمع أن العنصر الغربي متفوق على العنصر الشرقي،وسلب الدين الإسلامي أصالته والتقليل من شأنه، وإرجاع أوجه التشابه بين الدين الإسلامي وغيره إلى مصادر خارجية أخرى، لاقتناع بعض المستشرقين بأن كل حضارة حديثة تستمد أصولها من الحضارة اليونانية، قياسا على النهضة الأوربية التي تأسست على الحضارة اليونانية.

كتب خالد م.اسحق[(٢)]: «يحاول آخرون من المستشرقين تصوير نشوء الفرق الكلامية والفلسفية في الإسلام بمظهر الثراء الفكري، والتراث الغني الذي يجب أن تفتخر به الأمة الإسلامية،فيصرحون بأن نتاج الفرق الفكري هو مظهر الإبداع الفكري والفلسفي عند المسلمين، وقد يظهر بعضهم منكرا أن في علم الكلام وتراث الفرق أدنى إبداع فكري أو فلسفي، حتى يتحمس بعض أبناء الإسلام للرد عليه وإثبات عظمة التراث الفكري للفرق والمتكلمين كإبداع حضاري للعرب والمسلمين،فيتحقق بذلك هدف هؤلاء المستشرقين ..، وهو تناول الدارسين من أبناء الإسلام في العصر الحديث لهذا القسم من التراث الإسلامي على أنه مفخرة يجب أن نبرزه، ونحرص عليه، ونردده، ونعيش عليه باعتباره إسهاما من المسلمين في إنماء الحضارة الإنسانية بعامة.

ومن هؤلاء المستشرقين ...المستشرق اليهودي (إرنست رينان[(٣)]) الذي يتهم العقلية العربية بالعجز عن إنتاج هذا التراث الذي يراه البعض إنجازًا عظيما من إنجازات الأمة

---

(١) الجندي: أنور، الموسوعة الإسلامية العربية (٦) أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع،(ص: ٢٥ ــ ٢٦)، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) أرنست رينان،(Ernest Renan١٨٢٣-١٨٩٢م)مستشرق ومفكر فرنسي ولد بفرنسا سنة ١٨٢٣م، وتوفي سنة ١٨٩٢م، أتقن العبرية، وأخذ بمذهب حرية الفكر ورحل إلى المشرق ونزل بلبنان، كتب عن ابن رشد والفلسفة عند المسلمين.ويرى أن الإسلام قد اضطهد الفكر الحر.(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين ٣١١ ــ ٣٢٠).

الإسلامية، ويرد هذا اليهودي علم الكلام وفكر الفرق بطريقة أو بأخرى إلى اليهودية، وإلى المسيحية، وإلى الفلسفة اليونانية، بحجة أن العرب لا يملكون العقلية الفلسفية القادرة على إنتاج مثل علم الكلام، ومن ثم يعلل نشوء الفرق وخاصة الكلامية منها بتأثير خارجي من الأمم السابقة، مما يدفع كثيرا من المسلمين للرد عليه لإثبات الأصالة، وبهذا يغفلون عن القضية الأساسية، وهي: أن علم الكلام والفرق كان انحرافًا عن عقيدة السلف»[1].

فالعقل يعتبر مصدرا من مصادر المعرفة عند الإنسان، وقد رفع الإسلام من شأنه، وأكثر القرآن من قدره، والعقل دليل إذا اعتمد على الكتاب والسنة، فهو تابع للشرع وليس بمتبوع بمفرده، وقد أخطأ المعتزلة حينما سلموا بسلطة العقل وحده، فحكّموا العقل تحكيما مطلقا، وقدموا العقل على الأدلة الشرعية، وقالوا بسلطة العقل على النقل، لذا نجد بعض المستشرقين ومن سايرهم يقفون من مترلة العقل في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة موقف الثناء والتمجيد لمن سايرهم فيما ذهبوا إليه، ويتهكمون من أصحاب الحديث في اعتمادهم على النقل، وتقديمه على العقل، لأن بعض المستشرقين يعتبرون تقديم العقل على النقل طريقا ومدخلا لهم في تحريف العقائد وبث سمومهم في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهم بذلك يناصرون المعتزلة ويشيدون بهم في كتاباتهم لأنهم يعلون من قيمة العقل ويقدمونه على غيره من الأدلة، في محاولة منهم لربط منهج الشك الديكارتي بالمنهج العقلي عند المعتزلة، بالرغم من أوجه الاختلاف بينهما لتسلم لهم حجتهم بأثر الفلسفة اليونانية على العلوم الدينية، ومن ثم تحقيق مكايدهم الخبيثة على الإسلام وأهله؛لذا مجد بعض المستشرقين العقل، وناصروا المعتزلة لفتح ثغرة يلج من خلالها الخصوم لهدم الدين من جذوره.

---

(١) اسحق: خالد.م. (المحامي ـــ كراتشي ـــ باكستان)، مقال بعنوان (إسهام الإسلام في الفكر السياسي العالمي)، (ص: ١٧ ـــ ١٨)، مجلة المسلم المعاصر، السنة (١٢)، العدد(٤٥)، محرم ـــ صفر ـــ ربيع الأول ١٤٠٦هـ.

المطلب الرابع:العقلية الإسلامية بين الأصالة والتقليد في نظر بعض المستشرقين:

إن بعض المستشرقين عمد إلى سلب العقلية الإسلامية أصالتها واعتبارها مستمدة من الغرب، مع محاولة التقليل من شأنها،، فقالوا: إن التفكير العقلي والفلسفي مستمد من الفكر الأجنبي، وهذا ما يسميه الغربيون بالأثر الأجنبي للفكر الأوربي في تكوين الفكر الإسلامي، ويبحثون عن هذا الأثر في مختلف جوانب الفكر الإسلامي.

نحو ما قاله المستشرق الإيطالي د. سانتيلانا (١٨٥٥ ـــ ١٩١٣) فقد نفى الأصالة عن الفكر الإسلامي حيث جزم أن:

«العلوم الإسلامية مؤسسة منذ بدء نشأتها على علوم اليونان، وأفكار اليونان، بل وعلى أوهام اليونان، حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الإسلام، ولا مذاهب قدماء المتكلمين، ولا بدع المبتدعين، من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية لا مجرد إلمام»(١).

أما المستشرق الهولندي (دي بور ١٨٦٦ ـــ ١٩٤٢م) فإنه يرى أن التفكير العقلي نشأت بواكيره متأثرة بالفلسفة اليونانية، والفارسية، والنصرانية، حيث قال: «يجب أن نلتمس بواكير العلم العقلي الدنيوي، تلك البواكير التي نشأت من مؤثرات نصرانية مصطبغة بالفلسفة اليونانية في دورها الشرقي، ومن مؤثرات فارسية»(٢).

والصحيح أن الفكر الإسلامي السليم يتنافى مع معطيات الفلسفة اليونانية، والمنهج الإسلامي منهج أصيل. قال الأستاذ أنور الجندي: «ولا ريب أن أكبر ما يَرُدُّ شبهة عطاء الفكر اليوناني للفكر الإسلامي، هو الدليل الأكيد بأن الفكر الإسلامي لم يلتق بالمترجمات اليونانية إلا في القرن الثالث الهجري، في حين أن مفاهيم الإسلام تكاملت بتكامل القرآن،وتمت قبل اختيار الرسول للرفيق الأعلى، وأن القرآن قد قدم للمسلمين عددًا من المناهج في ميادين المعرفة، والبحث، وفي مجال الاجتماع والحضارة والميتافيزيقا.

وهناك حقيقة أساسية يؤيدها الدليل التاريخي والعلمي والعقلي. وهي أن المسلمين كونوا العلوم، وأصلوها، وأقاموا مناهجها قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية بوقت طويل، وخاصة في

---

(١) سانتيلا.د، تاريخ المذاهب الإسلامية،(ص: ٣٣ ـــ ٣٤)، تحت عنوان: (الوجود الإلهي بين انتصار العقل وتهافت المادة)، تحقيق: عصام الدين محمد علي، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين ـــ دمشق ١٤٠١هـــ/ ١٩٨١م.

(٢) دي بور، ت. ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام،(ص: ٨، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة.

السُّنة والفقه والتاريخ واللغة، وكان الإسلام قد وضع أول منهج علمي في البحث لتحقيق الحديث والسنة بشهادة أعلام الفكر العالمي»[(١)].

كما اتهم (دي بور) العرب بأنهم يهتمون بالنواحي النظرية البعيدة عن الواقع، حيث لم تكن لهم فلسفة عملية، في حين أن الحقيقة خلاف ذلك[(٢)].

والثابت أن علماء المسلمين هم من اهتم بالعلوم وأدخلوا الدراسة التجريبية بجانب الدراسة النظرية، التي اعتمد عليها علماء اليونان، بل إن علماء الغرب في نهضتهم الحديثة كان اعتمادهم على ما أثبته المسلمون، وما توصلوا إليه في مختلف شؤون المعرفة.

قالت المستشرقة لورافيشيا فاغليرى[(٣)]: «كيف نستطيع أن نقول أن الإسلام عاق نمو الثقافة في القرون السالفة، ونحن نعلم أن بلاطات الإسلام ومدارسه كانت آنذاك منارات ثقافة لأوروبة الغارقة في ظلمات القرون الوسطى؛ وإن أفكار الفلاسفة العرب بلغت آنذاك منزلة رفيعة جعلت العلماء الغربيين يقتفون آثارهم....ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بايكون ضرورتها بزمن طويل؟..»[(٤)].

وفرانسيس بيكون يعد الأمير الحقيقي للفكر الأوربي في القرن الثالث عشر، لأنه أول من نادى بمهاجمة الفكر الأرسطي، وحمل لواء الدعوة إلى اصطناع منهج العرب، اعتمد على منهج الاستقراء القائم على التجربة،: «وهو المنهج الإسلامي الذي قدمه المسلمون، والذي نقله بيكون عنهم، وأعلن ذلك رسميًا في أكثر من وثيقة ثابتة، فقد كان الفكر اليوناني، يقوم

---

(١) الجندي: أنور، الموسوعة الإسلامية العربية (٦) أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع،(ص: ١٠٩ ــ ١١٠)

(٢) انظر:دي بور، ت. ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، (ص:١٧ ــ ٦٥)

(٣) لورا فيشيا فاغليري.L.Veccia Vaglier باحثة إيطالية معاصرة انصرفت إلى التاريخ الإسلامي قديما وحديثا إلى فقه العرب وآدابها ومن آثاره (قواعد العربية) في جزأين (١٩٤١-١٩٣٧) و(الإسلام) (١٩٤٦) و(دفاع عن الإسلام) (١٩٥٢) والعديد من الدراسات في المجالات الاستشراقية المعروفة.
http://www.ebnmasr.net/forum/t٢٥٨٧٢.html.

(٤) فاغليرى: لورافيشيا، دفاع عن الإسلام،(ص: ١٣٠)، نقله إلى العربية: منير البعلبكي،ط٥، دار العلم للملايين ــ بيروت كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م.

على منهج الاستنباط المستمد من القياس المنطقي، والحكم الذهني، وهذا هو ما رفضه الفكر الإسلامي في فجر ظهوره،حيث التمس أسلوبًا مغايرًا قوامه الممارسة العملية والتجريب»(١).

وممن شهد بفضل الحضارة الإسلامية على الفكر الغربي المستشرق الفرنسي (الدكتورغوستاف لوبون) المولود عام ١٨٤١م، بقوله: «..كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وأن هذا التأثير خاص بالعرب، فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، وإن العرب الذين هذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقي، وإن العرب هم الذين فتحوا لأوروبه ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية، والأدبية، والفلسفية..»(٢).

أما المستشرق هاملتون جب (١٨٩٥ ــ ١٩٧١م)ففي معرض حديثه عن التطور في علم الكلام السني ذكر أنه تمخضت عنه نتائج ظهر تأثيرها في مجال التفكير الإسلامي كله، دينيًا كان أو غير ديني، فقال: «كانت النتيجة الثانية ذات القيمة البالغة في مستقبل الإسلام أن اصطبغ الفكر في شؤون الدين بصبغة عقلية مؤسسة على الأصول الأرسطوطاليسية...وكان هذا يعني أن الحياة العقلية في الإسلام قد أصبحت ترتكز على نفس الأسس التي تقوم عليها الحياة العقلية في الغرب»(٣).

وقال أيضًا السير هاملتون جب (١٨٩٥ ــ ١٩٧١م): «...ولهذا كانت المؤثرات الخارجية التي صاغت المدنية الإسلامية: إغريقية وفارسية،وتغلغلت الثقافة اليونانية في صميم الحياة العقلية للمسلمين، وعلم الكلام نفسه مدين لأرسطو،من أجل ذلك كانت الثقافة الإسلامية كلها. وفي جوهرها من الطراز الغربي، واتصالنا بها أوثق من اتصالنا بثقافة الهند أو

---

(١) الجندي: أنور، الموسوعة الإسلامية العربية (٦) أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، (ص: ٧).

(٢) لوبون: د.غوستاف، حضارة العرب،(ص:٥٧٩)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٣) جب: هاملتون، دراسات في حضارات الإسلام،(ص: ٢٦٨)، تحرير: ستانفورد شو، وليم بُولك، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد.

الشرق الأقصى، فتسميتها شرقية تسمية خاطئة، هي شرقية لا بالمعنى المطلق، بل شرقية في موطن امتدادها فحسب»[١].

وما قاله المستشرق (فيليب حتي تـ ١٩٧٨م) عن: «المجابهة الفكرية الحضارية بين الإغريق (البيزنطيين الروم) وبين العرب على الأرض السورية، كانت الجرثومة لحركات دينية فلسفية هيَّجت العقل العربي لأجيال عديدة، ففي سورية مثلا: نلاحظ أول صدام وقع بين العقيدة التي تقول بحرية الإرادة عند الإنسان (التخيير) وبين العقيدة الإسلامية التي تقول (بالتسيير) وكانت قضية التخيير والتسيير أولى القضايا التي أثارتها المعتزلة التي زهت[٢] في العصر العباسي الأول. وتحت تأثير العقلانية عند الإغريق، أثارت المعتزلة، وبجرأة نادرة، أيضًا خلق القرآن، كانت المعتزلة تقول: إن القرآن مخلوق، لأنه إذا كان أزليًا غير مخلوق فإن هذا الرأي يتعارض مع وحدانية الله»[٣].

أما المستشرق الفرنسي أرنست رينان (١٨٢٣ــ ١٨٢٩م) فقد صرح بنفسه في محاضرة ألقاها في (الكوليج دي فرانس) سنة ١٨٦٢م،بأن:«الإسلام هو احتقار العلم، وإلغاء المجتمع المدني، إنه البساطة المروعة للعقل السامي، التي تحد من الدماغ الإنساني، وتحول بينه وبين كل فكرة مرهفة، وكل إحساس رقيق، وكل بحث عقلاني، ولتجعله في خدمة توتولوجة أزلية: الله هو الله»[٤].

---

(١) جب، هـ. أ.ر، وجهة الإسلام (نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي)،(ص: ١٢)،ط١، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة وقدم لها: الأستاذ: جب، المطبعة الإسلامية بالقاهرة ــ ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م.

(٢) والصواب: ظهرت.

(٣) حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة،(ص: ١٧٦)، ط (بدون) دار الثقافة ــ بيروت، لبنان ١٩٦٥م.

(٤) غارديه:لوي، أركون: محمد، الإسلام الأمس والغد، ص: ٧٦)، دار التنوير ــ بيروت١٩٨٢م، نقلا من: النملة: علي بن إبراهيم، مقال ضمن مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، بعنوان: رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين،(ص: ٥٧)، المجلد الأول ــ العدد الأول، محرم جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يونيو ــ ديسمبر ١٩٩٥م.

والحقيقة غير ذلك، فالإسلام لم يحط من قيمة العلم؛ بل يدعو إليه، والدين والعلم لا يفترقان، وكلاهما مكمل للآخر، ومن شهادات بعض المستشرقين للدلالة على أن العلم حليف للدين:مقولة الفيزيائي والفلكي الإنجليزي (آرثورستانلي اربجتون ١٨٨٢ ـ ١٩٤٦):((إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولا تبعدنا عنه))[١].

كذلك نرد على هؤلاء ما كتبته المستشرقة الألمانية: زيغريد هونكة من أن:

((الإنجليزي الذي أسهم في تأسيس الفيزياء الذرية والحائز على جائزة نوبل عن سنة ١٩٠١ (أرنست روثر فورد ١٨٧١ ـ ١٩٣٧) الذي كتب:(وأيضًا العالم النـزيه، الذي كشف بعضًا من جوانب الوجود، لا ينبغي أن يكون مرتابًا في الله،. إنه لتفسير خاطيء في الأوساط المتخصصة، أن العالم الذي يعرف عن الوجود أكثر من غيره، يتوجب عليه أن يكون بلا رب. العكس هو الصحيح تمامًا، أن عملنا يُدني الله منا.إنه يصعد من إجلالنا فقط)))[٢].

إن هذا الهدم المتعمد من قبل بعض المستشرقين لتاريخ أمة قدَّمت للعالم أجمع، أرقى أنواع الحضارات، حيث قدمت عقيدة التوحيد بكل مافيها من قيم وأخلاق،فقام المسلمون الفاتحون عن طريق التسامح الإنساني الذي عومل به أهل البلاد المفتوحة بنشر الإسلام، وإنقاذ كرامة البشرية من جهالة الشرك، لتخليص الإنسان من سيطرة المادة، والارتقاء به من الناحية المادية والروحية، فهذه الأمة عملت على ظهور بواعث الازدهار الفكري والنفسي،عن طريق تعاليم القرآن،فالقرآن الكريم استثار القلوب والعقول، وخلق جو البحث والتفكير، فكان المسلم ينظر في كتب الأقدمين نظرة ناقدة، يأخذ منها ما يقره له دينه، وينكر الجهالات التي لا توافق عقيدته.إن بعض المستشرقين يرمون إلى أن الإسلام لم يؤسس حضارة ما، والمسلمين هم مجرد نقلة لتراث غيرهم، وغاب عن أذهانهم أن علماء المسلمين يعتقدون بحق أن ما عندهم من الإسلام هو التشريع الكامل الذي يحقق العدالة للإنسانية أجمع،بل إن فقهاء المسلمين ينبذون كل ما صدر عن غيرهم من الفكر اليوناني، ويحرمونه.

---

(١) هونكة: زيغريد، العقيدة والمعرفة، ترجمة: عمر لطفي العالم،(ص: ٢٤٢)، ط١،دار قتيبة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) هونكة: زيغريد، العقيدة والمعرفة، ترجمة: عمر لطفي العالم،(ص: ٢٤٣).

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من منزلة الفطرة عند أهل السنة والجماعة

تمهيد:

إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان بربه، وإيمانه به، وقد دفعت الإنسان فطرته إلى الاعتقاد بضرورة وجود خالق لهذا الكون، خلق الموجودات من العدم وأودع في كل موجود منها نظامه، وقانونه، ليقوم كل بواجبه وفق نظام دقيق ثابت لا يغير.وقد اعترف بعض علماء الغرب بضرورة الاعتقاد بوجود خالق لهذا الوجود متصف بصفات الكمال.

قال ديكارت:«إني مع شعوري بنقص ذاتي، أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأراني مضطرًا إلى اعتقادي، بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي، تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال، وهي الله. وقال (إسحاق نيوتن)[1]: لا تشكوا في الخالق، فإنه ممـــا لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها، هي قاعدة هذا الوجود»[2].

وقد حاول بعض علماء الغرب أن يجعلوا مصدر الدين بشريًا، وأن يجعلوا باعث التــــدين الحقيقي أمر دنيوي، فالعالم الإنجليزي جيفونس Jevons في كتابه:

(المدخل إلى تاريخ الديانات) اعتبر أن الباعث الحقيقي للتدين هو الخوف من الطبيعة، بما فيها من برق، ورعد، وزلازل، فإن تأثيرها على المشاعر كتأثير دق الجرس في تنبيه الغافــــل وأن هذه الحوادث الطبيعية تحفزه عن السؤال عن مصدرها[3].

أما المستشرق الألماني (ماكس ميلر Max Mullerالمتوفى عام ١٩٠٠م) فقد اعتبر العقل هو الباعث على التدين لأن العقل باعث على النظر والتفكر في هذه المخلوقات، والإعجاب بهـــا

---

(١) إسحق "نيوتن"Isaac Newton) ١٦٤٣ ــ ١٧٢٧ م، فيزيائي إنجليزي وعالم رياضيات وعالم فلك،وفيلسوف بعلم الطبيعة وكيمائي، من أشهر كتبه: (الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية). http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٥%D٨%B٣%D٨%AD%D٨%A٧%D٩%٨٢%D_%٩ %D٨%٨٦%D٩%٨A%D٩%٨٨%D٨%AA%D٩%٨٦

(٢) البنا: حسن، الله في العقيدة الإسلامية، مع هذه الرسالة: إلى الشباب رسالة الجهاد، المناجاة،(ص: ٢٠ ــ ٢١، دار العلوم للطباعة، القاهرة (بدون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٣) انظر:دراز: د. محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة الأديان،(ص: ١٢٥ ــ ١٢٦)، ط٣، الناشر: دار القلم ــ الكويت ١٣٩٤هــ ــ ١٩٧٤م.

وتعظيمها، ومن هنا أخذ العقل يفكر فيما وراء الطبيعة، وأدَّاه عقله في الحديث عن الجمادات إلى صبغها بصبغة الأحياء ذوات الأرواح، مما جعله يتعبد لها، ويتخذها إلها[١]، لكـن عـالم الاجتماع الفرنسي (دور كايم Dur Kheim المتوفي عام ١٩١٧م[٢]) اعتبر التدين حالة نفسية تنبع من فطرة الفرد، كلما فكر في الآفاق أو في نفسه. ويرى أن التـدين وليـد أسـباب اجتماعية[٣].

وهذه الفروض باطلة لأن دراسة باعث التدين صعب الحصر والاستقصاء سواء من الناحية النفسية أوالتاريخية.والحق أن الباعث على التدين هو (الفطرة) السليمة النابعة من الوحي الإلهي، والنور الرباني، فالإنسان مفطور على الإقرار بالخالق، وعبادته وحده لا شريك له.والإسلام هو دين الفطرة، والدليل على ذلك من القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الروم: ٣٠ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ

(١) انظر:دراز: د. محمد عبد الله، الدين،(ص: ١١٤).

(٢) ولد إميل دوركايم سنة ١٨٥٨ بمدينة ايبنال بفرنسا حيث نشأ في عائلة من الحاخامين. وكان تلميذاً بارعًا وما لبث أن التحق بمدرسة الأساتذة العلياوهي من أفضل مؤسسات التعليم العالي في فرنسا.) سنة ١٨٧٩ حيث احتكّ ببعض شبان فرنسا الواعدين غير أن الأجواء بالمدرسة لم تعجبه فالتجأ إلى الكتب ليتجاوز الفلسفة السطحية (في نظره) التي كان يدين بها رفاقه. هكذا اكتشفأوغست كونت الذي أثرت مؤلفاته عليه تأثيرًا عميقًا فاستقى منها مشروع تكريس علم الاجتماع كعلم مستقل قائم بذاته يهدف إلى كشف القواعد التي تخضع لها تطورات المجتمع فنجد لهذا الاهتمام صدى في أعماله عن *قواعد المنهج السوسيولوجي* وعن *الانتحار* وعن التربية حيث تتجلى رغبته في أن يواجه المشاكل المختلفة بمناهج خاصة ومن منظور اجتماعي منزّه من إشكاليات العلوم الأخرى. كان دركايم يكره التأملات الفلسفية العقيمة والعلم لأجل العلم فقط ولذلك ابتغى أن يجعل من علم الاجتماع علمًا يسلّط الضوء على آفات المجتمع ويستعان به لحلّ بعض مشاكله عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد المجتمع فلذلك أولى عناية كبرى للمشاكل التربوية إذ أن التربية تلعب دورًا أساسيًا في اندماج الفرد في المجتمع. قد تفسر لنا هذه التصورات اهتمام دركهايم بمشاكل زمنه إذ أن اثنين من أهم كتبه تتناول الاضطرابات الاجتماعية المتولدة عن التصنيع المفاجئ والكثيف الذي انتاب مجتمعات عصره.

http://www.marefa.org/index.php/%D%٨A%٥D%٨٥%٩D٨%٩A%D٨٤%٩_%D٨

(٣) انظر:دراز: د. محمد عبد الله، الدين،(ص: ١٥٠).

أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣ .

ومن السنة فقد ورد لفظ الفطرة كثيرًا ومن أشهرها حديث أبي هريرة ﷺ قال:((قال النبي ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء))(١).

وفطرة التدين مغروسة في النفس البشرية، فإذا لم يهتد الإنسان إلى الدين الحق وعبادة الله تعالى، فإنه يعبد غيره، وهذا ما يفسر لنا وجود التدين عند عموم البشر.والفطرة السليمة مرجحة للحق، تهب للمهتدي يقينًا بالحق، فتقبل الدين الحق وتنفر من الباطل، ففي قرارة النفس ـــ حتى وإن وجدت الصوارف عن الحق ـــ تميز الفطرة السليمة ويتيقن القلب بالحق لكنه قد لا يستجيب له بسبب هوى أو خوف،قَالَ تَعَالَى:﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ النمل: ١٤ .

لذا قد يكون من الصعوبة ترك المسلم لدينه لتناسبه مع الفطرة السليمة.

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الجنائز ـــ باب ما قيل في أولاد المشركين،(ج٣ / ٢٤٦، ح (١٣٨٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة ج٤/٢٠٤٧ح(٢٦٥٨).

المطلب الأول: تعـريف الفـطرة لغة واصطلاحا:

١- معنى الفطرة في اللغة:

«فطر الشيء: مبالغة فطر،..انفطر الشيء: انشق، وفي التتريل العزيـز: (وإذا السـماء انفطرت) ويقال: انفطر الغصن، بدأ نبات ورقه، تفطر الشيء:تشقق أو تصدع، وفي التتريل العزيز: (تكاد السماوات يتفطرن منه)، ويقال: تفطرت اليد أو القدم، وفي الحديث: (أنه ﷺ قام حتى تفطرت قدماه) ويقال تفطر الثوب، وتفطرت الأرض بالنبات»[١].

فطر الشيء فطرًا، شقه، ويقال: فطر ناب البعير ونحوه، برز من اللحم، وفطر النبـات، شق الأرض ونبت منها، والأمر اخترعه

وتأتي بمعنى الابتداء والاختراع، تقول: فطر الله البشر. أي:خلقهم وبرأهم، والأمر ابتدأه وأنشأه[٢].

" قال ابن عباس: كنت ما أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى احتكم إلي إعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. أي: أنا ابتدأت حفرها[٣].

وفي القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام: ٧٩ .

وتأتي بمعنى الخلقة[٤]، وهي التي يكون عليها المولود أول خلقه في رحم أمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ الزخرف: ٢٧ .

وتأتي بمعنى السّنة[١]، وتأتي بمعنى الجبلة التي جُبل عليها بنو آدم[٢].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة فطر، (ص: ٦٩٤).

(٢) انظر: الفيروز بادين محمد بن يعقوب ٧٢٩ ــ ٨١٧هـ، القاموس المحيط،(٢ / ١١٤، دار الجيل ــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٣) انظر:الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد ٢٨٢هـ، تهذيب اللغة،(ص: ٣٢٦/١٣، تحقيق الأستاذ: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة الأستاذ: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٤) انظر:ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، الجزء السادس والأربعون،(ص: ٣٤٣٣.

٢- معنى الفطرة في الاصطلاح:

قيل إن المراد بالفطرة، أصل الدين، الذي اتفقت عليه كل الشرائع، وقيل غير ذلك(٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى: ١٣ .

وقال النووي، في شرح التهذيب،إن المراد الفطرة: الدين(٤)، وقيل: المراد بالفطرة: الإسلام، ومنه قول حذيفة: لو مت على هذا، مت على غير فطرة محمد ﷺ(٥)، وعليه حمل قول جبريل للنبي ﷺ ليلة الإسراء أصبت الفطرة(٦).

والإسلام والفطرة شيئ واحد، قال به عدد من المفسرين، منهم ابن كثير(٧)، والشوكاني(٨): فقد ذكر أن المراد بالفطرة هو الإسلام، وأنه هو مذهب جمهور السلف.فالمراد

---

(١) انظر: ابن حجر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، فتح الباري،(١٢ / ٤٥٩، مطبعة مصطفى الحلبي ـــ القاهرة.

(٢) انظر:العراقي: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسن ٧٢٥ ـــ ٨٠٦هـــ، طرح التثريب في شرح التقريب (وهو شرح على تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)،(٢/ ٧٢، ط (بدون) منشورة عن جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٥٣هـــ ـــ ١٣٥٤هـــ، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت.

(٣) اختلف الناس في معنى الفطرة والمراد بها على مذاهب عرضها الدكتور عثمان بن علي حسن في مبحث مستقل بعنوان: (الفطرة في الكتاب والسنة واختلاف العلماء في المراد بها) (انظر: حسن: عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد،(١ / ١٨٧ ـــ ٢٠٥، حيث تناول كل مذهب ورد عليه بشكل مفصل.

(٤) انظر:فتح الباري،(١٢ / ٤٦٠)، مطبعة مصطفى الحلبي ـــ القاهرة.

(٥) انظر:طرح التثريب،(٢ / ٧٢)، دار إحياء التراث ـــ بيروت.

(٦) انظر:طرح التثريب،(٢ / ٧٢)، دار إحياء التراث ـــ بيروت.

(٧) انظر: ابن كثير:، تفسير القرآن العظيم،(٦/ ٣١٤)

(٨) انظر:الشوكاني:الإمام محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـــ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،(٤ / ٧٤٢، حققه وخرج أحاديثه وفهرسها: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، ط١، دار الحرمين للطباعة، دار الحديث ـــ القاهرة،، ١٤١٣هـــ/ ١٩٩٣م.

بالفطرة في اصطلاح العلماء المحققين (الإسلام) وهو التعريف المختار، وهو من أشهر الأقوال وأصحها، وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل[١].

---

(١) انظر: ابن تيمية، الشيخ أحمد، درء تعارض العقل والنقل،(٨ / ٤١٠).

المطلب الثاني: التوحيد أساس الفطرة:

إن التوحيد وهو الإيمان بوحدانية الله سبحانه، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو أول ركن من أركان الإسلام، وقد دعا الإسلام إلى هذا التوحيد في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤ .

وقد كان التوحيد سائدًا في الجزيرة العربية منذ عهد إبراهيم الخليل وإسماعيل ــ عليهما الصلاة والسلام ــ ولكن بعد مرور الزمن طرأ على الناس الشرك وعبادة الأوثان، وجاء الإسلام، فجدد الدعوة إلى التوحيد، حيث أوحى الله ــ تعالى ــ إلى نبيه محمد ﷺ الآيات القرآنية التي تخاطب العقول للتدبر والتفكر، حتى يتضح للنفوس المجبولة على التوحيد بطلان الشرك، ولا شك أن هذا يثبت أن الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والفطرة الصحيحة تقوم على القلب السليم، والعقل الصحيح، الذي يوجب رفض الشرك والإلحاد؛ ففي القلب تكمن حقيقة الإنسان، فهو محل التقوى، وموطن المعرفة،فقد أودع الله ــ تعالى ــ في قلوب بني آدم من المعارف الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل،: «ولولا مافي القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق، لم يكن النظر والاستدلال، ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك»[(١)].

والعلوم النظرية لابد أن ترجع إلى العلوم الفطرية الضرورية، ولا بد من علوم بدهية يبتدئها الله ــ تعالى ــ في قلب الإنسان،وغاية النظريات أن تنتهي إليها[(٢)].

---

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد،درء تعارض العقل والنقل،(٥ / ٦٢).

(٢) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد،درء تعارض العقل والنقل،(٣/ ٣٠٩).

وصاحب القلب السليم عقيدته صحيحة، حيث إن الطهارة والاستقامة تتمثل في سلامة القلب، وسلامة الفطرة في قلب الإنسان أن يعرف المرء خالقه، ويقبل على طاعته، وأن يطهر جوارحه، كما يطهر باطنه.

والله فطر الناس على الدين الحق، ولكن قد يعرض للفطرة ما يغيرها، ويحولها إلى ملل الكفر والشرك.

أولا: دلالة الفطرة على توحيد الربوبية:

إن أصل المعرفة بالله ــ سبحانه ــ فطرية،لكن المخالفين من المعتزلة والمتكلمين وغيرهم خالفوا ذلك، وترتب على هذا الخلاف مسألة أخرى: هل النظر واجب أم لا؟ على أقوال[(١)]؟.

وما وقع من خلاف فهو مخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة[(٢)].

فمعرفة الخالق فطرية،والرسول محمد ﷺ لم يوجب النظر على أمته، ولو كان النظر واجبًا لكان أول ما يجب على الرسل دعوة قومهم إليه، وهذا مما علم فساده من دين الإسلام[(٣)].

فالفطر السليمة تعرف الخالق بدون الأدلة العقلية، والقلوب مفطورة على الإقرار به ﷻ.

فالتوحيد أمر فطري، وهذه الفطرة أجمع عليها الباحثون في تاريخ الأمم والأديان، حيث ثبت من خلال دراسة الأديان أن هناك صلة بين الفطرة وديانة التوحيد.

فالتاريخ البشري قبل بعثة الأنبياء والرسل يشهد أن الإنسان يبحث عن خالقه الذي خلقه، ويتطلع إلى معرفته، والإيمان به، وكان الإنسان يعبد من يعتقد أنه إله، وينحني ويركع له خاضعًا، وإلى هذا أشار العالم الهولندي المعروف (تيليه)[(٤)] فقال: «إن أصل الدين هو:

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٦ / ٣٣٠ ــ ٣٣١.

(٢) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٦ /٣٣٢).

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٦ /٣٣٠)، وانظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الرسائل الكبرى، ٢ / ٣٤٨).

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

حينًا الإدراك الفطري في الإنسان، وحينًا هو شعور الإنسان بتبعيته لقوة عليا (يعني الخالق سبحانه)، وحينًا الحدس اللانهائي،وحينا الزهد في الدنيا»[١].

ودين الإسلام هو الدين الفطري، واعترف بذلك بعض المستشرقين وأقروا بأقلامهم أن الإسلام دين الحق، وأنه الدين الفطري.

قال المستشرق النصراني الهندي (بيجي رودريك)[٢] والذي أسلم في الأربعينات: «لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين ــ الإسلام ــ هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى..والاعتقاد الإسلامي بوحدانية الله..أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً.إذ إن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد»[٣].

وقال (ولفرد كنتول سمث[٤]) رئيس قسم مقارنة الأديان في جامعة هارفارد في كتابه(عقيدة الآخرين) فيما كتبه عن الإسلامً:

«إن المسلمين يصوغون إيمانهم في أبسط عقيدة وأسلمها في العالم كله، وهي: لاإله إلا الله، محمد رسول الله، وفي هذه الشهادة يتركز جوهر الدين، والله يغفر كل ذنب حاشا الشرك به»[٥].

وقد ذكر الأستاذ عبد العزيز جاويش قصة مناقشته لبعض طلبة العلم في أكسفورد من بلاد الإنجليز أصول الدين الإسلامي، وقواعده، وبعض تشريعاته التي مثلت لهم في أبشع الصور وأقبحها، فانطلق أحدهم قائلاً:

---

(١) الحسيني: مبشر الطرازي، إلى الدين الفطري الأبدي،(١ / ٢٠)، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).

(٢) الأستاذ بيجي رودريك الهندي ولد في بيت انجليزي فربي مسيحيًا وتلقي تعليمه المبكر في إحدى مدارس التبشير المسيحية. http://www.nfaes.com/Articliesfiles/٣٤fklhjl.doc

(٣) رجال ونساء أسلموا،(٦ / ١١٢)، نقلاً من: خليل:د. عماد الدين، قالوا عن الإسلام .

(٤) ولفرد كانتول سمث (م ١٩١٦ م)تخرج من جامعة برنستون برسالة عن مجلة الأزهر ــ عرض ونقد (١٩٤٨) ومن أحدث مصنفاته: الإسلام في التاريخ الحديث) (١٩٦٢م) (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣/ ١٠٢٤).

(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣ / ١٠٢٤).

(٥) الحسيني: مبشر الطرازي، إلى الدين الفطري الأبدي،(٢ / ٢٤٧).

«يخيل إليَّ أيها الشيخ أن هذا الدين لا ينافي الفطرة في شيء»[١].

وخطأ بعض المستشرقين يقع أنهم جعلوا دين الإسلام ليس دينًا مستقلاً، إنما هو بدعة نصرانية، أو هو أقرب إلى اليهودية، وهذا خطأ عقائدي وتاريخي في آن واحد[٢].

وكيف يكون ذلك والديانتان بعيدتان عن التوحيد الخالص! ثم ماهي أوجه الشبه بين الإسلام واليهودية والنصرانية؟

قد يكون هناك تشابه بين تعاليم الإسلام والديانات السماوية الأخرى، ولا غرابة في ذلك؛لأن أصول الحق لا تختلف، فالله مصدر هذه التعاليم، والأنبياء إخوة يصدق بعضهم بعضا.

ثانيًا: دلالة الفطرة على توحيد الأسماء والصفات:

معرفة الله ــ تعالى ــ أساس الإيمان، ولا يتأتى معرفة ذاته إلا بمعرفة صفاته، من العلم والحكمة، والقدرة والإرادة، والمشيئة، وغيرها من صفات الكمال والجلال.

فالتوحيد هو جوهر الإسلام، والخلق مفطورون على كون الخالق متصفًا بصفات الكمال، والتسوية بين الخالق والمخلوق منكرة في الفطر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النحل: ١٧ .

وقد أخبر الله ﷻ عن نفسه في القرآن الكريم؛ ليعرفه عباده، ويتقربوا إليه بأسمائه وصفاته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠ .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر»[٣].

---

(١) جاويش: الشيخ عبد العزيز، الإسلام دين الفطرة والحرية،(ص: ٤٠)،دار المعارف ــ مصر (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).

(٢) انظر:الباب الرابع / الفصل الأول،(موقف المستشرقين من التوحيد).

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط ،(ج ٥ / ٣٥٤)، ح(٢٧٣٦) ومسلم في كتاب الذكر، باب في أسماء الله تعالى،(ج٤/ ٢٠٦٣ ح(٢٦٧٧).

وهكذا يعرف المسلم ربه بصفاته وأسمائه العلى، وهذه الصفات الربانية يسأل العبد بها ربه، وهي نوع من صلة العبد بخالقه عن طريق الدعاء.

لكن بعض المستشرقين اعتبروا صفات الرب تعالى بمعنى الجبروت يرهبه المسلمين فيذلون منه،[١] وعكس هذا صورة الإله في الديانة المسيحية حيث تقوم الصلة بينه وبين عباده على المحبة والمودة. والحق أن الله ﷻ واسع المغفرة، قريب من عباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأنعام: ٥٤ .

ثالثًا: دلالة الفطرة على توحيد الألوهية:

القلوب مفطورة على معرفة الله، إقرارا وتصديقا، والرسل أرسلها الله ــ تعالى ــ للدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، لهذا لم تأت الرسل لتعريف الناس بالخالق وإنما للدعوة إلى التوحيد، ونفي الشرك.وقد ثبت أنه يستحيل أن يكون لهذا العالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال.

جاء في كتاب شرح العقيدة الطحاوية قوله: «والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع، وهو: أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما،أو مراد أحدهما،أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين. والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلهًا. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية.وتمام الكلام على هذا الأصل معروف في موضعه.وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ

---

(١) انظر: الباب الرابع / الفصل الأول.

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢))[١].

ففي هذا الدليل يثبت استحالة أن يكون للعالم إلهان يقصدان بالعبادة، فالمخلوق يقصد خالقه وحده وقت الحاجة طبعا وجبلة فيه، وإن كان مشركًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ الإسراء: ٦٧ .

(١) أبي العز الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ص: ٣٠ ـــ ٣١).

الباب الرابع

موقف المستشرقين من أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: موقف المستشرقين من قضية التوحيد.

الفصل الثاني: موقف المستشرقين من الإيمان بالملائكة.

الفصل الثالث: موقف المستشرقين من الإيمان بالكتب.

الفصل الرابع: موقف المستشرقين من الإيمان بالرسل.

الفصل الخامس: موقف المستشرقين من الإيمان باليوم الآخر.

الفصل السادس: موقف المستشرقين من الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل السابع: موقف المستشرقين من الإيمان نوا قض الإيمان.

الفصل الأول

موقف المستشرقين من قضية التوحيد

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد

١/ التوحيد في اللغة.

٢/التوحيد في الاصطلاح.

المبحث الثاني: دعوى اقتباس التوحيد الإسلامي من البيئات والديانات الأخرى.

المبحث الثالث:التوحيد في نظر بعض المستشرقين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:أقوال المستشرقين في الصفات.

أولاً: الادعاء بأن نبينا محمد ﷺ قد اختلق الصفات من خياله.

ثانيًا: القول بأن لوازم السجع حملت محمدًا على وصف الله بعدة صفات ورد ذكرها في القرآن.

ثالثًا: تشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين.

رابعا: القول بأن صفات الله متناقضة.

المطلب الثاني:جذور الأسماء والصفات عند بعض المستشرقين.

أولاً: أنها مأخوذة من النصرانية.

ثانيًا: دعوى الاقتباس من العبرية.

ثالثا: القول بأنها مأخوذة من جنوب بلاد العرب.

الفصل الأول

موقف المستشرقين من قضية التوحيد(١)

تمهيد

بعث الله النبي محمدًا ﷺ بالدين الإسلامي وهو دين التوحيد ـــ بواقع يخالف عقائد أهل مكة وبقية بلدان العرب، وأثبت أن الله واحد لاشريك له، على خلاف ماردده بعض المستشرقين من أن سيد الخلق والمرسلين نبينا محمد ﷺ استمد العقيدة الإسلامية من العقائد البيئية وقت ظهور الإسلام، فالدين الإسلامي دين التوحيد، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿اَعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأعراف: ٥٩ .

والوحدانية في الإسلام هي وحدانية خالصة، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ البينة: ٥ .

فالدعوة إلى التوحيد دعوة إسلامية خالصة ليست لها علاقة بما يدعيه بعض المستشرقين من أن التوحيد الذي دعا إليه الرسول محمد ﷺ مقتبس من البيئات والديانات الأخرى.وعلى الجملة فالدين الإسلامي دين التوحيد، ولايمكن ربطه بالمعتقدات السائدة في مجتمعه، وليست الأوضاع الاجتماعية مؤثرة في الدين كما يظن بعض المستشرقين، وهؤلاء المستشرقون يحاولون من خلال منهجهم الاستشراقي وهو منهج علماء الاجتماع المستخدم في الافتراء على العقيدة الإسلامية، ربط نشأة المعتقدات الوثنية بالبيئات والمجتمعات بالدين الإسلامي، وهذا المنهج يمكن تطبيقه على المعتقدات والديانات الأخرى التي ثبت أن الأوضاع الاجتماعية يمكنها أن تؤثر في الدين، أما الدين الإسلامي فهو توحيد خالص متكامل، متفرد عن سائر الأديان.

والإيمان بتوحيد الله تعالى يقوم على الإيمان بالأركان الستة، وأول هذه الأركان الإيمان

---

(١) لمتزيد من الدراسة في هذه القضية فقد تناولها الدكتور: محمد أمين حسن محمد بني عامر في المبحث الأول من الفصل الأول في الباب الثاني بتوسع مستفيض،(انظر: بني عامر: الدكتور. محمد أمين حسن محمد، المستشرقون والقرآن الكريم، من (ص: ١٣١ ـــ ١٨٦)، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع ـــ الأردن، إربد ٢٠٠٤م) .

بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ البقرة: ٢٨٥ .

وقد عبر المستشرق (لويس يونغ) عن أركان الإيمان بقوله: «تقوم العقيدة الإسلامية على الأركان التالية:

١. الإيمان بإله واحد.
٢. الإيمان بملائكته.
٣. الإيمان بكتب الله.
٤. الإيمان برسل الله (وآخرهم محمد)
٥. الإيمان بيوم القيامة والحساب.
٦. الإيمان بالقضاء والقدر. الذي يقرر أفعال الناس ومصائرهم»[1].

وإذا كان هذا المستشرق قد عرض لنا أركان الإيمان الستة فما موقف بعض المستشرقين من هذه الأركان؟

للأسف نجد أن كثيرًا من المستشرقين وقفوا ضد قضايا الإيمان، مشككين فيها بأسلوب غير منهجي، ولعلنا في هذا الباب نلقي الضوء على جانب من بعض شبههم، وندعو الله أن يوفقنا في الرد عليها ـــ آمين يارب العالمين.

(١) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة،(ص: ٢٩).

المبحث الأول

تعريف التوحيد

التوحيد هو أول دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم،وهو أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام.

أولا:التوحيد في اللغة:

قال ابن منظور: «والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد،ذو الوحدانية»[(١)].

ثانيا:التوحيد في الاصطلاح:

إفراد لله تعالى بالربوبية والطاعة والعبادة، ويشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وكل هذه الأنواع متلازمة مترابطة متكاملة.

قال ابن تيمية:

والتوحيد هو: «عبادة الله وحده لاشريك له، وألا نعبده إلا بما أحبه ومارضيه، وهو ما أمربه وشرعه، على ألسن رسله صلوات الله عليهم فهو متضمن لطاعته، وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من كل ماسواهما، وهو يتضمن أن يحب الله حبا لا يماثله ولا يساويه فيه غيره، بل يقتضي أن يكون رسوله ﷺ أحب إليه من نفسه»[(٢)].

والوحدانية في الإسلام هي وحدانية خالصة ومتكاملة، فالله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، وهو وحده الخالق لكل شيء.

قال تعالى:﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ الرعد: ١٦.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة وحد، المجلد السادس، الجزء الخامس والخمسون، (ص: ٤٧٨١).

(٢) ابن تيمية، الشيخ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٤ / ٣٧٨) (تفسير سورة آل عمران)

المبحث الثاني

دعوى اقتباس التوحيد الإسلامي من البيئات والديانات الأخرى

التوحيد الخالص لم يسلم من افتراءات بعض المستشرقين، فقد أدَّعوا أن ما أخبرنا به نبينا محمد ﷺ عن وحدانية الله تعالى هو مقتبس من البيئات والـــديانات الأخـــرى، وأن فكـــرة التوحيد في نظر بعض المستشرقين استقاها النبي محمد ﷺ من اليهود والنصارى ومن الديانات الأخرى(١).

يقول دوممبين(٢): «ولما اطلع (محمد) من قبل اليهود والنصارى على دعوات أنبياء بـــني إسرائيل القدامى، وكذلك على دعوات المسيح والحواريين، فهم أن إلهامه هذا، كان منبثقـــاً عن نفس المصدر الذي لهم»(٣).

أما المستشرق (دي لاسي أوليري) فقد أشار إلى أثر الفكر الهللـــيني في علـــم التوحيـــد الإسلامي(٤).

من هنا ندرك أن بعض المستشرقين يحاولون تثبيت دعوى تبعية الإسلام ـــ كما يتخيـــل البعض،وبحكم المؤثرات الأجنبية، لصبغ الإسلام بالديانتين اليهودية والنصرانية المحرفة.

أما المستشرق مونتجمري وات في كتابه (Islam and the Integration of soclety) ـــ كما ذكر الدكتور محجوب كردي فإنه يرجع ظهور الإســـلام وإنتـــشاره إلى مجـــرد عوامـــل اقتصادية(٥)، وسياسية(١)، وكتابه هذا في مجمله محاولة لتوضيح أن الإسلام عبارة عن إبـــداع

---

(١) انظر: دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٢٣ ـــ ٢٦)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع. ملتزم الطبع والنشر ـــ دار المعارف ـــ القاهرة. ١٩٦٣م.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) M.G.Demobynes;Mahomet،p.٦٩

نقلاً: مغلي:محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،(ص: ١٢٢).

(٤) انظر: أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ٧٢ ـــ ٧٣)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٥) Islam and the Integration of soclety، London Paul Rontledge& kegan،١٩٦١،٢٦٩- ٢٦٨.W.M.Watt .PP. (من حاشية المقال رقم الحاشية (٢٢)

إنساني، ونتاج بيئة من حيث الزمان والمكان وحسب[٢][٣].

وقد أيده المستشرق موير باعتبار أن التوحيد صدر عن النبي محمد ﷺ نتيجة تأملاته وهو يرعى الغنم، وهذا بالطبع ـ في اعتقادهم ـ من نتاج البيئة.

قال موير في كتابه حياة محمد: «مامن رسول إلا ورعى الغنم، شأنه في ذلك شأن موسى وداود، وقد فعل ذلك لمساعدة عمه أبي طالب الذي كان يئن بثقل عائلته، وفقر ذات يده، وقد طورت فيه هذه المهنة حبه للعزلة، والتأمل في الكون وظواهره،كالسماء الصافية، والشمس المشرقة، والليل المظلم المتلألئ بالنجوم، وقد قادته هذه التأملات إلى الوحدانية المطلقة التي دعا إليها بضراوة في قادم الأيام، وجعلها هدفًا رئيسيًا لم يحد عنه مهما كانت العقبات التي وقفت في طريقه»[٤].

ويقول ماكسيم رودنس: «كان (الرسول) يعرف أهم الأفكار الجديدة التي كان يحملها اليهود والنصارى، وكان يتعاطف مع الاتجاهات التوحيدية، ولكنه كان يلبث عربيا، حيث إنه ما كان ليفكر في أن ينفصل عن إخوانه العرب»[٥].

وقال (س.د.جويتين): «كان محمد يوسع معلوماته من أديان التوحيد السابقة تدريجيا، فقال: كلما تثار مسألة أو قضية من جانب أتباعه أو مخالفيه، أو تخطر بباله نتيجة لتأملاته الشخصية، كان محمد يحاول بجد الحصول على معلومات جديدة، وهذه المحاولات المتكررة

---

(١) ibid. ، ٢٦٩ J ٢٦٨ pp. من حاشية المقال رقم (٢٣).

(٢) انظر مثلا: ibid.، P.٩٣. من حاشية المقال رقم (٢٤) .

(٣) انظر: كردي: محجوب أحمد، منهجية علم الاجتماع المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة الإسلامية، ص: ١٤٣ ـ ١٤٤)، مقال ضمن كتاب دوري محكم تحت مسمى (دراسات استشراقية وحضارية) يصدر من مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية من كلية الدعوة في المدينة المنورة، العدد الأول لعام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م، من منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) Muir (w) life of Mahomet، VII، op.cit ، p.١٤
نقلا من: الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٨٢).

(٥) Maxime Rodinson: Mahomet ، p. ٩٣
نقلاَ من: نقلاً: مغلي:محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،(ص: ١٢٨ ـ ١٢٩).

قد أثمرت ثمارها، ويمكن لنا أن نكتشف من القرآن مدى سعة علم محمد بأديان التوحيد السابقة، ومن هنا جاءت فكرة شمولية الدعوة التي ابتدعها باسم الإسلام، ومطابقتها بشقيقاتها السابقة»[(١)].

كما حاول ماكدونالد أن يربط نشأة المعتقدات الدينية الإسلامية بمناهج علماء الاجتماع ليثبت أن البيئة لها أثر فيما دعا إليه نبينا محمد ﷺ يقول الدكتور ساسي سالم الحاج: «أما المستشرق البريطاني ماكدونالد فقد استرعى الأنظار إلى حالة الجزيرة العربية السياسية، والاقتصادية، والقومية، والروحية إبّان مولد الرسول، فالجزيرة العربية في ذلك الزمان لا تعاني من المشاكل الاقتصادية الخطيرة الناجمة عن زيادة السكان في هذا الإقليم المجدب فحسب، ولكن تزايد الشعور القومي في مواجهة فارس وبيزنطة، وقيام نهضة أدبية عربية خالصة ممثلة في الشعر والنثر، ونمو روحي يقظ وقلق أثارته الديانة المسيحية قد شغل الأفكار، وأصبحت البيئة العربية جاهزة لاستقبال الدين الجديد، خاصة أن البيئة الدينية المكية لم تكن خالصة من هذه الإرهاصات، فهؤلاء قوم بمكة أطلق عليهم الحنفاء، وآخرون يعبدون الأصنام التي يرونها تقربهم إلى الله زلفى، وهذه الملائكة التي يطلقون عليها بنات الله تُلهم ذلك الاتصال وتعززه بين الله وعباده، فمفهوم الإلهام معروف في منطقة الشرق الأوسط المنتمية إلى الحضارة السامية. وقد عرفت هذه الحضارة النبوة التي تفتحت في بني إسرائيل، ولكنها ليست مجهولة كذلك لدى العرب الذين يرونها تتمثل في بعض الشعراء الملهمين، وبعض الخواص الذين يعقدون اتصالات لا مرئية مع العالم الآخر، هذا الإلهام الذي يتجلى تارة في الشعر، وتارة أخرى في الحِكَم والأمثال»[(٢)].

---

(١) الألوائي: الدكتور. محيي الدين، النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين،(ص: ٤٩ ــ ٥٠)، قدم للكتاب وعقب عليه: محمد عبد الله السمان، ط١، دار الثقافة العربية للطباعة ــ عابدين ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م. والكتاب عبارة عن نقد كتاب مستشرق اسمه: (س. د. جويتين) وعنوان الكتاب: دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، وهو من أخطر مؤلفات المستشرقين التي تمس كيان الدين الإسلامي، كما يقول: الدكتور. محيي الدين الألوائي، من مقدمة الكتاب،(ص: ٤، للكاتب: عبد الله السمان من الكتاب نفسه) .

(٢) MACDONALD،Aspects of Islam ،١٩١١،pp. ١٣ – ١٤ ،in WAARDENBURG،op. Cit ،p. ١٤١.
=

وقد صرح ماكدونالد بأثر البيئة على دعوة التوحيد بقوله:

«كان لمذهب التوحيد المكان الأكبر في النظر الكلامي عند المسلمين، وقد نشأ هذا من أن الذات الإلهية كانت محور الدين الذي جاء به محمد، كما نشأ أيضًا من المؤثرات التي أثرت في تطور هذا الدين من بعد، ولا سيما المباحث الإلهية عند اليونان بما فيها من عناية بذات الله»[١].

وقال المستشرق كارل بروكلمان: «اعتقد العرب القدماء ككثير غيرهم من الشعوب البدائية، بإله هو خالق الكون، هذا الإله هو (الله) الذي لم ينقل العرب فكرته عن اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين، وليس من شك في أن العرب كانوا في أول الأمر يؤدون الشعائر الدينية إلى تلك الآلهة التي كانت أقرب إليهم من الله، رب العالمين العظيم، حتى إذا أوشك فجر الإسلام أن يبزغ لم تبق هذه العبادة قادرة على أن تملأ وجدان العرب الديني بكامله، وهكذا انحط شأن هذه العبادة وانحطت دلالتها انحطاطا متواصلا، كان يرافقه أبدا تعاظم في أهمية الشعور الديني العام القائم على أساس الإيمان بالله. وفي مكة أخذ (الله) يحتل شيئا فشيئا محل هبل، الإله القمري القديم،كرب للكعبة»[٢].

فبعض المستشرقين يحاولون بشتى الطرق أن يربطوا نشوء الإسلام بالبيئة، والمؤثرات والعوامل الداخلية والخارجية التي استند إليها الرسول محمد ﷺ في نشر دعوته.

وبعض المستشرقين عدّ الإسلام أول دين أدخل التوحيد، قال غوستاف لوبون (١٨٤١ ــ ١٩٣١ م): «وإذا رجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية[٣]، أمكننا عدُ الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية، ومع ذلك فإن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول،ولا سيما في

نقلاً عن: الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ١٧) .

(١) ماكدونالد وكارديه، الله،(ص: ٣٤ ــ ٣٥)، تعليق: إبراهيم الابياري ــ أحمد محمد شاكر ــ أحمد محمد جاد المولى ــ محمد حامد الفقي ــ محمد عاشور الصرفي ــ محمد عرفة، إعداد: إبراهيم زكي خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٧٩م. مطابع دار الشعب بالقاهرة.

(٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص: ٢٦ ــ ٢٧)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

(٣) والصواب الرئيسة .

التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وذلك أن الإله الواحد، الذي دعا إليه الإسلام، مهيمن على كل شيء ولا تحف به الملائكة والقديشون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم، وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم»(١).

وما ردده بعض المستشرقين من أن الرسول محمدًا ﷺ قد جامل المشركين في عقائدهم ــ في تناولهم لقصة الغرانيق التي أثبت فسادها كثير من علماء الحديث والتفسير ــ كان من أجل أن يثبتوا أن الإسلام مستمد من العقائد البيئية وقت مجيء الإسلام(٢).

قال المستشرق جوستاف معقبا على قصة الغرانيق أن الرسول محمدًا ﷺ: «ظن في وقت من الأوقات أنه يستطيع إن اعترف بمترلتهن وقوتهن القدسية أن يحمل أبناء قومه على الكف عن إيذاء أتباعه الذين ليس لهم مجير قوي يحميهم. ومع ذلك فسرعان ما ندم محمد [كذا..] على ذلك، وصورت الآية الربانية بأنها: (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم)»(٣).

فهل للرسول محمد ﷺ أن يناقض نفسه بالدعوة إلى التوحيد، ثم الدعوة للشرك؟؟!

فالزعم بأن رسول الله محمدًا ﷺ قد اقتبس من عقائد المشركين استنادًا على قصة الغرانيق ماهو إلا زعم باطل لتغذية منهج باطل، بنى عليه بعض المستشرقين دراساتهم للبرهنة على أن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل، واقتبست من عدة روافد، وأنها مستمدة من الأديان السابقة.

وأيضا نجد المستشرق مونتجمري وات حاول ربط البيئة، والعوامل الاقتصادية، والصحراء، بدعوة التوحيد لفهم رسالة نبينا محمد ﷺ(٤).

كما ركز بعض المستشرقين على العوامل الاقتصادية والسياسية التي أدت ــ حسب رأيهم ــ إلى ظهور دعوة التوحيد؛ وهو تفسير مادي لايتواءم مع الهدف الديني لدعوة التوحيد، ولو كان كذلك لقام به السابقون قبل بزوغ الدعوة إلى الدين الإسلامي.

---

(١) لوبون: غوستاف، حضارة العرب، (ص: ١٢٥).

(٢) سبق أن تناولنا القصة بالعرض والنقد.

(٣) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي،(ص: ٩٥).

(٤) انظر:وات: مونتجمري، محمد في مكة، ترجمة: شعبان بركات، من ص: (٩ ــ ١٧).

و لم يغفل بعض المستشرقين عن العوامل الدينية والخلقية التي ساعدت ــ بزعمهم ــ على بلورة الدين الذي يدعو إلى الوحدانية.

لذا نرى بعض المستشرقين حاول من خلال بعض الدراسات على البيئة الاجتماعية والخلقية في الجزيرة العربية أن يصف أخلاقيات العرب السامية الناجمة ــ في رأيهم ــ من قساوة الحياة في الصحراء، إلى انصهار الأفعال والمواقف المتخاذلة، وذوبانها في أتون الصحراء، و لم تبق سوى الأخلاق النقية الصافية التي تقوم على تقليد سام في علاقات البشر ودرجة عالية من الفضائل، ومن هنا فإن عظمة الإسلام تعتمد اعتمادًا كبيرًا على صهر هذا العنصر مع بعض النظريات اليهودية والمسيحية(١).

فالمستشرق مونتجمري وات ركز على البيئة الاجتماعية والأخلاقية في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، وهو منهج سلكه بعض المستشرقين لبيان أثر الديانات السابقة في الإسلام، والسعي حول بيان أثر المصادر اليهودية والنصرانية في التعاليم الخلقية الإسلامية، وأن ما دعا إليه الإسلام أفكار تسربت إلى نبينا محمد ﷺ من معتقدات سابقة.

كذلك المستشرق ألفريد غيوم في كتابه المسمى (الإسلام) حاول ربط أثر البيئة على دعوة التوحيد، تقول الدكتورة عزية طه في مقال كتبته عن افتراءات بعض المستشرقين حول الأحاديث الواردة في التوحيد(٢):

«وتحت عنوان: (تأثير اليهود على الديانة المحمدية) نراه يتحدث عن تاريخ اليهود وهجرتهم إلى جزيرة العرب، واستيطانهم في معظم أصقاعها، ووصولهم إلى رتبة الرئاسة وقيادة الشعوب العربية، والتأثير عليها في كل مجالات الحياة...ولكي يؤكد زعمه القائل بأن فكرة التوحيد فكرة دخيلة على الإسلام، زعم غيوم: بأنه عثر على نسخة غير مكتملة من سيرة ابن إسحاق، لم تنشر بعد، فيها تأكيد لزعمه القائل: إن محمدًا ﷺ كان يميل إلى عبادة الأوثان قبل مبعثه، ولقد ورد في ذلك المخطوط كما يدعي غيوم: أن رسول الله ﷺ قال: إن

---

(١) وات: مونتجمري، محمد في مكة، ترجمة: شعبان بركات، (ص: ٥١).

(٢) طه:د. عزية، مقال بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (علمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر) السنة السادسة، العدد الثالث عشر،(من ص: ١٩ ــ ٧١)، رمضان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

أول من لامني على عبادة الأوثان هو زيد[1] بن عمرو بن نفيل، وهو أول من نهاني عن عبادة الأصنام. لقد جلست معه يومًا وكنت أحمل بعض القرابين لتقديمها للآلهة، وكان زيد بن حارثة معي، فقدمنا من هذا الطعام لزيد بن عمرو، فرفض أن يأخذ منه شيئًا، وأخبرني أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، ومنذ ذلك اليوم لم أقرب صنمًا حتى شرفني الله برسالته»[2].

وقد علق غيوم على هذا بقوله: «إن النهي عن أكل لحوم القرابين متضمن في توراة اليهود،وبما أن اليهودية كانت مؤثرة وفعالة على عرب الجزيرة فهذا يقوي الاعتقاد القائل بأن:

زيد بن عمرو بن نفيل كان متأثرًا باليهودية» .

فمن خلال متن هذه القصة وأسلوبها يتضح أنه ليس هذا من أسلوب رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم.

فما كتبه المستشرق غيوم قائم على منهج التعصب والهوى، تقول الدكتورة عزية طه: ومما يدلنا على أن غيوم يفتقر إلى الجدية، والنزاهة في النقل، وتوثيق المعلومات: زعمه «أنه قد عثر على مخطوط لم ينشر بعد لسيرة ابن إسحاق، اعتمد عليه في نقل افتراءاته عن النبي ﷺ ، ولكنه لم يشر إلى مكان وجود هذا المخطوط على وجه التحديد، كما زعم أن معظمه كان قد فقد.وإذا سلمنا بصحة وجود مثل هذا المخطوط فإننا لانأمن أن تكون قد امتدت إليه يد التشويه والتحريف، بواسطة غيوم وأمثاله من الكفرة الحاقدين على الإسلام.وعلى فرض صحة وجود هذا المخطوط وصحة نسبته لابن إسحاق، فإن مقتضيات البحث العلمي الجاد تحتم على الباحث عدم التسرع وإصدار الأحكام القاطعة دون فحص

---

(١) زيد بن عمرو: ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، ووهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، سعيد هو أحد المبشرين بالجنة، وكان أبوه زيد بن عمرو ابن نفيل يطلب دين الحنفية دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث النبي محمد ﷺ وكان لا يذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة والدم. (انظر: النمَري: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،(٢٦٩ (باب حرف السين)، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، ط١، دار الإعلام ـــ الأردن ـــ عمان ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

(٢) طـه:د. عزية، مقال بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (السنة السادسة، العدد الثالث عشر،(من ص: ٢٤ ـــ ٢٥).

الروايات الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع، أو على الأقل دون أن يعثر على روايات أخرى تقوي هذه الرواية وتدعمها.وعليه فإن هذا الحديث الذي ساقه عن ابن إسحاق يعتبر كسابقه مردودا حسب مقاييس علماء المصطلح، بل إن الرواية لها إسناد قائم، وعليه فلا يعتبر مثل هذا الكلام حديثًا أصلاً، ولا تحل رواية مثله إلا لبيان وضعه، وتحذير المسلمين من شره»[١].

وقد قامت الدكتورة عزية طه بالرد على هذه الشبهة مبينة: أن المصادر التاريخية المعتبرة لدى المسلمين، وكتب السيرة، قد أجمعت أن ﷺ لم يقرب عبادة الأصنام، و لم يتقرب إليها بأي قربان[٢].

أما هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي (ت ٢٠٤هـ[٣]) والذي اعتمد عليه غيوم في إثبات افتراءاته واتهامه للنبي ﷺ بالتقرب إلى الأصنام، فهو رافضي، مجروح من أئمة الجرح والتعديل الموثوق بهم لدى المسلمين.

ومن ذلك ما جاء عن سيرته في معجم الأدباء، قال عنه الإمام أحمد: «كان صاحب سِير ونسب ماظننت أن أحدا يحدث عنه..وقال الدار قطني:هشام متروك، وقال غيره: ليس بثقة»[٤].

ومحاولة المستشرق غيوم تهدف إلى إثبات أن أصل التوحيد عند العرب يرجع إلى المؤثرات اليهودية والنصرانية،كما قلل بعض المستشرقين من دور الحنفاء[٥] على الدعوة الإسلامية لتأييد زعمهم الباطل بدور المؤثرات الأجنبية على دعوة التوحيد الخالص.

يقول المستشرق (دومينيك سورديل) في كتابه (الإسلام): «اليهود والمسيحيين رغم

(١) طه: د. عزية، مقال بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، (ص: ٥٥).

(٢) انظر:طه: د. عزية، مقال بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، (ص: ٥٢).

(٣) الرومي: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)،(٦ / ٢٧٧٩، تحقيق: الدكتور: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي بيروت ــ لبنان ١٩٩٣م.

(٤) الرومي: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)،(٦/ ٢٧٧٩، تحقيق: الدكتور: إحسان عباس.

(٥) الحنفاء:هم الذين على الحنفية السمحة ديانة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

اعتبارهم أجانب يختلطون بسكان مكة. وقد كان لهم أثر في إعداد العقول لتقبل رسالة التوحيد التي جاء بها محمد. وهذا ما عبر عنه بكلمة الحنفاء الواردة في القرآن، والتي تعني مجموعة من البشر انعتقت من الأنظمة الدينية الوثنية بدون تأثير خارجي، وأقامت معالم التوحيد»(١).

فهذا المستشرق يعتبر الحنفاء هم اليهود والمسيحيين لتثبيت شبهة أثر البيئة في نشأة الدين الإسلامي.ومع اعتراف مونتجومري وات بدور الحنفاء، إلا أنه حاول أن ينسب بذور التوحيد إلى التأثير اليهودي والمسيحي، يقول مونتجومري وات في كتابه محمد في المدينة:

«يستعمل القرآن أولاً كلمة (حنيف) ثم (مسلم) لنعت أتباع الدين الحقيقي، وقد استعملت كلمة (حنيف) عند اليهود والمسيحيين إما مرادفة لكلمة (وثني) أو (تابع ديانة سورية عربية متأثرة بالهيلينية) يجعل القرآن إذاً لهذه الكلمة معنى جديدًا. وربما كانت كلمة (مسلم) جديدة»(٢).

وقد تناول مونتجومري وات موضوع الحنفاء في الجزيرة العربية، ثم أسند إليهم سبب تسرب فكرة التوحيد في البيئة التي يعيش فيها النبي محمد ﷺ ، وأن منهم كثيرون من أصحاب محمد الأول ـــ على حد قوله ـــ كعثمان بن مضغون وأبي عامر عبد عمر بن صيفي، من المدينة الذي أصبح فيما بعد عدوًا لدودًا، ـــ ثم قال:

«وللحنفاء أهمية في دراسة حياة محمد، لأنهم دليل على وجود نزعة التوحيد في البيئة العربية»(٣).

أما المستشرق (برنارد لويس) فيؤكد شبهة الأخذ من الأحناف بقوله:

«تروي السنة بعض الأخبار عن الحنفاء الذين لم يرتضوا دين قومهم الوثني، و لم يقتنعوا لا بالنصرانية ولا باليهودية، فيجب أن نبحث عن أصول محمد ﷺ عند هؤلاء»(٤) .

---

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٤٨، ترجمة: سليم قندلفت، تقديم: د. طيب تيزيني.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص:٣١٣)، تعريب: شعبان بركات.

(٣) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٢٥٦ ـــ ٢٥٧)، تعريب: شعبان بركات.

(٤) Lewis ،The Arab. Cit ،P. ٣٩

نقلا من: مطبقاني: إعداد: مازن صلاح، منهج المستشرق برنا رد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، (ص: ١١٧).

ويشارك لويس في هذه الشبهة هاملتون جب حيث أشا ى ر إلى ارتباط الرسول ﷺ بالأحناف، وأن الإسلام كان يطلق عليه الحنيفية أولا، ثم أصبح اسمه فيما بعد بالإسلام(١).

والحقيقة أن بعض أهل مكة كانوا على عقيدة التوحيد (الحنفية السمحة) وهي الديانة التي نشرها نبينا إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ .

فبذور التوحيد قبل الإسلام تستمد أصولها الحقيقية من الحنفية السمحة، وليس للديانتين اليهودية والنصرانية المحرفة أثر في ظهور التوحيد الذي دعا إليه الإسلام. بل إن حقيقة الديانتين اليهودية والمسيحية تدعو إلى وحدانية الله تعالى.

قال الدكتور فيليب حتي:

«أعظم عقيدة من عقائد الإسلام وحدانية الله، وهذه العقيدة توكيد للعقيدة اليهودية ــ المسيحية، وتنزيه لها، ويعبر المسلم عنها بعبارة الشهادة: لا إله إلا الله، وهي من أكثر العبارات التي تتردد في اللغة العربية. تقال للطفل عند مولده، وتبقى معه طوال حياته، وترافقه إلى لحده»(٢).

فأصل الديانتين قبل التحريف تدعو إلى الوحدانية، وأن أقوامهم كذبوا أنبياءهم المبعوثين لهم وأصابهم من الله العذاب الأليم، وجاء الدين الإسلامي يدعوا إلى ما دعا إليه الأنبياء السابقين الذين بشروا بعقيدة التوحيد في الجزيرة العربية وهذه سنة الله في خلقه، يبعث بين الحين والآخر أنبياءه لهداية البشرية إلى طريق الحق والصواب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥.

فالدعوة إلى عبادة الله وحده تتابعت من آدم عليه الصلاة والسلام إلى ذريته عن طريق

---

(١) Gibb. Muhammadanism.Op.cit،P.٢٦.

نقلا من: مطبقاني: إعداد: مازن صلاح، منهج المستشرق برنا رد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، (ص: ١١٧) .

(٢) حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى،(ص: ١٤١)، ترجمة الدكتور: أنيس فريحة.

الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى عباده،فالديانة اليهودية والنصرانية المحرفة ليست دين توحيد.

قال الدكتور محمود ماضي: «فإن من يزعم أن اليهودية والمسيحية دينا توحيد وأن محمدًا أخذ عنهما هذه العقيدة، فعليه بالبينة: أولاً: أنهما دينا توحيد، ثانيًا: أن محمدًا أخذ عنهما»(١) .

وعقيدة التوحيد الصحيحة قائمة على توحيد الإله توحيدًا خالصًا، وليس كما يعتقد النصارى بتقسيم الإله إلى أجزاء: الآب، والابن، وروح القدس. ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد،هم يقولون بوحدانية مركبة من أقانيم ثلاثة، كيف يكون ذلك توحيدًا؟

إن قولهم بالتثليث جمع بين الضدين،فهم يعبدون ثلاثة آلهة، ويجعلونها ضمن مسمى واحد وهو (الله) وبناء عليه يعتقدون أنهم موحدون!

وقد نهاهم الله تعالى عن ذلك بقوله:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ النساء: ١٧١.

إن قول النصارى بالتثليث جمع بين الضدين وإن حاولوا تقريبها للأذهان، وهي قضية يصعب فهمها.

قال المستشرق (ر. ف. بودلي)(٢): «شاء محمد أن يفرض شريعة التوحيد على قوم تعودوا تعدد الآلهة. وبدأ أن المسيحيين الذين يحمل لهم كل تقدير، قد عقدوا عقائدهم البسيطة الجميلة السهلة، إلى عقائد غير مفهومة ولا ضرورة لها، ورأى محمد أن سر الثالوث

(١) ماضي: محمود، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، (ص: ١٥٧).

(٢) ر. ف. بودلي(BODLEY) من آثاره كتاب: (الرسول) (حياة محمد في ٣٦٨ صفحة) وقد آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية وضل في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر.

(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٢ / ٥٢٩)

والتجسد أشياء غامضة، تناقض وحدانية الله، ورأى أنهم يعبدون في الحقيقة ثلاثة آلهة، ويتحول الرجل عيسى إلى مادة ابن الإله. وقد جاء في السورة الرابعة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ النساء: ١٧١ ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ الفرقان: ١»[(١)].

ويقول ناجيمو راموني:

«لم يكن لي خيار من المقارنة بين مبدأ توحيد الله في التصور القرآني، وبين اعتقادي بالثالوث كمسيحي، فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي، ومن تلك البقعة بالذات بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية، على اعتبار أن الإيمان بالله هو أول وأهم مبدأ في أي دين من الأديان، فإذا كان إيماني بالله خاطئًا بالمفهوم الديني الصحيح، فمعنى ذلك:أن كل نشاط آخر يصبح عبثًا لا جدوى منه، ولا معنى له»[(٢)].

نبينا محمد ﷺ لم يقتبس عقيدة التوحيد، ولا يمكن أن يقبل ذلك أي عقل سليم، فالدعوة إلى التوحيد منشورة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي دعوة ربانية المصدر، أمر الله بها رسله من آدم عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد ﷺ فقد دعت الرسل أممها إلى عبادة الله وحده، والخلوص من الشرك.

قال الدكتور محمد شامة: «لقد انفرد الإسلام في العقائد والشرائع بالأصالة وخالف ما ورد في الكتب الموجودة عند اليهود والنصارى.ففيما يتعلق بالإله يقول أحد العلماء الأوربيين: (الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلا بشريا أو ما إلى

---

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٨٦)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار، الناشر: مكتبة مصر.(بدون ذكر الطبعة وتاريخها) .

(٢) رجال ونساء أسلموا،(٩ / ٥٤ ــ ٥٥)، نقلا من: خليل: عماد الدين، قالوا عن الإسلام، (ص: ١٨١).

ذلك من الأشكال. أما المسيحية فإن لفظة (الله) تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجـل شـيخ طاعن في السن، قد بات عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال، فمن تجاعيد بالوجه غائرة، إلى لحية بيضاء مرسلة مهملة، تثير في النفس ذكرى الموت والفناء، ونـسمع القـوم يصيحون: (ليحيا الله) فلا نرى للغرابة محلا، ولا نعجب لصيحتهم، وهم ينظرون إلى رمـز الأبدية الدائمة، وقد تمثل أمامهم شيخا هرما قد بلغ أرذل العمر، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء؟ وكيف لا يطلبون له الحياة؟

كذلك (ياهو) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي، فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة، وكذلك تراه في متحف (الفاتيكان) وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة.أما(الله) في دين الإسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته، أو ينحته أزميله»[1] .

(١) محمود: د. عبد الحليم، أوربا والإسلام،(ص: ٧٧)، المكتبة العصرية، نقلا من: شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي،(ص: ٤٤ ــ ٤٥)، حاشية رقم (١) من: (ص: ٤٥).

المبحث الثالث

التوحيد في نظر بعض المستشرقين

توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم، المدبر، والمحيي والمميت، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهذا أمر مركوز في الفطرة، لا يكاد ينازع فيه أحد من الأمم، وقد فطر الله جميع الخلق على الإقرار بربوبيته حتى المشركون الذين جعلوا لرب العالمين شريكًا في العبادة يُقرون بتفرده بالربوبية(١).

فالإقرار بربوبية الله ﷻ والتوجه إليه أمر فطري، وهو الأصل في البشرية، والشرك أمر حادث وطارئ(٢) .

كما أن مهمة الرسل دعوة الناس إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، لكن بعض المستشرقين أخطأ في فهم دعوة الرسول ﷺ معتقدًا أن دعوة النبي محمد ﷺ هي دعوة إلى الإيمان بوجود الله تعالى والحق أن دعوته متركزة على إفراد الله تعالى بالعبادة، جاء في دائرة المعارف: كان محمد ﷺ يعتقد في وجود الله إلى درجة بعيدة، وكان هذا الاعتقاد هو محور «الدين الذي يدعو إليه»(٣).

ولم يدرك هؤلاء أن الإيمان بوجود الله أمر فطري، وأن الدعوة إلى إفراد الله تعالى هي دعوة الرسل جميعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦ .

من ذلك نفهم أن محور دعوة الرسل جميعًا هي الدعوة إلى توحيد الألوهية، وكفار قريش، حققوا توحيد الربوبية ولم ينكروا وجود الخالق ﷻ لكنهم أشركوا في العبادة، ولو

---

(١) انظر:الفوزان: د. صالح بن فوزان عبد الله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد،(ص: ٢٧ ـــ ٢٨)، ط٥، دار ابن الجوزي ـــ السعودية ١٤٢١هـــ.

(٢) انظر:الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٢٢١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٥٦٨)، مادة الله، كتبها: ماكدونالد، (الدائرة الأولى).

صح ما قاله بعض المستشرقين لكان كفار قريش مسلمين.

وقد دأب كثير من المستشرقين وغيرهم من الأعداء على اختلاق الأكاذيب المضللة، والافتراءات الحاقدة حول الإسلام وأهله، فقد ادعى بعض المستشرقين أن الرسول ﷺ قد اقتبس فكرة التوحيد عن الديانة اليهودية، وهو مدين لهم ـــ حسب زعمهم ـــ بمعرفته فكرة التوحيد الخالص.

وأثار بعض المستشرقين حول الأحاديث النبوية الواردة في شأن التوحيد بعض الشبهات، للتدليل على أن فكرة التوحيد مستوحاة من اليهودية.

وقد حاول بعض من المستشرقين في مؤلفاتهم إثبات أن مفهوم التوحيد في الإسلام لم يكن نقيًا، بل ممزوجًا بالشرك والوثنية(١).

ونجد كذلك فيليب حتي وهو يتحدث عن العزى، وهو صنم من أصنام الجاهلية ـــ يردد مثل هذه المزاعم معلقًا بقوله: ويقول الكلبي إنها كانت أعظم الأصنام عند قريش، فكانوا يزورونها، ويقدمون لها الذبائح وروي أن رسول الله ذكرها يومًا فقال: «لقد أهديت للعزى شاة عفراء.وكان ذلك أيام حداثته»(٢).

وهذا الأثر ذكره هشام بن السائب الكلبي ت٢٠٤هـ، جاء في لسان الميزان عن ابن الكلبي:

" قال أحمد بن حنبل إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه وقال الدارقطني وغيره متروك وقال ابن عساكر رافضي ليس بثقة" (٣)

وقال ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال: " هشام بن محمد بن السائب ومحمد بن السائب والده صاحب التفسير سمعت ابن حماد يقول حدثني عبد الله سمعت أبي يقول هشام من يحدث عنه إنما هو صاحب سمر ونسبة وما ظننت ان أحدا يحدث عنه وهذا كما

---

(١) انظر::مقال د. عزية طـه، بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السادسة، العدد الثالث عشر، (ص: ٢٣).

(٢) حتي: فيليب خوري، تاريخ العرب،(١ / ١٣٨)، ترجمة: د. عمر فروخ،دار غندور ـــ ١٩٨٦م.

(٣) لسان الميزان (١٩٦/٦)

قال احمد هشام الغالب عليه الاخبار والاسمار والنسبة ولا اعرف له شيئا من المسند"[(١)]

ولاشك أن هذا الأثر منكر مخالف لما استفاض عن الرسول محمد ﷺ في السيرة من بغضه وبعده عن الأصنام وعبادتها والتقريب لها، وتفرد الكلبي مع ما قيل فيه بهذا الخبر مع نكارة متنه وعدم وجود سند له مما يدل على أن هذا البلاغ موضوع على النبي ﷺ.

ولرد هذه الفرية فإن فالتاريخ يثبت أنه كان هناك في مكة حنفاء يكرهون الوثنية، ويدينون بالتوحيد، ومحمد ﷺ كان يكره عبادة الأوثان، وثبت عنه أنه بقي معتكفًا في غار حراء وقتًا غير يسير قبل نزول الوحي عليه.

كما حاول بعض المستشرقين أن يربطوا مسمى (الله) في الدين الإسلامي بما كان يطلقه العرب قبل الإسلام على آلهتهم مثل: (اللاّت) والهدف من ذلك إيجاد مسوغ لمدى تقبل أهل مكة لما دعا إليه الرسول الكريم من دعوى عبادة الله وحده[(٢)] .

يقول مونتجومري وات في حديثه عن ظهور النزعات التوحيدية:

«توحي لنا جملة:رب هذا البيت (أي الكعبة) في سورة قريش، أن المكيين المثقفين كانوا يعتبرون أنفسهم يعبدون الله في هذا المكان. إن لفظة (الله) العربية هي اختصار (الإله التي تعني كلفظة ("Ho Theos) عند اليونان (الله) ولكنها كانت تستعمل بمعنى (الإله الأكبر). وربما كان المكيون الجاهليون، في العصر السابق على محمد، يستعملون كلمة (الله) للدلالة على الآلهة الرئيسية[(٣)] في الكعبة، كما كانت آلهة الطائف تعرف باسم (اللات). وإذا صح أن كلمة (الله) كانت تستعمل للدلالة على (الإله) الذي كان يعبده اليهود والمسيحيون فإن هذا يؤدي إلى الاختلاط، وربما كانت الفرضية التالية هي الأقرب للواقع.بينما كان بعض المكيين يعبدون (الله) فلم يخطر ببالهم أن معتقداتهم القديمة المشركة لاتتفق مع الاعتقاد (بالله) ولهذا لم يرفضوها. ولاشك أن بذور التوحيد هذه عند العرب قد ظهرت بفعل التأثيرات المسيحية اليهودية»[(٤)].

---

(١)الكامل في ضعفاء الرجال (٧ /١١٠)

(٢) انظر:وات: مونتجمري، محمد في مكة، ترجمة: شعبان بركات، (ص: ٥٧).

(٣) الصواب الرئيسة.

(٤) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٥٧)، تعريب: شعبان بركات.

وقد أكد (مونتجمري وات) أن فكرة (الله) قد تسربت إلى التفكير العربي بعمق، حتى إنهم يرون أنهم إذا فعلوا فاحشة قالوا: إنهم وجدوا آباءهم عليها وإن الله أمرهم بها(١).

وهذا المستشرق يرمي إلى ترسيخ دعوى التطور في العقيدة الإسلامية ــ كما يعتقد الكثير من المستشرقين ــ فالديانة عند العرب ــ عنده تطورت من الحجارة المجردة إلى عبادة الله بتأثير أجنبي.والحقيقة أن عبادة الأصنام استمرت بعد ظهور الإسلام، وفكرة الأصنام ظهرت لدى العرب باعتبارها رموزًا لأناس صالحين عبدوا الله وحده، ولكن بعد مرور الزمن نسي الناس الأصل، وعبدوها من دون الله.

و لم يخرج ماكدونالد فيما كتبه في دائرة المعارف الإسلامية تحت عنوان (الله الكائن الأعلى عند المسلمين) عن القول بتأثير البيئة وبنظرية التطور على عقيدة التوحيد التي دعا إليها نبينا محمد ﷺ بقوله:

«مما لاشك فيه أن العرب قبل محمد قالوا بوجود إله على نحو ما، سموه (الله) أو (الإله) وعبدوه نوعًا من العبادة. وهذه الكلمة إما أن تكون من أصل عربي صحيح، وإما أن تكون آرمية الأصل مشتقة من كلمة (ألاها) ومعناها الله. وليس يعنينا الآن أن نفحص عما إذا كان الإله في نظرهم يمثل فكرة مجردة، أم أنه كان يمثل تدرجهم في تصور إله معين مثل هبل»(٢).

فالله الواحد القهار في نظر بعض المستشرقين مشتق من تسميات أجنبية، ومتطور من إله مادي محسوس مثل هبل إلى فكرة مجردة.

فالله عندهم مجرد إبداع فكر إنساني، وأكد ماكدونالد ذلك بقوله: «وقد عرَّف محمد الله بأنه الملك المنتقم الغيور، وأنه سيحاسب الناس من غير شك، ويعاقبهم في اليوم الآخر، وبذا تحولت تلك الفكرة الغامضة عن الله إلى ذات لها خطر عظيم»(٣).

والحق أن مشركي أهل مكة كانوا يعرفون الله تعالى، ويقرون به، ولكنهم لا يوحدون الله في العبادة فكانوا يعترفون بتوحيد الربوبية،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر: وات: مونتجمري، محمد في مكة، ترجمة: شعبان بركات،(من ص: ٥٩).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٤)، مادة الله، طبعة الشعب.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٦)، (مادة الله ــ عقيدة محمد في الله) طبعة الشعب.

وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ العنكبوت: ٦١ .

وكذلك يتوجهون له بالدعاء،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ العنكبوت: ٦٥ .

وقد أشار المستشرق (روم لاندو)[1] إلى أن فكرة الذات الإلهية ليست غريبة عند المسلمين، فالله موجود عند العرب قبل الإسلام حيث قال:

«وعلى الرغم من أن الوثنية كانت هي الدين السائد في بلاد العرب القديمة، فإن الفكرة القائلة بوجود إله واحد أسمى لم تكن غريبة على العرب.. فقد قال اليهود والنصارى، طبعا بالوحدانية، وأقر الصابئة بأن ثمة إلها واحدا، ولكنهم جعلوا من عدد كبير من صغار الآلهة شركاء له، وكان في مكة إله اسمه الله كان هو الرازق، وكان هو أقوى الآلهة المحلية جميعًا، والإله الذي يفزع إليه كل مكي في لحظات الشدة»[2].

فالذات الإلهية كانت موجودة حقيقة كما شهد هذا المستشرق، وليست فكرة بشرية منطلقة من تصور النبي محمد ﷺ كما يظن بعض المستشرقين.

فإذا ثبت أن كفار مكة كانوا يعرفون الله. فكيف يكون الله فكرة غامضة كما يدعي بعض المستشرقين!

والحق أن التوحيد الإسلامي رباني المصدر، وهو امتداد لما دعت إليه الديانات السماوية السابقة، وكلها صادرة عن الله تعالى.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ

---

(١) روم لاندو. .:randaul. نحّات وناقد فني انكليزي، زار زعماء الدين في الشرق الادنى (١٩٣٧)، وحاضر في عدد من جامعات الولايات المتحدة (١٩٥٢ – ١٩٥٧)، استاذ الدراسات الاسلامية وشمالي افريقيا في المجمع الامريكي للدراسات الاسيوية في سان فرنسيسكو (١٩٥٣) من آثاره: (الله ومغامرتي (١٩٣٥)، (بحث عن الغد)(١٩٣٨)، (سلم الرسل)(١٩٣٩)، (دعوة الى المغرب)(١٩٥٠)، (سلطان المغرب)(١٩٥١)، (فرنسا والعرب)(١٩٥٣)، (الفن العربي)(١٩٥٥) وغيرها.

http://quran.maktoob.com/vb/quran٤٩٨٠٨/

(٢) لاندو: روم، الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي،(ص: ١٦)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان ١٩٧٧م.

هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣ .

ثم إن الله هو خالق هذا الكون، ومهمة الرسل دعوة الناس إلى التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، والعبادة هي التي خلق الله الخلق لأجلها،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات: ٥٦ .والعبادة : « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادات.وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه»[1].

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس.

قال شارح الطحاوية: «توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لقمان: ٢٥ ، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ المؤمنون: ٨٤ – ٨٥.

ومثل هذا كثير في القرآن. ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم، من الهند، والترك، والبربر، وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء ويتوسلون بهم الى الله، وهذا كان أصل شرك العرب، قال تعالى حكاية عن قوم نوح. ﴿

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١٠ / ١٤٩) (العبودية).

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ نوح:٢٣))[1].

ولأهمية هذا النوع من التوحيد (توحيد الألوهية) ولأنه لب دعوة الرسل، كانت عناية القرآن به كبيرة.

وتحقيق هذا التوحيد يكون بالتوجه لله وحده وإفراده بالعبادة والبراءة من الشرك.وقد ركز كثير من المستشرقين في مسألة توحيد الألوهية على قضية نسبة العبادات في الإسلام إلى مؤثرات خارجية[2].

فالعبادات ــ في نظر كثير من المستشرقين ــ من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج مستقاة من أصول يهودية، أو نصرانية، أو حتى وثنية؛ لذا حاول كثير من المستشرقين بشتى السبل إظهار العبادات والشعائر الإسلامية بمظهر التأثر باليهودية والمسيحية؛ لإقناع المسلمين بالعودة للأصل الذي أخذ عنه الإسلام أفكاره حسب خطتهم التنصيرية المرسومة مسبقًا، وغاب عن هؤلاء أن الأديان السماوية تتفق في الأصول والمقاصد، وإن اختلفت في شرائع الأحكام.فالصلاة والزكاة وغير ذلك من العبادات بمختلف صورها تتفق في غاية واحدة، وتصب في مسار واحد، وهو تقوى الله ﷻ لتحقيق العبودية له وحده دون سواه،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى: ١٣ .

وبما أن دعوة نبينا محمد ﷺ هي الدعوة للإسلام، وهو خاتم الأنبياء والرسل فلا ريب أن مادعا إليه الأنبياء السابقون من عبادات هي نفسها التي أمر الله بها نبينا محمد ﷺ

روى أبو هريرة عن النبي محمد ﷺ أنه قال: ((..والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى

---

(١) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٣١)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٢) يوجد رسالة دكتوراه بعنوان(موقف المستشرقين من العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية) رسالة دكتوراه،للدكتور: محمد سعيد السرحاني.وكتاب: شبهات المستشرقين حول العبادات في الإسلام، د. ناصر محمد السيد.

ودينهم واحد))[١].

لذا نجد شبهًا في بعض التسميات والأفعال، ولكن شتان بينهما، فقد جاءت العبادات التي أمر الله بها نبيه محمدًا ﷺ صافية مما علق بها من تحريف ولا تزييف.

ومن أمثلة افتراءات بعض المستشرقين على العبادات: الافتراء على الصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك من العبادات،فبعضهم جعل تحنث النبي محمد ﷺ في غار حراء [٢]،وصلاة الجمعة من أصل عبري[٣]،قال ابن كثير في تفسيره لسورة الجمعة عن سبب تسمية يوم الجمعة: «وقد كان يقال له في اللغة القديمة (يوم العروبة) وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق[٤]، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة » [٥].وفسر بعض المستشرقين الزكاة بأنها مجرد ضريبة[٦]، تتغير مقاديرها على مر الأيام [٧].

ونجد بعض المستشرقين من يشكك في فرضية الصيام، وينسب ذلك إلى تقليد نبينا محمد ﷺ لصيام اليهود [٨].

ومن المستشرقين من يصف الإحرام والعمرة بأنها مستمدة من العبادة الوثنية [٩].

هذا من ناحية العبادات،وإذا نظرنا إلى أسماء الله وصفاته في العقيدة الإسلامية فقد أخبر الله ﷻ عن نفسه في القرآن الكريم بأسمائه الحسنى التي استلزمت صفاته العلى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ

---

(١)أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، ج ٦/ ٤٧٨،ح (٣٤٤٣)، ومسلم كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج٤/١٨٣٧، ح(٢٣٦٥).

(٢) انظر: وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٨٢)، تعريب: شعبان بركات.

(٣) انظر: وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص: ٣٠٢)، تعريب: شعبان بركات.

(٤) أي:خلق آدم (نقلا من: الحاشية،(ص: ١١٩)، حاشية رقم ٦).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(٨ / ١١٩).

(٦) انظر:سورديل: دومينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ١٠٢)، ترجمة: سليم قندلفت .

(٧) انظر:حتي: فيليب، تاريخ العرب، (١ / ١٨٢ ــ ٢٩٢).

(٨)انظر: وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص: ٤٦٧ ــ ٤٦٨)، تعريب: شعبان بركات.

(٩) انظر: سورديل: دومينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ١٠٣)، ترجمة: سليم قندلفت.

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ الأعراف: ١٨٠ .

فالواجب إثبات جميع ما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[١].

وعدم التفريق بين الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر[٢]، وتنــزيه الله تعالى من أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقات.

لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ الشورى: ١١ .

والإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله ــ من هو ــ أعلم بالله من الله،لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٠ ، مع قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية، لقوله قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ١١٠﴾ طه: ١١٠[٣].

وقد تناول بعض المستشرقين في دراساتهم المتعلقة بوحدانية الله وحقيقة الرب في الإسلام بعضًا من أسماء الله، وصفاته العلى المذكورة في القرآن الكريم بالدراسة والتحليل .

وقد أنصفت المستشرقة البولونية (بوجينا غيانة تستشيجفسكا)حينما عرضت عقيدة التوحيد وصفات الخالق الرب المعبود بقولها: «فالمسلم يجب عليه أن يعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه، أن لهذا العالم إلها خلقه وأوجده. وأن هذا الإله متصف بكل صفات الكمال، منــزه عن جميع صفات النقص، وأن الله لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء،﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ الشورى: ١١، وأن هذا الإله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه ﷻ حي سميع، بصير، وأنه متكلم بكلام لا يشبه كلام البشر.وأنه ﷻ ليس له أول وليس له آخر وأنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه، وجميع الخلق محتاجون إليه في كل شيء من وجودهم وأرزاقهم، وأنه ﷻ واحد في كل شيء. فهو واحد في ذاته، بمعنى أنه

---

(١) انظر: ابن تيمية،(مجموع الفتاوى،(٣ / ١٢٩ ــ ١٣٠).

(٢) انظر: ابن تيمية،(مجموع الفتاوى، (٣/ ١٧).

(٣) انظر: الشنقيطي: محمد الأمين، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،(ص: ٣ ــ ٢٦)، مطبوعات جامعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠١هـــ.

ليس هناك إله غيره، وليس هناك من يستحق العبادة سواه»[1].

لكن بعض من المستشرقين زورًا وبهتانا زعم أن أسماء الله وصفاته من خيال النبي محمد ﷺ والبعض الآخر وصفها بالتناقض، ومشابهة صفات المخلوقين، ورد بعضها إلى جذور نصرانية .

(1) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٤ ــ ١٥).

المطلب الأول: أقوال المستشرقين في الصفات:

أولاً: الادعاء بأن نبينا محمد ﷺ قد اختلق الصفات من خياله:

قال ماكدونالد: «وقد استطاع محمد بفضل خياله المتوقد أن يصف الله بصفات واضحة معينة، مثل الأول، والآخر، والظاهر، والباطن»[1].

وكيف يكون ذلك ونبينا محمد الصادق الأمين فيما أخبر به عن ربه، فلا يستطيع أن يتقول على الله شيء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الحاقة: ٤٤ – ٤٦ .

وبما أنهم اعتبروا الله فكرة ابتدعها نبينا محمد ﷺ فمن الطبيعي أن يجعل هؤلاء المستشرقون صفاته تعالى مخترعة من قبل نبينا محمد ﷺ والحق الذي لا مرية فيه أن الله متصف بصفات الكمال متتره عن النقائص.

قالت المستشرقة لورا فيشيا فاغليري: «ونحن في ريب من أن هذا المفهوم للإله، المتصف بأكمل الصفات، والمنـزه عن جميع الصفات غير الكاملة، سوف يبدو على مستوى واحد من النبل والرفعة لكل الناس.وليس من شك في أن قومًا سيقولون إنه ليس أصيلاً. وأنه يشبه المفهومين اليهودي والنصراني إلى حد بعيد، وإن الإسلام لم يقدم أيما عنصر جديد لتصوير العلاقة بين الإنسان والله. ولكن أية قيمة لمثل هذا النقد إذا أدركنا أن محمدًا نفسه لم يزعم أنه جاء بأفكار جديدة، ولكنه أعلن في جلاء أن الله أرسله ليعيد ملة إبراهيم ــ التي حُرفت من بعده ــ إلى أصلها، وليؤكد ماكان الله قد أوحى به إلى أنبيائه السابقين مثل موسى، وأشعيا، ويسوع المسيح. لقد كان هو آخر الأنبياء حَمَلَة التشريع ليس غير»[2].

ثم بدأ هؤلاء يبررون كل صفة حسب مقتضياته ومتطلباته الدعوية، فمثلاً: وصف الرسول محمد ﷺ ربه بأنه الملك المنتقم الجبار لتخويف الناس، حتى يصبحوا أتباعه فيما دعا إليه، وهكذا في بقية الصفات عمدوا إلى التأويل والتفسير حسب ما يرونه من وجهتهم الشخصية ونزعتهم الفردية.

---

(١) دائرة معارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٧)، طبعة الشعب.

(٢) فاغليري: لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، (ص: ٥٤).

وكتَّاب الدائرة الأعاجم لا يحق لهم أن يقولوا مثل هذا القول جزافًا، وهم لا يفقهون معاني اللغة، فالقرآن معجزة الله الخالدة، وعليه فكذب محمد ـ كما يدعي هؤلاء ـ وتخيله لصفات لم يخبر بها الله تعالى أمر غير وارد، فهو الصادق الأمين فيما أخبر به عن الله تعالى وعن صفاته.

ثانيًا: القول بأن لوازم السجع حملت محمدًا على وصف الله بعدة صفات ورد ذكرها في القرآن:

جاء في دائرة المعارف: «ومن حسن التوفيق أن لوازم السجع حملته على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها كثيرًا في القرآن»[1].

وصفات الله تعالى وحي من عنده لنبيه محمدًا ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ – ٤.

وأمثال هؤلاء المستشرقين قلدوا المشركين الذين اعتبروا النبي محمدًا ﷺ واحدًا من الشعراء قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٥ .

ورددوا مزاعمهم. وهم يدعون الموضوعية في البحث.

ثالثًا: تشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين:

يقول ماكدونالد: «ويتصف الله كذلك باعتبار صلته بالإنسان بأنه المؤمن، وعندما تطلق على الإنسان يكون معناها المصدق،....والولي ترد كثيرًا في القرآن، وهذه الصفة الأخيرة تطلق كذلك على الإنسان، وهي أساس الاعتقاد في الأولياء في الإسلام»[2].

وقال ماكدونالد: «والله هو العفو(سورة النساء الآية ٤٦ وغيرها[3]) والحليم (ترد كثيرا

---

(١) دائرة معارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧)، طبعة الشعب.

(٢) دائرة معارف الإسلامية،(٤ / ٢٥٢)، (مادة الله ـ صلة الله بالإنسان) طبعة الشعب.

(٣) قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ النساء: ٤٦.

في القرآن) والتواب (سورة البقرة الآية ٣٥ وغيرها[١]) وهذه الصفة تطلق على الإنسان أيضا، والشكور (سورة الملائكة[٢] الآية ٢٧[٣]وغيرها) وتطلق هذه الصفة على الإنسان كذلك»[٤].

بالرغم أن الصفات التي أشار لها ليست موجودة في الآيات حسب عزوه باسم السورة ورقم الآية، إلا أن العاقل يعرف أن في الوجود موجودات تشترك في المسميات لفظًا، وتختلف في الحقيقة والواقع.وإذا حدث ذلك مع المخلوقات فالخالق أولى بهذا التباين، وصفات الله تعالى أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقات.قال ابن تيمية: «فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود، أن هذه مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود، لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنى مشتركًا كليا، هو مسمى الاسم المطلق»[٥].

رابعا: القول بأن صفات الله متناقضة:

قال ماكدونالد: «وكان من جراء الزيادة في الحديث أيضًا أن اشتد التناقض في صفات الله...ومما تجدر ملاحظته أن الأحاديث التي تتكلم عن مسائل الغفران بالذات يبدو فيها التناقض واضحًا جليًا[٦]» .والحق أن أسماء الله وصفاته منزهة عن النقائض، وليس أعلم بالله

---

(١) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ البقرة: ٣٥ .

(٢) تسمى سورة فاطر بـ (سورة الملائكة) انظر صحيح البخاري – مع الفتح -: كتاب التفسير ــ باب تفسير سورة الملائكة (سورة فاطر) ج ٥٣٩/٨.

(٣) قال تعالى في سورة فاطر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ فاطر: ٢٧ .

(٤) دائرة المعارف،(٤ / ٢٥٢) (مادة الله ــ صلة الله بالإنسان) طبعة الشعب.

(٥) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٣/ ١٠)، (الرسالة التدمرية).

(٦) ماكدونالد وكارديه، الله،(ص: ٣٢)، تعليق: إبراهيم الابياري ــ أحمد محمد شاكر ــ أحمد محمد جاد المولى ــ محمد حامد الفقي ــ محمد عاشور الصرفي ــ محمد عرفة، إعداد: إبراهيم زكي خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان.

من الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ طه: ١١٠.

كذلك ورد كثيرًا في القرآن الصفات الدالة على المحبة.كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤ وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٤ .

ولكن بعض المستشرقين يعمدون إلى قلب الحقائق، فيصفون إله المسلمين بأنه جبار عنيف يرهبه المسلمون فيذلون له، وما ذلك إلا ليعطوا صفة المحبة والسلام للديانة النصرانية، وأن الإله في الديانة النصرانية تقوم الصلة بينه وبين عباده على الحب، حيث يرسل ابنه الوحيد ليصلب فداء لآثامهم.

ومن تلك الافتراءات على الحق ﷻ قول المستشرق فيليب حتي: «وصفات الحب في الله تتضاءل أمام صفات القوة»[١].

ومن يتأمل الصفات الدالة على الرحمة والمغفرة في القرآن الكريم يجد أنها تزيد عن الصفات الدالة على القدرة والجلال، ولكن المستشرق فيليب حتي أعطى صورة عكس ذلك، حيث قال:

«إن القدرة والجلال في الله تعالى أبرز في القرآن الكريم من الأسماء الحسنى المتصلة بالمحبة»[٢].

وما ذلك إلا لتشويه صلة الخالق بالمخلوق في الديانة الإسلامية.

(١) حتي: فيليب، تاريخ العرب،(١ / ١٧٧)، ترجمة: د. ادوارد جرجي، ط٤، دار الكشاف ـــ بيروت ١٩٦٥م.

(٢) حتي: فيليب، الإسلام منهج حياة،(ص: ٧٠)، ترجمة: د. عمر فروخ، ط٢، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ١٩٧٩م.

المطلب الثاني: جذور الأسماء والصفات عند بعض المستشرقين:

أولاً: أنها مأخوذة من النصرانية:

جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن بعض الصفات الإلهية التي أطلقها نبينا محمد ﷺ على ربه ترجع جذورها إلى النصرانية، نحو ما كتبوه: «ومن صفاته كذلك البر (سورة الطور الآية ٢٨) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ ونور السموات والأرض (النور :٣٥) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾ ويظهر من سياق الكلام أنه يشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم وأديرتهم، وعلى هذا تكون الصورة الوصفية التي وردت في الآيات مأخوذة من صورة المذبح المضاء، وتذكرنا هذه الآيات أيضًا بعبارة (نور العالم) التي وردت في الإنجيل و(نور الأنوار) التي جاءت في العقيدة النيقية»[١].

وكيف يكون ذلك ولم يثبت أن نبينا محمدًا ﷺ دخل كنيسة أو ديرًا من أديرة النصارى.

ثانيًا: دعوى الاقتباس من العبرية:

من الملاحظ أن بعض المستشرقين لا يفرقون بين الاسم والصفة،فدائمًا يتكلمون عن الصفات لكنهم يذكرون الأسماء الحسنى باعتبارها هي الصفات.

قال ماكدونالد: «ومن الواضح أن صفة البارئ قد أخذها محمد من العبرية، واستعملت دُون أن يقصد منها معنى خاص»[٢].

وماذلك إلا لجهلهم باللغة العربية، ومادة (بارئ) موجودة في لغة العرب، من «بـرأ الله الخلق براءً وبروءًا أي خلقهم فهو بارئ»[٣].

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٩)، (مادة الله) طبعة الشعب .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٩)، (مادة الله) طبعة الشعب.

(٣) المعجم الوسيط،(ص: ٤٦)، مادة (بَدَم) .

ولها مشتقات،وقد خاطب الله بها عباده في القرآن الكريم، والقرآن نزل بلغة العرب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٩ .

ثالثا: القول بأنها مأخوذة من جنوب بلاد العرب:

يقول ماكدونالد: «فالله هو الرحمن الرحيم، وهاتان الصفتان أكثر الصفات شيوعًا، وتردان في بداية كل السور إلا واحدة،...ويظهر أن محمدًا أخذ هذه الصيغة عن جنوبي بلاد العرب»[١].

وها الكلام ليس عليه دليل، وقد علق على ذلك محمد حامد الفقي بقوله:

«وإنما الذي أوجب عنده شيئًا من الشبهة أنه وجد في بعض النقول أن أهل اليمامة أطلقوا لفظ (رحمان)[٢]على المتنبئ الكاذب مسيلمة، فقالوا:(رحمان اليمامة) كما في أول تفسير الكشاف وغيره من الكتب، ولكن هذه الشبهة ضعيفة جدًا؛ لأن مسيلمة إنَّما ادّعى النبوة في أواخر حياة النبي ﷺ فأراد أتباعه أن يعظموه بهذا الوصف فغلو في الكفر»[٣].

ويقول المستشرق (دومينيك سورديل) عن وحدانية الله في كتابه (الإسلام): «الله واحد، أزلي، عظيم الشأن، وكلي القدرة. الله أحد. وهذا ما يؤكده القرآن. خصوصًا في السورة الشهيرة (الإخلاص) التي غالبًا ما تعد الأقدم: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ الإخلاص: ١ - ٤ .

وهناك ثلاث آيات قرآنية غالبًا ما تستخدم لبيان صفات الله وفقًا للإسلام الرسمي:

﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ القصص: ٨٨، ـــ الأزلية والخلود.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورى:١١، ـــ التعالي المطلق مستبعدا كل تماثل وتشابه بالمخلوقات.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٢٥١)، (مادة الله)،طبعة الشعب .

(٢) والصواب: رحمن .

(٣) دائرة معارف الإسلامية،(٤ / ٢٥١)، (مادة الله)،طبعة الشعب .

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ الأنبياء: ٢٣ ــ الإرادة المطلقة.

والله هو الحقيقة الوحيدة. وقد جاء وصفه في القرآن بصفات عديدة، فهو: الحي القوي، العالم، الرحيم، الرؤوف... وأسماؤه الحسنى التي تبلغ تسعة وتسعين أسمًا قــد ظهــرت. وتم تنظيمها وإعدادها في تعداد طويل. إن الإيمان بإله واحد هو في نظر المسلمين الــذي يميــز ديانتهم بصورة جذرية عن غيرها من الديانات. وحتى عن المسيحية ذات العقيدة التثليثية التي تعد طعنًا بوحدانية الله وكفرًا به»[1].

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٨٤ ــ ٨٥)، ترجمة: سليم قندلفت.

الفصل الثاني

موقف المستشرقين من الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من الملائكة عليهم السلام.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الملائكة عند بعض المستشرقين.

المطلب الثاني: التشكيك في تبليغ الوحي لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: خلق الملائكة.

المطلب الرابع: قولهم بأن إبليس من الملائكة.

المطلب الخامس: الطعن في عصمة الملائكة.

الفصل الثاني

موقف المستشرقين من الإيمان بالملائكة

المبحث الأول: عقيدة الإيمان بالملائكة في الإسلام:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، وأصل من أصول الاعتقاد، لايصح الإيمان إلا به، وفي آيات كثيرة من القرآن الكريم، قُرن الإيمان بالملائكة بالإيمان بالله نحو:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ النساء: ١٣٦

وقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ البقرة: ٢٨٥ .

وقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ البقرة: ١٧٧.

والإيمان بالملائكة يتضمن: «التصديق بوجودهم، وأنهم عباد مكرمون، وخلقهم الله لعبادته، وتنفيذ أوامره، والإيمان بأصنافهم وأوصافهم، وأعمالهم التي يقومون بها حسبما ورد في الكتاب والسنة، والإيمان بفضلهم، ومكانتهم عند الله»[(1)].

والملائكة هم: «عباد الله المكرمون، والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام الكرام خلقًا وخُلقًا، والكرام على الله تعالى(البررة)، الطاهرون ذاتًا وصفة وأفعالا، المطيعون لله ﷻ ، وهم عباد من عباد الله ﷻ خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بنات لله تعالى، ولا أولادًا، ولا شركاء معه ولا أندادًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون

---

(١) الفوزان، د. صالح بن محمد بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (ص: ١٦٧).

والملحدون علوا كبيرا»[1].

وقد وصفهم الله بأوصاف عدة ورد ذكرها في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ عبس: ١٥ - ١٦.

وقال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ المطففين: ٢١، وقوله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ الأعراف: ٢٠٦.

كما أذن الله لهم للقيام بتدبير الأعمال في العالمين العلوي والسفلي بأمره ومشيئته، وما وكلوا به من أعمال فهم أصناف، فمنهم: حملة العرش لقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ الحاقة: ١٧، ومنهم المقربون، لقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ النساء: ١٧٢.

ومنهم الموكلون بكتابة أعمال العباد، لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ ق: ١٨ - ١٩، ومنهم الملك الموكل بقبض الأرواح، كقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ السجدة: ١١.

وغير ذلك من الأعمال والوظائف.

«وقد أعطى الله الملائكة قدرة على التشكل بأشكال مختلفة؛ فقد جاؤوا إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام بصورة أضياف، وكان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صفات متعددة؛ تارة في صورة دحية الكلبي، وتارة في صورة أعرابي، وتارة في صورته التي خلق عليها، وقد وقع منه هذا مرتين، وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته، ولما اقترح

---

(١) الحكمي: حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد،(٢ / ٨٠٨ ـــ ٨٠٩)، حققه وعلق عليه وضبط نصه وخرج أحاديثه وآثاره: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط ١، دار ابن الجوزي، السعودية ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م.

المشركون أن يرسل الله إليهم ملكًا،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ الأنعام: ٨ - ٩ ،أي لو بعثنا إلى البشر رسولاً ملكا؛ لكان على هيئة الرجل، ليمكنهم مخاطبته، والانتفاع بالأخذ عنه، لأن كل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غير جنسه))[١].

(١) الفوزان، د. صالح بن محمد بن عبد الله الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (ص: ١٧١)

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من الملائكة عليهم السلام

المطلب الأول: الملائكة عند بعض المستشرقين:

ربط بعض المستشرقين تفسير نشأة الإسلام بالعوامل الخارجية، فالمستشرق (ماكدونالد) فيما كتبه في مادة ملائكة ربط الاسم بأصول عبرية فقال: «الملائكة في القرآن، والسنة، صيغة ملائكة: هي جمع تكسير في العربية لكلمة يعود تاريخها إلى اللغة السامية المبكرة في الشمال الغربي....ويقول أ. جيفريA.Jeffery في كتابه المفردات الأجنبية في القرآن الكريم The Foreign vocabuiary of the Quran إن المصدر المباشر لهذه الكلمة في العربية هو كلمة ملآك (بتسكين اللام ومد الألف) الأثيوبية.والجمع ملائكت. ويحتمل أن تكون الكلمة دخلت الأثيوبية الآرامية أو العبرية، ولأنها ترد في القرآن فقد ألفها المسلمون ولا بد أنها من الكلمات التي دخلت إلى العربية قبل الإسلام»[1].

لقد ظن ماكدونالد أن الرسول أقر الإيمان بالملائكة لأنه وجد أنهم من أصول الدين السائدة في عصره، فقد كان هناك اعتقاد سائد في عصره ﷺ قبل البعثة بين أهل مكة الذين انحرفوا عن ملة إبراهيم عليه السلام والذين جعلوا الملائكة إناثًا، وادعوا أن الملائكة بنات الله، ثم عبدوهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الزخرف: ١٩. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الإسراء: ٤٠.

فاعتقد هؤلاء المستشرقين وأمثالهم أن الملائكة لابد من وجودهم حسب متطلبات البيئة الاجتماعية التي عاش فيها النبي محمد ﷺ مع أن الإيمان بالملائكة لا يختص به الإسلام وحده، بل هو موجود في الديانات السابقة التي تدعو إلى توحيد الله وحده.

وأيضًا من المستشرقين الذين ظنوا أن عقيدة الإيمان بالملائكة مستمدة من البيئة التي

(١) موجز دائرة الإسلام،(٣١ / ٩٥٩٨).

عاش فيها نبينا محمد ﷺ (هنري ماسيه[١])، فقد زعم أن عقيدة الملائكة المقربين قد أخـذها محمد ﷺ من اليهودية، فقال: ((أن الملائكة المصنوعين من النور لا جنس لهم، وهم يطيعـون الله على العمياء، وقد انتقل رؤساء الملائكة العبرانيون الأربعة وأصـبحوا المقـربين إلى الله، الضخام الأجسام...))[٢]. وهذا غير صحيح لاختلاف تصور الملائكة عند اليهود عن واقعها في الإسلام.

فبعض المستشرقين من خلال ما كتبوه عن الملائكة كمصطلح ورد ذكـره في القـرآن حاولوا ربط تسميته بمؤثرات، وعوامل أجنبية، وبالبيئة التي عاش فيها نبينا محمد ﷺ فمـثلا ملك الموت حاول المستشرق الدكتور:(سنكلير تِسدَل) ربط مسماه بتأثيرات أجنبية فقال:

((قد رأينا أن المسلمين اتخذوا من اليهود لقب ملك الموت لأن اليهود يطلقون عليه هذا اللقب بالعبري. أما من جهة اسم هذا الملاك فكلا الفريقين يتفقان عليه ولا يوجد بـشأنه سوى اختلاف زهيد بينهم. فاليهود يسمونه (سمائيل) والمسلمون يسمونه (عزازيل[٣]) غـير أن لفظة عزازيل ليست لفظة عربية، بل هي لفظة (عبريل) معناها (نصرة الله). ولم يرد اسم هذا الملاك في التوراة والإنجيل. فيتضح إذن أن اليهود اقتبسوا معلوماتهم عنه عن مصدر آخر، والأرجح أن مصدر معلوماتهم هو (الأوستا)، فإنه ورد فيها: إذا وقع إنسان في المـاء، أو في النار، أو في أي شيء من هذا القبيل، فغرق، أو أحرق، فلا يكون سبب موته الماء، أو النار، بل ملاك الموت، لأنهم زعموا أن هذين العنصرين وهما الماء والنار صالحان ولا يؤذيان الناس،

---

(١) هنري ماسيه: H. Masse، ولد عام ١٨٨٦، تعلم في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس وحصل على دبلوم في اللغة العربية والفارسية، وسافر إلى مصر وعمل مديرًا للمعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذًا في جامعة الجزائر (١٩١٦-١٩٢٧)، وعضوًا في مجمع الكتابات والآداب وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتدبته الحكومة لعديد من المهام الثقافية واختارته اليونسكو في لجنة المستشرقين.من آثاره: نشر كتابًا عن الشاعر (سعدي: بحث في الشاعر سعدي) (١٩١٩)، وصنف كتابًا بعنوان: (الإسلام) (١٩٥٧)، كما ترجم وحقق العديد من النصوص العربية، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات الاستشراقية الشهيرة.(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٥٣٦ ـــ ٥٣٧).

(٢) ماسيه: هنري،الإسلام،(ص: ١٤١)، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: مصطفى الرافعي، ومحمد جواد مغنيه، ط٣،منشورات عويدات، بيروت ـــ باريس ١٩٨٨م.

(٣) والصواب ملك الموت فقط، وهذا الاسم لم يثبت به أي نص شرعي صحيح.

ويسمى ملاك الموت بلغة (أوستا استوويدهوتش): انظر: كتاب (ونديدان) الفصل الخامس والأسطر: ٢٥ ـــ ٣٥»[١].

وقد صرح ماكدونالد في الدائرة في آخر ماكتبه عن مادة ملائكة على أساس:

«إن الكتابات التي وضعها المسلمون تأخذ في الاعتبار الأفكار غير الإسلامية عن الملائكة: مثل آراء الفلاسفة والمسيحيين والذين يؤمنون بالثنائية (وهي أن الكون يخضع لمبدأين متعارضين، هما الخير والشر) وعبدة الأوثان»[٢].

ولو أدرك هؤلاء أن نبينا محمدًا ﷺ أتى مكملاً لما جاءت به الرسل، وأن الإيمان بالملائكة لا يختص به الإسلام وحده، بل هو موجود في الديانات السابقة التي تدعو إلى التوحيد؛ لما افتروا على النبي محمد ﷺ واتهموه بأنه مقلد، ومتأثر بالبيئة التي عاش فيها.

وبعض المستشرقين يعترف بوجود الملائكة، ولا ينكرون وجودهم عقلا كما هو ظاهر من بعض ماكتبوه عن الملائكة.

قال الدكتور فيليب حتي: «والإيمان بالملائكة يأتي في المرتبة الثانية من العقائد الإسلامية، والملائكة طبقات يرأسها جبريل مبلغ الرسالة»[٣].

ووافقه في التصنيف المستشرق سيديو فقال: «ومن أفضل الملائكة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل»[٤].

والحق ـــ كما ذكر ـــ المستشرق سيديو أن أفضل الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وهم يتفاضلون في القرب من الله تعالى.

وتتنوع مهام الملائكة كما شهد بذلك بعض المستشرقين، يقول دومينيك سورديل: «خلق الله الملائكة من نور. وجعل على رأسهم أربعة ملائكة هم: جبريل رسول الله. وميكائيل الذي يسهر على الطبيعة. وإسرافيل الذي ينفخ في الصور يوم القيامة. وعزرائيل ملك الموت. وللإنسان ملاكان حارسان وكاتبان يسجلان أعماله الحسنة والسيئة. كما

---

(١) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص: ١٤٨ ـــ ١٤٩).

(٢) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠٦).(مادة الملائكة).

(٣) حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى،(ص: ١٤٢)، ترجمة الدكتور: أنيس فريحة.

(٤) سيديو، خلاصة تاريخ العرب،(ص: ٩٠).

يجب الإشارة إلى الملكين المخصصين للقبر إنهما (منكر ونكير) وملك الفردوس (رضـوان) وملك الجحيم (مالك). ومن هؤلاء الملائكة الشيطان المسمى (إبليس) (المأخوذ عن اليونانية ديابولس[(١)]) الذي رفض السجود أمام الإنسان الأول. مما أدى إلى طرده من الفـردوس — وانتقامًا من طرده فقد أبعد آدم وحواء المذنبين باستماعها إليه. غير أن الخطيئة التي ارتكبها آدم لم تقع على ذريته، فليس في الإسلام خطيئة أصلية، أو اعتقاد بحرمان الإنسان. ويقـود إبليس جيشًا من الشياطين الذين خلقوا قبل الإنسان من النار. والذين يتـدخلون في حيـاة الإنسان. وهم يحتلون مكانة هامة في العقيدة الشعبية (ويؤدي استخدام التعاويذ إلى طـرد الشياطين، وتحاشي أعمالهم،واتقاء انتقامهم))[(٢)].

من المؤكد أن إبليس شيطان وليس من الملائكة، ومن ادعى أن إبليس من الملائكة، يرد عليه بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠ ، فالآية صريحة أنه كان من الجن. ومن ادعى أن الجن فصيل من الملائكة فهو مخطئ. فإن إبليس خلق من النار، كما قال تعالى حكاية عنه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢ .

وعموما فالإيمان بالملائكة أمر يثبته الشرع، ويقتضيه العقل، يقول الشيخ ابن تيمية: «من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن، وأنها أحياء ناطقة، قائمة بأنفسها، ليست أعراضًا قائمة بغيرها، وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة، وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر، كما أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم الخليل عليه السلام ثم ذهبوا منه إلى لوط.قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

---

(١) قال بذلك أيضا: المستشرق فيليب حتي (انظر: حتي: فيليب، الإسلام منهج حياة،(ص: ٧٢)، ترجمة: د. عمر فروخ).

(٢) سورديل: دومنينيك،، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٨٥)، ترجمة: سليم قندلفت.

قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ
إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ
﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا
ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ
﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ
يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ
مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ هود: ٦٩ - ٨١ .

وهذه القصة مذكورة في التوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب، كما هي مذكورة في القرآن، مع العلم بأن كلاً من النبيين موسى ومحمد لم يأخذها عن الآخر، وهذا مما يوجب العلم بصحتها»[1].

المطلب الثاني: التشكيك في تبليغ الوحي لرسالة نبينا محمد ﷺ[2]:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، والكثير من المستشرقين أنكروا وجودهم لأنهم يؤمنون بما ثبت عندهم عن طريق العقل والحواس فقط، لذا نجد أن معظم المستشرقين قد أنكروا الوحي،وأتوا بتفسيرات وتعليلات، وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التي تنتاب الرسول محمد ﷺ أبان نزول الوحي عليه.

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، الصفدية،(١/ ١٩٣ ــ ١٩٥)، ط٢، مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة، ١٤٠٦هــ.

(٢) انظر:الباب الثالث (بعض شبه المستشرقين حول القرآن الكريم: نــزول القرآن الكريم) فقد ذكرت بعض شبه المستشرقين للتشكيك في الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ.

والوحي المنزل من الله تعالى على رسله أنواع: فمنه إرسال جبريل بالوحي إلى النبي محمد ﷺ وجبريل سماه الله تعالى بالروح الأمين(١) لقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥.

وقد شكك بعض المستشرقين في الوحي الذي بلغ نبينا محمدًا ﷺ الرسالة، فقالوا بأن إسرافيل قد بلغ النبي الرسالة، يقول فنسك عن إسرافيل أنه: «صحب النبي ﷺ ثلاثة أعوام، وبلغه الرسالة، ثم قام جبريل مقامه بهذا الأمر، وأخذ يترل إليه بالقرآن»(٢).

فهل هناك وحي نزل به إسرافيل عليه السلام غير ما نزل به جبريل عليه السلام ؟ وما ذلك إلا تشكيك فيما بُلغ الرسول من ربه تعالى وهو القرآن، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧ .

والذي بلغ الرسالة هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢- ١٩٥ .

وقد ترك المستشرق فنسك النصوص الصريحة الثابتة من القرآن، وراح يلتمس الأحاديث الضعيفة ليبني عليها نظريته لإثبات تلقي الوحي الإلهي عن طريق إسرافيل بدون فهم أو تمحيص، ولعل هذا المستشرق اعتمد على حديث مرسل حيث ورد في فتح الباري قوله: «ثم راجعت المنقول عن الشعبي من تاريخ الإمام أحمد، ولفظه من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم يترل عليه القرآن على لسانه. فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فترل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة»(٣).

(١) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(١١ / ١١٢)، ط بدون، طبعة دار الفكر ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م، بيروت ــ لبنان.

(٢) دائرة المعارف،(٣ / ٢٩٥)، مادة إسرافيل (طبعة الشعب).

(٣) ابن حجر: أحمد بن علي، فتح الباري،(ج ١ / ٢٧).

وجبريل هو الذي قرن بالنبي محمد ﷺ من بدء نبوته حتى وفاته، وعلى فرض صحة الرواية لا يوجد فيها تصريح بتبليغ الرسالة إنما كان إسرافيل يعلم النبي محمد ﷺ الكلمة والشيء. يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى فيما ذكره عن محمد بن عمر أنه قال: ((ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبي ﷺ وأن علماءهم وأهل السيرة منهم كانوا يقولون: لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه إلى أن قبض[1] ﷺ))[2].

والقرآن الكريم وحي من عند الله، أنزله الله تعالى مفرقًا ليثبت به فؤاد النبي ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦ .

فالنبي محمد ﷺ مبلغ للقرآن،قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ المائدة: ٦٧ .

لكننا نجد بعض المستشرقين يشكك في نقل الوحي إلى النبي محمد ﷺ ويعتبرون الملائكة ليسوا من حملة الوحي، وأنهم يتكلمون في القرآن كما يتكلم الأنبياء، فمثلا: المستشرق ويلش كتب أنه: «توجد آيات قرآنية تفيد أن الملائكة ليسوا من حملة الوحي (مريم ١٧، ٦٤)[3] وهذا يعزز القول بأن جبريل لم يكن له دور على الإطلاق في نقل الوحي إلى النبي ﷺ»[4].

وهذا معناه أن النبي محمدًا ﷺ هو واضع القرآن، مع أن القرآن شاهد على أنه من كلام الله تعالى.

المطلب الثالث: خلق الملائكة:

خلق الله الملائكة من نور، والجان من مارج من نار، وآدم من تراب، وقد ورد ذلك

---

(١) الصالحي: سبل الهدى،(ج ٢ ص ٣٠٩ (نقلا من حاشية الكتاب رقم ١ ص: ١٦٢).

(٢) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير،(١ / ١٦١ ــ ١٦٢)،، تحقيق:د. محمد عمر.

(٣) قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ مريم: ١٧.

(٤) أبو ليلة: محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي،(ص: ٩٦).

التخصيص في النصوص الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة.

فمن القرآن ورد تخصيص خلق الجن وآدم نحو: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾ السجدة: ٧ – ٨، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ۝١٥ ﴾ الرحمن: ١٤ – ١٥.

ومن السنة ورد تخصيص خلق الملائكة وذلك في: الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((خُلقت الملائكة من نور والجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))[١].

ومرج في اللغة بمعنى خلط، جاء في لسان العرب: «وفي حديث عائشة: خُلقتِ الملائكة من نورٍ وخُلِقَ الجانّ من مارج من نار؛ مارِجُ النار: لَهَبُها المختلط بسوادها»[٢].

فالتخصيص يدل على التفريق بين هذه الأنواع الثلاثة،وقد وردت مادة خلق الملائكة من نور من غير تحديد وتخصيص للنور الذي خلقت منه الملائكة.

غير أن المستشرق فنسك حاول التدخل في تفسير الأمور الغيبية وتأويل الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها فال فنسك: «ولكن ليس هناك في القرآن بيان عن المادة التي تشكل منها الملائكة.. ولكن هناك حديثا عن السيدة عائشة رضي الله عنها هو أساس الموقف المسلم به بأن الملائكة قد تشكلت من نور»[٣].

وقال فنسك: «وما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها ليس إجابة لهذا التفسير أو التوضيح، فالنور والنار ليسا محددين بدقة، فالنور من طبيعة النار، والنار من طبيعة الضوء. وكل يتداخل في الآخر فيمكن تنقية النار لتصبح ضوءا ونورا، ويمكن أن نجعل النور نارا»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة،(ج٤/٢٢٩٤، ح (٢٩٩٦).

(٢) ابن منظور،لسان العرب، مادة مرج، المجلد الخامس، الجزء السادس والأربعون،(ص: ٤١٦٩).

(٣) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠٢).

(٤) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠٣).

هكذا بدون أي دليل يحاول الكاتب تحويل الحديث إلى معنى آخر غير المروي ويتدخل في تفسير النور الذي خلق منه الملائكة. علمًا أن ذلك من الأمور التي لا نستطيع الخوض فيها؛ لأنها تعد من المسائل الغيبية التي لا يمكن لنا إدراكها.

المطلب الرابع: قولهم بأن إبليس من الملائكة:

أشار ماكدونالد إلى مواضع الآيات التي أمر الله ملائكته بأن يسجدوا لآدم، وقد أطاعوه جميعًا إلا إبليس كما في سورة البقرة نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ .

وفي سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأعراف: ١١[١].

إن ماكدونالد يرمي إلى القول بأن إبليس من الملائكة لتساويه في مادة الخلق قال ماكدونالد: «فالنصوص العديدة في القرآن تحكي عن خلق الإنسان من طين، وأن الله سبحانه أمر الملائكة بأن يسجدوا له وقد أطاعوه جميعًا إلا إبليس....ولذلك فإن إبليس كان لا بد وأن يكون ملكا[٢]» .

ولكن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فالملائكة خلق كرام، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون مايؤمرون، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ .

وإبليس من الجن وليس من الملائكة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠ .

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف ٣١ / ٩٦٠٢.

(٢) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠١ ــ ٩٦٠٢).

كما أن إبليس لعنه الله مخلوق من النار، والملائكة خلقوا من النور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥ .

أما المستشرق مارسيل بوازار[(١)] فقد جمع بين الإيمان بالملائكة والشياطين بطريقة منفرة فقال: «والإيمان بالملائكة والشياطين يبين أن الله يهيمن على الكون الروحي كما يهيمن على العالم المادي[(٢)].

فالملائكة أجمعون قائمون من حول الله يطيعونه بصورة سلبية، وقد حلت اللعنة على إبليس لرفضه السجود للإنسان الذي تم خلقه»[(٣)].

فكيف لهذا المستشرق أن يصف طاعة الملائكة بأنه طاعة سلبية، فطاعة الملائكة لله تعالى، والقيام بأوامره واقع تحت إرادته ومشيئته، وهم عباد مكرمون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

المطلب الخامس:الطعن في عصمة الملائكة:

يقول ماكدونالد: «وثمة صعوبة أو عائق آخر في مبدأ معصومية الملائكة، وهو ما ذكره القرآن عن هاروت وماروت، فهناك ما يفيد أن هذين الملكين قد استسلما لإغراء جنسي، الأمر الذي يؤدي بهما إلى أن يحبسا في حفرة بالقرب من بابل وهناك يعلمان السحر

---

(١) مارسيل بوازار: مفكر، وقانوني فرنسي معاصر، اولى اهتمامًا كبيرًا لمسألة العلاقات الدولية وحقوق الانسان وكتب عددًا من الابحاث للمؤتمرات والدوريات المعنية بهاتين المسألتين. يعتبر كتابه (انسانية الاسلام(، الذى انبثق عن الاهتمام نفسه، علامة مضيئة في مجال الدراسات الغربية للاسلام، بما تميز به من موضوعية، وعمق، وحرص على اعتماد المراجع التى لا يأسرها التحيز والهوى. فضلاً عن الكتابات الاسلامية نفسها. http://quran.maktoob.com/vb/quran٤٩٨٠٨/

(٢) محمد بركة الله، (الخلافة) باريس، ١٩٢٤، ١٠٤ صفحات،(ص: ١٩). (المترجم الحاشية رقم ٤٤ من صفحة ٤٩).

(٣) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام،(ص: ٤٩ ــ ٥٠)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية،ط٢، منشورات دار الآداب،بيروت،١٩٨٣م.

للناس»[١].

من خلال هذا النص يتضح أن الشك في عصمة الملائكة له اتجاهان:

أ ــ من ناحية اتهام الملائكة بالشهوانية والغريزة الجنسية:

حاول ماكدونالد أن يثبت أن للملائكة شهوات، وهذا نتيجة قياسهم الفاسد حيث قاسوا البشر على الملائكة بالرغم من أنه ليس هناك جامع مشترك بينهما.

قال ماكدونالد: «وقصة هاروت وماروت توحي بأن للملائكة جنسا، بالرغم من أنهم قد لا ينشرون نوعهم بالتكاثر»[٢].

ومن المعلوم أن الملائكة ليس لهم شهوات تدفعهم لتقديم الهوى على طاعة الله، بل هم عباد مكرمون، يسبحون بحمد الله ولا يفترون. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾ الأنبياء: ١٩ - ٢٠ ،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥ ﴾ الزمر: ٧٥ .

ويبدو أن ماكدونالد اعتمد على الآثار المروية التي لم تثبت عن النبي محمد ﷺ وهي من أخبار بني إسرائيل، قال ابن كثير عن قصة هاروت وماروت مع الزهرة: «قصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى»[٣].

والتي ذكرت أن امرأة يقال لها الزهرة، وهي امرأة جميلة من أهل فارس، قدمت إلى هاروت وماروت وهما يحكمان بين الناس، فأغرتهما، فأبت إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به يعرج به إلى السماء، وصعدت إلى السماء، فمسخها الله على شكل كوكب، وهو

(١) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠٢).

(٢) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠٣ ــ ٩٦٠٤).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،(١ / ٣٦٠ (تفسيرسورة البقرة).

كوكب الزهرة المعروف في السماء(١).

فقد روي: عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: أني أعلم ما لا تعلمون، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف تعملون، قالوا: ربنا هاروت وماروت. فاهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك، قالا: لا والله لا نشرك بالله أبدا، فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها، فقالت:لا والله حتى تقتلا هذا الصبي، فقالا لا والله لا نقتله أبدا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها، فقالت:لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة:والله ما تركتما مما أبيتما علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. تفرد به زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع ورواه موسى بن عقبة عن نافع عن بن عمر عن كعب))(٢).

وقد أنكر ذلك القرطبي، وقال عن الآثار الواردة في قصة الملكين: «قلنا: هذا كله ضعيف، وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصح منه شيء، فإنه قول تدفعه الأصول من الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم: ٦»(٣).

ثم إن الله خلق السموات وفيها الكواكب والنجوم، قبل خلق آدم عليه السلام قال القرطبي:

---

(١) انظر: الطبري: أبي جعفر بن محمد بن جرير،جامع البيان،(١ / ٤٥٦ ـــ ٤٥٩)(دار الفكر) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده،(ج١٠/٣١٧)، والبيهقي في السنن،كتاب الضحايا، باب النهي عن التداوي بالمسكر،(ج ١٠ /٤ ح (١٩٤٦١)، وحكم ببطلانه الألباني في السلسلة الضعيفة ح(١٧٠).

(٣) القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن،(٢ / ٢٨٥)، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرق سوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان ١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م.

«ومما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء، ففي الخبر: أن السماء لما خلقت، خلق فيها سبعة دَوَّاره: زحل، والمشتري، وبَهرام، وعطارد، والزُّهَرة[١]، والشمس، والقمر، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ يس: ٤٠، فثبت بهذا أن الزهرة وسهيلاً قد كانا قبل خلق آدم عليه السلام»[٢].

وماكدونالد يهدف من التشكيك في عصمة الملائكة إلى التشكيك في الوحي المحمدي باعتبار أن الدين الإسلامي رباني المصدر، لأن جبريل هو الذي قام بتبليغه للنبي محمد ﷺ لإثبات بشرية الوحي المنزل من السماء، وأنه مخترع من خيال نبينا محمد، وذلك لهدم الإسلام من جذوره.

ب ـ من ناحية تعليم هاروت وماروت الناس السحر:

أعطى الله تعالى الملكين هاروت وماروت بإذنه تعالى القدرة على تعليم الناس السحر ليختبر بهما الله عباده، وجعلهما فتنة لعباده، لأنه تعالى نهى عن الإتيان بالسحر، وتعلمه، وتعليمه، والملكان بتعليمهما السحر للناس مطيعان لله ليمحص الله عباده، وليس عليهما إثم بل الإثم على من يتعلم منهما.

يقول ابن جرير الطبري: «إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده جميع ما أمرهم به، وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به، وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم، فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جلَّ ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تتريله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم، كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢.

ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في

---

(١) لم نقف عليه قوله: بهرام، يعني المريخ (نقلا من حاشية الكتاب رقم الحاشية (٤) ص: ٢٨٥).

(٢) القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، (٢ / ٢٨٥)، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

تعليمهما، من علما ذلك لله مطيعين»[١].

وجاء في الدائرة ردًا على ماكدونالد:

«ب ـــ تعليم السحر ليس معناه ممارسة السحر

جـــ أنهما دائما ماكانا يحذران هؤلاء الذين يأتون إليهما بقولهما ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ البقرة: ١٠٢»[٢].

فالملكان هاروت وماروت جعلهما الله فتنة لعباده، ومعنى﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ البقرة: ١٠٢ ، أي: إنما نحن ابتلاء واختبار لكم، فليس عليهما إثم، بل الإثم على من يتعلمه ويعلمه.

---

(١) الطبري: أبي جعفر بن محمد بن جرير،جامع البيان،(١ / ٤٥٥)(دار الفكر).

(٢) موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٦٠١ ـــ ٩٦٠٢).

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من الإيمان بالكتب

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الزبور.

المبحث الثاني: التوراة.

المبحث الثالث: الإنجيل.

المبحث الرابع: القرآن.

الفصل الثالث

موقف المستشرقين من الإيمان بالكتب

تمهيد:

من أركان الإيمان بالله: أن نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وسائر رسله، و «الإيمان بالكتب الإلهية هو أحد أصول الإيمان وأركانه، والإيمان بها هو: التصديق الجازم بأنها حق وصدق، وأنها كلام الله ﷻ فيها الهدى والنور والكفاية لمن أنزلت عليهم، نؤمن بما سمى الله منها ــ وهي القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ــ وما لم يسم منها؛ فإن لله كتبًا لا يعلمها إلا هو سبحانه»(١).

قالت المستشرقة (بوجينا غيانة تستشيجفسكا): «ومما يجب على المسلمين اعتقاده الإيمان بالكتب السماوية، وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والزبور المنزل على داود، والقرآن المنزل على محمد ﷺ»(٢).

وكثير من المستشرقين يشيرون إلى تأثر الدين الإسلامي بما هو موجود في الكتب السابقة، وخاصة التوراة والإنجيل التي ظهرت مؤخرا تحت مسمى الكتاب المقدس. و(الكتاب المقدس): هو كتاب المسيحيين المقدس الذي يشتمل على قسمين رئيسيين: الأول منه يسمى (بالعهد القديم) ويطلق عليه الأسفار الخمسة اختصارا، والتوراة مجازا، وهو كتاب اليهود المقدس وقَبِلته المسيحية جزءًا من كتابها باعتبار تسلسل النبوات من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويتكون من مجموعة من الأسفار اليهودية المقدسة، وهذه الأسفار مقبولة لدى المسيحيين لكونها تحفظ الرسالة اليهودية، شريطة تفسيرها وفق العقيدة المسيحيةوقد تمت كتابتها بعد موسى عليه الصلاة والسلام بمئات السنين كما كان شائعا في ذلك الوقت كتابة الأسفار ثم نسبتها لكبار الأنبياء لغرض ترويج عقائد كاتبيها، والقسم الثاني:(العهد الجديد): وهو كتاب المسيحيين المقدس، ويشتمل على رسائل القديس بولس، والأسفار القصصية

(١) الفوزان، د. صالح بن فوزان بن عبد الله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (ص: ١٧٣).

(٢) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٨).

الأربعة عن حياة عيسى عليه السلام مدونة ضمن إطار عقيدة بولس، بالإضافة إلى رسائل وأسفار أخرى.وقد كتبت أيضا بعد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بوقت طويل،ويطلق الإنجيل مجازا على الأسفار الأربعة من العهد الجديد، وهي أسفار منسوبة إلى (متّى ومرقس ولوقا ويوحنا) على التوالي، وهي المعتمدة بعد أن أبطل المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية (إزنيق الحالية) في آسيا الصغرى عام (٣٢٥م) عشرات الأسفار والتي تم إحراقها، واعتماد الأسفار، الأربعة الأولى من العهد الجديد[1].

ويؤكد ذلك الدكتور. مراد هوفمان بقوله: «والمعروف أن المجمع المسكوني المنعقد في نيقية (بآسيا الصغرى) عام ٣٢٥م لم يلتزم أو يحترم التصور اليهودي لله، وهو تصور عيسى والمسيحيين الأوائل أيضا، فأصدر ذلك المجمع قرارا، ليس له طبيعة الإعلان، وإنما طبيعة الدستور الملزم، وذلك بشأن مسألة التثليث، فبعثها وتبناها بصفتها عقيدة أساسية، أما كافة الآثار والمخطوطات التي عارضت عقيدة التثليث هذه فقد تم التخلص منها، أو قُل إعدامها.كذلك، فإن من المهم أيضا (أو المؤسف حقا) أن أقدم نسخ العهد الجديد جميعها، والتي يتداول القوم ترجماتها إلى لغاتهم، قد أتم إعدادها بعد ذلك المجمع المذكور، ليس معنى هذا بالضرورة أن يُوصم تاريخ المسيحية بأنه تاريخ إجرامي، كما يذهب إلى ذلك المؤلف الألماني (كارل هاينز دشنر) لكن مقولته (فَرضيَّة العلمية) التي تؤكد أن المسيحية مزورة، تتفق مع ما يؤكده الإسلام من تحريف الإنجيل، ومخالفة المسيحية للنصرانية التي بشر بها عيسى»[2].

وقال موريس بوكاي: «فيما يتعلق بالعهد القديم، فإن الأعداد الصرفة للمؤلفين، له والذين يقصُّون نفس الرواية، زائدًا على كل التنقيحات التي أجريت على نص بعض الكتب منذ فترة ما قبل عصر النصرانية فيما يحتويه نص العهد القديم، وفيما يرتبط بالأناجيل فإنه لا يجرؤ أحد على القول بأنها تحتوي على روايات صادقة مطابقة لكلمات المسيح أو أفعاله دون أن يحدث فيها تحريف، لقد بدا لنا كيف أن روايات الكتاب المقدس المتوالية تعكس افتقارها الكامل لصحة وأصالة نصوصه، هذا بالإضافة إلى أن الذين قاموا بتأليفه لم يكونوا شهود

---

(١) انظر: الزين: محمد فاروق، المسيحية والإسلام والاستشراق،(من ص: ٤٩ ــ ٥٢)، ط٣، توزيع دار الفكر بدمشق ١٤٢٤م ــ ٢٠٠٣م.

(٢) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٥٥).

عيان»[(١)].

ويقول الدكتور موريس بوكاي: «كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار، تراثًا شعبيا لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه نقل الأفكار، وكان هذا التراث يُغَنى»[(٢)].

وقال الدكتور موريس بوكاي في موضع آخر: «يبدو العهد القديم صرحًا أدبيا للشعب اليهودي منذ أصوله وحتى العصر المسيحي. ولقد دونت، وأكملت وروجعت الأسفار التي يتكون منها فيما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد. وليس هذا مطلقًا وجهة نظر شخصية نعطيها عن تاريخ تحرير هذه الأسفار. فالمعطيات الجوهرية لهذه اللمحة التاريخية مستقاة من مقال (التوراة) بدائرة معارف أونيفرساليس، للكاتب (ج. ب. ساندروز)

ولا جرم أن الكتاب المقدس يغص بالمتناقضات المختلفة الشديدة لانعدام صحة الوحي المترل، وهذا لم يعد سرًا لأحد، على الرغم من أن المجمع الكنسي للفاتيكان الثاني، احتفظ لنفسه بقواعد التمييز بين الحق والباطل في الكتاب المقدس»[(٣)].

وبالرغم من ذلك يحاول جلّ المستشرقين إثبات أن القرآن مستمد منه!

وفيما أوردناه من نصوص لشهادة من بعض المستشرقين على مصداقية التحريف في الكتاب المقدس، علما أن التوراة والإنجيل في أصليهما قبل التحريف وحي من الله تعالى ورد ذكرهما مع ما أنزله الله تعالى من الكتب على بعض رسله، فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ذكرها في القرآن الكريم حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ

(١) بوكاي: موريس، صحة النص القرآني وطريقة تدوينه، ترجمة: إبراهيم عكاشة، مقال ضمن مجلة الفيصل، العدد (٤٣) ص: ٢٥ ــ ٢٦، محرم ١٤٠١هـ، السنة الرابعة، الموافق تشرين الثاني، (نوفمبر) كانون الأول، (ديسمبر) ١٩٩٠م.

(٢) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،(ص: ٢٤).

(٣) Maurice Bucaille: La Bible Ie Coran et La Science،p.٥٠.
نقلا من: مغلي: محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،(ص: ١٢٤).

ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ المائدة: ٤٤ ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ المائدة: ٤٦.

والزبور الذي نزل على داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾﴾ الإسراء: ٥٥ .

والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى والتي أخبرنا الله عنها بقوله قال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ النجم: ٣٦ – ٤٢، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ الأعلى: ١٨ – ١٩.

وهناك كتب لم تسم يجب علينا الإيمان بها إجمالاً، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ البقرة: ٢١٣.

والقرآن الكريم هو آخر ما نزل من عند الله تعالى وهو مصدقًا ومؤيدا لما في الكتب السابقة، وهو خلاصة التعاليم الإلهية من توحيد الله وعبادته، يقر بما فيها من الحق، ويبين ما فيها من التحريف.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا

عَلَيْهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ المائدة: ٤٨ .

والكتب التي أخبرنا الله عنها في كتابه الكريم لم يبق لها وجود، وما هو موجود فهو محرف ومبدل، وقد شهد الله ﷻ بتحريف اليهود لكتابهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ البقرة: ٧٩ .

وقال تعالى: ﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ البقرة: ٧٥ - ٧٦ .

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ الأنعام: ٩١.

وبما أن القرآن الكريم هو الكتاب المحفوظ من التحريف، أنزله الله تعالى للناس كافة،فقد تكالبت عليه جهود بعض المستشرقين للطعن فيه؛ لذا لم يتكلم بعض المستشرقين عن الكتب السابقة بشكل مباشر، وقد ذكروها ضمن الحديث عن أثرها على القرآن الكريم لإثبات

بشرية القرآن، وانه مقتبس من تلك الكتب السابقة[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ .

كما أن كتابات بعض المستشرقين لم تشر إلى أن الإيمان بالكتب السابقة (الزبور والتوراة والإنجيل) ركن من أركان الإيمان، بل تحدثت عن الزبور والتوراة والإنجيل بشكل غير مباشر لبيان أثر تلك الكتب على القرآن الكريم.

وللأسف نجد أن بعض المستشرقين يعتبرون القرآن الكريم صورة مشوهة للكتاب المقدس: (كالذي يدعيه ماسينون من أن القرآن يمكن اعتباره كطبعة عربية مبتورة للكتاب المقدس)[٢] .

وقد ركز بعض المستشرقين في كثير من دراساتهم على محاولة إثبات اتصال النبي محمد ﷺ باليهود والنصارى، لإيجاد مبرر لهم بشأن تأثره ﷺ باليهود والنصارى وأنه استمد تعاليمه الدينية منهم.

وبالرغم من إخفاق المنهج التهجيني في عرض القرآن لدى كثير من المستشرقين باللجوء إلى فرضيات الاستلهام، والاقتباس، والقول فيه بالمؤثرات، وتركيز التبعية للأديان السابقة، إلا أن بعض المستشرقين أصر على إثبات ذلك، وسوف نستعرض بعض ما كتبه بعض المستشرقين لبيان موقفهم من: (الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن)

---

(١) انظر: جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام،(ص: ٢٥٤ ــ ٢٥٥ ــ ٢٥٦)، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس،د.محمد يوسف نجم،د. محمود زايد.

(٢) CF.D.Masson;LeCoran et la Revelation judeo- chretienne،p. ٢٢٩
نقلاً من: مغلي: محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،(ص: ١٢٦).

المبحث الأول: الزبور

كتب بعض المستشرقين عن الزبور بطابع لا يختلف كثيرا فيما كتبوه عن التوراة والإنجيل، فهم يدورون حول هدف واحد وهو أن (القرآن الكريم) مستمد من الكتب السابقة.

فالمستشرق هوروفتز كتب مادة (الزبور) بنفس روح العداء فيما كتبه عن التوراة والإنجيل، فقال: «إن الآية (١٠٥[١]) من سورة الأنبياء تنقل من هذا الزبور، وتكاد تردد عبارة الآية (٢٩)من المزمور (٣٧) بالنص. ومن الجائز أن يكون الشعراء الجاهليون قد علموا بالفعل بأن داود هو صاحب الزبور، من ذلك أنه لا يستبعد أن يكون هذا المعنى هو الذي قصد إليه امرؤ القيس بقوله: كخط زبور في مصاحف رهبان.....وفي القرآن علاوة على الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء آيات أخرى تشبه آيات أخرى وردت في المزامير، وخاصة المزمور (١٠٤) زد على ذلك أن معظم آيات القرآن الكريم التي تذكرنا في معناها ـــ أو في نطقها ـــ بالتوراة، مأخوذة من المزامير»[٢].

وقال المستشرق هوروفتز عن الزبور: «وقد وجد المتكلمون المسلمون في الزبور ما يبشر بنبوة محمد ﷺ كما وجدوا ذلك في التوراة»[٣].

ونقول له:إن الأنبياء والرسل لم يختلفوا في الهدف، ودعوتهم واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت مسميات الكتب المنزلة عليهم بحسب أحوالهم، وأحكام الشرع والقوانين سنها الخالق جل وعلا لحكمة تقتضي ذلك، وهو العليم الخبير بعباده، ولا ضير إن تشابهت بعض الآيات والأحكام الشرعية مع ماورد من الأحكام في الكتب السابقة، فالمنبع واحد، والهدف واحد.

قال هنري دي كاستري: «إن دين الأنبياء عليهم السلام كان كله واحدا، فهم متحدون في المذهب منذ آدم إلى محمد عليهما السلام وقد نزلت ثلاثة كتب سماوية وهي: الزبور،

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ الأنبياء: ١٠٥ .

(٢) موجز دائرة المعارف،(١٧ / ٥٢٤٣ ـــ ٥٢٤٤)، مادة زبور.

(٣) موجز دائرة المعارف،(١٧ / ٥٢٤٥)، مادة زبور.

والتوراة، والقرآن، والقرآن بالنسبة إلى التوراة كالتوراة بالنسبة إلى الزبـــور وإن محمـــدًا ﷺ بالنظر إلى عيسى كعيسى بالنظر إلى موسى عليهما السلام ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي يترل للناس وصاحبه خاتم الرسل، فلا كتاب بعد القـــرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلا. إذا تقرر هـــذا لم يعـــد هنـــاك وجـــه للاستغراب من وجود بعض التشابه بين القرآن والتوراة، فمحمد ﷺ كعيسى عليه السلام قال إنـــه بعث ليتم رسالة من قبله لا ليبيدها فلم يكن من أمره الابتعاد عمن تقدمه ولـــذلك كـــان يصرح على الدوام بأنه يعيد على الناس ما نزل على الأنبياء من قبله.على أن بعض المشابهات لا تحتاج إلى مثل هذا التفسير، إذ نفس محمد ﷺ كانت متأثرة بما تأثرت به نفوس الأنبياء من بني إسرائيل، وكان يعبد الله الذي عبدوه فلا عجب أن تشابهت ألفاظ التضرعات وتجانست أصوات الدعاء»[1].

(١) دي كاستري: هنري، الإسلام: خواطر وسوانح،(ص: ٢٣ ــ ٢٤)، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١م.

المبحث الثاني: التوراة

حاول المستشرق هوروفتز (J.Horovhz) فيما كتبه في مادة (التوراة) أن يوضح بعض أوجه الشبه بين القرآن والتوراة من خلال ضرب بعض الأمثلة لبعض الآيات القرآنية الدالة على الأحكام الشرعية نحو:ما ذكر في القرآن من أحكام القصاص والزنى فقال: «وفي الآية (٤٤) و(٤٥) من سورة المائدة[١] عبارة من التوراة، فهي تردد تقريبا نص الفقرة الخامسة والعشرين وما بعدها من الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج[٢]»[٣].

وفي حكم الزنا قال المستشرق هوروفتز (J.Horovhz):

«إن النبي ﷺ سأل اليهود كيف يفعلون بمن زنى منهم فحاولوا أن يزيفوا عليه الجواب، ويخفوا عنه الفقرة التي نصت التوراة فيها على الرجم (سفر التثنية، الإصحاح: ٢٢، الفقرة: ٢٣وما بعدها[٤]) فباؤوا بالخيبة»[٥].

فالمستشرق هوروفتز فيما كتبه في مادة التوراة في دائرة المعارف الإسلامية انطلق من

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة:٤٤-٤٥ .

(٢) يقصد ما ورد في سفر الخروج الإصحاح الحادي والعشرون:الفقرات التالية:(٢٥وَكَيًّا بِكَيٍّ، وَجُرْحًا بِجُرْحٍ، وَرَضًّا بِرَضٍّ.٢٦وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَيْنَ عَبْدِهِ، أَوْ عَيْنَ أَمَتِهِ فَأَتْلَفَهَا، يُطْلِقُهُ حُرًّا عِوَضًا عَنْ عَيْنِهِ. ٢٧وَإِنْ أَسْقَطَ سِنَّ عَبْدِهِ أَوْ سِنَّ أَمَتِهِ يُطْلِقُهُ حُرًّا عِوَضًا عَنْ سِنِّهِ) .

(٣) موجز دائرة المعارف،(٨ / ٢٤١٠).

(٤) (٢٣. «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُل، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا ٢٤.فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. اَلْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ) .

(٥) موجز دائرة المعارف،(٨ / ٢٤١٢).

هذا المبدأ؛ لربط الصلة بين التوراة والقرآن بطريقة تعسفية لإثبات صحة رأيه(١).

مع العلم أن التوراة المحرفة كتاب يغص بالمتناقضات؟!

يقول الدكتور موريس بوكاي: «من زاوية المنطق يمكن أن نتبين أن عددًا كبيرًا من المتناقضات والأمور غير المعقولة في التوراة. يمكن أن تكون المصادر المختلفة التي استخدمت في تأليف النص هي أصل رواية حدث واحد بشكلين مختلفين، ولكن هناك أكثر من ذلك: إن التعديلات المختلفة، والإضافات اللاحقة إلى النص نفسه كالتعليقات التي أضيفت استدلاليًا، ثم دخلت فيما بعد على النص عند نسخه مرة أخرى. كل هذا يعرفه المتخصصون في نقد النصوص، ويشير إليه البعض في منتهى الأمانة. وعلى سبيل المثال قدم لنا الأب ديفو، بالنسبة لأسفار موسى الخمسة وحدها، في المقدمة العامة التي تسبق ترجمته لسفر التكوين (ص: ١٣ ــ ١٤) قدم تفصيلاً بكثير من النقاط المتنافرة»(٢).

وشبهة الأثر والتأثر رددها كثير من المستشرقين، ونقول لهم إجمالا: إن القرآن الكريم لا يؤخذ عليه التشابه مع ماسبقه من الكتب المنزله فقد جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وكلها كتب سماوية.

وهذه محاولة من بعض المستشرقين لإثبات أن الدين الإسلامي مقتبس من الكتب السابقة من باب التشكيك، ولتثبيت التهم الموجهة للمسلمين من اليهود والنصارى، ولا صحة لما يقولون، فقد ثبت أمية الرسول ﷺ بالتواتر الصحيح في التاريخ، وقد رد عليهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النحل: ١٠٣ .

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٨ / ٢٤١٠ ــ ٢٤١٨).

(٢) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،(ص: ٤٢).

المبحث الثالث: الإنجيل

كانت في العصور الغابرة أناجيل أخرى غير الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) قد أخذت بها فرق قديمة، لكن الكنيسة اختارت هذه الأناجيل الأربعة، وحملت الناس على قبولها لاعتقاد صحتها ورفض غيرها[١].

وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه بوحي من الله، ولكنها كتبت من بعده على يد أشخاص آخرين، مجهولين، وفق رغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة، مجهولة الأفراد والهيئات، وأصولها معترف بضياعها من أهلها، وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيه، ولا تحمل صفة الرواية في أقل صورها التي يجب أن تتوفر للكتب السماوية[٢].

ومع ذلك يحاول كثير من المستشرقين أن يثبتوا تأثر القرآن الكريم بالإنجيل، فالمستشرق (كاراده فو B.Carra De Vaux) كتب مادة إنجيل في دائرة المعارف الإسلامية فقال:

«ويبدو لنا من القرآن، ومن مصنفات كثيرة من الكتّاب المسلمين ـــ أن المسلمين كانوا على شيء من العلم بالإنجيل»[٣].

ثم شرح المستشرق (كاراده فو B.Carra De Vaux) الطريقة التي وصل بها الإنجيل للمسلمين، فبين أنه وصل إلى المسلمين عن طريق المناظرات، أو المحادثات الودية التي كانت تجري بين المسلمين والنصارى، وعن طريق النصارى الذين أسلموا فأدخلوا في الإسلام بعض الآراء النصرانية التي ظلت عالقة في أذهانهم،وفي التصوف عند نشأته الأولى، واعتبر الشعر أيضا وسيلة من الوسائل التي انتقلت بها آراء النصارى إلى المسلمين[٤].

والحق أنه قد ثبت من خلال ما كتبه بعض المستشرقين والقساوسة أن الإنجيل هو المتهم

---

(١) انظر: أبو زهرة: محمد، محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرت بها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم)،(ص: ٤٩)، ط٤، طبع ونشر: الرئاسة العامة إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـــ السعودية ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر: شلبي: متولي يوسف، أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)،(ص: ٥٠)، ط (بدون)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـــ بيروت ١٩٧٥م.

(٣) موجز دائرة المعارف،(٥ / ١٢٦٠)(مادة إنجيل أو أنجيل)

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف،(٥ / ١٢٦٠ ـــ ١٢٦٢) (مادة إنجيل أو أنجيل).

بالنقل من الكتب السابقة، وليس القرآن الكريم بشهادة بعض المستشرقين، يقول الدكتور فرانز غريس في كتابه (تبدد أوهام قسيس):

«إن البحوث والاستقصاءات العلمية أثبتت وأقامت البرهان والدليل على أن ثمانين إصحاحًا من التسعة والثمانين للأناجيل الأربعة، ماهي إلا صورة ونسخة عن حياة وتعاليم (كرشنا)، و(بوذا)، فيالها من نتيجة محزنة للنصارى، وحصيلة مفجعة للنصرانية، وياله من منظر ومشهد أليم لأجل شخص المسيح، إن العالم النصراني أخذ بالسقوط والانهيار، إنه يغطس ويغوص، ويرسب ويسوخ»[1].

ويقول الأستاذ (رودلف سِيْدل Prof.Rodaif Seydel) العالم اللاهوتي البروتستانتي، والأستاذ في جامعة لا يبسغ (ألمانية) وأحد الكبار في زمانه، يقول في كتابه (أسطورة بوذا): «فإنه من ثمانية وعشرين إصحاحًا التي يتألف منها إنجيل متى، فإن إصحاحين منها فقط: الثاني والعشرون، والرابع والعشرون خاليان من النصوص الهندوسية، ومن إنجيل مرقس، الذي يتكون من ستة عشر إصحاحًا، فإن إصحاحين أيضًا هما: السابع، والثاني عشر، غير منقولين، وفي إنجيل لوقا، الإصحاح السادس عشر، والسابع عشر، والعشرون فقط من مجموع أربعة وعشرين إصحاحا التي يتشكل منها الإنجيل المذكور، هي ليست منتحلة، أي مسروقة، ثم إنجيل يوحنا المتضمن واحدا وعشرين إصحاحا، فإن الإصحاحين العاشر والسابع عشر فقط خاليان من النقل.والعالم البروتستانتي (هابل Happel)[2] مؤرخ الأديان، يوافق ويؤيد أقوال (رودلف سيدل)، ويذكر ويسمي ستة وثلاثين نصًا في الكتاب المقدس، مقتبسة عن العقائد الوثنية، منها: تجسد يسوع، الطفل يسوع في الهيكل، قصة مريم المجدليَّة الخاطئة، ومعجزة المشي على الماء»[3].

---

(١) غريس: فرانس، (Prof.FranzGriese) (ص: ١١٤)، مطبعة دار الطباعة (الضياء) ـــ بوينوس أيرس ـــ الأرجنتين، ترجمه عن الإسبانية: السيد خليل سعيد ذو الغنى. نقلاً عن: أبو خليل: د. شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين،(ص: ٢٠)، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا ـــ ١٩٩٩م.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) غريس: فرانس، (Prof.FranzGriese) ،(ص: ١٧١)، مطبعة دار الطباعة (الضياء) ـــ بوينوس أيرس ـــ الأرجنتين، ترجمه عن الإسبانية: السيد خليل سعيد ذو الغنى. نقلاً عن: أبو خليل: د. شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، (ص: ٢١).

ثم كيف يمكن للمسلمين الاعتماد في النقل على الإنجيل الذي يغص بالمتناقضات نتيجة التحريف والتزييف فيه، قال موريس بوكاي عن الأناجيل: «أن هناك العبارات المذكورة من الأناجيل، فهي نفسها تثبت تناقضات جلية. إذ لا يمكن الاعتقاد بوجود أمرين متناقضين.ولا يمكن قبول بعض الأمور غير المعقولة، أو دعاوى تتعارض مع المعطيات التي أثبتتها تماما المعارف الحديثة،.. وكثير من المسيحيين يجهلون هذه المتناقضات، والأمور غير المعقولة، أو التي لا تتفق مع العلم الحديث»[1].

وقد أيد موريس بوكاي المستشرق الألماني المسلم، د. مراد هوفمان، في كتابه (الإسلام كبديل) بقوله: «أما ما يذهب إليه الفرنسي المسلم (موريس بوكاي) في كتابه عن الإنجيل والقرآن والعلوم الطبيعية، من أن المقارنة الممحَّصة أثبتت له أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا تتعارض آياته مع ما أقره العلم الحديث، فإن هذه وجهة نظر أخرى، جديرة بالإعجاب»[2].

فكيف يتهم المستشرق كاراده فو أن نبينا محمدًا ﷺ قد استمد القرآن الكريم من الكتب السابقة، مع العلم أن القرآن جاء مصححا للكتب السابقة التي تكاد تنطق بالتحريف لما فيها من التناقض مع الشرع والعقل، وكيف لهؤلاء وأمثالهم أن يرجعوا القرآن الكريم إلى مصادر كتبهم المشوهة المحرفة؟؟!

ثم لماذا كل هذا الإصرار في محاولة إثبات أن علماء المسلمين وشعراءهم على علم بالإنجيل؟ هل يتوقعون أنهم بذلك قادرون على إثبات أن النبي محمدًا ﷺ قد أخذ منهم،ودرس الإنجيل، واستفاد منهم! فليعلم هؤلاء أن نبينا محمدًا ﷺ قد نشأ أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٨ . وما استند إليه الكاتب في إثبات دعواه من كتب ونقول فهي غير صحيحة، وقد فندها الدكتور: أحمد محمد شاكر، وبين أنه اعتمد على

---

(١) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،(ص: ١٣٥).

(٢) هوفمان، د. مراد، الإسلام كبديل، (ص: ٤٢).

نقول لم يجد لها أثرا بعد الرجوع إلى مصادرها الموثقة[1].

ومن أمثلة الانتقادات التي كتبها الدكتور: أحمد محمد شاكر لبيان مدى عدم الأمانة في النقل عند المستشرق (كاراده فو)قوله: «وانظر إلى مقدار الثقة بنقل هذا الكاتب إذ ينسب إلى المسعودي أنه نقل عن الإنجيل أن صوتا من السماء كان يقول: (هذا هو ابني الحبيب) في حين أن الذي نقله المسعودي عن بعض نصارى عصره أن عيسى رأى وهو يقرأ في السفر كتابا من نور فيه: (أنت نبيي وخالصتي) إلخ، ثم لا يتحرج أن يسمي هذا التناقض البين بين الروايتين شيئا من الاختلاف، فأين إذن كل الاختلاف؟! والذي نقلناه عن المسعودي هو كل ماذكره في (مروج الذهب) عن الأناجيل، وهو الذي سماه الكاتب (خلاصة دقيقة لها)»[2].

---

(١) انظر: موجز دائرة المعارف،(٥ / ١٢٧٠ ــ ١٢٧١).

(٢) موجز دائرة المعارف، (٥ / ١٢٧٦).

المبحث الرابع

القرآن الكريم

كثير من المستشرقين يعتقدون أن القرآن الكريم نتاج عربي خالص، وأن الرسول محمدًا ﷺ هو مؤلفه،و لم يفهموا أن القرآن الكريم وحي إلهي خالص.

وسبق وأن تناولنا بعض شبههم وافتراءاتهم على القرآن الكريم فيما عرضناه بعنوان (موقف المستشرقين من القرآن الكريم) حيث سعى بعض المستشرقين إلى الطعن في كتاب الله تعالى للتشكيك في مصدرية القرآن الكريم، وأنه ليس وحيًا من الله، وأنه مزيج من الديانات السابقة، قال جو لد تسيهر: «فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية، والمسيحية، وغيرها والتي تأثر بها تأثرًا عميقًا»[١].

والحقيقة خلاف ذلك فالمسيحية الحالية بدعة يهودية وثنية،وقد أثبتت المقارنة التي اجتهد فيها الأستاذ: محمد طاهر التنير أن المسيحية أخذت عقائدها من الوثنية، وجعلته من صلب عقيدتها[٢].

واعتبرت المستشرقة زيغريد هونكة أن القرآن من نثر محمد الذي أتى مبشرًا فسيطر على ذلك الإنسان الشاعر، ودخل إلى أعماقه[٣]. وسلك بعض المستشرقين للتدليل على صحة مزاعمهم بأدلة واهية ضعيفة أجهدوا أنفسهم بتقويمها،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ الكهف: ٥.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ البروج: ٢١ - ٢٢.

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ٥ ــ ٦).

(٢) انظر: التنير:محمد بن طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،(ص: ٢٥)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد الله الشرقاوي، ط٢، دار الصحوة للنشر، القاهرة ــ المعارف، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

(٣) انظر: هونكة: زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربه)،(ص: ٥١٢)، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط٨، دار الآفاق الجديدة ــ دار الجيل ــ بيروت ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.

والحق أن القرآن الكريم نزل بالحق، وجاء مؤيدًا ومصدقًا لما في الكتب السابقة من توحيد الله ووجوب طاعته، وجمع كل ماكان متفرقًا في تلك الكتب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾المائدة: ٤٨ .

فالقرآن في نظر كثير من المستشرقين كتاب بشري لفقه نبينا محمد ﷺ من مصادر مختلفة، ويظهر ذلك واضحًا لدى كثير من المستشرقين من خلال عباراتهم، وصياغة كتاباتهم، حين يتكلمون عن الآيات القرآنية بعبارة.قال محمد:، رأى محمد، دون إضافة ذلك إلى الله ﷻ. وهذا محض افتراء لأن بعض الآيات القرآنية تعاتب الرسول محمدًا ﷺ فكيف يعاتب نفسه إذا كان هو واضع القرآن، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأنفال: ٦٧.

لقد تجاهل كثير من المستشرقين كل ما جاء في القرآن الكريم من أحكام غيبية سابقة ولاحقة، وأمور صححها القرآن للكشف عن العقيدة الصحيحة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ النمل: ٧٦ – ٧٧ .

وخالف كثير من المستشرقين ما يعتقده المسلمون بأن القرآن كلام الله تعالى نزل به الوحي على النبي محمد ﷺ بلسان عربي مبين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ .

ودعوى كثير من المستشرقين بأن القرآن مقتبس من كتب الأولين دعوى قديمة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ الفرقان: ٤ ــ ٦ .

وقد علق المستشرق (أ.ت.ويلش) على هذه الآية بقوله: «لم ينكر القرآن أن قومًا آخرين

قد أعانوا محمدًا على كتابة القرآن، وأن القرآن من أساطير الأولين، طلب محمد كتابتها، واستنساخها، فكانت تملى عليه أول النهار وآخره»[1].وتجاهل هذا المستشرق الآيات الدالة على نزول القرآن وحيًا من لدن حكيم عليم،قال تعالى:﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ الفرقان: ٦ .

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان ١٨٦٨ ـ١٩٥٦م: «اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية...وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية،وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة»[2].

ودعوى الاقتباس من اليهودية ذكرها كثير من المستشرقين في كتاباتهم بحجة وجود تشابه بين التوراة والقرآن الكريم خاصة في الجانب القصصي[3]،

قال فنسك: «وتذكر الأساطير اليهودية رحلة لإلياس مع يوشع بن ليفي، أتى فيها إلياس بمثل ما عمل ذلك العبد الصالح الوارد ذكره في القرآن...والتشابه بين القصتين عظيم حتى إنه لا يدع مجالاً للشك في أن القصة الواردة في القرآن أصلها القصة اليهودية»[4].

واعتبر ووكر قصة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام هي في جوهرها مذكورة في التوراة[5].

أما المستشرق (بيدرسن) فقد ذكر أن قصة آدم في القرآن الكريم قد انعكس عليها الأثر اليهودي والمسيحي إلى حد كبير[6].

قال بلاشير:

«لاشك أن التقاليد اليهودية المسيحية تظهر في القصص القرآنية عن موسى وإبراهيم وعيسى مصدقة للموضوعات التي كان يعرفها المهتدون الجدد، وفي التذكيرات العديدة التي

---

(١) أبو ليلة: محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (دراسة تحليلية نقدية) (ص: ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) بروكلمان:كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص ٧٠ ـ ٧١).

(٣) سبق أن تناولنا هذا الجانب في المطلب الخامس بعنوان (القصص القرآني) من الباب الثالث، الفصل الأول .

(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٣٨٣)(مادة إلياس) طبعة الشعب.

(٥) انظر: موجز دائرة المعارف،(١٩ / ٥٨٣٧)(مادة سليمان بن داود).

(٦) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٥)(مادة آدم) طبعة الشعب.

تتعلق بالأنبياء العرب أمثال:صالح من ثمود أو هود، من عاد من شبه الجزيرة العربية الجنوبية»[١].

والواقع خلاف ذلك لأن القرآن الكريم عرض القصص السابقة عرضًا يختلف عن عرض التوراة، بل أضاف وعدل على نحو موافق للدين والعقل.

وقد عقد الدكتور عبد العظيم المطعني مقارنة بين بعض النصوص الواردة في التوراة والقرآن؛ للرد على دعوى أن القرآن مقتبسًا من التوراة، مثبتًا أن القرآن قدم الجديد لبعض القصص القرآنية، كما صوب الأخطاء التي وردت في التوراة المحرفة[٢].

لقد جعل كثير من المستشرقين القرآن الكريم مقتبسًا من عدة مصادر مما حدا بهم أن يتكلفوا في تحديد المصادر التي اقتبس منها الرسول القصص القرآنية، وكيف يكون ذلك والنبي محمد ﷺ ليس لديه معرفة بدقائق اليهودية والنصرانية.

إن ما ذكره هؤلاء المستشرقون دعاوى باطلة ليس لهم عليها دليل صحيح يستندون إليه، فالقرآن كلام الله تعالى منه بدأ، وإليه يعود، وإن الله تكلم به حقيقة، وإن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره[٣].

---

(١) بلاشير:القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره،(ص ١٣٦ ــ١٣٧)، ترجمة:رضا سعادة، أشرف على الترجمة الدكتور الأب:فريد جبر، تحقيق الشيخ:محمد علي الزعبي.

(٢) انظر: المطعني: الدكتور عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي،(من ص: ٥٤٣ ــ ٥٦٥)، ط٢، دار الوفاء ــ المنصورة ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.

(٣) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٣/ ١٧٥)، مناظرة في العقيدة الواسطية.

الفصل الرابع

موقف المستشرقين من الإيمان بالرسل

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: نوح عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: موسى عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: عيسى عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: *اسمه.*

المطلب الثاني: *أمية الرسول محمد ﷺ*

المطلب الثالث: *نبوته.*

المطلب الرابع: *إنكار معجزاته ﷺ*

المطلب الخامس: *الإسراء والمعراج بين المسلمين والمستشرقين.*

المطلب السادس: *اتهام النبي محمد ﷺ بأنه شهواني.*

الفصل الرابع

موقف المستشرقين من الإيمان بالرسل

تمهيد

الإيمان بالأنبياء والرسل[(1)] معناه: «الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. قال جل وعلا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ غافر: ٧٨ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ فاطر: ٢٤ ،وقال أيضاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يونس: ٤٧»[(2)].

فلا بد من الإيمان بمن لم يسمِّ الله تعالى من الرسل على الإجمال، ومن سماهم الله تعالى يجب الإيمان بهم على الأعيان، نحو قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ الأنعام: ٨٣ – ٨٦ .

---

(١) يقول الدكتور صالح الفوزان: الفرق بين النبي والرسول على المشهور: أن الرسول إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي إنسان ذكر أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وكل من النبي والرسول يوحى إليه، لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة كأنبياء بني إسرائيل، يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحي أحدهم إلى وحي خاص في قضية معينة، وأما الرسل، فإنهم يبعثون في قوم كفار؛ يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته؛ فهم يرسلون إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم. والرسول أفضل من النبي، والرسل يتفاضلون؛قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ البقرة: ٢٥٣، انظر: الفوزان: صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد،(١٧٩).

(٢) انظر: ياسين: محمد نعيم، الإيمان (أركانه، حقيقته، نوا قضه)،(ص: ٤٦)، ط ١، مكتبة السنة ـــ القاهرة ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م.

فالإيمان بالأنبياء والرسل السابقين واجب؛ لأنه أحد أصول الإيمان، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ النساء: ١٥٠ ، وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥ .

وجعل الله الرسل وسائط بينه وبين خلقه، مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الناس حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥.

فالإيمان بالرسل والأنبياء ركن من أركان الإيمان بالله، و: «المذكورون في القرآن الكريم من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، وهم: آدم، ونوح، وإدريس،وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[(١)].

وقد ذكرت المستشرقة (بوجينا غيانة تستشيجفسكا) الأنبياء والرسل الخمسة والعشرون المذكورون في القرآن على التوالي فقالت: «والإسلام يبين أن الله ﷻ أرسل رسلا كثيرين، منهم من ذكر في القرآن ومنهم لم يذكر فيه. والأنبياء الذين ذكروا في القرآن هم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداود، وسليمان، وأيوب، ويونس، وموسى، وهارون، وإسماعيل، والياس، واليسع، وذو الكفل،وشعيب،وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ــ صلوات الله عليهم جميعا ــ والإسلام لا يفرق بين أحد منهم، فكلهم أنبياء مكرمون، وليس منهم من ارتكب ذنبا يغضب الله ﷻ، نعم وإن كان جميع الأنبياء والمرسلين متساوين في الرسالة والنبوة، إلا أن بعضهم أفضل من

(١) ياسين: محمد نعيم، الإيمان (أركانه، حقيقته، نوا قضه)،(ص: ٤٦) .

بعض»[١].

وأفضل الرسل أولو العزم، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ــ عليهم الصلاة والسلام.وقد ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ الأحزاب: ٧ ، وفي قوله، تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى: ١٣ .

وقد اعترف بعض المنصفين من المستشرقين بأولي العزم من الرسل دون خلاف مع المسلمين في عرضهم لعقائد المسلمين.

قالت المستشرقة (بوجينا غيانة تستشيجفسكا): «فأصحاب الرسالات الكبرى خمسة، ترتيبهم بحسب التاريخ: نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد. ويسمى هؤلاء أولو العزم من الرسل»[٢].

وقال هنري ماسيه: «والستة الرئيسيون هم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، خاتم الأنبياء»[٣].

وفي ذلك دلالة على أن دين الأنبياء واحد، وهو الإسلام وإن تنوعت شرائعهم، قال تعالى: ﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ يونس: ٧١ - ٧٢ .

وقال الله تعالى عن نبيِّه إبراهيم : ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص:١٦).

(٢) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص:١٦).

(٣) ماسيه: هنري،الإسلام،(ص: ١٤٣)، ترجمة: بهيج شعبان.

ﭐلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة: ١٣١، وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يونس: ٨٤ ، وقال عن المسيح عيسى بن مريم:﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ آل عمران: ٥٢ .

وقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ المائدة: ١١١.

وروى أبو هريرة عن النبي محمد ﷺ أنه قال: ((..والأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد))(١).

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، وهو الاستسلام لله وحده دون سواه:

«والله تعالى يشرع لكل أمة مايناسب حالها ووقتها، ويكون كفيلاً بإصلاحها متضمنًا لمصالحها، ثم ينسخ الله مايشاء من تلك الشرائع لانتهاء أجلها، إلى أن بعث نبيه محمدًا خاتم النبيين إلى جميع الناس على وجه الأرض، وعلى امتداد الزمن إلى يوم القيامة، وشرع له شريعة شاملة صالحة لكل زمان ومكان؛ لا تبدل ولا تنسخ؛ فلا يسع جميع أهل الأرض إلا اتباعه، والإيمان به ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨»(٢).

والرسل يتفاضلون، وأفضل أولي العزم: إبراهيم ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام، وسأكتفي في هذا الفصل بمناقشة موقف بعض المستشرقين من أولي العزم من الرسل.

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، ج ٦/ ٤٧٨،ح (٣٤٤٣)، ومسلم كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج٤/١٨٣٧، ح(٢٣٦٥).

(٢) الفوزان: د صالح، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد،(ص: ١٩٦).

المبحث الأول

نوح ـ عليه الصلاة السلام

ورد في موجز دائرة المعارف الإسلامية شبهة ترددت في كثير من كتب المستشرقين، وهي أن النبي محمد ﷺ قد وضع على لسان نوح عليه الصلاة والسلام كلامًا يعبر عن حاله، وحال معارضيه، فالرسول محمد ﷺ يرى نفسه عند بعض المستشرقين في صورة الأنبياء السابقين.

قال المستشرق برنارد هيلر(Bernhard Heller): «وتذكر الآيات في القرآن الكريم ما دار بين نوح عليه السلام والمشركين من قومه، وهو لا يختلف كثيرا عما كان يدور بين الرسول ﷺ ومشركي قريش، فلم يكن نوح في نظر قومه إلا بشرا وكان من الأحرى أن يرسل الله ملكا (سورة المؤمنون آية ٢٤). كما كان في نظرهم خطاء (سورة الأعراف آية ٦١) وقد مسه الجن (سورة القمر آية ٩) ولم يؤمن به إلا أراذل القوم، والمغلوبون على أمرهم (سورة هود آية ٢٧) وقد رد نوح عليه السلام قائلا: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ يونس: ٧١ - ٧٢»[١].

وحاول المستشرق برنارد هيلر(Bernhard Heller) أن يحصر أوجه الشبه بين ماورد في القرآن الكريم وبين الكتاب المقدس، بقوله:

«ويتفق القرآن الكريم مع الهجادة[٢] في العناصر التالية:

---

(١) موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ٩٩٩٠)(مادة نوح).

(٢) الهجادة Haggada كلمة عبرية معناها التفسير، أى تفسير الكتاب السماوي، وأطلقها اليهود على ما استخرجوه من العهد القديم من المواد الأخلاقية والتربوية والتاريخية، في مقابل الهلاكة Halacha (ومعناها الأصلي: المقياس) التي يراد بها ما استنبطوه من الكتاب من التشريعات الدينية في التلمود.(موسوعة تاريخ أقباط مصر، بقلم: عزت اندراوس) من موقع: http://٢٠٩,٨٥,١٣٥,١٣٢/search?q=cache:znavbIZn٦OgJ:www.copti

=

١ـــ أن نوحا عليه السلام كان نبيا ومذكرا.

٢ ـــ أن قومه سخروا من السفينة.

٣ ـــ أن الكافرين من أهله عوقبوا بمياه ساخنة»[١].

أما وصف المياه بأنها ساخنة فلم يرد ذلك في النصوص الإسلامية، وبالنسبة لأوجه الشبه بين ما ورد في القرآن وما ورد في الديانات السابقة عن قصة نوح ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ففي هذا دلالة على زيادة اليقين بصدق نبوة ورسالة نبينا محمد ﷺ فالإسلام هو دين التوحيد الذي لا يختلف عن الديانات الأخرى قبل التحريف،فالهدف واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وسرد قصص الأمم السابقة من باب العظة والعبرة، وهذه طريقة الأنبياء في الدعوة، والرسول محمد ﷺ لم يكن بدعا من الرسل، بل جاء مصححا لما حرفته الديانات السابقة.

كما نجد المستشرق برنارد هيلر(BernhardHeller) يحاول نسبة أقواله إلى المفسرين الإسلاميين، حيث قال: «ويتفق الإخباريون مع الهجادة في الكثير من الأمور..»[٢].

مع أن كتب التفسير لم تذكر أن الرسول محمدًا ﷺ يرى نفسه في صورة الأنبياء السابقين.؟!

وقد أخطأ المستشرق برنارد هيلر(Bernhard Heller) في نسبة المشيئة الإلهية إلى نوح ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بأنه هو الذي أمر الماء بالتوقف، حيث قال: «وعندما أمر نوح عليه السلام المياه أن تسكن، استقرت السفينة على جبل الجودي»[٣].

والحق أن الله تعالى هو الذي أمر الماء بالتوقف،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ

---

chistory.org/new_page_٣٤٤.htm+%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٧٪D٨٪A C%D٨٪A٧٪D٨٪AF%D٨٪A٩+٪D٨٪A٣٪D٩٪٨A:&cd=٤&hl=ar&ct=clnk&gl=sa

(١) موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ٩٩٩١) (مادة نوح).

(٢) موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ٩٩٩٢) (مادة نوح).

(٣) موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ٩٩٩٢) (مادة نوح) يراجع .

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ هود: ٤٤.

ولو كان كذلك لأنقذ نوح ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ابنه من الغرق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ هود: ٤٢ - ٤٣ .

المبحث الثاني

إبراهيم ـ عليه الصلاة السلام

كتب المستشرق فنسك (١٨٨١ــ١٩٣٩) في دائرة المعارف أن إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ كان يهوديًا، وأن نبينا محمدًا ﷺ قد: «هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب ـــ إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام. ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس»[1].

والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان موحدًا،فقد جاء في التوراة في سفر التكوين، الإصحاح الرابع والعشرين، ما نصه: «٢وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ: «ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي، ٣ فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، ٤ بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ»».

ففي النص دلالة على التوحيد في قوله: (إله السماء وإله الأرض)، وليس لإبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ علاقة بإلههم المسمى (يهوه) الذي ابتدعته التوراة المحرفة بشهادة التوراة نفسها، كما جاء في سفر الخروج الإصحاح السادس: ٣، ما نصه: «وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَهْ» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ» .

وإله اليهود (يهوه) كما يصفه الأستاذ: محمد محيي الدين حمادة: «صفاته بعيدة عن صفات الرب، وغريبة عن حقيقته، إنه رب إسرائيل أو رب الجنود جنود إسرائيل، أو رب شعب الله المختار، أما رب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ فهو رب العالمين، كل العالمين، لا فرق بين عربي وأعجمي، مسلم، أو مشرك، أو كتابي، فهو يرحمهم جميعا، ويرزقهم جميعا ويمد لهم يد العون جميعا.

أما (يهوه)، وما أدراك ما يهوه! فهو إله مزعوم على صورة البشر، ومسكنه في السماء،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ١٤٦)، مادة إبراهيم (فنسك) (طبعة الشعب).

وقد يترل إلى الأرض أحيانا، وهو يتصرف كأنه واحد من الناس، يأكل ويشرب يمشي كالإنسان وله رجلان! يكتب بإصبعه، يحارب، يتكلم بصوت البشر! يهوه إله أرعن، جاهل يفعل اليوم ما يندم عليه غدا! يهوه شرير، سيء المزاج، قبلي طائفي، دموي يعيش في إطار شعبها الذي اختاره فقط، يعمل لهم ولأجلهم! وكأنهم هم الإله وهو الخادم عندهم، لذلك أطلق الوعد التوراتي لإبراهيم: وأكون إلههم! أي إله ذرية إسرائيل لا غير. يهوه يبث بذور الفتنة معتمدا أسلوب الإرهاب والتطرف، والتدمير، حتى ولو كان من وقع عليه الذبح من زمرة الأنبياء والصالحين والمتسابقين في خدمة الحق والعدالة، ومن سار على طريقهم من البشر، وكأني بيهوه أشبه ما يكون برجل آلي (ريبورت) خال من المشاعر والرحمة والأحاسيس، ينفذ ما برمج عليه، من غير أن يملك إنسانية البشر، أو سلطة الدين الحق الكابح لجماح البشر»[1].

فيهوه بهذه الصفات ليس خالقا بل مخلوقا، يسيره اليهود حسب هواهم وهو متصف بصفاتهم من حقد، وتدمير، ونحو ذلك.

وإبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ .

وفي قول المستشرق فنسك: «ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس»[2].

تشكيك في نسبة بناء الكعبة إلى إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وكأن نبينا محمدًا ﷺ في نظر هذا المستشرق أقلقه أمر بيت الله الحرام وهو في المدينة النبوية، فأخذ يخطط بذكاء كي ينسب بناء الكعبة لسيدنا إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ وذلك لتضخيم أمر الدعوة إلى الإسلام، علما أن هذا المستشرق متناقض في كلامه؛ حيث كتب في موضع آخر أن

(١) حمادة: محمد محي الدين، الإسلام وزيف الأقلام: الجزء الأول: إبراهيم عليه السلام، (ص: ١٩١)، قدم له: الدكتور: مصطفى سعيد الخن، الأستاذ: محمد خير الطرشان، ط١، دار أقرأ ــ سوريا / دمشق ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (١ / ١٤٦)، مادة إبراهيم (فنسك) (طبعة الشعب).

إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ هو الذي بنى الكعبة بمعاونة ابنه إسماعيل.

قال فنسك: «وقد أعان إسماعيل أباه إبراهيم في بناء البيت الحرام بعد أن حفرا أساسه. فلما أتما بناء البيت الحرام ترك إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل في تلك الأرض القاحلة يقاسيان آلام العطش..»[(١)].

ومن المعلوم أن بناء البيت الحرام كان بعد أن كبر إسماعيل ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ والدليل من القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ البقرة: ١٢٧.

وفي الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي محمد ﷺ:((أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أتى ابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام بعد أن كبر وتزوج وقال له: يا إسماعيل: إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك السميع العليم))[(٢)].

وللأسف نجد من المستشرقين من أنكر وجود إبراهيم عليه السلام، واعتبره أسطورة اختلقها النبي محمد ﷺ وقد نقل ذلك الدكتور ساسي سالم الحاج بقوله: «فإن (هرجرونيه) يعتقد أن الرسول بعد هجرته إلى المدينة اصطدم بالجالية اليهودية الموجودة هناك، لأنها لم تعترف برسالته كما لم تعترف بصفته كخاتم للأنبياء والمرسلين. وهذا الاتجاه قاده إلى تغيير مفهومه حول طبيعة ديانته من جهة، كما قاده إلى اتخاذ موقف متميز ضد الديانتين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى. وقد قاده هذا الموقف إلى خلق أسطورة (إبراهيم) ليميز الدين الإسلامي عن الديانتين السابقتين له. فعندما كان الرسول بمكة لم ير في إبراهيم إلا أحد

---

(١) موجز دائرة المعارف،(٣ / ٧٥٥)، مادة إسماعيل كتبها فنسك.وانظر: دائرة المعارف (الأولى)،(٢ / ١٧١).

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الأنبياء، باب يزفون، النسلان في المشي،(ج٦/ ٣٩٦)، ح (٣٣٦٤).

الأنبياء المرسلين. أما في المدينة فإنه لم ينظر إليه باعتباره جد العرب فحسب، ولكنه كان يراه مسلما حنيفا، وما كان من المشركين. كما أن موسى وعيسى قد بعثا بعده وأن أتباعهمـــا زوروا الديانة الإسلامية..وحرفوها عن أصلها الحقيقي.

وبهذه الطريقة أكد الرسول أصالة دينه ومصداقيته في مواجهـــة الـــديانتين الأخـــريين: اليهودية والمسيحية، ومن هذه اللحظة استقل الإسلام عنهما، واتخذ شعائر دينيـــة متلازمـــة معهما. واعتبر أن إبراهيم هو مؤسس الكعبة، وحافظ على شعائر الحـــج الأولى، باســـتثناء ماكان متعارضا وبعض مبادئه الجديدة، ووجه الصلاة إلى الكعبة باعتبارها قبلة المسلمين بدلا من بيت المقدس، وجعل من الحج فريضة أساسية لا غنى عنها للمسلمين لمن له القدرة عليها، وهي الفريضة التي أسسها إبراهيم بعد بنائه الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل»[(١)].

والحق أن إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ليس بأسطورة، فقد ولد إبراهيم لأب يصنع الأوثان ويعبدها، ويتكسب من ورائها الأموال، ويوما بعد يوم اتضحت الحقيقة كاملة في نفس إبراهيم ﷺ أن أباه آزر وقومه في ضلال مبين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾ مريم: ٤١ – ٤٨.

وقد دعا قومه لعبادة الله، وترك عبادة الأوثان فلم يستجيبوا له، فما كان منـــهم إلا أن

---

(١) Op. cit ،p. ٦٧٢ ،in WAARDENBURG ،op. cit ،p. ٣٨

نقلا من: الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة HURGRONJE،Islam الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)(٢ / ١٥ ـــ ١٦).

وضعوه في المنجنيق، ثم قذفوه إلى النار التي جعلها الله بردا وسلاما على إبراهيم، وقد وردت قصة إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ في سورة الأنبياء، والشعراء، والصافات، وقد أثبتها القرآن للعظة والعبرة(١).

كما أن إبراهيم الخليل قد ذكر في التوراة وكان يحمل اسم (أبرام) فقد جاء في سفر التكوين: الإصحاح السابع عشر / ٥: «فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ» .

ولا يختلف المستشرق (مونتجومري وات) عن بقية المستشرقين في موقفه من إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ حيث يقال: «تحتل ديانة إبراهيم مكانة مهمة في الخصومة التي تتردد في القرآن تجاه اليهود. وهذه فكرة لانجدها في السور المكية، ولا أساس لها في الأساطير الجاهلية. نجد في سور القرآن المكية أن موسى مقدم على إبراهيم بسبب أهميته كنبي كان رائدًا لمحمد. وإبراهيم في السور المكية هو أحد أنبياء كثيرين ولا تحدد الشعوب التي أرسل إليها. ويبدو أنه من المفهوم أن إبراهيم لم يرسل للعرب، لأن محمدًا أرسل لشعب لم يعرف الرسل، كما لاتذكر أية علاقة بين إبراهيم وإسماعيل والكعبة. ويذكر إسماعيل في سلسلة من الأنبياء بدون أية تفاصيل عنه. ويفترض أن المسلمين في أول الأمر لم يعرفوا شيئًا عن الصلة بين إسماعيل وإبراهيم والعرب (حسب العهد القديم). حتى إذا انتقلوا للمدينة، واتصلوا باليهود، اطلعوا على هذه المسائل. ثم حلت القطيعة بين اليهود والمسلمين، واحتفظ إبراهيم في نظر المسلمين بصفتين مهمتين تستدعيان احترامهم، كان أب العرب واليهود، وقد عاش قبل نزول التوراة على موسى والإنجيل على المسيح. فلم يكن إذًا يهوديًا أومسيحياً .

ولهذا يطلب القرآن من محمد والمؤمنين ألا يعتبروا أنفسهم يهودًا أو مسيحيين، بل هم أمة متميزة عن اليهودية والمسيحية، أتباع ملة إبراهيم. وأما إبراهيم فهو (حنيف) و(مسلم) أي مستسلم لإرادة الله وليس من الوثنيين، ودين إبراهيم هو دين الله الصافي، لأن جميع الأنبياء تلقوا نفس الوحي. ومع ذلك يعتبر القرآن اليهودية والمسيحية كمظهرين ناقصين لهذا

---

(١) انظر: البار: د. محمد علي، أباطيل التوراة والعهد القديم (٢) الله ﷻ والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)(من ص: ٨٧ ــ ٩٣)، ط١، دار القلم بدمشق ــ الدار الشامية ــ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

الدين الإلهي. ولهذا يجب تسمية هذا الدين باسم جديد»[١].

والحق أنه ــ كما سبق أن وضحنا ــ أن قول المستشرق: (كما لاتذكر أية علاقة بين إبراهيم وإسماعيل والكعبة) فهذا قول مردود، لأن الثابت بالنصوص الشرعية ــ كما أسلفنا ــ يخالف ذلك، واعتماد بعض المستشرقين على ما كتبه اليهود في التوراة المحرفة في وصفهم للأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ مما يوقعهم في كثير من الأخطاء،فالمعروف عن اليهود وصفهم لأنبيائهم بالقبائح التي يتنــزه عنها الأشخاص العاديون فضلا عن الأنبياء والرسل.كما أن اليهود يحاولون إنكار صلتهم ومعرفتهم بنبوة محمد ﷺ بالرغم من أن هناك من الآيات والدلائل في كتبهم التي تدل على بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ الشعراء: ١٩٧ .

وهو علم مسجل في كتبهم التي يتداولونها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ الشعراء: ١٩٦.

والدين الإسلامي لم يأت به نبينا محمد ﷺ من عند نفسه بل هو وحي من السماء غـــير مخترع، وقد اعترف نبينا محمد ﷺ بأن الإسلام ديانة التوحيد و لم يخالف الأنبيـــاء والرســـل السابقين في الهدف من الدعوة الإسلامية؛ لكنه جاء مصححًا ومبلغًا وخاتمًا للأنبياء والرسل.

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص ٣١٢ ــ ٣١٣)، تعريب: شعبان بركات.

المبحث الثالث

موسى ــ عليه الصلاة والسلام

شكك بعض المستشرقين بوجود شخصية موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ معتبرين أنه شخصية أسطورية، وقد عرض الدكتور محمد علي البار رأي بعض المستشرقين في نبي الله موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بنص مطول آثرت عرضه لأهميته، حيث يمثل لنا وجهة نظر بعض المستشرقين في موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بشكل مختصر، فقال: «وتذكر دائرة المعارف البريطانية (ج ١٢ / ٤٨٧ الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢) أن كثيرا من الباحثين المشهورين ومنهم (مارتن نوث) يزعمون أن شخصية موسى المذكورة في التوراة هي من صنع مؤلفي التوراة الذين كتبوها بعد مضي مئات السنين من وفاة موسى المزعوم. ويقول: ربما كان موسى شخصا حقيقيا، ولكنه شخصية بسيطة من موآب ــ مدين ــ وليس من بني إسرائيل، وكل الأحداث التي تلتصق به هي من صنع الأساطير التي تجمعت في الحقب التي تكوّن فيها شعب يدعى إسرائيل.

ثم قال الدكتور محمد علي البار: وقد سبق أن ذكرنا ما قاله (جارودي) في كتابه (إسرائيل الصهيونية السياسة) من أنه لا يوجد أي سند تاريخي لوجود شخصية موسى، كما لا يوجد أي سند تاريخي لوجود إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، والأسباط. ويعتبر جارودي أن ما ورد عن هؤلاء الأنبياء هو من القصص الخلاّق والحاسم في بناء الإنسان والحياة.

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن اليهود والنصارى ظلوا حتى العصور الوسطى يعتقدون أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، وهي التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية. والتي يطلق عليها اسم التوراة، ولكن اليهود والنصارى منذ عصر النهضة اعترفوا بأن التوراة كتبت في عصور متأخرة جدا، وبعد وفاة موسى بقرون. وأن أول ما كتب هو بعض الأناشيد، والوصايا العشر، ونبوءات يعقوب وموسى، وذلك في عهد سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد ــ أي ٤٨٠ سنة تقريبا بعد خروج موسى وقومه من أرض مصرــ. ومهما كان النقاش حول شخصية موسى عليه السلام فإن المسلم لا يكون مسلما حتى يؤمن إيمانا كاملا بأن موسى عليه السلام ليس شخصية تاريخية، فحسب بل هو من أولي العزم من الرسل.

وبالنسبة للمسلم ليست التوراة من تأليف موسى، بل هي من عند الله مباشرة، ولكن التوراة الحقيقية زُيِّفت وضاعت، و لم يبق منها إلا ومضات يمكن أن نلحظها في التوراة الموجودة بين أيدينا، وفي بعض أسفار العهد القديم»[1].

والحق أن نبي الله موسى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ شخصية حقيقية لا ينكرها إلا الملحدون واللادينيون، وقد وردت قصة موسى في القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ القصص: ٧ - ١٣ .

وبالرغم من تحريف التوراة والزعم بأن ابنة فرعون هي التي التقطته، وليست امرأته[2] إلا

---

(١) البار: د. محمد علي، أباطيل التوراة والعهد القديم (٢) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)،(ص: ١٩٠).

(٢) " إن كلمات التوراة مشكوك فيها، والدليل على ذلك: أن اسم الرجل في موضع، يأتي في موضع آخر باسم آخر، وكذلك المرأة. وهذا يتكرر كثيرا." للتوسع. انظر: زقزوق: أ.د. محمود حمدي (إشراف وتقديم)، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للمؤلفين: أ.د. عبد الصبور مرزوق، أ.د. عبد العظيم المطعني، أ.د. علي جمعة محمد، أ.د. محمد عمارة، أ.د. محمود حمدي زقزوق، التحرير والمراجعة: أ.د. علي جمعة محمد،(ص: ٤٩٧)، الشبهة السابعة والتسعون (ابنة فرعون أو زوجته) كتبها:الأستاذ الدكتور: علي جمعة، ط (بدون) من إصدار جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف ـــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٣هـ ـــ / ٢٠٠٢م.

أن فيها دلالات على ثبوت قصة ووجود شخصية موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وأنه شخصية حقيقة، ففي سفر الخروج، الإصحاح الأول / ٢٢: «ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائلاً: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا».

وأيضا في سفر الخروج، الإصحاح الثاني: «١وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لاَوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لاَوِي، ٢ فَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ.٣ وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. ٤ وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. ٥ فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ. ٦ وَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي. فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: «هذَا مِنْ أَوْلاَدِ الْعِبْرَانِيِّينَ». ٧ فَقَالَتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ: «هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟» ٨فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي». فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ. ٩ فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: «اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ». فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ. ١٠وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ».

ونحن المسلمين ندين بالإسلام، ونصدق بكل ما أخبرنا الله به على لسان نبينا محمد ﷺ ومن ينكر نبوة موسى عليه الصلاة والسلام فهو من الملحدين كما فعله بعض المستشرقين، وقد قدم الأستاذ (أورخان محمد علي) دليلا ماديا للرد على أمثال هؤلاء في موضوعه (هامان معجزة قرآنية، وليست شبهة ضده)(١) لشخصية (هامان) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ القصص: ٣٨ .

(١) انظر: علي: أورخان محمد، مقال في مجلة المجتمع: تقارير، بعنوان: (هامان معجزة قرآنية وليست شبهة ضده) العدد (١٧١٧) بتاريخ ٢/ ٩ / ٢٠٠٦م.من موقع: http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=١٩٨٨٦٠

ففي المقال دلالة تاريخية على وجود نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام للرد على المنكرين الزاعمين بأن موسى عليه الصلاة والسلام شخصية يهودية أسطورية أقرها الإسلام، واعتبره من الرسل أولي العزم.

لقد بين الكاتب أن كثيرًا من المستشرقين تناولوا شبهة ضد القرآن: «فذكروا أن ورود اسم (هامان) كأحد المقربين إلى فرعون في عهد موسى عليه السلام خطأ تاريخي، حيث لم تورد التوراة اسم (هامان) عند ذكرها قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل مع فرعون، كما لم يذكر هذا الاسم أي مؤرخ يوناني قديم، ولم يرد اسمه في أي نص تاريخي قديم يتكلم عن تاريخ مصر القديم، ولم يرد هذا الاسم إلا في سفر (إيستر) في التوراة، الذي أورد أن: (ملك بابل (أحشوبروش) كان له وزير اسمه هامان، كان يعادي اليهود (الموجودين في بابل بعد الأسر البابلي)، وأنه ظلمهم ظلمًا كبيرًا. ولكن اليهود تخلصوا من وضعهم المزري، ومن ظلم هذا الوزير بعد زواج الملك من فتاة يهودية حسناء فتنته، وسعت لدى الملك حتى نجحت في قتل هذا الوزير والانتقام لشعبها[1].

أي أن هامان لم يكن في عهد فرعون وموسى عليه السلام في مصر، بل في بابل وبعد ١٠٠٠عام تقريبًا بعد موسى عليه السلام.. ومن ثم يفترون أن القرآن وقع في خطأ تاريخي كبير، وقد ترددت هذه الشبهة كثيرًا في السنوات الأخيرة.

وبعد أن عرض (أورخان محمد علي) هذه الشبهة، وذكر بعض ردود الكتاب المسلمين، ومنهم: د. عبد الجليل شلبي في كتابه: (مفتريات المبشرين على الإسلام) وجد أن أفضل من شرح موضوع (هامان) هو العالم الفرنسي المسلم (موريس بوكاي)في كتابه: ETPHARAON MOISE(موسى وفرعون) حيث قال: إن المعلومات المتعلقة بهذه الموضوعات في الكتاب المقدس ليست من الوحي الإلهي، بل هي كتابات أشخاص، لأنه لا يمكن تفسير كل هذه التناقضات بشكل، أو بتفسير آخر... كما أن كل ما جاء في العهد القديم يجرّ الإنسان إلى مشاكل كبيرة فيما يتعلق بالموضوعات التاريخية لا يمكن حلها، وقد تعلمنا في

(١) التوراة سفر "أستير" (١٠١)، ومن قرأ هذا الفصل يعجب من الوحشية التي تدعو إليها التوراة في الانتقام من أعداء اليهود في هذا السفر، فهي تدعو لاستئصال هؤلاء الأعداء، واستئصال أي قوة مسلحة تابعة لأي شعب أو إقليم وذبح أطفالهم ونسائهم. (من حاشية المقال).

(المعهد المسيحي) أن جميع ما جاء في العهد القديم (كلام الله)، ولكن لحسن الحظ قام مجلس الفاتيكان فيما بين أعوام ١٩٦٢م ١٩٦٥م باتباع أسلوب أكثر مرونة، وكان هذا هو الصواب... وقمت في بحثي الأخير هذا بمقارنة المعلومات القطعية الموجودة لدينا حاليًا مع ما جاء في العهد القديم، فقمت في الفصل الثاني بتطبيق المقارنات نفسها التي أجريتها في الفصل الأول مع العهد القديم مع القرآن، وقد أوضحت في الفصل الأول: كيف أن المعلومات المعطاة في العهد القديم تتناقض مع العلم الحديث.حسنًا!.. هل كانت في القرآن أي نقاط أو أمور تتناقض مع العلم الحديث؟ كلا.. لم يكن فيه أي تناقض مهما كان بسيطًا؛ لأن القرآن يعطي معلومات متلائمة تمامًا مع العلم الحديث. وكان هناك اتجاه عام حتى القرن السابع عشر الميلادي بأن الأسفار الخمسة التي تشكل التوراة كتبت من قبل موسى عليه السلام علمًا بأن وفاة موسى عليه السلام كانت مسجلة فيها، ولا أدري كيف يمكن لهذا النبي أن يكتب ويسجل مراسيم وفاته؟.. هل يعقل هذا؟ وكان عدم قبول هذا الأمر (أي قيام موسى عليه السلام بكتابة التوراة) يعد كفرا بالدين. ولكن بعد أن قام طبيب عالم في عام ١٧٥٣م بتقديم اعتراضاته بدأ النقد يزداد، واستمر حتى قيل في النهاية: إنه تمت مقارنة الكتاب المقدس مع حقائق العلوم الحديثة وظهرت تناقضات حادة معها...ثم يتناول موريس بوكاي موضوعين هامين فيقول ما ملخصه: لقد جاء ذكر هامان في القرآن كرئيس المعماريين والبنّائين، ولكن الكتاب المقدس لا يذكر أي شيء عن هامان في عهد فرعون. وقد قمت بكتابة كلمة (هامان) باللغة (الهيروغليفية) ـــ لغة مصر القديمة ـــ وعرضتها على أحد المختصين في تاريخ مصر القديمة، ولكي لا أدعهم تحت أي تأثير، فإنني لم أذكر له أنها وردت في القرآن. بل قلت له إنها وردت في وثيقة عربية قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السابع الميلادي. فقال لي المختص: يستحيل أن ترد هذه الكلمة في أي وثيقة عربية في القرن السابع؛ لأن رموز الكتابة باللغة (الهيروغليفية) لم تكن قد حلت آنذاك. ولكي أتحقق من هذا الأمر فقد أوصاني بمراجعة قاموس(du Nouvel Empire Dictionnaire des Noms de Personn) أي (قاموس أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة) لمؤلفه Rank Allemand ورجعت إلى القاموس، فوجدت أن هذا الاسم موجود هناك، ومكتوب باللغة (الهيروغليفية)و(باللغة الألمانية)كذلك. كما كانت هناك ترجمة لمعنى هذا الاسم وهو: رئيس عمال مقالع الحجر. وكان يطلق هذا الاسم

أو اللقب آنذاك على الرئيس الذي يتولى إدارة المشاريع الإنشائية الكبيرة. فنقلت تلك الصفحة من ذلك القاموس، وذهبت إلى المختص الذي أوصاني بقراءة هذا القاموس، ثم فتحت ترجمة القرآن بالألمانية، وأريته ورود اسم (هامان) فيه، فدهش كثيرًا وصمت.لو جاء ذكر اسم (هامان فرعون) في أي كتاب قبل القرآن، أو لو جاء ذكره في الكتاب المقدس لكان المعترضون علينا على حق. ولكن لم يرد هذا الاسم حتى نزول القرآن في أي نص، بل ورد فقط على الأحجار الأثرية لمصر القديمة وبالخط (الهيروغليفي).إن ورود هذا الاسم في القرآن بهذا الشكل المذهل لا يمكن تفسيره إلا بأنه معجزة، فلا سبب آخر لهذا، ولا تعليل آخر. أجل!...إن القرآن أكبر معجزة[1].

هذا موجز ما أورده (موريس بوكاي) في هذا الموضوع.وفي هذا السياق لابد من سرد بعض الحقائق:

ما من مؤرخ أو كتاب أشار إلى شخص (هامان) الذي كان مقربًا من فرعون مصر في عهد موسى عليه السلام، ولم يكن أحد يعلم الشيء الكثير عن تاريخ مصر القديم؛ لأن العلماء كانوا عاجزين عن قراءة الكتابات المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية، وقد اندثرت اللغة الهيروغليفية تدريجيًا بعد انتشار المسيحية في مصر، حتى اندثرت تمامًا، وآخر نص مكتوب بهذه اللغة كان في عام ٣٩٤م، ولم يعد أحد يتكلم بها أو يعرف قراءتها.ودام هذا الوضع حتى عام ١٨٢٢م عندما استطاع العالم الفرنسي (فراجيان فرانسوا شامبليون) فك رموز هذه اللغة من على حجر رشيد Rosetta stone، الذي اكتشفه ضابط فرنسي عام ١٧٩٩م أثناء الحملة الفرنسية على مصر. وكان مرسومًا عليه نص يمجد فرعون مصر وانتصاراته، مكتوب بثلاث لغات هي: اللغة (الهيروغليفية)، واللغة (الديموطيقية) وهي اللغة العامية المصرية القديمة، واللغة (الإغريقية). وكان تاريخ الكتابة يعود إلى عام ١٩٦ ق.م، وساعد وجود هذه اللغات الثلاث العالم الفرنسي على فك رموز اللغة (الهيروغلوفية)، فقد قام بمضاهاة هذا النص بالنص الإغريقي، ونصوص هيروغليفية أخرى، حتى نجح عام ١٨٢٢م في فك رموز الهيروغليفية؛ لأن النص اليوناني كان عبارة عن ٥٤ سطرًا سهل القراءة.. وهذا

(١) "المعجزات الجديدة للقرآن" مقال منشور، مجلة (ظفر) التركية، عدد (٢٣٢)،(ص ٩٣)، لخص فيها المترجم "جمال آيدن" ما جاء في كتاب موريس بوكاي "موسى وفرعون". (من حاشية المقال).

يدل على أن هذه اللغات الثلاث كانت سائدة إبان حكم البطالسة الإغريق لمصر. كانت اللغة (الهيروغليفية) اللغة الدينية المقدسة متداولة في المعابد، واللغة (الديموطيقية) لغة الكتابة الشعبية، واللغة اليونانية القديمة كانت لغة الحكام الإغريق، وقد أخذ البريطانيون هذا الحجر، ووضعوه في متحف لندن[(١)]، وبعد فك رموز الكتابة (الهيروغليفية) زادت معلوماتنا حول تاريخ مصر القديم زيادة كبيرة، وعلمنا من الكتابات الموجودة على عدد من الأحجار الأثرية العائدة للتاريخ المصري القديم، وجود شخص مقرب من فرعون مصر في عهد موسى عليه السلام كان مسؤولاً عن البناء اسمه (هامان). وهناك حجر من هذه الأحجار المصرية القديمة ورد فيه هذا الاسم، وهو موجود في متحف (هوف) في فينا عاصمة النمسا[(٢)].

إذن فكيف تمّ ذكر هذه الشخصية، (أي شخصية هامان فرعون) التي لم ترد حولها أي معلومات في أي كتاب، وعند أي مؤرخ قديم، ولم يكن أحد يعرف عنه شيئًا؟ لأن آخر نص باللغة الهيروغليفية الـمُشْرِفة على الاضمحلال كتب في ٣٩٢م، ثم اندثرت هذه اللغة، ولم يعد أحد يعرفها أو يتكلم بها.. أي أن اللغة الهيروغليفية اختفت تمامًا قبل مولد الرسول { بأكثر من ثلاثة قرون }. وهذا هو الذي دفع المتخصص والعالم الفرنسي صديق موريس بوكاي إلى القول إن من المستحيل ورود ذكر هامان في أي وثيقة أو كتاب في القرن السابع الميلادي، وهو القرن الذي ولد فيه الرسول.

ونقول للمتشككين الملحدين ولأعداء القرآن: قوموا بأي تفسير معقول حول هذا الموضوع... قولوا لنا لو أن هذا القرآن لم يكن من وحي الله تعالى فكيف ورد اسم (هامان) فيه؟!!»[(٣)].

---

(١) "عبقرية الحضارة المصرية القديمة"، أحمد محمد عوف.(من حاشية المقال).

(٢) Walter Wreszinski ، Aegyptiscche Inschriften aus dem K.K.H of Museum in Wien، ١٩٠٦، J C Hinrichs sche Buchhandlung وأيضًا: "المعجزات القرآنية" للكاتب التركي هارون يحيى، دار ARATIRMA YAYINCILIK للنشر، صفحة ٧٣٧١. (من حاشية المقال).

(٣) علي: أورخان محمد، مقال في مجلة المجتمع: تقارير، بعنوان: (هامان معجزة قرآنية وليست شبهة ضده) العدد (١٧١٧) بتاريخ ٢/ ٩ / ٢٠٠٦م.من موقع: http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=١٩٨٨٦٠

فهذا دليل مادي حسي لمن شكك في شخصية موسى عليه الصلاة والسلام و لم يــؤمن بالأمور الغيبية.

وللأسف أيضا نجد من المستشرقين من يشكك فيما تميز به موسى عليه الصلاة والسلام عن بقية الأنبياء والرسل،فهو كليم الله.ولكن المستشرق(ماكدونالد ١٨٦٣ـــ ١٩٤٣م)شكك في مسألة تكليم الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام[1]، والحق أن موسى عليه الصلاة والسلام ـــ هو كليم الله، كما ورد ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ النساء: ١٦٤ ، وأن الذي أمر موسى بخلع نعليه هو الله ﷻ لقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾ طه: ١٢ .وقد نادى الله ﷻ موسى لما أتى الشجرة بقوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ القصص: ٣٠ .

وبالمقارنة مع نصوص التوراة نجد أن الله تعالى خاطب موسى عليه الصلاة والسلام وثبت تكليمه لموسى، ففي سفر الخروج في الإصحاح السادس:٢ «ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ» وفي سفر الخروج أيضا الإصحاح الثالث:٤ «فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَة وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا»» وفي سفر الخروج الإصحاح الثالث: ٦ «ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلهُ إِسْحَاقَ، وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ» وفي سفر الخروج الإصحاح الثالث: «فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ»» كذلك لما طلب موسى رؤية ربه في سفر الخروج قال له الله كما جاء في: الإصحاح ٢٠:٣٣: «وَقَالَ: «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ»» فالحق أن موسى عليه الصلاة والسلام كلم ربه و لم يره، كما ذكر الله ﷻ في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا

(١) انظر: موجز دائرة المعارف،(٣١ / ٩٧٩٦ ـــ ٩٧٩٧)، مادة موسى عليه السلام كتبها ماكدونالد.

تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ الأعراف: ١٤٣ .

ومن أخطاء المستشرق (ماكدونالد) فيما كتبه عن موسى ـــ عليه الصلاة والسلام قوله بأن موسى تلقى الدعوة من إحدى المرأتين اللتين سقى لهما عند بئر مدين، فقال: «واستسقى غنم ابنتي أحد شيوخ مدين، وتدعوه إحداهما إلى دارهم على استحياء، ويتزوجها ويمكث في مدين»(١).

والحق أن الدعوة كانت من أبيهما وليست من إحداهما، كما ورد في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ القصص: ٢٥ - ٢٧.

(١) موجز دائرة المعارف، (٣١ / ٩٧٩٢)، مادة موسى عليه السلام.

المبحث الرابع

عيسى عليه الصلاة والسلام

يعتقد النصارى أن عيسى هو الكلمة، وهذا أصل من أصول النصرانية، وقد حاول بعض المستشرقين أن يثبتوا أن اعتقادهم في عيسى عليه الصلاة والسلام موافق لما جاء في القرآن الكريم من خلال ورود لفظ (وكلمته) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ النساء: ١٧١ .

فمن خلال لفظ (وكلمته) حاول بعض المستشرقين الإشارة إلى الاتفاق بين القرآن ومعتقد النصارى في أن عيسى بن مريم هو الكلمة، حيث ورد في العهد الجديد في الإصحاح الأول / من ١ ـــ ١٤، من (إنجيل يوحنا): «١ فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. ٢ هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. ٣ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. ٤ فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، ٥ وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ.٦ كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. ٧ هذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ، لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. ٨ لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. ٩ كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. ١٠ كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. ١١ إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. ١٢ وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ.١٣ اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ.١٤ وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» .

ففي عبارة (وكان الكلمة الله) اضطراب واضح من خلال سياق العبارة، فهل الله كلمة؟ فالعقيدة النصرانية لا تقول بأن الله كلمة!

وما معنى في البدء؟ هل هو بداية الله؟ أم بداية الكلمة؟ وهذا أيضًا لا مدلول له في

العقيدة النصرانية فهم يعتقدون أن الله أزلي، والكلمة معه أزلية.

وكيف تكون الكلمة عند الله في قولهم: (والكلمة كان عند الله) فكيف هي الله؟ وكيف هي عنده؟ فالعقيدة النصرانية مع خلوها من النصوص الشرعية الصحيحة فهي عقيدة مناقضة للعقل السليم.

ويبدو أن النصارى اقتبسوا هذه الفكرة من الوثنيين المصريين القدماء فقد قال (بونويك Bonwick) في كتاب اعتقاد المصريين: «وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين ــ الوثنيين القدماء ــ، هي قولهم: (بلاهوت الكلمة) وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها (أي الكلمة) منبثقة من الله، وأنها الله»[1].

والدليل المؤيد أن تلك العقيدة الباطلة مستمدة من الوثنيين الظالين، قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ المائدة: ٧٧ .

أيضا يستدل بعضهم بقول (بولس) مما ورد ضمن العهد الجديد المتضمن الأناجيل والرسائل الملحقة بها في(رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ، الإصحاح الثالث: ١٦: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ» .

وهذا معناه الاتحاد والتجسد مع الله ــ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ــ فالاتحاد لدى النصارى المراد به: أن الله تبارك وتعالى اتخذ جسد المسيح له صورة، وحل بين النَّاس بصورة إنسان هو المسيح[2].

والحق أن مايستدل به هؤلاء من كتب وأناجيل محرفة لا يمكن الاعتماد عليها من حيث صحة نسبتها إلى من ينسبونها إليه، فضلاً عن أن يصح نسبتها إلى المسيح عليه الصلاة

---

(١) انظر: البيروتي: محمد بن طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،(ص: ٦٣).

(٢) انظر: فارس: القس فايز، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي،(ص: ٧٦ ــ ٧٧)، دار الثقافة المسيحية، مطبعة القاهرة الجديدة، نقلا من: الخلف:د. سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية،(ص: ٢٩٦)، ط١، مكتبة أضواء السلف ــ الرياض ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠٢م.

والسلام وما ذكره النصارى فيما أوردوه عن بولس في (رسالته الأولى لتيموثاوس) عن قصة التجسد المزعوم؛ فإن صح كلامهم في نسبة الرسالة إلى بولس، فكيف يعتقدون صحة ثبوتها، والثقة بناقليها، ويعتمدونها في عقيدتهم الدينية.إن قبولهم لهذه القصة المزعومة والتسليم لقول علمائهم ودعاتهم مما لم يقم عليه دليل شرعي أو عقلي، لهو دلالة على بطلان عقائدهم.

قال المستشرق الدكتور مراد هوفمان: «أما مسألة تجسد الله في عيسى، أو حلول الذات الإلهية فيه، فهي مبتورة، تعوزها الموثوقية أكثر مما سبقها من المسائل الأخرى، ولن يجد القارئ الموضوعي البسيط، في أية ترجمة صحيحة للعهد الجديد، أية جملة أو كلمة قالها عيسى يستنتج منها الافتئات المنسوب إليه ظلما وعدوانا، إن عيسى ليس الله، وكل منهما منفرد في الإنجيل بمكانته، الله الرب، وعيسى العبد، لا أكثر ولا أقل، إن القارئ للإنجيل هذا، سيقع على العكس، ليس فقط في نصوص الجُلْجَثَّة أو الجُمْجمَة.ولكن بوجه عام، حتى في إنجيل يوحنا نفسه يقول عيسى: اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ:إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ. وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ (الإصحاح ٢٠: ١٧) قصارى ما يقع عليه قارئ الإنجيل ألفاظا مثل الآب والابن، وليس ذلك بشيء، لأن هذه الألفاظ لا تعني أُبوة أو بُنوة إلا على المجاز المتعارف عليه في جميع الديانات، كناية عن الصلة بين العبد المخلوق والذي خلقه»(١).

والعقيدة الإسلامية تجعل عيسى عليه الصلاة والسلام عبد الله ورسوله، لأنه بشر خلقه الله من التراب، **قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾** آل عمران: ٥٩ .

والقول بأن عيسى عليه الصلاة والسلام هو كلمة الله ـــ بالمعنى الذي يقصده النصارى ـــ والكلمة صفة من صفات الله تعالى، يؤدي إلى القول بأن صفات الله تعالى مخلوقة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

قال ابن تيمية في المراد بكلام الله: «وهكذا لفظ الكلمة والكلام، يراد بهما الكلام الذي تكلم به، وذلك صفة من صفاته، قائمة بذاته، ليس بمخلوق منفصل عن ذاته، ولا بائن عنه، فإن صفة الموصوف لا يجوز أن تفارق ذاته، وتنتقل عنه، وإن كان مخلوقا فكيف في الخالق

(١) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٥٦ ــ ٥٧).

ﷻ والكلام يتكلم به المتكلم، فيقال خرج منه الكلام، وبدأ منه الكلام، وهو لم يفارق ذاته، وينتقل منه إلى غيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ الكهف: ٥ .

فهذه الكلمة التي هي كلمة مخلوق، وقد قيل إنها خرجت منه، ومع هذا فلم تفارق ذاته، وتنتقل إلى غيره، فكلام الله تعالى أولى بذلك»[(١)].

وقال ابن تيمية في معنى المسيح كلمة الله: «ومن هذا تسمية المسيح كلمة الله، فإن الله تعالى خلقه بكلمته، أي بقوله (كن) فكان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ آل عمران: ٥٩ ، وقوله: خلقه، أي خلق آدم من تراب، ثم قال له: (كن) فكان، والمسيح لم يخلق من تراب، بل خلقه بقوله (كن) من غير تراب، وآدم بقي مخلوقا من تراب حينا من الدهر، قد قيل أربعين عاما حتى نفخ فيه الروح، وقال له (كن) فكان.وأما المسيح فإن خلقه ابتداء بقوله: (كن) فكان، لم يخلقه على الوجه الذي خلق عليه غيره من البشر، حيث خلقه من ماء الأبوين، وأقره في الرحم المدة المعلومة، فسائر البشر خلقوا بالسنة ــ أي: بعادة الله في مخلوقاته ــ والمسيح خلق بخرق العادة، فكوَّنه بكلمته. فلهذا سمي: كلمة الله دون غيره من المخلوقات»[(٢)].

وقال ابن تيمية أيضا: «فالمسيح الذي يتحرك، وينتقل من مكان إلى مكان كيف يكون هو كلام الله الذي هو صفة من صفاته، قائمة به ﷻ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا،..»[(٣)].

وقد قام القس (إنْسِلْم تُورميدَا) الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي بذكر الشواهد والنصوص من القرآن والكتاب المقدس، إضافة لعرض بعض الأدلة العقلية الفلسفية لإثبات

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله،(ص: ٣١)، عيسى / صحابة: ٣١، تحقيق ودراسة: قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث بطنطا، ط١، دار التراث للصحابة ــ طنطا ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله،(ص:٣٤ / عيسى / صحابة.

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد، تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله،(ص: ٤١/عيسى / صحابة.

بطلان عقيدة النصارى، وقولهم المسيح هو الله، وابن الله وأنه خالق المخلوقات، وقال بأن ذلك يرده ويبطله ما قالته الأناجيل الأربعة، ثم عرض أدلته وحججه لإثبات صدق ما آمن به[١].

(١) للاستزادة انظر ما كتبه القس (إنسِلْم تُورميدًا) الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي، في كتابه: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، (الباب الخامس: في بيان أن عيسى ليس بإله وإنما هو بشر آدمي مخلوق ونبي مرسل ــ عليه الصلاة والسلام ــ من ص: ١٠٥ ــ ١١٣) من تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمود علي حماية (أستاذ ورئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر بأسيوط) ط٣، دار المعارف ــ القاهرة (بدو ذكر الطبعة وتاريخها).

المبحث الخامس

نبينا محمد ﷺ

المطلب الأول:اسمه:

دلت النصوص القرآنية على ورود اسم النبي محمد (أحمد ومحمد) ﷺ في التوراة والإنجيل، مما يقطع بصدق البعثة المحمدية،قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الصف: ٦ - ٨ .

ولكن بعض المستشرقين عمدوا إلى تحريف الاسم الشريف للنبي محمد ﷺ ، لأنهم أرادوا التخلص من ذكر اسم محمد ﷺ خاصة أن التوراة نصت على ظهور النبي محمد ﷺ في مكة،فقد جاء في سفر التثنية: الإصحاح الثالث والثلاثون

«٢:فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ» .

والمقصود من جبل فاران كما دلت عليه كتب اللغة، وقاموس الكتاب المقدس هي جبال مكة[1]، وأيضا ذكرت التوراة مكان الوحي إليه ففي سفر إشعياء الإصحاح الواحد والعشرون / ١٣: «وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ بِلاَدِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلاَدِ الْعَرَبِ تَبِيتِينَ، يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ...»

كما أنه قد ورد التصريح باسم النبي محمد ﷺ في إنجيل برنابا، ٤١: ٣٠: «فلما التفت آدم رأى مكتوبًا فوق الباب: لإإله إلا الله محمد رسول الله»

لذلك حاول بعض المستشرقين إخفاء الصيغة الحقيقية لاسمه ﷺ يقول المستشرق (فيليب حتي) إن: «إحدى وأربعين صيغة لاسم محمد توجد في اللغة الإنكليزية — على ما جاء في

---

(١) انظر: حمادة: محمد محي الدين، الإسلام وزيف الأقلام: الجزء الأول: إبراهيم عليه السلام، (ص: ١٦٧)، قدم له: الدكتور: مصطفى سعيد الخن، الأستاذ: محمد خير الطرشان.

قاموس أكسفورد الكبير، لتدل على الصنم، ثم صارت تعني دمية. وقد أوردها شكسبير بهذا المعنى في مسرحيته (روميو وجوليت) وهناك صيغة أخرى من اسم محمد هي: (ماهون)، كانت تدل عند كتّاب التمثيليات الدينية العامة في العصور الوسطى على وثن يعبد»[١].

ففي هذا النص دلالة على محاولة إخفاء الأدلة والبراهين الدالة على صدق نبوته من خلال ما ورد من البشارات في الكتب السابقة، والتي أعطت إشارات على قرب بعثته.

المطلب الثاني: أمية الرسول محمد ﷺ[٢]:

وصف القرآن الكريم النبي محمدًا ﷺ بالنبي الأمي، وقد وردت لفظة (الأمي) صريحة في ست آيات من القرآن الكريم،[٣] وقد بين القرآن معنى الأمي في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٨ .

ففي هذه الآية القرآنية إعلان صريح بعدم معرفة النبي محمد ﷺ القراءة والكتابة، وقد فسر ابن جرير الطبري معنى الأمي بقوله: «إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب»[٤].

وقد أنكر بعض المستشرقين أن يكون الرسول محمد ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وعلى هذا الأساس فقد اعتبر (مونتجومري وات) النبي محمد ﷺ من مثقفي العصر آنذاك، حيث يذكر (مونتجومري وات): «إن الإسلام التقليدي يقول بأن محمدًا لم يقرأ أو يكتب، ولكن هذا الزعم مما يرتاب فيه الباحث الغربي الحديث، لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأن إخراجه للقرآن كان معجزًا،وبالعكس، فلقد كان كثير من المكيين يقرؤون ويكتبون، ولذلك يفترض

---

(١) حتي: فيليب، الإسلام منهج حياة،(ص: ٥٢)، ترجمة: د. عمر فروخ.

(٢) لمزيد من الإطلاع حول هذه القضية، انظر:رسالة الدكتوراه للدكتور. مازن مطبقاني، بعنوان (منهج المستشرق برنا رد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، مسألة الشك في أمية الرسول والرد عليها من (ص: ١١٥ ــ ١١٧).

(٣) حيث وردت في سورة البقرة آية ٧٨، وفي سورة آل عمران آية ٢٠، وآية ٧٥ من السورة نفسها، وفي سورة الأعراف آية ١٥٧، وكذلك آية ٢٥٨، وفي سورة الجمعة آية ٢.

(٤) الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،(ص: ٢٩٦)، ط١، مطبعة بولاق ــ مصر ١٣٢٣ هـ.

أن تاجرًا كمحمد لابد أن يكون قد عرف شيئًا من هذه الفنون»[(١)].

ويقول (مونتجومري وات) في النسخة المعربة: «ويجب تفسير قول محمد (ما أقـــرأ) في رده على قول الملك (اقرأ) بـــ (لا أستطيع القراءة) أو (التلاوة). يتضح لنا ذلك من وجـــود رواية تقول: (ما أنا بقارىء) وفي التمييز عند ابن هشام (ما أقرأ) و(ماذا أقرأ) حيث التعـــبير الثاني لايمكن أن يعني إلا: (ماذا أتلو) وهذا هو المعنى الطبيعي لقوله: (ما أقرأ)، ويبدو مـــن المؤكد، تقريبًا ـــ أن المفسرين التقليديين اللاحقين تجنبوا المعنى الطبيعـــي لهـــذه الكلمـــات، ليجدوا أساسًا للعقيدة التي تريد أن محمدًا لم يكن يعرف الكتابة، وهذا عنصر رئيسي للتدليل على طبيعة القرآن المعجزة»[(٢)].

والحق أن: «القراءة والكتابة لا تعطي المستشرقين حاجتهم من الإيحاء بـــأن محمـــدًا ﷺ قارئ كاتب ألَّفَ كتابه، لأن عيسى وموسى عليهما السلام كانا يقرآن، ولم يكذبهما أحـــد في دعواهما تلقي التوراة والإنجيل من السماء»[(٣)].

وقال المستشرق ر. ف. بودلي عن الرسول ﷺ:

«فكان يصر دوما على أن يجهل القراءة والكتابة. ولعله تبادر إلى ذهنه أن في اشتهار أمر أميته دعاية طيبة له، فإن صدور كتاب القرآن عن عربي جاهل بالقراءة والكتابة يحدث ضجة تفوق ـــ ولا شك ـــ ما يحدثه صدور نفس الكتاب عن متعلم»[(٤)].

وهذا قطعا يخالف الواقع فالثابت أن الرسول محمد ﷺ أمي حتى نزل عليه الوحي وأمره بالقراءة. «عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ((أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي

---

(١) Muhammad Prophet and Statesman، pp. ٣٩ - ٤٠
نقلاً عن: الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لأراء (وات ـــ بروكلمان ـــ فلهاو زن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، (ص: ٦٣).

(٢) وات: مونتجومري، محمد في مكة، (ص: ٨٥)، تعريب: شعبان بركات.

(٣) الجبري: عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، (١٥٠)، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م.

(٤) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد، (ص:٦٠)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

الرؤيا الصالحة فجاءه الملك فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ العلق: ١ - ٣))[١]

وعلى كل حال فالمستشرق (مونتوجمري وات) نجده يناقض نفسه ويعترف بأن القرآن ليس من كلام محمد،ولاهو من نتاج تفكيره، إنما هوكلام الله وحده، حيث عرض الدكتور/ محمد عمارة رأي (مونتجومري وات) في القرآن والوحي على أنه شهادة من منصف للإسلام، وسرد ماكتبه عن موقفه من الوحي الإسلامي، وعن أصالة القرآن وحفظه ومحوريته في الثقافة الإسلامية.ولكن كان أغلب حديثه عن القرآن والوحي بصيغة الشك والتمريض[٢].

المطلب الثالث: نبوته:

اعتقد بعض المستشرقين أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن نبيًا موحى إليه، وإنما كانت نبوته استشعار داخليًا بصدق دعوته، وقد نقل لنا هذا التصور الدكتور/ أكرم ضياء العمري بقوله: «أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن نبيًا موحى إليه، وإنما كان على حد أحسن تعبيراتهم، وهو ما يقوله مونتغمري وات ـــ أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة لندن، وهو من أحدث الذين كتبوا في السيرة النبوية من المستشرقين في كتابيه (محمد في مكة، ومحمد في المدينة)وهو يقول:إن محمدًا صادق، لأنه يخيل إليه أنه بعث نبيًا، وأنه يحمل رسالة، وأنه يوحى إليه....فهو يزعم أن عملية الوحي إنما هي استشعار داخلي ولكن بصدق، فهو لا يشكك بصدق شعور النبي ﷺ بالنبوة، ولكنه يظن أن هذا إنما هو استشعار داخلي، وقناعة ذاتية، دون أن يكون هناك شيء خارجي اسمه الوحي»[٣].

والحق أن نبينا محمدًا ﷺ كان نبيا على الحقيقة وليست نبوته ـــ كما يعتقد هؤلاء

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٥٥)

(٢) انظر: عمارة: محمد، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، حيث عرض ما كتبه المستشرق مونتجومري وات عن الإسلام كشهادة من منصف ،(من ص: ١٥٩ ـــ ١٧٨)، ط٢، دار الشروق ـــ مصر ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٣) العمري:الأستاذ الدكتور. أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية،(ص٦٠)،مجلة مركز بحوث السنة والسيرة النبوية،العدد الثامن ١٤١٥هـ /١٩٩٤ـــ١٩٩٥م ـــ جامعة قطر.

المستشرقون ـــ ضربا من الخيال، أو نوعًا من الاستشعار الداخلي، أو أنه كان على علاقة بورقة بن نوفل، فحصل ما حصل باتفاق مسبق بينهما، ولا صحة للروايات التي استند عليها مونتجومري وات من وجود صلة سابقة بين رسول الله ﷺ وبين ورقة بن نوفل،[١] لذا نجد أن بعض المستشرقين ذهبوا إلى التشكيك في مجئ الوحي الإلهي[٢] إلى نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم ـــ ووصفوا خوف نبينا محمد ﷺ عند نزول الوحي بأنه تقليد له جذوره التاريخية كما فعل الأنبياء السابقون[٣].

وذلك تمهيدًا للزعم بأن القرآن أتى به محمد ﷺ من عند نفسه، وهذا الاعتقاد نابع من أن كثيرًا من المستشرقين لايؤمنون إلا بما يقبله الحس، دون ما وراء الطبيعة من عالم الغيب.

المطلب الرابع:إنكار معجزاته ﷺ

إن معجزة خاتم الأنبياء محمد ﷺ القرآن الكريم، وقد تحدى القرآن الخلق أن يأتوا بمثله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٣.

وإذا كان القرآن قد أعجز العرب ـــ وهم أصحاب البلاغة ـــ فهو لغيرهم أعجز، ولما ظهر ذلك، فهذا دليل على صدق نبوته ﷺ لأن ثبوت المعجزة دليل على صحة نبوته.

وقد شكك بعض المستشرقين في إعجاز القرآن الكريم[٤] لأن نظرتهم في مفهوم المعجزة لا تتعدى دائرة المادة المحسوسة.

وبجانب هذا القرآن المعجز في آياته ومعانيه، فقد كان للنبي معجزات أخرى وردت في

---

(١) انظر: عتر: الأستاذ الدكتور:حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة (نقض مزاعم المستشرقين)،(ص: ١٥٤)،حيث رد على هذه الشبهة بالتفصيل، ط٣، دار المكتبي ـــ سورية، دمشق، حلبوني ١٤١٩هـــ / ١٩٩٩م.

(٢) للاستزادة انظر: عتر: الأستاذ الدكتور:حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة (نقض مزاعم المستشرقين) حيث تناول في الفصل الثالث: نقض مزاعم المستشرقين في الوحي بالعرض والنقد،(من ص: ١٣٩ إلى آخر الكتاب.

(٣) انظر: وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٩٠ ـــ ٩١)، تعريب: شعبان بركات.

(٤) سبق وأن تعرضنا لكثير من شبه المستشرقين في موقفهم من القرآن الكريم في الباب الثالث في الفصل الأول منه.

القرآن الكريم، وفي السنة النبوية، مثل: الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وغير ذلك من المعجزات الحسية التي أنكرها كثير من المستشرقين وأتباعهم.

قال هنري ماسيه: «وللأنبياء موهبة صنع المعجزات، ومحمد لم يرض لنفسه بسوى معجزة واحدة: تنزيل القرآن، ولكن التقليد ينسب إليه معجزات أخرى»[(١)].

علما أننا نجد بعض المستشرقين يخلط في جهل منه بين إرهاصات النبوة وبين المعجزة، لجهل بعض المستشرقين بمصطلحات الفكر الإسلامي.فعلى سبيل المثال: يذكر المستشرق (م. سفاري) قوله في كتابه حياة محمد: «ومن بين المعجزات المتعددة التي يخلطها المؤرخون بحياة محمد أنهم يذكرون بثقة الحادثة التالية: ذات يوم خرج محمد و(مسروح[(٢)]) أخوه من الرضاعة [؟] إلى البادية يلعبان ويلهوان، فقدم عليهما رجلان بملابس بيضاء، وأمسكا بمحمد، وطرحاه أرضًا،وشقا صدره..عندئذأسرع (مسروح) إلى أمه، وقص عليهما ما حدث، فانتابها الخوف، لأنها لم تكن تعلم ماتدبره السماء، وعادت به إلى آمنة، وسلمتها وديعتها»[(٣)].

المطلب الخامس:الإسراء والمعراج بين المسلمين والمستشرقين:

أنكر بعض المستشرقين المعجزات المادية للنبي ﷺ حتى يؤثروا على المسلمين تمهيدًا لتأويل الدين وتحريفه من واقع القرآن نفسه؛ لذا أنكر بعض المستشرقين حادثة الإسراء والمعراج، واعتبروها من الأساطير والخرافات، مثال ذلك: سرد المستشرق بودلي قصة غريبة يصف فيها حادثة الإسراء والمعراج وعلق على ذلك قائلا: «وما الحكاية في الغالب إلا خرافة من

---

(١) ماسيه: هنري،الإسلام،(ص: ١٤٣)، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: سماحة الدكتور: مصطفى الرافعي، وسماحة الشيخ: محمد جواد مغنيه.

(٢) أخطأ المستشرق في اسم ابن مرضعة الرسول حليمة السعدية فليس اسمه (مسروح) بل عبد الله بن أبي ذوءيب الحارث بن عبد العزى. أما (مسروحا) فهو ابن ثويبة أول مرضعة للنبي بعد أمه وقبل حليمة السعدية (السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ترجمة: علي: محمد عبد العظيم،نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري،(ص: ٢٧ ـــ٢٨).

(٣) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ترجمة: علي: محمد عبد العظيم،نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري،(ص: ٢٧).

الخرافات التي تذكر للتدليل على معجزات محمد»[١].

أماالدكتور:(سنكلير تِسدَل) فعرض قصة المعراج محاولا ربطها ببعض المعتقدات القديمة السابقة للإسلام،[٢] ثم علق قائلا: «وإذا سأل سائل وقال ماهي هذه القصة التي أخذت منها قصة المعراج؟ قلنا في الجواب عن ذلك: إذا سرحنا الطرف في كتاب يسمى (ارتاوبراف نامك) مؤلف باللغة البهلاوية أي اللغة الفارسية القديمة منذ ٤٠٠ سنة قبل الهجرة في أيام (أردشير بابكان) ملك الفرس رأينا في هذا الكتاب أصل هذه القصة»[٣].

ثم مالبث المستشرق الدكتور:(سنكلير تِسدَل) يجهد نفسه بطريقة تعسفية محاولا ربط مسمى (البراق) في اللغة العربية وبين لفظة عبرية تسمى (البارق) حتى يرجع أصول القصة لمصادر أجنبية ويقوي رأيه بنسبة وصف الخرافة على واقعة الإسراء والمعراج[٤].

وهذا الإنكار مبني على عدم الإيمان إلا بالمحسوس المادي،قال الدكتور:عبد الله الخطيب: «اعتمد المستشرقون على القرآن الكريم في زعمهم بأن النبي ﷺ لم تقع منه معجزة مادية، إذ لم ترد فيه آية تنسب له معجزة مادية،وبالرغم من أن بعض المستشرقين لا يعتبرون القرآن مصدرًا يستشهدون به، إلا أنه ثبت في القرآن الكريم نسبة معجزات مادية للنبي محمد ﷺ ، كحادثة الإسراء والمعراج، وشق القمر، وحفظه من القتل، وغيرها من الأمور.

كما أن نسبة المشركين السحر للنبي ﷺ لدليل قاطع على وقوع المعجزات المادية منه، وبما أن الكافرين لا يؤمنون به فقد عبروا عن تلك الأمور الخارقة للعادة بأنها سحر!كفرا منهم بالحق الذي عاينوه.

وقد أفرد علماء الأمة كتبًا كثيرة للكلام على المعجزات المادية للنبي ﷺ وقد وصل تعداد هذه الكتب إلى ما يقرب من تسعة وأربعين كتابا..، فلماذا أغمض المستشرقون..أعينهم عن هذا القدر الهائل من الأحاديث والكتب التي ذكرت تلك المعجزات؟»[٥].

---

(١) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد،(ص: ١١١)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

(٢) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، من (ص: ١٢٨ ــ ١٤٢).

(٣) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،(ص: ١٣٤).

(٤) انظر: تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، (ص: ١٣٩).

(٥) الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن،(ص: ٢٢ ــ ٢٣)، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية.

ثم إن حادثة الإسراء ثابتة بالكتاب والسنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ الإسراء: ١ .

قال الطحاوي: «والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظـــة، إلى السماء. ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى»(١).

وقال شارح الطحاوية: «وكان من حديث الإسراء: أنه ﷺ أسري بجسده في اليقظة ــ على الصحيح ــ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكبًا على البراق، صحبة جبرائيل عليه السلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد»(٢).

ولكن بعض المستشرقين ومن تبعهم قال: إن الإسراء بالروح فقـــط،(٣) والـــصواب أن الإسراء بالروح والجسد معا.

المطلب السادس:اتهام النبي محمد ﷺ بأنه شهواني(٤):

حاول بعض المستشرقين التشكيك في النبي محمد ﷺ والطعن في رسالته عن طريق مسألة التعدد في الزوجات، واتهامه ﷺ بأنه شهواني دون البحث عن الحكمة من التعدد، فالرسول محمد ﷺ لم يكن شهوانيا كما يدعون، وإنما كان الباعث على ذلك لحكمة جليلة فطن إليها

---

(١) أبو العز الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ص:١٩٥).

(٢) أبو العز الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ص: ١٩٧).

(٣) انظر: تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، (ص: ١٢٩) .

(٤) تناول الدكتور. محمد أمين حسن محمد بني عامر هذه المسألة بالتوضيح والشرح المستفيض لمن أراد التوسع في هذه المسألة في الفصل الثاني بعنوان (المستشرقون والمرأة) حيث تناول في المبحث الأول من هذا الفصل (المستشرقون وتعدد الزوجات) وقد عرض موقف الأمم السابقة من التعدد وموقف علماء الغرب من التعدد والحكمة من التعدد وعرض شبهات المستشرقين حول تعدد زوجات النبي محمد ﷺ مع الرد على كل شبهة. انظر: بني عامر: الدكتور. محمد أمين حسن محمد، المستشرقون والقرآن الكريم، من (ص: ٥٠٦ إلى ص: ٥٤٠).

رسول الله ﷺ سواء كانت هذه الحكمة سياسية، أو اجتماعية، أو تشريعية، أو تعليمية، إضافة إلى أن نبينا محمد ﷺ لم يخالف ماكان عليه الرسل السابقون في مسألة التعدد، فلماذا ينصب على نبي الإسلام وابل من الانتقادات في مسألة التعدد؟! خاصة أن الأنبياء السابقين تزوجوا بأكثر من واحدة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ الرعد: ٣٨.

فمن أقوال بعض المستشرقين في مسألة تعدد زوجاته ﷺ ما قاله (مونتجـومري وات): «هناك اتهام أوروبي مسيحي لمحمد بأنه شهواني، أو أنه بلغة القرن السابع عشر الفظة (فحاش مسن) غير أن هذه التهمة تسقط إذا فحصناها على ضوء الأفكار السائدة في عصر محمـد. كان الفكر الإسلامي في أول ظهور الإسلام يميل إلى تضخيم شخصية النبي، ورفعها فـوق مستوى البشر، ويوجد حديث يقول إن محمدا قد أعطي من قوة الرجولة ما يجعله يـستطيع أن يقسم ليلته بين جميع نسائه.

ولاشك أننا هنا بصدد حديث موضوع، لأن الحديث العادي يقول بأن محمـدًا كـان يخصص ليلة لكل واحدة من نسائه»(١).

كذلك اتهم (مونتجومري وات) النبي محمد ﷺ بالابتداع في مسألة تعـدد الزوجـات، فقال: «إن تعدد الزوجات (التي تسكن عند أزواجها) الذي اعتبر مدة طويلة من الـزمن في نظر المسيحيين من خصائص الإسلام، كان بدعة جاء بها محمد. وربما وجدت بعض الأمثلة عليه قبل مجيء محمد، ولكنها كانت أمثلة قليلة الانتشار. وكانت هذه العادة غريبـة علـى تفكير أهل المدينة. وقد عالج هذا التغيير المساوئ التي نتجت عن ازدياد الترعة الفردية، إذ إن تعدد الزوجات يسمح للنساء الكثيرات بالزواج الشريف، كما يضع حدًا لاضطهاد الأرامل اللواتي تحت الوصاية، كما يخفف من إغراء الزواج المؤقت الذي يسمح به مجتمع عـربي ذو عوائد (أمية). ويجب اعتبار هذا الإصلاح ــ بالنظر لبعض العادات السائدة آنذاك ــ تقدمًا مهمًا في تنظيم المجتمع»(٢).

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص:٥٠١ ــ ٥٠٢)، تعريب: شعبان بركات.

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة،(ص: ٤٢٣ ــ ٤٢٤)، تعريب: شعبان بركات.

نقول لهذا المستشرق وأمثاله من المستشرقين إن الشريعة الإسلامية هي شريعة خالدة وشاملة لأوجه النشاط الإنساني كله، واستفاضة خصوم الإسلام بالحديث عن مسألة تعدد زوجات الرسول محمد ﷺ بالنقد والاتهام جهلا أو عمدا، متناسين أن التعدد ليس من صنع الإسلام فحسب، وإنما هو تشريع قديم عرفته كل الحضارات، وفي مقدمتها التوراة وأقره الإنجيل إلا في حالة واحدة، هي: حالة الأسقف حيث لا يستطيع الرهبنة مع تعدد الزوجات فيكتفي بزوجة واحدة، كما أن القوانين الوضعية هي التي حرمت التعدد في العالم المسيحي، متناسين أن التعدد سنة الأنبياء القدامى مثل موسى عليه الصلاة والسلام والنبي سليمان حيث كان متزوجا من ألف امرأة ولم يتهمه أحد بشهوانية كما جاء في سفر الملوك الأول، الإصحاح الحادي عشر / ١ ــ ٣: (١وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ.٢مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ.٣وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.) والنبي محمد ﷺ لم يكن، شهوانيا والدليل على ذلك أنه لم يتزوج إلا بواحدة في عنفوان شبابه، وهي خديجة بنت خويلد،ولم يتزوج بغيرها حتى ماتت، ثم بعد ذلك تعددت زيجاته ﷺ لحكم وأسباب تشريعية[١].

كذلك من منطلق تهمة الشهوانية نجد المستشرق (ويل ديورانت[٢]) اتهم النبي محمد ﷺ بأنه أخذ فتاة يهودية عنوة من خاطبها، وضمها إلى نسائه حيث يقول: «وضمت (صفية) وهي فتاة يهودية في السابعة عشرة من عمرها، كانت مخطوبة (لكنانة) إلى نساء النبي»[٣].

(١) انظر: الكبيسي: د.فاضل محمد عواد، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة، دراسة نقدية،(ص: ١٢٧ ــ ١٣١)، المبحث السادس: الافتراء على الرسول في تعدد زوجاته.

(٢) ويل ديورانت W.Durant: مؤلف امريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلدًا، واحدًا من اشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، ومن كتبه المعروفة كذلك (قصة الفلسفة) .وأصدر جزأه الاول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء. http://quran.maktoob.com/vb/quran/٤٩٨٠٨

(٣) ديورانت: ويل، قصة الحضارة،(١٣ / ٣٩)، عصر الإيمان، ترجمة: محمد بدران، ط ٣، لجنة الترجمة والتأليف والنشر: جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، القاهرة ــ ١٩٧٤م.

مع العلم أن الحقيقة خلاف ذلك فقد تزوجها لمكانة والدها برضاها،ووالدها هو: (حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النّحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران[١]) إذا يتضح من خلال ترجمة والدها أنه: ولد هارون بن عمران أخي موسى، فهي ابنة نبي، وزوجة نبي، أعتقها النبي محمد ﷺ وجعل عتقها صداقها، حتى صار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة.

«عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها»[٢].

وهذه من سياسة النبي محمد ﷺ للتقرب إلى زعماء القبائل، وإنشاء علاقات سياسية لتيسير أمر الدعوة إلى الإسلام.

كذلك نجد من المستشرقين من اتهم النبي محمدًا ﷺ بالخيانة، وبعدم الوفاء؛ لتحقيق رغباته الشهوانية، حيث استغل بعض المستشرقين قصة (زينب بنت جحش) و(زيد بن حارثة) للطعن في شخصية الرسول محمد ﷺ وصدق نبوته، معتمدين على بعض القصص الإسرائيلية، وغير الصحيحة في بعض كتب التفسير،والتي تصف نبينا محمدًا ﷺ بأنه رأي زينب بنت جحش، زوجة ربيبه (زيد بن حارثة) فوقع في غرامها،وقال: سبحان الله مقلب القلوب، ففطنت زينب إلى التسبيحة ونقلتها إلى زيد، فقال: يارسول الله ائذن لي بطلاقها،فقال له ﷺ: أمسك عليك زوجك.

قال الدكتور رمزي نعناعة:

«هذه الفرية دسها يوحنا الدمشقي في العهد الأموي»[٣].

ثم أشار الدكتور رمزي نعناعة إلى بعض كتب التفسير التي نقلت مثل هذه الفرية نحو كتاب (تفسير الزمخشري،والثعلبي، والنسفي في تفسيره، والجلال المحلي، وغيره،كما ذكر رواية القرطبي في تفسيره عن مقاتل، وناقش القصة مشيرا إلى حكمة الله في ذلك، من خلال

---

(١) انظر: الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(١٠ / ١١٦)، رقم الترجمة: ٤٩٦٥ ، تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب النكاح، باب: من جعل عتق الأمة صداقها،(ج٩ / ١٢٩)، ح (٥٠٨٦)، ومسلم كتاب النكاح، باب فضيلة اعتاقه أمة ثم يتزوجها،(ج٢/١٠٤٥ح(١٣٦٥).

(٣) نعناعة: د.رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير،(حاشية الكتاب رقم (١) (ص: ٣٩٥)، ط١، نشر: دار القلم بدمشق، ودار الضياء ببيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٧.

وليس كما يراه بعض المستشرقين من رغبة النبي في نكاح (زينب بنت جحش) لأوصافها الجميلة، فالرسول محمد ﷺ نبي معصوم من الزلل[(١)].

كذلك من افتراءات بعض المستشرقين على قصة (زينب بنت جحش) و(زيد بن الحارثة) قول (مونتجومري وات) تعليقًا على زواج النبي من زينب بنت جحش: «ربما أدرك أن زينب ملت زيدًا، وليس هناك من رجل يليق بأن يصبح زوجًا لها. أو ربما شعر بأن الفرصة سنحت، وقد أصبح له من القوة بحيث يستطيع مجابهة الرأي العام، لعقد هذا الزواج المستحسن من الناحية السياسية والاجتماعية وبالرغم من القصص العاطفية، من البعيد أن يكون محمد قد أسر بمفاتن زينب الجسدية. ويقال بأن زوجات محمد الأخريات كن يخشين سيطرة جمالها. ولكن زينب حين تزوجت محمدا كانت في الخامسة والثلاثين، أو الثامنة والثلاثين من عمرها. وهي سن متقدمة بالنسبة لعربية»[(٢)].

فالمستشرق (مونتجومري وات) يعقد بعض الافتراضات التي لا تختلف كثيرا عن النظرة الشائنة التي يحملها جلّ المستشرقين تجاه قصة زواجه من زينب بنت جحش، وبالرغم من أن هؤلاء لا يعرفون الحكمة التشريعية من وراء زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فإنهم يتطاولون عليه ﷺ وهم يعلمون أن رسول الله ﷺ يمكنه أن يتزوج بها لو كان بينهما ما يظنون، خاصة أن رسول الله ﷺ كان قد رآها، فهي ابنة عمته (أميمة بنت عبد المطلب[(٣)])

---

(١) انظر: نعناعة: د.رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، قصة زينب وزيد بن حارثة من (ص: ٣٩٥ ــ ٤٠٠).

(٢) وات: مونتجومري، محمد في المدينة، (ص: ٥٠٥)، تعريب: شعبان بركات.

(٣) انظر: ابن كثير: الحافظ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن الكريم)، للعلامة المحقق: أحمد شاكر، أعده: أنور الباز،(٣ / ٥٢)، ط ٢، دار الوفاء للطباعة والنشر ــ المنصورة ١٤٢٦هــ / ٢٠٠٥م.

قبل أن تنزل آية الحجاب،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٣.

فالرسول محمد ﷺ أراد بزواجه إلغاء العرف الجاهلي الذي يعتبر الابن المتبنى له نفس حقوق الابن من الصلب، وهذا العرف يخالف الشريعة الإسلامية في الحقوق والميراث، فزواجه ﷺ من زوجة ربيبه الحكمة منه؛ لكي يبطل عرف حُرمَةَ الزواج من زوجة الابن المتبنى.

قال ابن كثير في تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٧ .

«أي: إنما أبحنا لك وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: زيد بن محمد، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأحزاب: ٤ – ٥ .

زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة، ولهذا قال في آية التحريم

﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ النساء: ٢٣ ، ليحترز من الابن الدَّعي، فإن ذلك كان كثيرا فيهم»[(١)].

لقد أفاض خصوم الإسلام بالحديث عن تعدد زوجات الرسول محمد ﷺ وطعنوا فيه، وخصوه بوافر من الاتهامات والنقد، متناسين أن التعدد تشريع قديم عرفته الحضارات

(١) ابن كثير: الحافظ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن الكريم)، للعلامة المحقق: أحمد شاكر، أعده: أنور الباز،(٣ / ٥٣).

السابقة، والتعدد سنة: «الأنبياء القدامى، مثل موسى وغيره، الذين لا يبدو أن أحدًا من الناس يعترض على زواجهم المتعدد، فهل يكون مرد ذلك إلى أننا نجهل تفاصيل حياتهم اليومية،على حين نعرف كل شيء عن حياة محمد ﷺ العائلية؟!»[١]

والرسول محمد ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد ــ رضي الله عنها ــ في صدر شبابه، وهو في الخامسة والعشرين، وقضى معها ما يقارب ثلاثين عامًا، ولم يتزوج غيرها طيلة حياته الشريفة معها[٢]، ثم تزوج الرسول محمد ﷺ نساءه العشر جميعهن ثيبات، ماعدا عائشة رضي الله عنها، مما يدل أنه ﷺ قد ناهز الرابعة والخمسين وأن زواجه بهذا العدد من النساء ليس من أجل دافع الشهوة ــ كما يعتقد بعض المستشرقين ــ لكن لأسباب، عدة سواء أسباب اجتماعية:من باب توثيق الصلات بينه وبين أصحابه، وسياسية: لدخول زعماء القبائل وأقوامهم في الإسلام، وتشريعية:بوحي جاء به جبريل عن ربه، مثل زواجه من ابنة عمته زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن ثابت مولى رسول الله ﷺ من أجل إلغاء عرف حرمة زوجة المتبني، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم أن ينكح ابنة عمته زينب التي كانت تحت مولاه زيد[٣].

هكذا نرى الأغراض النبيلة التي دفعت بنبي الأمة محمد ﷺ لمسألة تعدد الزوجات، ومهما كان فالمرأة في ظل الإسلام مع رجل معدد هي أفضل من امرأة تعيش بلا كرامة في ظل العقيدة المسيحية.

تقول زيغرد هونكة: «إن المرأة التي نشأت على التربية الدينية المسيحية، أدخل في روعها، وأصبح من قناعاتها أنها هي ابنة حواء الخاطئة،وأنها في دار زوجها

(خاضعة) له فكرًا وإرادة وجسمًا، عليها طاعته وهي له الخادمة الصاغرة في البيت والمطبخ والفراش،....إن عواطف الحب، ومشاعر الود ــ إرث من التقاليد العربية، والعقلية

---

(١) فاغليري: لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي،(ص: ١٠١)، ط٥، دار العلم للملايين ــ بيروت، ١٩٨١م.

(٢) انظر: ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية،(٣ / ٤٦٥ ــ ٤٦٦)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي.

(٣) انظر: ابن كثير، التفسير،(٣ / ٤٩١ ــ ٤٩٢).

العربية نما وتطور في الغرب المسيحي، وفي ألمانيا التي نشأت على الأخلاق المسيحية، إلا أن هذا الإرث لم يجد الأرض المناسبة لبذوره فاصطدم بعقلية عالم آخر، وكان نموه وتطوره غير صحيح فنشأ عنه تناقض واضح لدى الإنسان الألماني»[١].

وهذه من الوقفات المتميزة في كتاب المستشرقة الألمانية: زيغرد هونكه، حيث بينت تكريم الإسلام للمرأة، في حين أن الغرب المسيحي يعاملها معاملة مغايرة ومهينة.

فالإسلام دين الفطرة، وكل فطرة سليمة إذا عرض عليها الإسلام فإنها تقبله في إذعان واستسلام؛ لأنه دين لا يتنافى مع الفطرة السليمة.

وعموما فالزواج من الفطرة، والإسلام اعترف بهذه الفطرة، ونظمها للسير بها وفق ضوابط صحيحة.

ولا يزال في العالم النصراني (ولا سيما الكاثوليك) قساوسة يتكلفون في مسألة الرهبانية تقليدًا منهم للمسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويستهزئون بالمتزوج قائلين إنه دنس نفسه بميله ورغبته إلى الشهوات النفسية.

قال الدكتور مراد هوفمان:«يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة، ويوصي بها ليتمتع الإنسان، الذكر والأنثى بممارسة هذا الحق الطبيعي، وبدون تحفظ، على العكس من التصوير(الشيطاني) للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة في كتابات (بولس الرسول) الواردة بالإنجيل الحالي، والتي تشين الزواج افتراءً وتمدح العزوبية، داعية إلى الرهبانية، والتي تسببت للكاثوليك في كثير من الآلام والمعاناة، والعقد الجنسية، والشعور بالذنب، وغير ذلك من المشكلات...هذا الحظر، وتشويه النظرة إلى الجنس، تسببتا كذلك في رد الفعل الرافض لرسالة (بولس) الرسول بشأن الجنس، والذي يبدو واضحا في الانحلال الخلقي والإباحية الجنسية»[٢].

وقال الدكتور مراد هوفمان في موضع آخر: «ليس تعدد الزواج دائما، وفي كل حالة منافيا للقيم والعادات، حتى في نظر القانون الألماني اليوم، لهذا فإن اتهام تعدد الزوجات في

(١) هونكه: زيغرد، التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم، ترجمة: د. هاني صالح،(ص: ٢١٨)، ط١، دار الرشيد، دمشق ـ بيروت،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) هوفمان:د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٤٦ ـ ٤٧).

الإسلام اهامًا مطلقا بأنه غير أخلاقي، اهام باطل، وليس ذلك فحسب، بل إنه يدل على عدم البصر، أو قصر النظر»[١].

ومخالفة الفطرة الداعية للزواج الشرعي مدعاة للشذوذ الجنسي.

قال مبشر الطرازي الحسيني: «قرأت في الأهرام اليوم (تاريخ ٣٠ / نوفمبر / ١٩٦٧م) نبأ يقول: وافق ٩٠ من رجال الدين الأمريكيين في ندوة عقدوها في نيويورك على عدم استنكار ممارسة الشذوذ الجنسي، إذا كانت قائمة على عاطفة الحب؟!»[٢].

ومسألة تعدد الزوجات من المسائل التي استنكرها بعض المستشرقين على المسلمين، علما أن التعدد كان سائدا في الملل القديمة قبل بزوغ شمس الإسلام، وجاء الإسلام وحدد التعدد، وبهذا قضى على تعدد الزوجات الرائج في الجاهلية، كما نبه الإسلام إلى أهمية العدل بين الزوجات، وعالج مشكلة التعدد معالجة حكيمة،وفق ضوابط إلهية بطريقة لا يوجد مثلها في أي دين من الأديان.

قال (كارل بروكلمان ١٨٦٨ ــ ١٩٥٦م: «ومع أن نظام الزواج الإسلامي قد وضع حدًا لحرية الاتصال الجنسي بين الرجال والنساء، هذه الحرية التي كانت عامة في بلاد العرب الجاهلية، فإنه لم يلغ تعدد الزوجات، بل حدد عدد هؤلاء الزوجات بأربع،بالإضافة إلى ما تملكه يمين الرجل من الرقيق..»[٣].

وقد أنصف عدد من المستشرقين في باب تعدد الزوجات في الإسلام وحكمته، منهم (فونس اتين دييه) في كتابه (محمد رسول الإسلام) ما ترجمته:

«فالواقع يشهد أن تعدد الزوجات شيء ذايع في سائر أرجاء العالم، مهما تشددت القوانين في تحريمه. ولكن المسألة الوحيدة هي معرفة ما إذا كان من الأفضل أن يشرع هذا المبدأ ويحدد، أم يظل نوعا من النفاق المتستر لا شيء يقف أمامه، ويحد من جماحه؟ثم قال فونس: وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين ونخص منهم بالذكر (جيرال دى نير فال) و(ليدى موجان) أن تعدد الزوجات عند المسلمين ــ وهم يعترفون بهذا المبدأ ــ أقل انتشارا منه عند

---

(١) هوفمان:د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ٢٠١).

(٢) الحسيني: مبشر الطرازي، إلى الدين الفطري الأبدي،(٢ / ١٦٩) .

(٣) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص: ٨٠)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

المسيحيين الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة، وليس ذلك بالأمر الغريب على الفطرة البشرية، فالمسيحيون يجدون الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدئهم!.هذا وقد دافع (فونس) عن تعدد الزوجات في رسالته (أشعة خاصة بنور الإسلام)حيث قال: لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها، ويزاول أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة، ومثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها أن يتخذوا الرهبنة، فهم لا يتزوجون، وإنما يعيشون غربـــاء. علـــى أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها، وإنما يدخل في قوانينها ما يجعلـــها أكثر قبولاً، وأسهل تطبيقًا في إصلاح ونظام ورضا ميسور ومشكور.حتى لقد سمي القـــرآن لذلك (الهدى) لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة، ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير، ثم قال (فونس): والأمثلة العديدة لا تعوزنا لإثبات هذا القول، ولكننا للقصر نأخذ بأشهرها، وهو تعدد الزوجات الذي صادف النقد الواسع، والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مطاعن كثيرة»[1].

(١) الحسيني: مبشر الطرازي، إلى الدين الفطري الأبدي،(٢ / ١٩٣ ـــ ١٩٤).

الفصل الخامس

موقف المستشرقين من الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: اليوم الآخر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اليوم الآخر

أولا:تعريف اليوم الآخر عند علماء المسلمين.

ثانيا: تعريف اليوم الآخر عند بعض المستشرقين.

المطلب الثاني:مصدر اليوم الآخر عند بعض المستشرقين.

المطلب الثالث: الدجال في المفهوم الاستشراقي.

المطلب الرابع: الميزان يوم القيامة في نظر بعض المستشرقين.

المبحث الثاني:الجنة والنار في المفهوم الاستشراقي.

وفيه تمهيد ومطالبان:

المطلب الأول:صورة الجنة والنار كما يتخيلها بعض المستشرقين.

المطلب الثاني: صفة الجنة ونعيمها كما يصورها بعض المستشرقين.

أولا: درجات الجنة.

ثانيا: نعيم أهل الجنة.

الفصل الخامس

موقف المستشرقين من الإيمان باليوم الآخر

تمهيد

الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى ــ في كتابه، وسنة نبيه محمد ﷺ مما يكون بعد الموت: من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه،والبعث، والحشر، والصحف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة؛ كما أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماقا.

أشراط الساعة وعلاماقا ثلاثة أقسام:

١ ــ قسم ظهر وانقضى، نحو: (بعثة النبي محمد ﷺ ، وموته، وفتح بيت المقدس، وقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ وزوال ملك العرب، وكثرة المال، وكثرة الزلازل، والمسخ، والخسف..وغير ذلك من أمارات ظهرت وانقضت..)

٢ ــ وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال في زيادة، نحو: (أن يكون العبد والأحمق، واللئيم، ونحوهم رؤساء الناس، وأن يتباهى الناس في المساجد، وأن يكون هناك عباد جهال، وقراء فساق، وانتفاخ الأهلة، واتخاذ المساجد طرقًا، ورفع العلم، وكثرة الجهل، وانتشارالزنى، وشرب الخمر، وقلة الرجال، وكثرة النساء، وتضيع الأمانة ويوسد الأمر لغير أهله)

٣ ــ وقسم الأمارات الكبيرة التي تعقبها الساعة، نحو: (خروج المهدي، والمسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج النار من قعر عدن، ثم النفخ في الصور نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق وهلاك الخلق، ثم بعثة البعث والنشور[1].

---

(١) انظر: الفوزان: د. صالح، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد،(ص: ٢٢١ ــ ٢٢٤).

المبحث الأول

اليوم الآخــــــــــر

المطلب الأول: تعريف اليوم الآخر:

١- اليوم الآخر عند علماء المسلمين:

عرفه البيهقي بأنه هو: «التصديق الجازم بأن لأيام الدنيا آخرًا، وأنها منقضية، وأن هذا العالم منقض يوما ما، ففي الاعتراف بانتفائه اعتــراف بابتدائــه، إذ القـــديم لا يفـــنى ولا يتغير»[1].

ويقول الشيخ صالح الفوزان عن سبب التسمية باليوم الآخر: «وسمي بـــاليوم الآخـــر؛ لتأخره عن الدنيا، وقد دل عليه العقل والفطرة؛ كما صرحت به الكتب السماوية، ونـــادى به الأنبياء والمرسلون، وقد أخبر الله عنه في كتابه العزيز، وأقام الـــدليل عليـــه، ورد علـــى المنكرين له في غالب سور القرآن»[2].

٢- اليوم الآخر عند بعض المستشرقين:

اليوم الآخر هو يوم القيامة، وعرف المستشرق جارديه (L.Gardet) القيامة بأنهـــا: «هي حركة البعث والنشور..وتأتي القيامة بعد الفناء المطلق لكل الكائنـــات والمخلوقـــات، ويتبعها يوم الدين حيث تكون الساعة، والساعة هي يوم القيامة
(يوم الدين) وهي من الاعتقادات الضرورية التي تحدد مضمون عقيدة المسلم»[3].

المطلب الثاني: مصدراليوم الآخر عند بعض المستشرقين:

يزعم بعض المستشرقين أن الإسلام استمد تعاليمه المتعلقة باليوم الآخر مـــن مـــصادر أجنبية، سواء يهودية، أو مسيحية، أو فارسية، وغير ذلك من المعتقـــدات، فمـــثلاً: يـــرى

---

(١) القزويني: أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن عمر، مختصر شعب الإيمان للإمام المحدث أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ص: ٨)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، ط١، مكتبة دار البيان ـــ دمشق، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م.

(٢) الفوزان: د. صالح، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، (ص: ٢٥٢).

(٣) موجز دائرة المعارف،(٧ ٢/ ٨٤٣٠)، مادة القيامة.(جارديه).

بروكلمان أن معتقدات النبي ﷺ عن اليوم الآخر ترجع إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية، وبابلية قديمة.

قال المستشرق بروكلمان: «وفي مكة دارت فكرات محمد الدينية، أولى ما دارت، على محور الآخرة، وإنما ترجع معتقداته في ما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة، ولقد اعتقد بادئ الرأي أن القيامة على وشك الحلول، ليجد نفسه مضطرا بعد، إلى أن يغفل تحديد ميقات لها، لأن الله احتفظ بعلم ذلك لنفسه، وتوقع محمد أن تعلن ساعة الحساب بنفخة هائلة أو دوي عظيم، ثم تحدث بعد عن النفخ في الصور أو عن نداء يوجهه أحد الملائكة إيذانا بقيام الساعة، وعندئذ تُزلزل الأرض في الحال، وتُسير الجبال كالسراب، أو تتطاير، فهي تمر مر السحاب فتنقلب، هباء منثورا، وعندئذ تُفجر البحار،وتدور الشمس على محورها، ويخسف القمر، وينشق وتنتثر الكواكب، وتُفتح السماء فهي واهية، لتكشف عن العالم الآخر، وتعرضه على أعين البشر...ثم استرسل في وصف يوم الحشر»[1].

كذلك المستشرق كاراده فو(B.Carra De Vaux) فقد ربط مسمى جهنم بالعبرية، فقال عن جهنم: «هي مشتقة من اللفظ العبري جيحنون، أو وادي هنوم (انظر: سفر يشوع، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة ٨) وكان واديا بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين إلى مولك في أيام العقوق، وكلمة جهنّام ــ بألف بعد النون ــ معناها البئر العميق»[2].

ويرى بعض المستشرقين أن فكرة اليوم الآخر، والتذكير بيوم الحساب مستمدة من المسيحية، يقول (دومينيك سورديل)وهو يصف طبيعة رسالة النبي محمد ﷺ: «كان التذكير بيوم الحساب مما لم يألفه العرب الوثنيون. ويمكن العثور في تلك الدعوة على مواضيع تشترك مع المسيحيين الشرقيين في الخوف من الله. وفي وصف يوم القيامة. والحساب، يلاحظ تشابه ظاهر بين القرآن والإرشادات الأخلاقية للقديس (مار أفرم) أحد وعاظ الكنيسة السريانية. ويزعم (تور أندريه) أن محمدا متأثر في رسالته بمواعظ مسيحية كان قد سمعها. وهذه فرضية

---

(١) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: ٧١ ــ ٧٢)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

(٢) موجز دائرة المعارف،(١١ / ٣٢٥٤). (مادة جهنم).

غير مدعومة بالبراهين الدقيقة، كما أنها لا تنهض مفسرة لما جاء في أوائل السور القرآنية من أفكار وتحليلات. غير أن محمدًا يختلف عن المسيحيين في فهمه للآخرة، فليست لديه مفاهيم محددة حول خلود الروح التي ليست بالنسبة له سوى نفخة الحياة، فبعد الموت يغرق الإنسان في اللاشعور حتى يوم القيامة حين يبعث، رغم أن الانبعاث قد يأتيه مباشرة بعد الموت»[(١)].

أما المستشرق (فيليب حتي) فأشار إلى أن عقيدة اليوم الآخر مستمدة من آباء الكنيسة المسيحية الأول، حيث قال الدكتور فيليب حتي: «والعقيدة الأخيرة الإيمان بخلود النفس. وبحسب هذه العقيدة تحشر الأجساد في اليوم الآخر، فيؤدي كل امرئ حسابا عن أعماله، فيثاب الصالحون ويجازى الطالح، ويصف القرآن الكريم الثواب والعقاب بصورة حسية مادية، وفي بعض السور القرآنية الرائعة وصف للجنة. وللحياة الخالدة فيها، ووصف سعادة النعيم، وعذاب جهنم يستمد صوره عن الحياة الدنيا، وما فيها من سعادة وشقاء. وآباء الكنيسة المسيحية الأول في سورية بالغوا في وصف الحياة السعيدة التي سيحياها المؤمن من بعد الموت، وفي ذكر عذاب جهنم المعد للخاطئ الأثيم»[(٢)].

كذلك المستشرق بودلي يرى أنها مستمدة من رجل مسيحي يدعى: (سان إفرام)، قال المستشرق بودلي: «لقد توافرت لمحمد الخبرة الدنيوية، فأحب وتعذب، وكانت حياته كفاحا، فتطلع إلى تعويض إلهي، ومكان سماوي للراحة، حيث يجد هو ورفاقه ما فقدوه في دنياهم، وإن كثيرين لا يعلمون أن النعيم الممتزج بالشهوانية، قد جاء عن مسيحي يدعى: (سان إفرام) عاش في سورية في القرن الرابع الميلادي، ففي ترانيم (إفرام)عن النعيم، كل ما قال به محمد، حتى الحور العين اللائي سيعوضن الرجال المقدسين عن حرمانهم الدنيوي، كما قال(إفرام)»[(٣)].

وقال بودلي في موضع آخر مؤكدا كلامه: «وما الجنة إلا تجسيم ما رآه محمد من نعيم خارج بلاد العرب في أثناء رحلاته، مع استعارة بعض أفكار الأب (إفرام) وما الجحيم إلا

---

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٥١)، ترجمة: سليم قندلفت.

(٢) حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى،(ص: ١٤٢)، ترجمة الدكتور: أنيس فريحة.

(٣) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٦)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

تجسيم مشاق الصحراء المحرقة القاحلة التي تحيط بمكة»[(١)].

كذلك المستشرق (س. د. جواتياين) فقد أشار إلى أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر مستمدة من مصادر مسيحية، ويهودية ومصادر أخرى[(٢)].

هذه بعض أقوال المستشرقين المزعومة التي يحاولون من خلالها ربط عقيدة الإيمان باليوم الآخر بمعتقدات ومصادر أجنبية، والهدف من ذلك نفي صلة الوحي السماوي بنبينا محمد ﷺ ،من أجل إثبات أن الدين الإسلامي مجموعة من الخرافات والأباطيل، وأن ماورد من الغيبيات في مجال العلم الأخروي ماهو إلا إغواء، ووسيلة جذب من النبي محمد ﷺ عن طريق الوصف المادي الحسي للنعيم المقيم، والتهديد بالعذاب الأليم في النار، بهدف الترغيب لقبول الإسلام، ولزيادة أتباعه، متناسين أن النعيم في الدار الآخرة ليس مادي حسي فقط، بل روحيًا ومعنويًا أيضا، فالنفس تسعد بلذة النظر لوجهه الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ﴾ القيامة: ٢٢ - ٣٢ .

كما أنه فات هؤلاء المستشرقين أن مادعى إليه نبينا محمد ﷺ هو نفس ما دعت إليه الديانات السابقة من التوحيد، والإنذار بالعذاب الأخروي، فالديانة الإسلامية، واليهودية، والمسيحية، خرجت من مشكاة واحدة، فلا غرابة أن يكون هناك بعض أوجه الشبه فيما بينها مما ورد عن أحوال اليوم الآخر، مع العلم أن التصور الإسلامي عن اليوم الآخر يختلف في مفهومه عما جاءت به الديانات المحرفة، فالجنة مثلا عندهم هي جنة في الأرض، وهي ليست من النعيم الأخروي.

قال المستشرق الدكتور:(سنكلير تِسدَل): «وإذا سأل سائل، وقال: ماهي أصل الخرافات الواردة عن شجرة الطوبى، أو سدرة المنتهى، أو الأربعة أنهر السماوية؟ قلنا في

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٧)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

(٢) انظر: جواتياين: س. د. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية،(ص: ٤٦ ــ ٤٧)، تعريب وتحقيق: الدكتور: عطية القوصي، ط١، وكالت المطبوعات، الكويت ١٩٨٠م.

الجواب عن ذلك: إن هذه الخرافات نشأت من القصة البسيطة الصحيحة الواردة في سفر التكوين (الإصحاح ٢ الآية ٨ ـ ١٧[١]) فإنه لما كان الجهلة السذج الميالون إلى تصديق الخرافات لا يعرفون أن جنة عدن كانت بقرب بابل وبغداد، تولوا بأوهامهم الجامحة وتصوراتهم الشاردة حق الله إلى أكاذيب بزياداتهم ومبالغاتهم، وغيروا الوقائع التاريخية والجغرافية إلى خرافات لاأصل لها»[٢].

فالجنة تختلف في مفهومها عند بعض المستشرقين عن الجنة عند المسلمين،وقد ضرب لنا الدكتور/ عبد المنعم فؤاد أمثلة على ذلك، ومن ضمن هذه الأمثلة:شرح التصور اليهودي والنصراني للجنة والنار، وأن اليهودية والمسيحية ليس فيهما من أوصاف الجنة مثلما ورد في الإسلام، وأن قاموس الكتاب المقدس لم يشر بأي وجه إلى أن المقصود بالجنة هو جنة الآخرة التي يتنعم فيها المتنعمون، ويتمتع فيها الصالحون،وكذلك عند النصارى حيث لم يختلفوا عن اليهود، فلم يشيروا إلى الجنة ونعيمها الحسي على أنه حقيقة في الآخرة، فكيف يدعي هؤلاء المستشرقون أن كل ما ذكره الإسلام عن الجنة مأخوذ من هاتين الديانتين؟! والإسلام أثبت أن الجنة حقيقة واقعة بكل أوصافها في الآخرة، وهي معدة ومخلوقة للمتقين والمؤمنين وليس مكانها الأرض كما أشار قاموس الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، مما يدل على مدى التحريف في التوراة الحالية، والتبديل والتغيير[٣].

والإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ من أمور الغيب التي

---

(١) جاء في سفر التكوين: الإصحاح الثاني (٨.وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. ١٠وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ، وَمِنْ هُنَاكَ يَنْقَسِمُ فَيَصِيرُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ: ١١اسْمُ الْوَاحِدِ فِيشُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ الْحَوِيلَةِ حَيْثُ الذَّهَبُ. ١٢وَذَهَبُ تِلْكَ الأَرْضِ جَيِّدٌ. هُنَاكَ الْمُقْلُ وَحَجَرُ الْجَزْعِ. ١٣وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّانِي جِيحُونُ، وَهُوَ الْمُحِيطُ بِجَمِيعِ أَرْضِ كُوشٍ. ١٤وَاسْمُ النَّهْرِ الثَّالِثِ حِدَّاقِلُ، وَهُوَ الْجَارِي شَرْقِيَّ أَشُّورَ. وَالنَّهْرُ الرَّابِعُ الْفُرَاتُ. ١٥وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. ١٦وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، ١٧وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»).

(٢) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، (ص: ١٤٣) .

(٣) انظر: فؤاد: د. عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ـ عرض ونقد،(من ص: ٢٣٦ ـ ٢٣٩)، ط١، مكتبة العبيكان ـ السعودية، الرياض ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

تكون بعد الموت.

وقد وصفت المستشرقة: (بوجينا غيانة تستشيجفسكا) عقيدة المسلمين في اليوم الآخر وفق رؤية عادلة منصفة بقولها:

«ومما يجب على المسلمين أن يعتقدوه وجود اليوم الآخر، وله أسماء كثيرة، منها: يوم الحساب، ويوم الجزاء. ومجمل عقيدة الإسلام في هذا أن العالم سيأتي عليه وقت ينتهي فيه، ثم يختل نظامه، تنكسف الشمس والقمر، وتتحول البحار والأنهار إلى نار، وتتزلزل الأرض، وتزول الجبال. وبالجملة يتغير نظام هذا العالم، ويفنى كل من على هذه الأرض من إنسان، وحيوان، ونبات.وبعد فناء هذا العالم يعيد الله ﷻ هذا الخلق مرة أخرى بأجسامهم وأرواحهم، ثم يحاسبهم على ما فعلوه في الدنيا. فمن كان محسنا أدخله دار النعيم، وتسمى الجنة، وهذه الدار فيها من أنواع النعيم مالا يمكن للعقول إدراكها، وأما من كان مسيئا في الدنيا فيدخله دار العذاب، وتسمى جهنم، ويرى فيها من أنواع العذاب مالا تدركه العقول أيضا. وذلك لأن الدنيا دار امتحان وابتلاء، وقد يكون شخصا مستقيما حسن الخلق في الدنيا، ومع ذلك نجده في حالة من الفقر والمرض، ونجد شخصا آخر ظالما يؤذي الناس، ونجده مع ذلك سعيدا في الدنيا، غنيا قويا في بدنه وله جاه، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكون هناك يوم يجزى فيه المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

وهذا من عدل الله بين عباده. والعقل الإنساني لاينكر جواز هذه الأشياء، وإن كان لا يستطيع أن يدرك تفصيل ما يقع في هذا اليوم»[(١)].

وهذا الوصف يعدّ صورة مقتبسة مما ورد في القرآن الكريم من علامات حيث تتنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، ويدمر مافي هذا الوجود، ويكون هذا على أثر النفخة الأولى ينفخها إسرافيل[(٢)] بأمر ربه، والذي هو سبب حياة العالم، وعود الأرواح إلى

---

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ١٨)

(٢): توجه ـ نبينا محمد ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فكان يقول ضمن دعائه: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فالتوسل الى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب.فجبرائيل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو =

أجسادها، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨ ، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ الحاقة: ١٣ – ١٦ .

وبعد النفخة الأولى يأمر الله بالنفخة الثانية[1]، وقد أشار الله إلى ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ النازعات: ٦ – ٧ .

ويوم البعث يخرج الناس من القبور أحياء أرواحًا وأجسادًا، ويقول الكفار والمنافقون كما قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يس: ٥٢ .

والله يبعث الخلق، ويخرجهم من قبورهم إلى المحشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ مريم: ٨٥ – ٨٦ .

ويجازي الله الخلق على ما كسبوه في الحياة الدنيا من خير أو شر، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ القصص: ٨٤ .

وفي يوم العرض والحساب تعرض الأعمال على رب العباد، حتى الحيوانات يحكم الله بينها بالعدل، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام: ٣٨ ، إلا أن المستشرق بودلي يفهم

سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها. انظر: الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية، (ص: ١٨٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح –، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة: {والنازعات}. حيث قال: الراجفة: النفخة الأولى، الرادفة: النفخة الثانية ج / ٨/ ٦٩٠.

من هذا العدل الإلهي زعمه أن بعث الحيوانات من باب محبة الرسول محمد ﷺ لها بقوله:

«ولما كان محمد محبا للحيوان، قال إن الحيوان سيبعث يوم البعث العام، وترجع هذه الفكرة إلى ما قبل الإسلام، فقد كان الجمل يربط بقبر صاحبه، حتى إذا ماجاء النشور صحب الرجل جمله في الحياة الثانية»[١].

وربط الحيوان عند قبر صاحبه عقيدة وثنية قديمة،نهى عنها نبينا محمد ﷺ والله تبارك وتعالى حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرما، حتى الدواب تقتص بعضُها من بعض، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة. حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٢].

وبالرغم من أن الحيوانات غير مكلفة، إلا أن قصاصها قصاص مقابلة واستحقاق، كي يقام العدل الذي به تقوم السماوات والأرض، حيث قد علق النووي في شرحه على صحيح مسلم على الحديث المروي عن أبي هريرة:(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة..) بقوله: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ التكوير: ٥ ، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها والله أعلم»[٣].

المطلب الثالث:الدجال في المفهوم الاستشراقي

من أمارات الساعة الكبرى: الدجال، والدجال هو الكذاب، الشديد الدجل، يدعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات، وعجائب الأمور

---

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٥)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم،(ج٤/١٩٩٧)، ح (٢٥٨٢).

(٣) ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم،(ج١٦/١٣٦).

بإذنه ﷻ فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ويحكم بشريعة الإسلام، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت،[١] لكن بعض المستشرقين ذكروا ما يخالف الاعتقاد الصحيح بشخصية المسيح الدجال، فمثلا: المستشرق فنسك (A.J.Wensinck) قال موافقا المستشرق (بوسيه) بأن المسيح الدجال هو الشيطان، وعلق على كلمة الدجال بقوله: (ولعلها استعيرت من الآرمية) وقال عن الدجال بأنه مثل الطاغية الوارد في التوراة في وصف قيام الساعة[٢]. وهذا افتراء وزعم باطل، والأحاديث الدالة على صدق ظهوره كثيرة، وهي حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده. «روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر))[٣].

المطلب الرابع: الميزان يوم القيامة في نظر بعض المستشرقين:

توزن أعمال العباد يوم القيامة بميزان حقيقي له كفتان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ الأعراف: ٨ - ٩ ، وقال شارح الطحاوية: «والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.. ثم استشهد بالأحاديث الدالة على ذلك»[٤].

والميزان توزن به الأعمال، والعامل يوزن مع عمله، وصحائف الأعمال، وقد استشهد

---

(١) انظر: ياسين: محمد نعيم، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه) من(ص: ٩٠ ــ ٩٤).

(٢) انظر: موجز دائرة المعارف،(١٦ / ٤٨٦١ ــ ٤٨٦٢)(مادة الدجال) .

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب التوحيد،). باب: قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ طه: ٣٩ ، وقوله جل ذكره: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً﴾ القمر: ١٤،(ج ١٣ /٣٨٩)، ح(٧٤٠٨) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته،(ج٤/٢٢٤٨ ح(٢٩٣٣).

(٤) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٤١٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر..

شارح الطحاوية على ذلك بالأحاديث الصحيحة،[١] ثم علق بعد إيراد الشواهد على ذلك بقوله: «. فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال،وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان»[٢].

فالميزان يوم القيامة توزن به أعمال العباد بدون تحديد، لكن بعض المستشرقين حدد وزن الأعمال للشاكين فقط.

أما المستشرق (سيديو) فقد تكلم عن الميزان يوم القيامة، وعرض عقيدة المسلمين في الميزان بما يتوافق مع صحة مذهبهم، على اعتبار أن الميزان حقيقي، وأن أعمال العباد تحول إلى أجسام، حيث توضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، من باب معرفة مقاديرها؛ ليتم الجزاء وفقها. فكتب (المستشرق سيديو): «قال تعالى في ذلك اليوم: (لا أقسم بيوم القيامة. إلى قوله: إلى ربك يومئذ المستقر) وقد أعد الله من الملائكة منكرا ونكيرا للسؤال، وجبريل لوزن الأعمال بميزان عرضه السموات والأرض، يؤخذ للمظلوم من حسنات الظالم إن كانت له حسنات، وإلا ضم إليه من سيئات المظلوم، فيثاب العبد، أو يعاقب على حسب رجحان حسناته أو سيئاته، ويساق المجرمون على الصراط، وهو أرق من الشعرة، وأحد من السيف، فينبذون في النار والمؤمنون الناجون يجوزنه مختلفين في السرعة على اختلاف مراتبهم وأسرعهم من يجوزه في أقرب من لمح البصر وفي ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الواقعة: ١٠ - ١٢، إلى قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ الواقعة: ٣٧ - ٣٨.

والثواب والعقاب يعم الذكر والأنثى لقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

---

(١) انظر: الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص:٤١٧ ــ ٤١٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر..

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٤١٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

﴿٩٧﴾ النحل: ٩٧))[١].

فمن خلال هذا النص نجد أن (المستشرق سيديو) حدد من يقوم بوزن الأعمال، وأن الوزن من مهام جبريل عليه السلام، فهل تحديده مبني على مستند صحيح؟! لم أجد أحدًا من السلف حدد (جبريل) بالذات موكلا على مهمة وزن الأعمال. كما تكلم المستشرق سيديو عن (الصراط) الذي يكون بعد الحساب والميزان، وانصراف الناس من الموقف؛ ليمروا فوق الجسر المنصوب على جهنم، والمرور على الصراط عام لجميع الناس: (الأنبياء، والصديقين،والمؤمنين، والكفار) ومن استقام على صراط الله ودينه الحق في الحياة الدنيا استقام على هذا الصراط، والناس يمزون بسرعة على قدر أعمالهم في الحياة الدنيا، فمنهم من يمر قدر انقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر يرمل رملا،[٢] والصراط جسر على نار جهنم فقد ورد في الحديث عنه: ((فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب، مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان). قالوا: نعم، قال: (فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو))[٣].

ويساق المجرمون على الصراط وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فينبذون في النار والمؤمنون الناجون يجوزنه مختلفين في السرعة على اختلاف مراتبهم وأسرعهم من يجوزه في أقرب من لمح البصر.

هذا هو المفهوم الصحيح للكيفية التي صورت عبور الخلق على الصراط، فهو عبور بالجسد والروح معا؛ لكننا نجد من المستشرقين ممن نقل عن المتأثرين بالفلاسفة ممن يقول بأن العذاب يقع على الروح فقط، يقول كاراده فو(B.Carra De Vaux) وهو يصف الصراط:

---

(١) سيديو، خلاصة تاريخ العرب، (ص: ٩١).

(٢) انظر: ياسين: محمد نعيم، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)، (ص: ١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب: صفة الصلاة، باب: فضل السجود. ج٢/٢٩٢-٢٩٣،ح (٨٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في الرؤية ج١/١٦٣ح(١٨٢).

«وهذه القنطرة رقيقة كحد السيف،تمر فوقها الأرواح كي تدخل الجنة»[١].

وقال أيضًا: «يقول ابن سيناء: إن عذاب جهنم ينصب في الغالب على الأرواح المذنبة التي تحتفظ بشهواتها بعد الممات، ومن ثم فهي تتعذب أشد العذاب، لأنه ليس لها أجساد ترضي بها هذه الشهوات»[٢].

أما المستشرق الدكتور:(سنكلير تِسدَل) فقد شكك في لفظة الصراط، بعد أن عرض صفة الصراط وطريقة عبور الخلق عليه، قال: «فمن أراد معرفة منشأ هذا القول وجب عليه أولا أن ينظر في اشتقاق كلمة صراط، لأن أصلها ليس من اللغة العربية، فلا بد أنها اتخذت من لغة أخرى، لأن لفظة صراط هي معربة فإن أصلها فارسي»[٣].

والحقيقة أن الصراط اسم عربي و لم يقل أحد من أهل اللغة أنه معرب،والإمام السيوطي رحمه الله تعالى، تناول هذا الموضوع في مقدمة كلامه فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب فقال: "حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين،ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها، وأخفها، وأكثرها استعمالا للعرب، ثم رأيت ابن النقيب صرح بذلك فقال:

من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، و لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير انتهى." [٤].

ثم قال :وأيضا النبي مرسل إلى كل أمة وقد قال تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ابراهيم،آية ٤، فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٧)، (مادة جهنم) كتبها كاراده فو (الدائرة الأولى).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٨)، (مادة جهنم) (الدائرة الأولى).

(٣) تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، (ص: ١٥٥) .

(٤)السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن،٣٩٣/١، تحقيق :سعيد المندوب، دار الفكر ـــ لبنان، ط١،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

قوم وإن كان أصله بلغة قومه ." [١].

وضرب مثالاً بديعاً على ذلك وهو كلمة (إستبرق)، حيث بيَّن أنه لا توجد كلمة تسد مكانها، فقال:" إستبرق فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة ولا يجد العربي لفظا واحدا يدل عليه لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ولم يكن لهم بها عهد، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثخين اسم، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به، وأما إن ذكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة؛ لأن ذكر لفظين لمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل فعلم بهذا أن لفظ إستبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه وأي فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله انتهى." [٢].

ثم ذكر قول:" أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن العربية، والصواب عندي: مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب.

فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون" [٣].

---

(١)السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن،١/٣٩٤، تحقيق :سعيد المندوب.

(٢)السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن،١/٣٩٥، تحقيق :سعيد المندوب.

(٣) السيوطي: جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن،١/٣٩٤-٣٩٥ ، تحقيق :سعيد المندوب.

المبحث الثاني

الجنة [١] والنار في المفهوم الاستشراقي

تمهيد

أعد الله نار جهنم للكافرين والمشركين، وهم فيها خالدون، لا يخرج منها إلا العصاة الموحدون، وهي نار خالدة،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ الفرقان: ٦٤ - ٦٦ ،والجنة والنار مخلوقتان، موجودتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان. قال الطحاوي: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد»[٢].

وقد زعم كثير من المستشرقين بأن الإسلام أخذ مفهوم الجنة والنار من اليهودية والنصرانية، وأن مصطلح جهنم مستمد من العبرية، فقد ورد في دائرة المعارف عن جهنم بأنها: «هي كلمة مشتقة من اللفظ العبري جيحنّون أو وادي هنوم (انظر: سفر يشوع، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة ٨) وكان واديًا بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين إلى مولك في أيام العقوق.وكلمة جهنّام بألف بعد النون معناها البئر العميق»[٣].

ففي هذا النص محاولة لربط العلاقة بين جهنم عند المسلمين وجهنم عند اليهود من الناحية اللفظية ــ أي من جهة المسمى فقط ــ لكننا نفهم من خلال النص أن جهنم ليست هي جهنم في الإسلام، والتي وعد بها الكافرون والمشركون؛ بدليل محاولة تحديد موقعها في

---

(١) للاستزادة حول هذا الموضوع انظر: (الجزيري: سلسلة الإسلام من منظور آخر (٧) أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين، دحض لـ: ميزان الحق، وتنوير الأفهام، ومقالة في الإسلام وغيرها،(من ص: ٣٥٠ ــ ٣٥٨)، بعنوان: الجنة ونعيمها في نظر المبشرين، ط (بدون) منشورات أسمار ــ باريس ٢٠٠٧ م) .

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٤٢٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٥ ــ ١٩٦). مادة جهنم، (الدائرة الأولى).

بيت المقدس.

أما المستشرق بودلي فقال عن جهنم: «وإن الصورة التي صورها محمد للجحيم هي تجسيم متاعب الصحراء وأهوالها.....وإن جهنم عند المسلمين ـ على عكس جهنم عند المسيحيين واليهود ـ ليست تعذيبا لا نهائيا، ولكنها كبيت للتمريض، حيث يذهب الناس للعلاج من الآلام النفسية فإذا مابرؤوا دخلوا جنة النعيم...»(١).

والحق أن نار جهنم لا تقارن بمتاعب الصحراء وأهوالها حتى تكون مقياسًا لعذاب جهنم ـ كما يتصور بودلي ـ وما ذلك منه إلا محاولة لإثبات أن جهنم قد استمد نبينا محمد ﷺ ماديتها من البيئة التي عاش فيها؟؟!

ثم كيف يمكنه وصف نار جهنم بـ (بيت للتمريض) حيث يذهب الناس للعلاج من الآلام النفسية، فإذا ما برؤوا دخلوا جنة النعيم.؟! فالنار في المفهوم الإسلامي عذابها حسي مما يدل على أنها (مادية حسية) وليس عذابها معنوي نفسيًا يحتاج صاحبها للعلاج النفسي؟!

وليس كل من دخل النار خرج منها؛ فهناك من حكم عليه بأبدية الخلود في النار كماقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ النساء: ١٦٨ - ١٦٩.

ولا ننكر أن هناك من يخرج من النار بفضل من الله ورحمته،والنجاة من عذاب النار، هو الفلاح والفوز العظيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥، ففي الجنة النعيم المقيم الذي لا يوازي متع الدنيا كلها،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: ٧٢ ، والجنة في أعلى عليين لقوله تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ ﴾ المطففين: ١٨ .

---

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٧)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

والنار في أسفل سافلين لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ المطففين: ٧ .

لكن بعض المستشرقين يعرفون الجنة بأنها: «هي الاسم الذي يطلقه القرآن والحديث غالبًا على الفردوس الذي هو مقام المقربين، وقد ذكرت مرة في القرآن بالاسم الفارسي (فردوس) ومرة أخرى بصيغة جمعت بين لفظتي (جنات الفردوس) ومرات عدة باسم (جنات عدن) انظر تسميتها في التوراة باسم (جن عيدن) سفر التكوين: إصحاح ٢، آية ١٥) وقد عرف أن فكرة محمد عن الجنة مادة حسية، وقد صورت هذه الفكرة في سور كثيرة تتصل في الفترة الأولى من دعوته»[1].

والحق أنه قد وردت أسماء الجنة في القرآن الكريم بمسميات عدة، وهي: (الجنة، الحسنى، الغرفة، الفردوس، جنات النعيم، جنات عدن،جنة الخلد،جنة عالية، دار الآخرة،دار السلام، ودار القرار،دار المتقين، دار المقامة) وما كثرة أسمائها إلا دلالة على شرف مسماها. وقد حاول بعض المستشرقين من خلال أوجه الشبه بين أسماء الجنة في القرآن والموجودة في الكتاب المقدس إيجاد علاقة الأثر والتأثر، كما هو منهجهم المتبع في سائر كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين، وانتقدوا الجنة التي وعد بها المتقون، ويدعون (أن فكرة محمد عن الجنة فكرة مادية حسية) فهؤلاء ينتقدون الجنة في الإسلام بحجة أنها مادية، وليست روحية فقط. ويتهمونها بأنها جنة الشهوات والملذات.

والواضح أن كتابات بعض المستشرقين عن الجنة والنار، تقوم على الجانب الروحي في النعيم والعذاب.والواقع أن نصوص الكتاب المقدس تخالفهم، وتشهد أن صور النعيم والعذاب مادي، فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح الثاني:(١٥ وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ، وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ؛ لِيَفْلَحَهَا وَيَعْتَنِيَ بِهَا. ١٦وَأَمَرَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائلا: «كُلْ مَا تَشَاءُ مِنْ جَمِيعِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، ١٧وَلَكِنْ إِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لأَنَّكَ حِينَ تَأْكُلُ مِنْهَا حَتْمًا تَمُوتُ)

وهذا يدل على مادية الجنة، وورد أيضا في الكتاب المقدس ما يدل على أن سبب طرد آدم وحواء أيضًا مادي،وهو معصيتهما لأوامر الله بأكلهما من شجرة معينة. كما يتابع نفس

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٠ـــ ١٤١)،(مادة الجنة كتبها كاراده فو) (الدائرة الأولى).

السفر في الإصحاح ٣ «وَكَانَت الْحَيَّةُ أَمْكَرَ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ الَّتي صَنَعَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ، فَسَأَلَت الْمَرْأَةَ: «أَحَقًّا أَمَرَكُمَا اللهُ أَلاَّ تَأْكُلاَ منْ جَميعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» ٢فَأَجَابَت الْمَرْأَةُ: «يُمْكنُنَا أَنْ نَأْكُلَ منْ ثَمَرِ الْجَنَّة كُلِّهَا، ٣مَاعَدَا ثَمَرَ الشَّجَرَة الَّتي في وَسَطهَا، فَقَدْ قَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ منْهُ وَلاَ تَلْمُسَاهُ لكَيْ لاَ تَمُوتَا». ٤فَقَالَت الْحَيَّةُ للْمَرْأَة: «لَنْ تَمُوتَا، ٥بَلْ إِنَّ اللهَ يَعْرِفُ أَنَّهُ حينَ تَأْكُلان منْ ثَمَرِ هَذه الشَّجَرَة تَنْفَتحُ أَعْيُنُكُمَا فَتَصيرَان مثْلَهُ، قَادرَيْن عَلَى التَّمْييزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». ٦وَعنْدَمَا شَاهَدَت الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ لَذيذَةٌ للْمَأْكَلِ وَشَهيَّةٌ للْعُيُون، وَمُثيرَةٌ للنَّظَرِ قَطَفَتْ منْ ثَمَرهَا وَأَكَلَتْ، ثُمَّ أَعْطَتْ زَوْجَهَا أَيْضًا فَأَكَلَ مَعَهَا، ٧فَانْفَتَحَتْ للْحَال أَعْيُنُهُمَا، وَأَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَان، فَخَاطَا لأَنْفُسهمَا مَآزرَ منْ أَوْرَاق التِّين.

وأكد العهد الجديد أن عقاب الإنسان الكافر في الآخرة سيكون أيضًا ماديًا،وذلك في عدة مواضع منها:

- رؤيا يوحنا الذي عبر عن جهنم بكلمات (بحيرة الكبريت والنار) كما في الإصحاح ١٩ «١٩وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الأَرْضِ وَجُيُوشَهُمْ وَقَد احْتَشَدُوا ليُحَارِبُوا هَذَا الْفَارِسَ وَجَيْشَهُ. ٢٠فَقُبِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَعَلَى النَّبيِّ الدَّجَّال الَّذي قَامَ بِالْمُعْجزَات في حُضُورِ الْوَحْشِ وَأَضَلَّ بهَا الَّذينَ قَبلُوا عَلاَمَةَ الْوَحْشِ، وَسَجَدُوا لتمْثاله. وَطُرِحَ كلاَهُمَا حَيًّا في بُحَيْرَة النَّارِ وَالْكبْريت الْمُتَّقدَة» - متى ٥ «٢٧وَسَمعْتُمْ أَنَّهُ قيلَ: لاَ تَزْنِ! ٢٨أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَة بقَصْد أَنْ يَشْتَهيَهَا، فَقَدْ زَنَى بهَا في قَلْبه! ٢٩فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخًّا لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَارْمهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقدَ عُضْوًا منْ أَعْضَائكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ في جَهَنَّمَ! ٣٠وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخًّا لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقدَ عُضْوًا منْ أَعْضَائكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ في جَهَنَّمَ!»

- مرقس ٩:٤٧ «وإن أعثرتك عينك فاقلعها.خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار» .

- لوقا ١٣:٢٨ «هناكَ يكون البكاء وصرير الأسنان، متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب، وجميع الأنبياء في ملكوت الله، وأنتم مطروحون خارجا» .ومن أمثلة نعيم الجنة الحسي: شرب الخمر في ملكوت الله:متى ٢٦:٢٩ «وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم، حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت

أبي» .مرقص:١٤:٢٥ «الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله» .لوقا ١٨: ٢٢ «لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله» .كذلك وجود أشجار الجنة وأنهارها:التكوين:٩:٩:٢ «وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر، وجيدة للأكل.وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر» .

التكوين:١٠:٢ «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة.ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس» .

التكوين:١١:٢ «اسم الواحد فيشون.وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب» .

التكوين:١٦:٢ «وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا» .

التكوين:٢٢:٣ «فقالت المرأة للحيّة من ثمر شجر الجنة نأكل» .

وبالرغم من ثبوت النعيم المادي الحسي في الجنة يوم القيامة من خلال هذه النصوص، إلا أن هؤلاء المستشرقين يؤولونه بالنعيم الروحي.

قال الدكتور:عبد المنعم فؤاد: «وإن وردت بعض كلمات في بعض الأناجيل والرسائل التي يضمها العهد الجديد، تتحدث عن الطعام والشراب، والقصور والزواج في الآخرة، فإن علماء النصارى يؤولونها إلى مجازات أخرى غير كونها حقيقة حسية، ويقولون: إن النعيم الكامل متمثل في الحياة الأبدية، وهي لا تكون إلا بمشاهدة وجه الله ــ المسيح عندهم ــ ومشاهدته تملأ النفوس بالسعادة، والهناء، والغبطة، وهذا هو النعيم المقيم[(١)]»[(٢)].

المطلب الأول:صورة الجنة والنار كما يتخيلها بعض المستشرقين:

قال بودلي: «وما الجنة إلا تجسيم ما رآه محمد من نعيم خارج بلاد العرب في أثناء رحلاته، مع استعارة بعض أفكار الأب (إفرام) وما الجحيم إلا تجسيم مشاق الصحراء المحرقة

---

(١) علم اللاهوت،(ج ٢، ص: ١٦٤)، وشرح التعليم المسيحي، ج ١،(ص: ٢٣٣)، واليوم الآخر،(ص: ٢٧٨)، ٢٧٩. (نقلا من الحاشية رقم: ٣)،(ص: ٢٣٧)، من كتاب: فؤاد: د. عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ــ عرض ونقد، ط١، مكتبة العبيكان ــ السعودية، الرياض ١٤٢٢هـ ــ / ٢٠٠١م.

(٢) فؤاد: د. عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام،(ص: ٢٣٧).

القاحلة التي تحيط بمكة.وكانت صورة الجنة والنار مشابهة كل التشابه للصورة التي تصورها موسى وعيسى، لأنهما كانا من نفس هذه البلاد القاحلة الماحلة، فكان النعيم لذلك يقابله المراعي الخضر، بينما يقابله الجحيم النار المندلعة المشبوبة»[١].

أما نار جهنم فقد شكك بعض المستشرقين بقطعية عذاب جهنم،قال كاراده فو(B.Carra De Vaux): «والظاهر أن القرآن قد تردد بعض التردد في مسألة خلود العذاب في جهنم، فالآيات التي تشير إلى ذلك لا تتفق تمام الاتفاق، ولعل هذا التردد إنما يرجع إلى أن النبي محمدا لم يكن من الفلاسفة المتفكرين، فلم يستطع أن يعرض بوضوح لمشكلة كمشكلة الخلود، يدخل فيها مثل هذا التصور المجرد»[٢].

ويقول كاراده فو(B.Carra De Vaux) كذلك: «.. و لم يكن لدى النبي محمد إلا فكرة أولية عن بناء جهنم، فهو يتحدث عن أبوابها، ويحدد عددها بسبعة»[٣].

وقال كاراده فو(B.Carra De Vaux) أيضا: «فالواقع أنه في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يحمل ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ الفجر: ٢٢ – ٢٣.

ويلوح أن النبي محمدا في هذه الآية يمثل جهنم على صورة الحيوان، فهي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه، وكشف عن أنيابه، وتأهب لالتهام المغضوب عليهم، وقد صور أحيانا فنانو الغرب في العصور الوسطى مطهر القديس برندان.....، ويفسر لنا كيف أن النبي قال في آية أخرى ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ ﴾ الملك: ٦ – ٧ ، و لم يكن لدى النبي محمد ﷺ إلا فكرة أولية عن بناء جهنم، فهو يتحدث عن أبوابها ويحدد عددها بسبعة»[٤].

وقال المستشرق بروكلمان: «يساق أصحاب الشمال إلى جهنم، وهي هوة سحيقة مليئة

---

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٧)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٨. مادة جهنم)، (الدائرة الأولى).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٧، (مادة جهنم) (الدائرة الأولى).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٩٦ ــ ١٩٧)، (مادة جهنم). (الدائرة الأولى).

بالنيران الحامية، ويتوعد محمد الآثمين بأهوال أخرى غير النار، ولكن من غير تدرج نظامي في العقوبات كما هي الحال في التخيلات اليهودية والنصرانية للجحيم، وإذا كانت في الجنة عين كالتي وصفنا، ففي جهنم عين آنية يشرب المجرمون من حميمها المنتن فيقطع أمعاءهم، وبدلا من الفاكهة يقدم إليهم نبات كريه الرائحة لا يسمن ولا يغني من جوع، ولقد سمى القرآن في ما بعد هذه الشجرة (شجرة الزقوم) التي: ﴿تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ الصافات: ٦٤ - ٦٥ ،(سورة ٣٧: ٦٢ ــ ٦٣). وفي مواطن أخرى يصور القرآن الجحيم موطنا للتعذيب، فيه سلاسل وأغلال، يشرف عليها تسعة عشر من الملائكة تحت إمرة قائد لهم، وإلى جانب عذاب الجسد يلقى أهل النار عذاب الروح، واتهام الذات، واللعنات والتوسلات المخفقة في سبيل النجاة، وعقوبات الجحيم سرمدية كمباهج الجنة، ولقد لقيت آمال اليهود في أن يقتصر عقاب الآثمين من شعب إسرائيل على عذاب مؤقت، معارضة شديدة إلى أبعد الحدود، من محمد في المدينة»[1].

والحق أن الجنة هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين، والنار هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهذه التفسيرات للجنة والنار من قبل بعض المستشرقين مستمدة مـــن الفهـــم الـــديني القاصر،وتفسيرات الأحبار والرهبان، وهي تفسيرات تحول بين فهم الإسلام على أنه ديـــن خاتم للأديان السابقة، وليس بمعارض لكتبهم.

والصحيح أن الأديان كلها من عند الله، لكن أصابها التحريف، وجاء الدين الإســـلامي مصححا ومكملا، وخاتم للديانات كلها.

فالجنة والنار حقيقيتان، لا تفنيان، ولا تبيدان، وليست في الدنيا كما يتصور (بـــودلي) وغيره من المنصرين، وإنما في الآخرة وهي مادية حسية، ثم إن الجنة والنار خالدتان، ولا يعني ذلك خلود المعذبين في النار، فالنار يخرج منها الموحدون ــ كما سبق أن ذكرنـــا ــ أمـــا قولهم: وعقوبات الجحيم سرمدية كمباهج الجنة، فالنار في ذاتها خالـــدة، لكـــن المعـــذبين يختلفون بحسب أحوالهم،وما قام به هؤلاء المستشرقون من كذب وافتراء في وصـــف الجنـــة

---

(١) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص: ٧٣).

والنار مما لم يرد في الكتاب والسنة لتزييف حقائق اليوم الآخرة، ماهو إلا خيال ومحاولة ربط شبه بين الإسلام والعقائد الأخرى؛ ليسلم للمستشرقين نظرتهم للإسلام على أنه خليط من مجموع ديانات مختلفة.

المطلب الثاني: صفة الجنة ونعيمها كما يصورها بعض المستشرقين:

أولا:درجات الجنة:

الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم، قال ابن تيمية: ((والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيمًا، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب أيمانهم وتقواهم، قال تبارك وتعالى:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ الإسراء: ١٨ – ٢١ ، فبين الله تعالى أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه وأن عطاءه، ما كان محظورًا من بر ولا فاجر، ثم قال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ الإسراء: ٢١ .

فبين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾البقرة: ٢٥٣، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ الإسراء: ٥٥))[(١)].

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها). فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا

(١) ابن تيمية: الشيخ:أحمد، مجموع الفتاوى،(١١ / ١٨٨ ــ ١٨٩).

سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة - أراه - فوقه عرش الرحمن،ومنه تفجر أنهار الجنة))[(١)].

والناس متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ ،عن النبي ﷺ قال: إ((ن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين[(٢)])) .

وأهل الدرجات العالية في نعيم أرقى ممن دونهم،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الرحمن: ٤٦ ، روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))[(٣)].

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن الجنة حقيقة، ومخلوقة للمتقين، بخلاف ما ادعاه كثير من المستشرقين الذين أخذوا يصورون الجنة ودرجاتها بأسلوب يحمل في طياته السخرية والاستهزاء.

جاء في الدائرة: «وقد تمثلت الجنة في عصر متأخر في صورة هرم أو مخروط، له طبقات ثمان، وهو يزيد طبقة على مافي جهنم من طبقات، ذلك أنه كان يُعتقد أن المقربين سيكونون أكثر عددًا من المغضوب عليهم، وكلما تصاعدت هذه الطبقات، زادت المادة التي بُنيت منها نفاسة، ولكل طبقة باب، وفي القمة سدرة المنتهى التي ورد ذكرها في سورة النجم الآية ١٦ من القرآن، والتي تظلل أغصانها الهرم كله، وتحفظ في الجنة الكتب التي تسجل فيها أعمال الناس، كما يحفظ فيها أصل القرآن الذي يسميه محمد (الكتاب المبين)،

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله،(ج٦ / ١١)، ح (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة ج٦/٣٢٠)،(ح (٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب صفة الجنة ج٤/٢١٧٧ح(٢٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ القيامة: ٢٢،(ج١٣/٤٢٣ ح (٧٤٤٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين لربهم ج١/١٦٣ح(١٨٠).

سورة يونس الآية ٦٢)[١]... وهذه الجنة بما فيها كله فوق الأفلاك السماوية حيث تدور الكواكب، وهي تستقر على أنواع من البحار لها أسماء مجردة كبحر البقاء (المنقسم) وبحر الخلود، وبحر الرب،ويمتد فوق الهرم عالم (الملكوت) و(الجبروت)، وعرش الله، ودار المقربين»[٢].

نقول وبالله التوفيق: أما قولهم (وقد تمثلت الجنة في عصر متأخر في صورة هرم أو مخروط له طبقات ثمان، وهو يزيد طبقة على مافي جهنم من طبقات...الخ) فالجنة بهذه الوصف لم يقل به أحد من السلف، فهو وصف مبتدع، ليس له أصل من الدين، والثابت أن الجنة درجات،متفاوت أهلها في منازلهم.وأعلى منزلة في الجنة هي الوسيلة لا ينالها إلا شخص واحد.. قال رسول الله ﷺ: «الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»[٣].

أما أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار. فقد روى البخاري في صحيحه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة ، مقبل بوجهه قبل النار ، فيقول : يا رب اصرف وجهي عن النار ، قد قشبني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها ، فيقول : هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وعزتك ، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل به على الجنة ، رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم قال : يا رب قدمني عند باب الجنة ، فيقول الله له : أليس قد أعطيت العهود والميثاق ، أن لا تسأل غير الذي كنت سألت ؟ فيقول : يا رب لا أكون أشقى خلقك ، فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك ، لا أسأل غير ذلك ، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها ، فرأى زهرتها ، وما فيها من

---

(١) والصواب: قَالَ تَعَالَى:﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ يونس: ٦١ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٣)،(مادة الجنة) (الدائرة الأولى).

(٣) رواه أحمد في مسند أبي سعيد الخدري (ج ١٨/ ٣٠٦)،(ح (١١٧٨٣)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٣٥٧١).

النضرة والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، فيقول : يا رب أدخلني الجنة ، فيقول الله : ويحك يا بن آدم ، ما أغدرك ، أليس قد أعطيت العهد والميثاق ، أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟ فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن ، فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته ، قال الله عز وجل : من كذا وكذا ، أقبل يذكره ربه ، حتى إذا انتهت به الأماني ، قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه . قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله لك ذلك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة : لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله : لك ذلك ومثله معه . قال أبو سعيد : إني سمعته يقول : ذلك لك وعشرة أمثاله .))(١).

ثانيا: نعيم أهل الجنة:

للأسف نجد أن بعض المستشرقين يفسر سر النعيم المقيم في الجنة بأن الرسول محمدًا ﷺ استخدم التصوير القرآني للنعيم الحسي بسبب الظروف البيئية التي يعيشها البدو من قلة الماء والخضرة، ولتصورهم الخاطئ عن النبي محمد ﷺ وصحابته بأنهم يتصفون بالشهوانية الجامحة؛ لذا كانت الجنة بهذا الوصف، كما يدعي المستشرق دومينيك سورديل: «وأما الجنة التي يطلقون عليه أيضا تسمية الفردوس، فقد جاء وصفها في القرآن بأنها المكان الذي يحلم به البدوي العطشان، المتلهف للظل والراحة ونجد فيها الحدائق والبساتين التي تجري في كل مكان، منه أنهار من ماء عذب، أو من خمر، أو من عسل. وأشهرها هو الكوثر. ويمكن للذين تم اختيارهم لينعموا أن يأكلوا ويشربوا كما يحلو لهم، بمرافقة حوريات، هن نساء جميلات ذوات عيون براقة. إن فردوسًا كهذه يلبي مختلف الرغبات. ويتفق وطبيعة عصر محدد. كما يعكس الملامح المحلية أكثر من كونه تعبيرًا عن أصالة حقيقية»(٢).

كما قال المستشرق بودلي: «وفكرة أن الديانة الإسلامية لها ضلع كبير في تعدد الزوجات، فكرة أن جنة المسلمين مكان يجري فيه تعدد الزوجات على أوسع نطاق. وفي

(١) رواه البخاري في صحيحه، برقم (٨٠٦)

(٢) سورديل: دومنينيك،، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٨٦)، ترجمة: سليم قندلفت.

الحقيقة ليس هناك شيء أكثر غموضا في الإسلام، مما ذكر عن الزواج في العالم الآخر، وكل ما وعد محمد به أتباعه هو مكان فيه الراحة النهائية، حيث يجد المسلم ما يجده في الأرض، أنهار، وبحيرات، وسندس، وإستبرق، وأشجار قطوفها دانية، وخمر تنعش ولا تسكر، وما يؤكل يهضم، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، وأكد لهم أنهم لن يحتاجوا إلى تنظيف أنوفهم، أو آذانهم، أو غسل أبدانهم. فوساخات البدن ترشح كرشح المسك، وهناك يتكئون على فرش بطائنها من إستبرق، ولن يحس المرء هناك ذلك العطش الذي يحسه الضارب في الصحراء، وليس في الجنة نصب ولا لغوب، ولكل واحد من أهل الجنة اثنتان وسبعون حورية، قاصرات الطرف، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، ولم يحرم الإسلام دخول النساء الجنة، وجاء في القرآن مرارا ما ينقض الفكرة السائدة، وهي أن الإسلام يعتبر النساء بلا روح، فقد كانت فكرة محمد عن النساء، أسمى من أن يقرر أمثال تلك الفكرة الخاطئة، لقد أعلن محمد أن أبواب النعيم ستفتح للجنسين دون تفريق، ولم يذكر الرفاق الذكور للسيدات الداخلات الجنة، وقد يكون أراد بذلك ألا يشعل غيرة أزواج الدنيا، فيفسد عليهم حياتهم، وقد تحامى المسألة بنفس اللباقة التي تحامى بها المسيح المسألة، عندما وقع في نفس المأزق»[1].

وقال بروكلمان: «في الجنة عين جارية، فيها سرر مرفوعة، ونمارق وزرابي مصفوفة حولها، وفي الجنة يرتع الصالحون، ووجوههم تطفح بشرا، وعليهم ثياب خضر من سندس وإستبرق، ومناطق من فضة، ويشربون من عين كان مزاجها كافورا وزنجبيلا، أو من رحيق مختوم بالمسك، وتحيط بالجنة أشجار دانية الظلال، مذللة القطوف، فهم يتخيرون من فاكهتها الكثيرة ما يشتهون. ليس هذا فقط بل إنهم لينعمون بمصاحبة الأبكار ذوات العيون الشديدة السواد (الحور) اللواتي وهبهن الله شبابا سرمديا، مباهج الجنة هذه، كما هو واضح، تتوجه إلى خيال الرجال دون غيرهم، أما النساء اللواتي مناهن النبي الجنة أيضا، فقد وعدن بالتحرر من البغض والحسد، وبمتعة الأحاديث الدينية، ورضوان من الله أكبر»[2].

وجاء في دائرة المعارف وصف الجنة بمايلي: «وعلى الجملة فإن فردوسه في جوه روضة

---

(١) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ٩٤)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

(٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: ٧٢)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

فيها حور عين، وأرائك ممدودة، وفرش مرفوعة، وشراب مسكوب، وفاكهة كثيرة»[(١)].

كما أن (كاراده فو) استعرض بعض سور القرآن التي تصور نعيم الجنة، وما فيها من ملاذ، ثم قال: «ومن البين أن هذه الأوصاف جميعًا صور مرسومة لا شك أنه أوحى بها فن التصوير، ولا بد من أن يكون محمد أو معلموه المجهولون قد رأوا بعض التصاوير، أو بعض قطع الفسيفساء المسيحية التي تصور حدائق الفردوس، وأولوا صور الملائكة كما لو كانت صور الولدان والحور»[(٢)].

ويقول (كارادي فو)[(٣)]: «فالجنة أشبه ما تكون بسوق عظيمة تُشترى فيها الصور، وتقترن فيها اللذات العقلية باللذات الحسية»[(٤)].

هذه بعض الصور التي رسمها بعض المستشرقين عن الجنة، وعن حال ساكنيها، وهي محض كذب وافتراء، فالنعيم الأخروي للروح والجسد كما ثبت من خلال النصوص الصحيحة، ففي الجنة النعيم المقيم، والجنة درجات، وفيها جنات وعيون، وأنهار تفجر من تحت تلال وجبال المسك،وأهلها يأكلون ويشربون ويلبسون[(٥)].

ونبينا محمد ﷺ لم يستلهم نعيم الجنة من الكنائس كما يدعي بعض المستشرقين، وقد علق أحمد محمد شاكر على هذا الافتراء قائلا:

«ليس لهذا الادعاء سند، فرسول الله ﷺ لم ير صورا في الكنائس، وما ادعى أحد أنه دخل كنيسة قط»[(٦)].

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٣)،(مادة الجنة)، (الدائرة الأولى).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٢)،(مادة الجنة)، (الدائرة الأولى).

(٣) البارون كارا دي فو، (١٨٦٧ - ١٩٥٣ م) مستشرق فرنسي،أحد مؤسسي مجلة الشرق المسيحي،من مؤلفاته: عقيدة الإسلام، العبقرية السامية والعبقرية الآرية في الإسلام،ومفكروا الإسلام في خمسة أجزاء..(انظر: بدوي:عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(٤٦٢ ــ ٤٦٣).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٤)،(مادة الجنة)، (الدائرة الأولى).

(٥) للاستزادة انظر: ابن كثير: الحافظ أبي الفداء إسماعيل، صفة الجنة ومافيها من النعيم المقيم، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١،دار ابن كثير ــ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

(٦) حاشية رقم (١) من دائرة المعارف الإسلامية،(٧ / ١٤٢)،(مادة الجنة)، (الدائرة الأولى).

الفصل السادس

موقف المستشرقين من الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

المبحث الأول: دعوى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر مستمدة من الديانات القديمة.

المبحث الثاني:دعوى أن عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة جبرية.

المبحث الثالث:دعوى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر المعتمدة على الجبر تدعو للتراخي والكسل.

المبحث الرابع:دعوى أن الإيمان بالقضاء والقدر مبرر للظلم والاستبداد.

الفصل السادس

موقف المستشرقين من الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة،وأصل من أصول العقيدة الإسلامية. ومذهب أهل السنة والجماعة في القدر كما لخصه الشيخ ابن تيمية رحمه الله : «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ المدثر: ٥٤ – ٥٦ ،الآية . وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ الإنسان: ٢٩ – ٣٠ .وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ التكوير: ٢٧ - ٢٩»[(١)].

وللأسف أساء كثير من المستشرقين فهم معنى القضاء والقدر، ومعنى التوكل على الله، وفهموه فهمًا فاسدًا معتقدين أن معناه ترك الأخذ بالأسباب ؛ لذا نجد أن كثيرًا من المتحاملين من المستشرقين اتهموا المسلمين بالتواكل في ظل الإيمان بعقيدة بالقضاء والقدر[(٢)].

كماوصفوهم بالجمود، واعتقدوا أن الإيمان بالقدر يعطل مدارك الإنسان، ويجعله يميل إلى الكسل منتظرا ما يمكن أن يأتيه من الغيب. ولا شك أن هذا افتراء على حقيقة الإسلام[(٣)].

---

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ٤٥٩).

(٢) للاستزادة: يوجد رسالة ماجستير من إعداد: سويسي:المحسن بن علي، مفهوم القدر في دراسات المستشرقين، قسم الاستشراق في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، عام /١٤١١هـ.

(٣) انظر: أبو خليل: شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، (الجلسة الثامنة عشر: القدر) ،(ص: ٢٣٤)،ط ٤، دار الفكر ــ دمشق، ١٤٠٠هــ / ١٩٨٠م.

المبحث الأول

دعوى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر مستمدة من الديانات القديمة.

ومن أقوالهم في ذلك:ما ذكره جولد تسيهر أن مسألة القدر مستمدة من الديانات الهندية، ومن رواية أسطورية قد نمت في الإسلام كنوع من تفسير التوراة من زمن سابق جدا، يقول جولد تسيهر:

«بحسب هذه الرواية يكون الله قد أخرج فور خلق آدم من جوهره الجثماني الجسم الضخم جميع ذريته في صورة مجموعات من النمل، ويكون من هذه اللحظة قد عين طوائف الناجين والهالكين، هذه الطوائف التي جعلها تستقر في الناحية اليمنى والناحية اليسرى من جسم أول مخلوق، وكل جنين من هذه الذرية له إذا قدره الحيوي، يكتب بوساطة ملك خاص يعين لهذا العمل (منقوش على الجبهة) وهي فكرة مأخوذة من الهند؛ أي قُدر له ما يكون من السلامة والهلاك، كما قدر له ماسيكون منه وله من الأمور الأخرى»(١).

وأيده(مونتجومري وات(٢)) معتبرا أن الأحاديث في مسألة القدر ماهي إلا أفكارجاهلية في رداء إسلامي(٣).

أما المستشرق (سير توماس. و. أرنولد) فقد اعتبر مسألة القدر مستمدة من المسيحية

---

(١) تسيهر: أجناس جولد العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٨٤).

(٢) توجد دراسة للدكتور: خالد عبد الله القاسم، تحت مسمى (القدر في الإسلام لمونتجمري وات) قدم لها بقوله: " ومن الدراسات في هذا المجال ما كتبه مونتجومري وات عن القدر في الإسلام، وهي دراسة وصفية لآراء المسلمين في القدر مبتدءًا بما جاء في القرآن والسنة، وقد حاول إيجاد مقارنة بين القرآن والسنة ليبين أن تلك الأحاديث موضوعة لخدمة الآراء المختلفة كما أن بعضها تأثر بالجبرية العربية قبل الإسلام كما يزعم، كما أنه بالغ في إظهار الآراء المنحرفة في القدر، مصورًا البيئة الإسلامية كذلك لبيان أن القدر مشكلة كبرى في الإسلام. ولم يتعرض لآراء أهل السنة والجماعة وبيان عقيدة القدر بجزئياتها وأدلتها والرد على تلك الشبهات والآراء، وإنما أبرز الآراء المتناقضة والفلسفية، وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة العالم الإسلامي الصادرة في نيويورك سنة ١٩٦٨م، ص: ١٢٥-١٥٢. وأصل هذه المقالة رسالة دكتوراه من جامعة أدنبرة بعنوان (القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحاه في القرون الثلاثة الأولى). وقد اعتمد على ترجمة متن هذه الدراسة على ترجمة الدكتور مازن بن صلاح مطبقاني.

(٣) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٥٤)، تعريب: شعبان بركات.

فقال: «فمن الممكن أن تكون القدرية، أو القائلون بالإرادة الحرة من المسلمين قد استعاروا نظريتهم في حرية الإرادة من المسيحية مباشرة»[١]. ووافقته عميدة الاستشراق (أ. دكتورة أنا ماري شمل) في تقديمها لكتاب (الإسلام كبديل) بقولها: «أجل! لا ريب أن هذه النظرة الإسلامية للقضاء والقدر تبدو غريبة في عيني الإنسان الغربي، بل قل غير معقولة أو مقبولة، مع أنها نظرة أقرب ما تكون إلى المسيحية الأولى، التي نادت بالتوكل المطلق على الله الخالق كل شيء»[٢].

كذا المستشرق أوليري دي لاسي. فقد اعتقد الأثر اليوناني في عقيدة القضاء والقدر بقوله: «وكان المسلمون الأولون يفترضون تعلق الخير والشر بالإرادة المطلقة لله الذي يأمر وينهى حسب ما يراه مناسبا، إلا أن أثر الفلسفة اليونانية هو الذي أدخل فكرة كون هذا التمييز بين الخير والشر ليس مطلقا، بل يرتكز على بعض الاختلافات في الطبيعة، وأن الله عادل؛ لأن أوامره تنسجم مع هذا الاعتبار»[٣].

لكن المستشرق بودلي جعل مسألة القدر مرتبطة بالعرب قبل نبوة محمد ﷺ وأن العرب قدريون منذ بدء الخليقة.

قال المستشرق بودلي: «إن الاعتقاد في القضاء المطلق الذي يحيل الإنسان إلى ألعوبة، ليس ما عناه محمد، فقد قرر مرارا أن الإنسان حر، حر في قبوله رسالة السماء، وحر في رفض هذه الرسالة، ومسؤول عن أعماله، وبذلك يستحق العقوبة أو المثوبة،...فمهما كان شعور محمد حيال القدر، فقد كان عليه أن يجاري العرب، كما جاراهم في تعدد الزوجات، فالقدرية تعود إلى تاريخ أبعد من محمد، فالعرب قدريون من بدء الخليقة، وعلى ذلك يمكن أن نقول: إن القدرية والإسلام شيء واحد، وما هذا الشيء إلا خيال»[٤].

فالمستشرق بودلي اعتبر القدرية والإسلام شيء واحد،وهذا خلاف الواقع.

---

(١) توماس: سير، أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية،(ص: ٩٣)، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: الدكتور: حسن إبراهيم حسن، والدكتور: عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي.

(٢) هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،(ص: ١٦).

(٣) أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ،(ص: ٦٨)، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار.

(٤) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص:٩٣ ــ ٩٤)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

لكن المستشرق (غوستاف لوبون) اعتبر العرب جبريين فقال: «وقد كان العرب جبريين بمزاجهم قبل ظهور محمد، فلم يكن لجبريتهم تأثير في ارتقائهم، كما أنها لم تؤد إلى انحطاطهم»(١).

والجبرية طائفة من القدرية تسمى القدرية المجبرة، الذين قالوا: إن العباد مجبورون على أفعالهم، وليس لهم اختيار، فالله تعالى أجبرهم على أفعالهم.

لكن المستشرق جولد تسيهر وصف عقيدة القضاء والقدر بالتناقض، فقال: «..ومن العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقديا موحدا متجانسا، وخاليا من المتناقضات»(٢).

ثم يعرض لمسألة الجبر والاختيار، فيتساءل قائلاً: «هل يمكن أن يتصور المرء ظلما أفدح من الجزاء على أعمال تتم بإرادة محددة ليست تحت القدرة الإنسانية! وهل يصح أن يحرم الله الناس من كل حرية واستقلال في أعمالهم، وأن يحدد سلوكهم حتى في أدنى التفاصيل، وأن يحرم الخاطئ أو الآثم من إمكان فعل الخير، وأنه كما يقول ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ ﴿٧﴾ ﴾ البقرة: ٧ ، وأنه مع هذا كله يعاقبهم إذا ما عصوا، ويقذف بهم إلى العذاب الخالد!؟»(٣).

إلى أن يقول: «وليس في الإسلام على ما نرجح مسألة مذهبية يمكن أن نستخلص بشأنها من القرآن تعاليم متناقضة كتلك التي نبحث عنها الآن»(٤).

إن وصف القرآن بالتناقض افتراء وجهل لامراء فيه، ومسألة الجبر والاختيار من المسائل التي خاض فيها علماء المسلمين،ومن أسباب الضلال في القدر الخلاف بين القدرية النفاة الذين نفوا القدر، وقالوا: إن الله لا يريد الكفر والذنوب والمعاصي، ولا يحبها، ولا يرضاها، فكيف نقول إنه خلق أفعال العباد، وفيها الكفر والذنوب والمعاصي.

وبين القدرية المجبرة الذين آمنوا بأن الله خالق كل شيء، وزعموا أن كل شيء خلقه

(١) لوبون: غوستاف، حضارة العرب، (ص: ١٢٩)، ترجمة: عادل زعيتر.

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٦٨).

(٣) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٧٨).

(٤) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٧٩).

وأوجده، فقد أحبه ورضيه. وكلا الفريقين رأى جزءًا من الحقيقة، وعمي عن جزء منها.

وأهل السنة والجماعة أبصروا الحقيقة كلها، فآمنوا بالحق الذي عند كل واحد من الفريقين، ونفوا الباطل الذي تلبس به كل واحد منهما.

فهم يقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرا، فهو لا يحبها، ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها، وينهى عنها. وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لم يحنث إذا لم يفعله، وإن كان واجبا أو مستحبا.ولو قال: إن أحب الله حنث إن كان واجبا أو مستحبا[1].

«والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات»[2].

وقد فصل الدكتور: عبد الرحمن بن صالح المحمود أنواع الإرادة مبينا أن الإرادة نوعان:أحدهما: نوع بمعنى المشيئة العامة، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية، فهذه الإرادة كالمشيئة،شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، وأدلة هذا النوع كثيرة، منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الأنعام: ١٢٥ ، فهذه الإرادة لا تستلزم المحبة، وليست بمعناها.

والثاني: نوع بمعنى المحبة والرضى، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية.

وهذه الإرادة هي المستلزمة للمحبة والرضى، وهي المستلزمة للأمر.

وعلى هذا فبالنسبة لوقوع المراد، وفي أي النوعين يتعلق - تكون الأقسام أربعة:أحدها: ما تعلقت به الإرادتان الكونية والدينية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فهذه

---

(١) انظر: الأشقر: عمر سليمان، القضاء والقدر، ضمن سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٦)، (ص: ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية، (ص: ٦٩)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

مرادة، دينا لأنها أعمال صالحة مأمور بها، ومرادة كونا لأنها وقعت.

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الطاعات والأعمال الصالحة، فعصى ذلك الكفار و لم يأتوا به،فهذا مراد شرعا؛ لأنها من الأعمال الصالحة، وغير مرادكونا لأنه لم يقع من الكفار والعصاة.

والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، كالمباحات والمعاني التي لم يأمر بها الله إذا فعلها العصاة. فهي غير مرادة دينا، ولكنها مرادة كونا لأنها وقعت.

والرابع: ما لم تتعلق به الإرادتان، وذلك مما لم يقع و لم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي. وبهذا التفصيل - الذي دلت عليه النصوص - يتبين رجحان مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم علق الشيخ الدكتور عبد الرحمن المحمود قائلا: أما محاولة بعض الأشاعرة أن يجيبوا عن النصوص التي دلت على أن الله لا يحب الكفر ولا الفساد - بأن هذا خاص بمن لم يقع منه الكفر والفساد، والمعنى أن الله لا يحب الفساد لعباده المؤمنين ولا يرضاه لهم - فهذا جواب فاسد، لأن لازم هذا أن الله لا يحب الإيمان، ولا يرضاه من الكفار، لأنه لم يقع منهم، لأن المحبة عندهم كالإرادة إنما تتعلق بما وقع دون ما لم يقع. وهذا من أعظم الباطل.

ولا شك أن تخبط الأشاعرة ـــ ومعهم المعتزلة ـــ في هذه المسائل أدى بهم إلى الانحراف في مسألة القدر،وأفعال العباد[1].

(١) انظر: المحمود: د. عبد الرحمن بن صالح، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (٣ / ١٣١٨ ـــ ١٣١٩).

المبحث الثاني

دعوى أن عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة جبرية

اتهم بعض المستشرقين عقيدة أهل السنة والجماعة بأنها عقيدة جبرية ومن الأقوال الدالة على هذه التهمة مايلي:

ماذكره المستشرق جولد تسيهر أن المستشرق الألماني هوبرت جريمة[١]: «رأى أن المذاهب المتعارضة والمتضادة التي عرضها محمد في مسألة حرية الإرادة والقدر، ترجع إلى أزمان مختلفة من نشاطه النبوي، وتتفق والتأثيرات التي أوحتها إليه الظروف والأحوال المختلفة في كل فترة من الفترات. ففي الأزمان الأولى للعصر المكي كان يقبل تماما حرية الاختيار والمسؤولية، ولكن في المدينة أخذ يتوغل شيئا فشيئا في مذهب الجبر، والتعاليم الأكثر جبرية ترجع إلى الفترة الأخيرة»[٢].

وقال جولد تسيهر: «هؤلاء المسلمون الذين يرون أنفسهم مرتبكين حيارى بين هذه المذاهب المتعارضة، فينحازون إلى هذا المذهب أو ذاك، ويرون من الواجب أن يعملوا على اتفاق ما اختاروه، وأكثر المذاهب تعارضا، وذلك ليصلوا إلى اتفاق وانسجام الجميع، إلا أن عاطفة أو شعور التبعية وعدم الاستقلال الذي يسود في كل ميادين الوجدان الإسلامي، كان بلا ريب في صالح انتصار مذهب نفي حرية الإرادة والاختيار. وكان من ذلك أن كانوا يرون أن الفضيلة والرذيلة، والثواب والعقاب، تتعلق تعلقا مطلقا برحمة الله، وإرادة الإنسان ليس لها تقدير أو اعتبار في هذه الناحية»[٣].

وقال المستشرق جوستاف. أ.فون جرونيباوم: «كان المسلم يجد نفسه في حيرة مطلقة عندما يرى ــ بناء على آيات الجبر في القرآن ــ أن ربه هو الموجد للشر، وبذلك يكون غير عادل، ومن المحتمل أن يوحنا الدمشقي لم يبعد عن الصواب حين تنبأ، بأن المسلم إذا

---

(١) هوبرت جريمه (١٨٦٤ ــ ١٩٤٢م) زاول نشاطه عام ١٨٨٩م في جامعة فرايبورج، من آثاره: (كتاب محمد) .وقد قدم في هذا الكتاب عرضا وصفيا للشريعة في القرآن، وله كتاب: (الأهمية التاريخية لشبه الجزيرة العربية).
(انظر: فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق،(ص: ٣٣٤)

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ٨٣).

(٣) تسيهر: أجناس جولد،العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٨٣).

واجهته حجة من هذا القبيل لاذ بالفرار دون أن يحير جوابا.

فلو قد خطرت للنبي يوما تلك الصعوبات التي سيتعرض لها أتباعه، فلعله كان يعمل على إعادة النظر في تلك النقطة ووقايتها من غائلة التجريح، وكان يؤمن بأن الله ينسخ إذا استلزم الأمر آية من آي الوحي، ويستبدل بها أخرى خيرا منها، ولما كان الله عنده (أم الكتاب) كان حرا في أن (يمحو ما يشاء ويثبت) وإن القرآن ليؤكد أنه (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ولكن على حين كانت (نظرية النسخ) هذه ذات نفع في إعادة تكييف النظم المهجورة، حتى تتناسب والمواقف الجديدة، فلم تكن ثم عند وفاة النبي محمد سلطة تستطيع أن تعيد النظر في المهجور وأن تجعل الكتاب متجددا بتكيف ومقتضيات الزمان. ومن ثم كان لزاما على المسلمين أن يلتمسوا وسيلة أخرى لمواجهة المسيحيين والتغلب عليهم بنفس عدهم من نفس علم الكلام الذي اختصوا به»[1].

وقال المستشرق جوستاف. أ.فون جرونيباوم: «ولسنا ندري مدى اتضاح مشكلة الجبر والاختيار لدى الإسلام في أول عهده، ذلك أن التريل حينما يؤكد أن الله يهدي من يشاء، لم يرغب بطبيعة الحال في تثبيط الجهد الخلقي، ولا في أن يرسم الله في صورة جبار قاس. وكل مافي الأمر إنما محاولة للتعبير بأقوى عبارة ممكنة عن قوة الله المطلقة التي ليس إلى تعليلها سبيل. وإن النبي ليطرب لما عليه الله من أيد لا يسبر له غور، كما أنه يمتلئ بالسعادة والقوة الدينية إذ يحس بضآلة قدر الإنسان، ولعل هذا هو على التحقيق المعنى العاطفي وإن لم يكن المعنى اللاهوتي لهذه الكلمات الشديدة: (فيضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) ويكاد يداني شعور محمد بقوة الله التي لا تحد شعوره بمسؤولية الإنسان، فإنه لن يكابد أهوال الحساب في آخر الدهر إلا جزاء له على ما قدمت يداه، والإنسان هو الذي يختار طريقه الخاص؛ وليس الله هو المتسبب في عمل الشر. نعم. إنه إذن للشيطان أن يغري الإنسان، ولكن الإنسان عليه أن يقاومه، أو يخضع له حسبما يمليه عليه ميله وهواه، ومن ثم فإن الله يصور في صورة العليم بأن أحدا لن يقبل تعاليم الرسول مالم تكن نفسه ميالة

(١) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، (ص:١١٤ ــ ١١٥).

باختيارها إلى الدين، وإن الله ليرى سعي الإنسان وجهده ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى: ١٣ .

بل تجيء آيات أخرى فتبين بلفظ أصرح: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ الزمر: ١٧ – ١٨ .

ولكن تعود قدرة الله على كل شيء فتمثل للألباب: فإذا الكافرون استمعوا إلى الوحي، حيل بينهم وبين تفهم معناه. ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ البقرة: ٧»[(١)].

وقال المستشرق (هاملتون جب) مؤكدا عقيدة الجبر عند المسلمين: «فمثلا نسخت عقيدة الجبر تلك الأقوال التي تؤكد حرية الإرادة في القرآن، ومع أن حرية الإرادة جعلت ثانوية المقام ــ على وجه التحديد ــ إزاء التوكيد الغالب لفكرة الجبر، فإنها تمثل عنصرا سليما صحيحا في التجربة الدينية»[(٢)].

كما قال المستشرق كارل بروكلمان: «وأخيرا سادت العقيدة القائلة بالقضاء والقدر المطلقين، وساد معها الجبر الذي أمسى منذ ذلك الحين أحد العناصر الأساسية في نظرة الإسلام الشاملة»[(٣)].

وكتبت المستشرقة(زيجرد هونكة) مستشهدة بكلمة الفيلسوف الألماني الكبير (لايبنتز ١٦٤٦ ــ ١٧١٦) وهي كلمة تدل على الجهل التام بالإسلام، حيث زعم أن: «القدر المقدور بالجبر، والذي يتيح للإنسان يرجع البصر فيما يصيبه من قضاء، إنما يسبغ عليه السكينة، وهكذا يصور القدر النصراني الذي ينبغي أن يذعن له، ويتقبله النصراني بالصبر،

(١) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، (ص:١١٢).

(٢) جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، (ص: ٢٧٣ ــ ٢٧٤)، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس،د.محمد يوسف نجم،د. محمود زايد .

(٣) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص: ٦٩)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

راضيا أن الرب الرحيم مصرف الأمور، على النقيض من القدر المحمدي الخانع المتشائم كل التشاؤم جملة وتفصيلا، حتى إن الإنسان لاتتاح له الفرصة مرة واحدة لتجنب الأخطار التي تهدده أبدا، وإنما عليه أن يرمي بنفسه في خضمها أعمى البصر والبصيرة»[١].

وعلقت على ذلك بقولها: «والحق أن هذا الحكم المسبق المفترى، والذي لا يفتأ مغذوه يلحون على إنمائه زاعمين أن التواكل المذعن خصيصة تسيطر على المسلمين، إنما يتعارض مع روح القرآن، وتنفيه الأحاديث النبوية نفيا قاطعا، بل إن كليهما يدعوان الإنسان إلى الاحتكام إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويهيبان به أن يتبصر ــ انطلاقا من كونه مسؤولا ــ ويتفحص الإمكانات المختلفة، والأهواء والمشارب المتعارضة، ليميز بينها، ويختار اختيارا حرا بين الفضيلة والرذيلة، فإما أن يكون هداه هواه، وإما أن يسلم وجهه لمشيئة الله، وليس معنى ذلك التوكل التواكل الأعمى السلبي المذعن إذعانا أعمى للقضاء[٢]، إن القرار الحر يشترط أول ما يشترط وعي المسلم وإدراكه لمسؤوليته، فهو نفسه يستطيع أن يغير نفسه، كما تنص سورة الشمس مثلا: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)) ويفسر العلامة الأستاذ (عبد الجواد فلا توري) استقلالية الإنسان تلك، والتي تبدو في قراره الحر الواعي وفي مسؤوليته وحده عما يأتيه من قول أو فعل، قائلا: بل إن الإنسان بهذا يتعدى (نطاقه) إلى النطاق الإلهي، بمعنى أن كل ما يصيبه من عند الله إنما هو نفسه المتسبب فيه. كما تؤكد الآية الحادية عشر من سورة الرعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ الرعد: ١١ ، فالإنسان في واقع الأمر هو صانع قدره. فيما يخصه هو نفسه»[٣].

الرد على المستشرقين القائلين بالجبر:

لقد كذب كثير من المستشرقين على الله، وأولوا بعض الآيات القرآنيـــة، وذلـــك لأن

---

(١) هونكه: زيجرد، الله ليس كذلك، (ص: ٣٩).

(٢) تغيرت التهمة الآن إلى عكسها تماما. فأصبحت ثورية الإسلام ودعوته للعصيان والتمرد. بل والعنف. (تعليق المترجم ص: ٤٠).

(٣) هونكه: زيجرد، الله ليس كذلك، (ص: ٣٩ ــ ٤٠).

الإيمان بعقيدة القضاء والقدر كانت سببا في إعلاء كلمة الدين، فدفعت المسلمين إلى التضحية بالمال والنفس، ولأجل أن يثبط الغرب همة الجهاد في سبيل الله شككوا في الآيات الدالة على القضاء والقدر.

قال المستشرق (مارسيل بَوازار): «ويعتبر وجدان المؤمن إلى جانب الشريعة الإلهية سلطة تطالب من أعماق القلب بتقديم حسابات، ويقوم أساسها الأول ذو الجوهر الديني في النفس الإنسانية التي لا تنفك تنتقد و(تراقب) كما يشير القرآن. وبناء على هذا فإن الإيمان والخضوع الديني لا يلغيان حرية الاختيار لدى المؤمن الذي عليه أن يتحمل مسؤولية أعماله.وللإرشاد الخلقي الإسلامي الذي يمكن نعته بالأخروي طابع وصفي، ففكرة الحساب تحضّ المسلم على احترام القانون، والكف عن الشر، والدعوة إلى الخير. وعلى هذا ينتج عنه مظهر يترع نحو خلقية الثواب التي لا تتلافاها أية عقيدة دينية إلا بصعوبة»[(١)].

ويقول ماكدونالد: «إن الإنسان يعرف الفرق بين الجشع الاختياري، وبين الارتجاف اللاإرادي، ولكن ذلك يتعارض مع القدرة المطلقة لله على الخلق.....، فالإنسان لا يزال آليًا على الرغم من أن جزءًا من حركته، هو اعتقاده بأنه حر»[(٢)].

وقال ماكدونالد: «كثيرًا ما يرد أن الله هو الذي يُضل من يشاء، وكلما وردت كلمة الطبع، فإنها تعبر عن تلك الحقيقة الجوهرية، وهي أن الله يختم على قلوب المشركين ليصرفهم عن الإيمان»[(٣)].

والحق أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ عللهما القرآن بأنهما على سابقة استحقاق للعباد، وبين أسبابهما،قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٣ .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة: ٥١ ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ

(١) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام، (ص: ٦٠)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.
(٢) دائرة المعارف ا لإسلامية،(٢ / ٥٧٦) (الدائرة الأولى).
(٣) دائرة المعارف ا لإسلامية،(٢ / ٥٦٨) (الدائرة الأولى).

مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ الصف: ٥ ، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ غافر: ٣٥، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ البقرة: ٢٦، وقال تعالى: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ إبراهيم: ٢٧. فأصحاب هذه الصفات الذميمة لا يستحقون الهداية وهم بعيدون عن رحمة الله.

أما الذين يستحقون الهداية فهم أصحاب الصفات التالية:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ التغابن: ١١ ،وقال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ المائدة: ١٦[(١)].

إن عقيدة الجبر ليست من الإسلام. فاليهود الفريسيون مرضى بمرض الجبر المطلق. والبراهمة والبوذية والمزدكية تبرر القدر، وترضى به. كما أن اليونانيون قد أقروا بالجبر حتى أن سواد الناس في بلاد الإغريق سلموا تسليما مطلقا أن الحرب اليونانية الطروادية (جبر وقدر) من الآلهة[(٢)].

ثم إن عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ليست عقيدة جبرية ــ كما يدعي هؤلاء المستشرقون ــ، والله ﷻ يقضي ويقدر ويخلق،قال الأوزاعي: «لاأعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القران والحديث عن رسول الله ﷺ»[(٣)].

والقول بأن الإنسان مجبر على الإطلاق يوحي بأن الله أجبر العباد وأكرههم، والله تعالى جعل العباد مريدين مختارين لما يشاء منهم من غير إكراه.

(١) أبو خليل: شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، (الجلسة الثامنة عشر: القدر)، (ص: ٢٣٦ ــ ٢٣٧).

(٢) أبو خليل: شوقي، الإسلام في قفص الاتهام، (الجلسة الثامنة عشر: القدر) (ص: ٢٤١).

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ١٠٥).

قال الأوزاعي والزبيدي وغيرهما من السلف: «لفظ الجبل جاءت به السنة، فيقال: جبل الله فلانا على كذا.وأما لفظ الجبر فلم يرد، وأنكر الأوزاعي، والزبيدي، والثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم لفظ الجبر في النفي والإثبات. وذلك؛لأن لفظ الجبر مجمل، فإنه يقال: جبر الأب ابنته على النكاح، وجبر الحاكم الرجل على بيع ما له لوفاء دينه، ومعنى ذلك أكرهه، ليس معناه أنه جعله مريدا لذلك مختارًا، محبا له، راضيًا به. قالوا: ومن قال إن الله تعالى جبر العباد بهذا المعنى فهو مبطل، فإن الله أعلي وأجل قدرًا من أن يجبر أحدًا، وإنما يجبر غيره العاجز عن أن يجعله مريدا للفعل، مختارًا له، محبًا له، راضيًا به. والله سبحانه قادر على ذلك، فهو الذي جعل المريد للفعل، المحب له، الراضي به، مريدًا له، محبًا له، راضيًا به، فكيف يقال أجبره وأكرهه كما يجبر المخلوق المخلوق، مثل ما يجبر السلطان والحاكم والأب وغيرهم من يجبرونه، إما بحق وإما بباطل، وإجبارهم هو إكراههم لغيرهم على الفعل، والإكراه قد يكون إكراهًا بحق، وقد يكون إكراها بباطل. فالأول: كإكراه من امتنع من الواجبات على فعلها، مثل إكراه الكافر الحربي على الإسلام، أو أداء الجزية عن يد وهم صاغرون، وإكراه المرتد على العودة إلى الإسلام، وإكراه من أسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وعلى قضاء الديون التي يقدر على قضائها، وعلى أداء الأمانة التي يقدر على أدائها، وإعطاء النفقة الواجبة عليه التي يقدر على إعطائها.وأما الإكراه بغير حق، فمثل إكراه الإنسان على الكفر والمعاصي، وهذا الإجبار الذي هو الإكراه ـــ يفعله العباد بعضهم مع بعض؛ لأنهم لا يقدرون على إحداث الإرادة والاختيار في قلوبهم، وعلي جعلهم فاعلين لأفعالهم، والله تعالى قادر على إحداث إرادة للعبد ولاختياره، وجعله فاعلا بقدرته ومشيئته، فهو أعلى وأقدر من أن يجبر غيره ويكرهه على أمر شاءه منه، بل إذا شاء جعله فاعلاً له بمشيئته، كما أنه قادر على أن يجعله فاعلا للشيء مع كراهته له، فيكون مريدًا له حتى يفعله مع بغضه له، كما قد يشرب المريض الدواء مع كراهته له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ الرعد: ١٥.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ آل عمران: ٨٣.

فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم، فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم، سواء

كانوا مع ذلك فعلوه طوعًا، أو كانوا كارهين له فعلوه كرهًا، وهو سبحانه لا يكرههم على ما لا يريدونه، كما يكره المخلوق المخلوق حيث يكرهه على أمر وإن لم يرده، وليس هو قادرًا أن يجعله مريدًا له، فاعلاً له، لا مع الكراهة، ولا مع عدمها، فلهذا يقال للعبد: إنه جبر غيره على الفعل، والله أعلى وأجل وأقدر من أن يقال بأنه جبر بهذا المعنى.وقد يستعمل لفظ الجبر في أعم من ذلك، بحيث يتناول كل من قهر غيره، وقدر عليه، فجعله فاعلاً لما يشاء منه، وإن كان هو المحدث لإرادته وقدرته عليه»[1].

وذكر عن المروذي قال: «قلت لأبي عبد الله: رجل يقول إن الله أجبر العباد، فقال: هكذا لا تقول، وأنكر ذلك، وقال: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ المدثر: ٣١، وذكر عن المروذي أن رجلاً قال: إن الله لم يجبر العباد على المعاصي.فرد عليه آخر فقال: إن الله جبر العباد. أراد بذلك إثبات القدر، فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل، فأنكر عليهما جميعًا. على الذي قال: جبر، وعلى الذي قال: لم يجبر حتى تاب، وأمر أن يقال: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ المدثر: ٣١ »[2].

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ٤٦٢ ـــ ٤٦٤).

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ١٠٣ ـــ ١٠٤).

المبحث الثالث

دعوى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر المعتمد على (الجبر) تدعو للتراخي والكسل

بما أن بعض المستشرقين قد أثبتوا العقيدة الجبرية للمسلمين فقد وصلوا إلى نتيجة مؤداها أن المسلمين قد جُمدوا بيد عقيدة القضاء والقدر، وظن بعضهم أن المسلمين قد تعطلت قواهم منتظرين ما يحل بهم مما هو مقدر ومكتوب؟! واتهموا المسلمين بالكسل والجمود.

وقد ردت المستشرقة البولونية بوجينا غيانة تستشيجفسكا عن هذه التهمة بقولها: «ومما يجب على المسلمين أن يعتقدوه هو إيمانهم بقضاء الله وقدره، والقضاء هو علم الله ﷻ بما سيكون في الدنيا قبل خلقها. وقدره هو وجود الأشياء في الدنيا على الصورة التي علمها الله تعالى. وهذا الإيمان له فائدة، وهي أن الإنسان في هذه الدنيا قد تنزل به مصيبة لم تكن على باله، فإذا كان مؤمنا بالقضاء والقدر لا ييأس، ولا يحزن حزنا يفسد عليه حياته.

وليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أن يترك المسلم العمل؛ لأن القرآن والنبي ﷺ أمر بالعمل والاجتهاد في كل شيء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ التوبة: ١٠٥ ، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم فائدة الإيمان بالقضاء والقدر في آيتين من القرآن الكريم هما: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ الحديد: ٢٢ – ٢٣»[1].

وأيضا قال المستشرق كارل بروكلمان: «والبدوي يعتبر القضاء المحتوم إرادة الله الثابتة التي لا مبدل لها، والواقع أن هذا الاعتقاد بالقضاء لم يكن ليُدخل في روع العربي الخَوَر والضعف، ولكنه كان يحفزه على بلوغ أهدافه من غير مساعدة علوية، ويحمله بالإضافة إلى ذلك على التقليل من أهمية الجهود البشرية كلها»[2].

---

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٨ ــ ١٩).

(٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص: ٢٧)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي

والحق أن المسلمين لم يهنوا، أوينتابهم الضعف بل آمنوا بأن الله قدر النتائج وأسبابها، فالرزق قدره الله بسبب السعي في طلبه. والأسباب من الأقدار،ولم يقدر الله المسببات من غير أسباب، فالله قدر أن يكون فلانا في النار، وقدر السبب في ذلك من تركه الإيمان والعمل الصالح. والمسبب لا يقع من غير سبب كما أن الزرع لا يحصل من غير ماء وتراب، والعبد إذا أخذ بالأسباب فإنه لا يجوز أن يعتمد عليها، ويتوكل عليها، بل يجب عليه أن يتوكل على خالقها، والله تعالى أمرنا باتخاذ الأسباب المشروعة في جميع شؤون الحياة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ الملك: ١٥.

والأخذ بالأسباب لا ينافي القدر، ولا يوجب ترك العمل، والقدر السابق لا يمنع العمل، ولا يوجب الاتكال، بل يدفع للجد والاجتهاد[(١)].

قال ابن تيمية: «ومما ينبغي أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء، قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب ــ أن تكون أسبابًا ــ نقص في العقل. والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع.وبيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه، ورجاؤه، والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس مستقلا، ولابد له من شركاء وأضداد، ومع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر، وهذا مما يبين أن الله رب كل شيء ومليكه، وأن السموات والأرض، وما بينهما، والأفلاك، وماحوته ــ لها خالق مدبر غيرها، وذلك أن كل ما يصدر عن فلك، أو كوكب، أو ملك، أو غير ذلك، فإنك تجده ليس مستقلا بإحداث شيء من الحوادث، بل لابد من مشارك ومعاون وهو مع ذلك له معارضات وممانعات»[(٢)].

وقال ابن تيمية أيضا: «فكل سبب فله شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه و لم

---

(١) انظر: الأشقر: عمر سليمان، القضاء والقدر، ضمن سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٦)،(من ص: ٨٢ ــ ٨٤)، ط٣، مكتبة الفلاح ــ بيروت، دار النفائس ــ الكويت، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ١٦٩ ــ ١٧٠).

يصرف عنه ضده، لم يحصل سببه، فالمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب، وغير ذلك. ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف المفسدات، والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك، فهو مع أن الله يخلق فيه الإرادة، والقوة، والفعل، فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة خارجة عن قدرته، تعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكًا مطاعًا، ولابد أن يصرف عن الأسباب المعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضى وعدم المانع، وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضى، فليس في الوجود شيء واحد هو مقتضيًا، وإن سمى مقتضيًا، وسمى سائر ما يعينه شروطًا، فهذا نزاع لفظي. وحينئذ فيقال: لابد من وجود المقتضى الشروط، وانتفاء الموانع، وأما أن يكون في المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها، فهذا باطل»[1].

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ١٦٧).

المبحث الرابع

دعوى أن الإيمان بالقضاء والقدر مبرر للظلم والاستبداد

اعتبر جولد تسيهر مسألة القضاء والقدر طريقا سهلا لظلم الحكام للرعية، ولتبرير حال الأسرة الأموية على العموم، فقال: «فعقلية الرعية الهادئة المطيعة يجب أن تعتبر أمير المؤمنين، وما يجيء عنه من آلام قدرا من الله، فليس يمكن لأحد أن يتهم ما يصدر عنه، أو يشكو منه»(١).

وفي المقابل جعل المستشرق (جولد تسيهر) إقامة الحدود الشرعية ظلما لأن الجاني لم يخرج عن إرادة الله.قال جو لد تسيهر: «ويستطيع أنصار هذا الرأي الأخير ـ وهو أن القاتل مختار في فعله ومستقل فيه عن إرادة الله ـ أن يدافعوا عن مذهبهم بأنه إذا جاز رأي مخالفيهم فإنه يكون من التناقض والظلم الثأر من القاتل، أو القصاص منه على أي وجه»(٢).

كذلك نجد المستشرق (دومينيك سورديل) يستشهد بالقدر كوسيلة للظلم والاستبداد في العصر الأموي بقوله: «إن أول مسألة نوقشت هي مسألة القضاء والقدر، والقدرية وحرية الاختيار، والتي يبدو أن محمدا قد تركها دون حل. ولئن ظلت الأفعال البشرية عاجزة أمام الأمر الإلهي (القدر هو ما كتب على الإنسان منذ الأزل وحتى الأبد)، وبالتالي يجب تعويضها، والمكافأة عليها حسب الأعمال. إن القدرة الإلهية غير المحدودة هي من وراء تنزيل القرآن، إلى حد أنها تلغي الحرية الإنسانية وتطغى عليها. كما تتلاشى المسؤولية الفردية أمام الإرادة الإلهية المهيمنة. وقد استفيد من هذه الناحية في الأمور السياسية أيام الخلفاء الأمويين.

غير أن بعض المسلمين بدافع من التقوى، يعدون قوة الله هذه مخالفة للعدالة وتتعارض معها. وقد عملوا ما بوسعهم لتقييدها والحد منها. كان هؤلاء هم القدريين (الذين يحدون من القدر)، المعارضين للجبريين (أنصار الجبرية الإلهية). وينضم إلى هذه النظرية رجال كانوا بمعزل عن الخلافات السياسية منذ مجيء معاوية (إذ اشتقوا اسمهم المعتزلة: أي الذين اعتزلوا).

---

(١) تسيهر: أجناس جولد العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٨٧).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٤٣٧)، مادة أجل، كتبها جولد تسيهر (الدائرة الأولى).

إنهم اكتفوا في الأصل أن يمنحوا المؤمن المخطىء وضعا وسطا بين الإيمان والكفر[(١)]. ثم اتخذوا موقفا معاديا لاستبداد الأمويين. وساندوا القدرية. ومنذ القرن الثامن بدأ المعتزلة يقفون ضد الفكر الفلسفي الإغريقي، الذي كان آخذًا في الانتشار في ذلك الوقت. ودافعوا عن الإيمان بالوحي مضيفين إليها براهين عقلية. كما كانوا ممثلين لأول مدرسة في علم الكلام التي عدت فيما بعد هرطقة»[(٢)].

نقول وبالله التوفيق: احتج بعض الظالمين والمفسدين بالقدر، والإرادة، والمشيئة، لتبرير ما يقع على الناس من ظلمهم وفسادهم، ومثل هؤلاء لا يرضون بوقوع الظلم عليهم لمن يحتج عليهم بالقدر، وهذا النوع من الظلم هو من الباطل الذي لا يقبل به إلا الجهلة؛ لأنه لا يصح الاحتجاج بالقدرعلى الظلم، وإلا لفسدت الحياة الدنيا.

والمؤمن الحق لا يترك الناس يظلمونه بدعوى أن ذلك قدر الله ماض فيه، بل يجب عليه أن يفكر فيما أمره الله به، وما يفيده وينفعه، مع الأخذ بالأسباب. وإن لم يوفق يرضى بقضاء الله وقدره.

قال ابن تيمية: «والعبد له في المقدور حالان: حال قبل القدر، وحال بعده. فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه، أو يرضى به، وإن كان بفعله ـــ وهو نعمة ـــ حمد الله على ذلك، وإن كان ذنبًا استغفر إليه من ذلك.وله في المأمور حالان: حال قبل الفعل، وهو العزم على الامتثال،والاستعانة بالله على ذلك، وحال بعد الفعل، وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما أنعم به من الخير، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ غافر: ٥٥ .

أمره أن يصبر على المصائب المقدرة، ويستغفر من الذنب،وإن كان استغفار كل عبد بحسبه، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ آل عمران: ١٨٦، وقال يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) الفسوق (المترجم).

(٢) سورديل: دومنينيك،، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص:٨٧ ـــ ٨٨)،ترجمة: سليم قندلفت .

يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف: ٩ ، فذكر الصبر على المصائب والتقوى بترك المعائب.وقال النبي ﷺ : (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان). فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر، ولا يتحسر على الماضي، بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وإن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالنظر إلى القدر عند المصائب، والاستغفار عند المعائب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحديد: ٢٢ــ ٢٣، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ التغابن: ١١.

فقال عَلْقَمَة وغيره: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، والله ﷻ أعلم»[1].

وختاما فإن العبد مبتلى، والإيمان بالقضاء والقدر يجعل الإنسان صابرا، لا يجزع، ولا ييأس من رحمة الله، فيرضى ويطمئن، ويدعو الله، ويرجوه، ويستعين به، ويسأله الثبات على الحق والرشد والسداد.

قال المستشرق (مارسيل بَوازار): «ومفهوم القضاء والقدر الذي قد يبدو للوهلة الأولى غير معقول، يؤلف في المنظور الديني أساس التقوى الجوهري، وعليه، فإنه ربما ترسخ في الإسلام بشيء خاص من الحدة وعلى الرغم من وصية شفوية للنبي واردة في كتب السنة، فقد نوقشت فكرة القضاء والقدر بشكل واسع خلال العصور الأولى للإمبراطورية الإسلامية، ولم تكن الاعتبارات ذات المقاصد السياسية لتغيب دائما عن تلك المناقشات،.....وعلى المسلم في نظر أصحاب صحة العقيدة الإسلامية الحاليين أن يؤمن ويبشر بأن الله قد قرر كل الأمور. فلا يمكن أن يحدث على هذه الأرض أمر لم يكن مكتوبا في اللوح المحفوظ. فالله يأمر الناس بالإيمان والطاعة والأعمال الحسنة، وهو الذي قرر

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٨ / ٧٦ ــ ٧٧).

كذلك الشر والمعصية والجحود، إلا أن قراره في هذه الأمور ليس صادرا عن رغبته فيها ولا عن إرشاده إلى النجاة والخلاص منها، وإنما على سبيل البلاء والامتحان. ومن يـــزعم أن الله لا يستنكر الشر والجحود كافر لامحالة[١].

والواقع أن الزعم بأن الله ــ الله الذي لا يحتاط لشيء أبدا بل يرى كل شــيء بنظـــرة واحدة من منظور الأبدية ــ لا يعرف كل شيء مسبقا ولا يعلم تسلسل أحداث الوجـــود بحذافيرها، يؤول إلى إنكار علمه الكلي وبالتالي إلى رفض ألوهيته»[٢].

نعم من أنكر قضاء الله وقدره فقد رفض ألوهية الخالق ﷻ لأن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.

(١) غلوش، " دين الإسلام " ص: ٢٣٨ وما بعدها، وفرح " الإسلام.. " ص: ١٢٠ وما بعدها. (المترجم حاشية رقم ١٢ ص: ٩٠) .

(٢) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام، (ص: ٩٠ ــ ٩١)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.

الفصل السابع

موقف المستشرقين من نواقض الإيمان

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نواقض الإيمان

١- نواقض الإيمان الاعتقادية.

٢- نواقض الإيمان القولية.

٣ - نواقض الإيمان العملية.

المبحث الثاني : موقف بعض المستشرقين من بعض نواقض الإيمان

أولا: إخراج العمل من مسمى الإيمان.

ثانيا: الشك في ربوبية الخالق عز وجل.

ثالثا: الطعن في توحيد أسماء الله وصفاته.

رابعا: كفر من اعتقد أن الحق فيما جاءت به القوانين الوضعية.

خامسا: الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكار بعض ما أخبر به.

سادسا: سب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به.

سابعا: الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام.

المبحث الأول

نواقض الإيمان

نواقض الإيمان: منها نواقض اعتقادية ، ونواقض قولية ، ونواقض عملية

أولا:نواقض الإيمان الاعتقادية: (١)

ما يناقض قول القلب: (ويشمل:كفر الجحود والتكذيب،استحلال أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة،الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو خبر من أخباره،من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي – صلى الله عليه وسلم – ،الشرك في الربوبية،اعتقاد ألوهية غير الله عز وجل.)

ما يناقض عمل القلب، ويشمل:(الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، النفاق الاعتقادي،بغض أو كراهية بعض ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم –،كفر الإباء والاستكبار والامتناع، من امتنع عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة ،الشرك الأكبر بعمل القلب كالمحبة والإرادة والقصد)

ثانيا:نواقض الإيمان القولية: (٢)

في التوحيد بأنواعه:(توحيد الربوبية، و توحيد الأسماء والصفات، و في توحيد العبادة) وفي النبوات (في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،وفي سائرالأنبياء عليهم السلام) ،وفي سائر المغيبات: (الملائكة، والجن ،البعث، الوعد، والوعيد ،أو الاستهزاء به) و (إنكار حكم معلوم من الدين بالضرورة.) ومن نواقض الإيمان القولية المختلف فيها:(سب الصحابة رضي الله عنهم، الاستهزاء بالعلماء والصالحين)

---

(١) انظر: الوهيبي ، د.محمد بن عبد الله بن علي، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف (الفهرس)

(٢) انظر: العبداللطيف: د. عبد العزيز بن محمد بن علي ،نواقض الإيمان القولية والعملية (الفهرس)

ثالثا:نواقض الإيمان العملية :

في التوحيد:(كالشرك في العبادة، والحكم بغير ما أنزل الله، والإعراض التام عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، ومظاهرة المشركين على المسلمين.) و(في النبوات) و(ترك الصلاة، السحر وما يلحق به)

ونواقض الإيمان من أعظم الذنوب على الإطلاق، فمن ارتكب ناقضاً من تلك النواقض فقد خرج من الملة، فلا يبقى إيمان مع وجود أحد هذه النواقض، فهي تحبط جميع الطاعات، إضافة إلى أن الله تعالى لا يغفر لمن مات عليها، بل صاحبها مخلد في نار جهنم.

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من بعض نواقض الإيمان

أولا: إخراج العمل من مسمى الإيمان

اعتبر بعض المستشرقين أعمال الجوارح شيئًا ثانويًا، فهي مجرد استكمال للإيمان وتعزيزله دون تعديله، أو إضافة شيء لجوهره.وهذا باطل.

قال دومينيك سورديل: «. وفيما يتعلق بالأعمال وممارسة الشعائر الشرعية، فالمسلمون لا يعلقون عليها سوى أهمية ثانوية: إنها لا تفعل شيئًا سوى استكمال الإيمان وتعزيزه، دون تعديله، أو إضافة شيء لجوهره. حتى إن المسلم الذي يرتكب الكبيرة يعد فاسقًا لا هالكا محروما من الجنة. ويقابل المسلم (المنافق) الذي يستر أعماله الجيدة بكفر باطني. وغير المسلم الكافر يشمل كل من هو غير مسلم، وهو يعادل عمليا المشرك. (أي الذي يشرك مع الله آلهة أخرى))»[1].

فلم يجعل العمل داخلا في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أبي حنيفة، ذكر شيخ الإسلام أن من الأغلاط التي يقول بها المرجئة جميعا :"ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل الظاهر[2] "

فقال: "والمرجئة المتكلمون منهم، والفقهاء يقولون: إن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازا؛ لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه؛ ولأنها دليل عليه [3] "

والإيمان بالله هو أصل الدين،وهو: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، ولابد فيه من شيئين: تصديق بالقلب، وإقراره ومعرفته. ويقال لهذا: قول القلب، قال الجنيد بن محمد: التوحيد: قول القلب. والتوكل: عمل القلب، فلابد فيه من قول القلب، وعمله، ثم قول البدن وعمله، ولابد فيه من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله، وخشية الله، وحب ما يحبه الله

(١) سورديل:دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٨٣ ــ ٨٤)، ترجمة: سليم قندلفت .

(٢)ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦٤/٧

(٣)ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٩٥/٧

ورسوله، وبغض ما يبغضه اللّه ورسوله، وإخلاص العمل للّه وحده، وتوكل القلب على اللّه وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها اللّه ورسوله وجعلها من الإيمان»[(١)].

فالأعمال الظاهرة هي من لوازم الإيمان بالباطن، قال الشيخ ابن تيمية:

«وإذا أفرد الإيمان أدخل فيه الأعمال الظاهرة؛ لأنها لوازم ما في القلب؛ لأنه متى ثبت الإيمان في القلب، والتصديق بما أخبر به الرسول، وجب حصول مقتضي ذلك ضرورة؛ فإنه ما أَسَرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفَلَتَات لسانه، فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة، فلا تستقر معرفة تامة، ومحبة صحيحة، ولا يكون لها أثر في الظاهر.ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه؛ فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم، كقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة: ٨١ .

وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ المجادلة: ٢٢، الآية، ونحوها فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيمًا إلا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر))[(٢)].

وأعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب، ولازمة لها " فالقلب إذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يختلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب[(٣)]." فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: " قول وعمل " قول باطن وظاهر،

---

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٧ / ١٨٦)(كتاب الإيمان الكبير).

(٢)ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٨ / ٢٧٢)(شرح حديث إنما الأعمال بالنيات).

(٣)أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١٢٦/١) ح (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة . باب أخذ الحلال (١٢١٩/٣) ح (١٥٩٩)

وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن، صلح الظاهر، وإذا فسد، فسد" (١)

وقال:دومينيك سورديل: «ويتعلق الأمر قبل أي شيء آخر بالتسليم: الإسلام للإله القادر، دون تمييز بين الإيمان والإسلام. رغم أن الأول يرتكز على اليقين الخاص والداخلي. بينما يرتكز الآخر على التصريح اللفظي»(٢).

أما قوله: (دون تمييز بين الإيمان والإسلام)

إن بين الإسلام والإيمان تلازماً فلا يمكن أن يوجد أحدهما بدون الأخر، فلا يصح الإسلام ولا يوجد بدون أصل الإيمان، فإذا انتفي أصل الإيمان بطل الإسلام، كذلك لا يصح ولا يوجد إيمان بدون إسلام (أي عمل الجوارح، وعمل القلب) فلو انتفي العمل لدل ذلك على بطلان الإيمان وفساده.

قال شارح الطحاوية: «فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كالشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد. كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان [له]، إذ لا يخل المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخل المسلم من إيمان به صح إسلامه»(٣).

ثانيا: الشك في ربوبية الخالق ﷻ

كشفت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) عن أثر الإسلام على الحضارة الغربية وأثر العلوم التجريبية على العقل الأوربي، فقالت «فإذا مازدهر في القرن (١٢) بعد كل النعوت الشيطانية المنتظمة التي ألصقت بالطبيعة (الحياة الدنيا) ورميت وكأنها جيفة عفنة — إذا مازدهر الإعجاب بالطبيعة ومشاهدتها بشكل عارم، وأصبحت البحوث والتساؤلات تتوجه إلى الطبيعة بدلا من الكتاب المقدس والآباء والروحيين، إلى الطبيعة التي أصبحت في نظرهم

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، ١٨٧/٧، وانظر ٥٤١/٧، ٢٢١ .

(٢) سورديل:دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة،(ص: ٨٣ — ٨٤)، ترجمة: سليم قندلفت.

(٣) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٣٣٣)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

هي المفتاح إلى كل أسرار السماء»[١].

والله ﷻ هو رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازقه، فمن أنكر الخالق أو أسند الخلق والتدبير لغيره تعالى أو نحو ذلك من خصائص الربوبية فإن ذلك يعد كفرا وردة، ومن أمثلة ذلك:

الصدفيون، القائلون بالصدفة وهم الذين ينكرون وجودالخالق وينسبون كل شيء إلى الصدفة، والطبائعيون: الذين ينكرون وجود الخالق وينسبون وجود الأشياء إلى الطبيعة.

ووجه الاتفاق بين الطبائعيون القائلون بالصدفة أن كلاهما ينكران وجود الخالق، وأقوالهم لا محل لها من الصحة وقد تناولت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها(العقيدة والمعرفة) عرض مفصل ناقشت فيه ما يسمى بالموقف المسيحي من الطبيعة والبحث العلمي وموقف الفلسفة الأرسطية من الطبيعة والبحث[٢].

والإنسان بعقله وفكره، إضافة لقدرته على الملاحظة والتجربة والمشاهدة،لا يكفي لتحصيل المعرفة الحقيقية إلا إذا استنار العقل بالهدي الرباني في الكشف عن معجزة الخلق والوجود؛ حتى يتمكن من معرفة سر الله في خلقه، فهذا الكون ليس موجودًا بالصدفة، أو منسوبا للطبيعة؛ إنما خلقه الله ﷻ. قالت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) نقلا عن ماكس بلانك[٣]: «إن الدين والعلوم الطبيعية لا يفترقان..بل هما مكملان الواحد للآخر،

(١) هونكه: زيغرد، العقيدة والمعرفة،(ص: ١٦٠)، ترجمة: عمر لطفي العالم.

(٢) انظر: هونكه: زيغرد، العقيدة والمعرفة،(من ص: ٢٠ ــ ٤٧)، ترجمة: عمر لطفي العالم.

(٣) ماكس بلانك Max Planck ولد ماكس بلانك (Max Planck) عام ١٨٥٨ في كييل (Kiel) بألمانيا وتوفي عام ١٩٤٧ بعد أن درس بلانك في ميونخ وبرلين حصل على درجة الدكتوراه في عام ١٨٧٩ وقد عالج في رسالته القانون الثاني في الترموديناميك. في بداية حياته العملية كرس بلانك نفسه لدراسة الترموديناميك – ذلك الموضوع الذي شغف به بلانك طيلة حياته – والذي كان الدافع له كما يقول بلانك نفسه هو أستاذه روبرت كيرشوف. بعد شغله منصب أستاذ مساعد بجامعة كييل عين بلانك أستاذًا للفيزياء النظرية في جامعة برلين عام ١٨٨٩ وفي برلين أصبح ملمًا بالتجارب العملية حول الاشعاع الحراري وقد تقاعد في السبعين من عمره أي عام ١٩٢٨ كما حصل على جائزة نوبل في عام ١٩١٨.وقد أخذ على عاتقه مهمة اشتقاق قانون نظري لإشعاع الجسم الأسود وكان نجاح مجهوده إشارة لبداية الفيزياء الكمية وقد توجت هذه المجهودات باكتشاف ما يسمى الآن بثابت بلانك الذي كان أول ظهور له في بحث نشر عام ١٩٠٠. لم تتوقف أعمال
=

ويحتم أحدهما الآخر»[١].

ويعد من الكفر أن يدعي شخص لنفسه الربوبية، كما قال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ النازعات: ٢٤. أو أن يدعي أنه يملك الرزق، ويدبر الأمر.

ثالثا: الطعن في توحيد أسماء الله وصفاته

من نواقض الإيمان الطعن فيما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من أسماء وصفات، فمن نفى أو انتقص شيئًا مما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ــ فقد كفر.وكذلك من أثبت لله شيئًا نفاه عنه رسوله.

ونجد بعض المستشرقين[٢] تبعوا بعض المخالفين من الفرق الإسلامية في مسألة نفي الصفات ــ كما سبق وأن عرضنا رأيهم ــ حيث تبع بعض المستشرقين بعض المشبهة، فجعلوا صفات الله تعالى مشابهة لصفات المخلوقين.

ومن أمثلة ذلك:

قال ماكدونالد: «تبدو أسماء الله الحسنى لأول وهلة خليطًا غريبًا من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقية»[٣].

وهذا القول باطل، فوصف الله بالجسم وعدمه من الألفاظ المبتدعة في الإسلام، قال ابن تيمية: «فمعلوم أنه لم ينقل عن أحد من الأنبياء، ولا الصحابة، ولا التابعين، ولا سلف الأمة أن الله جسم، أو أن الله ليس بجسم، بل النفي والإثبات بدعة في الشرع»[٤].

لذلك نجد أن نفي الجسمية عن الله من المصطلحات البدعية، وللأسف قد سرى هذا

بلانك عند هذا الحد فبعد اكتشافه الخالد الذكر استمر بلانك يلعب دورًا نشطًا في تطوير فيزياء الكم حتى وفاته.

http://www.phyall.net/scientest/maxb.htm،

(١) هونكه: زيغرد، العقيدة والمعرفة،(٢٤٢)، ترجمة: عمر لطفي العالم.

(٢) عرضنا هذه المسألة بالتفصيل في موقف المستشرقين من توحيد الأسماء والصفات واكتفينا بالإشارة إليه هنا منعا للإطالة.

(٣) دائرة معارف الإسلامية،(٤ / ٢٤٧)، (مادة الله ــ الله في ذاته ولذاته)طبعة الشعب.

(٤) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٥ / ٤٣٤) (شرح حديث النزول).

المصطلح بين بعض المستشرقين أنفسهم،قالت المستشرقة البولونية (بوجينا غيانة تستشيجفسكا): «وأنه ﷻ واحد في كل شيء. فهو واحد في ذاته، بمعنى أنه ليس هناك إله غيره، وليس هناك من يستحق العبادة سواه. كما أنه ﷻ ليس له جسم مركب من أجزاء»[(١)].

رابعا:كفر من اعتقد أن الحق فيما جاءت به القوانيين الوضعية:

روج كثير من المستشرقين الديمقراطية، والاشتراكية، والعلمانية، وتوجه الاستشراق الغربي إلى هدم مفهوم الشريعة الإسلامية. وأن الإسلام دين ودولة. وبالتالي ظهرت الدعوة إلى ترك الأحكام الشرعية، وتطبيق الأحكام الوضعية.

وقد قام بعض المستشرقين بدراسات مضللة، أعطوها صبغة العلم في بعض القضايا الإسلامية، وخاصة الفقه في محاولة لتصوير الشريعة الإسلامية وأحكامها بصورة الأعراف الجاهلية، لإضعاف قيمة أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية.فمثلا نجد أن الدكتور محمد سليم العوا في بحثه عن منهج المستشرق (نويل كولون) لدراسة الشريعة الإسلامية فقد أشار إلى أن بعض المستشرقين في دراساتهم للشريعة الإسلامية يبدؤون من افتراض أن القانون الإسلامي نظام، بال قد بلغ مرحلة الجمود عن التطور اللازم لأي نظام قانوني حي، أو قابل للاستمرار حيا[(٢)].

وبلغ ببعض المستشرقين الاستخفاف بالقانون الجزائي في الإسلام ووصفه بالسذاجة وأنه لا يمثل إلا تقدما ضئيلا بالنسبة إلى مفاهيم القانون الوثنية القديمة[(٣)].

في حين أن المستشرق مارسيل بوازار اعترف بفضل الإسلام على القانون الدولي بقوله: «وأكد بعضهم أن القانون الدولي ليس غريبا في جوهره عن الإسلام.أو بينوا أيضا مدى إسهام العالم العربي ـــ الإسلامي في يقظة أوربا الفكرية»[(٤)].

---

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ١٤ ـــ ١٥).

(٢) انظر: وزان:د. عدنان محمد، دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، مقال في مجلة المنهل،(ص: ١٤٥)، العدد (٤٧١) السنة (٥٥) المجلد (٥٠) رمضان ـــ شوال ١٤٠٩هـــ، إبريل ومايو ١٩٨٩م.

(٣) انظر: بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص:٨٢)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

(٤) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام، (ص: ١٥)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.

وقد علق المستشرق مارسيل بوازار على الشريعة الإسلامية بأنها: «تفرض على المؤمنين بعض المتطلبات الجازمة، والواجبات القاطعة، التي لا تستدعي بالضرورة طموحا مماثلا عند الآخرين. وعلى العكس من ذلك، فإن بعض قواعد السلوك الحسن التي قد لا تكون في الفلسفة الأوربية سوى أخلاقية اجتماعية تتخذ في المفهوم الإسلامي طابعا قانونيا بحتا. وهذا الجمع المحكم بين القانون والخُلق يؤكد قوة النظام منذ البداية»[١].

خامسا: الطعن في رسول الله ﷺ وإنكار بعض ما أخبر به:

اعتبر النصارى المسيح عيسى بن مريم هو أساس العقيدة، ولهذا تنسب النصرانية إليه، وقد طبق بعض المستشرقين ذلك على الإسلام واعتبروا أن النبي محمدًا ﷺ يعني بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للنصرانية لهذا أطلقوا على الإسلام (المذهب المحمدي) ووصفوا المسلمين (بالمحمديين)، والهدف من هذه التسمية إعطاء انطباع بأن الدين الإسلامي دين بشري من صنع نبينا محمد ﷺ وليس من عند الله، أما نسبة النصرانية إلى المسيح فلا تعطي هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله.[٢]

ومما يؤيد ذلك قول د. موريس بوكاي: «وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم في التسميات مثل: (الدين المحمدي) و(المحمديون) ليدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطئ، القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، وأنه ليس لله (بالمعنى الذي يدركه المسيحيون) مكان في تلك المعتقدات»[٣].

وقال برنالد لويس: «كما يطلق النصارى على المسلمين تسمية (المحمديين) وبالوقت نفسه يطلق المسلم على النصراني تسمية (كافر) ولعل الشائع أن كلا من الطرفين يطلق كلمة (كافر) على الطرف الآخر، وهذا تبادل للشتائم. وهكذا بدأت المواجهة»[٤].

وقد اعتبر كثير من المستشرقين أن النبي محمدًا ﷺ متأثر بالفكر الديني للديانات السابقة،

---

(١) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام، (ص: ١٩)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.

(٢) انظر: زقزوق، د. محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (ص: ١٢٦).

(٣) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ١٠).

(٤) لويس: برنالد، الإسلام والغرب، (ص: ١٠).

قال لويس يونغ: «ولد النبي محمد في مكة حوالي ٥٧٠م، وهو ابن عبد الله، من الأسرة الهاشمية التي كانت تنتمي إلى أسرة قريش. وعندما قارب الأربعين أظهر ميلا للتأمل الديني، متأثرا بفكر وطقوس الديانتين المسيحية واليهودية.وفي عام ٦١٠ أوحي له بالنبوة، وكان هذا الوحي بداية استمر بعدها طيلة حياته. ونتيجة لهذه الإيحاءات المتتالية أعلن محمد وحدانية الله، واقتراب يوم الحساب، وضرورة الصلاة، والمعاملة الحسنة بين الناس. هذه الإيحاءات عرفت بالقرآن»[(١)].

وقد أنكر كثير من المستشرقين ما أخبر به النبي محمد ﷺ من ذلك إنكار معجزاته، مثال ذلك (قصة الإسراء والمعراج) فقد عرضها المستشرق (بودلي) بأسلوب تهكمي، فيه من الدس والكذب الشيء الكثير وختم قصته قائلا: «وما الحكاية في الغالب إلا خرافة من الخرافات التي تذكر، للتدليل على معجزات محمد، وما قال محمد يوما إنه أتى بمعجزات، فإذا ما أكد محمد قصة الإسراء في القرآن، فيجب والحالة هذه ألا يتسرع نقاد الإسلام في التشكيك فيها، فإن قصة صعود إيليا في عربة نارية إلى السماء، لا يسخر أحد منها، ويقبل معظم المسيحيين أمر بعث المسيح، ورفعه دون شك أو تشكيك»[(٢)].

وبالرغم من ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ صفة واسمًا لدى علماء أهل الكتاب، إلا أنهم يكذبون ما نصت عليه التوراة من ظهور النبي ﷺ فقد جاء في سفر التثنية، الإصحاح ٣٣ الفقرة ٢، مانصه: «فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ» .

وكما سبق ــ وأن أشرنا أن المقصود من جبل فاران كما دلت عليه كتب اللغة وقاموس الكتاب المقدس هي جبال مكة[(٣)].

وقَالَ تعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ

---

(١) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة، (ص: ٨٢).

(٢) بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد،(ص: ١١١ــ ١١٢)، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار.

(٣) حمادة: محمد محي الدين، الإسلام وزيف الأقلام: الجزء الأول: إبراهيم عليه السلام، (ص: ١٦٧)، قدم له: الدكتور: مصطفى سعيد الخن، الأستاذ: محمد خير الطرشان.

مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ الصف: ٥ – ٦ .

فبالرغم من البشارة الواردة بحق النبي محمد ﷺ وبعثته في التوراة والإنجيل إلا أن اليهود والنصارى أنكروا ذلك حسدا من عند أنفسهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ البقرة: ١٤٦– ١٤٧ .

سادسا :سب الرسول والاستهزاء به:

وصف بعض المستشرقين النبي محمدًا ﷺ بصفات تحمل في طياتها الاستهزاء والسب، قالت المستشرقة (زيغرد هونكه):

«لقد كان الخوف هو الذي دفع الكنيسة أن تجعل من النبي محمد مسيحيا دجالا، أو ماردا جبارا، كما ذكر في سفر الرؤيا، أو حتى وثنا تقدم له القرابين البشرية.كان خوفا دفع بالكنيسة إلى إغلاق باب الاتصال مع الإسلام إغلاقا كاملا، وكذلك إلى إيقاد نار الحقد الديني والتعصب»(١).

وليس أدل على حقد الغرب المسيحي على نبينا محمد ﷺ من نشر الإعلام الغربي الصور المشينة في بعض وسائل الإعلام الدنمركية وتلقفتها بقية بعض وسائل الإعلام في بعض الدول الغربية، والتي أثارت غضب المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي قاطبة.

سابعا: الرضى بالكفر وعدم الرضى بالإسلام:

كثير من المستشرقين لا يرضون بالإسلام دينا لهم، ولغيرهم، لأنهم يعتبرونه المنافس الخطير للكنيسة. تقول المستشرقة زيغرد هونكه: «إن هذا الفجور الانفعالي ضد أعداء الدين والمعتقد لم يكن بشكل من الأشكال لصالح الكنيسة الكاثوليكية، التي تنبهت للخطر المحدق بها، وبتأثيرها على شعب لم تترسخ بعد تعاليمها فيه بشكل عميق وثابت، هذا الخطر الذي

(١) هونكه: زيغرد، التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم، ترجمة: د. هاني صالح، (ص: ٣٥).

يأتيها عن طريق الإغراءات التي يبثها في هذا الشعب منافس ناجح وخطير كالإسلام، الذي أثبت وجوده بانتشار مخيف. لذا فإن الكنيسة راحت تقيم ستارا حديديا بين بلاد المغرب والمشرق نتيجة خوفها من الوسوسات الممكنة، المشؤومة، وخطيرة العواقب، من قبل هذا العدو ونتيجة خوفها من قوة جاذبية هذا الدين الذي كانت شعوب البلاد المفتوحة تدخل فيه أفواجا بكل إرادتها ورغبتها، ونتيجة خوفها أيضا من الانضباط والطاعة العمياء، والإخلاص، والولاء لهذا الدين من قبل أتباعه.... ولكن الأدهى والأمر في الموضوع أن الكنيسة لم تقم هذا الستار الحديدي مكانيا فقط، بل أسدلته أيضا في وجدان وشعور سكان الغرب: إذ كان المسيحي فقط، بالنسبة لهم هو الإنسان الذي يتمتع بحقوق الإنسانية؛ فلقد كان مختارا ومتميزا عن غيره»[1].

ويتحقق الرضا بالكفر، وعدم الرضا بالإسلام ــ بموالاة الكفار، وموافقتهم على دينهم، وموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا، حتى وإن كان أباه وأخاه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٣ – ٢٤.

ومن الأمور التي تدخل الناس في الولاء للكفار الآتي: اتباع أهوائهم، وقد نهى الله تعالى عن اتباع أهواء الكفار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ البقرة: ١٢٠.

(١) هونكه: زيغرد، التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم، ترجمة: د. هاني صالح، (ص: ٣٤).

ومجاملتهم، ومداهنتهم، والركون إليهم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود: ١١٣ ، وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القلم: ٩ ، وكذلك الموافقة على دينهم الباطل، وإعانتهم بالنصرة والمال.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران: ٢٨ .

وقد نهى الله تعالى عن موالاة اليهود والنصارى، وذكر أن من والاهم فهو منهم، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ المائدة: ٥١ – ٥٢ .

ومن يواد الكفار فليس بمؤمن، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة: ٢٢.

فمن خصائص النفاق اتخاذ الكافرين أولياء، قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩.

وكذلك الاستهزاء بالدين، فمن جلس مع الكافرين وهم يستهزئون بآيات الله فهو

مثلهم،قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ النساء: ١٤٠ ، وصور الاستهزاء كثيرة: فقد تكون بالكلام والاستخفاف بالدين، وقدتكون فعلية بالحركة والإشارة.

هذه المقدمة التي تكشف عن نواقض الإيمان، يتضح لنا علاقة المستشرقين بها إذا عرفنا أن طلائع المستشرقين من النصارى كانوا ذوي مناصب دينية، قد انطلقوا من الكنائس والأديرة بهدف نشر النصرانية، وقد عد الاستشراق أقرب الطرق وأسهلها للتنصير. وللبعد عن التعميم نقول إنهم ليسوا بالضرورة جميعا من المنصرين، بل ربما لهم أهداف أخرى، كالأهداف الاستعمارية، والسياسية، والتجارية، الاقتصادية، والعلمية، وعلى كل فالاستشراق والتنصير وجهان لعملة واحدة.هؤلاء المنصرون حاولوا جاهدين نشر معتقداتهم وأفكارهم من خلال المتأثرين بهم،حيث ابتلينا في هذا العصر بوجود مجموعة من المتأثرين ممن لهم صوت مسموع في وسائل الإعلام، ولهم مناصب في مجال التربية والتعليم على كافة مستوياته ممن شرب فكر هم المنحرف، وراح يروج فكره بين أبناء جلدته من المسلمين(١).

قال الدكتور/ عمر فروخ: «أما أشد ما نلقاه نحن فهو أن هؤلاء ــ يقصد المستشرقين ــ يستخدمون في هذا السبيل أفرادا منا أحيانا، أفرادا لا يتورعون عن أن يسخروا العلم، والضمير، ويقلبوا الحقائق، والأرقام رأسا على عقب حبا بالزلفى، أو الاتجار»(٢).

وكما اشتكى المفكر الكبير رشدي فكار رحمه الله قائلا:

«ومن المحزن أننا وجدنا بعض النفايات من المثقفين العرب والمسلمين، ممن لا يحملون من الانتماء إلى هذه الأمة إلا مجرد الاسم، ثم يستبيحون لأنفسهم أن يضعوا أنفسهم، لقاء حفنة من المال، في خدمة هؤلاء (المستشرقين)، وأن يبسطوا لهم بعض القضايا، ويعاونوهم

---

(١) انظر: الباب السادس الفصل الأول فقد تناولت بعض الشخصيات البارزة من المتأثرين بالاستشراق في مجال الدراسات الإسلامية.

(٢) فروخ: د. عمر، خالدي: د. مصطفى، التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي)،(ص: ٢٢٢)، ط ٣، منشورات المكتبة العصرية ــ بيروت/ صيدا ١٩٨٢م.

في دراساتهم المقنعة السوداء وقد تنكر هؤلاء المثقفون العملاء لأمتهم، وعقيدتهم، ووضعوا أقدارهم لصالح أصحاب المآرب»[(١)].

و يقول الأعظمي: «وَوُجِد قديمًا بعض الأشخاص، أو بعض الفرق التي طعنت في السنة النبوية، ولكنها انتهت بنهاية القرن الثاني، أو على الأكثر بنهاية القرن الثالث، وما بقي لهم وجود. وقد استيقظت الفتنة مرّة أخرى في القرن الماضي، بتأثير من الاستعمار الغربي...، وتغير الزمن، وزالت دولة الإسلام، وجاء عهد الاستعمار والاستعباد، وبدأ المستعمرون بنشر أفكارهم الخبيثة للقضاء على مقومات الإسلام. وفي هذه الظروف وُجد بالعراق من دعا إلى نبذ السنة، أما في مصر فترجع هذه الفتنة إلى عهد محمد عبده... ثم مشى على هذا المنهج توفيق صدقي... وأيد رشيد رضا توفيق صدقي بكتاباته... ثم أحمد أمين... ثم إسماعيل أدهم الذي قال إن الأحاديث... مشكوك فيها... وبعد هؤلاء تسلم اللواء أبو رية»[(٢)].

---

(١) الجندي: أنور، منهج الاستشراق في دراسة الإسلام، مجلة "منار الإسلام" العدد ٠٩ السنة ١٥ مارس ١٩٩٠.

(٢) الأعظمي: محمد، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، (١/ ٢٥ ــ ٢٨).

الباب الخامس

موقف بعض المستشرقين من أئمة أهل السنة والجماعة.

وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: موقف بعض المستشرقين من الصحابة.

الفصل الثاني: موقف بعض المستشرقين من التابعين.

الفصل الثالث: موقف بعض المستشرقين من الأئمة الأربعة.

الفصل الرابع: موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

الفصل الخامس: موقف بعض المستشرقين من محمد بن عبد الوهاب.

الفصل السادس: موقف بعض المستشرقين من بعض أعلام أهل السنة المعاصرين.

الفصل الأول

موقف بعض المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم

وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من الخلفاء الأربعة رضوان الله عنهم.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: موقف بعض المستشرقين من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المبحث الرابع: موقف بعض المستشرقين من عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المبحث الخامس: موقف بعض المستشرقين من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الفصل الأول

موقف بعض المستشرقين من الصحابة

تمهيد

الصحابي هو: من لقي النبي محمدًا ﷺ مسلما، ومات على الإسلام، ولو تخللت ذلك ردة. على الأصح.قال ابن حجر ـــ رحمه الله ـــ : " وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، مؤمناً به ، ومات على الإسلام . فيدخل فيمن لقيه : من طالت مجالسته له ، أو قصرت ، ومن روى عنه ، أو لم يرو عنه ، ومن غزا معه ، أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى .ويخرج بقيد الإيمان :من لقيه كافراً ، ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع معه مرة أخرى.وقولنا به :يخرج من لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة..

وخرج بقولنا ومات على الإسلام : من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ، ومات على ردته والعياذ بالله ، وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبدالله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، .. وكعبد الله بن خطل ويدخل فيه[أي يدخل في الصحابي]: من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت ، سواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم ، مرة أخرى أم لا . وهذا هو القول المعتمد .... وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما ، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة . اهـــ" (١)

والصحابة هم أتباع النبي محمد ﷺ ،ولهم الفضل بعد الله تعالى في نشر تعاليم الدين الإسلامي، وقد أثنى الله تعالى ونبيه محمد ﷺ عليهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ التوبة: ١٠٠.

---

(١) ابن حجر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ، (١/ ١٦ – ١٨) ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية .

وانظر: الطحان: د. محمود، تيسير مصطلح الحديث،(ص: ١٩٨) ،ط ٧، مكتبة المعارف ـــ الرياض، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م.

وقال رسول الله ﷺ خير الناس قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النّبيّ ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه))[٢].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ونحبّ أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حبّ أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاّ بخير. وحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[٣].

وقد افترى بعض المستشرقين على صحابة رسول الله ﷺ حقدا وكراهية منهم؛ للتشكيك في عدالتهم، وتقديم تاريخهم مشوها بين أبناء المسلمين بهدف الحط من شأنهم، وتقليل احترامهم؛لذا كثر الدس في المؤلفات الاستشراقية، والتشكيك والتزوير عن حياة الصحابة رضوان الله عنهم بأساليب متنوعة، وفق مناهج عدة غير موضوعية بالاعتماد على روايات الضعفاء،والوضاعين، والرافضة وغيرهم.

وقد ساهم الدكتور: سعد بن عبد الله الماجد بعمل دراسة عن: (موقف المستشرقين من الصحابة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة) في رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ولوجود رسالة علمية في هذا المجال سوف أقتصر في هذا الفصل ــ منعا للإطالة ــ واختصارا للوقت والجهد، على موقف بعض المستشرقين من الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم ورضوا عنه.

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها،(ج ١١ / ٢٤٤)، ح: (٦٤٢٩)، (٦٤٢٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم،(ج/ ٤)،(١٣٦٤)، ح (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب (فضائل الصحابة) باب قول النبي (لو كنت متخذ خليلا)،(ج٧/٢١ ح(٣٦٧٣)،ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة،(ج٤/١٩٦٧ح(٢٥٤٠).

(٣) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٤٧٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

المبحث الأول

موقف بعض المستشرقين من الخلفاء الأربعة

وقف بعض المستشرقين من الخلفاء الأربعة موقف المحايد، المعترف بفضلهم، وكرم أخلاقهم بالمدح والثناء، وأحيانا يكون هذا المديح والثناء مغلفا بالغمز واللمز، بينما وقف البعض موقفا آخر يكشف عن حقدهم الدفين، حيث جاهروا بالشتم الصريح.فنجد بعض الحاقدين صوروا صحابة رسول الله ﷺ بالأعراب الجهال، أصحاب الثياب البالية، والرعاة السابقين.

قال المستشرق بودلي: «فأبو بكر وعمر وعلي، هؤلاء الأعراب الذين لم يتثقفوا، والذين فروا من خناجر قريش، سيقررون في زمن قصير، مصاير الإمبراطوريات الشرقية العظيمة، وستدفع سورية، ودولة الكلدانيين، والدولة البيزنطية، ومصر، ومستعمرات الروم والفرس، الجزية إلى هؤلاء المغمورين المجهولين، وسيتمنى حكام تلك البلاد، وقوادها، ورهبانها، رضا هؤلاء الشعب ذوي الثياب البالية، الذين يجلسون الآن على حصير، شاكرين مضيفيهم المدنيين. وسيطوى أتباع المسيح في الشمال والغرب، وعبدة النار من زرادشت في الشرق والجنوب أمام مد الإسلام، كما يطوى الحصى على شاطئ البحر، وستحل أسماء رعاة سابقين وتجار رُحَّل، وصيارفة ـــ محل أسر مالكة بقيت على الدهر،من الخليج الفارسي إلى المحيط الأطلسي»[(١)].

فالمستشرق بودلي يستنكر المكانة التي حصل عليها الخلفاء الراشدون، وهم في الأصل ليسوا أهل جاه وسلطة، وهذا مخالف لقوانينهم للبطولة الفردية التي تشترط أن تكون السلطة والهيمنة لأناس قد عاشوا وتربوا في بيئة غنية، حتى تكون لهم المكانة والغلبة.

---

(١) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد،(ص: ١٢٩ ـــ ١٣٠)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

قال الأستاذ أنور الجندي: «فالبطل في النظرية المادية لا بد أن يصدر عن أسرة موسرة، وعن ثقافة عالية، وعن أبوة حكيمة مربية. أما بيئات الفقراء والأيتام والأميين، فهي لا تصلح لإخراج البطل»[١].

وعلى أساس هذه النظرية استنكر أصحاب نظرية البطولة الغربية قدرة الله على جعل نبي الأمة محمد ﷺ وصحابته الذين عاشوا حياة البساطة، من الشهرة بين الأمم مما يفوق وصفه.

أما المستشرق كيتاني (Caetani[٢]) فقد نظر إلى الصحابة بنظرة قد تكون منصفة، ومع ذلك لا تخلو شهادته من خطأ في التعبير إن صحت عنه الترجمة بلفظها.

يقول العالم الألماني كيتاني (Caetani) في كتابه (سنين الإسلام) ما يلي:

«لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلّغها إلي أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله، وحبهم الخالص له، إلي عالم من الفكر والعواطف لم يشهد محيط أسمى منه، وأرقى مدنية واجتماعًا، والواقع أن هؤلاء الصحابة كان قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بذرت في أخصب أرض أنبتت نباتًا حسنًا، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جدًا، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله من كلام، أو أمر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي، وعلماءه، ومحدثيه الأولين»[٣].

ففي قول هذا المستشرق: «كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي»

(١) الجندي: أنور، شبهات التغريب في الفكر الإسلامي،(ص: ٢٦٣ ــ ٢٦٤)،ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ــ ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣)Caetani (annali dell islam) vol. .١١ p. ٤٢٩

نقلا من موقع -http://www.d-sunnah.net/forum/archive/index.php/t١٧٧٤٢.html

فماذا يقصد بتراث رسول الله الخلقي؟ فليس هناك تراث خلقي سوى السنة النبوية، لأن خُلق الرسول وسلوكه جزء من السنة.

فهل يقصد بالتراث سَعيٌ لتثبيت نظرية جديدة تعني أن الشريعة الإسلامية تراث قديم سابق؟!وهل هذه محاولة لتفريغ المصطلحات الإسلامية من كل أثر ديني؟! أم هي محاولة لإسقاط المفهوم الغربي على العلوم الدينية لتخدير الغير عن مفهوم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، باعتبار وصفه بالتراث؟

وأعتقد أن محاولة تسمية السنة بالتراث لإخراجها من كونها تشريعات ربانية إلى عادات وتقاليد قابلة للتغير عبر الأزمان، وذلك من منطلق ارتباط التراث بالعادات والتقاليد بين الأمم.

ثم ماذا يقصد المستشرق بحَمَلَةَ الصحيفة المقدسة؟ فإن قصد بذلك القرآن الكريم، فليست الصحيفة المقدسة من أسماء القرآن الكريم، فليعلم أن هناك فرقًا بين القرآن والكتاب المقدس، فالقرآن له أسماءٌ عديدة استخرجها العلماء من القرآن، أو من الأحاديث الشريفة، ومن أشهرها: القرآن، الكتاب، الذكر،والفرقان.

ويقول المؤلف الإنجليزي الشهير إدوارد جيبون ١٧٣٧ ــ ١٧٩٤ (Edward Gibbon) عن الصحابة:

«وقد كوفئوا على إيمانهم حتى في هذه الحياة الدنيا بالثراء، والأمجاد، ومناصب الشرف، وقيادة الجيوش، وحكم المماليك»[(١)]

من خلال هذا النص نجد أن هذا المستشرق قد أبرز الجانب المادي في مدحه، فكأنه يصور الصحابة أنهم سعوا من خلال حروبهم إلى الثراء والسلطة، مما يؤكد لنا أن الدراسات الاستشراقية للتاريخ الإسلامي ترتكز على الجانب المادي، وتستهين بالجانب الروحي، مع السعي لتفسير أحداث التاريخ الإسلامي بالعامل الاقتصادي، وأن سر الفتوحات الإسلامية، بل ظهور الإسلام نفسه يفسر بالعامل الاقتصادي.كما اتهم بعض المستشرقين الخلفاء الراشدين باستحداث الأحكام الشرعية، وقد نقل عنهم ذلك الدكتور عجيل النشمي في

(١) اضمحلال الإمبروطورية الرومانية وسقوطها) (انظر: جيبون: إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، (ص:٣/ ٥١).

مقال له بعنوان: (الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين) قائلا: «يعطي المستشرقون للخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم دورا في بناء الفقه والتشريع الإسلامي، وهذا الدور انطلاقا من فكرتهم القديمة أن القرآن، ومصادر التشريع عامة ـــ تتخللها ثغرات، وفراغات تشريعية ـــ حسب زعمهم ـــ لابد من تصحيحها وملء فراغاتها. وقد ظهرت الحاجة لمثل ذلك لما بدأت الحياة الإسلامية تتشعب، ومتطلبات المجتمع المسلم تزداد، خصوصا بعد وفاة النبي ﷺ. ثم ضرب مثالا على ذلك من كلام المستشرق جولد تسيهر، نحو قوله: بناء على الحاجة الضرورية في الحياة العامة بدأ تطور الفقه الإسلامي مباشرة بعد وفاة النبي ﷺ وكان دور الخلفاء هو حل المشاكل الجديدة بآرائهم، أو بتأويل القرآن»(١)

كما اتهم المستشرق (جولد تسيهر) الخليفة أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما باستحداث الأحكام الشرعية من عند أنفسهم وباجتهاداتهم، دون أن يكون لهم سند من القرآن والسنة، فقال: «وفي الوقت نفسه لم يكن الخلفاء محرومين من الجهود التشريعية، ومن تغيير أحكام النبي ﷺ وربما صح تاريخيا ما تقوله الروايات من أن أبا بكر يحتذي حذو النبي ﷺ في هذا الأمر، بينما كان عمر أكثر ميلا إلى التعديل والتغيير»(٢)

وختم الدكتور الدكتور / عجيل النشمي مقاله بعد دراسته للمسائل الفقهية التي استدل بها (جولد تسيهر) وغيره من المستشرقين، أن النتيجة التي رتبها بعض المستشرقين غير منسجمة مع المقدمات التي ذكروها، وبين أن القسم الأكبر من المسائل التي يحملها، أو يظنها بعض المستشرقين عملا ترقيعيا وسدا للفراغات التشريعية من قبل الخلفاء، هو في حقيقة

---

(١) النشمي: الدكتور: عجيل جاسم، مجلة المنهل، مقال بعنوان: (الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين)،(ص: ٦٣)، العدد٤٧١ المجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ / ابريل ومايو١٩٨٩م والكاتب لم يشر إلى مصادره في النقل عن المستشرقين في هذا المقال.

(٢) النشمي: الدكتور: عجيل جاسم، مجلة المنهل، مقال بعنوان: (الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين)،(ص: ٦٣)، العدد٤٧١ المجلد ٥٠.

الأمر تطبيق للسياسة الشرعية التي يسوس بها الراعي رعيته في قضاياها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية(١).

وللرد على هؤلاء نقول وبالله التوفيق:

أولا: كثير من المستشرقين في أحكامهم يعتمدون على منهج (الحكم المسبق) فهم كما قال:ينطلقون من فكرة قديمة وهي:(أن القرآن ومصادر التشريع عامة تتخللها ثغرات، وفراغات تشريعية، لابد من تصحيحها، وملء فراغاتها.) فهم يضعون الفكرة مقدمًا، ثم يبحثون عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفة.وللأسف يستدلون لها من جميع ما يحضرهم من مصادر، سواء من كتب دينية، أو تاريخية، أو أدبية، أو فكاهية. فهم يحاولون جمع المعلومات التي تؤيد ما ذهبوا إليه حتى ولو لم يكن لها علاقة بالموضوع، وهذا مخالف لمنهج البحث العلمي الذي يحتم على الباحث أن يبدأ بحثه وهو خالي الذهن من الأحكام، ثم يصل إلى أحكامه من خلال الأدلة، والبراهين الواقعية.

ثانيا:اعتبر (جولد تسيهر) وغيره من المستشرقين أن الفقه الإسلامي متطور،والحقيقة أن تطور الفقه ليس على أساس منهج المستشرقين التطوري الذي بنوا عليه دراساتهم وفهمهم للدين الإسلامي، والذي يهدف إلى تعزيز فكرة مسبقة، وهي أن الرسالة ــ أو العقيدة الإسلامية ــ لا علاقة لها بالوحي الإلهي، بل هي فكرة بشرية تطورت في نفس الرسول ﷺ وأن التطور الشامل في حياة المجتمع الإسلامي أدى إلى وضع الحديث. والحقيقة أن التطور في الفقه الإسلامي قصد منه التدرج، والتوسع في الفقه من ناحية الاجتهادات الفقهية المبنية على أسس مصادر التشريع الإسلامي، حيث إن النبي ﷺ كان في حياته يعلم المسلمين أحكام عباداتهم، ويفتيهم، ويفسح لهم المجال للاجتهاد في فهم النصوص الشرعية؛ فربما أقرهم، وربما صوَّبَهُم، فاقتدى الناس بعد وفاته ﷺ بهديه وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، ثم انتشر الفقه المستمد من الكتاب أو السنة. كما دُوِّنت الأحاديث، وكثر طلابها، فلما كثر الخلاف ظهرت المذاهب الأربعة، وأصبح لكل مذهب كتب تحوي مسائله، وطرائق الاستنباط

---

(١) انظر: النشمي:د. عجيل جاسم، النشمي: الدكتور: عجيل، مجلة المنهل، مقال بعنوان: (الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين) العدد، ٤٧١ رمضان- شوال ١٤٠٩ ابريل- مايو ١٩٨٩،(من ص: ٦٤ ــ ٦٧)و لم يشر الكاتب إلى مصادره التي اعتمد عليها.

والاستدلال، والتطور الذي حصل في الفقه يرجع في الأساس إلى اجتهادات مبنية على أساس من القرآن والسنة؛ والاختلافات في الفروع الفقهية ترجع في معظمها إلى طريقة الاجتهاد بين الفقهاء، واختلاف أنظارهم في الدليل الواحد، وليس التطور في الفقه كما فهمه بعض المستشرقين.

ثالثا: لم يثبت عن الصحابة أنهم استحدثوا شيئا في الشريعة الإسلامية، ولم يثبت عنهم أنهم كانوا أكثر ميلا إلى التعديل والتغيير في الشرع الإسلامي، بل إن الصحابة نهوا عن القول بالرأي[(١)].

من ذلك:ذم أبي بكر القول بالرأي فيما روي عنه: «قال أبو بكرﷺ أي أرض تقلني! وأي سماء تظلني! إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم»[(٢)]

قال شاخت: «وبموت النبي ﷺ انتهى بالطبع التشريع الذي كان يقوم على التنزيل أو على حجة النبوة، وكان من الطبيعي أن يحاول الخلفاء الأول السير بالأمة الإسلامية على سنة منشئها، مسترشدين في ذلك برأي كبار صحابة الرسول، وكانت المبادئ التي استرشدوا بها هي ما ورد في الكتاب وماصح من أحكام الرسول فيما لم يرد له ذكر في الكتاب، ولما حاولوا بسط هذه المبادئ المحدودة نوعا ما، انتهى بهم الأمر إلى التوسع في تأويلها توسعا خرج بها عن معناها الأصلي، وربما كان سببا في ظهور أحاديث جديدة»[(٣)].

نقد النص:

بالنسبة إلى اتهام الخلفاء الراشدين بتأويل القرآن، والتوسع في القول بالرأي مما أدى إلى ظهور أحاديث جديدة ــ حسب زعمهم.

نقول وبالله التوفيق:

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي، إعلام الموقعين عن رب العالمين،(١ / ٥٧ ــ ٦٥)، تحقيق وضبط:عبد الرحمن الوكيل، فقد ضرب ابن قيم الجوزية العديد من الأمثلة للصحابة الذين نهوا عن القول بالرأي.

(٢) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي، إعلام الموقعين عن رب العالمين،(١ / ٥٧).

(٣) شاخت، يوسف، أصول الفقه (الكتاب الخامس من كتب دائرة المعارف)، ص: ٥٦، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٨١م.

إن من معاني التأويل عند السلف وجمهور المفسرين: التفسير، فالتأويل عندهم هو تفسير الكلام ـــ سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه ـــ، فالتأويل والتفسير عندهم مترادفان ومتقاربان، وهو اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم،[١] ومن ذلك دعاء النبي محمد ﷺ لابـــن عبـــاس:« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[٢]».

فالتأويل هنا بمعنى التفسير. روى البخاري من حديث أسامة بن زيد ﷺ أنه قـــال: يـــا رسول الله أين تنـــزل...الحديث. وفيه:

«فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: لا يرث المؤمن الكافر، قال ابن شهاب: وكانوا يتأولون قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الأنفال: ٧٢.

قال الحافظ ابن حجر: أي كانوا يفسرون قوله تعالى﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الأنفال: ٧٢ ،بولاية الميراث، أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وغيره»[٣].

فالتأويل هنا بمعنى التفسير، وهذا النوع من التأويل هو الذي قال به الصحابة، والصحابة رضوان الله عليهم لم يفسروا ويؤولوا بالمعنى الذي فهمه بعض المستشرقين.

فالصحابة لم يرد عنهم أنهم أولوا القرآن بالرأي وفق طريقة المخالفين. و لم يثبت عن أبي بكر الصديق أنه أول في القرآن الكريم، بل ثبت خلاف ذلك فقد ورد عـــن أبي بكـــر ﷺ عندما سئل عن الأب فقال: «أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله مـــا لم أعلم»[٤].

فدراسة بعض المستشرقين وأبحاثهم صورة لأفكارهم وعقائدهم المنكرة للعلوم الغيبيـــة المهتدية بالعقل وحده في تفسير بعض الأمور الشرعية، فلم يدركوا قدسية الأحاديث النبوية، وفهموا من تفسير الصحابة للغامض منها تأويلا، وهم يعتمدون في نقدهم هذا على المنـــهج

---

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(٣ / ٥٥ ـــ ٥٦)(الرسالة التدمرية).

(٢) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء،(ج١/٢٤٤ح(١٤٣)، ورواه الإمام أحمد في مسنده،(٤/ ٢٢٥)، ح (٢٣٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٢٥٨٩).

(٣) فتح الباري،(٣ / ٤٥٢)

(٤) فتح الباري ج٦/٢٩٦)

العقلي الشكي. ولا ريب أن المنهج العقلي الشكي الذي قدمه بعض المستشرقين هو منهج قاصر؛ لأنه من صنع قوم آخرين أقاموا نظرياتهم وفق مجتمعاتهم، في ظل ظروف اجتماعية مخالفة.

فبعض المستشرقين من هذا المنطلق هم أعداء السنة، حاولوا التشكيك في الصحابة،ونسبوا إليهم وضع الأحاديث، سعيًا منهم إلى نزع الثقة فيهم، وبالتالي إهدار جميع مروياتهم، وعدم اعتبار أي قيمة لكتب السنة التي أخرجت هذه الأحاديث، وأجمعت الأمة على تلقيها بالقبول، وهذا هو ما يريدون التوصل إليه.

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من أبي بكر الصديق ﷺ

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف به ﷺ

المطلب الثاني: التشكيك في تسمية أبي بكر ﷺ (عتيقا)

المطلب الثالث: صلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بصاحبه أبي بكر ﷺ

المطلب الرابع: التقليل من شهرة أبي بكر ﷺ

المطلب الخامس: التشكيك في أسبقية إسلام أبي بكر ﷺ

المطلب السادس: وصف حياة أبي بكر ﷺ بالسذاجة.

المطلب السابع: موقف بعض المستشرقين من مبايعة أبي بكر ﷺ بالخلافة.

المطلب الثامن: إسقاط المنهج المادي على الجهاد في عصر الخليفة أبي بكر ﷺ

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من أبي بكر الصديق ﷺ

المطلب الأول :التعريف به ﷺ:

هو: «عبد الله بن أبي قحافة، واسمه: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأمه أم الخير سلمى بنت عامر ين كعب ابن سعد بن تيم بن مرة،وكان لأبي بكر من الولد: عبد الله،وأسماء ذات النطاقين...وعبد الرحمن وعائشة. ومحمد»(١).

و لم يختلف العلماء في أنه ولد بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدة التي كانت بعد عام الفيل، قال الطبري: «أنه ولد بعد عام الفيل بثلاث سنين»(٢).

و «كانت وفاة الصديق ﷺ في يوم الاثنين عشية،وقيل: بعد المغرب، ودفن في ليلته،وذلك لثمان بَقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، بعد مرض خمسةعشر يوما»(٣).

ومن مواقف المستشرقين من أبي بكر الصديق:

المطلب الثاني:التشكيك في تسمية أبي بكر (عتيقا):

فسر المستشرق (مونتجومري وات) تسمية أبي بكر الصديق ﷺ (عتيق) بالعبد المعتق، فقال:

«وكما عرف بأبي بكر، عرف بعبد الله، وعتيق (العبد المعتق)»(٤).

وهذا التفسير لم يقل به أحد، بل الثابت أن عتيقًا نسبة إلى عتقه من النار.

وهذا هو الثابت في سبب تسميته بهذا المسمى كما ورد ذلك عن النبي محمد ﷺ ، فقد جاء عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: «كان اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان فقال له النبي ﷺ أنت عتيق الله من النار فسمي عتيقا»(١).

---

(١) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ١٥٥)، تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٣ / ٤٢٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر ٧٠١ ــ ٧٧٤هــ، البداية والنهاية،(٩ / ٥٧٤)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٤٢٩)، مادة أبو بكر، طبعة الشعب.

و: «عن عائشة أنها سئلت. لم سمي أبو بكر عتيقا؟فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: هذا عتيق الله من النار»(٢).

ومن وقاحة هذا المستشرق بعد أن قدم معنى (عتيق) حسب مفهومه الخاص تدارك الأمر، وقال: «وإلى محمد ﷺ فيما يبدو يعزى تلقيبه بعتيق»(٣).

فهذا المستشرق يعرف المعنى الصحيح لسبب التسمية، ولكنه يشكك في ذلك ويستخدم صيغة التضعيف (فيما يبدوا) بعد أن قدم فهمه السيئ لمعنى (عتيق) نجده يتدارك الدليل النبوي، ويقدمه بصيغة تضعيف، من باب التقليل من شأن الصحابة رضوان الله عنهم.

المطلب الثالث: صلة النبي محمد ﷺ بصاحبه أبي بكر الصديق:

حاول بعض المستشرقين في كتاباتهم ربط الصلة بين النبي محمد ﷺ وبين أبي بكر الصديق ﷺ من أجل محاولة إثبات أثر أبي بكر الصديق على شخصية النبي محمد ﷺ

نحو ما ذكره المستشرق(بيلياييف ١٨٩٥ ـــ ١٩٦٤(٤)) قوله: «وواقع الحال أن الائتلاف الذي جمع بين محمد وأبي بكر وعمر كان ائتلافا قويا، بسط سلطته ونفوذه في المجتمع الإسلامي الأول في المدينة»(٥).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم ـــ رضي الله لهم أجمعين،ب اب ذكر السبب الذي من أجله سمي أبي بكر عتيقا،(ج١٥/٢٧٩)، ح (٦٨٦٤)، وجود اسناده الألباني في الصحيحية ح(١٥٧٤).

(٢) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ١٥٦)، تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٤٢٩)، مادة أبو بكر، طبعة الشعب.

(٤) مستشرق روسي تخصص في تاريخ الإسلام، تخرج من معهد موسكو للدراسات الشرقية سنة ١٩٢٢م، من مؤلفاته: الفرق الإسلامية، العرب والإسلام والخلافة العربية في العصر الوسيط، ألقى في مؤتمر المستشرقين المنعقد في كمبردج سنة ١٩٥٤بحثا عن النبي محمد ﷺ والقرآن، فهاجم كليهما هجوما شديدا. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص:١٣٢).

(٥) بلياييف: ي:أ: العرب والإسلام والخلافة العربية،(ص: ١٥٤ ـــ ١٥٥)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة، راجعه وقدم له: الدكتورمحمود زايد، ط١، نشر الدار المتحدة للنشر، بيروت ـــ لبنان ١٩٧٣م.

كما وصف المستشرق بودلي أبا بكر الصديق بالذكاء، لكنه لم يلبث أن انتقص من قدره فقال: «وكان سريع الخاطر ذكيا، ومع أنه كانت تنقصه حماسة محمد العاطفية، كان أعظم منه شخصية في بعض النواحي»[(١)].

فمن خلال هذه النصوص ـــ السابقة الذكر ـــ نرى محاولة إبراز دور أبي بكر الصديق ﷺ وأثره على النبي محمد ﷺ.

أما المستشرق (بول) فقد وقف من أبي بكر الصديق ﷺ موقف محايدًا معترفا بفضله ومكانته، حيث يمكن اعتباره منصفا من خلال ما ذكره، لكنه لم يلبث أن بدأ يسلط الضوء على فضل أبي بكر الصديق ﷺ ودوره في ضبط سلوك النبي محمد ﷺ حيث إنه كان يمنعه من الاندفاع في الأمور.فقد كتب المستشرق (بول F.Buhl) عنه أنه قال: «بفضل صداقته الوثيقة للنبي، وبفضل خصاله الحميدة التي جعلت منه شخصية من أهم الشخصيات في صدر الإسلام. وكان من أخص صفاته ذلك الإيمان القوي الذي لا يتزعزع بأن محمدا هو الرسول الذي اختاره الله لإبلاغ رسالته. وهذا الإيمان جعله يأخذ كل كلمة من كلمات الرسول على أنها حقيقة مطلقة. وظل أبو بكر ثابت الإيمان حتى في الأحوال الكثيرة التي كان الناس فيها يشكّون في أقوال النبي، كما في حديثه عن الإسراء. أو عندما حار الناس في تعليل مسلك النبي كما في صلح الحديبية. وكان أبو بكر فياض الشعور، فقد كان يبكي عندما يتلو القرآن، الأمر الذي كان يؤثر في الكثيرين،وخاصة في النساء. وروت ابنته أنه بكى من الفرح عندما بلغه أنه سيصحب النبي في هجرته، وكان إلى جانب ذلك سليم الطوية مخلصا، استطاع في كثير من الأوقات بفضل سداد رأيه أن يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور»[(٢)].

لا شك أن أبا بكر ﷺ من أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ وأعظمهم مترلة عنده، ولكن هذا لا يعني أنه حال بين النبي محمد ﷺ وبين الاندفاع في بعض الأمور! ثم كيف يوصف النبي بهذا الوصف فلم يثبت أن الاندفاع صفة من صفاته بل شهد له بحسن الأخلاق

---

(١) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد،(ص: ٥٥)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٣١٢)، مادة أبو بكر كتبها المستشرق (بول F.Buhl) (الدائرة الأولى)

والروية والحلم والسيرة النبوية تشهد بذلك، وعموما فقد ثبت اعتزاز الرسول بصاحبه وتقديره له وهذا من باب محبة الرسول لصاحبه أبو بكر لا كما فهم هذا المستشرق؟!

روي عن أبي سعيد الخدري قال:خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبك، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر»(١).

ولقد سجل له القرآن الكريم شرف الصحبة مع رسول الله ﷺ أثناء الهجرة إلى المدينة النبوية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠.

المطلب الرابع:التقليل من شهرة أبي بكر رضي الله عنه:

أما المستشرق (بودلي) فقد شكك في شهرته حيث قال:

«كان أبو بكر من الذين يثقون بعقولهم، ولو أن اسمه غير معروف خارج نطاق دارسي الإسلام، لقد كان صادق الإيمان، فقبل تعاليم الإسلام، وطبق أوامره تطبيقا حرفيا»(٢).

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الذين يثقون بعقولهم من المسلمين، فهو صاحب رسول الله ﷺ ولرأيه مكانة عند رسول الله ﷺ،وكان صادق الإيمان؛لذا لقبه الرسول محمد ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد ج١ /٥٥٨، ح (٤٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر،(ج٤/١٨٥٤ح(٢٣٨٢).

(٢) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد،(ص: ٦٨)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار، نشر مكتبة مصر.

بالصديق، وقد شهد على ذلك بعض المستشرقين، فقد قال المستشرق مونتجومري وات: «ولقد عرف بعد بالصديق، أي الذي لا يقول إلا الصدق، المستقيم، أو الذي لا يعتد إلا بالحق، وهذا المعنى الأخير مستمد من الخبر القائل بأنه هو وحده صدق لتوه قصة محمد عن الإسراء به ليلا»(١).

ومن الطبيعي أن غير المسلمين لا يعرفون شخصية أبي بكر، ولا يلزمهم ذلك، كما أن المسلم لا يهمه معرفة أعلام شخصياتهم الدينية البارزة وأصحابهم. وهذا النقد في غير محله، لا يقصد به إلا التقليل من شخصية فذة مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الخامس :التشكيك في أسبقية إسلام أبي بكر ﷺ:

شكك المستشرق (مونتجومري وات) في أسبقية إسلام أبي بكر الصديق بقوله: «وتقول بعض الأخبار إنه كان أول مسلم ذكر بعد محمد»(٢).

فقد استخدم صيغة التضعيف بقوله: (وتقول بعض الأخبار) ولكنه أكد شكه فيما كتبه في مؤلفه:(محمد في مكة) بقوله: «وربما كان زيد بن حارثة هو الأجدر باعتباره أول مسلم ذكر، لأنه كان عبدا حرره محمد، وكانت صلتهما متينة، غير أن حقارة أصله تعني أن إسلامه لم يكن له نفس مغزى إسلام أبي بكر»(٣).

ومن المستشرقين الذين شككوا في أسبقية إسلام أبي بكر قول المستشرق (بول F.Buhl) عن أبي بكر الصديق: «وكان من أوائل من أجابوا دعوته. ولكن ما يؤكده البعض من أنه كان أول من أسلم من الرجال أمر مشكوك فيه»(٤).

الرد على خلاف بعض المستشرقين حول مسألة أسبقية الإسلام من الرجال:

لقد انتقى (مونتجومري وات) من تاريخ الطبري روايته حسب منهج بعض المستشرقين الانتقائي، فكتب عن أول من أسلم من الصحابة، فقال:

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٤٢٩)، مادة أبو بكر، طبعة الشعب.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٤٢٩)، مادة أبو بكر، طبعة الشعب.

(٣) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ١٤٥)، تعريب: شعبان بركات.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٣١١)، مادة أبو بكر. (الدائرة الأولى).

«ولقد كان بين يدي الطبري عدد كبير من المصادر، وهو يترك للقارئ أمر الاختيار بين ثلاثة أشخاص: علي، وأبو بكر، وزيد بن حارثة...وليس أبو بكر بأقل جدارة من علي، ولكن بمعنى آخر، وهو أنه كان أعظم المسلمين شأنا أيام قضية الحبشة بعد محمد، ويبدو دوره الكبير الذي قام به فيما بعد في الروايات الأولى»[١].

والمسألة فيها خلاف حول أسبقية أول من أسلم من الرجال بين أبو بكر بن الصديق، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وبلال بن رباح ﷺ وأرضاه[٢].

والثابت أن أول من أسلم من الرجال:أبي بكر الصديق[٣]رضي الله عنه.

وقد فصل المسألة أبو عمرو بن الصلاح بقوله: «الأورع أن يقال:أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم»[٤].

المطلب السادس:وصف حياة أبي بكر ﷺ بالسذاجة:

يقول الدكتور فيلب حتي (D. Philp Hiti): «عاش أبو بكر ﷺ قاهر المرتدين، وموحد الجزيرة تحت راية الإسلام، حياة ساذجة بسيطة ملؤها الوقار، وفي الأشهر الستة الأولى من

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ١٤٥)، تعريب: شعبان بركات.

(٢) انظر: ابن الصلاح: ابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لشيخ الإسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي تـ ٨٠٦هـ وتعليقاته على الذيل،(من ص: ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، فقد تناول أقوال أول من أسلم ونسبتها إلى قائليها، ناشر الكتابين: محمد راغب الطباخ الحلبي سماهما (المصباح على مقدمة ابن الصلاح) ط١، المطبعة العلمية بحلب ـ ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

(٣) انظر سنن الترمذي أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ ح (٤٨١٧)، وسنن البيهقي، في كتاب قسم الفيء والغنيمة باب إعطاء الفيء على الديون ومن يقع به البداية ح(١٢٨٧٢)، ومصنف بن أبي شيبة في كتاب الأوائل (١/ ٣٤) .

(٤) ابن الصلاح: ابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لشيخ الإسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي وتعليقاته على الذيل، (ص: ٢٦٦).

خلافته القصيرة، كان يغدوا كل يوم من السنح[(١)] حيث قطن وزوجه حبيبة في بيت وضيع، إلي عاصمته،[(٢)] ولم يكن يتقاضى راتبًا، لأنه لم يكن للدولة إذ ذاك دخل يستحق الذكر، وكان يدير جميع شؤون الدولة في صحن المسجد النبوي»[(٣)].

وصف الدكتور فيلب حتي حياة أبي بكر الصديق بالسذاجة والساذج في كتب اللغة كلمة معربة بمعنى سادة. جاء في لسان العرب قوله: " حُجَّةٌ ساذِجَةٌ وساذَجَةٌ – بكسر الذال وفتحها – غيرُ بالغة. قال ابن سيدَه :أُراها غير عربيّة، إنما يستعملها أَهلُ الكلام فيما ليس ببُرْهَان قاطعٍ، وقد تستعمل في غيرِ الكلامِ والبُرهان وعسى أَن يكون أَصلها ساذَه فعُرِّبت كما اعْتِيدَ مثلُ هذا في نَظِيرِه من الكلامِ الْمُعَرّب. انتهى، قلت: ومثله في الْمُحْكَم.[(٤)] "

فإن قصد هذا المستشرق وصف حياة أبي بكر ﷺ بأنه السيد البسيط فلا بأس، وهذا متعارف عليه بين الصحابة حيث عاشوا حياة بسيطة وهم سادة بين قومهم.

وهذا هو الوصف الأقرب عكس مايتبادر إلى الذهن من أن السذاجة نقص في العقل بدليل أنه قال : (حياة ساذجة بسيطة ملؤها الوقار) فقدجمع بين السيادة والوقار في جملة واحدة، وهذا مانتمناه وفيه دلالة على صحة الوصف فإن تحقق قصده فهذا انصاف منه.

ولو قصد غير ذلك فوصف حياة أبي بكر بالسذاجة بالمعنى الآخر كما يستعملها أهل الكلام فيما ليس ببرهان قاطع بمعنى نقص في العقل فقد جمع بين الاطر اء والذم في آن واحد. وهذا المنهج قد اتبعه بعض المستشرقين في كتاباتهم ويسمى (منهج البناء والهدم أو منهج التمجيد) .

---

(١) قال ابن منظور: في لسان العرب، مادة سنح:" وفي حديث أَبي بكر: كان منزلُه بالسُّنُح، بضم السين، قيل: هو موضع بعوالي المدينة في منازل بني الحرث بن الخَزْرَج.(ابن منظور،لسان العرب، مادة سنح، المجلد الثالث، الجزء الرابع والعشرون،(ص: ٢١١٣).

(٢) المدينة النبوية.

(٣) حتي: فيليب، العرب تاريخ موجز،(ص: ٧٧ ــ ٧٨)، ط٥، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

(٤) ابن منظور،لسان العرب، مادة سذج،ص: ١٤٣٢ ،وانظر: الزبيدي: المرتضى، تاج العروس، (ص: ١٤٣١) (سذج)

المطلب السابع:موقف بعض المستشرقين من مبايعة أبي بكر الصديق ﷺ بالخلافة:

عرف ابن خلدون البيعة بقوله: «هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، وفي أمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره»(١).

وقد حث الشارع على البيعة لولي الأمر، قال الرسول ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٢).

وقد بايع الصحابة أبي بكر الصديق ﷺ وتم استخلاف أبي بكر الصديق ﷺ على المسلمين، فكان أول الخلفاء الراشدين ﷺ روى البخاري: «عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ:أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل: يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا ميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر: ٣٠.وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ آل عمران: ١٤٤.

فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس،

---

(١) ابن خلدون: عبد الرحمن،مقدمة ابن خلدون، (الفصل التاسع والعشرونفي معنى البيعة)(١ / ٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين،(ج٣/١٤٧٨،ح(١٨٥١).

فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزارء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعدا، فقال عمر: قتله الله»[(١)].

قال ابن حجر: «فقول قائل: قتلتم سعد بن عبادة.أي: كدتم تقتلونه،وقيل هو كناية عن الإعراض والخذلان،ويرده ما وقع في رواية موسى بن عقبه بن أبي شهاب: فقال قائل من الأنصار: أبقوا سعد بن عبادة لا تطئوه،فقال عمر: اقتلوه قتله الله.نعم لم يرد عمر بقتله حقيقة، وأما قوله (قتله الله) فهو دعاء عليه، وعلى الأول هو إخباره عن إهماله والإعراض عنه»[(٢)].

فلم يثبت عن سعد بن عبادة أنه كان يريد أن يحي العصبية الجاهلية في السقيفة لكي يحصل على منصب الخلافة، كما أنه لم يثبت ولم يصح ما ورد في بعض المراجع من أنه بعد بيعة أبي بكر ـــ كان لا يصلي بصلاقم، ولا يفيض في الحج بإفاضتهم، كأنما انفصل سعد بن عبادة ﷺ عن جماعة المسلمين، وشرع لنفسه صلاة خاصة،[(٣)] فهذا باطل، ومحض افتراء، فقد ثبت من خلال الروايات الصحيحة أن سعدًا بايع أبا بكر، فعندما تكلم أبو بكر يوم السقيفة، فذكر فضل الأنصار وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس واديًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار[(٤)].

ثم ذكرّ سعد بن عبادة بقول فصل وحجة لا ترد فقال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة، لو كنت متخذا خليلا ج١٩/٧-٢٠، ح (٣٦٦٨).

(٢) ابن حجر: أحمد بن علي، فتح الباري،(ج ٧ / ٣٢)

(٣) انظر:البهنساوى: سالم، الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية،(ص: ٤٩)، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ـــ ١٤١٢هـــ / ١٩٩١م.

(٤) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب التمني، باب ما يجوز في اللو،(ج ١٣/ ٢٢٥)، ح (٧٢٤٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم،(ج٢/٧٣٥ح(١٠٥٩) .

قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء،[(١)] فتتابع القوم على البيعة. وبايع سعد، وبهذا تثبت بيعة سعد بن عبادة، وبها يتحقق إجماع الأنصار على بيعة الخليفة أبي بكر، ومن ثم لا يجوز الطعن في سعد بن عبادة، واتهامه بأنه شق عصا الطاعة، من خلال ما ينسب إليه من قول: «الواقدي: حدثنا محمد بن صالح، عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي، أن الصديق بعث إلى سعد بن عبادة: أقبل فبايع، فقد بايع الناس. فقال: لا والله! لاأبايعكم حتى أقاتلكم بمن معي. فقال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله! إنه قد أبى ولجَّ، فليس يبايعكم حتى يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، فلا تحركوه مااستقام لكم الأمر، وإنما هو رجل وحده ماترك. فتركه أبو بكر.فلما ولي عمر، لقيه فقال: إيه يا سعد! فقال: إيه يا عمر!فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال نعم.وقد أفضى إليك هذا الأمر، وكان صاحبك والله أحب إلينا منك، وقد أصبحت كارها لجوارك. قال من كره ذلك، تحول عنه.فلم يلبث إلا قليلا حتى انتقل إلى الشام فمات بحوران»[(٢)].

جاء في حاشية كتاب السير:

«أي في غاية الضعف لأن الواقدي متروك[(٣)]، ومحمد بن صالح بن دينار التمار صدوق يخطئ،[(٤)] والزبير بن المنذر مستور»[(٥)].

وللأسف نجد بعض المستشرقين يتصيد بعض الروايات الضعيفة، ويبثها على أنها حقيقة؛ لتصوير الصحابة بالتناحر والشقاق طمعا في السلطة، حتى يتوهم من يقرأ كتبهم بتوتر

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي بكر الصديق،(ج١ / ١٩٨-١٩٩،ح(١٨) وصححه الألباني في الصحيحة ح(١١٥٦).

(٢) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ ــ ١٣٧٤م،سير أعلام النبلاء،(١ / ٢٧٦ ــ ٢٧٧)، أشرف على تحقيق الكتاب: وخرج أحاديثه شعيب الأرنوؤط، حقق هذا الجزء حسين الأسد، ط٣، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٢ (السير) ص: ٢٤١)

(٤) انظر: العسقلاني: الحافظ أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢هـ، تقريب التهذيب،(٢/ ٨٧)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادرعطا، طبعة مقابلة على نسخة بخط المؤلف وعلى تهذيب التهذيب وتهذيب الكمال الجزء الأول، ط٢،دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(١ / ٢٧٧)(حاشية رقم ٢).

العلاقة بين الصحابة، من أجل المصالح الدنيوية، حتى يسهل على أولئك المستشرقين الحاقدين تقبل مفترياتهم على صحابة رسول الله ﷺ.

قال المستشرق (زترستين K. V. Zettersteen ـ ١٨٦٦/ ١٩٣٥)[١] فيما كتبه عن سعد بن عبادة ﷺ: «لا عجب إذا رأينا أنه كان من المرشحين لخلافة النبي ﷺ وما إن تواترت الأنباء في المدينة بوفاة محمد ﷺ حتى اجتمعت الأوس والخزرج، وخطب سعد في جموعهم، ورشح للخلافة رجلا من الأنصار. ومالت غالبية الحاضرين إلى مبايعته على الفور، على أن بعض المسلمين الآخرين ظهروا في الميدان، وخاصة أبو بكر وعمر، وتداول المجتمعون في الأمر وحمى وطيس مناقشاهم مما هدد باندلاع لهيب الفتنة، غير أن أبا بكر بويع بالخلافة، وعندئذ اعتزل سعد الحياة العامة ثم شخص إلى حوران حيث توفي بعد مبايعة عمر بسنتين ونصف سنة أي حوالي سنة ١٥ للهجرة»[٢].

وقال المستشرق (دومنيك سورديل): «خلال الاجتماع الصاخب الذي عقد عشية الثامن من حزيران (يونيو) لعام ١١/ ٦٣٢، في دار إحدى أهم عشائر المدينة، استطاع أبو بكر رفيق الهجرة ووالد إحدى نساء النبي من الفوز على منافسيه بعد مناقشات مطولة ومكايد ومناورات أدانها التقليد الديني اللاحق، ومن ذلك الحين أصبح (خليفة رسول الله) أي أول هؤلاء الخلفاء الذين سيجدون أنفسهم بعد قليل على رأس أمبراطورية مترامية الأطراف، والذين اضطروا أولا إلى مواجهة المصاعب الناجمة عن وضع زادته تفاقما بعد وفاة محمد المفاجئة»[٣].

---

(١) زترستين K. V. Zettersteen:مستشرق سويدي حصل على الدكتوراه ١٨٩٥م برسالة هي نشرة لنبذة من ألفية ابن عبد المعطي،وهي أسبق من ألفية ابن مالك،واشترك في تحقيق قسم من (طبقات ابن سعد) وهو الجزء الخامس، وحقق كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) وأسهم في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الأولى بالكثير من المواد التي تتناول الخلفاء والولاة وسائر الشخصيات السياسية البارزة في التاريخ الإسلامي.

انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٣٢٨ ــ ٣٢٩).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١١ / ٤٠٧ ــ ٤٠٨)(مادة سعد بن عبادة) الدائرة الأولى، موجز دائرة المعارف، (١٨ / ٥٦٤٧).مادة سعد بن عبادة.

(٣) سورديل: دومنيك وجانين، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي،(٣١/١)، ترجمة: حسني زينة، ط١، نشر دار الحقيقة، بيروت ــ لبنان ١٩٨٠م.

وقال (كارل بروكلمان): «لم يلبث أصحاب محمد السابقون أن وفقوا إلى إقناع الناس بالاعتراف بأبي بكر ــ والد عائشة زوج النبي، وكان يتمتع مع عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح بنفوذ كبير عند محمد ــ خليفة له، فلم يعد في وسع الأنصار إلا أن يبايعوا الأمير الجديد»(١).

إن هؤلاء المستشرقون يظنون أن أبا بكر ﷺ سعى للحصول على الخلافة طمعا فيها، وحاولوا إبراز دور سعد بن عبادة بالمغلوب على أمره، مع العلم أن أبا بكر الصديق ﷺ ثبت له الخلافة من خلال بعض المواقف في حياة الرسول محمد ﷺ كما أنه لم يخطط للحصول عليها، وهي حق ثابت له،وعلينا الإيمان بذلك.

قال الطحاوي: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة»(٢).

فلم يثبت حرص أبي بكر ﷺ على الخلافة بل كان زاهدا فيها، ولقد ظهر زهد أبي بكر في الإمارة في خطبته التي اعتذر فيها من قبول الخلافة حيث قال: «والله ما كنت حريصًا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبًا ولا سألتها الله ﷻ في سرّ وعلانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرًا عظيمًا مالي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم فقبل منه المهاجرون ما قال واعتذر به.

قال علي ﷺ والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ: إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين،وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي. قال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»(٣).

---

(١) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، (ص: ٨٣ ــ ٨٤).

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ٤٨٠)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين،(ج ٣ / ٧٠)، ح (٤٤٢٢)، والبيهقي في الكبرى ج٨/١٥٢ح(١٦٣٦).

من هذا المنطلق لم يسع أبو بكر للخلافة كما يظن بعض المستشرقون، ولم يحاول أن يختار لنفسه لقب خليفة رسول الله إلا بعد أن تم اختياره ومبايعته.

قال المستشرق هربرت جوتشالك (Gotschalk) في كتابه: (الإسلام قوة عالمية متحركة): «كانت مهمة أبي بكر صعبة جدا، لأنه سيسوس شعبا دون أن تكون له صفة النبوة، التي لها تأثير كبير في نفوس الرعية مما يساعد في سياستها، فقد كان محمد آخر الأنبياء، ولم تكن مهمته قيادة دينية فقط، بل كان مسؤولا في جميع مجالات الحياة: دينية كانت، أو سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، أو قضائية، فاختار لنفسه لقب (خليفة) ولا يقصد به خليفة الله، كما كان معروفا لدى بعض الشعوب آنذاك، بل خليفة رسول الله ﷺ»[1]

والصحيح أنه لم ترد أدلة صريحة بتحديد خليفة المسلمين بعد النبي محمد ﷺ ولكن وردت أدلة فيها إشارة بخلافة أبي بكر الصديق ﷺ نحو الصلاة بالناس حال مرض الرسول ﷺ ، ففيه إشارة إلى أنه خليفة رسول الله، وشاهد ذلك من كلام بعض المستشرقين أنفسهم قول المستشرق (بودلي) معلقا على تكليف النبي محمد ﷺ لأبي بكر الصديق بالصلاة بالناس وقت مرضه ﷺ: «كان من الواضح أن هذا ما يرمي إليه، فإنه في حالة وجوده ما كان أحد يقوم بذلك، وإنه اليوم ليستطيع أن يأمر عمر، أو عثمان، أو عليا لينوب عنه، إن محمدا أشار بوضوح إلى أنه كان يعني أن يكون الرجل الذي شاركه في السراء والضراء منذ بدأ الإسلام خليفة للمسلمين من بعده، بأن اختار الصاحب الصديق ليؤم الناس وحده، وباختيار عائشة لتمرضه، ودارها لتكون دار مرضه»[2].

ففي هذا القول إنصاف ودليل على اختيار أبي بكر ﷺ خليفة للرسول بعد موته. وهذا خلاف ما عليه بعض المستشرقين.

أما المستشرق (فلهاوزن)[3] فقد اعتبر خلافة أبي بكر الصديق اغتصابًا لحق الغير ومؤامرة مدبرة، قال المستشرق فلهاوزن: «وكان أبو بكر وعمر يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل

---

(١) شامة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٨٣).

(٢) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد، (ص: ٣٢٧)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

(٣) (يوليوس فيلهاوزن Jullius Wellhausen) ١٨٤٤ - ١٩١٨ م)مؤرخ لليهودية وصدر الإسلام،تخصَّص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، من أبرز إنتاجه: في تاريخ اليهود ونقد الكتاب المقدس، نقد =

حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثوبا شرعيا إلا فيما بعد»[١].

أما المستشرق (إميل در منغم) فقد فهم أن خلافة صاحبي رسول الله ﷺ عــن كيــد وتدبير. قال المستشرق (إميل در منغم): «وهل كان أبو بكر وعمر يتطلعــان إلى خلافــة صهرهما النبي؟ لقد قيل إنهما كانا متفقين مع أبي عبيدة على نيل خلافته بالتناوب بعد وفاته، فوُفِّقوا لذلك، وكان لأبي بكر وعمر بابنتيهما عائشة وحفصة المعين على موازنة نفوذ فاطمة وعلي»[٢].

هذه النصوص التي تدين خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ بالطمع بالخلافة باطلــة في الجملة، وجل المستشرقين ممن ينظرون هذه النظرة المادية، لا دليل لهم سوى تشويه سمعة الصحابة رضوان الله عنهم.

قال ابن تيمية: «والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بــذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة

الأناجيل، تحقيق تاريخ الطبري. وألَّف كتابًا بعنوان (الإمبراطورية العربية وسقوطها) ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه (الأحزاب المعارضة في الإسلام) وكتابه (الخوارج والشيعة) وكتب عن الرسول ﷺ في كتابه (تنظيم محمد للجماعة في المدينة) وكتابه (محمد والسفارات التي وجهت إليه(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(من ص: ٤٠٨ ـــ ٤١٠، وانظر: العقيق: نجيب، المستشرقون،(٢/ ٧٢٤).

(١) فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،(ص: ٣٤)، ترجمة الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة، نشر لجنة التأليف والنشر ـــ القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) درمنغم: إميل،حياة محمد،(ص: ٢٨٣)، نقله إلى العربية: محمد عادل زعيتر، ط بدون، نشر: دار إحياء الكتب العربية بدون ذكر سنة الطبع.

أبي بكر ﷺ ، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه النبي ﷺ بيانا قاطعا للعذر، لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك، حصل المقصود»[(١)].

المطلب الثامن :إسقاط المنهج المادي على الجهاد في عصر الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ:

قال المستشرق هربرت جوتشالك (Gotschalk) في كتابه: (الإسلام قوة عالمية متحركة): «يرى المحللون أن الأسباب التي دفعت الشعب العربي إلى القتال خارج الجزيرة العربية، يمكن أن تنحصر بعد تولي أبي بكر الخلافة في سببين: الأول: التزامهم بتنفيذ ماعزم عليه محمد ﷺ من تجريد حملة ضد الدولة البيزنطية، وهي الحملة التي كانت بقيادة أسامة بن زيد.الثاني: رغبة الجماهير الفقيرة في اجتياح منطقة البحر الأبيض المتوسط الغنية بثرواتها. وكان هذا الغرض كامنا في نفوس العرب من قبل الإسلام»[(٢)].

الهدف من الجهاد في سبيل الله تعالى: رفع راية الإسلام، وهداية الناس إلى الله، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله، والأصل في ذلك أن يبلّغ الناس هذه الدعوة بالوسائل الممكنة ويشرح لهم محاسن الإسلام، ووجوب الدعوة إلى الإسلام في حق من لم تبلغهم قبل القتال، لأنهم حينئذ لا يدرون على ماذا يقاتلون؟ وقد يفسرون مقاتلهم أنها من أجل نهب أموالهم ونحو ذلك، وإقامة الحجة واجبة، قال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ سورة الإسراء/ ١٥.

وكان المسلمون لا يقاتلون إلا بعد الدعوة للإسلام،لكن بعض المستشرقين فسر الجهاد في سبيل الله بالطمع في ثروات البلاد المفتوحة.

فهم يركزون على إبراز الجانب المادي في غزوات المسلمين لنشر الدين الإسلامي، وذلك لأنهم درسوا الإسلام وفق حكم مسبق، وهو: أن الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام كان الهدف منه:هو الحصول على الغنائم والثروات، فأخذوا يفسرون جميع الغزوات بالعامل

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية،(١ / ٥١٦ ــ ٥١٧)، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم.

(٢) شامة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٨٤).

الاقتصادي البحت، وما ذلك إلا نتيجة إيمانهم بالمحسوس، وجهلهم بالعالم الغيبي الذي يخفى عن العقل إدراكه، فلا يؤمنون باليوم الآخر، وما أعده الله للمجاهدين في سبيل الله.

المبحث الثالث

موقف بعض المستشرقين من عمر بن الخطاب ﷺ

وفيه مطالب:

المطلب الأول:التعريف به ﷺ

المطلب الثاني: خلافة عمر بن الخطاب ﷺ

المطلب الثالث:صفات عمر بن الخطاب في نظر بعض المستشرقين ﷺ

المطلب الرابع: موقف عمر بن الخطاب من رواية الحديث ﷺ

المبحث الثالث

موقف بعض المستشرقين من عمر بن الخطاب ﷺ

المطلب الأول :التعريف به ﷺ:

هو: ((أبو حفص عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رَزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي،أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وقيل: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأةوعمر أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله ﷺ))(١).

قال ابن سعد عن عمر بن الخطاب إنه: ((أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول، سنة ست عشرة، فكتبه من هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة،وهو أول من جمع القرآن في الصحف))(٢).

و ((طعن عمر ﷺ يوم الأربعاء،لأربع ليال بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر،وواحد وعشرين يوما...وقيل غير ذلك في مدة خلافته وتاريخ الطعن والوفاة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور))(٣).

المطلب الثاني :خلافة عمر بن الخطاب ﷺ:

شكك المستشرق (ليفي دلا فيدا) في تولي عمر بن الخطاب الخلافة بعد أبي بكر الصديق ﷺ عندما أثار سؤاله فيما كتبه عن عمر بن الخطاب بقوله:

---

(١) النووي: محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات،(٢ / ٣ ــ ٤)،(ترجمة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه:إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

(٢) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٢٦٢)(الطبقة الأولى في البدريين من الأنصار والمهاجرين)،تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٣) النووي: محيي الدين بن شرف،تهذيب الأسماء واللغات،(٢ / ١٣ ــ ١٤)،(ترجمة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين).

«فقد كان لابن الخطاب دور مهم في أثناء حياة الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر. وهنا يثور سؤال: هل عهد أبوبكر لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده؟ هذه مسألة ثار حولها نقاش بين علماء المسلمين، وعلى أية حال فقد تلقى عمر البيعة من كبار الصحابة، وعامة المسلمين، بعد أن كان أمر توليه الخلافة قد استقر بالفعل»[(١)].

والصحيح أن خلافة عمر بن الخطاب ﵁ ثابتة كما دلت على ذلك النصوص، قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم، رأيتني على قليب عليها دلو، فترعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فترع بها ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربا، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس يترع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن»[(٢)].

ففي هذا الحديث إشارة إلى خلافة أبي بكر ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولما التحق ﷺ بالرفيق الأعلى خلفه أبو بكر ﵁ على الأمة سنتين وأشهرًا وهو المراد بقوله ﷺ: (ذنوبًا أو ذنوبين) .

وليس لهذا المستشرق وأمثاله التشكيك في تاريخ الصحابة؛ لكثرة الآثار والأخبار الدالة على صدق بيعة عمر ﵁.

فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث السنة الثالثة عشرة أن أبا بكر في مرضه قد عقد الخلافة من بعده لعمر ابن الخطاب ﵁[(٣)].

كذلك ذكر ابن سعد قصة استخلاف عمر ﵁[(٤)].وغير ذلك من المؤرخين الذين كتبوا عن خلافة الفاروق ﵁.والمشهور من الروايات الصحيحة المستفيضة ثبوت خلافة عمر بن الخطاب ﵁.

---

(١) موجز دائرة المعارف، (٢٤ / ٧٥٠٠) مادة: عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة، باب: لوكنت متخذا خليلا. ج٧ /٢٢، ح (٣٦٧٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر بن الخطاب،(ج٤/١٨٦٠)، ح(٢٣٩٢).

(٣) انظر: ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،(٤ / ١٢٥)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م.

(٤) انظر: الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٢٥٤).

المطلب الثالث :صفات عمر بن الخطاب ﷺ في نظر بعض المستشرقين:

أنصف بعض المستشرقين عمر بن الخطاب بذكر فضائله وصفاته،[(١)] قال المستشرق (بيليايف) عن عمر بن الخطاب ﷺ: «وأصبح في التقليد الإسلامي مثال الاحتشام[(٢)]، والتواضع، والحكمة، والتقشف، والزهد، وهو لاشك جدير بكل ذلك، كما أنه مثال الرجل الذي يكرس حياته وذاته لرفع شأن الإسلام والمسلمين، وحتى يومنا هذا يبرز الخليفة عمر في كتب التاريخ التي يضعها المؤرخون العرب نموذج (الحاكم الديمقراطي) الذي يجب أن يكون مثالا يحتذى في جميع الأقطار الإسلامية»[(٣)].

لاشك أن ما وصف به هذا المستشرق عمر بن الخطاب قليل من كثير لشخصية عمر العبقرية،ولكن لانسلم لكثير من المستشرقين دعواهم وصف الإسلام بأنه تقليد،وما ذلك إلا ليسلم لهم قولهم: بأن نبينا محمد ﷺ استمد الديانة الإسلامية من الديانات السابقة.

والحق أن الدين الإسلامي دين التوحيد. وبذور التوحيد قبل الإسلام تستمد أصولها الحقيقية من الحنيفية السمحة، وليس للديانتين اليهودية والنصرانية المحرفة أثر في ظهور التوحيد الذي دعا إليه الإسلام. بل إن أصل الديانتين قبل التحريف تدعو إلى الوحدانية، وأن أقوامهم كذبوا أنبياءهم المبعوثين لهم، وأصابهم من الله العذاب الأليم، وجاء الدين الإسلامي يدعو إلى ما دعا إليه الأنبياء السابقون الذين بشروا بعقيدة التوحيد في الجزيرة العربية وهذه سنة الله في خلقه، يبعث بين الحين والآخر أنبياءه لهداية البشرية إلى طريق الحق والصواب.

---

(١) انظر ما كتبه: رضا: محمد رشيد، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ﷺ ،(من ص:٤٨ ـــ ٤٩)، جمعه وعلق عليه وأعد فهارسه: سليمان بن سليم البواب، ط١، دار الحكمة للطباعة والنشر ـــ دمشق ـــ سوريا (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

و الصلابي: د. علي محمد محمد، سلسلة تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)،فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره)، بعنوان: آراء بعض المستشرقين في عمر ﷺ (ص: ٦٩٠ ـــ ٦٩١)

(٢) قد تأتي بمعنى الاستحياء ولعله أراد ذلك،(انظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة حشم)

و الصلابي: د. علي محمد محمد، سلسلة تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)،فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره)، بعنوان: آراء بعض المستشرقين في عمر ﷺ (ص: ٦٩٠ ـــ ٦٩١)

(٣) بلياييف: ي:أ: العرب والإسلام والخلافة العربية،،(ص: ١٨٦)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة، راجعه وقدم له: الدكتورمحمود زايد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥.

أما المستشرق مايكل هارت Michael Hart[(١)]، فقال عن مآثر عمر بن الخطاب ﷺ: «إن مآثر عمر ﷺ مؤثرة حقا، فقد كان الشخصية الرئيسية[(٢)] في انتشار الإسلام بعد محمد. وبدون فتوحاته السريعة من المشكوك به أن ينتشر الإسلام بهذا الشكل الذي هو عليه الآن. زد على ذلك، أن معظم الأراضي التي تم فتحها في زمنه بقيت عربية منذ ذلك العهد حتى الآن.ومن الواضح أن محمدًا ﷺ له الفضل الأكبر في هذا المضمار، ولكن من الخطأ الفادح أن نتجاهل دور عمر ﷺ فالفتوحات التي حدثت في زمنه رغم أنها كانت ستحدث، ولكن لم تكن ستحدث بذلك الاتساع الهائل الذي تمت به قيادة عمر الواعية اللامعة»[(٣)].

فالمستشرق (مايكل هارت) أثنى على عمر بن الخطاب ﷺ ولم ينسي أكبر شخصية في تاريخ الإسلام نبينا محمدًا رسول الله ﷺ كذلك صاحبه وخليفته أبو بكر ﷺ .

وهذا بفضل الله تعالى ثم لعظمة الإسلام وسماحته، لأنه الدين الحق، وهو دين التوحيد الذي فطر الله الناس عليه.

المطلب الرابع:موقف عمر بن الخطاب ﷺ من رواية الحديث:

كتب الدكتور ساسي سالم الحاج نقلا عن الأستاذ: محمد أبورية رأيه في موقف عمر بن الخطاب من رواية الأحاديث ما نصه: «وهذا الخليفة عمر يجمع أصحاب رسول الله

---

(١) هو الدكتور مايكل هارت الأمريكي الجنسية والمولد، حصل على شهادة ليسانس في الرياضيات من جامعة كورنيل عام ١٩٥٢م، وشهادة ليسانس في القانون من جامعة نيويورك عام ١٩٥٨م، وشهادة ماجستير في العلوم من جامعة ادفيلي عام ١٩٦٩م، ثم حصل على شهادة دكتوراه في الفلك من جامعة برينستون عام ١٩٧٢م، عمل في مركز أبحاث الفضاء في غرين بلت في مريلاند، وفي المركز القومي لأبحاث طبقات الجو في كولورادو، وفي أكبر مرصد للأفلاك في كاليفورنيا في بامادينيا في مرصد (هيل) وهو أحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية، عضو الجمعية الفلكية وفروعها في علوم الكواكب. (انظر: مقدمة كتاب: هارت: مايكل، المئة الأوائل،(ص: ١٠)، ترجمة: خالد أسعد عيسى، والمحامي: أحمد غسان سبانو، ط ١٢، نشر دار ابن قتيبة، دمشق ـــ سوريا، بيروت ـــ لبنان ١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م.)

(٢) والصواب الرئيسة.

(٣) هارت: مايكل، المئة الأوائل، (ص: ١٦٣)، ترجمة: خالد أسعد عيسى، والمحامي: أحمد غسان سبانو.

المنتشرين في الآفاق،ويلومهم على الأحاديث التي يتحدثون بها في الآفاق ويحبسهم عنده..وينهى أبا هريرة عن رواية الحديث، مهددا إياه بنفيه إلى أرض دوس إذا استمر في ذلك»[١].

وعلق الدكتور ساسي سالم الحاج على ما نقله من كلام أبورية بقوله:

«ونحن لا نناقض في هذا المقام صحة هذه المرويات المنسوبة إلى الخلفاء الراشدين، وخاصة إلى الخليفة عمر، من أنه حبس الصحابة عن التحديث، أو هدد أبا هريرة بالضرب لكثرة تحديثه، لأن في ذلك خلافا بين المؤرخين، ولكننا نستنتج منها خطأ رأي جولد زيهر الذي نسب إلى هؤلاء القوم الثقات من الأحاديث الموضوعة من عمل رجال الإسلام القدماء. ولكن الوضع حدث بأخرة»[٢].

نستنتج من خلال هذا النص أن جولد تسيهر اقمم الخلفاء الراشدين بالوضع في الحديث، و لم يوافقه الرأي الدكتور ساسي سالم الحاج على ذلك، لكنه وافق أبارية فيما ذكره من موقف عمر من رواية الأحاديث، بدليل قوله «ونحن لا نناقض في هذا المقام صحة هذه المرويات المنسوبة إلى الخلفاء الراشدين وخاصة إلى الخليفة عمر من أنه حبس الصحابة عن التحديث أو هدد أبا هريرة بالضرب لكثرة تحديثه»[٣].

ففي قوله تأكيد لشبهة أن الخلفاء الراشدين كانوا يكرهون رواية الأحاديث، ويحذرون منها.

الرد على هذه الشبهة:

لم يؤذن بكتابة السنة خشية التباس القرآن بالسنة، فلما أمن الالتباس جاء الإذن لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون لأنفسهم، ويؤمن عليهم الخلط بين القرآن والسنة، وليس معنى

---

(١) الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)(١/ ٤٣٨).

(٢) الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية) (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

(٣) الحاج: الدكتور ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية) (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩).

ذلك إهمال الصحابة للسنة، وأنها ليست من الشرع ـــ كما يعتقد بعض المخالفين، ومن تبعهم ـــ حيث انصرفوا عنها، ولم يهتموا بكتابتها أو الالتزام بها، فهذا من الكذب والمكابرة، والمطلع على المدونات في كتب السنة وتاريخ العلوم، وبخاصة موقف الصحابة رضوان الله عليهم من سنة رسول الله ﷺ يقطع بكذب هؤلاء فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أحرص الخلق على متابعة أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وحفظها والعمل بها وكانوا يتناوبون على ملازمة رسول الله ﷺ فهذا عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فيترل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله»(١).

فهذا ليس إلا دليلاً على حرص عمر بن الخطاب ﷺ الشديد على معرفة سنة رسول الله ﷺ واتباعها، والالتزام بها، كما كان الصحابة ﷺ حريصين على أن يسألوا أزواج النبي رضوان الله عليهن عن سيرته، وسنته في بيته، وهذا معروف مشتهر عنهم.

من خلال هذا العرض يتبين موقف الصحابة رضوان الله عنهم من سنة رسول الله ﷺ وهو موقف يتسم بالحرص الشديد، والاهتمام البالغ بمعرفة سنة رسول الله ﷺ وحفظها، والالتزام بها، بل وتبليغها إلى من يسمعها؛ استجابة لقول رسول الله ﷺ: «عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»(٢).

لقد كذب بعض أتباع المستشرقين على كبار الصحابة رضوان الله عليهم واتهموهم بأنهم كانوا يكرهون رواية الحديث، ويتهددون رواة السنة بالضرب والنفي.

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها،(ج٧/ ١١٤)، ح (٢٤٦٧)، ومسلم كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء،(ج٢/١١١١ح(١٤٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب، باب ما جاء في الحث على السماع،(ج٥/٣٤)،(٢٦٥٧)، وابن حبان في كتاب العلم، باب ذكر دعاء المصطفى ﷺ لمن أدى من أمته حديثا سمعه ،(ج١/ ٢٦٨)، ح (٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح(٢٦٥٧).

فقد زعم أبو رية ـــ كما ذكر الدكتور الشيخ مصطفى السباعي ـــ أن عمر بن الخطاب قد هدد أباَ هريرة بالنفي إلى بلاده (أرض دوس)، أو إلى (أرض القردة) إن استمر يحدث عن رسول الله ﷺ. ورد عليه السباعي مبينا أن هذا التهديد وقع من عمر بن الخطاب لكعب الأحبار بترك الحديث عن (الإول) أي الأمم الماضية، وهم بنو إسرائيل كما نقل ذلك ابن كثير،لا تهديدًا لأبي هريرة بترك الحديث عن رسول الله ﷺ[1]. وتهمة الصحابة رضوان الله عليهم بأنهم كانوا يكرهون رواية الحديث تهمة باطلة، والحق أنهم كانوا يخشون كثرة الرواية، ويهابون ذلك لعظم المسؤولية. ووعيد رسول الله ﷺ على من يكذب عليه في قوله ؏: ((من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار))[2]. ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم بين أمرين كانوا حريصين على كل منهما.

أولهما: تبليغ دين الله إلى من يليهم من الأمة.

وثانيهما: التثبت والتحري الشديد لكل ما يبلغونه عن رسول الله ﷺ. فالصحابة كانوا يهابون رواية الحديث بسبب شدة خوفهم من الكذب على رسول الله ﷺ أو الخطأ فيما يروون. وليس الهدف من ذلك التقليل من شأن السنة.أما دعوى حبس عمر ؓ ثلاثة من أصحابه، هم: عبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وأبو الدرداء ؓ فهذه رواية ملفقة كاذبة، فليس كل ما تجري به الألسنة، أو تتضمنه بعض الكتب صحيحًا.

وقد تولى تمحيص هذه الدعوى الكاذبة الإمام (ابن حزم) رحمه الله في كتابه: (الإحكام في أصول الأحكام) فقال: «وأعجب من هذا كله: أن المالكيين المحتجين بأن عمر ؓ حبس ابن مسعود، وأبا موسى،وأبا الدرداء بالمدينة، على الإكثار من الحديث، وسجنهم على ذلك، وهم أكابر الصحابة، وعدول الأمة»[3].

---

(١) انظر: السباعي: الدكتور الشيخ مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ٣٧٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه،(١/ ٢٠٢)(فتح الباري) كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ حديث رقم (١١٠) وقد رواه أكثر من ستين صحابيا، ابن الصلاح: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري،مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث،(ص: ١٣٥ ـــ ١٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٣) ابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام،(٢ / ١٤١)، تحقيق:الشيخ أحمد شاكر، منشورات: دار الآفاق الجديدة ـــ بيروت ـــ ١٩٧٩م.

وقد طعن ابن حزم في الرواية بعد تمحيصها، وختم كلامه مبينا أن: «الله قد أمر بالتفقه في الدين، وإنذار الناس به،وأمر بطاعة الرسول ﷺ ، ولا سبيل لطاعته ﷺ إلا بنقل كلامه، وضبطه وتبليغه،ولا سبيل إلى التفقه في الدين إلا بنقل أحكام الله تعالى وأحكام رسوله ﷺ ، ووجدناه ﷺ قد حض على تبليغ الحديث عنه، وقال في حجة الوداع لجميع من حضر:(ألا فليبلغ الشاهد الغائب.). فسقط قول من ذم الإكثار من الحديث»[١].

وقد أراد بعض المستشرقين ومن تبعهم من وراء هذه المزاعم إضعاف الثقة باستظهار السنة، وحفظها في الصدور، والتشكيك في صحة الحديث النبوي.

عمر بن الخطاب ودوره في بناء الدولة الإسلامية:

لاشك بأن الخليفة عمر رضي الله عنه كان مثلا أعلى في تطبيق المبادئ والأسس التي جاء بها الإسلام. ومن هذه المبادئ التي تحققت بشكل جلي في عهده رضي الله عنه (مبدأ الشورى)، وقد اعتمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذا المبدأ بشكل تام وكامل، وكان رضي الله عنه لا يبرم أمرا يتعلق بسياسة الدولة إلا بمشورة الأمة[٢].

فنظرًا لكثرة المستجدات والأحداث التي ظهرت نتيجة الفتوحات، فقد جعل نطاق الشورى واسعا، ومفتوحا لكل الأمة.

وقد شهد بعض المستشرقين بفضله، والإشادة به من ناحية دوره في خلافته للبلاد الإسلامية، قال جولد تسيهر: «وكان عمر على وجه أخص، الخليفة المتحمس الذي أسس الدولة الإسلامية على الحقيقة، وقد ساعدت فتوحاته في الشام وفلسطين ومصر في وضع الأحكام الأولى لتلك العلاقات السياسية والاقتصادية»[٣].

والصواب أن الدولة الإسلامية يعتبر المؤسس لها على الحقيقة هو النبي محمد ﷺ وعمر بن الخطاب وفق تطبيقه لشرع الله وما أمر به النبي محمد ﷺ ،وما ألهمه الله من فطنة ودراية،كان له دور إيجابي في تأسيس دولة إسلامية في عهده نظرا للدور الذي قام به في شتى المجالات

---

(١) ابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام،(٢ / ١٤٣).

(٢) انظر: تاريخ الطبري، المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٢٧)، موضوع: قصة الشورى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص:٣٧) .

المختلفة. كما شهد المستشرق (ليفي دلا فيدا) فقال في تعريفه لعمر بن الخطاب: «هو الخليفة الراشد الثاني، الذي قام بدور كبير في تأسيس الدولة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق»(١).

أما المستشرق (بيليابيف) فقد قال: «كان لأبي بكر وعمر أثر بين في نفس النبي، حتى إن شبرنغر اعتبر عمر بن الخطاب مؤسس الإسلام بعد النبي»(٢).

وقد وافقه المستشرق جوتشالك (Gotschalk) فوصف عمر بن الخطاب ﷺ بقوله: «لم يكن قائدا عسكريا ماهرا فقط، بل كان سياسيا محنكا، فإليه يرجع الفضل في قيام دولة إسلامية ـــ سياسيا وعسكريا وإداريا ـــ على أنقاض الدولتين، البيزنطية والفارسية، إذ أصبح النظام الإداري..الذي وضعه للدولة أساسا لكل ما فتح من أمصار فيما بعد، ومثالا يحتذيه كل من جاء بعده»(٣).

لكن هذا المستشرق لم يلبث إلا أن وصف ما قام به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ من فتوحات الهدف منها الطمع في المال، حيث علق بعد أن عرض شمائل عمر في التعامل مع البلاد المفتوحة فقال: «قد يبدو التناقض الظاهري واضحا في هذه الإجراءات، فالفتح الإسلامي لم يعد الغرض منه حمل الناس على الدخول في الإسلام، بل كان الهدف منه إخضاع غير المسلمين للحكم الإسلامي. ولكن هناك سبب واقعي جدا. وهو أن فتح أقطار العالم يحتاج إلى أموال طائلة، لايمكن الحصول عليها إلا إذا دفع هؤلاء الذين لم يدخلوا الإسلام من أهل الكتاب في الأرض المفتوحة ما فرض عليهم من جزية»(٤).

فمن خلال هذا النص يدل على أن بعض المستشرقين اعتمدوا المنهج المادي في تفسير فتوحات المسلمين، وتبرير ظهور الإسلام بالعامل المادي في كثير من كتاباتهم ـــ كما سبق الحديث عنه ضمن مناهج بعض المستشرقين.

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٤ / ٧٤٩٨)(مادة عمر بن الخطاب).

(٢) بليابيف: ي:أ: العرب والإسلام والخلافة العربية،(ص: ١٥٤)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة، راجعه وقدم له: الدكتورمحمود زايد.

(٣) شامة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٨٥).

(٤) شامة: د.محمد، الإسلام في الفكر الأوربي،(ص: ٨٥).

ولو كانت المادة هي الهدف الأساس للفتوحات الإسلامية لبحث قادة المسلمين عن حياة الترف والجاه، والواقع يشهد بأن الصحابة إبان الفتوحات الإسلامية عاشوا حياة البساطة والزهد، وقد شهد على ذلك المستشرق فيليب حتي بقوله: «أما عمر ﷺ الخليفة الثاني، فكان رجلاً جلدًا نشيطًا، ومثالاً حيًا للبساطة والاقتصاد، ومن صفاته أنه كان طُوالا، أصلع، شديد الأدمة. وقد أعال نفسه في إبان عهد خلافته بالمتاجرة، وكانت حياته ــ شأن حياة أي شيخ بدوي ــ بعيدة عن الأبهة، وحبِ التظاهر،

وتجعل الروايات الإسلامية اسمه أرفع اسم في أوائل الإسلام بعد النبي ﷺ ، وقد مجّد عمر الكتّاب المسلمون لتقواه، وعدله، وتواضعه، ووقاره، وحسبوا هذه المناقب التي يجدر بكل خليفة أن يتحلى بها، مشخّصة فيه وقالوا: لم يكن لعمر إلا قميص خَلَق، وإزار فطري مرقوع برقعة من أدَم، وكان ينام على فراش من سعف النخل، ولم يهمه من شؤون هذه الحياة الدنيا سوى الدفاع عن شعائر الدين وإقامة العدل وإعلاء شأن الإسلام وتأمين مصالح العرب، والآداب العربية طافحة بقصص تجل أخلاق عمر الصارمة..»(١).

محاولة التقليل من فضله:

قال المستشرق ليفي دلافيدا: «مع أن الروايات تذكر أن إسلامه قد أعز الإسلام قبل الهجرة. إلا أن دوره غير واضح في ترتيب أمور الهجرة، ولم يتبلور دوره إلا في المدينة المنورة حيث غدا بمثابة مستشار»(٢).

نقول لهذا المستشرق: كيف حددت أن العزة كانت قبل الهجرة؟ هذا التحديد الزمني لم يرد في كتب التاريخ، وإسلام عمر فيه عزة للإسلام قبل الهجرة وبعدها، ويكفي أن له مهابة بين صناديد قريش،إضافة لما وهبه الله من الحنكة وحسن السياسة في إدارة أمور المسلمين، وقد شهد على ذلك المستشرق (كارل بروكلمان) بقوله: «كان أزر المسلمين الذين تخلفوا في مكة يشتد ويقوى، بإسلام شخصية جديدة ذات شأن، أعني عمر بن الخطاب، الذي ينتسب من جهة أمه إلى (مخزوم) البيت القوي الغني، والذي أحلته سجاياه وفضائله مكانا

(١) حتي: فيليب، العرب تاريخ موجز، (ص: ٧٨).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٤ / ٧٤٩٩)، مادة عمر.

عليا في البلدة،والواقع أن هذا الحدث كان له دور عظيم بين المكيين، وقد زاد من خطره أن عمر كان حتى ذلك الوقت من أبرز خصوم محمد، وأشدهم عليه،..»[1].

(١) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، (ص: ٤٠ ــ ٤١).

المبحث الرابع

موقف بعض المستشرقين من عثمان بن عفان ﷺ

وفيه مطالب:

المطلب الأول: التعريف به ﷺ

المطلب الثاني: القدح والتزوير في بيعة عثمان بن عفان ﷺ

المطلب الثالث: سبب اختيار عثمان بن عفان ﷺ للخلافة.

المطلب الرابع: فتنة عثمان بن عفان ﷺ وموقف بعض المستشرقين منها.

المطلب الخامس: أثر مقتل عثمان بن عفان في الدولة الأموية ﷺ.

المطلب السادس: التفسير المادي للغزوات الإسلامية.

المبحث الرابع

موقف بعض المستشرقين من عثمان بن عفان ﷺ

المطلب الأول:التعريف به ﷺ:

هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه أروى بنت كُريزبن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أم حكيم[١].

بويع بالخلافة: «يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته المحرم من سنة أربع وعشرين»[٢].

وعثمان بن عفان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، ومعه فيهما جميعا امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ[٣].

زوجه الرسول محمد ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أم كلثوم بعد رقية[٤].

واستشهد عثمان بن عفان يرحمه الله مقتولا في: «يوم الجمعة، لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين بعد العصر، وكان يومئذ صائما، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء..وكانت خلافته اثني عشرة سنة غير اثني عشر يوما، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وكان أبو معشر يقول: قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة»[٥].

الطعن في شخصية وصلاحية عثمان للخلافة:

---

(١) انظر: الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٥١)، الطبقة الأولى في البدريين من المهاجرين والأنصار. تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك،(٤/ ٣٣٧)(حوادث سنة أربع وعشرين) .

(٣) انظر: الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٥٢)، الطبقة الأولى في البدريين من المهاجرين والأنصار. تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٤) انظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك،(٤ / ٣٣٥)،في حوادث سنة أربع وعشرين.

(٥) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٧٣)، الطبقة الأولى في البدريين من المهاجرين والأنصار. تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

وصف المستشرق (رينهارت دوزي ١٨٢٠ ــ ١٨٨٣)[١] عثمان بن عفان ﷺ بأنه: «مثال الطيبة والوداعة»[٢].

لكنه طعن في قدرة عثمان بن عفان العقلية وتفكيره بقوله: «أما ذكاؤه الذي لم يكن قط قويا، فقد أوهنته الشيخوخة، إذ كان أشرف على السبعين»[٣].

أما المستشرق (كلود كاهن[٤]) فقد وصف عثمان بن عفان بالعجوز في تصويره أثناء مقتله، حيث قال: «وأدى هذا التحالف إلى اغتيال الخليفة العجوز أثناء صلاته، وفي ظروف لا تخلو من الغموض عام (٦٥٦) بحيث يتعذر على المؤرخ تحديد المسؤوليات ومعرفة النوايا والمقاصد، وبيان أثر القضاء والقدر»[٥].

كما طعن المستشرق ماسيه في الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مؤكدا عدم صلاحيته لتولي نظام الحكم بقوله:

«ومات عمر عام ٦٤٤ مقتولا بيد مسيحي[٦] فارسي، وقد أتاحت له جراحه أن يسمي ستة أشخاص ألزمهم بتعيين خلف له، وقد استبعد علي ــ صهر محمد ــ بسبب تشدده، فقد كان يريد إعادة عادات الإسلام إلى ماكانت عليه في عهد محمد، دون أن

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا، (١ / ٣٨)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

(٣) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٣٨)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

(٤) كلود كاهن Cl. Cahen ١٩٠٩ ــ ١٩٩١م):مستشرق فرنسي متخصص في تاريخ الشرق الأدنى في عهد الحروب الصليبية، ولد عام ١٩٠٩، وتخرج باللغات الشرقية من السوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا، وعين محاضرًا في مدرسة اللغات الشرقية في باريس ١٩٣٨م، وأستاذًا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة ستراسبورغ ١٩٤٥م، وفي جامعة باريس.

من آثاره: عدد كبير من الدراسات والأبحاث في المجلات الشهيرة، وحقق العديد من النصوص التاريخية المهمة، كما أنجز عددًا من المؤلفات عن الحروب الصليبية.(انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ص: ٤٦٠)

(٥) كاهن: كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، نقله إلى العربية: الدكتور: بدر الدين القاسم، (ص: ٢٤)، ط٣، دار الحقيقة للطباعة والنشر ــ بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٦) كان مجوسيًا وليس مسيحيًا.

يحسب حسابا للتطور الذي تم، وقد وقع الاختيار على صهر محمد الآخر، الأموي عثمان، وهو رجل مسن دون همة، وأقل صلاحا لإتمام عمل عمر»[١].

هذا من باب القدح في شخصية الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ وأنه غير صالح لولاية المسلمين، من غير دليل لهم، وكتب التاريخ لم تقدح في سن عثمان بن عفان ﷺ و لم تكتب عن قلة همته بسبب عمره! بل إن الخبرة سابقة ومقدمة في مستجدات الأمور.

وقد تولى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة باختيار من الصحابة رضي الله عنهم، وقد صرحت بهذا الوصف المستشرقة بوجينا ستشيجيفسكا بقولها: «ولما مات عمر انتخب عثمان، بمقتضى قانون الشورى الذي وضعه عمر»[٢].

كما أن الخليفة الرابع على ﷺ لم يستبعد عن الخلافة بسبب تشدده ،لكن الاختيار وقع على الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ بترشيح من أصحاب الشورى – كما سيأتي بيانه.

المطلب الثاني:القدح والتزوير في بيعة عثمان بن عفان ﷺ:

إن عمر بن الخطاب ﷺ لم يستخلف أحدا من الصحابة، وجعل الأمر شورى بينهم، وروي أنه خص ستة من الصحابة ليختاروا واحدا منهم، قال ابن كثير: «كان عمر بن الخطاب ﷺ قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، ﷺ وتحرج أن يجعلها إلى واحد من هؤلاء على التعيين، وقال: لا أتحمل أمركم حيا وميتا، وإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خير هؤلاء كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ»[٣].

---

(١) ماسيه: هنري،الإسلام، (ص: ٦٢)، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: سماحة الدكتور: مصطفى الرافعي، وسماحة الشيخ: محمد جواد مغنيه.

(٢) ستشيجيفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي ــ تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها، (ص: ٥٨).

(٣) ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية،(١٠ / ٢٠٨)(خلافة عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه)تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي.

وحدد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المدة بثلاثة أيام[١].

قال المستشرق (رينهارت دوزي ١٨٢٠ ١٨٨٣): «بينما كان الخليفة عمر يعالج سكرات الموت إثر طعنه مميتة بخنجر صانع مسيحي[٢] من أهل الكوفة سمَّى ستة من أقدم صحابة الرسول، ــ فيهم علي وعثمان والزبير وطلحة ــ ليكون أحدهم رئيسا للدولة من بعده، فلما أسلم عمر أنفاسه اجتمع هؤلاء الشيوخ مدة يومين، دون أن ينتهوا إلى قرار ما، لانصراف كل واحد منهم إلى التضخيم من خطر مواهبه وتصغير شأن منافسيه، فلما كان اليوم الثالث استقر الرأي على وجوب استخلاف من تكلم عن مزاياه فقط، وما كان أشد حسرة علي، والزبير، وطلحة، حين استخلف القوم عثمان الأموي سنة ٦٦٤م = ٢٣هـ»[٣].

نقد النص:

نقول وبالله التوفيق: أما قول المستشرق عن الصحابة الذين اختارهم الفاروق للشورى بينهم أن كل واحد منهم لجأ إلى التضخيم من خطر مواهبه، وتصغير شأن منافسيه. فهذا لم يقل به أحد، وقد بنى بعض المستشرقين شبهاتهم على الروايات الشيعية الرافضية، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، كما صوروا تشاور أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف على الرئاسة، والسلطة، والحكم، كما هو معمول به في بلاد الغرب، وقد استخدم هذا المستشرق المنهج الإسقاطي نحو:إسقاط ما عليه حكومات المجتمع الغربي في الانتخابات.فهؤلاء المستشرقون يتخيلون واقع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عصر انتخابات كما في واقعهم.

وهذا من ضمن مناهج بعض المستشرقين الفاسدة في محاولة إسقاط الواقع في العصور الحديثة على حياة الصحابة والتابعين، وهو تصور موهوم، واستنتاج مردود لا دليل

---

(١) انظر:الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٥٨)،تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) هوفي الحقيقة مجوسي.

(٣) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٣٨)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

عليه؛ وهو خلاف ما ثبت عن الصحابة أجمعين. كما أن قصة خلافة عثمان بن عفان وردت في كثير من كتب التاريخ.

فقد ذكر ذلك ابن كثيرفي تاريخه عن عمر بن الخطاب ﷺقوله: «فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام»[١].

أما الغرائب التي ساقها أبو مخنف ــ الرافضي الشيعي ــ مخالفا فيها النصوص الصحيحة، وما عرف من سير الصحابة ﷺ نحو ماذكره من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم ــ أي أهل الشورى ــ فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف. وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم، وأبى اثنان ــ فاضرب رؤوسهما. فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر ﷺ هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم. فعمر ﷺ أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط وشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عملا بقوله: «من أتاكم وأمركم جمع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه. رواه مسلم في الصحيح عن عثمان بن أبي شيبة»[٢].

وقد كتب عن فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ الدكتور/ محمد بن عبد الله الغبان، وخرج بدراسة مفادها اعتماد بعض الذين كتبوا عن الفتنة على الروايات الواهية التي يرويها الضعفة أو الرافضة مبينا عدم عزوهم المعلومات إلى مصادرها الصحيحة،وأن روايات الواقدي عن فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ فيها دس كثير، وتخالف الروايات الصحيحة — في أكثر الحقائق — وأنها تعكس صورة مشوهة عن الفتنة، وتبرز مواقف غير صحيحة للصحابة ﷺ كما تظهر فيها ملامح الرفض، كما بين أن روايات سيف بن عمر التميمي عن فتنة مقتل عثمان ﷺ عبارة عن مجموعة روايات مسندة يحذف سيف أسانيدها،ثم يرويها من طريق عدد من شيوخه يصلون — أحيانا — إلى أربعة شيوخ، وأن روايات سيف هذه لا

(١) الطبري، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٢٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع،(٣ / ١٤٨٠)، ح (١٨٥٢).

تخلو من القدح في بعض الصحابة،واتهامهم بما هم منه براء، وتعتدل أحيانا فتظهر الصورة الصحيحة لمواقفهم (١).

قال الدكتور علي الصلابي: «شوهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة ﷺ من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التي ذكرها كثير من المؤرخين، فالمتتبع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال الروايات ـ أبي مخنف، والواقدي، وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين ـ يشعر أن الصحابة ﷺ هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشيعية لا يتورع في اتهام عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه»(٢).

والطبري ذكر ضمن سلسلة الإسناد (أبي مخنف) أن عمر بن الخطاب أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط وشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عملا بقوله للمقداد بن الأسود: «إذا وضعتموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأَدخل عليا، وعثمان، والزبير، وسعدا، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر؛ وقم على رؤسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه ـ أو اضرب رأسه بالسيف ـ وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان ـ فاضرب رءوسهما. فإن رضي ثلاثة رجلا منهم، وثلاثة رجلا منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس»(٣).

(١) انظر: الغبان: د. محمد بن عبد الله، فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، (خاتمة القسم الأول من دراسته) ط١،السعودية – مطابع العبيكان – ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

(٢) الصلابي: د. علي محمد محمد، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (شخصيته وعصره)،(ص: ٤٧٩)، ط١، دار القمة، دار الإيمان ـ الإسكندرية ٢٠٠٢م.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٢٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

والرواية الأخرى في طبقات ابن سعد أن عمر حين طعن قال: ((ليصل لكم صهيب ثلاثا، وتشاوروا في أمركم، والأمر إلى هؤلاء الستة، فمن بَعَلَ أمرَكم فاضربوا عنقه. يعني من خالفكم))(١).

وكيف يقول عمر ﷺ هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم. فعمر ﷺ أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرهط وشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عملا بقوله ﷺ: ((من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه))(٢).

فمبايعة عثمان بن عفان ﷺ بالخلافة حدثت بإجماع من الصحابة رضوان الله عنهم ، وبايعه الناس اختيارا و لم يصر على الخلافة و لم يتخلف عن بيعته أحد من الناس(٣).

قال ابن تيمية رحمه الله: ((لهذا قال غير واحد من السلف والأئمة...:من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا من الأدلة الدالة على أن عثمان أفضل؛ لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم))(٤).

إن قصة الشورى، وتولية عثمان بن عفان ﷺ الخلافة، قد تلقفها بعض المستشرقين، وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، و لم يمحصوا الروايات أويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين.فالمستشرق(سيديو) ظن أن بيعة عثمان بن عفان ﷺ قد تمت بخدعة علي ﷺ حيث قال: ((لم يَسِر عمر على طريقة أبي بكر، فعهد إلى خمسة من سُراة الإسلام في انتخاب من يخلفه، فأقصى علي من الخلافة بخُدعةٍ، فلم يختر الأجدر بها لها في سنة ٦٤٤،فما كان عثمان بن عفان، وهو الشريف الصالح قواما بها، لما لم يكن عنده من الحزم، وقوة المبادرة ـــ ما يستطيع به أن يدبر شؤون دولة

---

(١) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٥٨)،تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) رواه مسلم في الصحيح عن عثمان بن أبي شيبة،(٣ / ١٤٨٠)، ورواه البيهقي في سننه، كتاب قتال أهل البغي والخوارج، حديث رقم (١٦٤٦٨).

(٣) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، (١ / ٥٣٢ ـــ ٥٣٣).

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية،(١ / ٥٣٣ ـــ ٥٣٤).

زادهًا الفتوح أهمية. وكان اختيار عثمان خليفة من عمل بني أمية الذين كانوا سادة قريش»[(١)].

وقد استند المستشرق سيديو على رواية الطبري التي اهتم بها الروافض، وهي كما روى ابن جرير الطبري: «..وازدحم الناس يبايعون عثمان، حتى غشوه عند المنبر،فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكأ علي، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ الفتح: ١٠

فرجع علي يشق الناس حتى بايع، وهو يقول: خدعة، وأيما خدعة»[(٢)].

وقد رد عليه ابن كثير، بقوله: «وما يذكر كثير من المؤرخين ــ كابن جرير ــ عن رجال لا يُعرفون، من أن عليا قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صِهرك، وليُشاورك كل يوم في شأن، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ الفتح: ١٠، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح،فهي مردودة على قائليها وناقليها، والله أعلم.والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من جهلة الرافضة، وأغبياء القصاص، الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، وشاذها وقويمها،والله الموفق للصواب»[(٣)].

وقد أورد ابن الجوزي في تاريخه قصة البيعة والاتفاق على عثمان، و لم يلتفت لرواية الضعفاء[(٤)].

---

(١) سيديو: ل. أ،تاريخ العرب العام، (ص: ١٠٩)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٣٨ ــ ٢٣٩)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية،(١٠ / ٢١٣ ــ ٢١٤). (خلافة عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه)تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي.

(٤) انظر: ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،(٤ / ٣٣١ ــ ٣٣٢)، المنتظم في تاريخ الرسل والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور.

كما روى البخاري قصة وفاة عمر وبيعته في صحيحه، وما ذكره أصحابه له عند وفاته فقد قالوا: «أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء – كهيئة التعزية له – فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.وقال: أوصي الخليفة من بعدي، بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيرا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر، فنجعله إليه والله عليه والإسلام، لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلى الله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه»[١].

واعتقد المستشرق سيديو بأن بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد تمت بخدعة علي رضي الله عنه ،لأنه اعتمد على استخدام المنهج الإسقاطي الخاطئ في نقده لما سبق من أحداث الشورى والبيعة

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب فضائل الصحابة، باب: قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه.ج٧/٥٩-٦٢)، ح (٣٧٠٠)

قبل تولي عثمان بن عفان ﷺ ؛حيث قام بإسقاط ما عليه حكومات المجتمع الغربي في الانتخابات وواقعهم الذي يعيشونه على الأحداث التاريخية في الخلافة الراشدة، ففسرها وفق واقعه المعاصر في ضوء خبراته ومشاعره الخاصة، حسب ما يعرفونه من واقع حياته ومجتمعه، وشتان بين المجتمع الغربي القائم على العقلية والمادية، وبين المجتمع الإسلامي المؤمن الذي بنى عقله وعقيدته على التوجيه الرباني، الذي يطمح لخيري الدنيا والآخرة، والتي لا ينال ثوابها وأجرها إلا بالسعي، والبذل، والزهد في الدنيا؛طمعا في رضا الله والفوز بالجنة.

المطلب الثالث :سبب اختيار عثمان بن عفان ﷺ للخلافة:

برر المستشرق دلافيدا اختيار مجلس الشورى عثمان بن عفان ﷺ للخلافة لأسباب تاريخية فقال: «اختاره مجلس الشورى الذي أمر به عمر بن الخطاب ﷺ ليكون أحد المرشحين للخلافة. وربما كان ذلك لعرقه الأموي، ولصلته القوية بمحمد ﷺ ، وكان بنو أمية قد استطاعوا حتى في حياة الرسول ﷺ أن يستردوا بعضا مما كان لهم من نفوذ في الجاهلية»[(1)].

بررهذا المستشرق اختيار عثمان بن عفان ﷺ خليفة للمسلمين بطريقة ملتوية، ليوهم القارئ أن المسألة مسألة عرق ونسب.

وكيف تكون صلة عثمان بن عفان القوية مبررًا لاختياره خليفة، وعلي بن أبي طالب ﷺ هو الأقرب للرسول محمد ﷺ فهو ابن عمه وربيبه.فما ذلك إلا محاولة من هذا المستشرق لإبراز دور بني أمية، ولتفخيم أمرهم.

المطلب الرابع: فتنة عثمان بن عفان ﷺ وموقف بعض المستشرقين منها:

حدثت الفتنة في أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان ﷺ وأدت إلى استشهاده رحمه الله.

وبالرغم من أن علماء أهل السنة والجماعة كرهوا الحديث عن الفتنة، إلا أننا مضطرون في هذا المقام إلى التعرض لها، من باب الدفاع عن الدين، والذود عنه. قال شيخ الإسلام رحمه الله إن: «مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم، ومحبتهم. وما وقع منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٣ / ٧١٩٩)، مادة عثمان بن عفان.

تاب صاحب منه، ومنه ما يكون مغفورًا. فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضًا، وذمًا، ويكون هو في ذلك مخطئًا، بل عاصيًا، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله، ولا رسوله؛ إما من ذم من لا يستحق الذم، وإما من مدح أمور لا تستحق المدح، ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف»[(١)].

إن أساس الفتنة التي حصلت في عهد عثمان بن عفان هو:(ابن السوداء) عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني،[(٢)] الذي كان واسع الدهاء، والحيلة، والاطلاع حيث أخذ ينشر الإشاعات والأباطيل هو ومن معه من المنافقين، بغرض التفريق بين الصحـــابة ﷺ،[(٣)] فلما رأى هـــذا الرجل أن أمر الإسلام بدأ يظهر وينتشر، رأى أن هذا الأمر ليس له إلا فتنة من داخله، فراح يحاول نشر بدعته في البلاد الإسلامية.

قال الطبري[(٤)]: «كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم،فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة،ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام،فأخرجوه حتى أتى مصر،فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول:لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع،وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴿٨٥﴾﴾ القصص: ٨٥.

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية،(٤ / ٤٤٨ – ٤٤٩)، وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤ / ٤٣٤).

(٢) أنكر بعض الباحثين شخصية ابن سبأ التاريخية والثابت أنه قد أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى حتى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم الصور المشرقة لهم في التاريخ الإسلامي المجيد، وهي محاولة فاشلة لتبرئة أصل مذهب الشيعة من مؤسسه الحقيقي بالرغم من أنه قد أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة على وجوده، وللاستزادة يمكن الاطلاع على ماكتبه الدكتور: سعدي مهدي الهاشمي، للرد على النافين عن حقيقة وجود ابن سبأ في كتابه: (عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال).

(٣) يمكن الاستزادة في هذا الموضوع بالرجوع إلى ما كتبه: العودة: د. سليمان بن حمد، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، منشورات مكتبة طيبة، السعودية.

(٤) تناول الطبري في حديثه عن الفتنة روايات انتقدها علماء المسلمين وقد قام الدكتور: محمد محزون مشكورا في كتابه: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين) بدراسة روايات الطبري ونقدها.، ويقع الكتاب في جزأين من منشورات دار طيبة ومكتبة الكوثر بالرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها...»[١].

فابن سبأ من خلال هذا النص يتضح أنه: أتى بمقدمات صادقة، وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذّج، والغلاة، وأصحاب الأهواء من الناس. فمن شبهه أنه أظهر بعض العقائد اليهودية، مثل القول بالرجعة؛ أي رجعة الرسول ﷺ ، وما كان قوله هذا إلا وسيلة للوصول إلى ما هو أكبر من ذلك، حيث قال بعد ذلك برجعة علي رضي الله عنه وأنه سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا، وذكر شيخ الإسلام أن: «أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه، وادّعى العصمة له، ولهذا لما كان مبدأه من النفاق. قال بعض السلف: حب أبي بكر وعمر إيمان، وبغضهما نفاق، وحب بني هاشم إيمان وبغضهم نفاق»[٢].

بعد ذلك اتجه ابن سبأ إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم، فقال لهم كما يروي الطبري من طريق سيف بن عمر[٣]: «إن عثمان أخذ الأمر بغير حق، وهذا وصي الرسول ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن في أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر»[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٣٤٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) ابن تيمية: أحمد،مجموع الفتاوى،(٤ / ٤٣٥).

(٣) هو سيف بن عمر، قال عنه النسائي بأنه ضعيف، انظر: النسائي: أحمد بن علي بن شعيب ت ٣٠٣هـ، الضعفاء والمتروكين،(ص: ٥١، تحقيق: د. محمود زايد، ط١، دار الوعي ــ حلب ١٣٩٦هـ)، وقال عنه الدار قطني: ضعيف، انظر: ابن حجر: أحمد بن علي، تهذيب التهذيب،(٤/ ٢٩٦)، دار صادر ــ بيروت).

و ذكره الدار قطني في الضعفاء والمتروكين،(ص ١٠٤)، وقال محققه ما نصه: سيف بن عمر الضبي الأسيدي الكوفي، مصنف الفتوح والردّة وغير ذلك، كان إخباريًا عارفًا، عمدة في التاريخ وهو كالواقدي، أمّا في الحديث فهو ضعيف باتفاق.

(٤) الطبري، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٣٤٠ ــ ٣٤١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف (بدون تاريخ) .

ونتج عن الفتنة مقتل الخليفة الشهيد ذي النورين عثمان بن عفان. وفتح باب الفتنة في عهد الإمام علي ﷺ وفي ظل هذه الفتن نبت المذهب الشيعي الذي أخذ من اليهودية أصوله، عن طريق عبد الله بن سبأ اليهودي.

قال صاحب الطحاوية: «وإنما قال الشيخ رحمه الله: فقد بريء من النفاق - لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء. فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم علي الكوفة أظهر الغلو في علي، والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك عليًا، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس. وخبره معروف في التاريخ»[1].

ولا يخفى على كل مسلم أن اليهود ولجوا باب الاستشراق لتنفيذ أكبر قدر من الدس، والهدم، والتحطيم في تاريخنا الإسلامي، عن طريق التخفي لتحقيق أهدافهم، وهذا هو منهج اليهود (التخفي والتستر) وهم في ذلك يسيرون على نهج (عبد الله بن سبأ) الذي أخفى يهوديته، وارتدى عباءة الإسلام نفاقا، ثم تنقل بين بلاد المسلمين يحاول إضلالهم وإفساد عقيدتهم. وخير شاهد على ذلك المستشرق اليهودي جولد تسيهر الذي اتخذ من جنسيته المجرية قناعا لهدم العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين. كذلك جوزيف شاخت، فهو أحد كبار اليهود المستشرقين. دخل مجال الاستشراق في الدراسات الإسلامية مخفيا ليهوديته. وسار على نهج أسلافه — وبخاصة أستاذه جولد تسيهر — في الحط من الشريعة الإسلامية. وغالبا فإن بعض المستشرقين اليهود يستترون في الدراسات الاستشراقية بوصفهم مستشرقين أوربيين لفرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية، ولتحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام.

قال المستشرق (بودلي) عن فتنة مقتل عثمان: «فلم تدع عائشة شاردة من سياسته المذبذبة إلا أحصتها، وعرضتها على كبار الصحابة، ولم تدع سانحة تثير الاستياء المتزايد إلا اهتبلتها. إن قصة تقلبات عثمان، وبغيه، ودسائس عائشة طويلة جدا، فلن نقص نبأها،

---

(١) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية، (ص: ٥٠٢)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

وسارت الأمور حتى وجد المسلمون أنفسهم يحقدون على مسلك عثمان، فطلبوا خلعه، فرفض عثمان ذلك، فثارت ثائرة الناس، وفي زمن قصير وجد الخليفة نفسه محاصرا في داره، فانقلب الجو من جو التماس إلى جو وعيد؟! انزعج عثمان، فبعث رسالة إلى عائشة يطلب منها التدخل في الصلح، فردت عائشة عليه بأنها آسفة لما حدث، ولكنها مشغولة، فإنها تتأهب للحج، وقبل أن يتمكن عثمان من أن يكتب لها ثانية، خرجت فعلاً للحج، وقبل أن تبتعد كثيرا بلغها أن الأمور أصبحت في أيدي أهل المدينة، وأنهم قد قتلوا خليفتهم»[(١)].

هذا افتراء على عائشة لا أساس له من الصحة، وهذا ليس طعنًا في الصحابة رضوان الله عليهم بل هو طعن بالنبي ﷺ فبيت عائشة هو بيت النبي ﷺ الذي هو به دفن.

ثم كيف تتهم عائشة بهذه التهمة ومنزلتها معروفة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير. و لم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(٢)].

لقد نقل غلاة الروافض موقف السيدة عائشة رضي الله عنها عبر المصادر التاريخية مشوهًا، وتلقفته أقلام كثير من المستشرقين في كتاباتهم.

فكيف تحقد عائشة رضي الله عنها على عثمان بن عفان وهي تعترف بأن عثمان بن عفان قد قتل مظلوما، قال الأحنف بن قيس في رواية له: «.. إذا أتاني آت فقال: هذه عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الحربية، قال فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان، قتل مظلوما»[(٣)].

فهذا الموقف الإيجابي فيه دلالة على سوء ظن كثير من المستشرقين ومن شايعهم.

لقد ذكر المستشرق (رينهارت دوزي ١٨٢٠ ـــ ١٨٨٣) الأسباب التي أدت إلى فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.فقال: «لم يكن اختيار الحاكم اللوم الوحيد الذي وجهته جماعة

---

(١) بودلي: ر.ف، الرسول حياة محمد،(ص: ٣٤٥ ـــ ٣٤٦)، ترجمة: محمد محمد فرج، وعبد الرحمن جودة السحار.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله "وضرب لنا مثلا " ج/٦/٤٤٦ح(٣٢٣٠)،أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رضي الله تعالى عنها،(ج٤/١٨٨٦ ح(٢٤٣١) .

(٣) أخرجه ابن شيبه في مصنفه، كتاب الأمراء،(ج٦ / ١٩٧)، ح (٣٠٦٢٩).

الأتقياء إلى الخليفة الشيخ، بل أخذوا عليه أيضا سوء معاملته لكثير من صحابة النبي، وإحياءه عادة جاهلية استأصلها الرسول: هي تطلعه لاتخاذ مكة محل إقامته، كما أنهم أخذوا عليه أمره بتدوين القرآن من جديد لا على أشد الرجال علما ممن اعتاد محمد تسميتهم بالقراء، بل عهد بذلك إلى أكثر القوم إخلاصا له، وتمسكه بأن هذه أصح النسخ، ثم أمر بحرق ماعداها»(١).

نقول وبالله التوفيق: بالنسبة لسوء معاملة عثمان بن عفان ﷺ لكثير من أصحابه فهذا مستمد من كلام الرافضة، الذين اتهموا عثمان بن عفان ﷺ بأنه حكم بضرب ابن مسعود حتى مات، وهذا افتراء وكذب. قال ابن تيمية: «فهذا كذب باتفاق أهل العلم»(٢).

كذلك عدها أبو بكر بن العربي من الزور المفترى على عثمان بن عفان(٣).

وقال محب الدين الخطيب في تعليقه على هذا الافتراء: «فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد في العالم الإسلامي يُجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أنه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله ﷻ على رسوله ﷺ قبل وفاته، كان ابن مسعود يود لو أن كتابة المصحف نيطت به، وكان يود أيضًا لو يبقى مصحفه الذي كان يكتبه لنفسه فيما مضى، فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود في الحالتين: أما في اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلأن أبا بكر وعمر اختاراه قبل ذلك لهذا العمل في خلافة أبي بكر، بل إن أبا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت في البداية لأنه هو الذي حفظ العرضة الأخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته، فكان عثمان على حق في هذا، وهو يعلم ـــ كما يعلم سائر الصحابة ـــ مكانة ابن مسعود، وعلمه، وصدق إيمانه. ثم إن عثمان كان على حق أيضًا في غسل المصاحف الأخرى

(١) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٤١)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

(٢) ابن تيمية: أحمد، منهاج السنة النبوية،(٦ / ٢٥٥)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

(٣) انظر: المالكي: أبي بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمود مهدي الاستانبولي، حققه وعلق على حواشيه: محب الدين الخطيب، وثقه وزاد التحقيق والتعليق عليه: مركز السنة للبحث العلمي،(ص: ٧٧)، ط٦، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف حجازي القاهرة، (دار الجيل للطباعة ـــ الفجالة ـــ مصر) ١٤١٢هـ.

ومنها مصحف ابن مسعود، لأن توحيد كتابة المصحف على أكمل ما كان في استطاعة البشر هو من أعظم أعمال عثمان بإجماع الصحابة،وكان جمهور الصحابة في كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود.

وعلى كل حال فإن عثمان لم يضرب ابن مسعود و لم يمنعه من عطائه، وبقي يعرف له قدره، كما بقي ابن مسعود على طاعته لإمامه الذي بايع له، وهو يعتقد أنه خير المسلمين وقت البيعة»[(١)].

وبالنسبة لما قاله المستشرق عن عثمان بن عفان ﷺ (تمسكه بأن هذه أصح النسخ، ثم أمر بحرق ماعداها) فالعلة في ذلك:حتى يجتمع المسلمون على مصحف منعا من الاختلاف والتفرق في قراءة القرآن ـــ كما سبق عرضه[(٢)].

وهذا المستشرق وأمثاله اتخذ مسألة جمع القرآن مدخلا يتسللون من خلالها للنيل من القرآن،وإيقاع التشكيك في كونه وحيًا من عند الله ﷻ ؛وذلك لترع الثقة عن القرآن، وخلخلة الإيمان به، ولتبرير ما لدى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من نقد وجه إلى الكتاب المقدس بكلا عهديه.

المطلب الخامس :أثر مقتل عثمان بن عفان ﷺ في الدولة الأموية:

قال كريستيان سنوك هرخرونية ت ١٩٣٦م: «لقد شكل اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ بداية حقبة جديدة في تاريخ المدينتين المقدستين ـــ مكة المكرمة والمدينة المنورة ـــ فقد برز زعماء مكة الأرستقراطيون في الجاهلية، ألا وهم الأمويون، الذين كانوا أقل شأنا من غيرهم في أوائل الدولة الإسلامية. لقد وجد هؤلاء من خلال ذكائهم وشجاعتهم الفرصة سانحة لكسب الزعامة التي عجزوا عن الوصول إليها عن طريق سابقتهم في الإسلام،

(١) حاشية كتاب: المالكي: أبي بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ،(ص: ٧٨).

(٢) انظر: الباب الثالث: الفصل الأول، المبحث الثاني (جمع القرآن وترتيبه).

لا سيما وقد توسعت من خلال الفتوحات رقعة الدولة الإسلامية من منطقة صغيرة محدودة إلى إمبراطورية عظمى ممتدة الأطراف»[(١)].

يفهم من كلام المستشرق (سنوك هور خرونيه) أنه يشيد بالأمويين قبل الإسلام، وأن شأنهم ضعف بعد ظهور الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ثم اشتد وظهر شأنهم وقت بروز معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل عثمان بن عفان. والحقيقة خلاف ذلك؛ فقد كان العرب في الجاهلية بشكل عام ـ قبل الإسلام ـ في مؤخرة الركب بين الأمم، وذلك بسبب الحروب والمنازعات والعصبيات القبلية التي كانت سائدة بينهم، ثم جاء الإسلام، وجاء الرسول بالنور من عند رب العالمين، فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، بل إن الإسلام كان له دور في وثبة العرب العظمى، ونهضتهم في كافة جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والثقافية. ثم إن الخلافة الإسلامية أصبحت ذات نفوذ سياسي شامل، وأصبح العرب سادة العالم بما نشروا من دين ودعوة إلى الإصلاح، حتى لقد بلغ هذا النفوذ السياسي مبلغًا جعلهم من الكون جميعه في موضع المنارة الهادية،والكوكب المضيء. وقد أعز الإسلام الأمويين منذ بدأ الإسلام وليدا متمثلا في قول قول الرسول ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بِمَرٍّ الظهران، فقال له العباس: يا رسول اللّه، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فلو جعلت له شيئًا قال:

«نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ، ومن أغلق عليه بابه، فهو آمنٌ»[(٢)].

و «لقد حاول المستشرقون ـ ومن قبلهم الروافض ـ أن ينشروا كل رواية باطلة تنقص من شأن الصحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمة المجيد، وتصور تاريخهم بأنه صراع على السلطة، والسيادة، والنفوذ. ولذلك يجب الحذر من كل رافضي كاذب، ومستشرق

---

(١) هورخرونية سنوك: ك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة،(١ / ١٠٥)، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ،أعاد صياغته وعلق عليه: الدكتور: محمد محمود السرياني، والدكتور: معراج نواب مرزا، راجعه: محمد إبراهيم علي، نشر دار الملك عبد العزيز،١٤١٩م ـ ١٩٩٩م.

(٢) أخرجه أبو داوود في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر مكة،(ج ٣/٢٧٥)، ح (٣٠٢١) وحسن الألباني الجملة الأخيرة منه صحيح سنن أبي داود ح(٣٠٢١) .

حاقد، وعلماني جاهل، وكل من سار على نهجهم. ولا بد من الدفاع المستميت عن تاريخنا الخالد، والهجوم الشجاع على مناهج الكذابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحق العلمية المملوءة بالحقائق الساطعة، والأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة»[١].

المطلب السادس :التفسير المادي للغزوات الإسلامية:

قال المستشرق ليفي دلا فيدا: «وثمة مسألة أخرى أثرت في اضطراب الأمور في عهد عثمان ﷺ فقد كان بيت المال الذي أرسي في عهد عمر بن الخطاب يتطلب دائما فيضا من الغنائم الناتجة من حركة الفتوح، ولم تكن مبالغ الجزية المحصلة من أهل الذمة كافية لسد احتياجات العسكر الجدد، ولم تكن الفتوح في عهد عثمان ﷺ رغم اتساعها بذات مردود مالي يسد حاجة بيت المال»[٢].

نقول وبالله التوفيق: إن المسلمين في عهد الخليفة عثمان لم يكونوا بحاجة ماسة للمال ــ كما يظن ــ هذا المستشرق، بل كانت البلاد الإسلامية في رخاء ليس له حدود، لأن الأموال فاضت على المسلمين في هذا العهد، فقد فتحت لهم كنوز كسرى، وتدفقت عليهم الأموال من كل حدب وصوب، كما أنه لم يكن الهدف المادي هو الأساس من حركة الفتح الإسلامي؛ بل كان الغرض منه تمكين الفاتحين من نشر كلمة التوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ آل عمران: ٢٠.

وهذا المستشرق وأمثاله ظن أن عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كان عهد كسل واسترخاء عن الفتوحات الإسلامية، وأن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ التفت إلى الرئاسة وتثبيت السلطة أكثر من أي شيء آخر، قال المستشرق (هربرت جوتشالك): «تولى الخلافة بعد عمر عثمان بن عفان، فلم يبذل نشاطا في الفتح، مثل ما فعل عمر بن الخطاب، إذ كرس جهده على تثبيت سلطان الدولة في الداخل، فولى أقرباءه المناصب الهامة، الأمر الذي أثار حفيظة فريق من المسلمين فقتلوه وهو يقرأ القرآن، فأرسلت أرملته قميصه الملطخ

---

(١) الصلابي: د. علي محمد محمد، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (شخصيته وعصره)،(ص: ٧).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٣ / ٧٢٠١)، مادة عثمان بن عفان.

بالدماء إلى قريبه معاوية بن أبي سفيان الذي كان واليا على الشام في ذلك الوقت، فعادت غريزة الأخذ بالثأر القديمة تطل برأسها في المجتمع الإسلامي، إذ لم يستطع بنو أمية ضبط أعصابهم فطالبوا بالأخذ بالثأر من قتلة عثمان بن عفان»(١).

والحقيقة أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بعد مقتل عمر بن الخطاب ﷺ جاهد أعداء الإسلام الذين طمعوا في استرداد ملكهم، وخصوصا في بلاد الفرس والروم. فقد بدأ يزدجر ملك الفرس يخطط في العاصمة التي يقيم فيها، وهي مدينة (فرغنة) عاصمة سمرقند، وأما زعماء الروم فقد تركوا بلاد الشام، وانتقلوا إلى القسطنطينية العاصمة البيزنطية، وبدؤوا في عهد عثمان بن عفان ﷺ في البحث عن الوسائل التي تمكنهم من استرداد ملكهم. وكذلك تجمع الروم في الإسكندرية، وبدؤوا يبحثون عن وسيلة لاسترداد ملكهم فيها، حتى وصل بهم الأمر إلى نقض الصلح، واستعانوا بقوة الروم البحرية فأمدوهم بثلاثمائة سفينة بحرية تحمل الرجال والسلاح. ولقد واجه عثمان بن عفان ﷺ ذلك كله بسياسة تتسم بالحسم والعزم لإخضاع المتمردين من الفرس والروم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد، ولاستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد؛ لقطع المدد عنهم. والعمل على إقامة قواعد ثابتة يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلامية. وإنشاء قوة بحرية عسكرية لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك(٢).

أما قول المستشرق إن عثمان بن عفان ﷺ قتل بسبب أنه ولى أقرباءه المناصب الهامة، الأمر الذي أثار حفيظة فريق من المسلمين فقتلوه وهو يقرأ القرآن. فهذا خطأ، وليس هذا السبب الحقيقي، ولم يصنف هذا المبرر المدعى على المؤرخين ضمن أسباب مقتله ﷺ والسبب الحقيقي لمقتله هو بسبب الفتنة التي حدثت في عهده، بدليل أن المؤرخين سموا الأحداث التي حدثت في عهد عثمان بن عفان ﷺ من سنة (٣٠ ــ ٣٥ هـ) بالفتنة، وقد سبق أن عرفنا دور عبد الله بن سبأ في الفتنة التي حدثت في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان ﷺ ودور أعداء الإسلام من اليهود، والنصارى، والمجوس الحاقدين على

(١) شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، (ص: ٨٥ ــ ٨٦).

(٢) انظر: الصلابي: د. علي محمد محمد، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (شخصيته وعصره)، (ص:١٩٣ ــ ١٩٤).

الإسلام والمسلمين، الذين قاموا بنشر الإشاعات والافتراءات الكاذبة ضد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهم يهدفون من ذلك إلى نشر الفوضى، وتعميق الفرقة بين المسلمين،لتهييج العامة انتقاما من الحكم الإسلامي الذي حطم دولهم، وقضى على جيوشهم.

المبحث الخامس

موقف بعض المستشرقين من علي بن أبي طالب ﷺ

وفيه مطالب:

المطلب الأول:التعريف به ﷺ

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من خلافة علي بن أبي طالب ﷺ

المطلب الثالث:بيعة علي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة.

المطلب الرابع: شبهة أن بعض الصحابة بايع علي بن أبي طالب ﷺ مكرهين.

المطلب الخامس: شبهة أن علي بن أبي طالب ﷺكان يطمع في الخلافة.

المطلب السادس: اتهام علي بن أبي طالب ﷺ بالتفريق بين الأنصار وبني أمية.

المبحث الخامس

موقف بعض المستشرقين من علي بن أبي طالب ﷺ

المطلب الأول:التعريف به ﷺ:

هو: ((علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب،واسمه شَيْبَةُ بن هاشم))[١].

قال ابن حجر: ((ولد قبل البعثة بعشر سنين على الراجح،وكان قد رباه النبي ﷺ من صغره..فلازمه من صغره فلم يفارقه إلى أن مات))[٢].

قال ابن الجوزي: ((يكنى أبا الحسن، وأبا تراب، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي،وعلي ﷺ أول من صدق رسول الله ﷺ من بني هاشم))[٣].

وتزوج: ((علي ﷺ فاطمة بنت رسول الله ﷺ وبنى بها بعد وقعة بدر، فولدت له الحسن وحسينا، ويقال: ومحسنا، ومات صغيرًا، وولدت له زينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى،وهي التي تزوج بها عمر بن الخطاب،ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر،فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة))[٤].

بويع علي ﷺ بالمدينة يوم الجمعة حين قتل عثمان، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، فاستقبل المحرم سنة ست وثلاثين[٥].

---

(١) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ١٧) (الطبقة الأولى في البدريين من الأنصار والمهاجرين)،تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري ج٧/٧١).

(٣) ابن الجوزي:أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،(٥ / ٦٦)، دراسة وتحقيق:محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،راجعه وصححه:نعيم زرزور.

(٤) ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية،(١١ / ٢٥)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر.

(٥) انظر: ابن الجوزي:أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (٥ / ٦٦)

وقتله عبد الرحمن بن ملجم: «وتوفي رحمة الله عليه وبركاته، ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين»(١).

المطلب الثاني:موقف أهل السنة والجماعة من خلافة علي بن أبي طالب ﷺ:

كان أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ هو على بن أبي طالب ﷺ، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، فهو أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم. - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥.

وقال شارح الطحاوية: «ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما لما قتل عثمان، وبايع الناس عليًا صار إمامًا حقًا، واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»(٢).

وقال أبو الحسن الأشعري: «ونثبت إمامة على بعد عثمان، ﷺ بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد، لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًا، لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن، ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد؛ متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم، هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم ﷺ»(٣).

وقال ابن حجر: «وكانت بيعة على بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة

---

(١) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٣ / ٣٦) (الطبقة الأولى في البدريين من الأنصار والمهاجرين).

(٢) الحنفي: علي بن أبي العز، شرح الطحاوية،(ص: ٤٩٢ ــ ٤٩٣)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) الأشعري: أبي الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة،(ص: ١٧٨)، حققه وخرج أحاديثه: بشير محمد عيون.

خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهما بعد ما كان»[(١)].

و «معاوية ﷺ لم يقاتل عليًا على الخلافة، ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان مع ظنه أنه مصيب في اجتهاده، ولكنه كان مخطئا في اجتهاده ذلك، فله أجر الاجتهاد فقط»[(٢)].

قال الشيخ ابن تيمية: «ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفؤًا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف على ﷺ فإن فضل علي، وسابقيته، وعلمه، ودينه، وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة»[(٣)].

لكن بعض المستشرقين ممن كتب عن بيعة علي ﷺ قد صوروا في بعض كتبهم أن من المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان ﷺ طلحة، والزبير، اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك، وقد اعتمد بعض المستشرقين على الروايات الضعيفة، والأخبار الموضوعة، مما يدل على جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة،وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة، وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة، والروايات الضعيفة والموضوعة، والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

المطلب الثالث: بيعة علي ﷺ بالخلافة:

اتخذ بعض المغرضين بيعة علي بن أبي طالب ﷺ مجالا لتشويه سيرة الصحابة رضوان الله عليهم مع العلم أنه قد تمت بيعة على ﷺ بالخلافة بطريقة الاختيار، وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ ، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الحاقدين الجهال إثر تلك الفتن، كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها بعض الحاقدين على الإسلام، كابن سبأ

---

(١) العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري،(٧ / ٧٢).

(٢) حسن: الشيخ د. ناصر بن على عائض،عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام،(٢ / ٦٩) .

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٣٥ / ٧٢ ــ ٧٣).

وأتباعه،والشبهة التي أدخلوها على بيعة على ﷺ ، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة، وأنهم أول من بدؤوا بالبيعة، وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين[(١)].

هذه من أقاويل بعض المؤرخين، التي لا تقوم على أساس، وليس لها سند صحيح، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات فاضطر علي بن أبي طالب ﷺ أن يقبل البيعة،و لم يتخلف عن علي أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة، أما البيعة فلم يتخلف أحد عنها، وأما المسير معه فتخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[(٢)].

فبيعة على كانت عن طواعية واختيار من المسلمين، وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة على، فقد بايعه كان من الصحابة في المدينة[(٣)].

المطلب الرابع:شبهة أن بعض الصحابة بايع علي بن أبي طالب ﷺ مكرهين:

ظن بعض المستشرقين أن بعض الصحابة بايع علي بن أبي طالب ﷺ مكرها، من ذلك ما قاله المستشرق فلهاوزن: «..لوم يهلل أهل المدينة للخليفة الجديد الذي تلقى البيعة وسلطان الخلافة من أيد غير بريئة من الإثم. وهم لم يؤيدوا تأييدا قويا، وكأنما كان من حسن حظه أن طلحة والزبير، وهما اثنان من الثلاثة الكبار بين الصحابة انقلبا عليه انقلابا مخزيا، لأنه بتلقيه البيعة نال دونهما نجاحا قانونيا، وهما في حياة عثمان لم يألوا جهدا في الكيد لعثمان. وكان يبدو أن ذلك لأجل علي، فقد قدماه على أنفسهما، لكنهما الآن

---

(١) أنظر: الزهري: محمد بن اسعد، كتاب الطبقات الكبير،(٣/ ٢٩)، الطبقة الأول في البدريين من المهاجرين والأنصار.تحقيق الدكتور: علي محمد عمر.

(٢) انظر: شراب: محمد محمد حسن، المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي (الرواية الصحيحة للتاريخ الحضاري السياسي والاقتصادي والعلمي للمدينة المنورة)،(٢/ ٣١٠ ــ ٣١١)، ط١،دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت ــ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الغيث: خالد بن محمد، استشهاد عثمان ﷺ ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري،(ص: ١٤٠)، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـــ ١٩٩٨م.

خرجا عليه خروج المنافسين، واتهماه بأنه هو الذي دبر مقتل عثمان وأنه هو الذي استفاد منه»(١).

وقالت المستشرقة ــ فاكليبيرى(L.Veccia Vaglieri) عن موقف بعض الصحابة رضي الله عنهم من خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «وعندما قتل عثمان، هرب الأمويون من المدينة، وظلت المعارضة سيدة الموقف، ولأن عليا هو الشخص الذي يحظى باحترامهم، فقد دعي إلى تولي الخلافة في ١٨ ذي الحجة ٣٥هـ / ١٧ يونية ٦٥٦م، وكان أنصاره على استعداد لاستخدام العنف في مواجهة هؤلاء الذين رفضوا بيعته، ومن بينهم طلحة والزبير»(٢).

والحق أن طلحة والزبير رضي الله عنهما بايعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه من أنه: «اجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليا فقالوا: ياأباحسن، هل نبايعك، هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا والله. فقالوا: ما نختار غيرك.قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان رضي الله عنه مرارا، ثم أتوه في آخر ذلك.

فقالوا له: إنه لا يَصلح الناس إلا بإمره، وقد طال الأمر. فقال لهم:إنكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم، وإني قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه.قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله، فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: إني قد كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم؛ ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟قالوا: نعم؛ قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك»(٣).

---

(١) فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،(ص: ٥١ ــ ٥٢)، نقله عن الألمانية: الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة: د. حسين مؤنس، نشر لجنة التأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٤ / ٧٤١٨). مادة علي بن أبي طالب.

(٣) الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٤٢٧ ــ ٤٢٨)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين[١]. فهي روايات من يطعن في عدالتهم، نحو رواية سيف بن عمر[٢]وكل ماروي عن بيعة طلحة والزبير بالإكراه، لا يثبت بنقل صحيح، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه ﷺ فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عـم رسـول الله، وصهره.

فالغريب أن هذا المستشرق وغيره من المستشرقين حاولوا جاهدين بتـر العلاقـة بـين الصحابي الجليل علي بن أبي طالب ﷺ وبين أصحاب الشورى، فهذا المستـشرق سـيديو يصف طلحة والزبير بالحاقدين[٣] على خليفة المسلمين علي ﷺ وما ذلك إلا لغرض خلـق الفرقة والتناحر بين المسلمين، وتقسيم المسلمين إلى فرق وأتباع.

كذلك المستشرق (رينهارت دوزي ١٨٢٠ ـــ ١٨٨٣) فقد وصف طلحة والزبير بأنهم منافسو عثمان القدامى[٤].

وفي ذلك دلالة على حقد بعض المستشرقين على الصحابة، ووصفهم بالتناحر والتباغض فيما بينهم ليسلم لهم فيما بعد التشكيك فيهم، وهم حملة السنة النبوية.

المطلب الخامس :شبهة أن علي بن أبي طالب ﷺ كان يطمع في الخلافة:

ظن بعض المستشرقين أن علي بن أبي طالب ﷺ كان له دور في مقتل عثمان بن عفان ﷺ طمعا في الخلافة، قال كريستيان سنوك هرخرونية ت ١٩٣٦م:

«لقد كان اغتيال عثمان ﷺ والذي تم ربما بمساعدة من علي ابن أبي طالب كـرم الله وجهه»[١].

---

(١) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٤٣٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٤٣٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل.

(٣) انظر: سيديو: ل. أ،تاريخ العرب العام، (ص: ١٠٩)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٤) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٤٢)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

كذلك طعن المستشرق فلهاوزن في أمانة أصحاب الشورى، وأنهم لم يعترفوا بحق علي ﷺ في الخلافة، متأثرين بأفكار الرافضة الذين سعوا إلى وضع كثير من الأحاديث التي تبين فضل علي بن أبي طالب ﷺ على بقية الصحابة.فقال: «ولم يكن عمر قد أوصى لعلي، وكان لعلي بحكم أنه ابن عم النبي، وزوج ابنته مطامع في الخلافة، بل هو كان يشعر من قبل أنه قد تُخطي. أما الذي فعله عمر فهو أنه أوصى بأن يكون تعيين الخليفة الذي يخلفه من طريق الاختيار....وتخطى أصحاب الشورى الستة هم أيضا عليا؛ لأنهم لم يشاؤوا أن يعترفوا له بأنه صاحب الحق الأول، فانتخبوا الصحابي المسن عثمان بن عفان من بيت أمية، وكان أقل الستة تميزا وشأنا، وهو كأنما كان قد رشح نفسه لديهم عندما قال لهم: لأن تعينوا حجرا خيرا من أن تعينوا مرة أخرى رجلا مثل عمر.ولكن النتيجة جاءت مخيبة لظنهم؛ لأن ماكان عليه عثمان من ضعف لم يجيء مفيدا لهم، بل مفيدا لبيته، لأنه خضع راضيا أو مجبورا لتأثير بيئته»[٢].

وقال المستشرق كارل بروكلمان: «ثم إن عليا ابن عم النبي وزوج ابنته، ادعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة، بوصفه أقرب الناس رحما إليه»[٣].

وفي تهمة المستشرق (كريستيان سنوك هرخرونية) لعلي بن أبي طالب ﷺ باغتيال الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ وفي قول المستشرق فلهاوزن: (وكان لعلي بحكم أنه ابن عم النبي وزوج ابنته مطامع في الخلافة).كذلك وصف علي بالمنافس لعثمان بن عفان يوحي بحرص علي بن أبي طالب على الخلافة.وما ذكره المستشرق كارل بروكلمان: من أن علي بن أبي طالب ادعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة. فيه دلالة على تأكيد تهمة حرص علي بن أبي طالب على الخلافة.

---

(١) هورخرونية سنوك: ك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة،(١ / ١٠٥)، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ،أعاد صياغته وعلق عليه: الدكتور: محمد محمود السرياني، والدكتور: معراج نواب مرزا، راجعه: محمد إبراهيم علي.

(٢) فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، (ص: ٣٨ ــ ٣٩)، ترجمة الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(٣) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية،(ص: ٨٣)، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي.

والحق أن علي بن أبي طالب ﷺ لم يحرص على تولي الخلافة والدليل على عدم حرصه ﷺ على الخلافة ماروواه أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قوله: «عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي رحمه الله وعثمان محصر، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي رحمه الله ، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال: خلِّ لا أم لك. قال: فأتى علي الدار، وقد قتل الرجل رحمه الله ، فأتى داره فدخلها، فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزيرًا خير مني لكم أمير. فقالوا:

لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم عليَّ فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسجد، فبايعه الناس، قال أبو عبد الله: ماسمعته إلا منه، ماأعجبه من حديث![1]»[2].

وفي ذلك دلالة على زهد علي ﷺ في الخلافة، وعدم طلبه لها، أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.وفيه دلالة على إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد، الذين قصدوا عليًا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليسوا قتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

أما قول المستشرق: (..وتخطى أصحاب الشورى الستة هم أيضا عليا؛ لأنهم لم يشاؤوا أن يعترفوا له بأنه صاحب الحق الأول، فانتخبوا الصحابي المسن عثمان بن عفان من بيت أمية، وكان أقل الستة تميزا وشأنا) فلم يتخط علي بن أبي طالب أصحاب الشورى الستة، مما يدل على تحامل هذا المستشرق على خلافة أبي بكر الصديق، مثل بقية الرافضة، بدليل أن المستشرق (فلهاوزن) قال عن خلافة أبي بكر الصديق إنها اغتصاب لحق الغير، ومؤامرة مدبرة، ـــ كما سبق ـــ وأن أشرنا إلى ذلك بقوله: «كان أبو بكر وعمر يعلمان أنهما لم

(١) إسناده حسن، (حاشية الكتاب رقم ١،ص: ٤١٦).

(٢) الخلال: أبي بكر أحمد بن محمد ت٣١١هـ، السنة، (١ ـــ ٣) /٤٢٥، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، ط٢، دار الراية ـــ الرياض ١٩٩٤هـ / ١٤١٥هـ.

يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب، وهما لم يستطيعا أن يسبغا على رياستهما التي كانت غير شرعية في أول الأمر ثوبا شرعيا إلا فيما بعد»(١).

فهذا دليل على تحامله على الخليفة أبي بكر الصديق وفق طريقة الرافضة ومن تبعهم. وفي هذا القول مغالطات، وتصوير واقع الصحابة بالتشاحن والبغضاء.

وهي محاولة للتفريق بين الصحابة، ليسلم لهؤلاء المستشرقين فيما بعد دس الشبه المغرية في سير الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وهذا غيض من فيض، فالتاريخ يشهد بفضل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وحسن إدارته للأمور وسياسته الرصينة، ولم يذكر المؤرخين من أن كبر سنه قد أثر في خلافته.وبالرغم من أن عليًا ﷺ قد بايع عثمان بن عفان بالخلافة بترشيح من أصحاب الشورى، إلا أن بعض المستشرقين تأثروا بأفكار الرافضة الذين سعوا إلى وضع كثير من الأحاديث التي تبين فضل علي بن أبي طالب ﷺ على بقية الصحابة.

قال المستشرق جوتشالك: «تولى علي بن أبي طالب الخلافة بعد عثمان، وكان سنه آنذاك خمسًا وخمسين سنة، فجاءت توليته متأخرة في نظر بعض المسلمين، لأنهم كانوا يرون أنه كان أحق بالخلافة من أبي بكر، وعمر، وعثمان. فوضع شيعته كثيرا من الأحاديث التي تبين فضله عليهم، ولكن الجماعة لم تجمع على ولايته حتى قتل عثمان، فبويع بالخلافة، وظل فيها من ٦٥٦ حتى ٦٦١م حتى قتله أحد الخوارج الذين انشقوا على طاعته»(٢).

فهذا المستشرق شهد أن التحامل ضد خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما هي نابعة من الرافضة الذين سعوا إلى وضع الأحاديث النبوية للدلالة على أحقية علي ﷺ بالخلافة؛ مما يدل على تأثر المستشرق فلهاوزن بالرافضة، وتشربه لفكرهم.

المطلب السادس: اتهام علي ﷺ بالتفريق بين الأنصار وبني أمية:

قال المستشرق دوزي: «لم يكد علي يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عزل جميع عمال عثمان، وأبدلهم بمسلمين من رجال العهد القديم، لا سيما الأنصار، وبذلك انتصر

---

(١) فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية،(ص: ٣٤)، ترجمة الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة.

(٢) شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي،(ص: ٨٦).

المتدينون، وآلت إليهم من جديد مقاليد الأمر، فشرعوا يسحقون أشراف القبائل والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب، وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد»(١).

إن قول المستشرق: (لم يكد علي يتسلم من الأنصار مقاليد الخلافة حتى عـزل جميـع عمال عثمان).فمردود، وذلك للأسباب التالية:

أولا: الخلافة لاتكون إلا للمهاجرين، ولم يثبت أن الأنصار تدخلوا في الخلافة. خاصـة بعد اتفاقهم مع المهاجرين في سقيفة بني ساعدة(٢).

ثانيا: بالنسبة إلى عزل عمال عثمان بن عفان ﷺ ، فقد بويع على بالخلافة بعد مقتـل أمير المؤمنين عثمان، وقد وقع الاضطراب، وكان علي ﷺ يعلم أن من الأسباب الرئيـسة للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان، فعزلهم، ولـيس ذلـك لعجـزهم أو ظلمهم، بل ليختار سواهم حسب ما يراه ملائمًا لتحقيق المصلحة العامـة، وقـد جانـب الصواب بعض المستشرقين ومن تبعهم في قضية عزل علي لولاة عثمان بـن عفـان ﷺ ، بالرغم من أن عزل الولاة ليس بالأمر الغريب، فقد عزل الصحابة بعض عمالهم فلم ينتقدوا، حيث عزل عثمان بن عفان سعدا عن الكوفة واستعمل عليها الوليد بن عقبة(٣).

كما عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وولاها عبد الله بن عامر بن كريز وهو ابـن خمس وعشرين سنة،(٤) وأيضا عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وتولية سـعيد بـن العاص عليها(٥).

---

(١) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٤٣)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

(٢) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٢ / ٦٩٧)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٥١ ــ ٢٥٢) (أحداث سنة ست وعشرين) .

(٤) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٦٤ ــ٢٦٧) (أحداث سنة تسع وعشرين).

(٥) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك،(٤ / ٢٧١ ــ ٢٨١) (أحداث سنة ثلاثين) .

ثم إن الولاة الذين ولاهم عثمان ﷺ من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وقد قام علي ﷺ بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الصلاح من الأقارب على الولايات، والتحقيق يثبت أن كلاً من علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختيارًا دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلاً عن مشكلات الخوارج في خلافة علي[1]، ولكن بعض المستشرقين ومن تبعهم اعتمدوا على روايات واهية للطعن في ولاة عثمان، وهذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها الأساس الذي بنيت عليه دراسات كثير من المستشرقين فأصبحت مستندا لهم للطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم، وفي عدلهم، وأمانتهم، وتصورهم أفرادًا ماديين.

ومن هذه الروايات ما ذكره الطبري: من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال:

«دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج،وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعليّ، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به، فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال لك هذا؟ قال: قال لي قبل مرّته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم، تقرهم على أعمالهم، ويبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد، ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى. قال: ثم انصرف من عندي، وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ، ثم عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك، وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيًا، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان. قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الأخيرة فقد غشك. قال لي علي: ولم نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا، ويؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام، وأهل

---

(١) انظر: العمري: د. أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة،(ص: ١٢٩)، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك، فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحها، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى منهم أحدًا أبدًا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف. قال ابن عباس: أطعني، وادخل دارك، والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة، وتضطرب، ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدًا.فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية رجل من بنى أمية، وهو ابن عم عثمان، وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم عليّ، فقال له علي: و لم؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فمنّه، وعِدْه، فأبى عليّ، وقال: والله لا كان هذا أبدًا»[1].

إن هذه الرواية واهية من حيث السند، وهذا كاف في إسقاطها، كما أن تدخل الراوي بميوله الرافضية له أثر في ذلك، حيث إن هذه الرواية لا تنقل الخبر على حقيقته لتحكم الأهواء فيها،كما أنها مضطربة ومنكرة من حيث المتن، وما قام به على بن أبي طالب ﷺ من تعيين ولاة جدد فهو من باب القيادة الحكيمة للاستفادة من الطاقات البشرية، والدماء الجديدة، ولا يعيب ذلك التصرف سياسة علي بن أبي طالب ﷺ وقد دأب خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب ﷺ بمراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياقم، والسؤال عنهم، سواء كانوا من أقربائه أو من غيرهم من باب مصلحة المسلمين.

ثالثا: أما قوله: (وأبدلهم بمسلمين[2] من رجال العهد القديم، لا سيما الأنصار)

إن مصطلح (رجال العهد القديم) من رموز الكتاب المقدس عند النصارى، وليست من المصطلحات الإسلامية،ثم كيف يبدلهم بمسلمين؟! فهذه العبارة توحي بأن عثمان بن عفان ﷺ جعل عماله من غير المسلمين وجاء علي بن أبي طالب ﷺ وأبدل الولاة الذين عينهم عثمان ابن عفان في خلافته على أمصار الدولة الإسلامية بالمسلمين!وهذا لم يقل به أحد ممن كتب عن سيرة عثمان بن عفان ﷺ.

---

(١) الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير،تاريخ الطبري، (٤ / ٤٣٩ ــ ٤٤٠).

(٢) خطأ لغوي ـــ كما يظهر لي ـــ والصواب (وأبدل بهم مسلمين) .

رابعا: أما قوله (وبذلك انتصر المتدينون، وآلت إليهم من جديد مقاليد الأمر، فشرعوا يسحقون أشراف القبائل، والأمويين الذين أسلموا بالأمس القريب، وتطلعوا الآن لأن يكونوا أصحاب الحل والعقد)

وصف هذا المستشرق علي بن أبي طالب ﷺ بأنه سحق أشراف القبائل والأمويين؟! كيف يكون له هذا، وعصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة. فقول المستشرق فيه محاولة لتشويه تاريخ الصحابة.ولنا أن نسأل: هل كان بنو أمية هم أصحاب السيادة المقيمين الذين لهم السيطرة في البلاد حتى يكونوا هم أصحاب الحل والعقد؟!

هذا لم يقل به أحد. مما يدل على افتراء بعض المستشرقين على صحابة رسول الله ﷺ.

الفصل الثاني

موقف بعض المستشرقين من التابعين

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من كعب الأحبار.

المطلب الأول: التعريف به.
المطلب الثاني: كعب الأحبار في نظر بعض المستشرقين.
المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.
المطلب الرابع: اتهامه بالكذب.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من وهب بن منبه.

المطلب الأول: التعريف به.
المطلب الثاني: علمه وثقافته.
المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.
المطلب الرابع: وهب بن منبه في نظر بعض المستشرقين.

المبحث الثالث: موقف بعض المستشرقين من الحسن البصري.

المطلب الأول: التعريف به.
المطلب الثاني: الحسن البصري في نظر بعض المستشرقين.
المطلب الثالث: موقف الحسن البصري من الحديث عند بعض المستشرقين.
المطلب الرابع: موقف الحسن البصري من التصوف.

المبحث الرابع: موقف بعض المستشرقين من محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

المطلب الأول: التعريف به.
المطلب الثاني: الطعن والافتراء على ابن شهاب الزهري.
المطلب الثالث: ابن شهاب الزهري في نظر بعض المستشرقين.
المطلب الرابع: ابن شهاب الزهري وفرية حديث (لا تشد الرحال)
المطلب الخامس: اتهام بعض المستشرقين ابن شهاب الزهري بالنصب.

الفصل الثاني

موقف بعض المستشرقين من التابعين

تمهيد

تعريف التابعين:

«لغة: التابعون جمع تابعي، أو تابع، والتابع اسم فاعل من (تَبِعَهُ) بمعنى مشى خلفه.

اصطلاحا: هو من لقي صحابيا مسلما، ومات على الإسلام. وقيل: هو من صحب الصحابي»[(١)].

أشهر التابعين:

من أشهر الرواة من التابعين بالمدينة: سعيد بن المسيب المتوفى سنة (٩٣هـ) وعروة بن الزبير المتوفى سنة (٩٤هـ)،و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المتوفى (٩٤هـ) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة المتوفى سنة (٩٩هـ) وسالم بن عبد الله بن عمر المتوفى(١٠٦هـ) وسليمان بن يسار المتوفى سنة (٩٣هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر المتوفى سنة (١١٢هـ) ونافع مولى ابن عمر المتوفى سنة(١١٧هـ) وابن شهاب الزهري المتوفى سنة(١٢٤هـ)، وأبوسلمة بن عبد الرحمن بن عوف توفي في المدينة سنة (٩٤هـ) وقيل (١٠٤هـ)،خارجة بن زيد بن ثابت توفي سنة (٩٩ هـ)،،وكذا: أبو الزناد المتوفى سنة (١٣٠هـ) ومن أشهرهم بمكة:عكرمة مولى ابن عباس(١٠٥هـ)،وعطاء بن أبي رباح(١١٥هـ)،وأبو الزبير محمد بن مسلم(١٢٨هـ)، ومن أشهرهم بالكوفة:الشعبي عامر بن شراحيل(١٠٤هـ)،إبراهيم النخعي(٩٦هـ)،وعلقمة بن قيس بن عبد الله النخعي(٦٢هـ)، ومن أشهرهم بالبصرة:الحسن بن أبي الحسن البصري (١١٠هـ)،ومحمد بن سيرين(١١٠هـ)،و قتادة بن دعامة الدوسي(١١٧هـ)،ومن أشهرهم بالشام:عمر بن عبد العزيز(١٠١هـ)، مكحول(١١٨هـ)، وقبيصة بن ذؤيب (٨٦هـ)، كعب الأحبار(٣٢هـ)، ومن أشهرهم بمصر: أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني(٩٠هـ)،يزيد بن

---

(١) الطحان: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، (ص: ٢٠٢).

أبي حبيب(١٢٨هـ) ومن أشهرهم باليمن:طاووس بن كيسان اليماني الحميري(١٠٦هـ)،وهب بن منبه (١١٠هـ)(١).

وسوف أقتصر في هذا الفصل على أشهر التابعين ممن كان لهم أثر وتناولهم بعض المستشرقين بالنقد، وهم: كعب الأحبار،ووهب بن منبه، والحسن البصري، ومحمد بن مسلم الزهري.

وقد ركز بعض المستشرقين على من اشتهر منهم برواية الإسرائيليات نحو:

(كعب الأحبار) و(وهب بن منبه) حيث كان لاختلاط المسلمين بأهل الكتاب، ومجاورتهم لهم، ودخول كثير منهم في الإسلام، أثره في نقل كثير من أخبارهم إلى المسلمين، وهو ما اصطلح عليه العلماء بـ(الإسرائيليات) من باب التغليب، لأنه يشتمل على أخبار أهل الكتابين معًا، اليهود والنصارى على حد سواء.

معنى الإسرائيليات:

إن: «لفظ الإسرائيليات ـ كما هو ظاهر ـ جمع، مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل،وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ، وإليه ينسب اليهود، فيقال بنو إسرائيل.وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ المائدة: ٧٨ ، وقوله ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٤.

وقوله ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ النمل: ٧٦ ، ولفظ الإسرائيليات ـ وإن كان يدل ظاهره على القصص الذي يروى أصلا عن مصادر يهودية ـ،يستعمله علماء التفسير والحديث، ويطلقونه على ماهو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير

(١) انظر: أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية،(ص: ١٧٣)، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ السعودية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤هـ.

قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما.بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على الحديث والتفسير من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام»[١].

وقد عرف الإسرائيليات المستشرق (فان فلوتن ١٩٠٣)[٢] بقوله: «يطلــق علمــاء المسلمين كلمة إسرائيليات على جميع العقائد غير الإسلامية، ولا ســيما تلــك العقائــد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري»[٣].

وقد دخلت الإسرائيليات في بعض كتب التفسير،كما دخل في الحديث من ذلك ما دخل في التفسير من الإسرائيليات، وكان الذين دسوا مثل هذه الأخبــار، ونــسبوها إلى الرسول ﷺ في الأعم الأغلب طائفتان هما: الزنادقة الذين أظهروا الإسلام، ودخلوا فيــه عن خبث طوية بغرض الطعن والافتراء.والقصاص الذي روجوا لتلك الأخبار؛ ليستميلوا وجوه العوام إليهم، ويستدروا ما عندهم عن طريق التحــديث بالمنــاكير، والغرائــب، والأكاذيب،[٤] وقد وجدت هاتان الطائفتان في مرويات أهل الكتاب، وأساطير القــدماء ــ مادة خصبة لتحقيق أغراضهم.ولم يكن أمرهم ليخفى على المحدِّثين الذين تصدوا لهذه الظاهرة، وكشفوا حقيقة هذه الأخبار،وبينوا زيفها وكذبها، ووزنوا الروايــات بميــزان دقيق، وطبقوا عليها منهجهم الفريد في النقد، وسبر المرويات، شأنها شأن غيرهــا مــن الأخبار المختلقة الموضوعة، كما يظهر ذلك من خلال ما كتبــوه في علــوم الحــديث،

---

(١) الذهبي: محمد حسين (أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر)، الإسرائيليات في التفسير والحديث،(ص: ١٣ ــ ١٤)،الناشر: مكتبة وهبة ــ القاهرة (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع).

(٢) فان فلوتن ١٩٠٣:" مستشرق هولندي تتلمذ على دي خويه، حقق ونشر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ١٨٩٥، كتاب البخلاء للجاحظ ١٩٠٠، رسائل صغيرة للجاحظ ١٩٠٣،وألف الأبحاث التالية: مجيء العباسيين إلى خرسان١٨٩٠، أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية، أمستردام ١٨٩٤ بالفرنسية." (بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٤١٠).

(٣) فلوتن: فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية،(ص: ١٠٩)، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه: الدكتور حسن إبراهيم ومحمد زكي إبراهيم،ط٢، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٦٥م.

(٤) انظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، (ص: ٣٥٨ ــ ٣٥٩).

وتراجم الرجال، والأحاديث الموضوعة، والمشتهرة على الألسنة، إلى غير ذلك.واتخذت الإسرائيليات ــ مع الأسف الشديد ــ مدخلاً للطعن في أئمة الإسلام وعلمائه، ممن كان لهم في الإسلام قدم راسخة، حتى كادت تذهب بالثقة في بعض الصحابة والتابعين، الذي عرفوا بالثقة والديانة، واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث، وذلك بسبب ما أسند إليهم من هذه الإسرائيليات،حيث اتهموا بأبشع الاتهامات من قبل بعض المستشرقين، ومن مشى في ركابهم، وعدُّوهم مضللين مدسوسين على الإسلام وأهله، حيث إن رواية الإِسرائيليات فتحت لأعداء الله من المنصرين وبعض المستشرقين منفذًا ينفذون منه إلى الطعن في الإِسلام، وفي الرسول ﷺ كما استهوت بحوث بعض المستشرقين المبنية على الروايات الباطلة التي رواها المفسرون، وبعض الكتاب ــ المسلمين المعاصرين الذين لم يتسلحوا بمعرفة حقيقة الدين، فساروا على نهجهم في الاستخفاف بالدين، باسم العلم حينًا، وباسم حرية البحث حينًا آخر. اعتقاد من لا يعلم حقيقة الأمر، ومن ليس من أهل العلم بالحديث أنها متلقاة عن النبي ﷺ وأذاعوها بين الناس، مع أن بعضها مدسوس على الإِسلام مشوّه، وساعد على ذلك وجودها في كتب مشهورة مؤلفوها أجلاء، كما ساعد على انتشارها ضعف دراسة السنة.

وقد قام بعض المستشرقين بالطعن في بعض من أسلموا من أهل الكتاب، وحَسُن إسلامهم، وعُرِفوا بالعلم والفضل، والعدالة والثقة، واتهموهم بأنهم كان غرضهم الدسيسة، والكيد للإسلام وأصوله.وقد اتخذت الإسرائيليات مدخلاً للطعن في أئمة الإسلام ممن أسلم من أهل الكتاب حيث اتهموا بأبشع الاتهامات من قبل بعض المستشرقين وأتباعهم.

كما نظر كثير من المستشرقين في كتب الحديث، والتفسير، والتاريخ، وراحوا يتصيدون مافيها من روايات الإسرائيليات بقصد تشويه الإسلام، متظاهرين بمظهر البحث العلمي البريء،ويزيدوا فيها ما شاء لهم هواهم، و لم يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عن مدى قربها أو بعدها عن الصواب، ومن أمثلة ذلك قصة الغرانيق التي يتصيدها بعض المستشرقين كما سبق أن تحدثنا عنها، وغيرها كثير.

المبحث الأول

موقف بعض المستشرقين من كعب الأحبار (ت ٣٢هـ)

المطلب الأول:التعريف به:

كعب الأحبار هو: «كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر،الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر ﷺ فجالس أصحاب محمد ﷺ فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام،...وكان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة»[١].

وقد «أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل في خلافة عمر رضي الله عنهما وصحب عمر وأكثر الرواية عنه،..وكان قبل إسلامه على دين اليهود، وكان يسكن باليمن، توفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بحمص متوجها إلى الغزو، ويقال: كعب الأحبار، وكعب الحبر، بكسر الحاء وفتحها لسعة علمه، ومناقبه، وأحواله، وحكمه»[٢].

المطلب الثاني: كعب الأحبار في نظر بعض المستشرقين:

اعتبر بعض المستشرقين كعب الأحبار مصدرًا يستقي منه المسلمون تعاليم القرآن بدليل أن الصحابة سألوا كعبا عن بعض الآيات.

قال جولد تسيهر: «وكثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس، اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: (كعب الأحبار) و(عبد الله بن سلام)...ومن الحق أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنة الكذب، ورفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتيابا...ولم يَعُدّ ابن عباس أولئك الكتابيين الذين دَخّلوا في الإسلام حججًا فقط في

---

(١) الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٣/ ٤٨٩ ــ ٤٩٠)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي،ط٢، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت ــ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) النووي:أبي زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات،(٢ / ٦٨ ــ٦٩).

الإسرائيليات، وأخبار الكتب السابقة، التي ذكر كثيرًا عنها من الفوائد، بل كان يسأل أيضًا كعب الأحبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين:أم الكتاب، والمرجان»[١].

وقال المستشرق (سميتز[٢] M.Schmitz): «ويعتبر كعب الأحبار أقدم مصدر إخباري من رواة الإسرائيليات»[٣].

لكن هناك بعض من المسلمين علل إسلام (كعب الأحبار) لكي ينخدع به المسلمون ويصدقوا مروياته الإسرائيلية لتشويه الدين الإسلامي.

قال السيد رشيد رضا: «كعب الأحبار الذي أدخل على المسلمين شيئا كثيرا من الإسرائيليات الباطلة المخترعة، وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده»[٤].

وقال في موضع آخر عن كعب الأحبار ووهب بن منبه: «كلاهما كان تابعيا كثير الرواية للغرائب التي لا يعرف لها أصل منقول ولا معقول، وقومهما كانوا يكيدون للأمة الإسلامية العربية التي فتحت بلاد فارس، وأَجْلَت اليهود من الحجاز»[٥].

وقال أبو رية عن مرويات كعب: «كان قارئا كاتبا، وعنده علم بكتب أهل الكتاب، فقد صدقه القرآن المهيمن..»[٦].

ولسنا ننكر رواية كعب ووهب وغيرهما للإسرائيليات، فذلك أمر تنطق به كتب التفسير والحديث التي تعنى بسرد الإسرائيليات[٧]، ولكن يجب علينا قبل أن نجازف بالحكم عليهما أن نأخذ بعين الاعتبار أمرين في غاية الأهمية:

---

(١) تسيهر: أجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامي،(ص: ٨٦ ــ ٨٨)، تحقيق: عبد الحليم النجار.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٧ / ٨٦١٠).

(٤) رضا: محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار،(٨/ ٤٤٩)(الأعراف. س ٧ الإسرائيليات وكعب الأحبار)،ط ١، مطبعة المنار بشارع مصر القديمة، بدئ بها في أواخر سنة ١٣٣٨هــ الموافق آخر سنة ١٢٩٨هــ.

(٥) رضا: محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار،(٩ / ٤٤ ــ ٤٥)(آية موسى في عصاه ويده) .

(٦) أبو شهبة: محمد بن محمد،دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين،(ص: ٧٤).

(٧) توجد رسالة دكتوراه مطبوعة بعنوان (كعب الأحبار وأثره في التفسير) للدكتور خليل اسماعيل الياس ، أثبت من خلالها أن الصحابة سألوا كعبا عن بعض الآيات، وفي الفصل السادس تناول الكاتب: أثر كعب في التفسير =

الأمر الأول: أن ما رووه من أخبار بني إسرائيل، لم يسندوه إلى رسول الله ﷺ، ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات، ويحكونه غير مصدقين له، بل كان موقفهم منها كموقف الصحابة ﷺ، فما جاء على وفق شرعنا صدقوه، وما خالفه كذبوه، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا توقفوا فيه، وردوا علمه إلى الله ﷻ.

الأمر الآخر: أنه ليس كل ما ينسب إليهم صحيحًا، فقد اختلق الوضاعون عليهم أشياء كثيرة، فاتخذوهم مطية لترويج الكذب، وإذاعته بين الناس، مستغلين شهرتهم العلمية الواسعة بما في كتب أهل الكتاب، ثم تناقل هذه الأخبار بعض القصاص والمؤرخين والأدباء، وبعض المفسرين على أنها حقائق من غير أن يتثبتوا من صحة نسبتها إلى من عزيت له[1].

وكون كعب الأحبار ممن حسن إسلامه،و أخرج له الشيخان في صحيحهما فيه دلالة على توثيقه[2]، خاصة أن نقاد علم الحديث قد كشفوا الإسرائيليات في المرويات، وبينوا سقيمها وصحيحها.

المطلب الثالث:ثناء العلماء عليه:

«ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، واتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه، ولذا لا تجد له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين، وترجم له النووي في تهذيبه وقال: اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه. قالوا: ذكر أبو الدرداء كعبا فقال: إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا. وذكره معاوية فقال:ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا لمفرطين، ولقيه عبد الله بن سلام عند أمير المؤمنين عمر ﷺ فقال

وقد أورد فيه مئتين وسبعة وعشرين اثرايين أن أكثرها مقبول أو مسكوت عنه وأما المردود فهو قليل لايصل الي عشر روايات.

(١) انظر: أبو شهبة: محمد بن محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، من (ص: ٧٠ ــ ٧١)

(٢).انظر مثلا: البخاري – مع الفتح –، كتاب الجنائز، ح (١١٩٣)، ومسلم كتاب الإيمان ج١/١٨٩ح(١٩٨).

له: يا كعب: من العلماء؟ قال: الذين يعملون بالعلم. قال: فما يذهب العلم من قلوب العلماء. قال: الطمع، وشره النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس. فقال: صدقت»[(١)].

المطلب الرابع:اتهامه بالكذب :

استغل اسم كعب الأحبار بوضع الروايات المدسوسة على الإسلام من قبل بعض علماء المسلمين للأسف، وقد استُند في رمي كعب الأحبار بالكذب إلى هذه الرواية. «قال أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن: أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال إنه من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»[(٢)].

والحق غير ذلك، والدليل على ذلك كما يتضح من خلال شرح المحدثين.

«قال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية أن يخطئ أحيانا فيما يخبر به، و لم يرد أنه كان كذابا.وقال غيره: الضمير في قوله:(لنبلو عليه) للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب، لكونهم بدلوه وحرفوه.وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب، وعلى حديثه وإن لم يقصد الكذب ويتعمده،إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ماهو عليه،وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.. وقال ابن الجوزي: المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار»[(٣)].

---

(١) أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، (ص: ١٨٠ ـــ ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ:" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"ج ١٣/ ٣٣٣، ح(٧٣٦١).

(٣) فتح الباري،(١٣ / ٣٣٥).

وقد ذكر الأستاذ محمد أبو زهو هذه الرواية وفندها،[1] والحق أن علماء الجرح والتعديل طهروا السنة من الموضوعات، وبينوا لنا الصحيح من العليل، مما لا يدع مجالا للشك في صحة المرويات عن الرسول ﷺ.

(١) انظر: أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، (ص: ١٨١ ــ ١٨٣).

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من وهب بن منبه (٣٤ ـ ١١٤ هـ)

المطلب الأول:التعريف به:

((هو: وهب بن منبه ابن كامل بن سيج بن ذي كبار ، وهو الأسوار الإمام، العلامة لإخباري القصصي، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الذِّماري الصنعاني، أخو همام بن منبه مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحج.وأخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة ـــ إن صح ـــ وأبي سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص ـــ على خلاف فيه ـــ وطاووس... وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب،..قال وهب: لقد قرأت ثلاثين كتابا نزلت على ثلاثين نبيا...عن عمرو بن دينار. قال: دخلتُ على وهب داره بصنعاء، فأطعمني من جوزة في داره، فقلت له: وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتابا؛ فقال: وأنا والله.قال أحمد: اتهم بشيء منه ورجع. وقال العجلي: رجع. عن حماد بن سلمة، عن أبي سنان، سمعت وهبا يقول:كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء؛ في كلها: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر؛ فتركت قولي. واختلف في وفاته، فقيل ١١٠هـــ وقيل ١١٤هـــ وقيل ١١٣هـــ))[١].

المطلب الثاني:علمه وثقافته:

كان وهب بن منبه واسع الاطلاع على كتب الأولين، ويقول عنه ابن كـــثير: ((لـــه معرفة بكتب الأوائل))[٢].

وقال عنه ياقوت الحموي: ((كان من خيار التابعين ثقة صدوقا كثير النقل من الكتـــب القديمة المعروفة بالإسرائيليات))[٣].

---

(١) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٤٤ ـــ ٥٥٧)، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: مأمون الصاغرجي. (طبع مؤسسة الرسالة)

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير،(٩/ ٢٧٦).

(٣) الحموي: ياقوت، معجم الأدباء،(٦ / ٢٨٠٢).

وله عناية بالإسرائيليات، حتى اجتمع له علم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، وروي عنه أنه قال: يقولون عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما(يعني نفسه)[(١)].

المطلب الثالث:ثناء العلماء عليه :

قال عنه الذهبي: «وهب بن منبه ثقة كما قال العِجلي: تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء، وقال أبو زرعة والنسائي ثقة»[(٢)].

وكان يتهم بالقول في القدر، قال الإمام أحمد: «كان يتهم بشيء من القدر، ثم رجع...وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان:سمعت وهب بن منبه يقول:كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، في كلها: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر؛ فتركت قولي»[(٣)].

جاء في العقيدة الطحاوية في قوله: (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن): «وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به»[(٤)].

فلا ينظر لتضعيف الفلاس له لاعتبار أن البخاري ومسلم قد رويا عنه في صحيحهما، وكل من أخرج له البخاري ومسلم فهو ثقة. ولا ينظر لمن خالفهما، وحينئذ فلا يلتفت لتضعيف الفلاس، كما أن شبهة الفلاس قوله بالقدر وقد رجع عن ذلك كما

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ،(١/ ١٠١)، طبع الهند، وانظر: أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية،(١٨٤، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٢) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٤٥)، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: مأمون الصاغرجي. (طبع مؤسسة الرسالة) .

(٣) ابن حجر: الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني الشافعي ٧٧٣هـ ـ ٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، (٤/ ٣٣٢)، اعتناء إبراهيم الزيبق، عادل مرشد (مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، وانظر:أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، (ص: ١٨٤).

(٤) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية،(ص: ١٠٦)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

ورد في رواية الإمام أحمد.ومارواه وهب بن منبه من الإسرائيليات لم ينسبه إلى الرسول، و لم يكذب فيه على أحد من المسلمين، وإنما كان يرويه على أنه من الإسرائيليات.

المطلب الرابع: وهب بن منبه في نظر بعض المستشرقين:

الكتابات الاستشراقية لم تهتم بعلم التفسير إلا في وقت متأخر، فقد نشر المستشرق الفرنسي (كليمان هوارت Clement-Huart ١٨٥٤/ ١٩٢٧ م) :مقالة "وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني باليمن " ضمن الجريدة الأسيوية باريس ، عدد سبتمبر أكتوبر ١٩٠٤م " وهذه المقالة تعرف بالتفسير ، وخلص صاحبها في خاتمته إلى توجيه الطعن " لجامع البيان " لابن جرير الطبري . [١].

لاشك أن لرواية الإسرائيليات أثراً سيئاً على الإسلام وعقائد المسلمين فمن ذلك:
أنها فتحت لأعداء الله من االمنصرين والمستشرقين منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الإسلام، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما استهوت بحوث بعض المستشرقين المبنية على الروايات الباطلة التي رواها المفسرون والإخباريون وبعض الكتاب المسلمين المعاصرين الذين لم يتسلحوا بمعرفة حقيقة الدين، وحقيقة هذه الروايات فساروا على نهجهم في الاستخفاف بالدين باسم العلم حيناً، و باسم حرية البحث حيناً آخر.
نحو: (محمود أبو رية) فقد كان أشد القوم إسفافًا وطعنًا وتجنيًا على الصحابة والتابعين ـــ رضوان الله عنهم ـــ حيث عقد فصلاً في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) بعنوان: (الإسرائيليات في الحديث) ومن مزاعم أبي رية للتشكيك في أصالة التعاليم الإسلامية قوله: بأن وهب بن منبه، وكعب الأحبار كانا يبثان في الدين

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ،مقال بعنوان: تفسير القرآن الكريم في كتابات المستـــشرقين، د. عبـــد الرزاق بن إسماعيل هرماس. المطلب الثاني : بداية اهتمام المستشرقين بالتفسير. الجزء رقم: ٦٧، ص ١١٠.

الإسلامي أكاذيب وترهات وتلقى الصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة، بغير نقد أو تمحيص معتبرين أنه صحيح لاريب فيه(١).

والحق أن ما ثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عباس وغيرهما كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب، فهو أمر لا يعيبهم، ولا ينقص من قدرهم وعلمهم، وذلك لأمور منها: أنهم لم يخرجوا عن دائرة الجواز التي حدّها لهم رسول الله ﷺ وأذن لهم فيها بدليل مارواه البخاري: «عن عبد الله بن عمرو:أن النبي ﷺ قال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(٢).

فقد أباح لهم أن يحدِّثوا عما وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب لما في أخبارهم من العبرة والعظة، بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوبًا، لأنه ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب. وهذه الإباحة جاءت بعد أن عرفت الأحكام واستقرت، وذهب خوف الاختلاط والتشويش.

فالصحابة ﷺ كان لديهم منهج سديد، ومعيار دقيق في قبول ما يلقى إليهم من الإسرائيليات، فما وافق شرعنا قبلوه، وما خالفه كذبوه، وما كان مسكوتًا عنه توقفوا فيه.ثم إنهم لم يكونوا يرجعون إليهم في كل أمر، وإنما كانوا يرجعون إليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث والأخبار، ولم يُعرف عنهم أبدًا أنهم رجعوا إليهم في العقائد، ولا في الأحكام، ولو ثبت أنهم سألوا أهل الكتاب عن شيء يتعلق بالمعتقد، فلم يكن ذلك عن ارتياب منهم، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم، بالاستشهاد والتأييد لما جاء في شريعتنا، عن طريق الاحتجاج عليهم بما يعتقدون.والثابت عدالة الصحابة، وحرصهم على امتثال أوامر الله ورسوله، وعدم تسليمهم لأهل الكتاب كل ما يروونه من إسرائيليات، وليس لنا أن نقول بتهاونهم، ومخالفتهم لتعاليم رسول الله ﷺ فضلاً عن رميهم بالغفلة.وعموما فإن أي

---

(١) انظر: أبو رية: محمود،أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١١٠)، مطبعة دار التأليف بمصر، ط ١، ١٣٧٧هـ — ١٩٧٦ م.

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الأنبياء ج٦/ ٤٩٦، ح: (٣٤٦١)، ومسلم في كتاب العلم،باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج٢/٢٢٩٨ ح(٣٠٠٤).

باحث منصف لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات قد دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنهم نقلوها بحسن نية، ولا ينكر أيضًا أثرها السيئ في كتب العلوم، وأفكار العوام من المسلمين. ولكن الذي لا يسلم به أن يكون عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم ـ كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين.

وكيف ذلك ووهب بن منبه كان من خيار التابعين وثقاتهم، أخرج له البخاري ومسلم، ولا يُعلم أحد من أئمة هذا الشأن طعن فيه بأنه وضاع ودسَّاس، بل رأيناهم يوثقونه، فقد وثقه أبو زرعة، والنسائي، والعجلي، وغيرهم ـ كما سبق أن أشرنا ـ.وما رواه من أخبار بني إسرائيل، لم يسنده إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكذب فيه على أحد من المسلمين، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات،غير مصدق له، بل كان موقفه منها كموقف الصحابة ﷺ ، فما جاء على وفق شرعنا صدقه، وما خالفه كذبه، وما لم يوافق أو يخالف شرعنا توقف فيه، ورد فيه علمه إلى الله ﷻ.

المبحث الثالث

موقف بعض المستشرقين من الحسن البصري(٢٥هـ/١١٠هـ):

المطلب الأول:التعريف به:

هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ولد الحسن بن أبي الحسن يسار بالمدينة المنورة لسنتين بقين من خلافة عمر بن الخطاب، وروى أبو معشر عن إبراهيم أن الحسن تكلم في القدر رواه مغيرة بن مِقْسم عنه. وقال سليمان التيمي: رجع الحسن عن قوله في القدر. قال أبو سعيد الإعرابي: كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص، حتى نسبته القدرية إلى الجبر،وتكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر، كل ذلك لافتنانه، وتفاوت الناس عنده، وتفاوقم في الأخذ عنه، وهو بريء من القدر، ومن كل بدعة.قلت: وقد مر إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب، فلعلها هفوة منه ورجع عنها، ولله الحمد. قال ابن علية: مات الحسن في رجب سنة عشر ومئة[1].

المطلب الثاني: الحسن البصري في نظر بعض المستشرقين:

قال المستشرق ريتر ((١٨٩٢-١٩٧١) HELIMUT RITTER-: «وكان الحسن يطلق على محب الدنيا الذي يأخذ عقيدته بخفة، ويرتكب الإثم دون أن يراجع نفسه (المنافق) وكان يقتصر في استعمال هذه الصفة على هذا المعنى، ومن ثم فإن الحسن يظهر في مختارات الحكم بأنه النصير الأكبر للمذهب القائل بأن صاحب الكبيرة منافق (Riter ص٤٢ ـــ ٤٤) وهو يتخذ موقف المتشدد في المعاصي، ويرى أن الآثم مسؤول كل المسؤولية عن أفعاله، ولا يمكن أن يلتمس العذر لنفسه بأن جميع الأفعال من صنع الله. وهذا هو موقف القدرية.

ويدرك ابن تيمية الصلة بين تشديد المعاصي والقدرية إذ يقول: إن الناس يرمون كل من يتشدد في المعاصي بأنه قدري، ومن أجل هذا اتهم الحسن بأنه يؤمن بمذهب القدرية.

(١) انظر:الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٦٣ ـــ ٥٨٧)، ط٢ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.

ولا شك في أن الحسن قد اتخذ موقف القدرية، ولو أن ثمة محاولات بذلت من قبل تاريخ متقدم لتبرئته من هذه الوصمة (Riter ص: ٥٧ وما بعدها)»[١].

الرد على هذا المستشرق:

أولا: قوله: «وكان الحسن يطلق على محب الدنيا الذي يأخذ عقيدته بخفة ويرتكب الإثم دون أن يراجع نفسه (المنافق) وكان يقتصر في استعمال هذه الصفة على هذا المعنى»[٢].

لابد لنا أولا أن ندرك أن مسألة (الأسماء والأحكام)، ـــ أعني اسم الإيمان واسم الكفر والنفاق ـــ أسماء شرعية، لذا لابد لنا أن نتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق.

تعريف المنافق لغةً واصطلاحًا:

ففي اللغة: «نافق ينافق منافقةً ونفاقًا، وهو مأخوذ من النفقاء: أحد حجرة اليربوع إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النَّفَق: وهو السَّرَب الذي يُستتر فيه، لِسَترِه كُفرَه»[٣]. فالنفاق في اللغة يعني التقلب على أكثر من وجه والاستتار.

وفي الاصطلاح: فهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف مافي القلب والاعتقاد[٤].

فالمنافق: هو الذي يظهر الإسلام ومتابعة الرسول، ويبطن الكفر، ومعاداة الله ورسوله.

وفي الشرع:هو الذي يظهر غير ما يبطن. فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص، وحكمه في الآخرة حكم الكافر وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه لله والمؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء: ١٤٥.

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٢ / ٢٧٧٧ ـــ ٢٧٨٨).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٢ / ٢٧٧٧ ـــ ٢٧٨٨).

(٣) انظر:ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٥٤٤هـ ـــ ٦٠٦هـ،النهاية في غريب الحديث والأثر،(٥/ ٩٨)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي،ط١ دار إحياء الكتب العربية ـــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣هـ ـــ ١٩٦٣م. وانظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة نفق،(المجلد السادس، الجزء الخامس والخمسون، ص: ٤٥٠٨)

(٤) المالكي: الحافظ ابن العربي،عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي،(١٠ / ٩٧)، مكتبة المعارف، بيروت (بدون تاريخ).

وهذا هو النفاق الاعتقادي المخرج من الملة. أما النفاق العملي فقد قال الإمام الترمذي رحمه الله في تعليقه على حديث: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

جاء في عارضة الأحوذي: «وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل،وإنما نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ هكذا روي عن الحسن البصري شيئ من هذا أنه قال: النفاق نفاقان، نفاق عمل، ونفاق التكذيب»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن النفاق ماهو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول..فهذا ضرب النفاق الأكبر، وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها»(٣).

من هنا يتضح المراد من النفاق الذي قصده الحسن البصري، وهو النفاق العملي وليس الاعتقادي.ورد في كتاب العقيدة الطحاوية: «قال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال»(٤).

ثانيا: قول المستشرق ريتر:

«فإن الحسن يظهر في مختارات الحكم بأنه النصير الأكبر للمذهب القائل بأن صاحب الكبيرة منافق (Riter ص٤٢ ــ ٤٤)»(٥)

فالمقصود أن صاحب الكبيرة منافق نفاقًا عمليًا وليس اعتقاديًا لأن النفاق الاعتقادي يخرج صاحبه عن الملة، أما النفاق العملي فلا يخرج صاحبه من الملة. وقد كان العاصي يأتي النبي ﷺ فيعاتبه، ويأتيه آخر فيأمر بإقامة الحد عليه، ويأتيه آخر فيأمره بالتوبة والرجوع إلى الله، كل حسب معصيته وحكمها، إلا أن الثابت تواترًا أنه ﷺ لم يكن يعامل العصاة كما

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب الإيمان، باب علامة المنافق،(ج١/ ٨٩ح (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب خصال المنافق شرح النووي(٢/ ٤٦).

(٢) المالكي: الحافظ ابن العربي،عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي،(١٠ / ١٠٠).

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٢٨ / ٤٣٤ ــ ٤٣٥).

(٤) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية، (ص:٣٢٢)

(٥) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٢ / ٢٧٧٧ ــ ٢٧٨٨).

يعامل المرتدين الخارجين عن الإسلام، ولا أدل على ذلك من إقامة الحدود الشرعية، فعلى الرغم من أن كل ما ترتب عليه حد فهو من الكبائر، إلا أن الشرع عاقب كل جريمة بحسبها، فالسارق تقطع يده، وشارب الخمر يجلد، وكذلك الزاني غير المحصن، ولو كانت هذه الكبائر كفرًا لوجب قتل هؤلاء جميعًا ما لم يتوبوا، وقد دلَّ القرآن في آيات كثيرة على عدم كفر العصاة،كقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ البقرة: ١٧٨.

فقد سمى الله القاتل أخًا في الدين، ولو كان كافرا لنفى عنه الأخوة الإيمانية.

وقوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ الحجرات: ٩.

فقد أثبت الله الإيمان للطائفتين المتقاتلين رغم كون إحداهما باغية، والبغي ولا سيما في دماء المؤمنين من أعظم الكبائر وأشنعها، ومع ذلك سمى الله المتصفين به مؤمنين، ودعاهم إلى الصلح والتوبة،ومن الآيات الدالة على عدم تكفير مرتكبي الكبائر،قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ النساء: ٤٨.

وقسّم سبحانه الذنوب إلى قسمين: ذنوب لا يغفرها الله ــ لمن مات مصرًا عليها ــ وهي الشرك. وذنوب أصحابها تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عاقبهم، ولا شك أن السرقة، وشرب الخمر، وقتل النفس المعصومة، ذنوب دون الشرك، ولا يمكن مساواتها به، فأصحابها تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم فترة من الزمن، ثم يخرجهم من النار بتوحيدهم على ما دلت عليه أحاديث الشفاعة، وإن شاء عفا عنهم، وأدخلهم الجنة برحمته.

ورد في كتاب العقيدة الطحاوية: «أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفرًا ينقل عن الملة

لكان مرتدًا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام. ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة.فإن قولهم باطل أيضًا، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾البقرة: ١٧٨ ، إلى أن قال: ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ البقرة: ١٧٨ ،فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب»[1].

المطلب الثالث:موقف الحسن البصري من الحديث عند بعض المستشرقين:

قال المستشرق ريتر: «ويعد الحسن في نظر المتأخرين من المحدثين محدثا قليل العناية بالأحاديث التي يرويها، فقد ذاعت أقواله هو وقيل إنها (أحاديث) و لم ينف هو ذلك (Riter ص: ١١) ومن ثم فقد أساء الحكم عليه النقاد من المحدثين، ورماه الذهبي (ميزان الاعتدال، مادة الحسن) بأنه كثير التدليس[2][3]».

قال الذهبي: «والحسن مع جلالته مدلس»[4].

---

(١) الحنفي: لابن أبي العز، شرح الطحاوية،(ص:٣٠١ ـــ ٣٠٢).

(٢) للتدليس قسمان: تدليس الإسناد وله صورتان،الأولى: " أن يروي الراوي عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه من غير أن يذكر أنه سمع منه. ومعناه: (أن يروي الراوي عن شيخ قد سمع منه بعض الأحاديث لكن هذا الحديث الذي دلسه لم يسمعه منه، وإنما سمعه من شيخ آخر عنه، فيُسقِط ذلك الشيخ، ويرويه عنه بلفظ محتمل للسماع وغيره، كـ (قال) أو (عن) ليوهم غيره أنه سمعه منه، لكن لا يصرح بأنه سمع منه هذا الحديث، فلا يقو ل: سمعت) أو (حدثني) حتى لا يصير كذابًا بذلك، ثم قد يكون الذي أسقطه واحدا أو أكثر.) والصورة الثانية: تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس؛ لأن الراوي يسوي الإسناد كله ثقات، أما القسم الثاني من التدليس فهو: تدليس الشيوخ، وهو: أن يروي الراوي عن شيخ حديثًا سمعه منه، فيسميه أو يكنيه، أو ينسبه، أو يصفه بما لا يُعرف به كي لا يعرف، وهو: رواية الراوي عن شيخه، ثم إسقاط راو ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر، وكراهته أخف من تدليس الإسناد لأن المدلس لم يسقط أحدًا.. " الطحان: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، (ص: ٨١ ـــ ٨٣).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٢ / ٣٧٧٨).

(٤) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٧٢)، ط٢ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت.

وقال في خاتمة ترجمته: «إنما أعرض أهل الصحيح عن كثير مما يقول فيه الحسن: عن فلان،وإن كان مما قد ثبت لُقِيُّه فيه لفلان المعين، لأن الحسن معروف بالتدليس، ويدلس عن الضعفاء، فيبقى في النفس من ذلك، فإننا وإن ثبتنا سماعه من سمرة، يجوز أن يكون لم يسمع فيه غالب النسخة التي عن سمرة، والله أعلم»(١).

وبالرغم من أنه قد وصف بالتدليس، إلا أنه كان عالمًا ورعًا، فالمظنون به أنه لا يحدث عن الرسولﷺ إلا بما تأكد من ثبوته. قال أبو زرعة الرازي: «كل شيء، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلا ثابتا ما خلا أربعة أحاديث»(٢).

وعموما فإن الحسن البصري كان يدلس فعلاً، ويرسل كما نص عليه غير واحد من أهل العلم، منهم أبو الوفاء في(التبيين لأسماء المدلسين)، فقد ذكر «عن ابن حجر أنه كان مكثرا من الحديث، ويرسل كثيرا.وقال عنه النسائي: مدلس.وقال عنه أبو زرعة: الحسن عن أبي الدرداء مرسل»(٣).

---

(١) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،(سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٨٨).

(٢) الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٤/ ٥٧٦).

(٣) ابن العجمي: إبراهيم بن محمد بن سبط،(ص: ٢٠)، التبيين لأسماء المدلسين، ط١، تحقيق: يحيى شفيق، دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

المطلب الرابع:موقف الحسن البصري من التصوف:

بدا الاهتمام بالصوفية بين دوائر الاستشراق الذين اهتموا بإخراج المؤلفات الصوفية وطبعها ونشرها.

وبعض المستشرقين لم يهتموا بالصوفية وإبراز الغلاة منهم فقط، بل بكل الفرق، كالمعتزلة، والروافض، والخوارج.

فلماذا هذا الاهتمام إن لم يكن لإبراز الوجه الآخر لتاريخ المسلمين؟

لذا؛ فقد فُسر زهد البصري، وحزنه الشديد بأنه تصوف، مع العلم أنه ليس لديه غير الفقه والخوف والحزن المتواصل.ولفظ التصوف والصوفية لم يكن معروفا في صدر الإسلام وإنما هو محدث بعد ذلك أو دخيل على الإسلام من أمم أخرى(١).

وذكر (آدم متز)في كتابه الحضارة الإسلامية أنه: ((ينسب للحسن البصري شيخ زهاد البصرة، أنه رأى على مالك بن دينار كساء من صوف، فقال له: يعجبك هذا؟ قال نعم. قال: إنه كان على شاة قبلك، ولكن هذا النقد للصوفية لم يمنعهم من أن يضموا إلى رجالهم أكبر رجل من خصومهم، فيعتبروا الحسن البصري ــ وهو أشهر عباد الطرق ــ أول أستاذ أوضح سبيل مذهبهم، على أن سند المذهب امتد أكثر من ذلك، فأراد قوم أن ينسبوا مذهب التصوف إلى النبي فردوا علم الحسن إلى حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور، ويحكى أن الحسن سئل عن ذلك فقال: أخذته عن حذيفة بن اليمان،وقال حذيفة: خصني به رسول الله ﷺ))(٢).

فبعض المستشرقين قد نسبوا التصوف للتابعي الجليل الحسن البصري تقليدا لبعض المتصوفة الذين يطلقون عليه مسمى (سيدنا الإمام الحسن البصري سيد التابعين... وإمام الصوفية) على اعتبار أنه قد استمد مشربه الصوفي من واحة رابع الخلفاء الراشدين علي بن

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١١ / ٥ ــ ٧).

(٢) متز: آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوعصر النهضة في الإسلام،(٢/ ٢٧)، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، ط٤، مكتبة الخانجي، ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

أبي طالب ﷺ ،كما أن الكتب التي تناولت رجال الصوفية قد عدوه من أئمتهم، وكذلك مؤرخي الصوفية قد أفردوه بالترجمة في مؤلفاهم[١].

وقد حاول بعض العلماء المعاصرين المتأثرين بذلك إثبات انتهاء بعض سلاسل الطرق الصوفية إلى الخليفة الرابع علي ﷺ من طريق الإمام الحسن البصري، ومن هؤلاء: الدكتور إحسان عباس الذي صنف كتابا عن الإمام الحسن البصري، وبين فيه سلاسل الطرق الصوفية التي ينتهي إسنادها إليه، وحصرها في ثلاثة فروع، ووافقه على ذلك الدكتور علي سامي النشار، ومن هذه الفروع الصوفية هي:

الفرع الأول: الذي يبدأ من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومنه إلى حذيفة ثم الحسن البصري، ومنه إلى الحارث المحاسبي. وقد اشتهرت هذه السلسلة وانتشرت في شمال أفريقيا خاصة[٢].

لذا نجد ما يعرف (بالطريقة البصرية) من ضمن الطرق الصوفية نسبة إلى الحسن البصري.

جاء في الدائرة قول المستشرق ريتر: «ويظهر اسمه ــ يقصد الحسن البصري ــ في سلاسل كثيرة من الطرق الصوفية بأنه حلقة في هذه السلاسل، ويذكر اسمه مرات لا تحصى في كتب المواعظ الخلقية، وأثره في تقشف الأتقياء يتردد في البصرة»[٣]. ، ومن ثم رصد البحث الصوفي ضمن الطرق الصوفية العديدة: طريقة تعرف بــ (الطريقة البصرية) نسبة إلى الإمام الحسن البصري.

وقد اهتم بعض المستشرقين بدراسة التصوف في الرسائل العلمية لإثبات أثر الحسن البصري فيه، وأنه من المؤسسين للتصوف.ومن ذلك أنه تم اقتراح دراسة الحسن البصري على المستشرق: (هانز هاينريش شيدر(١٨٩٦ ــ ١٩٥٧م)[٤] وقصة ذلك كما وردت أنه:

---

(١) نحو:حلية الأولياء لأبي نعيم، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني.

(٢) النشار: د. علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين) (ص: ٣/ ١٢٩، ط٨، طبعة دار المعارف ــ القاهرة (بدون تاريخ).

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٢ / ٣٧٧٨ ــ ٣٧٧٩).

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

«كان عالم اللغة الآشورية (برونومايسنر ١٨٦٨ ١٩٤٧م) صاحب كرسي تدريس اللغات السامية في بريلاو آنذاك يود مساعدة العائد من الحرب(شيدر) عام ١٩١٩ على كتابة أطروحة غير معقدة بحيث يمكن إتمامها بسرعة، ولذا فقد اقترح عليه أن يعمل على دراسة مادة الحسن البصري ممثل الورع الإسلامي الهام في القرن الهجري الأول في الجزء الأول، من المجلد السابع من طبقات ابن سعد الذي أصدره آنذاك. ولكن (شيدر) أدرك بسرعة أن المادة التي يقدمها ابن سعد وغيره من مؤلفي علم الرجال لا تكفي في حال من الأحوال لهذا البحث، لا بل إنها على العكس من ذلك ملائمة لإحاطة الموضوع الحقيقي بالغموض، كما أن السيرة وحدها لا تضيف شيئا جديدا، فالسبيل إلى فهم الطابع الديني الحقيقي للحسن البصري هو في ضرورة العودة إلى مؤرخي الدين الإسلامي، وخاصة مؤلفي سير القديسين والصوفيين (مجلة Der Islam المجلد ١٤، ١،١٩٢٤[(١)])

وهكذا فقد مال الثقل في بحث هذه الأطروحة إلى جانب التاريخ الديني، وكشرط أساسي لذلك كان لا بد من دراسة التيارات الفكرية في العراق، موطن الحسن، وأدى هذا الأمر(بشيدر) إلى مواجهة المسائل الجذرية في الأبحاث والدراسات الإسلامية، ومنها إلى المسائل الجذرية لعلم الأديان بوجه عام، فالعراق بلاد بابل القديمة هي الوطن الحقيقي لعلم الديانة الإسلامية، وللتصوف الإسلامي، كما أنها موطن العقائد الغنوصية المختلفة، وخاصة المانوية، أي تلك الروح المحركة التي أدت بصورة حاسمة إلى نشوء علم الكلام عند المسلمين»[(٢)].

---

(١) وبالرجوع إلى موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي طبعة دار العلم للملايين قد ذكر في حديثه عن المستشرق الألماني (هيلموت رتر١٨٩٢ ــ ١٩٧١) أنه كتب عن الحسن البصري في مجلة Der Islam (ج٢١)، سنة ١٩٣٣،(ص: ١ ــ ٨٣).انظر: بدوي: د. عبد الرحمن،موسوعة المستشرقين،(ص:٢٧٧). ومما يؤكد ذلك ما ذكره رودي بارت أنه من المصادر الألمانية في الدراسات الإسلامية هناك" دراسة في تاريخ التدين الإسلامي تضم إشادة مفصلة بالحسن البصري ١٩٣٣ " بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية

(ص:٤٤.ومن ثم فهذه المادة يمكن عمل دراسة عن موقف المستشرقين من الحسن البصري كدراسة مستقلة.

(٢) المنجد: صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،(١/ ١٦٤ ــ ١٦٥).

وقد تأثر (هانز هاينريش شيدر١٨٩٦ ــ ١٩٥٧م) بأسلوب بحث ماسينون وروحه[١].

وكانت دراسة الحسن البصري منطلق شيدر لدراسة التصوف الإسلامي[٢].

وفي ذلك دلالة واضحة على حرص بعض المستشرقين على إبراز الصوفية على أنها تمثل الدين الإسلامي الصحيح.

والحقيقة خلاف ذلك : فقد بدأ التصوف في الإسلام بالزهد مع بداية الدعوة الإسلامية في القرن الهجري الأول، وكان هذا السلوك يقوم على الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذات الحياة الزائفة والإقبال على الآخرة.

ومع اختلاط المسلمين مع مجموعة من الشعوب والأجناس (الفرس والهنود والروم...) وازدهار حركة الترجمة ، وانتشار المدارس الفلسفية بدأ يبرز مصطلح التصوف منحرفا متأثرا بالأفكار الأجنبية الضالة كالغنوصية والهرمسية وأفكار الشيعة والرافضة المبتدعين.

وبعد أن ظهر التصوف مسلكا لكثير من النساك وتسمى كثير منهم بالصوفية ،حاول كثير منهم ربط التصوف بزهد الرسول ﷺ وورع أصحابه رضوان الله عليهم، وقرن التصوف بلبس الصوف وأن كثير من الصحابة كانوا يلبسون الصوف.

واستشهد بعضهم بالنصوص الدالة على ذلك . نحو قولهم: "عن علقمة بن مرثد ، قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين ؛ فمنهم الحسن بن أبي الحسن ، فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ، ما كنا نراه إلا أنه حديث عهد بمصيبة ، ثم قال : نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا ، فقال : لا أقبل منكم شيئا ، ويحك يا ابن آدم لك بمحاربة الله طاقة ؟ إنه من عصى الله فقد حاربه .والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم قلتم مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواما يمشي أحدهم وما يجد

---

(١) انظر: المنجد: صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،(١/ ١٦٥).

(٢) انظر: المنجد: صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،(١/ ١٦٨).

عنده إلا قوتا فيقول :لا أجعل هذا كله في بطني ، لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه ، وإن كان هو أحوج ممن تصدق به عليه ". (١)

فقالوا : أن الحسن البصري قال: (لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف) والبدريون هم الذين شاركوا مع الرسول ﷺ في معركة بدر.

علما أن ربط التصوف بالصوف لأن الرهبان النصرانيون الصوفيون كانوا يلبسون الصوف في أديرقم وكنائسهم، وقد تأثر بهم الشيعة وأهل الباطن في لباسهم ذاك إلى يومنا هذا وخاصة شيعة العراق، وشيعة إيران، وشيعة لبنان.

قال ابن خلدون في كتابه (المقدمة) إلى أن المتصوفة المتأخرين قد تأثروا بالشيعة الغلاة والفكر الباطني، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة وملأوا الصحف منه مثل: الهروي في كتابه (المقامات)، وله غيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم" (٢)

لذا ذهب بعض المستشرقين إلى أن النساك المسلمين الذين أخذوا لفظ المتصوفة اسما لهم إنما لبسوا الصوف محاكاة لرهبان المسيحيين ليربطوا التصوف الإسلامي بمؤثرات خارجية هندوسية وبوذية وزرادشتية.

---

(١)الأصبهاني:الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبقة الأولى من التابعين، ٢/ ١٣٤، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، طبعة دار الكتب العلمية — بيروت.

(٢)ابن خلدون، المقدمة، ص٤٧٣.

المبحث الرابع

موقف بعض المستشرقين من محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)

المطلب الأول: التعريف به:

هو: «محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أبو بكر القرشي الزهري المدني»[(١)].

و «قال الإمام أحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه: أصح الأسانيد مطلقا الزهري عن سالم عن أبيه، وقال الشافعي رحمه الله: لولا الزهري ذهبت السنن من المدينة»[(٢)].

كما: «قال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء، ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع...وعن سفيان قال: كان الزهري أعلم أهل المدينة،... وقال ابن عيينة: كانوا يرون يوم مات الزهري، أنه ليس أحد أعلم بالسنة منه....قال ابن سعد وخليفة والزبير: مات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين، وشذ أبو مسهر،فقال: مات سنة خمس»[(٣)].

المطلب الثاني:الطعن والافتراء على ابن شهاب الزهري:

وجه أعداء السنة من بعض المستشرقين وأتباعهم بعض التهم إلى رواة الحديث ورجاله، في محاولة منهم لتقويض الدعامة الأساسية التي قام عليها علم الرواية في الإسلام، بدءاً من الصحابة ﷺ ومن بعدهم من أئمة التابعين.ورسم بعض المستشرقين خططهم على إمام من أكبر أئمة الحديث في عصره، الإمام ابن شهاب الزهري فتوجهت إليه سهام الطعن والتشويه والافتراء من قبل بعض المستشرقين؛لأنه أول من دون السنة من التابعين، وله إسهامات كبيرة في نشر الحديث، وهو من أوائل الذين دعوا إلى ضرورة الأخذ بالسند، والالتزام به.

وقد استغل بعض المستشرقين صلة الإمام الزهري مع بعض الخلفاء الأمويين، كعمر بن عبد العزيز، وهشام، ويزيد ابني عبد الملك بن مروان؛ لما كان يتمتع به من العلم والفضل،

---

(١) النووي:أبي زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (١/ ٩٠).

(٢) النووي:أبي زكريا محيي الدين بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، (١/ ٩٠).

(٣) الذهبي:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،،سير أعلام النبلاء،(٥ / ٣٢٩ ــ ٣٥٠).

فرموه بالكذب ووضع الأحاديث لصالح الأمويين؟!. على الرغم من أن هذه الصلة ما كانت لتؤثر أبدًا على ديانته وأمانته، بل كان قائمًا فيها بما أوجبه الله عليه من النصح والتذكير والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنهم اعتبروها مدخلا للطعن في هذا التابعي الجليل.

المطلب الثالث: ابن شهاب الزهري في نظر بعض المستشرقين:

يعتبر الطعن في الزهري، مدخلا للطعن في جميع الرواة الذين هم دون الزهري علمًا وحفظًا،وإذا ذهبت الثقة بهذا الإمام الجليل، وبحديثه ومروياته، ذهبت الثقة بكتب السنة كلها؛ لذا زعم المستشرق اليهودي (جولد تسيهر)، بأن صلة الإمام الزهري مع بعض الخلفاء الأمويين هي التي مكنت لهم أن يستغلوه في وضع الأحاديث الموافقة لأهوائهم، والتي أراد من ورائها إفقاد الثقة به لدى المسلمين، وبالتالي إفقاد الثقة بالحديث النبوي، وهي شبه وأباطيل لا تستند إلى أية حقيقة تاريخية ثابتة، وإنما هي من نسج خياله، وصنع أحقاده، وعدائه للحديث وأهله، والله غالب على أمره.

وقد زعم (جولد تسيهر): أن الزهري كان مستعدًا لأن يخضع لرغبات الحكومة في كتابة بعض الأحاديث، مستغلاً اسمه وشهرته في الأوساط العلمية، حيث اعترف في قوله الذي رواه عنه معمر: «إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث»[(١)].

فقال: إن هذا يفهم منه أن الزهري رحمه الله كان له دور في وضع بعض الأحاديث، مع أن النص الصحيح الذي أثبته المؤرخون ــ كالذهبي في السير وغيرهم، أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس ليعتمدوا على ذاكرتهم، ولا يتكلوا على الكتب، فكان يكره كتابة الحديث لسعة حفظه، وقد كان يقول: «كنا نكره الكتابة حتى أكرهنا عليه الأمراء، فرأيت ألا أمنعه مسلما»[(٢)].

---

(١) السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،(ص: ٢٤٨)وانظر حول هذا الموضوع رد البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها، (ص: ٣١٤).

(٢) الذهبي:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، (٥ / ٣٣٤).

فيكون معنى العبارة إنهم أكرهونا على كتابة أحاديث رسول الله ﷺ ، بعد أن كنا نرويها من حفظنا، حيث لم يرض أن يبذل للأمراء ما منعه عن عامة الناس، مما يدل على مبلغ أمانته وإخلاصه في نشر العلم.

لكن هذا المستشرق الحاقد، أسقط (أل) ليتغير المعنى تماما، فيصير المعنى أنهم أكرهونا على وضع أحاديث من عندنا ننسبها إلى رسول الله ﷺ ،ومثله ما كتبه المستشرق هوروفتز،،فقد جاء في الدائرة:

«وقد وصف بعضهم الزهري فقال: إنه أول من دون الحديث، ولكنه إنما فعل ذلك نزولا على إرادة الأمراء الذين كانوا يشملونه برعايتهم، وشاهد ذلك أنه قال: فيما رواه تلميذه معمر عنه كنا نكره كتابَ[١] العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء»[٢].

و «زعم (جولد تسيهر) أن إبراهيم بن الوليد الأموي جاء إلى الزهري بصحيفة وطلب منه أن يأذن له بنشر أحاديث فيها على أنه سمعها منه، فأجازه الزهري من غير ترو، وقال له: من يستطيع أن يجيزك بها. وهكذا استطاع الأموي أن يروي ما كتب في الصحيفة على أنها مروية عن الزهري»[٣].

أما قصة إبراهيم بن الوليد ففيه رواية قد صرحت بعرضه على الزهري ما سمعه منه، وفيها يقول معمر: «رأيت رجلاً من بني أمية يقال له: إبراهيم بن الوليد جاء إلى الزهري بكتاب فعرضه عليه، ثم قال: أحدث بهذا عنك يا أبا بكر، قال: أي لعمري، فمن يحدثكموه غيري؟»[٤].

فعلى هذا يكون إبراهيم قد عرض على شيخه صحيفة هي من أحاديثه، وهذا العرض يسمى في اصطلاح المحدثين (عرض المناولة)[٥] وهو أن يناول الشيخ التلميذ كتابًا من

(١) أي كتابة. من حاشية موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٧ / ٥٣٦٢).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(١٧ / ٥٣٦٢).

(٣) ا السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،(ص: ٢٤٦ — ٢٤٧) .

(٤) الذهبي:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، (٥ / ٣٧٧).

(٥) المناولة نوعان: مقرونة بالإجازة: وهي أعلى أنواع الإجازة مطلقا. ومن صورها:أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه، ويقول له: هذا روايتي عن فلان فاروه عني، ثم يبقيه معه تمليكا أو إعارة لينسخه.، والنوع الثاني: المناولة =

سماعه، ويقول:ارو هذا عني. أو يأتيه الطالب بكتاب قد سمعه من الشيخ، فيتأمله الشيخ، ثم يقول:ارو هذا عني. وهو وجه من وجوه التحمل إذا كان معها إجازة، وقد كان كثير من تلاميذ الزهري يعرضون عليه أحاديثه التي سمعوها منه، فيتأملها، ويجيزهم بها، وما صنع إبراهيم بن الوليد ـــ إن صحت الرواية ـــ إنما هو من هذا القبيل. أما أن يكون إبراهيم دوّن أحاديث من عنده، ثم طلب من الزهري أن يسمح له بروايتها عنه ووافقه الزهري على ذلك، فهو مما يتنافى مع ديانة هذا الإمام، وصدقه، وأمانته، فضلاً عن الحقيقة التاريخية[1].

المطلب الرابع:ابن شهاب الزهري وفرية حديث (لا تشد الرحال)[2] :

ومما ادعاه (جولد تسيهر) أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام محنة عبد الله بن الزبير، وبنى قبة الصخرة[3] في المسجد الأقصى ليحول بين أهل الشام والعراق وبين الحج إلى الكعبة، ليحج الناس إليها، ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية

المجردة عن الإجازة، وصورتها أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه مقتصرًا على قوله هذا سماعي.(انظر:الطحان: د. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، (ص: ١٦٢).

(١) انظر: السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ٢٤٧) .

(٢) انظر:الضاري: حارث سليمان، الإمام الزهري وأثره في السنة، رسالة دكتوراه مطبوعة من جامعة الأ زهر بكلية أصول الدين ـــ شعبة الحديث، تحت إشراف فضيلة الدكتور: محمد سيد ندا، فقد تناول الفرية والرد عليها بالتفصيل من: (ص: ٤٥٧ ـــ ٤٧٠) .

(٣) هي(إحدى صخور مرتفعات القدس، وتقع وسط فناء المسجد الأقصى، ويبلغ طولها ١٨ مترًا وعرضها ١٣ مترًا تقريبًا، ويتجه جانبها المنحدر إلى الشرق، بينما يتجه جانبها المستقيم المرتفع إلى الغرب، وترتفع بعض نواحيها عن سطح الأرض بحوالي متر، وشكلها غير منتظم، أما محيطها فيبلغ عشرة أمتار، ومن أسفلها فجوة هي بقية كهف عمقه أكثر من متر ونصف، وتظهر الصخرة فوقه وكأنها مُعلقة بين السماء والأرض، وهي محاطة بسياج من الخشب المنقوش) .

انظر: بكر: سيد عبد المجيد، أشهر المساجد في الإسلام،(ص: ١/ ٣١٤، ٣٢٤)، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية مطابع سحر ـــ جدة، ١٤٠٤ هـــ، وانظر: زايد: د. عبد الحميد، القدس الخالدة،(ص: ١٩٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وانظر: راشد: د. سيد فرج، القدس عربية إسلامية،(ص: ٣٨)، دار المريخ للنشر ١٤٠٦ هـــ.

مستعدًا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى.)[(١)].

الرد على هذه الفرية:

أولا: بنى المستشرق فريته على ما ورد في تاريخ اليعقوبي ونصه: «ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم ـــ إذا حجوا ـــ بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس، وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله ﷺ وضع قدمه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية»[(٢)].

وهذه الرواية مخالفة لما عليه المؤرخون،فالذي بنى قبة الصخرة هو (الوليد بن عبد الملك) وليس (عبد الملك بن مروان).

أما حديث: (لا تشد الرحال...) فقد روي من طرق مختلفة من غير طريق الزهري، فلم ينفرد الزهري رحمه الله برواية هذا الحديث حتى يتهم بوضعه، فهو حديث صحيح مروي في أصح كتب السنة، فقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما[(٣)].

/ وليس في حديث (لا تشد الرحال..) أبدًا فضل قبة الصخرة، أو الدعوة إلى الحج إليها والطواف حولها بدلاً عن الكعبة، وغاية ما فيه فضل الصلاة في بيت المقدس، وهو أمر دلت عليه النصوص، باتفاق علماء المسلمين على استحباب السفر للعبادة المشروعة

---

(١) انظر: السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ٢٤٣) .

(٢) اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن رجب، تاريخ اليعقوبي،(٢/ ٢٦١)، دار صادر ـــ بيروت.

(٣) أخرجه البخاري - مع الفتح - كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة،(ج ٣/ ٦٣،ح(١١٨٩)، ومسلم في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ج /١٠١٤،ح(١٣٩٧).

فيه.كما أن الزهري لم ينفرد برواية الحديث، فقد رواه أبو هريرة[١]، و لم ينفرد أبو هريرة بروايته عن رسول الله ﷺ إنما اشترك معه (أبو سعيد الخدري)[٢] و(عبد الله بن عمرو بن العاص)[٣]

فلا يصح أبدًا أن يربط هذا الحديث الصحيح بغيره من الأحاديث المكذوبة في فضائل الصخرة، والتي ليس للزهري فيها يد، أو رواية، وقد نقدها أهل العلم وبينوها حتى قالوا: «كل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى»[٤].

ثانيا: لو ثبت أن الزهري وضع الحديث لما سكت عنه علماء الأمة الإسلامية من المحدثين وغيرهم ممن لا يخاف في الحق لومة لائم، وهم في ذلك الزمان كثر.أمثال: مالك بن أنس.

ورد في طبقات ابن سعد ما نصه: «أخبرنا مطرف بن عبد الله:سمعت مالك بن أنس يقول: ما أدركت فقيها محدثا غير واحد، فقلت له: من هو؟ فقال: بن شهاب الزهري»[٥].

كذلك شيخ الزهري (سعيد بن المسيب) فلو وضع الزهري الحديث لأنكر عليه شيخه الذي عاصره آنذاك، و لم يقبل أن يكذب الزهري عليه.

ففي: «رواية عن معمر عن الزهري قال: مسكت ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين»[٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس،(ج ٣/ ٧٠ ح(١١٩٧)، ومسلم كتاب الحج، باب سفر المرأة بغير ذي محرم،(ج٢/٩٧٥، ح(٨٢٧).

(٣) أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب ، باب،(١/ ٤٥٢).

(٤) ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، المنار المنيف في الصحيح والضعيف،(ص: ٦٣)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي،أعده وأخرجه: منصور بن عبد العزيز السماري، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع ـــ الرياض ١٤١٦هـــ / ١٩٩٦م.

(٥) الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى،(٢/ ٣٣٤)، تحقيق:د. محمد عمر.

(٦) الذهبي: شمس الدين محمد أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(ص: ٥ / ٣٣٢)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة).

ثالثا: كيف يمكن لشاب في العشرينات من عمره أن تتلقى منه الأمة الإسلامي حديثا موضوعا للحج إلى قبة الصخرة بدلا من الحج إلى مكة،حيث إن الإمام الزهري ولد سنة خمسين، أو إحدى وخمسين أو ست وخمسين للهجرة،[١]ومقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كان سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري حينئذٍ اثنين وعشرين عامًا على الرواية الأولى، وخمس عشرة سنة على الرواية الثانية، فهل سيكون ذائع الصيت والشهرة بمثل هذا العمر لدرجة سكوت الناس عنه؟؟!

رابعا: الذي بنى قبة الصخرة إنما هو الوليد بن عبد الملك، وليس عبد الملك بن مروان.ثم هل من الممكن أن يكون هدف عبد الملك بن مروان أن يحج الناس إلى قبة الصخرة بدلا من الكعبة، وهل يمكن أن يتركه علماء الأمة؟ خاصة أن مثل هذا الفعل كفر صريح، وقد نقل الذهبي وغيره عن الليث بن سعد أنه قال: «قدم ابن شهاب على عبد الملك سنة اثنين وثمانين»[٢].

وابن الزبير إنما قتل سنة ثلاث وسبعين، وبعد مقتله استتب الأمر لعبد الملك فلم يكن بحاجة إلى من يضع له أحاديث يصرف الناس بها عن الحج حتى لا يلتقوا بابن الزبير.و النصوص التاريخية كلها تقطع بأن الإمام الزهري لم يلتق بعبد الملك لأول مرة إلا بعد مقتل عبد الله ابن الزبير ﷺ بسنوات.

المطلب الخامس:اتهام المستشرقين لابن شهاب الزهري بالنصب:

تلقى بعض المستشرقين تهمة الشيعة لابن شهاب الزهري بالنصب، والعداء لرابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب ﷺ المدونة في كتبهم.

---

(١) انظر ترجمته: الذهبي:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء،(٥ / ٣٢٦)، أشرف على تحقيق الكتاب وحقق هذا الجزء: شعيب الأرنؤوط، ط٢، طبع مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) الذهبي:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان،(٥ / ٣٢٨)، تحقيق:شعيب الأرنؤوط.

من ذلك ماكتبه ابن أبي الحديد:عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، الشيعي المغالي في التشيع،[1] في كتابه شرح نهج البلاغة:

«روى جرير بن عبد الحميد عن محمد بن شيبة، قال: شهدت مسجد المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام فنالا منه، فبلغ ذلك علي ابن الحسين عليه السلام فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك إلى الله، فحكَم لأبي على أبيك؛ وأما أنت يازهري، فلو كنت بمكة لأريتك كِيَر أبيك»[2].

وما ذلك إلا محض افتراء لا يقوم على حجة، والدليل على ذلك أنه كان محايدا فيما يتعلق بالأحداث التي جرت بين الصحابي الجليل علي رضي الله عنه وخصومه في موقعة الجمل وصفين،مع حرصه على الإشادة بفضائل أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[3].

---

(١) انظر:أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، شرح نهج البلاغة،(ص: ١/ ١٣ ـــ ١٤)(مقدمة الكتاب للأستاذ: محمد أبو الفضل إبراهيم)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية ـــ عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨هـــ/ ١٩٥٩م.

(٢) أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، شرح نهج البلاغة، (٤/ ١٠٢)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) انظر: الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك(تاريخ الطبري)،(٥/ ٥٧)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

الفصل الثالث

موقف بعض المستشرقين من الأئمة الأربعة

وفيه تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من الإمام أبي حنيفة ت ١٥٠هـ.

المطلب الأول: التعريف به.

المطلب الثاني:دعوى تأثره بالفقه الروماني للتشكيك في أصالة الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: اتهام أبي حنيفة النعمان بالجهل بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

المطلب الرابع: موقف أبي حنيفة من القياس.

المطلب الخامس: اتهام أبي حنيفة بالإرجاء.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من الإمام مالك ت ١٧٩هـ.

المطلب الأول: التعريف به.

المطلب الثاني:طفولة الإمام مالك.

المطلب الثالث: مؤلفات الإمام مالك.

المطلب الرابع: تهمة تقديم عمل أهل المدينة على الحديث.

المطلب الخامس:وصف المذهب المالكي بالتشدد.

المطلب السادس: المصلحة المرسلة ونظرية التأثر بالقنون الروماني.

المطلب السابع: تهمة الإمام مالك بأنه يرى لنفسه الحق في رفض أحكام النبي محمد ﷺ متى ثبتت صحة نسبة الحكم إليه.

المبحث الثالث: موقف بعض المستشرقين من الإمام الشافعي ت ٢٠٤هـ.

المطلب الأول: التعريف به.

المطلب الثاني:الإمام الشافعي وأصول الفقه.

المطلب الثالث: اتهام الإمام الشافعي بالجهل ببعض الأحاديث.

المطلب الرابع: القياس والاجتهاد عند الإمام الشافعي في نظر بعض المستشرقين.

المبحث الرابع: موقف بعض المستشرقين من الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ.

المطلب الأول: التعريف به.

المطلب الثاني:كلام الله عند بعض المستشرقين.

المطلب الثالث: اتهام الإمام أحمد بالتأويل المجازي في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: أمثلة لعبارات الطعن في المذهب الحنبلي.

المطلب الخامس: وصف الإمام أحمد بالمشبه والمجسم.

المطلب السادس: تكفير شارب الخمر.

المطلب السابع: التبرك بآثار النبي محمد ﷺ

المطلب الثامن:موقف الإمام أحمد من القياس.

المطلب التاسع: الطعن في مستند الإمام أحمد بن حنبل.

الفصل الثالث

موقف بعض المستشرقين من الأئمة الأربعة

التمهيد:

حث الله ﷻ على التفقه في الدين، فقال ﷻ:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢، وقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١).

وقد مر الفقه الإسلامي بعدة مراحل، تم خلالها ظهور المذاهب الفقهية،وذلك منذ أوائل القرن الثاني الهجري، واشتهر منها:المذاهب الأربعة والتي هي ليست تجزئة للإسلام، ولا إحداث تشريع جديد، وإنما هي مناهج لفهم الشريعة، وأساليب في تفسير نصوصها، وطرق في استنباط الأحكام من الكتاب، والسنة، والقياس.

وهذه المذاهب هي:

المذهب الحنفي نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله المولود سنة ٨٠هـ والمتوفى سنة ١٥٠هـ.والمذهب المالكي نسبة للإمام مالك بن أنس رحمه الله المولود سنة ٩٣هـ والمتوفى سنة ١٧٩هـ، والمذهب الشافعي نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله المولود سنة ١٥٠هـ والمتوفى سنة ٢٠٤هـ، والمذهب الحنبلي نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله المولود سنة ١٦٤هـ والمتوفى سنة ٢٤١هـ.

والمسلمون يتبعون المذاهب الأربعة لاعلى أنها حق في ذاتها كالقرآن والسنة أوعلى أن كل ما فيها حق، ولكن يتبعونها على سبيل أنها تستند إلى الوحي، فإذا ما تبين لهم خطؤها في شيء من ذلك أخذوا بالوحي وتركوها، وعذروا أصحابها لأنهم بشر يخطئون، ويصيبون.

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين،(ج١/١٦٤)، ح (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة،(ج٢/ ٧١٨،ح(١٠٣٧)

قال (دومينيك سورديل): «إن المذاهب الفقهية الأربعة اليوم هي: المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي،. وهذه المذاهب لا تزال ذات قيمة كبيرة عند المتدينين، وتضم الجامعات الدينية الكبرى ممثلين عن كل منها. وقد انتشرت في عالم الإسلام السني بنسب مختلفة:

فالمذهب الحنفي: وهو الأقل صرامة. معتمد لدى الأتراك والعثمانيين، وهو منتشر حاليًا في تركية والهند والصين.

والمذهب الشافعي: الذي كان المذهب الرسمي للخلافة العباسية، ثم بدأ ضموره منذ ذلك التاريخ. وهو لا يزال منتشرًا في مصر السفلى والحجاز، وفي أفريقيا الشرقية والجنوبية، وفي فلسطين.

والمذهب المالكي: انتشر في شمال أفريقيا (ومن قبل في أسبانيا)، وفي مصر العليا، وفي أفريقية الغربية والسودان.

والمذهب الحنبلي (الذي لم يشتهر قبل القرن الثاني عشر) انتشر في سورية والعراق. ثم تقلص نفوذه إلى شبه الجزيرة العربية (نجد) منذ وصول الأتراك»[(١)].

وقد فسر شاخت ظهور المدارس الفقهية بسبب العوامل الجغرافية. قال الدكتور: ساسي سالم الحاج: «وعمق شاخت فكرة إنشاء المدارس الفقهية القديمة في كتابه (أصول الشريعة المحمدية)[(٢)] عندما درس موقف الشافعي تجاه هذه المدارس. ورأى في هذا المقام أن رؤساء المدارس الأربعة لم يكن غرضهم إنشاء مدارس فقهية متميزة....ثم يسهب شاخت في بيان كيفية تكوين مدرستي مالك وأبي حنيفة الفقهية ويرجع أسبابها..إلى العوامل الجغرافية... فالعوامل الجغرافية هي التي أدت إلى ظهور المدارس الفقهية»[(٣)].

---

(١) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٩٧)، ترجمة: سليم قندلفت، تقدم: د. طيب تيزيني.

(٢) Schacht، Introduction au droit MusuIman.;op.cit،p.٣٥.

نقلا من: الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (٢ / ٣٤٢).

(٣) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٣٤٢ ـــ ٣٤٣).

وللرد عليه نقول وبالله التوفيق:هل تعتبر العوامل الجغرافية سببا لظهور المدارس الفقهية؟ نحن نعرف أنه لولا حاجة المسلمين لمعرفة أمورهم الشرعية من خلال اجتهاد العلماء المبني على الكتاب والسنة، لما كان من ظهور هذه المذاهب فائدة.

كما أن هناك فرقًا بين كلمة (مدرسة ومذهب): «فالأولى تختص بمدارس الأمصار التي نشأت في القرن الأول الهجري.أما المذاهب الفقهية مثل الحنفي والمالكي فإنما نشأت في القرن الثاني الهجري.والمؤلف يطلق على المدرسة والمذهب لفظًا واحدًا وهو كلمة (School) دون أن يبين ما يقصده»(١).

ويبدو أن مصطلح المدارس الفقهية بدل المذاهب الفقهية مصطلح دارج بين بعض المستشرقين، فقد قال المستشرق (ن. ج كولسون)(٢): «ازدهرت مدارس فقهية كثيرة في الأمصار الإسلامية المختلفة»(٣). ،وما ذلك إلا ترديد لنفس مصطلح أستاذه شاخت.ونجد الدكتور ساسي سالم الحاج اعتبر أن: «ظهور المدارس الفقهية الكبرى منذ بداية النصف الثاني من القرن الهجري الثاني عبارة عن تطور طبيعي وحتمي لمدرستي الحديث والرأي»(٤).

---

(١) كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة:د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي،(ص: ٩١)، من حاشية الكتاب، ط١، دار العروبة بالكويت بإشراف دار الفصحى بالقاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) ن. ج كولسون: من أكبر المستشرقين المعاصرين الإنجليز المعتنين بدراسة الفقه الإسلامي وتدريسه بجامعة لندن، تتلمذ على يد المستشرق المشهور (يوسف شاخت) كما درس القانون الإنجليزي مما أتاح له القدرة على تناول مسائل الفقه الإسلامي، وقد زار بعض البلاد الإسلامية، وعمل أستاذًا زائرًا بإحدى الجامعات النيجيرية وله مؤلفات في الفقه الإسلامي منها: كتاب الميراث، وآخر يدور حول تحديد العلاقة بين الجوانب النظرية في الفقه الإسلامي وبين تطبيقاتها العملية.(انظر: كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، مقدمة الكتاب،(ص: ٣ ـ ٤)، كلمة المترجم ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة:د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي.

(٣) كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة:د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، (ص: ٩١).

(٤) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٣٣٢).

كذلك نجد المستشرق: (دي لاسي أوليري) قال بمصطلح المدرسة قائلا: «يوجد اليوم أربع مدارس للتشريع في الإسلام السلفي(السني)، والاختلاف بينها في معالجة مسائل الشريعة جائز. وكثيرًا ما توصف هذه المدارس بالفرق. وهذا الاختلاف في الرأي بينها يجعلها جميعا من أهل السنة. ويشكل أتباع أبي حنيفة الغالبية العظمى من أتباع هذه المدارس. أما المدارس الثلاث الأخرى فتعتبر رجعية إذا قورنت بالمدرسة الأولى»[(١)].

وتعليقا على قول المستشرق (دي لاسي أوليري) بودنا أن نطرح سؤلا؟ عبارته (وكثيرًا ما توصف هذه المدارس بالفرق) من خلال اطلاعي على هذه المذاهب لم أجد مسمى فرقة دارجا أكثر من مذهب! كما أن قوله:

(ويشكل أتباع أبي حنيفة الغالبية العظمى من أتباع هذه المدارس) غير مسلم به، فهل قام بدراسة لحصر نسبة أتباع المذهب الحنفي للحكم على أنها تمثل الغالبية العظمى للمذهب الأكثر انتشارا؟ وكيف يصف المذاهب الأخرى بأنها رجعية؟!

أما المستشرق: (إدوارد جرانفيل براون ١٨٦٢ ـ ١٩٢٦)[(٢)]، فقد تحدث عن أهل السنة والجماعة في إيران مبينًا أنه: «قد انقرضت السنة والجماعة تقريبًا إلا في (لار) وعدد آخر من المناطق، غير أنه يجدر بنا القول بأن مؤسسي المذاهب الأربعة ـ الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ـ قد شبُّوا جميعًا في عهود سيطرة المعتزلة وسيادتهم، ويتقدم أبو حنيفة الباقين زمنيًا، فقد ولد عام ٧٠٠م = ٨١هـ وتوفي عام ٧٦٧م = ١٥٠ هـ. وهو إيراني الأصل[(٣)].

وكانت ولادة مالك في المدينة عام ٧١٣ أو ٧١٤ م = ٩٥ ـ ٩٦ هـ، وكانت وفاته عام ٧٩٥م =١٧٩هـ. وكان المنصور يسيء به الظن،ولما كان يعتقد أنه لا يحب الأسرة العباسية فقد قام بجلده دون رحمة.

---

(١) أوليري: دي لاسي، أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ٦٨).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ابن خلكان، ترجمة دي سلان،(ج ٣، ص ٥ ٥٥). (المترجم).

وفي ذلك الشأن يقول ابن خلكان[١]:ويومًا بعد يوم، زاد قدره، وعظمت قيمته في أنظار العامة، وباتت تلك العقوبة موضع فخره.والشافعي من قريش، ولد في نفس العام الذي توفي فيه أبو حنيفة (يقول البعض أن يوم مولده هو نفس وفاة أبي حنيفة)[٢]، وقد ودَّع الحيـــاة في مدينة القاهرة عام ٨٢٠ م = ٢٠٥هـــ.وكان أحمد بن حنبل من أهالي مرو، لكنه على ـــ ما يبدو ـــ من أصل عربي، ولد في ٧٨٠م = ١٦٤هـــ وتـــوفي في بغـــداد عـــام ١٨٥٥م = ٢٤١هـــ، وهو تلميذ الشافعي الأثير لديه، والذي قال بشأنه عندما اعتزم السفر إلى مـــصر: ذهبت عن بغداد و لم أترك بها بعدي رجلاً أتقى وأفقه وأعلم من ابن حنبل...، فإنـــه لا أدل على رسوخ عقيدته وكمال جرأته من تحمله عبء التصدي لموضوع إحداثيَّة القرآن.هـــؤلاء الأربعة هم أئمة أهل السنة والجماعة، وقد استحدث كل واحد منهم طريقة تخالف طريقـــة الباقين في بضع نقاط جزئية لا أكثر. أما العلاقات بينهم فكانت حسنة»[٣].

فالمستشرق (إدوارد براون) يحاول ربط المحافظة على السنة بظهور المذاهب الأربعة وأنها سبب في إحياء السنة، وربط ذلك بظهور المعتزلة وانتشار علم الكلام وانتـــشار الترجمـــات للكتب الفلسفية؛ لتسلم لهم حجتهم بتأثر المسلمين بالثقافة اليونانية. ثم إن معظم المستشرقين ينهجون في دراسة الفقه الإسلامي ومذاهب الأئمة الأربعة الطريقة نفسها التي تنهج في دراسة القانون الروماني أي باعتباره كان في يوم من الأيام نظاما قانونيا عريقًا، ولم يـــصبح اليـــوم بالقوة والحيوية نفسها، ولذلك فهم يفترضون أن الفقه الإسلامي نظام قانوني بالٍ مستمد من الفقه الروماني الذي قد بلغ مرحلة الجمود عن التطور اللازم لأي نظام قانوني حي، ومن هنا تم تركيز هؤلاء على جوانب العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الإسلامية وتناقض كثير منها في أحيان كثيرة مع تعاليم الإسلام وذلك للخلوص إلى نتيجة مفادها أن الإسلام أنـــشأ فقهًا غير قابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

---

(١) ابن خلكان، ترجمة دي سلان،(ج ٢، ص ٥٤٧). ويحتمل أن تكون تلك الحادثة قد وقعت في عام ١٤٧ أو ١٤٨ هـــ = ٧٦٤ أو ٧٦٥ م (المترجم).

(٢) ابن خلكان: ترجمة دي سلان ج ٢،(ص ٥٧١). (المترجم)

(٣) براون: إدوارد، تاريخ الأدب في إيران، الجزء الأول، البابان الثالث والرابع، (ص: ١٣٤ ـــ١٣٥)، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور: أحمد كمال الدين حلمي.

من هنا جاءت جُلُّ الكتابات الاستشراقية في مجال الفقه الإسلامي منطلقة من هذا الاعتقاد الفاسد.غير أن بعض المستشرقين قد وقفوا من المذاهب الفقهية موقف العداء، مابين التشكيك والطعن في الأئمة وترديد مقولات المخالفين وأعداء السنن، وأنا من خلال هذا الفصل أحاول أن أقف على بعض التهم والشبه المنسوبة إليهم، متمنية من الله أن يوفقني للدفاع عنهم بقدر الطاقة للذود عن أعلام المذاهب الفقهية.

المبحث الأول

موقف بعض المستشرقين من الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠هـ ـ ١٥٠هـ):

المطلب الأول:التعريف به:

هو: «النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي،مولى بني تيم الله بن ثعلبة.يقال إنه من أبناء الفرس»[(١)].

وقد «ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة»[(٢)].

«وعُني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه،فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك»[(٣)].

قال علي بن معبد: «حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي قال: كلم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يلي قضاء الكوفة،فأبى عليه، فضربه مئة سوط وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله»[(٤)].

و «قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة،توفي شهيدا مسقيا في سنة خمسين ومئة، وله سبعون سنة»[(٥)].

هذا الإمام الجليل توجهت إليه أسهم بعض المستشرقين بالطعن ـــ وإن كان ممن لاقى استحسانهم مقارنة بباقي الأئمة ـــ إلا أنه لم يسلم من بث بعض الشبه والتهم، والتي منها:

المطلب الثاني: دعوى تأثره بالفقه الروماني للتشكيك في أصالة الفقه الإسلامي:

حاول بعض المستشرقين إثبات تأثر أبي حنيفة النعمان بالقانون الروماني من خلال إثبات بعض أوجه الشبه والاتفاق بين ما قال به أبو حنيفة النعمان وبين القانون الروماني.

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٦ / ٣٩٠).

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٦ / ٣٩١).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٦ / ٣٩٢).

(٤) العسقلاني الشافعي: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين، تهذيب التهذيب،(٤/ ٢٣٠)، اعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء،(٦ / ٤٠٣).

وقد قام المستشرق كولسون بضرب بعض الأمثلة على ذلك، متناسيا، أنه من الطبيعي أن يكون هناك أوجه اتفاق بين الفقه الروماني والفقه الإسلامي، وهذا الاتفاق إن حدث فهو اتفاق جزئي، ولا يعني ذلك مطلق التأثر، لأن الحق والعدل هو ميزان العدالة في كل القوانين.

قال كولسون: «فإن مدرسة الكوفة كانت من الناحية الجغرافية أكثر اتصالا بالنظم القانونية الأجنبية، كما كانت من الناحية العقلية أكثر تأثرًا بها. فأبو حنيفة (ت ٦٧٧م) زعيم مدرسة الكوفة الفقهية في عصره رأى أنه لاحجر — وهو تقييد التصرفات المالية بإذن الولي — على إنسان بعد بلوغه من العمر خمسا وعشرين سنة. وقد كان هذا هو الحد المعترف به للولاية على المال Cutrtio في القانون الروماني»[(١)].

وقد علق على ذلك الدكتور محمد أحمد سراج بقوله: «ولا يثبت اتفاق أبي حنيفة مع القانون الروماني في تحديد هذه السن تأثره بهذا القانون. ومن الطبيعي أن يجد المؤلف اتفاقا في آراء فقهاء هذه المدرسة مع القانون الروماني في قضايا كثيرة، ولكن هذا التأثر الجزئي لا يثبت التأثر مطلقا»[(٢)].

كذلك المستشرق (دي لاسي أوليري) قال بتأثر المسلمين بالفقه الروماني حيث أشار إلى أنه: «لم يبدأ المسلمون بالدراسة العلمية لشريعتهم، وتمحيصها ونقدها، وتنسيقها، إلا في نهاية العهد الأموي، ولقد كانت هناك مدرستان للتشريع في البداية: إحداهما سورية، والأخرى فارسية. أما السورية فقد أسسها الأوزاعي...أما المدرسة الفارسية فإنها تدين بأصلها إلى أبي حنيفة (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ولما كان العباسيون قد نقلوا مركز الخلافة إلى العراق، فقد فرض مذهب أبي حنيفة تلميذه أبو يوسف (المتوفى سنة ١٨٢هـ) والذي أصبح قاضي القضاة في خلافة هارون الرشيد. وكان لهذه المدرسة من المزايا ما يفوق المدرسة السورية، ولقد أصبح مذهب أبي حنيفة هو المذهب الرسمي للبلاط العباسي..في

---

(١) كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة:د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، ص: ١١٣ — ١١٤).

(٢) كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة:د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي،(ص: ١١٣ (حاشية الكتاب).

حين أن المذهب السوري قد انقرض.ويمثل مذهب أبي حنيفة تنقيحا جديا ومعتدلا لجميع الطرق التي استعملت فعلا كتوسيع للنظام الإسلامي، وذلك كي يفي بحاجات المدنية المعقدة والمتقدمة. ففي ظل الأمويين سدَّ المشرعون كل نقص في القانون باستعمالهم الرأي الذي كان يعنى بتطبيق آراء أي رجل متمرس بالقانون الروماني لتمييز الحق والعدل.و لم يكن يلحق في تلك الفترة أي عيب بالرأي الذي استقر على النظرية التي تقول إن بإمكان العاقل الذكي المتبصر أن يدرك ماهو حق وعدل. وعلى هذا يمكن القول بأنه كان ثمة مقياس موضوعي للصواب والخطأ، يمكن إدراكه بالتساؤل الفلسفي.

وهذه النظرية تظهر تأثير الأفكار اليونانية المتمثلة في القانون المدني»[(١)].

فالعديد من المستشرقين قد أثار صلة الشرع الإسلامي بالقانون الروماني،[(٢)] ومعظم هؤلاء لم يدرسوا الفقه الإسلامي دراسة عميقة موضوعية، إنما بنوا نتائج دراساتهم على الدراسات السطحية غير العلمية، والتاريخ يثبت لنا عدم وجود ترجمة كتب الرومان الفقهية، كما أن الدين الإسلامي ليس بحاجة لأن يستمد من القانون الروماني قواعده، فهو دين متكامل، يحقق العدالة لأنه رباني المصدر، ولا يعتمد على آراء بشرية قابلة للتغير والتصويب بين حين وآخر.

المطلب الثالث:اتهام أبي حنيفة النعمان بالجهل بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية:

اتهم المستشرق (جولد تسيهر) الإمام أبا حنيفة بالجهل بتاريخ الرسول ﷺ حيث أعرض عن كل ما دوّن من تاريخ أبي حنيفة تدوينًا علميًا ثابتًا، واعتمد على رواية مكذوبة ليدعم بذلك ما تخيله من أن السنة النبوية من صنع المسلمين في القرون الأولى.

«وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة ما نقله عن كتاب (حياة الحيوان) للدميري، من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبلها..! ومما لا شك أن أقل الناس اطلاعًا على التاريخ يرد مثل هذه الرواية، فأبو حنيفة وهو من أشهر أئمة الإسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب في الإسلام حديثًا

---

(١) أوليري: دي لاسي، أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ٦٦).

(٢) سبق لنا مناقشة شبهة صلة الشريعة الإسلامية بالفقه الروماني في موقف المستشرقين من الإجماع.

مستفيضًا في فقهه الذي أثر عنه، وفي كتب تلامذته الذين نشروا علمه كـأبي يوسف ومحمد، من غير المتصور بحال من لأحوال أن يكون جاهلاً بوقائع سيرة الرسول ﷺ ومغازيه،وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب، ويكفي ذكر كتابين في فقهه في هذا الموضوع يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في التشريع الدولي في الإسلام. أولهما — كتاب الرد على سِيَر الأوزاعي لأبي يوسف رحمه الله.

ثانيهما ـــ كتاب السير الكبير لمحمد رحمه الله وقد شرحه السرخسي، وهو من أقدم وأهم مراجع الفقه الإسلامي في العلاقات الدولية، وقد طبع أخيرًا تحت إشراف جامعة الدول العربية برغبة من جمعية محمد بن الحسن الشيباني للحقوق الدولية»[١].

المطلب الرابع:موقف أبو حنيفة من القياس:

برر بعض المستشرقين توسع الإمام أبي حنيفة النعمان في استخدام القياس بسبب أن أبا حنيفة فارسي الأصل من جهة، إذ عرف عن الإيرانيين توجّه أذهانهم أكثر نحو المسائل العقلية، ولسكنه العراق من جهة ثانية، وكونه بعيدًا عن المدينة مركز أهل الحديث.

قال الدكتور فيليب حتي: «على مر الزمن نشأت أربع مدارس فقهية: مدرسة المدينة وتعرف بالمالكية، نسبة إلى مؤسسها مالك بن أنس (٧١٥ ـــ ٧٩٥) وكانت تميل إلى المحافظة والتشدد. شاع مذهب هذه المدرسة في الحجاز، ومن ثم انتشر في مصر، وشمالي أفريقيا حيث لا يزال المذهب الفقهي السائد حتى يومنا هذا. وفي الوقت ذاته ظهرت مدرسة ثانية متحررة في العراق، وعلى رأسها أبو حنيفة (توفي ٧٦٧) كان أبو حنيفة ابن مولى فارسي. ويصر المذهب الحنفي على اللجوء إلى الاجتهاد في استنباط الأحكام، وإلى القياس. وكان مذهب أبي حنيفة السائد في جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية، كما أنه المذهب الذي يأخذ به نصف السُّنيين في العالم الإسلامي»[٢].

(١) الميداني: عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير ـــ الاستشراق ـــ الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه،(ص: ١٠٠ ـــ ١٠١)، ط ٢، دار القلم، دمشق ـــ بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢) حتي: د. فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، (ص: ١٩٩)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة.

وسبب توسع الإمام أبو حنيفة في استخدام القياس إذا لم يجد الدليل من القرآن والحديث، حيث كان الإمام أبو حنيفة يُعمل رأيه في المسألة، ويجتهد في استنباط حكمها، دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين، ما لم يتبين له صحة نقل عن رسول الله ﷺ.

«قال الصّغاني: عن أبي معين: سمعت عبيد بن أبي قرة يقول: سمعت يحيى بن الضريس يقول: شهدت سفيان وأتاه رجل فقال: ما تنقم على أبي حنيفة؟قال: وماله؟ قال: سمعته يقول: آخذ بكتاب الله، فإن لم أجد فبسنة رسول الله، فإن لم أجد فبقول الصحابة،آخذ بقول من شئت منهم،ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم،فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، والشعبي، وابن سيرين، وعطاء، فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا»[١].

وذكرت المستشرقة البولونية (بوجينا غيانة تستشيجفسكا)عن طريقة الإمام أبي حنيفة في الاستنباط أنه: «ينزل الأمور على القياس،فإذا قبح القياس يمضيه على الاستحسان مادام يمضي له. وكان الحديث المعروف الذي قد أجمع عليه، ثم يقيس عليه مادام القياس سائغا، ثم يرجع إلى الاستحسان أيهما أوثق، وكان أبو حنيفة عارفا بحديث أهل الكوفة وفقههم، شديد الاتباع لما كان عليه الناس»[٢].

وقال ابن قيم الجوزية: «ليس في الشريعة شيء يخالف القياس، ولا في المنقول عن الصحابة الذي لا يعلم له فيه مخالف، وأن القياس الصحيح دائر مع أوامرها ونواهيها وجودا وعدما، كما أن المعقول الصحيح دائر مع أخبارها وجودا وعدما، فلم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل، ولم يشرع ما يناقض الميزان والعدل»[٣].

وذكرت المستشرقة البولونية (بوجينا غيانة تستشيجفسكا)عن طريقة الإمام أبي حنيفة في الاستنباط أنه: «ينزل الأمور على القياس،فإذا قبح القياس يمضيه على الاستحسان مادام يمضي له. وكان الحديث المعروف الذي قد أجمع عليه، ثم يقيس عليه مادام القياس سائغا، ثم

(١) العسقلاني الشافعي: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين، تهذيب التهذيب،(٤/ ٢٣٠)، اعتناء: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد.

(٢) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ١٦٤ ــ ١٦٥)

(٣) الجوزية: ابن قيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (٢ / ٣٤)، تحقيق وضبط: عبد الرحمن الوكيل.

يرجع إلى الاستحسان أيهما أوثق، وكان أبو حنيفة عارفا بحديث أهل الكوفة وفقههم، شديد الاتباع لما كان عليه الناس»[(١)].

وهذا القدر من أصول التشريع لا يختلف فيه أبو حنيفة عن غيره من الأئمة، فهم يتفقون جميعا على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة لاستنباط الأحكام منهما، غير أن أبا حنيفة تميّز بمنهج مستقل في الاجتهاد، وطريقة خاصة في استنباط الأحكام التي لا تقف عند ظاهر النصوص، بل تغوص إلى المعاني التي تشير إليها، وتتعمق في مقاصدها وغاياتها.ولا يعني اشتهار أبي حنيفة بالقول بالرأي، والإكثار من القياس أنه يهمل الأخذ بالأحاديث والآثار، أو أنه قليل البضاعة فيها، بل كان يشترط في قبول الحديث شروطا متشددة؛ مبالغة في التحري والضبط، والتأكد من صحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ ، وهذا التشدد في قبول الحديث هو ما حمله على التوسع في تفسير ما صح عنده منها، والإكثار من القياس عليها حتى يواجه النوازل والمشكلات المتجددة. فاختار المنهج العقلي لكن دون أن ينتقص من منهج النقل.

ولذلك نجد بعض المستشرقين يصف الإمام أبا حنيفة بكثرة اعتماده على العقل.

جاء في الدائرة: «والطابع الغالب على الفكر الفقهي بصفة عامة عند أبي حنيفة هو الإنعام[(٢)]في التعقل. مما يجعل هذا التفكير يشوبه في كثير من الأحيان شيء من الأناة والتأرجح مع قلة عناية بالتطبيق. وقد اعتمد أبو حنيفة على الرأي والقياس، لم يجاوز في ذلك الحد المألوف عند مدارس الفقه الأخرى في زمانه، وقد جرى على نهج ممثلي المذاهب الأخرى، كآراء أهل المدينة، فكان مثلهم قليل الميل إلى العدول عن مذهب السلف بالنسبة لأحاديث الآحاد، وهي الأحاديث التي بدأت تشيع في الفقه الإسلامي في حياة أبي حنيفة في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة.

ولما أصبحت هذه الأحاديث من المسلمات لدى المعنيين بالتحديث بفضل ما جاء به الشافعي بعد ذلك بجيلين اتخذ أبو حنيفة لأسباب وقعت اتفاقا كبشا للفداء لقوله بالرأي في

---

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ١٦٤ ــ ١٦٥)

(٢) لعله قصد بذلك الإمعان في التعقل.

المذاهب الفقهية القديمة، ولكثير من الأقوال التي نسبت إليه، وصادفت هوى من نفوس الناس الذين جاؤوا من بعده»[١].

وقد حاول بعض المستشرقين أن يجعل الإمام أبا حنيفة مناصرا للعقل أكثر من النقل، حيث قال المستشرق شاخت عنه بأنه:

«قليلا ماكان يعتمد على الحديث. أما القياس فقد بالغ باستعماله، ويعني بالقياس الحكم على حالة جديدة بمقارنتها بأخرى قديمة عالجها القرآن.كما يعتمد على ما يسمى بالاستحسان، أو بكلمة أخرى: اتباع ما يبدو صوابا وحقا، حتى ولو خالف النتيجة المنطقية التي تستخلص من القانون المنزل ـــ وهو في هذه الحالة الأخيرة فقط يقبل بالرأي. وهذا الاستحسان محصور فقط بتبني نهج ضروري معين لتجنب العسف الظاهر. وهكذا كما بينا ـــ كان مذهب أبي حنيفة أرحب وألين، وأكثر عقلانية من أية معالجة أخرى للشرع الإسلامي. ولكن من الخطأ الافتراض أنه لا يزال لينا وعقلانيا. ذلك أن الأحكام المستحسنة قد اقتصر فيها على رأي السلف. والقانون الحنفي يعبر فقط عن هذه الأحكام الثابتة غير المرنة التي تعود إلى أوائل عهد الإسلام. وهذه القضية مشابهة لمعالجة مسألة العدالة في تاريخها عند الإنكليز....فمن الممكن إذن أن نقول دون تردد إن (الاستحسان) ذو أصل هلليني، ويدعم قولنا هذا ما سبق إيراده من الشواهد. إلا أننا عندما نقارن آراء أبي حنيفة بتعاليم معاصره واصل ابن عطاء (المتوفى سنة ١٣١هـ) في التوحيد نجد أنفسنا مضطرين لأن نستخلص حقيقة خضوعهما لنفس المؤثرات.

وتعود هذه المؤثرات عند واصل إلى الفلسفة اليونانية. أما أبو حنيفة فمن غير العدل افتراضنا أنه قرأ الفلسفة اليونانية أو القانون الروماني، إذ إنه عاش في حقبة من الزمن كانت المبادئ العامة المستخلصة من هذه الأصول في بداية شيوعها في الفكر الإسلامي»[٢].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، مادة أبوحنيفة النعمان، كتبها المستشرق شاخت، (١/ ٤٥٦)، (طبعة دار الشعب).

(٢) أوليري: دي لاسي، أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ٦٦ ـــ ٦٧)

فالمستشرق شاخت حاول من خلال هذا النص رمي الإمام أبي حنيفة بأنه يقدم عقله على النقل، إضافة إلى محاولة ربط المذهب الحنفي ونشأته بأصول أجنبية للتشكيك في مصدرية الدين الحنيف.

المطلب الخامس:اتهام أبي حنيفة بالإرجاء:

اعتبر بعض المستشرقين من خلال ما دُوِّن في بعض كتب التراجم من أن أبا حنيفة قد رُمِيَ بالإرجاء، أو (كان مرجئًا) ونحو ذلك، أن الإمام أبي حنيفة من الخارجين عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن ضمن المعدودين من الفرق المرجئة الضالَّة.

ومن هنا طعن كثيرٌ منهم على الإمام أبي حنيفة وصاحبيه وشيوخه! لوجود إطلاق الإرجاء عليهم في كتب من يُعتمد على نقلهم، والسبب في ذلك جهلهم لأقسام الإرجاء، واعتقاد أن الإرجاء المنسوب لأبي حنيفة هو الإرجاء الذي هو ضلال عند العلماء.

جاء في الدائرة وصف أبي حنيفة بأنه: «أصل مأثور عام من الفقه العقائدي، يُعنى عناية خاصة بأفكار جماعة المسلمين والمبدأ الذي يوحدها وهو السنة، وبجمهور المؤمنين الذين يتبعون طريقا وسطا ويتجنبون التطرف، ويعتمد على الكتاب أكثر من اعتماده على البراهين العقلية، وهذا المأثور يمثله كتاب (العالم والمتعلم)(١) الذي ينسب خطأ إلى أبي حنيفة، و(الفقه الأبسط) الذي نشأ بين تلامذة أبي حنيفة، ثم في أعمال المتكلمين الحنفيين بعد ذلك،... وهذا المأثور العقدي نما من أصل عام أساسه الحركة الكلامية للمرجئة...والوثيقة الوحيدة الموثوق بها التي نملكها لأبي حنيفة هي في الحق رسالته إلى عثمان البَتِّي التي ينافح فيها عن آرائه الإرجائية بأسلوب مهذب، (طبعت هذه الرسالة هي (العالم والمتعلم) و(الفقه الأبسط) في القاهرة سنة ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م.) ومن أسماء الكتب الأخرى التي نسبت لأبي حنيفة

---

(١) قال الدكتور سامي النشار: " وقد نسب لأبي حنيفة كتاب الفقه الأكبر في العقائد..وقد كثر الشك في نسبة هذا الكتاب إليه،...وإنه من الثابت أن له كتابًا (العالم والمتعلم) وفيه أيضًا عرض لبعض آرائه الكلامية التي يؤيدها ــ في غالب الأحايين ويخالفها في أحيان قليلة ــ ما تناثر من أقواله في بطون كتب التاريخ والفقه، وإنه من الثابت أن له كتاب في الإرجاء عرفت باسم (رسالة أبي حنيفة إلى إمام أهل البصرة عثمان بن مسلم البتي في الإرجاء).انظر: النشار: د. علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،(١/ ٢٣٤) .

(الفقه الأكبر)[١] الذي بين فنسك أن الكتاب المعروف بالفقه الأكبر هو دون سواه الذي ينطبق عليه، وهذا الكتاب يوجد مطويا في شرح نسب خطأ إلى الماتريدي (طبع تحت رقم (١) في مجموعة شروح الفقه الأكبر، حيدر آباد سنة ١٣٢١هـ) ويحتوي المتن نفسه على عشر مواد في العقيدة تلم بموقف أهل السنة من الخوارج، والقدرية، والشيعة، والجهمية،...ولم ترد فيها آراء ضد المرجئة، ولا ضد المعتزلة... وهذا يدل على أن المؤلف كان من المرجئة، وأنه عاش قبل ظهور المعتزلة. وجميع نظريات الفقه الأكبر قد وردت في الفقه الأبسط إلا واحدة، والفقه الأبسط يحتوي على أقوال لأبي حنيفة في مسائل الكلام ردا على أسئلة وجهها إليه تلميذه أبو مطيع البلخي المتوفى سنة ١٨٣هـ (٧٩٩م). ومن ثم فإن محتويات الفقه الأكبر هي آراء موثوق في نسبتها إلى أبي حنيفة، على أنه ليس ثمة ما يصح دليلا على أنه قد ألف حقا المتن المختصر، غير أن الكتاب المعروف (بالفقه الأكبر)..، و(وصية أبي حنيفة) ليسا لأبي حنيفة، ولم يستوثق بعد من صحة نسبة عدد من الرسائل الأخرى المنسوبة إلى أبي حنيفة، ومن ثم فهي على الأقل مشكوك فيها، والوصية الموجهة إلى تلميذه أبا يوسف بن خالد السمتي تمثل آداب رجال البلاط الإيراني، ولا يمكن تصور أنها من عمل متخصص في الفقه الإسلامي»[٢].

وقبل الخوض في هذه المسألة علينا معرفة المقصود بالإرجاء:

«الإرجاء على معنيين: أحدُهما: التأخيرُ كما في قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ الأعراف: ١١١.

(١) هذا الكتاب من الكتب المنسوبة لأبي حنيفة، قال أبو منصور الماتريدي رحمه الله :" قد سألتموني أكرمكم الله أن أشرح لكم الفقه الأكبر الذي ينسب إلى أبي حنيفة ﷺ بأسانيد صحيحة.. " شرح الفقه الأكبر، المتن المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ ــ ١٥٠هـ) شرحه الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الحنفي السمرقندي ٣٣٣هـ،(ص: ٥)، عني بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، طبع بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، بحيدر آباد الدكن في شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢١هـ.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة أبوحنيفة النعمان كتبها المستشرق شاخت، (١/ ٤٥٦ـ ٤٥٧)، (طبعة دار الشعب).

أي أمهِلْه.والثاني: إعطاءُ الرجاء.أما إطلاقُ اسم المُرْجِئة على الجماعة بالمعنى الأول صحيح، لأنهم كانوا يُؤخِّرون العمَل عن النية والاعتقاد.وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفعُ مع الكفر طاعة.وقيل: الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرةإلى يوم القيامة، فلا يُقْضَى عليه بحكمٍ مَّا في الدنيا؛ من كونه من أهل الجنة أو النار. فعلى هذا المرجئة والوعيديةُ فرقتان متقابلتان.وقيل: الإرجاء: تأخيرُ عليّ رضي الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة. فعلى هذا: المرجئةُ والشيعةُ مُتقابلتان.والمرجئة أصناف أربعة: مُرجئة الخوارج، ومُرجئة القدرية، ومُرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة»[1].

والإرجاء نوعان:منه ما يكون ضلالا، ومنه الإرجاء الذي ليس بضلال، ولا يكون صاحبُهُ عن أهل السنَّة والجماعة خارجًا، ولهذا ذكروا أنَّ المرجئة فرقتان، مرجئة ضلال، ومرجئة أهل السُنَّة، وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيرُهم إنما عُدُّوا مِن مُرْجِئة أهل السُنَّة، لا من مرجئة الضلالة.

قال الإمام الشهرستاني:

«ومن العجيب أن غسان كان يحكي عن أبي حنيفة مثل مذهبه، ويعده من المرجئة! ولعله كذب عليه؟ولعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه: مرجئة السنة. ولعل السبب فيه أنه لما كان يقول: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو يزيد وينقص، ظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان.والرجل مع تبحره بالعلم كيف يفتي بترك العمل؟!وله سبب آخر، وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول، والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئا،وكذلك الوعيدية من الخوارج، فلا يبعد أن اللقب إنما لزمه من فريقي المعتزلة والخوارج[2]».

وقال الشهرستاني في حديثه عن رجال المرجئة: «كما نقل – الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، وسعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، وعمرو بن مرة، ومحارب بن دثار،

---

(١) الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، (١/ ١٦١ ــ ١٦٢).

(٢) الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور،(١/ ١٦٤).

ومقاتل بن سليمان، وذر، وعمر بن ذر، وحماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وقديد بن جعفر. وهؤلاء كلهم أئمة الحديث، ولم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة، ولم يحكموا بتخليدهم في النار، خلافا للخوارج والقدرية»[١].

من هذا العرض يتبين أن الإمام أبا حنيفة بريء من تهمة الإرجاء بالمعنى الأخر وهو الإرجاء المخالف لما عليه الشرع.

(١) الشهرستاني:أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، (١/١٦٨ ـــ ١٦٩).

المبحث الثاني

موقف بعض المستشرقين من الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ

المطلب الأول:التعريف به:

هو: «مالك بن أنس بن مالك بن أبي بن أبي عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث»(١).

«وهو ذو أصبح الحميري، أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة في زمانه، روى عن غير واحد من التابعين،..والزهري شيخه، قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر»(٢).

اختلف في مولده فقيل: ولد سنة ٩١هـ وفي أخرى ٩٤هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ وقيل توفي ١٧٨هـ(٣).

المطلب الثاني:طفولة الإمام مالك رحمه الله :

قال شاخت عن الإمام مالك من كتاب الأغاني: «إنه كان يريد في البدء أن يكون مغنيا، وإنه غير مسار حياته إلى دراسة الفقه بناء على نصيحة أمه»(٤).

وقد اعتمد شاخت على كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني، وهو ليس كتابا علميا، إنما يعتمد عليه في الأدب، والفكاهات، ثم إن الإمام مالكا رحمه الله أحد الأئمة الأربعة الذين نقلوا الفقه إلى الأمة، وإلى الآن مذهبه هو مذهب أهل المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا، فهل من الواجب علينا التنقيب عن طفولته وإبراز مثل هذه الرغبة بالذات، إلا لحاجة في نفس يعقوب!

وهل قصد بعض المستشرقين من ذلك البحث عن مسلك يلجون من خلاله لإباحة الغناء، خاصة بين الشباب المراهقين؟؟ وإن حدث ذلك في طفولة الإمام مالك فالمعروف أن

(١) العسقلاني: ابن حجر، تهذيب التهذيب،(٤/ ٦).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٣/ ٥٩٩ ــ ٦٠٢).

(٣) انظر: كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين،(٣ / ٩).

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٩ / ٨٩٧٢).

الصغير يمكن أن يعبر عن كل مايكن في خاطره من غير تقييد وتمييز.ثم إن طريقة والدته في التعامل مع ابنها تمثل منهج التربية الإسلامية الصحيحة في التوجيه، وتضارع ــ بل تفوق ــ أساليب التربية الحديثة، حيث لم تلجم فلذة كبدها، و لم توبخه، بل أعطته البدائل، ووجهته التوجيه الصحيح.وقصة طفولة الإمام مالك وطرحها بهذا الأسلوب الهدف منه واضح، خاصة أن الثابت عن الأئمة النهى عن سماع مجالس الغناء.

فقد سئل الإمام مالك رحمه الله: عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: «إنما يفعله عندنا الفساق.قال: وأما أبو حنيفة: فإنه يكره الغناء، ويجعله من الذنوب..،وأما الشافعي فقال في كتاب (أدب القضاء): إن الغناء لهو مكروه، يشبه الباطل والمحال. ومن استكثر منه فهو سفيه تردّ شهادته»[1].

المطلب الثالث:مؤلفات الإمام مالك:

من أشهرها كتاب الموطأ:

كتاب (الموطأ)، وهو من المؤلفات القديمة في الإسلام، ألفه مالك بناء على طلب أبي جعفر المنصور، إذ قال له:اجعل العلم ياأبا عبد الله علما واحدا، والموطأ كتاب حديث وسنة وفقه، ومنهج مالك في تدوينه أن يذكر الأحاديث في الموضوع الفقهي الذي اجتهد فيه، ثم يذكر عمل أهل المدينة المجمع عليه، ثم يذكر رأي من التقى بهم من التابعين وأهل الفقه، ثم يذكر الرأي المشهور بالمدينة، فإن لم يكن شيء من ذلك بين يديه في المسألة، اجتهد برأيه على ضوء مايعلم من الأحاديث والفتاوى والأقضية[2].

المطلب الرابع:تهمة تقديم عمل أهل المدينة على الحديث:

يقول (دومينيك سورديل) في حديثه عن المذاهب الفقهية: «وأقدم هذه المذاهب كان مذهب مالك بن أنس (المتوفى سنة ٧٩٥). قاضي المدينة وصاحب الكتاب المعروف بـــ

---

(١) الجوزية: أبي عبد الله محمد بن قيم، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان،(١ / ٢٥٩)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون،ط١، مكتبة دار البيان، دمشق ــ بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م،و مكتبة المؤيد ــ الرياض.

(٢) انظر: القطان: مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ٣٥٠ ــ ٣٥١).

(الموطأ) والذي هو في الحقيقة أبحاث فقهية معتمدة على الأحاديث، ممثلاً رأي الوسط الذي كان ينتمي إليه في القرن الثامن وعنه أن مصادر التشريع: القرآن والسنة أولاً، وفي حال الضرورة ما عليه أهل المدينة، وأخيرًا ما أجمع علماء المدينة بالنسبة للمسائل الحادثة»(١).

فالمستشرق دومينيك سورديل يقر هنا بتقديم القرآن والسنة في الأحكام، بخلاف غيره من المستشرقين الذين نسبوا للإمام مالك أنه يقدم عمل أهل المدينة على السنة.

قال شاخت في معرض حديثه عن مؤلفات الإمام مالك: «وأهم مؤلفاته كتاب الموطأ، وهو يعتبر ـــ باستثناء مجموع الأحكام لزيد بن علي ـــ أقدم كتب الفقه الإسلامي الباقية حتى الآن. وهو يستهدف تقديم دراسة للفقه والعدالة، وشعائر الدين، وممارستها حسب إجماع المسلمين في المدينة، وحسب السنة المعمول بها في المدينة ـــ كما يستهدف إيجاد معيار تنظيري للأمور التي لم تحسم من وجهة نظر الإجماع والسنة.ففي عصر اتسم بالإقرار بالشريعة، وتقديرها في ظل العباسيين الأوائل، كان هناك اهتمام عملي بتحديد طريق ممهد (وهذا هو معنى الموطأ) بين الخلافات البعيدة الأثر في الرأي، حتى حول أبسط المسائل الأولية..وكان مالك يريد أن يساعد هذا المنحى من الاهتمام على أساس ما يجري ممارسته في الحجاز، وأن يصنف القانون العرفي في المدينة، ويرتبه ترتيبا منهجيا (فالحديث) الذي يفسره من وجهة نظر الممارسة ـــ ليس بالنسبة له ـــ غاية، بل وسيلة؛ لذلك فلم يكن مالك يستشهد بالفقهاء الأقدمين إلا كمراجع فحسب، ولأنه كان يهتم فقط بتوثيق السنة، وليس انتقاد شكلها، فقد أهمل الترتيب في تعامله مع الأحاديث.. ومن ثم فإن الموطأ يمثل التحول من الفقه البسيط في العصر الأسبق إلى العالم الخالص (للحديث) في العصر الأخير.ولم يكن مالك وحده من بين معاصريه في تأليف الموطأ، إذ إن العديد من علماء المدينة في الفترة نفسها قد سجلوا أعمالا على نمط الموطأ، ولكن هذه الأعمال ضاعت ولم يبق فيها شيء.وإن نجاح الموطأ يرجع إلى حقيقة أنه دائما يسلك الطريق الوسط، ويأخذ بوجهة النظر الوسط حول النقاط موضع الخلاف»(٢).

نقد النص

(١) سورديل: دومنينيك،، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٩٥ ـــ ٩٦)، ترجمة: سليم قندلفت.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٢٩ / ٨٩٧٣).

عمل أهل المدينة من أبرز القضايا المرتبطة بأصول المذهب المالكي والتي كتب عنها بعض المستشرقين وتعتبر من الأصول التي انفرد بها الإمام مالك وانتصر لها المالكية، ودافعوا عنها؛ لذا كادت جل الدراسات الاستشراقية التي تعرضت للمذهب المالكي بالدرس والتحليل تنصب في معظمها على مسألة عمل أهل المدينة. قال شاخت:

«وكان مالك..يأخذ بحجية عمل أهل المدينة، وهو ليس بحال من الأحوال عين سُنة النبي، والإجماع وعمل أهل المدينة يرتبطان في نظره أشد ارتباط. ويمثل لنا كتابه مقدار ما وصلوا إليه في عهده في المدينة من صبغ القانون العرفي بالصبغة الإسلامية»(١).

فنظرة شاخت إلى عمل أهل المدينة نظرة شك، ترمي إلى إثبات عدم تطابق عمل أهل المدينة مع السنة النبوية، وصولا إلى إثبات الأعراف ضمن عمل أهل المدينة؛ ليسلم له هو ومن تابعه القول بأن السنة النبوية هي مجرد أعراف وتقاليد متطورة وبذلك قد طبقوا منهجهم التطوري على السنة النبوية.

ولما كان غرض بعض المستشرقين في دراساتهم حول الإمام مالك هو التقليل من أهمية مذهبه، فإن كثيرًا من المستشرقين سعوا إلى التركيز بقوة على جملة من القضايا والمسائل المتعلقة بأصول المذهب المالكي والتي انتقدها بعض علماء الإسلام.قال شاخت: «يمثل مالك مرحلة في تطور الفقه، لم يكن فيها الفكر(الاستدلال) تاما وجوهريا، بل عرضيا، ولغرض معين، و لم يصبح فيها التفكير القانوني أو الشرعي للإسلام تشريعا بعد؛ وكانت هناك العادات والعرف في المدينة، حيث وضعت الأسس الحاسمة للشرع الإسلامي...من بين الموضوعات الرئيسة في التفكير التشريعي الذي يتضح في الموطأ، نفاذ الأفكار الدينية والأخلاقية، وتخللها في الحياة الشرعية برمتها.وعلى حين كانت أسلمة القانون (صبغه بالطابع الإسلامي) قد تم إقرارها بمبادئه الرئيسية(٢) قبل مالك، فإن أجيالا كثيرة ظلت تعكف على تصنيفه منهجيا؛ ولذلك فإن إنجاز مالك الوحيد في مجال التشريع يكمن في تطويره لصياغة هذا النظام ــ ولا نستطيع أن نؤكد مدى ضخامة أو عظمة هذه المساحة بسبب افتقاد المادة التي تتيح لنا عقد المقارنة.. ولكن النجاح المذهل الذي حققه الموطأ، من

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠٠)، مادة أصول ــ يوسف شاخت، طبعة دار الشعب.

(٢) والصواب الرئيسة.

بين عدد من الأعمال المماثلة ينبثق من أنه سجل إجماع الرأي في المدينة دون أي تدخل منه، ومن ثم أصبح يعتبر حجة بسبب إعرابه عن المنهج الوسط (مثلما أصبحت) الأعمال حول الأحاديث الشريفة شرعية، أو تشريعية) ولذلك لا يعتبر الموطأ في هذه الحالة دليلا على اجتهاد مالك الشخصي، بقدر ماهو دليل على المرحلة التي تم الوصول إليها في التطور العام للقانون (الشريعة) في عصره. ومن ثم يمكن أن نقول:إن الوسطية (الصفة الوسط) هي ماكان يستهدفه مالك»[(١)].

لقد أخذ الإمام مالك رحمه الله بعمل أهل المدينة، لأنه كان أكثر الناس خبرة بمذهب أهل المدينة رواية ودراية، ولم يكن في عصره من هو أقوم بذلك منه، حيث كانت المدينة النبوية مترلاً لرسول الله ﷺ ، واجتمع بها أكثر الصحابة والتابعين.

ويؤيد المستشرق (دي لاسي أوليري) الإمام مالك واعتبارعمل أهل المدينة قائلا: «وليس من شك في أن موقف مالك كان سليما: فالدولة الإسلامية اكتسبت شكلها في المدينة، ولا يستطيع أي شيء أن يوضح سياسة النبي وصحبه بالقدر الذي يوضحه العرف المحلي الذي كان سائدًا في المدينة الأم. ولقد تناول مالك في الوقت ذاته الحديث بنظرة جادة. والواقع أن معالجة الحديث بالطريقة النقدية والعلمية تبدأ بكتابه المعروف باسم (الموطأ)»[(٢)].

قال الشيخ مناع القطان: «ذهب مالك إلى أن المدينة هي دار الهجرة، وبها تنزّل القرآن، وأقام رسول الله ﷺ ، وأقام صحابته، وأهل المدينة أعرف بالتتريل، وبما كان من بيان رسول الله ﷺ للوحي، وهذه ميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون إليه، فيكون عملهم حجة، يقدم على القياس، وعلى خبر الواحد، وفي كتاب الإمام مالك إلى الليث بن سعد: إن الناس تبع لأهل المدينة، التي إليها كانت الهجرة، وبها تترل القرآن»[(٣)].

وتعليقا على كلام الشيخ،فإن العمل بخبر الواحد يعتبر من أصول مذهب الإمام مالك رحمه الله ، ولا يرى تقديم عمل أهل المدينة عليه إلا إذا كان خبر الواحد واردًا من طريق

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٩ / ٨٩٧٥).

(٢) أوليري: دي لاسي، أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص:٦٨).

(٣) القطان: مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ٣٥٣).

غير صحيح، وخالف ما عليه أهل المدينة، فإنه كان يرى أن تقديم العمل أرجح في الأخذ وأقرب إلى الحق والصواب. ومن زعم أن مالكًا يشترط في خبر الواحد موافقته لعمل أهل المدينة فقد تقوَّل على مالك ما لم يقل، فلا يشترط في الخبر إلا الصحة، ولا شيء غير ذلك.

ولكن بعض المستشرقين اتهم الإمام مالكا رحمه الله بأنه كان يقدم عمل أهل المدينة على الحديث. قال شاخت: «إن أهل المدينة يتركون الأحاديث إلى العمل، ويهملونها غالبا»[(١)].

والحق أن مخالفة عمل أهل المدينة للسنة الثابتة المتواترة أمر مستحيل لما كان لهم من فضل، وتقدم، ومشاهدة التنـزيل، ولقربهم من عهد الصحابة، ووجودهم بالمدينة، ثم كيف تجتمع الأمة على ضلاله بعد خبر النبي ﷺ ، وشاخت وأمثاله يدعي أن الإمام مالك يقدم عمل أهل المدينة، والصواب أنه لم يكن منكرًا لحجية السنة، بدليل ماروي عنه: «قال معن بن عيسى: سمعت مالكا يقول: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به»[(٢)].

وقال ابن حبان في الثقات: «كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، وأعرض عمن ليس ثقة في الحديث، ولم يكن يروي إلا ماصح، ولا يحدث إلا عن ثقة، مع الفقه، والدين، والفضل، والنسك، وبه تخرج الشافعي»[(٣)].

ثم كيف يكون ذلك، وقد برر شاخت نفسه بأن أحد أسباب شهرة الإمام مالك نقده الدقيق للأحاديث؟! قال الدكتور ساسي الحاج:

«ويرجع شاخت سبب اختيار الإمام مالك رئيسا لمذهب الحجاز لشهرته الشخصية، المتمثلة في نقده الدقيق للأحاديث ورجالها، لا لاجتهاده التشريعي البحت، وللنجاح العظيم الذي لقيه كتاب (الموطأ)»[(٤)].

كما رد الدكتور ساسي الحاج على شاخت الذي اتهم الإمام مالك بتقديم عمل أهل المدينة على السنة بقوله: «ونحن لم نر ذلك في أي مصدر، سوى ما قرره مالك من تركه

---

(١) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)(١/ ٤٥٩).

(٢) العسقلاني: ابن حجر، تهذيب التهذيب،(٤/ ٨).

(٣) العسقلاني: ابن حجر، تهذيب التهذيب، (٤/ ٨).

(٤) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية) (١/ ٣٤٠).

ثلاثة أحاديث فقط من تلك المجموعة الضخمة التي جمعها في الموطأ؛ لأنها لم تصح عنده، وكيف يستقيم رأي شاخت، ومالك ذكر في الموطأ الحديث المرفوع إلى النبي: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه(١).

وكيف يكون ذلك وقد اشتهر عن الإمام مالك قوله: «إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه(٢)»(٣).

وقال جولد تسيهر:

«وكانت كتب مالك بن أنس، التي بها عادات المدينة ــ وطن السنة ــ معتبرة، ولكن ذلك ليس من وجهة الحديث. هكذا قام بجانب القرآن مراجع أخرى، وكانت لها أهمية كبرى في المعرفة، وفي الحياة الإسلامية»(٤).

أما المستشرقة (بوجينا غيانة تستشيجفسكا) فقالت:

«كان مالك يعتمد في الفتيا أولا على كتاب الله، ثم على سنة رسول الله، ما ثبت عنه منها، وعمدته في ذلك كبار المحدثين من علماء الحجاز ويؤتي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبرى، خصوصًا عمل الأئمة، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر. وقد يرد الحديث لأنه لم يجد عليه عمل أهل المدينة، وقد نازعه في ذلك علماء الأمصارثم يعتمد على القياس إذا لم يكن نص كتاب أو سنة،وقد نسب إليه القول بالعمل بالمصالح المرسلة، كما نسب إلى الحنفية القول بالاستحسان»(٥).

أما قولها: (عمل الأئمة، وفي مقدمتهم: أبو بكر وعمر.) فهؤلاء هم الصحابة وهم من الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم ورضوا عنه هذا هو اللفظ الدارج بالنسبة إلى تسميتهم.والحق أن الإمام مالك أولى لعمل أهل المدينة أهمية كبرى، لكنه لم يقدمه على

---

(١) موطأ مالك، الحديث رقم ٣ الذي عنوانه القدر،(ص: ٨٩٩). من حاشية الكتاب،(ص: ١/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله،(٢/ ٣٢) .

(٣) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)(١/٤٦٠)

(٤) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤٢).

(٥) بوجينا غيانة تستشيجفسكا، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ١٦٩).

النقل قط، وكل عمل مجمع عليه عند الإمام مالك فأساسه النقل، ولا تخالفه السنة الصحيحة.

وهدف بعض المستشرقين من ذلك واضح، وهو قلب الحقائق،واتهام الإمام مالك بأنه كان يعرض عن الحديث الصحيح إعراضًا تاما.

وخلاصة القول أنه: إذا كان عمل أهل المدينة أو إجماعهم أساسه الاجتهاد، فالخبر مقدم عند جمهور المالكية، فلا يقدم الاجتهاد على السنة.قال الشيخ محمد الخضري بك: «إن عمل أهل المدينة الذي منشؤه الاجتهاد لا يكون إجماعا، بل ولا يكون حجة يجب العمل بها، ولا مرجحا لأحد اجتهادين على الآخر»[١].

كما طعن المستشرق (كولسون)في الموطأ بجملة افتراءات ليس لها أساس من علم، ولا سند، ولا معرفة بالحديث وأهله. وقامت الدكتورة عزية طه بعرض جملة من افتراءات المستشرق كولسون على مسند الإمام مالك، والرد عليها[٢].

المطلب الخامس:وصف المذهب المالكي بالتشدد:

قال المستشرق ن.كوتارت (N.Cotart)[٣]: «ويمكن تفسير نجاح المذهب المالكي في شمال أفريقيا بالرجوع إلى نظرية ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨هـ ــ ١٤٠٦م) فهو يرى أن الثقافة البدوية هي السبب في غلبة هذه المدرسة في الغرب الإسلامي، فالمالكية مخلصة للحديث، معادية للتفسيرات العقلية، ولذلك كانت مناسبة تماما لعقلية البربر المغاربة الذين كانوا يرفضون أي فكرة إلا إذا كانت مستمدة من حديث. وهذا أيضا هو السبب في أن المالكية المغربية أكثر تشددا من مالكية الشرق التي لم ترفض الاجتهاد. والآن يسود المذهب

---

(١) الخضري بك: الشيخ محمد، أصول الفقه،(ص: ٢٧٩)،ط ٦، المكتبة التجارية ــ مصر، ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩م.

(٢) انظر: طه: د. عزية علي، مقال بعنوان: (صور من افتراءات المستشرقين حول موطأ الإمام مالك بن أنس) مجلة منار الإسلام،(من ص: ٩٩ ــ ١٠٣)، مجلة تصدر في غرة كل شهر عربي عن وزارة الشؤون الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي، العدد الثالث، السنة الثانية عشر، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ــ نوفمبر ١٩٨٧م.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

المالكي في مراكش، والجزائر، وتونس، وليبيا، بالإضافة إلى التجمعات الإباضية، والحنفية في البلاد الثلاثة الأخيرة. وهو المذهب الوحيد في موريتانيا التي هيئت، لقرون طويلة، لتقبله»[١].

كما جاء في الدائرة وصف المذهب المالكي بأنه أكثر المذاهب الإسلامية تشددا[٢].

والمعروف عن مذهب الإمام مالك أنه كغيره من المذاهب، فليس في مذهبه التشدد من ناحية طابعه العام، وهو كغيره من الأئمة متشدد فيما يوافق الكتاب والسنة، بل قد تميز مذهبه بالتيسير في بعض الاجتهادت الفقهية.ومما يدل على عدم تشدده في مذهبه: أن الإمام مالك يشدد في قبول الرواية، إلا أنه يقبل المرسل من الأحاديث مادام رجاله ثقات، وفي موطئه كثير من المرسيل،كما أن العمل بالمصالح المرسلة من الأسس التي اعتمد عليها الإمام مالك في مذهبه،وهي: جلب منفعة، أو دفع مضرة لم يشهد لها الشارع بإبطال أو باعتبار معين، وقد اعتبر بعض الباحثين القول بالمصلحة من خصوصيات مذهب الإمام مالك، حيث ذكر الشاطبي في الاعتصام:أن مالكا يذهب إلى اعتبارها، ويكثر من بناء الأحكام عليها، ومن أمثلة عمل مالك بالمصالح المرسلة:ما قاله في الزعفران المغشوش إذا وجد بيد الذي غشه، حيث قال: يتصدق به على المساكين، قل أو كثر.كما عمل بسد الذرائع، والذرائع: جمع ذريعة، وعرفها القرافي في الفروق: بأنها هي الوسيلة إلى الشيء، وعرفها الشاطبي في الموافقات بأنها: التذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز، وعامة ما ورد في معناها يؤول إلى: ماكان ظاهره الإباحة، ويُتوصل به إلى فعل محظور، والمراد بسد الذريعة: الحيلولة دونها،والمنع فيها، لأن مايؤدي إلى المفسدة ــ وإن كان مباحا ــ يكون مفسدة، فيجب الامتناع عنه. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.وقد أكثر مالك من العمل بسد الذرائع، حتى اعتبر بعض العلماء أنها من خصوصيات مذهبه، وهناك مسائل كثيرة في تطبيقات مالك وأصحابه لسد الذرائع، يدركها من يتصفح الموطأ والمدونة الكبرى[٣].

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٩ / ٨٩٩٠)(مادة المالكية) .

(٢) انظر:دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن تومرت،(١/ ٢٢٩)(طبعة الشعب).

(٣) انظر: القطان: مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ٣٥٣ ــ ٣٥٦).

ثم إن بعض المستشرقين أنفسهم وصفوا الإمام مالك بالوسطية من خلال كتابه الموطـأ. فقد جاء في الدائرة: «وإن نجاح الموطأ يرجع إلى حقيقة أنه دائما يسلك الطريـق الوسـط، ويأخذ بوجهة النظر الوسط حول النقاط موضع الخلاف»[١].

وقولهم أيضا: «ومن ثم يمكن أن نقول:إن الوسطية (الصفة الوسط) هي ماكان يستهدفه مالك»[٢]. فأين التشدد وهم يعترفون بوسطيته؟!

المطلب السادس:المصلحة المرسلة ونظرية التأثر بالقانون الروماني:

قال جولد تسيهر: «ومن بين المذاهب السنية الأربعة يعترف المذهب المالكي

(بالمصلحة utitas») أي ما يقتضيه الصالح العام كفكرة ينبغي أن تكون الغاية من تطبيق أحكام الشريعة، وعلى ذلك فمن الممكن التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة الجماعة تتطلب حكما يغاير حكم الشرع[٣].

وكلامه هذا متناقض فلا يمكن أن يتم تغيير الأحكام الشرعية. أما قوله: (وهذا يقابل في القانون الروماني (corrigere jus propter utitatem publicam) ولا شك أن هذه الحريـة لا تتعلق إلا بما يعرض من الحالات الفردية التي لا تجر إلى نسخ الـشريعة الإسـلامية نـسخا كاملاً. غير أن إقرار هذا المبدأ في ذاته دليل على المرونة المباحة في دائرة الشريعة نفسها، ومما لا يحسن أن يمر بنا دون أن ننوه به في هذا الصدد ماصرح به الزرقاني الفقيه الذائع الـصيت المتوفي بالقاهرة سنة ١١٢٢هـ ــ سنة ١٧١٠م، في إحدى فقرات شرحه علـى موطـأ

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٩ / ٨٩٧٣).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية،(٢٩ / ٨٩٧٥).

(٣) يقرر المؤلف أن المذهب المالكي يبيح الأخذ بالمصلحة العامة، ومن الممكن لهذا التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة إذا ما ثبت أن مصلحة الجماعة تتطلب حكما يغاير الشرع. وهذا غير معروف في فقه المالكية، وما كان ليقول به أحد من المسلمين. فمن يبيح لنفسه أن يغير أحكام الشرع تبعا للمصلحة العامة التي يزعمها، والشارع أحكم الحاكمين وأدرى بمصالح الناس! والذي عند المالكية القول بالمصالح المرسلة، وهي مالم يعرف عن الشارع اعتبارها أو إلغاؤها؛ فلو جاء في الشريعة حكم يعارض المصلحة، أو المناسب كما يعبر الأصوليون، فلا خوف في إعماله وإطراحه.نعم، تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، على ألا يضار ذو المصلحة الخاصة؛ فقد زيد في مسجد الرسول، واشترى الزائد من أصحابه في غير ضرار لما كانت في ذلك المصلحة العامة. (تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة، حاشية الكتاب، (ص: ٢٢٨).

مالك، من أنه من الممكن اتخاذ أحكام جديدة، واختتم رأيه قائلا: ولا غرو في تبعية الأحكام للأحوال»[١].

فلا يلزم منه التأثر لكن التشابه ممكن.

إن المستشرق جولد تسيهر، وغيره من المستشرقين حاولوا جاهدين إثبات أوجه التشابه بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني؛ لكن هذه النظرة الاستشراقية ينفيها المستشرق الإنجليزي (فيتزجيرالد Fitzgerald)[٢]حيث يذهب إلى:

«تأكيد أن (جولد زيهر) كان من القائلين باستعارة الفقه الإسلامي من القانون الروماني، ولكنه إنصافا لهذا العالم نفسه فإنه يراه قد رجع عن آرائه في مصنفه العظيم (العقيدة والشريعة في الإسلام)»[٣].

فكيف يكون قد عدل عن تهمة أن الفقه الإسلامي مستمد من القانون الروماني في كتاب العقيدة والشريعة، وهذا النص تنبعث منه رائحة المقارنة بين المصلحة المرسلة في الفقه المالكي، وبين مسميات الرومان وإن كان ما يندد به خطأ كما ظهر من خلال نقد المترجم. وماذلك إلا خدعة من قبل هذا المستشرق لتشكيك المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري، حيث يدعي هو ومن سايره أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة اليونان، وأن المسلمين ليسوا إلا نقلة، وليس لهم إبداع فكري وحضاري.

علما أنني رجعت لكتاب (المدخل لدراسة الفقه الإسلامي) و لم أجد هذا النقل المدافع عن جولد تسيهر، بل على العكس من ذلك فقد قال الدكتور: محمد يوسف موسى:

«ومن هؤلاء الغربيين الذين قالوا بالتأثير والتأثرأيضا في ناحية القانون والفقه إلى حد كبير، (جولد تسيهر المجري) و(دي بور)....ثم قال: ومن الذين غلوا غلوا كبيرا في هذه

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة، (ص: ٢٢٨).

(٢) ادوارد فيتز جيرالد من آثاره: رباعيات عمر الخيام، وقد ترجم ٧٥ قصيدة شعرا إنجليزيا رائعا.(العقيقي: نجيب، المستشرقون، (٢ / ٤٩٤).

(٣) موسى:د. محمد يوسف، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي،(ص: ٩٣)، ط٢، دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٦١م. نقلا من: الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (٢ / ٤٤٤).

الناحية إلى درجة تدعو إلى الاستخفاف والزراية بآرائهم المجردة من الدليل العلمي الصحيح الذي يتطلبه هذا البحث التاريخي، المستشرق (إيموس ـــAmos)[(١)]فقد زعم: بـأن الـشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للامبراطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال الـسياسية في الممتلكات العربية»[(٢)].

فزعم بعض المستشرقين بأن الفقه مستمد من القانون الروماني خطأ فادح؛ لأنه مستبط من القرآن وسنة النبي محمد ﷺ قال الأستاذ عبد الرحمن بـن حـسن حبنكـة الميـداني: «التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع العظيم الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور. لقد سقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته، وهم لا يؤمنـون بنبوة محمد ﷺ ، فلم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه مستمد من القانون الروماني، أي أنه مستمد من الغربيين، وقد بين علماء المسلمين الباحثون تهافت هذه الدعوى، وفيمـا قـرره مؤتمر الفقه المقارن بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته، وليس مستمدًا من أي فقه آخر، ما يفحم المتعنتين منهم، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا»[(٣)].

المطلب السابع:تهمة الإمام مالك بأنه يرى لنفسه الحق في رفض أحكام النبي ﷺ متى ثبتت صحة نسبة الحكم إليه:

قال المستشرق ن. ج. كولسون: «نما الاتجاه إلى الاحتجاج للرأي الفقهي بزعم نـسبته إلى النبي ﷺ ،والتعبير عنه في صورة حديث نبوي. ولكن برغم ما أدى إليه هذا الاتجاه مـن تزايد الإدراك لما قد ينشأ من تعارض في الأدلة بين حجية السنة وإجماع علماء مـصر مـن الأمصار، فلم يبذل إلى هذه الفترة أي جهد لحل هذا التعارض على نحو منهجي. وهكـذا تزاحمت في النظر التشريعي (فيما بين ٧٧٠م ـــ ٨٠٠م) اجتهادات الفقهـاء وإجماعـات الأمصار والأخبار المروية عن النبي ﷺ في تأليف غير متناسق. وتنعكس هذه المرحلـة مـن

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) موسى:د. محمد يوسف، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي،(ص: ٩٤)، ط٢، دار الفكر العربي ـــ القاهرة ١٣٨٠هـــ/ ١٩٦١م.

(٣) الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها،(ص: ١٤٠)، ط ٨، ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م.

التطور التشريعي في أول مصنف فقهي ظهر في تاريخ الإسلام؛ وهو الموطأ الذي ألفه فقيه المدينة مالك بن أنس (ت ٧٩٦م)»[١].

نقد النص:

أولاً: قول المستشرق كولسون: «ولكن برغم ما أدى إليه هذا الاتجاه من تزايد الإدراك لما قد ينشأ من تعارض في الأدلة بين حجية السنة وإجماع علماء مصر من الأمصار، فلم يبذل إلى هذه الفترة أي جهد لحل هذا التعارض على نحو منهجي»[٢].

فهل يعقل أن يتأخر تفكير الفقهاء فيما تثيره الأدلة المختلفة من تعارض إلى عهد متأخر؟ خاصة أنه لا تعارض حقيقي بين الأدلة الشرعية، لأنها كلها تخرج من مشكاة واحدة. فلا تعارض فيها على الحقيقة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ – ٤.

والوحي من الله، وكلام الله لا تعارض فيه.فإن جاءت أدلة ظاهرها التعارض فإن الأئمة لهم في حل هذا الإشكال وسائل وطرق متنوعة ومتدرجة. فالأدلة الشرعية لا تتعارض أبدا، وإنما يقع التعارض بينها في نظر المجتهد، ولهذا فهو تعارض ظاهري بالنسبة للمجتهد، وليس هو بتعارض حقيقي.

وقد تبجح هذا المستشرق حتى سمح لنفسه أن يتهم الإمام مالكا رحمه الله بأنه يرى لنفسه الحق في رفض أحكام النبي ﷺ متى ثبتت صحة نسبة الحكم إليه.

فقال كولسون: «إن تأكيد الشافعي على حجية النبي ﷺ مشرعا لهو السمة الثابتة والغالبة في مذهبه الفقهي. غير أنه لم يكن ليعيد هنا مقررات أهل الحديث التي نشأت في المدارس الباكرة؛ فعندهم أن حجية النبي ﷺ كانت تتمثل في أنه أفضل شخص مؤهل لتفسير القرآن الموحى إليه، وإن كان شارحا بشرا. وإنما لهذا السبب أباح بعض الفقهاء – كمالك – لأنفسهم رفض أحكام النبي ﷺ إذا رجحت اعتبارات فقهية أخرى على ما تستوجبه في ذاتها من فضل، كأن تكون متعارضة مع ألفاظ القرآن»[٣].

---

(١) كولسون: ن. ج، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ١٠٢).

(٢) كولسون: ن. ج، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ١٠٢).

(٣) كولسون: ن. ج، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ١٢٢ – ١٢٣).

فهل الإمام مالك رحمه الله يرى في نفسه الحق في رفض أحكام الرسول ﷺ ؟!

قال الدكتور محمد أحمد سراج: «والحقيقة أن الإمام مالكا كان يعتبر تعارض ما يروى من سنة عن النبي ﷺ مع القرآن معيارا لنقد هذا المروي، من منطلق أن السنة الصحيحة لا تعارض القرآن، فإذا حدث التعارض كان ذلك دليلا على زيف نسبة هذه السنة وعدم صحتها، ومن ثم عدم العمل بها. وهذا المعيار لا ينفرد به مالك، بل عمل به الصحابة، واعتمده الفقهاء قبل مالك وبعده. فالمعروف أن السنة تصح نسبتها بشرط في الراوي والمتن، ومن الشروط الأساسية في المتن ألا يتعارض مع القرآن، أو سنة أقوى»(١).

ثانيًا: قول المستشرق: «وهكذا تزاحمت في النظر التشريعي (فيما بين ٧٧٠م ــ ٨٠٠م) اجتهادات الفقهاء وإجماعات الأمصار والأخبار المروية عن النبي ﷺ في تأليف غير متناسق. وتنعكس هذه المرحلة من التطور التشريعي في أول مصنف فقهي ظهر في تاريخ الإسلام؛ وهو الموطأ الذي ألفه فقيه المدينة مالك بن أنس (ت ٧٩٦م)»(٢).

هذه محاولة من هذا المستشرق لصبغ الشريعة الإسلامية بالمنهج التطوري، فقد سعى كولسون من خلال هذا المنهج إلى متابعة المستشرق (جولد تسيهر) لإثبات أن الحديث عبارة عن تطور للعادات والتقاليد، حيث اعتبر جولد تسيهر أن الحديث النبوي متطور عن العادات والتقاليد(٣).

وتوصل جولد تسيهر إلى النتيجة التالية: «إن الحديث النبوي وجد نتيجة للتطور الديني، والتاريخي، والاجتماعي الإسلامي خلال القرنين الأولين للهجرة»(٤).

فهل يمكننا وصف كتاب (الموطأ) للإمام مالك رحمه الله بعدم التناسق؟؟!، وهو من أجل الكتب التي ألفت في عصر الإمام مالك، وأعمها نفعًا،حيث شهد له كثير من العلماء

---

(١) كولسون: ن. ج، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٢٣) (الحاشية).

(٢) كولسون: ن. ج، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ١٠٢).

(٣) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٤٢ ــ ٤٣).

(٤) Goldziher، Muslim Studies، tr. Stern، (London، ١٩٧١) Vol.٢، P١٩.
نقلاً عن الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن،(ص ١١ ــ ١٢)، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة ١٥ــ١٧/٣/ ١٤٢٥هــ الموافق ٤ ــ٦/٥/٢٠٠٤م.

بصحته، ويعد ذلك تحاملا من قبل هذا المستشرق ومن تبعه على مصادر الشريعة الإسلامية، وعلى علم من أئمة المذاهب الأربعة.

المبحث الثالث

موقف بعض المستشرقين من الإمام الشافعي رحمه الله (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ):

المطلب الأول:التعريف به:

هو: «محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، المطلبي الشافعي، الحجازي المكي، (أبو عبد الله) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب الشافعية، ولد بغزة بفلسطين، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها وبمدينة الرسول ﷺ وتعلم القرآن على يد سفيان بن عيينة، ثم خرج إلى المدينة فقرأ على مالك بن أنس الموطأ، وحفظه،ثم دخل بغداد وأقام بها سنتين، وصنف بها كتبه القديمة. ثم عاد إلى مكة سنة ١٩٩هـ ثم خرج إلى بغداد..ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة وأقام بها إلى أن مات..وكان موته سنة ٢٠٤هـ»[١].

ولاتخاذه المنهج الوسط في الأخذ بعمل أهل المدينة جعل بعض المستشرقين ذلك سبب في اشتهار مذهب الشافعي، حيث ذكرت المستشرقة البولونية (بوجينا غيانة تستشيجفسكا) أن: أهل الحديث يعيبون العراقيين في تركهم بعض الأحاديث التي لم تشتهر، مع أنها» صحيحة لا يحل تركها لرأي، كما عاب أهل الحديث المالكية بتركها الحديث، إذ خالفه عمل أهل المدينة. لذلك أخذ الشافعي طريقا وسطا بين الفريقين، فأوجب العمل بالحديث متى كان صحيحا ـــ وإن لم يكن مشهورا، أو لم يعمل به أهل القطر ـــ فلعله لم يبلغهم هذا الحديث، فبذلك أقبل عليه أهل الحديث وعدوه ناصر السنة حتى قال الزعفراني: كان أصحاب الحديث رقودًا حتى جاء الشافعي فأيقظهم ثم أخذ الشافعي بالقياس فيما لم يكن فيه نص، فرضي عنه العراقيون وبذلك ربح الشافعي المعركتين، واستمال إلى مذهبه كثيرا من الفريقين. ووقع له ظهور عظيم بنشره لكتبه ومذهبه بنفسه في العراق ومكة، ثم بمصر، وبهذا انتشر مذهب الشافعي سريعا بين علماء الأمة من غير تعضيد أهل السياسة له، ومن غير أن يكون له جلالة قدر مثل الإمام مالك في الاشتهار، والفضل، والمكانة في قلوب الناس و لم

---

(١) كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين،(٣ / ١١٦).

تكن الأمة في ذلك العصر جامدة تنظر إلى الأشخاص فقط فتقدمها، بل كانت تنظر إلى قيمة الأقوال فتزنها، وتعطيها قدرها»(١).

والحق أن الإمام الشيخ محمد بن إدريس الشافعي استطاع أن يرسم لنفسه منهجًا وسطًا بين مدرستي الرأي والحديث، ويعد من الأوائل الذين وضعوا علم الأصول، وهذا من أسباب اشتهاره، ولاداعي لإقحام الإمام مالك رحمه الله من خلال المقارنة بينهما نحو قولها:(ومن غير أن يكون له جلالة قدر مثل الإمام مالك في الاشتهار والفضل والمكانة في قلوب الناس) فهل الإمام الشافعي ليس له منزلة في قلوب الناس! ثم إن الإمام الشافعي تلقى الفقه والحديث على يد الإمام مالك رحمه الله ، وهو تلميذ له، وخريج لمدرسته،فكلاهما لهما مكانة في قلوب المسلمين.

أما قولها: (و لم تكن الأمة في ذلك العصر جامدة تنظر إلى الأشخاص فقط فتقدمها، بل كانت تنظر إلى قيمة الأقوال فتزنها وتعطيها قدرها) فهل الأمة الإسلامية قبل الإمام الشافعي كانت جامدة تقوم بتفضيل الأشخاص من حيث كونهم أشخاصًا أم أن التفضيل يعتمد على مقومات أخرى يفرضها صاحب الفضل من علو الشأن في التقوى والعلم، وغير ذلك من الصفات الأخرى التي تميز كل شخص عن الآخر! كما أنه لا يليق وصف السلف الصالح الذين عاشوا قبل الإمام الشافعي بالجمود، بل كل قرن أسبق من الآخر في العصور الإسلامية الأولى هو خير من القرن الذي يليه.ولعلها قصدت بشهرة الإمام الشافعي من ناحية ــ كما أشرنا ــ أنه استطاع أن يرسم لنفسه منهجًا وسطًا جمع فيه بين مدرستي الرأي والحديث.

قال المستشرق هفننك (Hefeni ng): ويمكن أن نقول إن الشافعي كان ينهج منهج» التوفيق، فيقف موقفا وسطا بين البحث الحر في الفقه، والتقليد الذي أخذ به أهل عصره»(٢).

أو لأنه كما بيّن المستشرق شاخت أن: «الشافعي في مناظراته مع معارضيه المزعومين لا يطلب منهم تقليده، أو ترسم خطاه، ولكنه يدعوهم إلى الاعتراف بسنة الرسول، والاقتداء بها»(١).

---

(١) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ١٧٤).

(٢) موجز دائرة المعارف،(١٩ / ٦٠٨٠)، مادة الشافعي.

فالمذهب الشافعي كما قال الدكتور فيليب حتي: «جاء وسطا في نظرته إلى استنباط الأحكام الفقهية، بين المذهب المالكي والمذهب الحنفي. ويأخذ المذهب الشافعي بالقياس، ولكن ضمن شروط وبتحفظ»[٢].

وقد يكون السبب الحقيقي لاشتهار المذهب الشافعي أنه وقف موقف وسط بين أهل الرأي في العراق وأهل الحديث في الحجاز، وحسم الجدل الفقهي بينهما بما تيسر له من الجمع بينهما بعد أن تلقى العلم، وتتلمذ على يد الإمام مالك رحمه الله وظهر أثر ذلك في بروزه في علم أصول الفقه.

المطلب الثاني:الإمام الشافعي وأصول الفقه:

قال شاخت عن الشافعي بأنه: «هو واضع علم أصول الفقه الإسلامي»[٣].

ثم علق قائلا بأنه: «بعث اليقظة في الفكرة الفقهية الإسلامية فأصبحت علمًا، وأنه لا يبرهن عند الحاجة إلى الدلائل، وابتغاء الوصول إلى نتائج عملية فقط، بل يبرهن دائما، ومبدئيا، ويبحث أيضا شروط الاحتجاج التشريعي، وطرقه بوجه عام. وقد خطا بعلم أصول الفقه خطوات هامة اعتمدت على تطور هذا العلم قبل الشافعي. وقد انتهى الشافعي إلى ماانتهى إليه أهل العراق من قبل في تعريف السنة بأنها مصدر التشريع باعتبارها فعل النبي»[٤].

إن الإمام الشافعي كان له دور كبير في علم أصول الفقه، لكن لا ينبغي استخدام عبارة (بعث اليقظة) والتي توحي بأن المسلمين في خدر حتى جاء الإمام الشافعي فأيقظهم! نعم كان له دور كبير لايمكن إغفاله، لكن على بعض المستشرقين العمل على انتقاء العبارات قبل كتابتها، ثم كيف يبعث (اليقظة في الفكرة الفقهية) وهل الفقه منشؤه فكرة كما يظن هذا المستشرق! فالفقه علم قائم بذاته، لم ينشأ من فكرة!بل صدر من حاجة المسلمين لتعلم أمور

---

(١) الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٣٤٢ ــ ٣٤٣).

(٢) حتي: د. فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى،(ص: ١٩٩)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

دينهم ودنياهم. وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من الأدلة التفصيلية، سواء من القرآن أو السنة. وعلم الفقه مرتبط بالأدلة الشرعية، ولا يمكن فصله بفكرة مستقلة.وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يَعْرِض لهم. وكان الوحي يترل عليه من السماء بالقول الفصل،الذي لا يتبدل ولا يتغير. وحين انقطع الوحي،ومات النبي محمد ﷺ كان صحابته قد فقهوا في دينهم. وكان بعضهم مرجعًا مهمًافي كثير من المعضلات التي تحدث في هذه الأمة، وهكذا كان العلماء يتسلم الراية بعضهم من بعض، وينظرون فيما يجد في حياهم من مشاكل على هدي من سبقوهم. ثم يعملون فكرهم بالاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله. حتى بنوا هذا الصرح الشامخ القوي من الدراسات الفقهية التي واكبت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل، حيث تم وضع الدراسات، والأسس، والأحكام، والضوابط، والشروط، لجميع المشاكل الواقعية، وقد أدى اختلاف وجهات النظر وتوسع رقعة البلاد الإسلامية إلى نشأة المذاهب الفقهية، وتعدد مدارس الفقه. وتبع كل مذهب فريق من رجال الفكر على مر العصور يمحصون قول صاحب المذهب، ويستدلون له. وقد يختلفون في بعض المسائل. وقد أثرى هذا الجهد حصيلة الفقه الإسلامي، وملأ جوانبه نقاشًا ودراسة. الأمر الذي أتاح للأمة علاج مشكلاتهاوالإفتاء في جميع النوازل التي وقعت. فالفقه ليس منبعه فكرة كما يظن هذا المستشرق، بل له أصل وجذور.

أما قوله: (وقد خطا بعلم أصول الفقه خطوات هامة، اعتمدت على تطور هذا العلم قبل الشافعي) وهو بذلك يشير إلى المنهج التطوري الذي سبق نقده في كتابات المستشرقين.

أما المستشرق هفننك (Hefeni rg) فقال: «لم يقنع الشافعي بالعمل بالمادة الفقهية الميسورة، بل أخذ في كتابه الرسالة يستقصي أصول الفقه وطرائقه، وهو يعد واضع علم أصول الفقه»(١).

لكن المستشرق كولسون قد امتدح الإمام الشافعي في ميدان أصول الفقه ومناهجه، حيث علق على دوره في مجال أصول الفقه قائلا: «وقد نصبته عظمة الدور الذي قام به في

---

(١) موجز دائرة المعارف،(١٩ / ٦٠٨٠)، مادة الشافعي.

هذا الميدان، وقوة الأفكار التي ابتدعها[١] في سبيل تحقيقه عملاقا لا يطال في تاريخ التشريع الإسلامي. لقد كان هدفه الأسمى وحدة الفقه، وكان منهجه هو إبعاد دواعي الاختلاف بإنامة[٢] نظرية متماسكة تحدد المصادر التي يجب استمداد الأحكام الفقهية منها»[٣].

والصحيح أن الإمام الشافعي لم يبتدع ابتداعا، لكنه اجتهد اجتهادا، ولا يمكنه وضع أحكام لا إسناد لها من الكتاب والسنة،ولكن هذا المستشرق وغيره لم يفرق بين مصطلح البدعة ومعناها في اللغة العربية،[٤] لأن الإمام الشافعي ليس مبتدعا ولا يوصف بذلك.

المطلب الثالث:اتهام الإمام الشافعي بالجهل ببعض الأحاديث:

الإجماع لدى بعض المستشرقين غير واضح، وقد اختلطت صورته، وظنوا أنه يمتلك سلطة تقرير الأحكام الشرعية، وإن لم يعتمد على القرآن والسنة.مما جعلهم يصلون لنتائج خاطئة في فهمه، فقد يتصور بعض المستشرقين أن الإجماع لا يمنع تقدمه على القرآن والسنة، فوقعوا في خلط من ناحية ترتيب الإجماع بين المصادر الشرعية الأخرى، واعتبروه طريقا مستقلا لتقرير الأحكام الشرعية، وهو دليل بشري يستطيع المسلمون من خلاله التغيير والإضافة في الشرع الإسلامي ــ كما يعتقدون ــ كما أن هؤلاء المستشرقين قد رفعوا من قيمة الإجماع، وجعلوه من جذور الإسلام وأساسه.فقد حاول بعض المستشرقين جعل الإجماع أصلا كبيرا من أصول الشريعة الإسلامية، ومرحلة تمثل فكرة تطور الفقه الإسلامي، وأنه يصور العنصر الموفق للانقسامات الظاهرة في التطور الفقهي المذهبي الخاص، كما أنه بالنسبة للإسلام يحتوي على بذور التحرر للحركات الإسلامية الحرة، والتطورات المستطاعة،فهو يقدم ضد ديكتاتورية الجمود وقتل الشخصية[٥].

---

(١) وممن وصف الإمام الشافعي بالابتداع في الدين المستشرق (الفريد غيوم) في مؤلفه الإسلام، من (ص: ٩٦ ــ ٩٨)، وقد قامت الدكتورة: عزية طـه بالرد عليه وتفنيد دعواه.(انظر: عناية الشافعي بتحمل الحديث وأدائه) مقال في مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٢٩٩) ذو القعدة ١٤٠٩هـ ــ يونيو ١٩٨٩م، الصادرة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي من ص: ٣٦ ــ ٤٣).

(٢) أظنها (بإقامة) ولعله خطأمطبعي في الكتاب المنقول منه.

(٣) كولسون: ن.ج، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٢١ ــ ١٢٢).

(٤) سبق أن تناولنا مصطلح البدعة وتعريفها.

(٥) انظر: تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام،(ص: ٥٤).

واعتبر بعض المستشرقين الإجماع عنصرًا من عناصر التقريب بين السنة والبدع المستحدثة.

والإجماع بالنسبة للشافعي ـــ عند بعض المستشرقين ـــ مصدر ثانوي، يعتمد على الكثرة، وليس على الجمع والاتفاق، وهذا خلاف ما عليه الإجماع وشروطه.

قال المستشرق شاخت: «كما عرف الإجماع بأنه الرأي الذي أخذ به كثرة المسلمين، واعتبره مصدرًا ثانويًا لإيضاح المسائل التي لا يمكن تقريرها من الكتاب وسنة النبي، وهو يؤيد حجة الإجماع باعتبارات عامة، وأحاديث تأمر بالتمسك برأي أمة المسلمين، ولم يكن الشافعي يعلم إلى ذلك الوقت بالحديث الذي ذكر كثيرًا فيما بعد، وهو: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) وكان صبغ القانون بالصبغة الإسلامية قد تم بوجه عام قبل مالك، غير أن الشافعي بذل جهدًا عظيمًا في تنظيمه، وللوصول إلى ذلك الغرض انصرف الشافعي ـــ إلى حد ما ـــ عن الطريق المألوف في التفكير الفقهي»[(١)].

أما قوله (ولم يكن الشافعي يعلم إلى ذلك الوقت بالحديث الذي ذكر كثيرًا فيما بعد وهو: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) فهو مردود؛ لأن الشافعي علَم في الفقه والحديث فكيف يجهل مثل هذا الحديث المشهور. والذي رواه الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله لايجمع أمتي ـــ أو قال: أمة محمد ﷺ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار))[(٢)].

أما المستشرق كولسون فيقرر رفض الإمام الشافعي رحمه الله للإجماع، ثم يضع شروطا ومبررات لرد الإمام الشافعي للإجماع، علما أنه لم يفهم معنى الإجماع، ولاشروطه حيث توسع في فهم دائرة الإجماع وحدد انعقاد الإجماع عند الإمام الشافعي رحمه الله من غير تفريق بين الإجماع العام بمعناه الواسع والإجماع الخاص بأصول الفقه ليشمل الإجماع، عنده المسلمين جميعا ومن ضمنهم العوام فيتحدث عن الشافعي قائلا أنه: «بعد أن رفض أية حجية في اتفاق فقهاء مصر من الأمصار ـــ أن الإجماع لا ينعقد صحيحا إلا في حالة واحدة فقط تتمثل في اتفاق أمة المسلمين كافة، سواء الفقهاء والعوام على حكم من الأحكام. ومن

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

(٢) سبق تخريجه.

الواضح أن الشافعي لا يرى مثل هذا الإجماع مصدرًا فقهيا ذا أهمية في الاستنباط الفقهي؛ فمجاله منحصر واقعا فيما لابد لكل مسلم من معرفته، كأداء الصلوات اليومية. وعلى حين يقرر الشافعي نظريًا أن أمة المسلمين لا يمكن اتفاقها أبدا على أمر يعارض القرآن أو السنة، فإنه يعترف كذلك بتوقف انعقاد مثل هذا الإجماع عمليًا بعد انتشار الإسلام خارج حدود المدينة. ويبدو رأيه في مسألة الإجماع سلبيًا إلى حد كبير، كأنما كان القصد من صياغته على هذا النحو هو رفض حجية الإجماع الخاص بمصر من الأمصار، ورفع الخلاف الفقهي الناتج عنه»[(١)].

علما أن الإجماع في نظر الشافعي كما يرى (دونكان بلاك ماكدونالد ١٨٦٣ — ١٩٤٣م) لا يدخل العوام حيث قال: «ولا يدخل في الإجماع اتفاق العوام؛ كما أن رواية صحابي واحد كانت تكفي لأن تأخذ بها الأجيال اللاحقة،وهذا هو رأي الشافعي في أول أمره قبل انتقاله إلى مصر، ولكنه رأي لا يقول به أحد الآن[(٢)]».

أما المستشرق دي لاسي أوليري فقال عن الإجماع عند الشافعي: «قد اتخذ موقفا وسطا بين أبي حنيفة ومالك، مفسرا الإجماع على أنه العرف العام للمسلمين، لافي المدينة وحدها»[(٣)].

وقال المستشرق جوستاف. أ.فون جرونيباوم: «ويروي الشافعي الذي يدين له الإسلام بأول بسط لنظرية الإجماع — أن النبي ﷺ قال: (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله تعالى، ونصيحة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) قال الشافعي رحمه الله تعالى:

(قال) فما معنى أمر النبي ﷺ بلزوم جماعتهم (قلت) لا معنى له إلا واحد (قال) وكيف لا يحتمل إلا واحدا؟ (قلت) إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين وقت وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء

---

(١) كولسون: ن.ج، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٢٨ — ١٢٩).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١/ ٤٣٨)، كتبها مكدونالد،(الدائرة الأولى) .

(٣) أوليري: دي لاسي، أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار،(ص: ٦٨).

والفجار فلم يكن في لزوم الأبدان معنى لأنه لا يمكن إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما. ومن قال بما تقول جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ومن خالف بما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يكون فيها كافة غفلة معنى كتاب الله تعالى ولا سنة ولا قياس إن شاء الله تعالى»[١].

نقول وبالله التوفيق: الإجماع: لا يكون إلا بنص من الكتاب والسنة،ولم يثبت عن الشافعي أنه رد الإجماع المبني على نص شرعي، قال الشيخ محمد أبو زهرة: «الشافعي يقدم خبر الواحد على الإجماع بالرأي أيًا كان سبب الإجماع، إلا إذا تبين أن الإجماع بني على النقل، ورواه جماعة عن جماعة إلى الرسول.وهو ما يسمى خبر العامة، فيقدم حينئذ على خبر الانفراد، ويكون أوثق، وتكون الحجية فيه بالسنة، لا بإجماع أهل المدينة، أو إجماع العلماء جميعا»[٢].

وجاء عن الشافعي في مؤلفه الأم مارواه: «فقد حكمت بالكتاب والسنة، فكيف حكمت بالإجماع. ثم حكمت بالقياس، فأقمتهما مقام كتابٍ أو سنة؟ فقلت: إني وإن حكمت بهما كما أحكم بالكتاب والسنة، فأصل ما أحكم به منها مفترق. قال: أفيجوز أن تكون أصول مفرقة الأسباب يحكم فيها حكما واحدا؟ قلت: نعم، نحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليهما، الذي لا اختلاف فيهما، فنقول لهذا:حَكَمنا بالحق في الظاهر والباطن. ونحكم بسنة قد رويت من طريق الانفراد، لا يجتمع الناس عليها، فنقول: حكمنا بالحق في الظاهر؛لأنه قد يمكن الغلط فيمن روى الحديث.ونحكم بالإجماع، ثم القياس، وهو أضعف من هذا، ولكنها منزلة ضرورة، لأنه لا يحل القياس والخبر موجود»[٣].

---

(١) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، (ص: ١٩٥ ـــ ١٩٦).

(٢) أبو زهرة: محمد، الشافعي (حياته وعصره وآراؤه الفقهية)،(ص: ٢٧٢ ـــ ٢٧٣)،ط٢، مطبعة دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

(٣) الشافعي: الإمام محمد بن إدريس، الأم،(١ / ٢٧٥ ـــ ٢٧٦)، تحقيق وتخريج: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، دار الوفاء للطبع والنشر ـــ المنصورة ١٤٢٢هـــ / ٢٠٠١م.

فالشافعي يجعل حجية الإجماع بعد الكتاب والسنة،وقبل القياس، ولا يكون الإجماع في نظر الشافعي إلا من علماء الأمصار جميعا؛ لذا وقف عند إجماع أهل المدينة، مع أن أهل علماء المدينة لا يخالفون بقية علماء الأمصار إلا إذا كان الاختلاف بينهم. قال الشافعي: «ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتاب الله تعالى ولا سنة ولا قياس»[1].

المطلب الرابع:القياس والاجتهاد عند الإمام الشافعي في نظر بعض المستشرقين:

القياس مصطلح قديم، لكن بعض المستشرقين حاولوا جاهدين إرجاع هذا المصطلح إلى أصول عبرية ويونانية، للتشكيك في أصالة الفقه الإسلامي، وأنه مستمد من القانون الروماني. حيث: «يرى (شاخت) أن مصطلح (القياس) مشتق من المصطلح التأويلي العبري (هيكاش Hiqqish) والذي اشتق هو الآخر من الآرامية (نقش nqsh) ويسهب (شاخت) في أصل هذه الكلمة واشتقاقها، حتى يصل بها إلى إلحاق أمر لم يرد فيه نص بأمر ورد حكمه في أحد النصوص لاشتراكهما في علة الحكم. ويرى أن هذا المصطلح قد عرف في عصر الشافعي والمدرسة العراقية، حيث إنه مشتق من العبرية، خاصة من قواعد (هيليل Hillel) التأويلية التلمودية، وبالتالي فإن أصوله ليست عربية. ويستشهد شاخت بتحليلات (دوب D.Daube) الذي يرى أن قواعد (هيليل التأويلية) قد دخلت برمتها في القانون الروماني؛ الذي تسربت من خلاله ـــ حسب قوله ـــ هذه المصطلحات إلى العربية، والتي استخدمها الشافعي طبقا لما قرره (تيودور أبو قرة) ـــ معاصر الشافعي ـــ من أنه استقى ـــ أي الشافعي ـــ هذه المصطلحات من القانون الروماني بحيث يكون خاتمة البحث أن الفقه الإسلامي استمد العديد من أحكامه من المنطق اليوناني، والقانون الروماني»[2]. قال الدكتور مناع القطان عن الإمام الشافعي أنه: «يمنع الاجتهاد بالرأي إذا لم يكن نص من كتاب أو

---

(١) الشافعي: الإمام محمد بن إدريس، الأم،(١ / ٢٢١).

(٢)Schacht،Origins،op.cit،pp.٩٩-١٠٠

نقلا من: الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٢٧٢)

سنة يقيس عليه، فالقول بغير خبر، ولا قياس على الخبر غير معتبر، وهذا معنى قوله: إذا أمر النبي ﷺ بالاجتهاد لا يكون إلا على طلب شيء، وطلب الشيء لا يكون إلا بالدلائل، والدلائل: هي القياس»(١).

كما أنه من الثابت أن الشافعي على دراية تامة بالقياس، ولكن بعض المستشرقين شكك في ذلك معتبرًا أن القياس عند الشافعي مرادف للاجتهاد؛ لذا قال شاخت: «ويظهر أن القياس عند الشافعي مرادف للاجتهاد»(٢).

ثم برر شاخت استخدام الشافعي للرأي تحت مسمى القياس باعتبار أن مسمى القياس أكثر قبولا عند الناس من الرأي، قال شاخت: «ولم يكن الشافعي واضع طريقة القياس، غير أنه كان له كبير الأثر في تنشئته، والتوسع في تطبيقه، وطريقة القياس هي بالضرورة طريقة الرأي، اصطنعها تحت اسم القياس؛ لأن الناس كانوا أقل نفورا من هذا الاسم. على أنه من الواضح أنه قد حدّ من استعمال هذه الطريقة، ويظهر أن أهل العراق استعملوا القياس للتخلص من الأحاديث الضعيفة، وأحاديث الآحاد. وحاول الشافعي أيضا وضع قواعد معينة لاستعمال القياس، ولكنه قليل التوفيق في ذلك»(٣).

لكن شاخت أظهر اهتمام الشافعي بالقياس في حديثه عن نظرة الشافعي للاستحسان حيث قال: «وقد هاجم الشافعي طريقة الاستحسان في عنف، وقال بصحة القياس وحده، وبهذه الطريقة، صبغ الشافعي علم الأصول بالصبغة الإسلامية في روية وتبصر»(٤).

لكن شاخت اعتبر القياس لدى الإمام الشافعي سببًا للتفكير المنظم، قال شاخت: «وقد بدأ العلماء يستخدمون القياس بالرأي بطريقة غامضة، وبدون توجيه أو منهجية، حتى عصر الشافعي الذي رفض الرأي الشخصي وأصر على التفكير المنظم(٥)والتفكير المنظم هو الذي قاد إلى (القياس) وعندما يعبر هذا التفكير عن الاختيار الشخصي للعلماء فإنه أطلق على هذا

---

(١) القطان:د. مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، (ص: ٣٧٥ ـــ ٣٧٦).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية،(٣ / ٥٠١)، مادة أصول، يوسف شاخت. طبعة دار الشعب.

(٥) Schacht٨،Origins،op.cit،pp.٩ (الحاشية ص: ٢٧١).

الاختيار المستحسن اصطلاح الاستحسان، أو الاستصحاب، وأطلق على التفكير الفردي المنظم مصطلح الاجتهاد، والمجتهد هو الشخص المؤهل الذي يلجأ إلى الاجتهاد.وهذه المصطلحات عرفت كمترادفات على نطاق واسع منذ فترة مبكرة وبقيت كذلك حتى بعد عصر الشافعي. وقد استخدمت المدارس الفقهية القديمة هذه المصطلحات جميعا، دون أن تطلق عليها تلك المسميات»(١).

وخالف المستشرق هفننك (Hefeni ng) شاخت حيث أظهر اهتمام الشافعي بالقياس فقال: «ويختلف الشافعي عن الحنفية في أنه سعى إلى وضع قواعد مقررة للقياس (كتاب الرسالة: القاهرة ١٣٢١هـ، ص:٦٦، ٧٠)على حين لم يكن ثمة ما يجعله يعنى بالاستحسان، ذلك أن الشافعية المتأخرين كانوا هم أول من استحدث هذا المبدأ»(٢).

أما المستشرق كولسون فقال عن القياس عند الإمام الشافعي رحمه الله:

«والمصدر الرابع والأخير عند الشافعي هو (القياس). وكان استخدام العقل الإنساني بمعناه الواسع قد اصطلح على تسميته بالاجتهاد. ويشمل هذا الأخير كثيرًا من جوانب العمل العقلي، ابتداء من تفسير النصوص، إلى النظر في حجية الأحاديث، ومن ثم فإنه أعم من القياس؛ لكونه المنهج الذي تتسع به أحكام القرآن والسنة والإجماع؛ لتشمل المشكلات التي لم تتناولها هذه المصادر صراحة. فدور الاجتهاد بهذا إنما هو ثانوي، وتابع لأحكام الوحي الإلهي، ويجب أن يعتمد القياس على أصل في القرآن أو السنة أو الإجماع، فلا يمكن الوصول به إلى حكم معارض لما ثبت بواحد من هذه المصادر الثلاثة المتقدمة عليه»(٣).

والتحقيق في ذلك كما قال الدكتور فهد الجهني بعد أن عرض مفهوم القياس عند الإمام الشافعي: ولأن ظاهر كلام الشافعي مشكل ـــ خاصة بعد تحرير المصطلحات ـــ كان لابد

---

(١) Schacht،Origins،op.cit،pp.٩٩-١٠٠.
نقلا من: الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)،(٢ / ٢٧١ ـــ ٢٧٢).

(٢) موجز دائرة المعارف،(١٩ / ٦٠٨٠)، مادة الشافعي.

(٣) كولسون: ن.ج، تاريخ التشريع الإسلامي،(ص: ١٢٩ ـــ ١٣٠).

للأصوليين من محاولات لتوجيه تعريف الشافعي للقياس وتسويته بالاجتهاد، والذي تحصل لي من كلامهم توجيهان:

أولا وذكره الماوردي الشافعي[1] وهو ـ: أن الشافعي أراد بهذه العبارة أن كلا من الاجتهاد والقياس يتوصل به إلى حكم غير منصوص، فلأجل هذا الشبه سوى بينهما..

ثانيا: إرادة المبالغة في بيان أهمية القياس وأن القياس أعظم أنواع الاجتهاد[2].

والفصل في هذه المسألة كما ذكرت الأستاذة/ نوف الفرم، فيما تناولته في مسألة: (الفرق بين الاجتهاد والقياس) أنه: قد فهم أن الاجتهاد هو القياس عند الإمام الشافعي، إلا أن الأمر ليس كذلك، وقد فُسر كلام الشافعي: إن لهما معنى واحدًا، من حيث إن نتيجتهما واحدة، وهي أن كل واحد منهما يتوصل به إلى حكم غير منصوص، وإن الشافعي – رحمه الله – أراد المبالغة لأن القياس أهم مباحث الاجتهاد، والإمام الشافعي لم يقل في تعريفه للاجتهاد بأنه قياس، بل إنه استدل في مواطن الاستشهاد على أنواع الاجتهاد بغير القياس، كما أن الإمام الشافعي قد بوَّب في رسالته بباب للاجتهاد وباب للقياس فلو كان يرى أنها بمعنى واحد، لما كان لصنيعه معنى وفائدة، وتفسير الاجتهاد بالقياس، لا يعني التسوية بينهما، لكون القياس من أقوى أنواع الاجتهاد، فناسب أن يطلق عليه من باب إطلاق العام على الخاص؛ لأن الاجتهاد عام، والقياس خاص، وقد أطلق الاجتهاد وأريد به القياس، وليس المراد أن القياس هو عين الاجتهاد.

وقد فرق بعضهم بين القياس والاجتهاد بأن الاجتهاد بذل المجهود في طلب الحق بقياس أو بغيره، أو يقال أيضًا هو طلب الصواب بالأمارات الدالة عليه، أما القياس فهو الجمع بين الأصل والفرع، وبيان ذلك: أن الاجتهاد يدخل فيه حمل المطلق على المقيد، وترتيب العام

---

(١) ابو الحسن: علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي الشافعي، صاحب التصانيف، ت ٤٥٠هـ، من مؤلفاته: الحاوي الكبير، الأحكام السلطانية. (انظر: الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ ـ ١٣٧٤م، سير أعلام النبلاء،(١٨ / ٦٤ ـ ٦٨).

(٢) انظر: الجهني: فهد سعد سعيد، القياس عند الإمام الشافعي (دراسة تأصيلية تطبيقية على كتاب الأم رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول الفقه)،(١/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، أشرف على الرسالة الدكتور: حمزة حسين الفعر الشريف، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الفقه والأصول، شعبة الأصول، عام١٤٢١/ ١٤٢٢هـ.

على الخاص، وجميع طرق الأدلة والاستدلال وليس هذا كله بقياس، فهو شامل للقياس وغيره بخلاف القياس فهو يرتكز على أربعة أركان هي: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم، وقد نص الأصوليون على أن القياس لا يقوم إلا بهذه الأركان الأربعة، كما أن الاجتهاد يقع في مورد النص، والقياس شرطه فقد النص، فالاجتهاد يوجد مع النص، ولا يوجد قياس مع النص، كما أنهما يفترقان من حيث النسبة، إذ إن الاجتهاد أعم من القياس، والقياس أخص. فالنسبة بين القياس والاجتهاد تكون عمومًا وخصوصًا وجهيًا، يجتمعان في إلحاق الفروع بالأصول عن طريق العلة عن نظر واجتهاد، وينفرد الاجتهاد في حمل المطلق على المقيد وترتيب العام على الخاص ونحوه وينفرد القياس في دلالة النص إذ إن إدراك المعنى المراد من دلالة النص بمجرد اللغة، فلا يحتاج إلى جهد.بالتالي فإن الفروع لا تتفرع إلا عن الأصول سواء أكان اجتهادًا أم قياسًا[1].

(١)=http://www.islammessage.com/articles.aspx?cid=١&acid=١٤٠&aid=٦٦٥٧#_ftnref٣٥

المبحث الرابع

موقف بعض المستشرقين من الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ/٢٤١هـ):

المطلب الأول:التعريف به:

هو أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان، ولد سنة ١٦٤هـ في ربيع الأول، وتوفي سنة ٢٤١هـ في ربيع الأول، وهو ابن سبع وسبعين سنة[(١)]، التقى أثناء رحلاته بالإمام الشافعي رحمه الله فأخذ عنه واستفاد منه كثيرًا[(٢)].عاش الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في خلافة الدولة العباسية، وعاصر أكثر خلفائها ابتداء من: (المهدي ت ٢١٩هـ) حتى عهد (المتوكل ت ٢٤٧هـ).

برزت في عصره المناظرات بين المتكلمين والمعتزلة، حيث دعت المعتزلة إلى تجريد الله من الصفات، اعتقادا منهم أن إثبات الصفات تستلزم تعدد القدماء مع الله ﷻ ولم يدركوا أن فصل الصفة عن الموصوف لا يقع إلا في الذهن[(٣)] وبناء على ذلك جعل المعتزلة نفي الصفات أصلا من أصولهم الخمسة وأطلقوا عليه التوحيد، فالله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات، معتبرين صفات الله هي عين ذاته، ليست زائدة عن الذات، ولا مغايرة لها،[(٤)]أما صفة الكلام فقد أجمع المعتزلة على أن كلامه ﷻ مخلوق، قال القاضي عبد الجبار: «إن كلامه لا يجوز إلا أن يكون محدثا»[(٥)].

---

(١) انظر:أبي يعلى:القاضي أبي الحسين محمد، طبقات الحنابلة،(١ / ٤ ـــ ٥)، دار المعرفة ـــ بيروت.

(٢) انظر: أبو زهرة، ابن حنبل (حياته وعصره آراؤه الفقهية)،(ص: ٢٣ ـــ ٢٤)، الناشر ـــ دار الفكر العربي ـــ المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة.

(٣) انظر: الهمذاني: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل،(ص: ١٠٩ ـــ ١١٩)، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، وحققه وعلق عليه: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ـــ الإسكندرية ١٩٨٥م.

(٤) انظر: الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل،(١ / ٦٤).

(٥) عبد الجبار: القاضي أبي الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه: إبراهيم الأبياري، إشراف: طه حسين،(٧ / ٨٤)، ط١، مطبعة دار الكتب ـــ الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر المكتبة العربية للطباعة والنشر ـــ القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦١م.

وقد عاصر الإمام أحمد هذا الفكر الاعتزالي، وقاوم بدعة الاعتزال، ومسألة خلق القرآن، واشتهر عن الإمام أحمد بن حنبل الدفاع عن القرآن وتعرض للاضطهاد والتعذيب فأصبحت قصته مشهورة في كتب التاريخ: تحت مسمى:(محنة الإمام أحمد بن حنبل).

المطلب الثاني: كلام الله عند بعض المستشرقين:

كتب المستشرق (ولتر ملفيل باتون)[(١)] عن عقيدة الإمام أحمد بن حنبل في مؤلفه (محنة الإمام أحمد)؛ الذي نال إعجاب المستشرق جولد تسيهر فقال عنه: «وقد صور عام ١٨٩٧م عالم أمريكي، وهو وولتر باتون (Walter M.Paton) في مؤلف قيم، سير هذه الحركة التفتيشية العقلية فيما يختص بأحد ضحاياها الشهيرين، واضعا في دراسة معتمدة على الوثائق القيمة الاضطهادات التي قاساها الرجل الذي صار اسمه شعار الارتباط، أو التعليق القوي بالإيمان الإسلامي الشديد،وهو الإمام أحمد بن حنبل»[(٢)].

كتب المستشرق (ولتر ملفيل باتون) في مؤلفه (محنة الإمام أحمد) عن موضوع (كلام الله)

قال المستشرق جولد تسيهر: «وفكرة كلام الله كونت موضوعا من الموضوعات الهامة جدا في الجدل العقدي»[(٣)].

فمن بين جملة الأخطاء التي اتهم فيها المستشرق (وولتر باتون) الإمام أحمد مايلي:

قال ولتر ملفيل باتون: «ولنبدأ بمذهب أحمد في القرآن: فقد أقر فيه بأنه كلام الله، وقصد بذلك أنه التعبير عن علم الله، وأنه باعتباره تعبيرا يجب أن نتصور أنه قائم بصفة أزلية في الذات الإلهية، أو إذا كان علينا أن نعيد صوغ هذه الفكرة فلنا أن نقول إنه مادام هناك

---

(١) ولتر باتون، من آثاره: دراسة المسند في الحديث لمالك برواية ابنه (ليدن ١٨٩٧) وأحمد بن حنبل والمحنة، وهي رسالة في الدكتوراه من هايدلبرج (ليدن ١٨٩٧) (انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣/ ٩٩٦)، ط٣، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٥م).

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة، (ص: ١٠٣).

(٣) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة، (ص: ١٠١).

من أمر موضوعي بالنسبة لذاته تعالى، قام كلامه تعالى معبرا عن علمه، وقبل أن يظهر الموضوعي في عالم الوجود، فكلام الله تعالى قائم بذاته وليس كلاما واقعا))(١).

نقد النص: من صفات الله تعالى(صفة الكلام) فالله متكلم، ويتكلم إذا شاء وكيف شاء، وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد،ومعنى حادث الآحاد أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.فهناك فرق بين نوع الكلام، وبين الكلمة المعينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: و" كلام الله غير مخلوق عند سلف الأمة وأئمتها، وهو أيضاً يتكلم بمشيئته وقدرته عندهم لم يزل متكلماً إذا شاء فهو قديم النوع، وأما نفس النداء الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ سورة طه ، آية ١١، وكذلك نظائره، فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة. (٢) "

ومسألة الكلام من أقدم ما تكلم به المبتدعة، فأنكروا أن يكون الله تعالى متكلما؛ فعند ذلك جادلهم أهل السنة، وبينوا لهم أن الله تعالى متكلم؛ وأن الكلام صفة كمال، لا صفة نقص.حيث خيل إليهم أن الكلام إنما يصدر من الجسم، اللسان، والشفتين، والحنجرة، واللهوات، كما يحصل في المخلوق، وظنوا أنهم إذا أثبتوا لله ذلك لزم أن يكون الله شبيها بالمخلوقين؛ فعند ذلك عاندوا، ونفوا، أن يكون الله تعالى متكلما، ونفوا وأنكروا أن الله تعالى كلم موسى.

وكان من أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم(٣)؛ فإنه أعلن أن الله لم يكلم موسى، وأصر على ذلك. وقتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد النحر، وجعله كأضحية؛ فلما صلى العيد يوم الأضحى، قال في آخر خطبته:

---

(١) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٤٨)، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، راجع الترجمة: محمود محمود، دار الهلال، نسخة مترجمة عن طبعة ليدن ١٨٩٧م.

(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ٥٧٧/١٢.

(٣) الجعد بن درهم: قال عنه ابن حجر:" عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما." العسقلاني: ابن حجر، لسان الميزان،(٢ / ١٠٥)، ط٢، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـــ لبنان ١٣٩٠هـــ ـــ ١٩٧١م.

«انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم، فإنه يقول: ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ إبراهيم خليلا ـــ تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل وذبحه»[١].

ثم اشتهر ذلك أيضا عن بشر المريسي، وبالغ في إنكار أن يكون القرآن كلام الله، وادعى أنه مخلوق، وأنه ليس كلام الله، وأخذه عنه ابن أبي دؤاد، وزين للخليفة المأمون أن يلزم الناس بهذا الاعتقاد، وظن أن من اعتقده؛ فإنه هو الذي على السنة، وأن من ادعى أن القرآن كلام الله فإنه مشبه ومبتدع.

روى ابن الأثير: إن أبا عبد الله أحمد بن دؤاد، كان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة، وأخذ ذلك عن بشر المريسي، وأخذه بشر عن الجهم ابن صفوان، وأخذه جهم عن الجعد بن درهم، وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه، وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وكان لبيد يقول بخلق التوراة، وأول من صنف في ذلك طالوت، وكان زنديقا فأفشى الزندقة[٢].

من خلال هذا النص نجد أن فكرة خلق القرآن بدأت من جذور يهودية؛ لذا سعى المبتدعة لنفي صفة الكلام عن الله، وصولا للقول بأن القرآن الكريم مخلوق؛ ومن ثم يسهل التشكيك في القرآن لإثبات بشريته، لذا حاول بعض المستشرقين ومن تابعهم إظهار مثل هذه البدعة؛ ليسهل لهم الطعن في القرآن الكريم.

وخالف أهل السنة المبتدعة: فأثبتوا أن الله متكلم؛ ونفوا ضد ذلك، وبينوا أن الكلام صفة كمال؛ لا صفة نقص. فالله متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه؛ سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة؛ وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله؛ وأنه

---

(١) ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، أحداث سنة ١٢٥، (٤ / ٤٦٦)، راجعه وصححه:الدكتور محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢) انظر: ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، أحداث سنة ٢٤٠،(٦ / ١٢١)، راجعه وصححه:الدكتور محمد يوسف الدقاق.

سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ النساء: ١٦٤.

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ الأعراف: ١٤٤، وقال سبحانه: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾البقرة: ٢٥٣.

وقد تبع المأمون الفكر الاعتزالي وأصر على القول بخلق القرآن، ونشرهذا المذهب بين الناس بعد أن غلب المعتزلة عليه فكرا وسياسة، علما أن المعتزلة وغيرهم من أهل البدع - معترفون بأن اعتقادهم في الصفات لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دلهم عليه،[1] وقد فند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله هذا الاعتقاد الباطل بعد مناقشات عدة في المحنة التي تعرض لها في قضية خلق القرآن مثبتا أن القرآن الكريم كلام الله تعالى[2].

وقد اعترف المستشرق (ولتر ملفيل باتون) بأن الإمام أحمد (أقر بأن القرآن كلام الله) وأخطأ في توضيح قصد الإمام أحمد من القرآن بتوضيح غير صحيح بقوله:(التعبير عن علم الله) فالإمام أحمد لا ينكر أن الله تكلم بالقرآن حقيقة بناء على الأصل؛ وهو أن جميع صفات الله حقيقية، وإذا كان كلام الله حقيقة؛ فلا يمكن أن يكون مخلوقًا؛ لأنه صفته، وصفة الخالق غير مخلوقة؛ كما أن صفة المخلوق مخلوقة.

فلا يمكن أن يؤول كلام الله بأنه التعبير عن علم الله!؟

---

(١) انظر:الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ١٣٧ ــ ١٣٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٢) انظر:الحرقان: نورة حمد، الأسماء والصفات عند متأخري الحنابلة في القرنين الخامس والسادس الهجريين في ضوء الكتاب والسنة (بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من قسم العقيدة ــ قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض)،(ص: ٥٨ ــ ٧٢)، بعنوان: محنة الإمام أحمد بن حنبل، إشراف:أ.د: محمد أبو الغيط الفرت ١٤١٧هـ.

والقرآن في نظر أهل السنة والجماعة كلام الله على الحقيقة،كما قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»(١).

المطلب الثالث:اتهام الإمام أحمد بالتأويل المجازي في القرآن الكريم:

قال المستشرق (ولتر ملفيل باتون): «توجد أمثلة قليلة عمد فيها أحمد إلى التأويل المجازي، بيد أنها من الندرة يمكن القول بأن منحاه العام في التفسير قد قيده في معالجة الآيات. التي قد يبدو للبعض أن معانيها مصروفة إلى الاستعارة والمجاز، ومما حدد لأحمد تطبيق منهجه الظاهري الحرفي، أو اتباع منهج آخر في تفسير مثل هذه الآيات، مما اشتمل عليه القرآن ذاته من الإشارات، فضلا عما اقتضته الضرورة العملية (من الالتجاء إلى التأويل المجازي)، بيد أنه في كافة الحالات التي اضطر فيها إلى طرح المنهج الظاهري الحرفي، ارتضى أحمد التأويلات المتواترة التي تناقلها رواة الحديث النبوي»(٢).

نقد النص:

أما قول المستشرق: «توجد أمثلة قليلة عمد فيها أحمد إلى التأويل المجازي... ارتضى أحمد التأويلات المتواترة التي تناقلها رواة الحديث النبوي»(٣).

فأظن أنه قصد بذلك بعض الألفاظ المنقولة عن الإمام أحمد رحمه الله مما جعلها بعض المتأخرين من الحنابلة، وغيرهم ـــ عمدتهم في التأويل.

بدليل قوله: «وإن تأويل أحمد للأحاديث قد نزع به أيضا إلى أشد وجهات النظر تصلبا واستمساكا،..»(٤).

والمروي عن الإمام أحمد في قضية التأويل لا يتعدى إحدى روايتين:

---

(١) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ١٢٧)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٢) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، (ص: ٢٥٥).

(٣) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، (ص: ٢٥٥).

(٤) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، (ص: ٢٥٨).

الرواية الأولى: بعض الألفاظ المنقولة عن الإمام أحمد، وهي كما قال الغزالي[١]: «سمعت بعض أصحابه ــ يعني أصحاب الإمام أحمد ــ يقول: إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ: قوله ﷺ: الحجر الأسود يمين الله في أرضه»[٢].

وقوله ﷺ: «قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»[٣]. ،وقوله ﷺ إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» [٤].

والرواية الأخرى: ما نقله حنبل في المحنة عن الإمام أحمد، يقول: «احتجوا علي يوم المناظرة، فقالوا تجيء يوم القيامة سورة البقرة، وتجيء سورة تبارك، قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله جل ذكره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ الفجر: ٢٢ ، وإنما تأتي قدرته، القرآن أمثال ومواعظ وكذا وكذا»[٥].

الجواب عن الرواية الأولى: وهي ما نقل عن الغزالي والرازي:

أولا: عدم صحة النقل في ذلك، لما ذكره الشيخ ابن تيمية رحمه الله بقوله: «فهذه الحكاية كذب على أحمد، لم ينقلها أحد عنه بإسناده، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه»[٦].

فهذه الألفاظ إما أنه قد أخطأ ناقلوها أو أساؤوا فهمها. ونسبوا ذلك للإمام أحمد.

---

(١) الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين،(١/ ١٠٣ ــ ١٠٤)، دار المعرفة ــ بيروت، لبنان.(بدون تاريخ)، وانظر: الرازي:فخر الدين، أساس التقديس،(ص: ٩٣)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ط١، دار الجيل ــ بيروت، ١٤١٣هــ / ١٩٩٣م.

(٢) رواه الحاكم مرفوعا في مستدركه،(١/ ٤٥٧)، وصححه وتعقبه الذهبي، بأن في إسناده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف، والصحيح وقفه على ابن عباس. انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٦/ ٣٩٧)، وكشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني،(ص: ٤١٧ ــ ٤١٨)، برقم (١١٠٩) تصحيح: أحمد القلاش، نشر مكتبة التراث الإسلامي ــ مطبعة الفنون ــ حلب، وحكم الألباني بنكارته في الضعيفة ح(٢٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر ــ باب تصريف الله تعالى القلوب ،(٤/ ٢٠٤٥)، ح (٢٦٥٤).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند،(١٦ / ٥٧٦-٥٧٧)، ح(١٠٩٨٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة ح(١٠٩٧)

(٥) السعدي: محمد بن محمد أبي بكر، الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل،(ص: ٥٨)، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، مطبعة هجر ــ مصر ١٤٠٧هــ ــ ١٩٨٧م.

(٦) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٥ / ٣٩٨).

ثانيا: أن هذه الأحاديث التي ذكرها الغزالي ليس فيها ما يوجب التأويل، ولا صرف الألفاظ عن ظاهرها، بل دلالتها واضحة وبينة عند من يتدبرها.

أما حديث الحجر الأسود فجوابه من وجهين:(١)

الوجه الأول: أنه مروي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت، والمشهور هو عن ابن عباس.

الوجه الثاني: أن من تدبر اللفظ المنقول، تبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبره، فإنه قال: (يمين الله في الأرض) فقيده بقوله:(في الأرض)، ولم يطلق، فيقول: يمين الله. وحكم اللفظ المقيد يخالف اللفظ المطلق. وقوله: (فمن صافحه وقبله، فكأنما صافح الله وقبل يمينه) هذا تشبيه ومعلوم أن المشبه غير المشبه به، فهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلا، ولكنه شبهه بمن يصافح الله، فأول الحديث يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى.

وأما حديث:(قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن.)

فقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه، ولا في قول القائل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه. وإذا قيل: (السحاب المسخر بين السماء والأرض) لم يقتض أن يكون مماسا للسماء والأرض،ونظائر هذا كثيرة»(٢).

وأما حديث: (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) فجوابه من وجهين(٣):

الوجه الأول:

أن المقصود بنفس الرحمن في الحديث: الفرج والنصرة، وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوبا، وألين أفئدة؛ الإيمان يماني، والحكمة يمانية»(٤).

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٦ / ٣٩٧ ــ ٣٩٨).

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، الرسالة التدمرية، (٣ / ٤٥).

(٣) انظر:ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٦/ ٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري - مع الفتح - كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن،(ج٨/ ٩٨، ح(٤٣٨٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان،(ج١/٧١ح(٥٢) .

وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّس الرحمن عن عباده المؤمنين الكربات، ومن خصص ذلك بأويس فقد أبعد.

الوجه الثاني:

قوله في الحديث: (من اليمن) يبين مقصود الحديث، فإنه ليس لليمين اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك.

الجواب عن رواية حنبل.

اختلف الناس في هذا النقل عن الإمام أحمد على أقوال(1).

أولا: منهم من قال: غلط حنبل، لم يقل أحد هذا.وقالوا:حنبل له غلطات معروفة، وهذا منها. وهذه طريقة أبي اسحاق ابن شاقلا.

ثانيا: ومنهم من قال: بل أحمد قال ذلك على سبيل الإلزام لهم. بقوله: إذا كان أخبر عن نفسه بالمجيء والإتيان، و لم يكن ذلك دليلا على أنه مخلوق؛ بل تأولتم ذلك على أنه جاء أمره، فكذلك قولوا: جاء ثواب القرآن، لا أنه نفس الجائي، فإن التأويل هذا إلزام، فإن المراد هنا الإخبار بثواب قارئ القرآن، وثوابه عمل له، لم يقصد به الإخبار عن نفس القرآن. فإذا كان الرب قد أخبر بمجيء نفسه، ثم تأولتم ذلك بأمره، فإذا أخبر بمجيء قراءة القرآن فلا تتأولوا ذلك بمجيء ثوابه بطريق الأولى والأحرى. وإذا قاله على سبيل الإلزام لم يلزم أن يكون موافقا لهم عليه، وهو لا يحتاج إلى أن يلتزم هذا.

ثالثا: رد ابن تيمية على ابن عقيل وابن الجوزي حينما جعلوا هذه الرواية عمدتهم في التأويل بقوله: «ولا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يناقض هذه الرواية، ويبين أنه لا يقول: إن الرب يجيء ويأتي وينزل أمره، بل هو ينكر على من يقول ذلك»(2).

رابعا: هذه الرواية لم ينقلها غير حنبل ممن نقل مناظرة الإمام أحمد في المحنة كعبد الله بن أحمد، وصالح بن أحمد، والمروذي وغيره. فاختلف أصحاب أحمد في ذلك.ثم قال شيخ الإسلام: «والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها،

(١) انظر:ابن تيمية، الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٥ / ٣٩٩ ـــ ٤٠٠).

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٦ / ٤٠١).

ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث: أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة»[١].

والمستشرق (ولتر ملفيل باتون) بقوله: (ومما حدد لأحمد تطبيق منهجه الظاهري الحرفي) فهل الإمام أحمد متمسك فقط بظاهر النصوص، و لم يفهمها؟!

والحق أنه قد أمرنا الله تعالى بتدبر كتابه، وأخبرنا بأنه ميسر للذكر، وأنه بلسان عربي، فدل ذلك على أن تلك الآيات في الصفات لا بد وأن لها معنى يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وما قيل عن القرآن يقال عن السنة.وعلى هذا الأساس قام منهج السلف في صفات الله تعالى، حيث اجتمع أمرهم على الإيمان بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ بإثبات الصفة ومعناها، لكنهم توقفوا في تفسير الكيفية، وفوضوا أمرها إلى الله تعالى، والذي دعاهم إلى ذلك كمال فهمهم وعقولهم: حيث إن تفسير الكيفية يتوقف على معرفة حقيقة وكيفية الذات، فإذا كانت الذات مجهولة الكيف والحقيقة، فالجهل بصفات تلك الذات من باب أولى، ومن هنا قالوا: القول في الذات كالقول في الصفات.فمذهب السلف ليس تفويض المعنى، والصحيح أن السلف يفوضون الكيفية لا المعنى.

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن إدخال أسماء الله وصفاته، أو بعض ذلك في المتشابه، الذي لا يعلم تأويله إلا الله، لم يقل به سلف الأمة، ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره، و لم يجعلوا أسماءه سبحانه ولاصفاته بمترلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، إنما قالوا: كلمات لها معان صحيحة، ونهوا عن تأويلات الجهمية،[٢] وكما أن الله علَّم عباده تأويل الأحاديث التي يرونها في المنام، فلأن يعلمهم تأويل الكلام العربي الذي يترله على أنبيائه بطريق الأولى والأحرى[٣].

والإمام أحمد رحمه الله لم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه إلا الله، إنما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾آل عمران: ٧.

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٦ / ٤٠٩).

(٢) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٣ / ٢٩٤ ـــ ٢٩٥).

(٣) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٧ / ٤٠٢ ـــ ٤٠٣).

وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين، فلم ينف علمهم معناه وتفسيره، والله أمر بتدبر آياته، وهذا شامل للآيات المحكمة والمتشابهة فما لا يعقل له معنى لا يتدبر، ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره.والله ورسوله نهى عن اتباع المتشابه لابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن من تدبر المحكم والمتشابه كما أمر الله، وطلب فهمه ومعناه لم يذمه الله[(١)].

وذكر الطحاوي: أن قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧ ، يراد بالمتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله. وقراءة من لا يقف عند (إلا الله) يراد بالمتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وتأويله. ولا يريد من وقف على قوله (إلا الله) أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى، فإن لازم هذا أن يكون الله أنزل على رسوله كلامًا لا يعلم معناه جميع الأمة ولا الرسول، ويكون الراسخون في العلم لا حظ لهم في معرفة معناها سوى قولهم: آمنا به كل من عند ربنا.وهذا القدر يقول به غير الراسخ في العلم من المؤمنين، والراسخون في العلم يجب امتيازهم عن عوام المؤمنين في ذلك[(٢)].

فالسلف الصالح يعملون بالمحكم ويؤمنون بالمتشابه، ويوكلون مااشتبه عليهم إلى الخالق ﷻ بعد إيمانهم به، وفهم معناه، ولم يحاولوا معرفة إدراك الكيف والكنه، قال محمد بن الحسن ــ صاحب أبي حنيفة ــ:

«اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير، ولا وصف، ولا تشبيه. فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق جماعته، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا. فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة»[(٣)].

مما سبق يتبين أن الإمام أحمد رحمه الله لا يأخذ فقط بظواهر النصوص دون فهم لمعانيها.

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٣ / ٢٧٥).

(٢) انظر: الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية،(ص: ١٨٤)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(٤ / ٤ ــ ٥)(مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين).

كما أن الإمام أحمد دافع عن القرآن الكريم دفاعا مستميتا مما جعل بعض المستشرقين يصفه بأنه متكلم من خلال موقفه من المعتزلة لدحض الشبهات وبيان الحق.

فالمستشرق(الفردبل) وصف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال:

«وابن حنبل متكلم بقدر ماهو فقيه، ومخلص لسنة الرسول، وكان خصما عنيدا للمعتزلة، هاجمهم بقلمه ولسانه، واضطهده الخليفة المأمون، والخليفة المعتصم بالله، وكان من أنصار المعتزلة لكن المتوكل المتوفي سنة ٨٦١م، رد إليه اعتباره ومكانته وكانت آراء المتوكل ضد آراء المعتزلة،...وابن حنبل يبدو النموذج الأكمل للمسلم الذي يسعى للاقتداء بسيرة الرسول والصحابة،والوهابية اليوم في البلاد العربية السعودية يتبعون مبادئه»[(١)].

لقد اعترف هذا المستشرق بمكانة الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنه ليس من حق هذا المستشرق وصف الإمام أحمد بالمتكلم، فقد قال الإمام أحمد عن نفسه:

«لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ماكان في كتاب الله، أو في حديث عن رسول الله ﷺ فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود»[(٢)].

والحنابلة ليسوا محصورين في المملكة العربية السعودية فقط، ففي البلاد الإسلامية الأخرى يعيش كثير من الناس ممن جعل الحنبلية له مذهبا، وهذه محاولة لتقليص جهود الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه، وتأييد لما تناقله بعض المستشرقين بينهم فقد قال المستشرق (دي لاسي أوليري):

«والإمام الرابع: هو أحمد بن حنبل،المتوفي سنة ٢٤١هـ وكانت له مكانة عظمى بين أهل السنة، خصوصا في بغداد. أما الآن فليس له أتباع إلا في الأجزاء القاصية من الجزيرة العربية فقط»[(٣)].

---

(١) بل: الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم،(ص: ١٣٠)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان ١٩٨١م.

(٢) السيوطي: جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، (ص: ٦٧)، تعليق الدكتور: علي سامي النشار.

(٣) أوليري: دي لاسي،الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار، (ص: ٦٩)

أقول لهذا المستشرق وغيره: هل بنيتم حكمكم على مناطق تواجد الحنابلة وفق دراسة علمية ميدانية؟! أم هو مجرد إطلاق الحكم جزافا؟!

إن كنتم قد اعتمدتم على كتب التاريخ القديمة التي لم تشر إلى كثرة الحنابلة أو تقلص من تواجدهم؛ فذلك لأسباب: قد تكون مبنية على أن المذهب الحنبلي هو آخر المذاهب السنية من حيث الظهور والانتشار، فظهر المذهب الحنبلي في وقت والناس قد تمذهبوا بالمذاهب السابقة، مما صعّب عليه الانتشار بينهم، خاصة أن علماء الحنابلة وأعيانهم ابتعدوا عن العمل السياسي المباشر مما ساعد على تقليص نفوذه. إضافة إلى أن المذهب الحنبلي وجد في طريقه ضغوطات وعراقيل كثيرة منعت وحدت من اشتهاره؛ ولكنه مع ذلك لا يمكن حصره في السعودية فقط.

المطلب الرابع: أمثلة لعبارات الطعن في المذهب الحنبلي:

وصف المستشرق لاووست المذهب الحنبلي بالشغب، والتعصب، والإسراف في الحرفية،[١] كما وصفه جولد تسيهر بأنه مذهب غير متسامح،[٢] كذلك وصف الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا السابق بالرباط المذهب الحنبلي بالمذهب المتشدد المتمسك بالمعايير التقليدية والنصوص حرفيا، وذلك في صيغته التي تعرفها الوهابية أو السعودية اليوم[٣].

والمستشرق ماسينون وصف الحنابلة بالحشوية،[٤] أما المستشرق فيليب حتي فقد وصف الإمام أحمد بن حنبل بأنه من دعاة التمسك الصارم بحرفية الحديث، كذلك وصفه بالتزمت الشديد؛ مما جعله العدو الأول لجماعة المعتزلة[٥].

وقال لاووست عن المذهب الحنبلي: «وقد أصبح الرأي المستقر هو أن مذهب ابن حنبل فيه قول بوجود الله، مع المغالاة العنيفة بالاستمساك بالتشبيه، وفيه سلفية ممعنة في المذهبية إلى

---

(١) انظر: دائرة المعارف،(٢ / ٣٧٦)، طبعة الشعب، مادة أحمد بن حنبل.

(٢) انظر: تسيهر: أجناس جولد،العقيدة والشريعة،(ص: ٥٢).

(٣) انظر: هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل،ص: ١٨٣، ط ٤، مكتبة العبيكان ــ الرياض ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م

(٤) انظر: دائر المعارف الإسلامية،(٩ / ٣٣١)، التصوف ماسينون.

(٥) انظر: حتي: د. فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى،(ص: ١٩٩ ــ ٢٠٠)، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة.

حد لا يمكن أن يتيح لها البقاء، وروح من التعصب مشتعل بالهياج العصبي، وافتقار أصيل إلى التواؤم الاجتماعي، وضرب من العجز المقيم لتقبل النظام المقر»[١].

نقد النص:

استفاد بعض المستشرقين من عبارات السب عند المبتدعة والمخالفين الذين اتهموا الإمام أحمد وأتباعه بالمشبهة والحشوية، وغير ذلك، وصبوها في قالب استشراقي، مضيفين إليها ماولغته أحقادهم الدفينه ضد الإمام أحمد وأتباعه في مؤلفاتهم الاستشراقية.

وما سطره المستشرق لاووست عن مذهب الإمام أحمد بأنه فيه:(مغالاة عنيفة بالاستمساك بالتشبيه)فإنه لم يفهم هذا المستشرق وأمثاله أن منهج السلف الصالح فهم معاني الصفات، وتفويض علم الكنه والكيفية.

فالسلف لم يجعلوا العقل وحده هو الحاكم؛ لأن العقل يحيل الصفة إلى التشبيه لأن إدراكه محدود مقصور على العلم بالمشاهدات؛ لذا كف السلف عن الخوض في الأمور العقلية مما لم يأمر به الله ورسوله، وفرق بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين.

أما قول المستشرق لاووست عن الإمام أحمد: «وفيه سلفية ممعنة في المذهبية إلى حد لا يمكن أن يتيح لها البقاء»[٢].

فقد وصف هذا المستشرق طريقة الإمام أحمد بأن فيها سلفية ممعنة في المذهبية، والطريقة السلفية هي اتباع طريقة الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وهذا المنهج باق إلى يوم القيامة، فمن نهج منهج السلف والتابعين واقتفى أثرهم فهو سلفي. وهذا يعتبر مدحا للإمام أحمد أكثر مما هو ذم؛ خاصة أنه وصف بمنهج السلف الصالح لقول الرسول ﷺ: ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..))[٣].

فالطريقة السلفية هي اتباع منهج السلف الصالح أصحاب القرون الأولى، فكيف لايمكن لطريقة الإمام أحمد بن حنبل البقاء، وهو سلفي المنهج كما وصفه هذا المستشرق؟!

(١) دائرة المعارف،(٢ / ٣٧٦)، طبعة الشعب، مادة أحمد بن حنبل.

(٢) دائرة المعارف،(٢ / ٣٧٦)، طبعة الشعب، مادة أحمد بن حنبل.

(٣) سبق تخريجه.

وهذه الاتهامات الصادرة من بعض المستشرقين تنم عن حقدهم الدفين للإمام أحمد وأتباعه، بحكم أنهم متبعون للكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة.

ومما يميز الحنابلة التشدد في إنكار البدع؛ لذا وصفهم بعض المستشرقين وغيرهم بالمتشددين، فهل يعتبر إنكار البدع والتشدد في بعض الأحكام الفقهية الاجتهادية عيبا، مادام التشدد في الأحكام لم يخرج عن أدلة الكتاب والسنة؟! خاصة أن الإمام أحمد لم يتبن اجتهادات مخالفة للكتاب والسنة، كما أنه لم يلزم الناس بأي شيء من ذلك.

وكيف يصف بعض المستشرقين الإمام أحمد بالتشدد، والمستشرق (لاووست) اعترف بسماحة المذهب الحنبلي في معرض حديثه عن القاعدة الحنبلية عند ابن تيمية حيث وصفها:(بالسماحة الواسعة)، فقد جاء عند ذكر القاعدة الحنبلية التي عبر عنها ابن تيمية بقوله: «توقيف في العبادات، وعفو في المعاملات أي: الصرامة المسرفة في تطبيق العبادات، والسماحة الواسعة في جميع مسائل المعاملات»[1].

أما قول المستشرق (لاووست) في وصفه الإمام أحمد بأن فيه: «روح من التعصب مشتعل بالهياج العصبي، وافتقار أصيل إلى التواؤم الاجتماعي، وضرب من العجز المقيم لتقبل النظام المقرر»[2].

فكيف لايمكن ذلك والإمام أحمد عاش في فترة بدعة القول بخلق القرآن؟

وهل يمكن لهذا الشيخ الجليل السكوت على مثل هذه البدعة؟

لذا لم يجد بدًّا من الذب عن الدين، وأراد بذلك أن يعرف الناس الحق من الباطل، فناظر المعتزلة ضرورة وليس اختيارا، فأثبت الله الحق معه ومن تابعه نصرا مؤزرا إلى يوم الدين.

وكون الإمام أحمد اشتعلت فيه روح الحمية للدفاع عن الدين فلا يعني ذلك أنه مقر لمثل هذا العلم من المناظرات الدينية، إلا حسب الحاجة، ولدفع بدعة عمت وانتشرت في عصره.

قال الآجري في معرض حديثه عن ذم الجدل والخصومات:

«والاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل رحمه الله ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعوهم إلى

---

(١) دائرة المعارف،(٢ / ٣٨١)، طبعة الشعب، مادة أحمد بن حنبل.

(٢) دائرة المعارف،(٢ / ٣٧٦)، طبعة الشعب، مادة أحمد بن حنبل.

مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بُدًّا من الذب عن الدين، وأراد بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظرهم ضرورة لا اختيارا، فأثبت الله ﷻ الحق مع أحمد بن حنبل ومن تابعه إلى يوم القيامة»[١].

المطلب الخامس: وصف الإمام أحمد بالمشبه والمجسم:

ومن أمثلة طعن المستشرقين في مذهب الإمام أحمد ووصفه بالمشبه والمجسم ما ذكره المستشرق (ولتر باتون) في ملاحظاته الختامية:أن الأب (لامنس)..ذكر أن كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل لم يدرج مع الكتب الستة بسبب ما يشتمل عليه من أحاديث التشبيه[٢].

وأيضا مما كتبه المستشرق ولتر باتون تحت عنوان (صفات التجسيم والتشبيه) قال: «ومن الواضح أن هذا الاعتقاد نفسه، كان أصلا من أصول القاعدة التي انبنى عليها إيمان أحمد بن حنبل بصفات التشبيه (فيما يبدو للمؤلف) وهي الصفات التي وصفت بها الذات الإلهية في القرآن، ولما حيرته احتجاجات خصومه الفلسفية، أقر بعجز عقله غير المدرب على الرد على هذه الاعتراضات الفلسفية، وذلك على الرغم من أنه استند على قياس الكمال الإلهي بالكمال البشري، وقد استمسك بهذا القياس استمساكا شديدا، على اعتبار أنه دعامة واضحة لا يتطرق لها الشك والغموض، تشرح ما جاء في القرآن من آيات التشبيه والتجسيم»[٣].

نقد النص:

إن السلف الصالح آمنوا بالصفات الإلهية دون تحريف، أو تشبيه، ودون تفريق بين الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، ولا يقاس الله بخلقه. فالواجب تنزيه الله عن أن يشبه صفاته شيئ من صفات المخلوقين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

(١) الآجري: أبي بكر محمد بن الحسين، الشريعة،(ص: ٦٢)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٢) انظر: باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٥٧).

(٣) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٥٢ ــ ٢٥٣).

شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١، والإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ١٤٠، مع قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية[١].

وإثبات صفات الله لا يعتبر من باب التشبيه ـــ كما يعتقد هذا المستشرق ـــ وكون الإمام أحمد رحمه الله يستخدم قياس الأولى، فهذا النوع هو القياس الوحيد من الأقيسة للرد على المخالفين، مثال ذلك: صفة العلم كما جاء في كتاب الطحاوي: «أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها. ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية – لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها، ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً، كماقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾النحل: ٦٠»[٢].

وفي هذا النص دليل على جواز إثبات قياس الأولى في باب الأسماء والصفات وفق ما أثبته أهل السنة والجماعة، واستعملوه في الاستدلال لما ثبت بالكتاب والسنة من جهة العقل، علما أنه لا يقوى على إثبات أمر لم يدل عليه الكتاب أو السنة، كما أنه لا يقوى على نفي ما لم يدل الكتاب أو السنة على نفيه. وبهذا يتبين لنا أن القياس في باب الأسماء والصفات ثلاثة أنواع: نوعان ممنوعان، ونوع جائز، النوعان الممنوعان هما: قياس التمثيل، وقياس الشمول. والنوع الجائز هو قياس الأولى.

المطلب السادس:تكفير شارب الخمر:

ومن التهم التي وجهت للإمام أحمد قول المستشرق لاووست أن الإمام أحمد رحمه الله قال بتكفير شارب الخمر[٣]؟!.

---

(١) انظر: الشنقيطي: محمد الأمين، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، (ص: ٣ ـــ ٢٦).

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز،شرح الطحاوية، (ص: ٧٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

(٣) انظر:دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٣٨٠)، مادة أحمد بن حنبل، لاووست.

نقول وبالله التوفيق: لم يقل أحد من الفقهاء والعلماء بتكفير شارب الخمر، لكنه من المعلوم أن من استحل محرما، واستتاب، وأقيمت عليه الحجة فلم يرجع ـ فقد كفر(١).

وجهل هذا المستشرق باللغة العربية فهم من الروايات المروية عن الإمام أحمد فيمن استحل محرما، ولم يتب، أنه يعتبر مرتدا، وتضرب عنقه، حيث وردت عدة أمثلة عن حكم من استحل محرما وكان من ضمن الأمثلة في مسائل الإمام أحمد شرب الخمر، وحكم فيها الإمام أحمد أن من شربها وهو مقيم عليها باستحلال لها بعد أن يستتاب أنه يقتل(٢).

يعني أن شارب الخمر مرتد عن الإسلام بشرط أن يكون مستحلا لها ولم يتب، لكن حكم شارب الخمر معلوم بين الفقهاء والعلماء، فهو مسلم عاص، يقام عليه حد شارب الخمر، لكنه لا يقتل.

المطلب السابع:التبرك بآثار النبي ﷺ:

قال المستشرق ولتر ملفيل باتون تحت عنوان: (تقديس المخلفات(٣)):

«وهذا المظهر الزاهد المتصوف في خُلُق أحمد، يشتمل على تقديس المخلفات.وقد عرفنا منه مثالا أو مثالين في خلال ما مضى من ترجمته. روى أبو نعيم(٤):...ورأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه، يُقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغسلها في الماء، ثم يشربه، يستشفي بها، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حُب الماء، ثم شرب فيها. ورأيته غير مرة، يشرب ماء زمزم، يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه»(٥).

نقد النص:

---

(١) انظر: ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى، (٧ / ٦١٠).

(٢) انظر:المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق: عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي،(٢ / ٥٥)، رقم المسألة (٥٣٢)، (٥٣٣)، (٥٣٤)، (٥٣٥) ط١، دار طيبة ـ الرياض ١٤١٢هـ.

(٣) لفظ غير لائق في حق النبي ﷺ ، لكن الأولى أن يقال آثار.

(٤) الحلية ورقة ١٤٤ أ،(ج ٩ ص: ١٨٣ من طبعة القاهرة. (من حاشية الكتاب ص: ٢٦٠)

(٥) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٦٠).

من مسالك بعض غلاة الصوفية الغلو في محبة نبينا محمد ﷺ والتبرك بآثاره، ومثل هذه الأفعال من الغلو المنبوذ المرفوض عند أهل السنة لأنه مخالف لما عليه السلف.

والأحاديث المروية في التبرك بشعر النبي محمد ﷺ جميعها من الأحاديث المنكرة نحو ماورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه أوصى إذا مات أن يوضع في فمه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم .(١).

والتبرك من أفكار الصوفية الذين توجهوا بالرجاء الباطن إلى الأموات المقبورين لطلب قضاء حوائجهم وتركوا الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

و لم يثبت عن الصحابة أن أحد منهم تبرك بقصعة النبي ﷺ فشرب أو أكل منها.

والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لم يصل إلى مرتبة التبرك وتقديس النبي محمد ﷺ تقديسا لا يليق بمخلوق، بل محبته نابعة من حبه لله وخوفه منه تعالى فمن أعظم الذنوب أن تجعل لله ندا وهو الذي خلقك.

ومن أبرز معالم المحبة الشرعية: أن يكون الله ﷻ أحب شيء إلى العبد، وأن تسبق محبة الله كل محبة،وأن تقهر محبته كل محبة، وأن تكون محبة غيره تابعة لمحبته فيكون هو المحبوب بالذات، وغيره محبوبا تبعا لحبه، كما يطاع تبعا لطاعته(٢).

فالصوفية من منطلق فكرهم وتراثهم الصوفي إذا نظرنا إلى تصورهم (للولي) و(القطب) و(الشيخ الصوفي) نخرج بنتيجة تؤكد أن هؤلاء لم يتركوا شيئا مما يستحقه المولى ﷻ من الصفات وأنواع العبادات إلا ووصفوا بها أولئك (المقدسين)، فلا يعقل بالتالي أن نتصور الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن ينهج هذا المنحى في تعامله مع الرسول ﷺ.

ومن العجب أن ترى أن بعض المستشرقين يصور أتباع المذهب الحنبلي يقفون من البدع موقف الصرامة والجدية، وفي نفس الوقت ينسب لهم تقديس ذكرى شيخهم الإمام أحمد بن حنبل.

---

(١) الراوي: ثابت، المحدث: العقيلي (الضعفاء الكبير ،(٤٥٦/٤) وخلاصة حكم المحدث: [فيه] يوسف بن عبدة له أحاديث مناكير عن حميد وثابت .

(٢) انظر: الجوزية: ابن القيم، مدارج السالكين،(٢ / ١٨٣)، تحقيق: محمد حامد الفقي.

قال جولد تسيهر: «ولم يكن بين التيارات المختلفة للتفكير الاعتقادي في الإسلام تيار حَدٌّ في تقبيح البدعة واضطهادها في نشاط ومثابرة كالمذهب الحنبلي، الذي يقدس أتباعه ذكرى رئيسه ومؤسسه الإمام الذائع الصيت أحمد بن حنبل»(١).

فإذا كان أتباع الإمام أحمد وقفوا من البدع موقف الجد والحزم على إنكارها، وقد طبقوا طريقة شيخهم وإمامهم أحمد بن حنبل.

فهل يمكن لهذا الشيخ الجليل القدوة لأتباعه أن يتبرك بآثار النبي محمد ﷺ.؟!

ثم ما قصة هذا الربط المتسلسل في التهمة: أحمد بن حنبل يقدس آثار النبي محمد ﷺ وأتباع الإمام أحمد يقدسون ذكرى مؤسس مذهبهم؟! هل هي تهمة إلزامية لإشاعة فكرة صوفية بين الحنابلة أم عدم فهم وسوء ظن بالحنابلة؟ أم خلط بين التصوف والزهد الإسلامي الصحيح.

أما بالنسبة إلى الاستشفاء بماء زمزم فذلك وارد في السنة، روي عن جابر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ماء زمزم لما شرب له. ويضيف ابن عباس رضي الله عنهما في روايته الحديث ـــ:ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تشتفى به شفاك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل»(٢).

وماء زمزم دواء شاف ـــ بإذن الله ـــ لجميع الأسقام، وهذا ثابت من الناحية الدينية والعلمية.

المطلب الثامن:موقف الإمام أحمد من القياس:

قال المستشرق ولتر باتون: «إن شخصية أحمد كمحدث، وكراهيته للتعميم والقياس، عاقاه عن أن يخلّف مذهبا فكريا، منسقا»(٣).

---

(١) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة، (ص: ٢٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، باب الشرب من ماء زمزم (ج٢/ ١٠١٨)،(ح(٣٠٦٢)، والإمام أحمد في المسند،(ج٢٣ /١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ح(٣٠٥٣).

(٣) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٦٣).

وقال في موضع آخر: «وعلى العموم فقد كانت الاستعانة بالقياس أو الرأي (في استنباط أحكام الدين) موضع معارضة»[١].

وقال المستشرق(جوستاف. أ.فون جرونيباوم GUSTAVE E.VON GRUNEBAUM)[٢]:

«وكان القياس الذي قبلته كمصدر من مصادر القانون، جميع المذاهب الفقهية الكبرى الأربعة عدا واحدا ـ (إذ لم يرفضه إلا ابن حنبل)»[٣].

نقد النص:

الإمام أحمد بن حنبل كان محدثا وفقيها، ومع ذلك لم يكره القياس،قال شاخت: «غير أن علماء الحنابلة عندما وصلوا متأخرين، استطاعوا إنشاء نظام مذهبي كامل النظام. واعتنقوا النظرية الفقهية القديمة التي لا تعتمد على السنة فحسب ولكنها تستند أيضا إلى الإجماع، كما أنهم معجبون بالقياس»[٤].

فالحنابلة لم يرفضوا القياس، والثابت عن الإمام أحمد أنه استخدم القياس، ويدل على ذلك أنه رحمه الله استعمل القياس في كثير من المواطن، من ذلك قوله رحمه الله في رواية ابن القاسم:

«لا يجوز الحديد والرصاص متفاضلاً قياسًا على الذهب والفضة»[٥].

فالقياس الشرعي أصل من أصول الشرع، يستدل به على الأحكام التي لم يرد بها السمع، و «الإمام أحمد رحمه الله يرى الاحتجاج بالقياس، وأنه أصل من أصول الشريعة،

(١) باتون:ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ٢٥٥).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) جرونيباوم: جوستاف. أ.فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، (ص: ١٩٠).

(٤) Schacht،Intrduction…;op.cit،p.٥٩.

نقلا من:الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، (٢ / ٣٨٤).

(٥) التركي: عبد الله بن عبد المحسن، أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)،(ص: ٦١٦)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

وقد استعمله في أكثر من موضع، وأن ما نقل عنه في اجتنابه محمول على استعمال القياس في معارضة السنة»[١].

فالثابت عن الإمام أحمد أنه استخدم القياس، وبطلت حجة هذا المستشرق، كما أن مذهبه انتشر في الآفاق، وعرف بالمذهب الحنبلي، فكيف يصف هذا المستشرق الإمام أحمد بأن عدم استخدامه للقياس على حد قوله: عاقاه عن أن يخلِّف مذهبا فكريا منسقا؟!

المطلب التاسع:الطعن في مسند الإمام أحمد بن حنبل:

طعن كثير من المستشرقين في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وكان الهدف من ذلك وصم السنة بالاختلاق والوضع، ومن ثم الدعوة إلى عدم حجيتها كمصدر أساس من مصادر التشريع الإسلامي.

ويمكن تلخيص افتراءات بعض المستشرقين من خلال ماكتبته د. عزية طه عن مفتريات (جولد تسيهر، وفنسك، ومونتجمري) حول مسند الإمام أحمد في كتبهم بما يلي:[٢]

أولا: أن الإمام أحمد بن حنبل تساهل في أسانيد الحديث ومتونها، وأنه قد اعتمد على روايات واهية في أسانيدها مجاهيل.

ثانيا: أن الإمام أحمد بن حنبل قد اعتمد على القصاص في بعض الروايات، ولم يعتمد على المحدثين الثقات.

ثالثا: أن الإمام أحمد بن حنبل كان كثير الفخر بالمسند، لدرجة أنه قال: إن الحديث الذي لم يرد في المسند لا ينبغي الالتفات إليه، وأن أي حديث خارج دائرة المسند ليس بحجة.

رابعا: إن ضخامة حجم المسند أيضا كانت من العوائق التي حرمت الناس من نسخه على نسق واحد، فتعدد النساخون لأجزائه مما أدى إلى ضياع معظمه إن لم يكن جميعه.

وقد ردت الدكتورة: عزية طه على هذه الافتراءات برد مفصل يمكن أن نجمله بما يأتي:

---

(١) التركي: عبد الله بن عبد المحسن، أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)،(ص: ٦١٧).

(٢) ذكرت الكاتبة مؤلفين فقط دون عزو للصفحة والجزء والكتابان هما: (العقيدة والشريعة لجولدزيهر، وحرية الإرادة والجبر في الإسلام لمونتجمري وات، والكتاب الأخير ــ على حد علمي ــ لم يترجم بعد).

أولا: من سيرة الإمام أحمد بن حنبل أنه ارتحل في أطراف الدولة الإسلامية طالبا للعلم عن أشهر المحدثين، وكان شغفا وحريصا على تحمل الحديث وأدائه بشهادة كثير من العلماء، كما أنه كان من منهج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وأمانته في تحمل السنة أنه رتب مسنده على مسانيد الصحابة حسب أفضليتهم، وكان من شدة حرصه أنه لا يحدث المسند إلا من كتاب، مع قوة حفظه.

قال علي بن المديني في تهذيب الكمال (٤٥٢): «ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل. وبلغني أنه كان لا يحدث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة حسنة، وكان من منهج أحمد بن حنبل أنه لا يحدث، ولا يقبل الحديث إلا بعد التثبت والتحري.

جاء في تهذيب الكمال (٤٥٣) قول أبي جعفر الثقيل: كان أحمد بن حنبل ثقة ثبتا في الحديث، نزه النفس، فقيها في الحديث، متتبعا يتبع الآثار، صاحب سنة وخير. وكان أحمد بن حنبل كجمهور المحدثين يجوّز رواية الحديث الضعيف إذا جاء في فضائل الأعمال، ولا يجوزه في العقائد والمعاملات.

وكان من منهج الإمام أحمد بن حنبل التدقيق في أسانيد الحديث ومتونها حتى بعد جمعه للمسند، فإن اكتشف في حديث علة أمر أبناءه بالضرب عليه ـ أي محوه ـ ويدلنا ما جاء في الفتح الرباني: (١ / ٨) ٩: ليس في المسند حديث لا أصل له إلا ثلاثة أحاديث أو أربعة...والاعتذار عنه أنه مما أمر الإمام أحمد بالضرب عليه، فترك سهوا.

ثانيا: كان الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين كغيرهما من أئمة المسلمين والمحدثين الورعين، شديدي الإنكار على أصحاب الأهواء والبدع من القصاص وغيرهم، ويدلنا على ذلك ما جاء في كتاب الباعث الحثيث (٩٢) قول جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام من بين أيديهم قاص، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وساق لتوه حديثا إلى رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله منها طيرا منقاره من ذهب، وريشه من مرجان. وأخذ في قصة نحوا من عشرين ورقة، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين مستنكرا ذلك ـ ويحيى بن معين ينظر إلى أحمد بن حنبل ـ مستنكرا ذلك أيضا ـ فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت بهذا إلا الساعة.

ثالثا: أثنى كثير من العلماء على مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقال الحافظ السيوطي: كل مافي مسند أحمد فهو مقبول...وقال حنبل: جئنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند، وما سمعه غيرنا، وقال لنا: هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة.

فإنه لمن الواضح أن الإمام أحمد بن حنبل يوجه هذه الوصية لأبنائه، وليس إلى جمهور المسلمين، ويتضح معنى هذه العبارة إذا تأملنا مدح الحافظ أبي موسى المديني للمسند حيث جاء في الفتح الرباني (١ / ٨) أنه قال: وهذا الكتاب أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة، فجعله إماما، ومعتمدا عند التنازع وملجأ ومستندا، و لم يخرج إلا عمن ثبت عنده صدقه وأمانته دون من طعن في أمانته.

كما يتضح لنا معنى العبارة بصورة أكثر جلاء من تعليق الحافظ الذهبي عليها في نفس المرجع السابق بقوله: وهذا القول منه على غالب الأمر، وإلا فلنا أحاديث قوية في الصحيحين والسنن والأجزاء ماهي في المسند.

رابعا: عني العلماء بمسند الإمام أحمد بن حنبل عناية فائقة، وتناولوه بالبحث، والشرح والتعليق والترتيب، وإيضاح الغريب والترجمة لرجال إسناده وما إلى ذلك.

ومن أمثلة ذلك: ما فعله الإمامان الجليلان محب الدين وضياء الدين المقدسيان، من تخريج ثلاثيات مسند الإمام أحمد بن حنبل، وهي الأحاديث التي قرب سندها بين الإمام أحمد بن حنبل ورسول الله ﷺ ثم تناول الإمام الشيخ محمد شمس الدين السفاريني الحنبلي كتاب ثلاثيات مسند أحمد بن حنبل بالشرح، وذلك في مؤلفه الذي سماه (شرح ثلاثيات أحمد بن حنبل) فعمل تراجم للرواة، وشرح ما يحتاج إلى شرح من ألفاظ، وبين ما يستنبط من الأحكام، وما يتعلق بها من الآداب. ولقد أورد كذلك ما يتعلق بالموضوع من أحاديث أخرى، وعدد آراء الأئمة والعلماء، واستشهد بأقوالهم بحيث يخرج القارئ ــ كما جاء في المقدمة ــ منه بالفوائد الكثيرة، ومن أمثلة ذلك ما فعله الإمام الجليل ابن حجر العسقلاني الذي دافع عن المسند ورد الشبهات التي أثيرت حوله، وذلك في مؤلفه:(القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد) حيث فند أقوال الزاعمين أن في المسند موضوعات.وقد أفاض

ابن تيمية أيضا في شرح هذا الموضوع ونفى في مؤلفه (التوسل والوسيلة) وجـود بعـض الأحاديث الموضوعة في مسند الإمام أحمد كما وضح الإمام السيوطي في ذيل هذا المؤلـف عدم جواز وصف هذه الأحاديث بالوضع.[1].

هذه نبذة مختصرة عن بعض التهم التي رمى بها بعض المستشرقين الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ،والتي سرى كثير منها تباعا لأتباع الدعوة السلفية من الحنابلة، والتي تم الكـشف عنها من خلال دراستنا لموقف بعض المستشرقين من الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابـن قـيم الجوزية، وللدعوة السلفية التي أطلق عليها كثير من المستشرقين بالحركة الوهابية.

(١) انظر: طه: د. عزية علي (من كلية الشريعة ــ جامعة الكويت)، مقال بعنوان: (من افتراءات المستشرقين على مسند الإمام أحمد بن حنبل) بمجلة منار الإسلام،(من ص: ٩٩ ــ ١٠٧)، مجلة تصدر في غرة كل شهر عربي عن وزارة الشؤونَ الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي، العدد الخامس، السنة الرابعة عشرة، جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ ــ ١١ ديسمبر ١٩٨٨م.

الفصل الرابع

موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية، وابن قيم الجوزية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية.

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية.

المطلب الثالث: اتهام شيخ الإسلام ابن تيمية بالتجسيم والتشبيه.

المطلب الرابع: تهمة تحريم زيارة القبور.

المطلب الخامس: دعوى بعض المستشرقين أن ابن تيمية أنكر التأويل.

المطلب السادس: تهمة ابن تيمية بمخالفة الإجماع.

المطلب السابع: موقف ابن تيمية من القياس.

المطلب الثامن: موقف ابن تيمية من الصحابة في نظر بعض المستشرقين.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من ابن قيم الجوزية.

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: موقف بعض المستشرقين من ابن قيم الجوزية.

الفصل الرابع

موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية، وابن قيم الجوزية

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية:

المطلب الأول:التعريف بالشيخ:

هو: «تقي الدين أبو العباس: أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني، نزيل دمشق، وصاحب التصانيف، التي لم يسبق إلى مثلها، قيل إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فقال: يا تيمية، يا تيمية. فلقب بذلك. قال ابن النجار ذكر لنا أن جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها.

ولد شيخنا أبو العباس بحران يوم الاثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر [شهر] ربيع الأول(سنة ٦٦١ هـ)»[(١)].

وقد مر عصر ابن تيمية رحمه الله بغزو التتار، وهجوم الفرنجة على العالم الإسلامي، وحدوث الفتن الداخلية،خاصة بين المماليك والتتار والمسلمين.قال ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ) وهو ممن شهد ذلك العصر في حديثه عن أحداث سنة سبع عشر وستمائة: «ولقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم: منها هؤلاء التتر ــ قبحهم الله ــ أقبلوا من المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها...ومنها: خروج الفرنج ــ لعنهم الله ــ من المغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر، وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها، لولا لطف الله تعالى

(١) ابن قدامة المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،(ص: ٢)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد- الرياض (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

ونصره. ومنها الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق»[(١)].

وقد كانت للشيخ ابن تيمية رحمه الله جهود عظيمة في مجال محاربة البدع والمبتدعين، والتركيز على نشر العقيدة الصحيحة، وغير ذلك مما يطول ذكره.

قالت المستشرقة البولونية بوجينا غيانة تستشيجفسكا:

«ظهر في بلاد الشام علم عظيم، هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي. نبغ واجتهد، وأفتى ودرس، ودعا إلى الإصلاح، وألف كتبا كثيرة دعا فيها إلى الاجتهاد، والرجوع إلى كتاب الله، وسنة النبي ﷺ وقد أخذ عنه تلاميذ كثيرون، من أشهرهم ابن القيم. ويعد ابن تيمية مثالا عظيما للشجاعة، والحفظ، والاطلاع على الكتاب والسنة، والاجتهاد فيها كما يعد صاحب مدرسة عظيمة جدا في الفقه والاستقلال»[(٢)].

توفي شيخ الإسلام ابن تيمية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة،قال صاحب كتاب العقود الدرية: «وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة [٧٢٨هـ]توفي الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، الحافظ الزاهد، القدوة، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الإمام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، بقلعة دمشق التي كان محبوسا فيها»[(٣)].

وقد خلف الشيخ ابن تيمية تصانيف كثيرة، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) رحمه الله: «وأما تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن

(١) ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ،(١٠ / ٤٠٠ ــ ٤٠١)، راجعه وصححه:الدكتور محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد علي بيضون، ط٤،دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان ٢٠٠٢م ــ ١٤٢٤هـ.

(٢) تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، (ص: ٢٦).

(٣) ابن قدامة المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،(٣٦٩، تحقيق: محمد حامد الفقي.

تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدّ الكثرة فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها، ولا ذكرها»[١].

ومؤلفات الشيخ ابن تيمية كان لها أثر إيجابي على مر الزمن بشهادة المستشرقين أنفسهم، قال المستشرق جولد تسيهر عن ابن تيمية: «إن تأثيره فيما بعد استمر بصورة خفية طوال أربعة قرون، وكانت مؤلفاته موضع بحث دقيق، وقد لعبت في الأوساط الإسلامية دور القوة الصامتة التي تفجر العداء للبدع من حين لآخر»[٢].

ومن أبرز كتبه المطبوعة:

١ ـ الاستقامة: تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: تحقيق د. ناصر العقل.

٣ ـ بيان تلبيس الجهمية.

٤ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٥ ـ درء تعارض العقل والنقل: طبع بتحقيق د. محمد رشاد سالم.

٦ ـ الصفدية: تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٧ ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: تحقيق د. محمد رشاد سالم.

٨ ـ النبوات.

المطلب الثاني:موقف بعض المستشرقين من ابن تيمية:

مااتهم به شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله سرى تباعا لبقية أعلام الحنابلة، فالدفاع في هذا الفصل دفاع عن بقية أعلام الدعوة السلفية،وهذا واضح من خلال أقوال بعض أعلام المستشرقين، قال هنري ماسيه:

---

(١) ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي، الذيل على طبقات الحنابلة،(٤٠٣/٤)،دار المعرفة ـ بيروت (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع).

(٢) Doughty Ch. Travels .....Vol. ١،p.٤٨٠

نقلا من: فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، (ص: ٨١).

«ومن الناحية العملية، فإن المذهب الحنبلي أحياه في بدء القرن الرابع عشر لاهوتي شهير هو ابن تيمية، الذي نوقش بخشونة، ومات في السجن»[(١)].

وقال (هنري لاووست): «وقد أثر ابن حنبل في التطور التاريخي للإسلام، وفي نهضته الحديثة، وأسس أحد المذاهب السنية الأربعة الكبرى، وهو المذهب الحنبلي، وكان عن طريق تلميذه ابن تيمية..الجدُّ الأول للوهابية، وقد أوحى أيضا إلى حد ما بحركة الإصلاح المحافظة للسلفية»[(٢)].

وجاء في دائرة المعارف عن ابن تيمية: «ونحن نعلم أن مؤسس الوهابية اتصل بعلماء دمشق الحنابلة. فمن الطبيعي أن يكون قد استفاد من مؤلفاتهم، وعلى الأخص من تعاليم ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية»[(٣)].

وقال لويس يونغ: «بعد مائتي عام من الغزالي ظهر آخر الأئمة وأعظمهم في العصور الوسطى للإسلام، وهو تقي الدين أحمد بن تيمية الدمشقي (١٢٦٣ ــ ١٣٢٨) ولم يكن من جماعة المتكلمين، أو فيلسوفا، ولكنه قام بحملة على الأرسطوطاليين وفلسفتهم في كتابه (الرد على المناطقة). وقد أشار إلى النعوت المستخدمة في نقل المعرفة بالأشياء الموصوفة هي محدودة أصلا. ثم أشار إلى عدم جدوى الإيضاحات المنطقية لعلاقتها بالوجوديات.

وذلك لأن الإيضاح يختص فقط بالكليات التي تملك حقيقة قائمة في العقل، وفي مجال الفكر، وليست قائمة في العالم خارج الفكر.

وتظهر قيمة ابن تيمية في كونه صلة فكرية بين العصور الوسطى والوقت الحاضر، فبينما استنار هو بابن حنبل في زمانه، فقد استنار بتعاليمه محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر»[(٤)].

---

(١) ماسيه: هنري،الإسلام،(ص: ٢٦٨)، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: سماحة الدكتور: مصطفى الرافعي، وسماحة الشيخ: محمد جواد مغنيه.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٣٧٥)، مادة أحمد بن حنبل، ترجمة: محمد بن شنب (طبعة الشعب).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٣٤)، مادة ابن تيمية، ترجمة: محمد بن شنب (طبعة الشعب).

(٤) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة، (ص: ٨٢).

يقول المستشرق جيب: «جاء شيخ الإسلام (تقي الدين ابن تيمية) فثار على انحراف المتصوفة ثورته على المنطقيين، والفلاسفة، والفقهاء، وعلماء الكلام....ولكنه هو لم يرتض إلا فكرة السلف مشرعا ومنهاجا، وبذا كان رائد التيار السلفي الحديث الذي مازال ناشطا إلى اليوم»[(١)].

فابن تيمية في نظر بعض المستشرقين هو الشخصية التي تمثل نقل المذهب الحنبلي لرجال الدعوة السلفية؛ لأنه كما يقولون في دائرة المعارف:

«ولقد دافع عن سنن السلف الصالح من المسلمين بأدلة لم يسبق إليها، مع أنها مستقاة من القرآن والحديث»[(٢)].

وهو أيضا في نظرهم شخصية برعت في الرد على الخصوم أصحاب الفكر الضال، جاء في الدائرة وصفهم له أنه: «نوقش في مسألة كتبها في الرد على مذهب الاتحادية، إلا أن الحجج التي جاء بها لم تلبث أن جردت خصومه من أسلحتهم»[(٣)].

وقال المستشرق جب: «إنه لا يتبع الرجال على أسمائهم، فليس لأحد عنده من مقام، إلا الدليل من الكتاب والسنة، وآثار السلف ﷺ»[(٤)].

وقد برع ابن تيمية في الرد على الخصوم، ومحاربة البدع، باعتراف المستشرق (جولد تسيهر) حيث يقول: «في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ظهر في سوريا فقيه جريء، أحسن التعبير عن ميول الحنابلة وآرائهم، وهو تقي الدين ابن تيمية، الذي دأب في خطبه وكتاباته على مراجعة الإسلام التاريخي، دارسا له من ناحية سننه القديمة، وما طرأ عليها من ابتداع. ثم هب لمناهضة البدع التي عملت على تحوير المعالم الأصلية للإسلام وتعديلها، سواء كان ذلك في العقائد أم في الأحكام والعبادات...وكافح ابن تيمية الصوفية ومبادئها الحلولية، كما استنكر تقديس النبي والأولياء، وأنكر الحج إلى قبر النبي»[(٥)].

---

(١) المستشرق جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي،(ص:٤٥)، ترجمة: د. عادل العوا، ط٢، منشورات عويدات، بيروت ــ باريس ١٩٨٩م.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٣٢)، مادة ابن تيمية. ترجمة: محمد بن شنب (طبعة الشعب).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٣٢)، مادة ابن تيمية. ترجمة: محمد بن شنب (طبعة الشعب).

(٤) المستشرق جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي،(ص:٤٧)، ترجمة: د. عادل العوا.

(٥) تسيهر: أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٢٣٥).

وذكر المستشرق جيب عن ابن تيمية في كتابه علم الأديان: «إنه لم يكن متعصبا في تفكيره، فلم يسيطر عليه فكر معين يتعصب له، ويجمد عليه، بل كان حر التفكير، خلع نفسه من كل ما يقيده إلا الكتاب والسنة، وآثار السلف الصالح، ولذا نجده يقدر في غيره العلم، وإن كان مخالفا له، ولا يلعن المخالف، ولا يكذبه، ولا يرميه بالبهتان، ولكنه يعتذر له، ويقدره في خلافه ووفاقه، ذلك شأن العالم المتسع الأفق، ولكنه يضيق ذرعا بالهدامين الذين يكيدون للمسلمين بنحل يبتدعونها، ويظهرون بها غير ما يبطنون، ولا يبطنون إلا كفرا»[(١)].

المطلب الثالث:اتهام شيخ الإسلام ابن تيمية بالتجسيم والتشبيه:

جاء في دائرة المعارف عن ابن تيمية: «ولما كان ابن تيمية مسرفا في التشيع لمذهب التجسيم، فقد كان يفسر كل الآيات والأحاديث التي تشير إلى الله تفسيرا حرفيا، ولقد تشبع بهذه العقيدة إلى درجة أنه ـــ كما يقول ابن بطوطة[(٢)] ـــ قال من منبر جامع دمشق: إن الله يترل إلى سماء الدنيا كترولي هذا ثم نزل درجة من درج المنبر (انظر على الأخص: مجموعة الرسائل الكبرى، ج١، ص: ٣٨٧ وما بعدها)»[(٣)].

وكذلك وصف المستشرق (شتروتمان) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه من غلاة المشبهة[(٤)].

أما المستشرق (هنري لاووست) فقد اتهم ابن تيمية بالتشبيه من خلال قوله:

«ولقد أخذ ابن تيمية عن مذهب المشبهة العناية بالالتزام بحرفية النص»[(١)].

---

(١) المستشرق جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي،(ص:٤٨)، ترجمة: د. عادل العوا.

(٢)محمد بن بطوطة (٧٠٣ – ٧٧٩ ه) (١٣٠٤ – ١٣٧٧ م) محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي،الطنجي المعروف بابن بطوطة (أبو عبد الله) رحالة ، مؤرخ ، ناظم ولد بطنجة ، ونشأ بها ، وطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وأواسط افريقية ، واتصل بكثير من الملوك والامراء ، وعاد إلى المغرب الاقصى ، وانقطع إلى ابي عنان من ملوك بني مرين ، وتوفي بمراكش . من آثاره: رحلة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار . (انظر: كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين،(٣ / ٤٥١-٤٥٢)، (وانظر: الزركلي، الأعلام، ٦/٢٣٥)

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ١١٢، الدائرة الأولى، مادة ابن تيمية، ترجمة: محمد بن شنب.

(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،مادة التشبيه،(٥ / ٢٥٦ ـــ ٢٥٧)، (الدائرة الأولى).

ودعوى أن شيخ الإسلام مجسم ومشبه قد استمدها بعض المستشرقين من أعداء الإسلام مما كتبه أبو بكر محمد بن عبد المؤمن الحصني (ت - ٨٢٩هـ) في كتابه: (دفع شُبَه من شبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد) وهو من الغلاة في التشبيه والتجسيم، وأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمى المكي الشافعي (٩٠٩هـ /٩٧٤ هـ) في كتابيه (الدر المنظم) و(الفتاوى الحديثية) ومانقله ابن بطوطة (ت - ٧٧٩هـ) في كتابه (تحفة النظار).

الرد على هذه التهمة:

نقول وبالله التوفيق:بالنسبة إلى قصة ابن بطوطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قرر كبار الباحثين المختصين في تراث ابن بطوطة وابن تيمية بأن هذه القصة مختلقة، فمن يحقق ويدقق فيما نقله ابن بطوطة عن ابن تيمية يقطع بكذب هذه الرواية المختلقة التي ذكر فيها أن ابن بطوطة حضر يوم الجمعة وابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع، ونزل من درجة المنبر وهو يقول: إن الله يترل إلى السماء الدنيا كترولي هذا.. إلخ.

فابن بطوطة لم يسمع من ابن تيمية، ولم يجتمع به، فقد كان وصوله إلى دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المبارك عام ست وعشرين وسبعمائة هجرية، وكان سجن ابن تيمية في قلعة دمشق أوائل شعبان من ذلك العام، إلى أن توفاه الله تعالى ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية.

قال ابن كثير في أحداث سنة ست وعشرين وسبعمائة: «قال البرْزاليٌّ: وفي يوم الاثنين بعد العصر من شعبان اعتقل الشيخ العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية بقلعة دمشق»[٢].

وكذلك ذكر ابن كثير في أحداث سنة ثمان وعشرين وسبعمائة:

«قال الشيخ علم الدين البرْزاليٌّ في تاريخه: وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ العلامة الفقيه الحافظ القدوة، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا

---

(١) لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي، (٢ / ٨).

(٢) ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر،البداية والنهاية،(١٨ / ٢٦٧)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، بالقاعة التي كان محبوسا فيها»(١).

فهذه الفرية قد لا تكون من صنع ابن بطوطة نفسه، بل من النسّاخ، وهذا كثيرا ما يحصل في بعض الكتب. والثابت أن ابن بطوطة رحمه الله لم يكتب تفاصيل رحلته، وإنما الذي كتبها وجمعها هو أبو عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي (٧٢١ هـ ــ ٧٥٧هـ)، جاء في مقدمة الكتاب:

«وعندما قرر السلطان أبو عنان استنساخ رحلة ابن بطوطة لم يجد في مجلسه أفضل من الكاتب ابن جُزّي صاحب الخط الرفيع البديع»(٢).

قال أبو عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي (٧٢١ هـ ــ ٧٥٧هـ)في آخر الكتاب: «انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بطوطة، أكرمه الله. ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر. ومن قال: رحال هذه الملة لم يبعد، ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة، واتخذ حضرة فاس قرارا ومستوطنا بعد جولاته»(٣).

وهذا يدل صراحة أن كتاب رحلة ابن بطوطة لم يصلنا بألفاظ مؤلفه، بل الناقل نص على تدخله في الألفاظ والكلمات .

قال الأستاذ/ عمر رضا كحالة في ترجمته لابن بطوطة: « وفي نهاية عام ٧٥٤، وصل إلى فاس بعد أن قضى في هذه الرحلة عامين كاملين، وأمره السلطان بإملاء رحلته على الكاتب أبي عبد الله بن جزي، فقام هذا بما كلفه به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها، وتصنيفها،

---

(١) ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر،البداية والنهاية،(١٨ / ٢٩٥ ــ ٢٩٦)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(٢) الطنجي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،(١ / ٧٩)، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه: عبد الهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية ــ سلسلة التراث، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

(٣) الطنجي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،(٤ / ٢٨٠).

وتهذيبها، وسماها: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) وانتهى من ذلـــك في ٣ ذي الحجة عام ٧٥٦هـــ»[(١)].

وابن تيمية نفسه في جل مصنفاته قال: «ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلومًا، وله كيفية ـــ تكون تلك الكيفية معلومة لنا»[(٢)].

كما روى من غير وجه أن: «سائلاً سأل مالكًا عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥ ،كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرُّحَضَاء [أي: العرق] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء. ثم أمر به، فأخرج.ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي اللّه عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه، وهكذا سائر الأئمة، قولهم يوافق قول مالك: في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء، ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول، ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضا والفرح والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك »[(٣)].

فابن تيمية لم يكن مشبها وإنما ردد معارضوه مثل تلك التـــهم الـــتي تلقفهـــا بعـــض المستشرقين من كتب الخصوم، وأقوال الخصوم لا تفيد العلم وحدها، ومؤلفات ابن تيميـــة رحمه الله العديدة تشهد بخلاف ما ردده بعض المستشرقين من التدليس والكذب الـــصريح على شخصه.

---

(١) كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين،(٣ / ٤٥٢)، ط١، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت، سوريا،١٤١٤هـــ / ١٩٩٣م

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٥ / ١٨١).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(٥/ ٣٦٥)(شرح حديث النزول).

المطلب الرابع:تهمة تحريم زيارة القبور:

جاء في دائرة المعارف عن ابن تيمية: «وكان ابن تيمية عدوا لدودا للبدع. فقد هاجم التضرع للأولياء وزيارة القبور...وحتى الرحلة التي يقصد منها زيارة قبر النبي فقط فهي معصية (ابن حجر الهيتمي: الفتاوى، ص: ٨٧) ومن جهة أخرى فإنه لم يحرم زيارة قبر المسلم ــ يتبع في ذلك رأي الشعبي، وإبراهيم النخعي، إلا إذا كانت هذه الزيارة تقام في يوم معين وتحتاج لرحلة خاصة. وبهذا التحديد كان يعتبر تلك الزيارة واجبا تقليديا (صفي الدين الحنفي: القول الجلي، ص: ١١٩ وما بعدها»[١].

وفي الدائرة أيضا: قال جولد تسيهر إن ابن تيمية: «أنكر التأويل، وحرم البدع، كزيارة القبور، والتوسل بالأولياء، وغير ذلك»[٢].

وذكر لاووست أن ابن تيمية سجن بسبب أنه: «أنكر زيارة القبور، وعدها بدعة»[٣].

وقال المستشرق فاسيلييف: «وكان من ممثلي الاتجاه المتطرف في الحنبلية الفقيه الشامي تقي الدين ابن تيمية (القرن الرابع عشر) وهو من أهم الشخصيات وأكثرها تناقضا في الفقه والفكر الفلسفي الإسلامي.

ففي الفقه كان في خطبه ومؤلفاته ينادي بتغيير أشكال الأصولية الإسلامية القائمة آنذاك، ويضع السنة والبدع على طرفي نقيض بشكل قاطع، وقد عارض كل البدع التي تبتعد عن أصول الإسلام في النظرية والتطبيق، كما عارض ابن تيمية إدراج آراء العشرين الفلسفية في الإسلام، وعارض المتصوفة، كما رفض تقديس الأولياء والرسول، وشجب زيارة قبر الرسول في المدينة المنورة قائلا بأنها لا تطابق الإسلام، مع أنها صارت تعتبر من سنين طويلة عملا متمما لحج بيت الله.

ورفض ابن تيمية آراء العلماء الذين استخدموا الإجماع ليضيفوا طابعا شرعيا على مثل هذا التقديس، واستند إلى السنة وحدها»[١].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ١١٢)، الدائرة الأولى، مادة ابن تيمية، ترجمة: محمد بن شنب.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(٢/ ٣٦٨)، أحمد بن حنبل، هنري لاووست (طبعة الشعب).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١٦ / ١٠٠)، الحنابلة، هنري لاووست (طبعة الشعب).

الرد على هذه التهمة:

ابن تيمية رحمه الله لم يحرم زيارة القبور؛ ولا قبر النبي ﷺ بدليل ما كتبه في مؤلفه المسمى:(الرد على البكري واستحباب زيارة قبر خير البرية) والبكري من القصاص الكذابين، ممن ينقلون الأحاديث المفتراة والقصص الكاذبة المختلقة، قال عنه ابن تيمية في معرض رده على السؤال عن القصاص الذين ينقلون مغازي النبي ﷺ وقصص الأنبياء عليهم السلام تحت القلعة، وفي الجوامع والأسواق: «الحمد لله رب العالمين، هذه الأحاديث من الأحاديث المفتراة باتفاق أهل العلم، وإنما تؤخذ مثل هذه الأحاديث من مثل (تنقلات الأنوار) للبكري وأمثاله ممن روي الأكاذيب الكثيرة»[٢].

والثابت أن ابن تيمية لا يحرم زيارة قبر النبي محمد ﷺ وإنما يحرم السفر من أجل زيارة القبر، مقتديا في ذلك بالإمام مالك رحمه الله حيث إن: «كره مالك وغيره من أئمة المدينة أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ ، وإنما المسنون السلام عليه إذا أتى قبره ﷺ ، وكما كان الصحابة والتابعون يفعلون إذا أتوا قبره، كما هو مذكور في غير هذا الموضع»[٣].

وعلة التحريم في نظر ابن تيمية ــ كما يبدو ــ حتى لا يتحول مفهوم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة إلى مفهوم شد الرحال من أجل زيارة القبور، ومن ثم تتحول الزيارة لأجل القبر والتبرك به، وهذا الأمر مما نهى عنه الإسلام، حيث أن بعضهم يسافر بالحج، ويطغى هدف زيارة قبر النبي محمد ﷺ على الهدف الأصلي وهو الحج،خاصة أن المسجد النبوي من الثلاثة المساجد التي يستحب زيارتها وشد الرحال إليها.

---

(١) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية،(ص: ٨٠ ــ ٨١)، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة) .

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٨ / ٣٥٨).

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم،(مجموع الفتاوى،، ٤ / ٥٢١).

المطلب الخامس:دعوى بعض المستشرقين أن ابن تيمية أنكر التأويل:

ادعى المستشرق هنري لاووست أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله قد أنكر التأويل، فقال: «ويستشهد الفقهاء الحنابلة كثيرا برسالة جدلية كتبها في السجن عنوانها (الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن) وقد أنكر فيها أحمد التأويل»[1].

وحيث كان التأويل يعتبر الباب المفتوح لكل بدعة ظهرت في الإسلام على يد الباطنية أو المتكلمين، ومن سار على نهجهم من الطوائف الأخرى؛ لذا حرم ابن تيمية كل تأويل لم يحتمله اللفظ في أصل وضعه، وكل تأويل لا يحتمله السياق المعين،وكل تأويل لم يؤلف فيه استعمال اللفظ في ذلك المعنى في لغة التخاطب، وإن كان هذا المعنى مألوفًا كاصطلاح خاص، كتأويلات الفلاسفة، واصطلاحاتهم، إضافة إلى التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة. وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن للتأويل ثلاثة معان:

أحدهما: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو الذي يتكلم عليه في أصول الفقه، وهو الذي يتنازع عليه في باب الأسماء والصفات.

والثاني: بمعنى تفسير الكلام وبيان معناه،سواء وافق الظاهر أم خالفه.

والثالث: هو نفس المراد بالكلام وحقيقته ومايؤول أمرة إليه.

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «فإن لفظ (التأويل) قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلاثة معان:

أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وترك تأويلها،....

الثاني: أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وعلى تفسيره يعتمد الشافعي، وأحمد، والبخاري، وغيرهم، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٢ / ٣٦٧)، أحمد بن حنبل، لاووست. (طبعة الشعب).

الثالث من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كماقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ الأعراف: ٥٣.

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون، من القيامة والحساب والجزاء، والجنة والنار، ونحو ذلك، كما قال الله تعالى في قصة يوسف، لما سجد أبواه وإخوته قال: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ يوسف: ١٠٠، فجعل عين ما وجد في الخارج، هو تأويل الرؤيا.

الثاني: هو تفسير الكلام، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ، حتى يفهم معناه، أو تعرف علته، أو دليله.

وهذا (**التأويل الثالث**): هو عين ما هو موجود في الخارج، ومنه قول عائشة: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن يعني قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ النصر: ٣، وقول سفيان بن عيينة: السنة هي تأويل الأمر والنهي، فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر، ولهذا يقول أبو عبيد وغيره: الفقهاء أعلم بالتأويل من أهل اللغة، »[1].

فابن تيمية لم يحرم التأويل مطلقًا، بل هناك تأويل مقبول، وهو ما دل على مراد المتكلم، وتأويل مردود، وهو ما كان بعيدًا عن التفسير قريبًا إلى التحريف، حيث كان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج عن مراد الله ورسوله التي هي نوع من تحريف الكلم عن مواضعه.و ابن تيمية أنكر التأويل بمعنى: «صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك»[2].

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٣ / ٥٥ ــ ٥٦)، (الرسالة التدمرية).

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٤/ ٦٩). (مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين).

لأن هذا التأويل فيه تحريف لصفات الله عن مراد الله تعالى قال ابن تيمية: «وأما التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقًّا ممكنًا كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلا ممتنعًا كان الثابت مثله»[(١)].

وقال ابن تيمية: «ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل. فإن (التأويل) في عرف المتأخرين من المتفقهة، والمتكلمة، والمحدثة، والمتصوفة، ونحوهم ـ هو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه، ومسائل الخلاف ـ فإذا قال أحدهم: هذا الحديث، أو هذا النص مؤول، أو هو محمول على كذا، قال الآخر: هذا نوع تأويل. والتأويل يحتاج إلى دليل، والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر. وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل، أو ذم التأويل، أو قال بعضهم: آيات الصفات لا تؤول. وقال الآخر: بل يجب تأويلها، وقال الثالث: بل التأويل جائز، يفعل عند المصلحة. ويترك عند المصلحة أو يصلح للعلماء دون غيرهم، إلى غير ذلك من المقالات والتنازع»[(٢)].

فابن تيمية لم ينكر التأويل الموجود في القرآن، وفي عرف المفسرين، وإنما أنكر التحريف الذي أطلق عليه بعض المتأخرين تأويل، لنفي صفات الله.

المطلب السادس:تهمة ابن تيمية بمخالفة الإجماع:

اتهم بعض المستشرقين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله بالخروج عن الإجماع، ومخالفته،[(٣)] معتمدين فيما كتبوه على آراء الخصوم دون الرجوع إلى مؤلفاته المشهورة، فجاء في دائرة المعارف الإسلامية نقلا عن جولدتسيهر ما نصه:

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٣ / ٦٧) (الرسالة التدمرية).

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١٣/ ٢٨٨)(الإكليل في المتشابه والتأويل) .

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٣٤)، ابن تيمية، محمد بن شنب.(طبعة الشعب).

«وكان في هذه الفترة أيضا ظهور تقي الدين ابن تيمية (٦٦١ـ ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ـ ١٣٢٨م) في بلاد الشام، الذي أحدث ضجة كبرى، فقد استأنف هذا الفقيه النضال في سبيل المذهب الحنبلي، فأنكر التأويل، وحرم البدع، كزيارة القبور، والتوسل بالأولياء، وغير ذلك،.. وكان نضاله هذا ضد المذاهب التي سادت طويلا قبل ذلك، ولكنه خرج بعمله هذا على مقتضيات الإجماع عند أهل السنة فاضطهد، وخسر المذهب الحنبلي بسقوطه خسارة كبرى»(١).

وورد أيضا قول منسوبا لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله في الدائرة: «ليس من الزندقة أو المروق أن ترى رأيا مخالفا للإجماع»(٢).

وقال المستشرق جيب هـ. أ. ر: «فالحركة التي كان على رأسها محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثامن عشر، لم تكن في الحقيقة حركة عربية. فالجذور التي استوحت منها هذه الحركة تعود إلى الحركة الحنبلية التي تحد كثيرا من مدى الإجماع. وقد كان ابن تيمية من أصحاب هذا المبدأ، وظلت هذه المدرسة على نطاق أضيق، في الحجاز والعراق وفلسطين»(٣).

الرد على هذه التهمة:

سبق وأن تناولنا موقف بعض المستشرقين من الإجماع، فهم يعتبرونه أصلا من أصول العقيدة الإسلامية، فرفعوا من قيمته وجعلوه من جذور الإسلام، وأساسه، قادرا على وضع أحكام لا إسناد لها من الكتاب والسنة،وأنه عنصر من عناصر التقريب بين السنة النبوية والبدع المستحدثة، وأصل كبير يمثل فكرة تطور الفقه الإسلامي أكثر من غيره، وأنه بذرة من بذور التحرر للحركات الإسلامية الحرة، يقف ضد الجمود، وقتل الشخصية.

فهم يصرون على (فكرة تطور الفقه الإسلامي المقتبس من القانون الروماني)، حتى إن بعض المستشرقين يحاولون أن يستنهضوا الهمم لتمجيد الإجماع؛ لرفع قيمته كي يصبح الإجماع ـ كما أعلنوه ـ صوت الشعب المعبر عن صوت الله.، ليمتلك سلطة تقرير

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(٢/ ٣٨٦)، أحمد بن حنبل، جولد تسيهر.(طبعة الشعب) .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٣٤)، ابن تيمية، محمد بن شنب.(طبعة الشعب).

(٣) جيب: هـ. أ. ر، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني،(ص:٥٢).

الأحكام الشرعية، وإن لم يعتمد على القرآن والسنة؛ علما أن الإجماع لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون حاكمًا على القرآن والسنة، وهذا ناتج عن قصورهم في فهم الإجماع عند الأصوليين ومكانته، وظنهم أن الإجماع مثل سلطة المجامع الكنسية التي تمتلك السلطة المطلقة في التشريعات الدينية.

وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله لم ينكر الإجماع ولكنه حذر من التساهل في الإجماع في العصور المتأخرة لصعوبة ضبطه.

قال ابن تيمية: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة:اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ ، حيث قال:(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(١).

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد، وبهذا سموا: أهل الكتاب والسنة. وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة، أو ظاهرة،مما له تعلق بالدين. والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة»(٢).

وقد بين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أهمية الإجماع في نصوص كثيرة، منها رده على من: «يزعم من غالية المتكلمين أنه لا يستدل بالإجماع على شيء »(٣).

فقال : «الإجماع، وهو متفق عليه بين عامة المسلمين، من الفقهاء، والصوفية، وأهل الحديث، والكلام، وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة، لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالبًا، ولهذا اختلف

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٣ / ١٥٧) (العقيدة الواسطية).

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١١ / ٣٣٨)(الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة، واختلف في مسائل منه، كإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة، والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم، والإجماع السكوتي، وغير ذلك»[١].

وقال الدكتور مصطفى حلمي منتقدا المستشرق(هنري لاووست) في مسألة الإجماع عند ابن تيمية: «ما نأخذه على المؤلف في سياق عرضه لهذا الفصل أنه ظن أن ابن تيمية تمكن من التهوين من قيمة الإجماع، ومن هيمنته، وأنه يخضع للنقد والمراجعة [في] مختلف النقاط التي أنشأها، وأن يبحث في مجالات أخرى عن عوامل لتطوير الشريعة، مثل القياس، ومثل المصلحة.وهذا الحكم غير صحيح ويدل على قصوره في استيعاب منهج شيخ الإسلام، لأن معارضة ابن تيمية لم تتجه إلى الإجماع في ذاته كأصل من أصول الفقه، ولكن عارض بعض المتأخرين الذين اعتبروا أن الإجماع مستند معظم الشريعة، فصرح بأن ذلك لنقص معرفتهم بالكتاب والسنة، وخطأ من قال بالأخذ بالإجماع مع مخالفته للنص الذي ظهر، مقررا أن الإجماع إذا خالفه نص فلا بد أن يكون مع الإجماع نص معروف به أن ذلك منسوخ، فأما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الأمة وحفظت النص المنسوخ، فهذا ما لا يوجد قط، وهو ما نهيت عن إتباعه، وإضاعة ما أمرت بإتباعه وهي معصومة عن ذلك»[٢].

كما أن ابن تيمية لم ينقل عنه إنكار الإجماع بصريح العبارة، بل الثابت عنه أنه قد حكم في مسألة الطلاق بالإجماع، فقال في باب طلاق السنة وطلاق البدعة: «فنقول: الطلاق منه ما هو محرم بالكتاب والسنة والإجماع، ومنه ما ليس بمحرم»[٣].

فكيف ينكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله الإجماع وقد طبقه في الحكم على فتاويه؟! فنقول لهؤلاء المستشرقين ومن شايعهم: ليس من المنهجية الموضوعية الاعتماد على كلام الخصوم، والتسليم لافتراءاتهم دون الرجوع إلى مصنفات ابن تيمية الشهيرة التي تثبت عدم اعتراضه على الإجماع الصحيح.

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(١١ / ٣٤١)(قاعدة في المعجزات والكرامات).

(٢) لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع،(٢ / ٢٦م)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي.

(٣) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٣٣ / ٥).

المطلب السابع:موقفه ابن تيمية رحمه الله من القياس:

جاء في دائرة المعارف عن ابن تيمية: «وهو يصرح بأنه يتبع القرآن والحديث بحرفيتهما في جل مؤلفاته، ولكنه كان في الوقت نفسه لا يرى من الخطأ أن يستعين بالقياس في مناظراته»(١).

وقد ظن بعض المستشرقين أن ابن تيمية قد اعتمد على القياس الأرسطي، قال الدكتور مصطفى حلمي في نقده للمستشرق هنري لاووست:

«وفي تناوله للقياس رأينا أن لاووست قد شوه هذا الأصل تشويها كبيرا عما عرفناه وقرأناه في كتب ابن تيمية، إذ ظن أن شيخنا قد اعتمد على تعريف أرسطو للقياس المنطقي، ولم يفطن إلى أن القياس الأصولي يخالف القياس الأرسططاليسي..وتتمثل سقطته الكبرى في حكمه الآتي: (ولا تستغني عقيدة ابن تيمية عن منهجه الأصولي، كما لم تستغن نظرياته في الغيبيات عن منطق أرسطو) وكان المؤلف في حكمه خاضعا للفكرة التي شاعت لدى بعض المستشرقين والمتأثرين بهم، فظنوا أن المسلمين اتخذوا المنطق الأرسططاليسي منهجا لأبحاثهم.

ثم تصدى لهذه الفكرة أستاذنا الدكتور النشار في كتابه (مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسططاليسي(٢)) فأثبت فيه إثباتا قاطعا ـ في ضوء وثائق هامة، من أبرزها كتب شيخ الإسلام، وفي مقدمتها الرد على المنطقيين، ونقض المنطق ـ أثبت عدم قبول علماء المسلمين لهذا المنطق، بل محاربتهم له، حتى ارتفع شعار (من تمنطق فقد تزندق)»(٣).

وشهد على ذلك المستشرق (جيب هـ. أ. ر) فقال: «ورغم أن المدرسين المسلمين قد وجدوا بعض الفائدة في العلوم المساعدة، كالمنطق والرياضيات وشجعوا بذلك على منهج

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ١١١)، الدائرة الأولى، مادة ابن تيمية، ترجمة: محمد بن شنب.

(٢) د. علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار الفكر العربي ـ القاهرة ط = ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م. نقلا من: حاشية كتاب: لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي،(٢/ ١٢٩م)، مطابع السفير ـ الإسكندرية ـ ١٩٧٩م.

(٣) لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي، (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

التفكير العلمي، فقد حصروا هذه العلوم في نطاق خاضع للدين، حتى إن بعض الفقهاء المدققين كابن تيمية رفضوا الإمعان في التعمق فيها، وهكذا وضع ابن تيمية كتابه في (دحض المنطق))»(١).

فالحق أن الشيخ ابن تيمية لم يعتمد على القياس المنطقي القائم على العقل وحده، بل الأصل المعتمد عنده النقل الذي يستنير العقل بهديه.

وشهد على ذلك المستشرق جيب في حديثه عن ابن تيمية أنه: «يرى أن طالب العقائد من العقل وحده كحاطب ليل، وأن الفلسفة عندما خاضت في الإلهيات ضلت، وعندما اقتصرت على الأرضيات أنصفت وتميزت، فالعقل وحده عاجز عن درك حقائق الدين، ولا بد من النقل»(٢).

المطلب الثامن :موقف الشيخ ابن تيمية من الصحابة في نظر بعض المستشرقين:

جاء في دائرة المعارف عن ابن تيمية: «وطعن كذلك على الذين يعتبرون حجة في الإسلام، فقال من منبر جامع الصالحية: إن عمر بن الخطاب وقع في كثير من الأخطاء. وقال أيضا: إن علي بن أبي طالب أخطأ ثلاثمائة مرة»(٣).

نقول وبالله التوفيق:

مصدر هذه الدعوى عند الرافضة وممن تلقفها من بعض المستشرقين ما ورد في كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثانية، ١/١٥٤- ١٥٥): في ترجمته للشيخ ابن تيمية أنه «منهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم، ولقوله: إنه كان مخذولا حيث ما توجه، وأنه حاول الخلافة مرارًا فلم ينلها، وإنما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله: إنه كان يحب الرياسة، وإن عثمان كان يحب المال، ولقوله: أبو بكر أسلم شيخًا يدري ما يقول وعلى أسلم صبيًا، والصبي لا يصح إسلامه على قول، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، ومات مانسبها من الثناء على..... وقصة أبي العاص بن الربيع

---

(١) جيب: هـ. أ. ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، (ص:٣٣).

(٢) المستشرق جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي،(ص: ٤٧)، ترجمة: د. عادل العوا.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ١١٢)، الدائرة الأولى، مادة ابن تيمية، ترجمة: محمد بن شنب.

وما يؤخذ من مفهومها، فإنه شنع في ذلك، فألزموه بالنفاق لقوله ﷺ: (ولا يبغضك إلا منافق))»[١].

وللرد عليهم نقول وبالله التوفيق:

أولا: ليس هذا من كلام ابن حجر، وإنما هو منسوب إليه، وما هو إلا نص طويل نقله ابن حجر في الدرر الكامنة عن رحلة محمد بن أحمد بن أمين الأقشهري ت٧٣١هـ)[٢].

ثم إن هذا النقل عن ابن حجر رحمه الله ليس على سبيل التقرير: وإنما اقتصار على الذم والكذب على شيخ الإسلام، علما أنه لا يوجد في كتب ابن تيمية الدليل على الافتراءات المنسوبة إليه من سب للصحابة، أو التقليل من شأنهم،و لعل الذين ينقلون عن ابن حجر رحمه الله تلك الأقوال التي ظاهرها الطعن في الخلفاء الراشدين، إنما يريدون الانتصار لأهوائهم المنحرفة، فيذهبون إلى أقوال ابن حجر رحمه الله ويخرجونها من سياقها، ويستشهدون بها لخدمة آرائهم؛ لذا تلقف بعض المستشرقين مثل تلك الافتراءات من الكتب القديمة والحديثة، فأصبحوا يوردون أقوال لشيخ الإسلام رحمه الله في ظاهرها الطعن في خلافة علي ﷺ ، ويتركون الأقوال المحكمة في إثباتها، ويتمسكون بتلك الأقوال المشتبهة، أو التي كان سياقها سياق رد وليس سياق تحرير وتقرير؛ وهم بهذا العمل يخالفون المنهجية العلمية الصحيحة.والحق أن ابن تيمية رحمه الله له أقوالاً كثيرة، تحمل في طياتها براءة كاملة في دعوى أنه يطعن في خلافة علي ﷺ منها:قوله رحمه الله: «وعلي ﷺ لم يقاتل أحدًا على إمامة من قاتله، ولا قاتل أحدًا على إمامته نفسه، ولا ادعى أحد قط في زمن خلافته أنه أحق بالإمامة منه، لا عائشة، ولا طلحة،ولا الزبير، ولامعاوية وأصحابه،ولا الخوارج، بل كل

(١) العسقلاني: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ١/ ١٦٥ـ ١٦٦)، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة ـ عابدين / مطبعة المدني ـ ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

(٢) انظر: العسقلاني: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (١/ ١٦٣)

الأمة كانوا معترفين بفضل علي وسابقته بعد قتل عثمان، وأنه لم يبق في الصحابة من يماثله في زمن خلافته»[(١)].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك علي، لم يتخاصم طائفتان في أن غيره أحق بالإمامة منه، وإن كان بعض الناس كارهًا لولاية أحد من الأربعة فهذا لابد منه، فإن من الناس من كان كارهًا لنبوة محمد ﷺ، فكيف لا يكون فيهم من يكره إمامة بعض الخلفاء؟»[(٢)].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «و ليس في الصحابة بعدهم من هو أفضل منه، ولا تنازع طائفة من المسلمين بعد خلافة عثمان في أنه ليس في جيش علي أفضل منه، [و] لم تفضّل طائفة معروفة عليه طلحة والزبير، فضلاً أن يفضل عليه معاوية فإن قاتلوه مع ذلك لشبهة عرضت لهم فلم يكن القتال له لا على أن غيره أفضل منه ولاأنه الإمام دونه و لم يتسمَّ قط طلحة والزبير باسم الإمارة ولا بايعهما أحد على ذلك»[(٣)].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، آخر الخلفاء الراشدين المهديين»[(٤)].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «و لم يسترب — أي يشك — أئمة السنة وعلماء الحديث أن عليًا أولى بالحق، وأقرب إليه، كما دل عليه النص»[(٥)].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «و جماهير أهل السنة متفقون على أن عليًا أفضل من طلحة والزبير، فضلاً عن معاوية وغيره»[(٦)].

والأسلم لرد شبهات الروافض كما قال الأستاذ سليمان الخراشي: «أن أجدى طريقة لكف بأس الروافض هو مقابلة شبهاتهم بشبهات خصومهم من الخوارج والنواصب، أي مقابلة هذا الطرف بذاك الطرف المقابل له، ليخرج من بينهما الرأي الصحيح الوسط»[(١)].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة،(٦/ ٣٢٨ ــ ٣٢٩)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة،(٦/٣٢٩)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة،(٦ / ٣٣٠)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم.

(٤) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٣ / ٤٠٦).

(٥) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٤ / ٤٣٩).

(٦) ابن تيمية: منهاج السنة،(٤ / ٣٥٨)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم.دار الكتاب الإسلامي.

فابن تيمية استشهد رحمه الله في بعض كتبه للرد على الروافض في قضية سب بعض الصحابة، بِشُبَه النواصب والخوارج في علي ﷺ لدحض حجج الروافض بقصد إحراجهم، وهو لا يقصد بهذا التنقص من علي ﷺ نحو قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهؤلاء هم الذين نصبوا العداوة لعلي ومن والاه، وهم الذين استحلوا قتله، وجعلوه كافرًا، وقتله أحد رؤوسهم (عبد الرحمن بن مِلْجَم المرَادي) فهؤلاء النواصب الخوارج المارقون إذ قالوا: إن عثمان وعلي بن أبي طالب ومن معهما كانوا كفارًا مرتدين، فإن من حجة المسلمين عليهم ما تواتر من إيمان الصحابة، وما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة من مدح الله تعالى لهم، وثناء اللّه عليهم، ورضاه عنهم، وإخباره بأنهم من أهل الجنة، ونحو ذلك من النصوص. ومن لم يقبل هذه الحجج، لم يمكنه أن يثبت إيمان علي بن أبي طالب وأمثاله. فإنه لو قال هذا الناصبي للرافضي: إن عليا كان كافرًا، أو فاسقًا ظالمًا، وأنه قاتل على الملك لطلب الرياسة لا للدين، وأنه قتل من أهل الملة من أمة محمد ﷺ بالجمل، وصفين، وحروراء، ألوفًا مؤلفة، و لم يقاتل بعد وفاة النبي ﷺ كافرًا، ولا فتح مدينة، بل قاتل أهل القبلة، ونحو هذا الكلام الذي تقوله النواصب المبغضون لعلي ﷺ لم يمكن أن يجيب هؤلاء النواصب إلا أهل السنة والجماعة، الذين يحبون السابقين الأولين كلهم،ويوالونهم. فيقولون لهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، ونحوهم، ثبت بالتواتر إيمانهم، وهجرتهم، وجهادهم، وثبت في القرآن ثناء الله عليهم، والرضى عنهم، وثبت بالأحاديث الصحيحة ثناء النبي ﷺ عليهم خصوصا وعمومًا، كقوله في الحديث المستفيض عنه:(لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا)، وقوله: (إنه قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر)، وقوله عن عثمان: (ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟) وقوله لعلي: (لأعطين الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، يفتح اللّه على يديه)، وقوله: (لكل نبي حواريون، وحواريي الزبير) وأمثال ذلك. وأما الرافضي فلا يمكنه إقامة الحجة على من يبغض عليًا من النواصب، كما يمكن ذلك أهل السنة الذين يحبون الجميع»[٢].

---

(١) الخراشي: سليمان بن ناصر، شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبيًا،(ص:٤٨)، ط١، دار الوطن للنشر ـــ الرياض، السعودية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٤/٤٦٨ ــ ٤٦٩).

فمن خلال هذه النص وأمثاله اعتقد الروافض بغض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ والنصوص الثابتة عن شيخ الإسلام ابن تيمية خلاف ذلك؛ فقد أثبت ابن تيمية فضل علي ابن أبي طالب ﷺ كما سبق وأن استشهدنا بذلك من كتبه.وكما أشاد ابن تيمية رحمه الله بفضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي في كثير من مؤلفاته، منها على سبيل المثال:قوله: «إن أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وكان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ هم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، الذين قال فيهم النبي ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تَمَسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة.). وقد تنازع كثير من الناس في خلافة عليّ، وقالوا: زمانه زمان فتنة، لم يكن في زمانه جماعة. وقالت طائفة: يصح أن يولي خليفتان، فهو خليفة، ومعاوية خليفة، لأن الأمة لم تتفق عليه، و لم تنتظم في خلافته.والصحيح الذي عليه الأئمة: أن عليًا ﷺ من الخلفاء الراشدين»(٢).

وللأسف نجد بعض المستشرقين ردد بعض قم الرافضة المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، من غير تبصر وروية، وهذا أحد مناهج المستشرقين الذين يستشهدون بأقوال المخالفين للوقوف ضد المنهج السلفي الصحيح.

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة،(٧/ ٥٠٠)، تحقيق:د. محمد رشاد سالم.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى،(٤ / ٤٧٨ ــ ٤٧٩).

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من ابن قيم الجوزية (٦٩١هـ/٧٥١ هـ):

المطلب الأول:التعريف به:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي الزرعي، ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية[١].

ولد في اليوم السابع من شهر صفر لعام ٦٩١هـ،[٢] وقيل إنه ولد في زرع وقيل في دمشق.وقبل ولادة الشيخ ابن قيم الجوزية وقع في حياة المسلمين حادثان لهما أكبر الأثر في تنبيه المسلمين، وبعث الروح الدينية في قلوبهم،حيث ظهرت الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين من سنة ٤٩٠هـ إلى ٦٩٠ هـ،[٣] وكذلك هجمات التتار على العالم الإسلامي التي انتهت بسقوط بغداد، وتدمير الشام، وتهديد مصر[٤].

وكان العالم الإسلامي آنذاك يموج في خلافات مذهبية وفكرية، كان لها الأثر الكبير في تحريف الأفكار، وتعدد اتجاهاتها فقام الدعاة والمصلحون بمحاربة الأفكار الباطلة، ومن بين العلماء البارزين الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية.

وقد عاش ابن قيم الجوزية رحمه الله في أواخر القرن السابع، وأوائل القرن الثامن الهجري، ولم يسلم ابن قيم الجوزية من تأثير بعض هذه المذاهب الفكرية لولا أن هيأ الله له الشيخ ابن تيمية، فأخذ به إلى طريق النجاة، وقد أقر ابن القيم بنفسه أنه كان قد وقع في

---

(١) انظر ترجمته: ابن العماد: الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ١٠٣٢هـ ـ ١٠٨٩م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،(٨ / ٢٨٧)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرنؤوط.

(٢) انظر: الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ، الوافي بالوفيات،(٢/ ١٩٥)، طالعه: يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي، أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ،(١٠ / ١٤٣) (حوادث سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)، راجعه وصححه:الدكتور محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد علي بيضون.

(٤) الأتابكي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى ٨١٣ ـ ٨٧٤هـ، النجوم الزاهرة،(٧ / ٥٠)، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.

بعض المهالك حتى أتاح الله له من أزال عنه تلك الأوهام، وأخذ بيده إلى الطريق السوي، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١).

وتولى الشيخ ابن قيم الجوزية راية التجديد بعد شيخه ابن تيمية وعمل على نشر علم شيخه في الآفاق، وهذب كتبه. قال ابن حجر عن الإمام ابن قيم الجوزية ثناء عليه: ((وكان جريء الجنان، واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حبّ ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه))(٢).

وللأسف نجد بعض المغرضين فهم من مقولة الشيخ ابن حجر خلاف ذلك، وظن بالشيخ ابن قيم الجوزية التبعية والتعصب. ولم يفهم أن التلاميذ دائما ينتصرون لشيوخهم، ويرثون علمهم، وفضلهم، ويظهرونه في أبهى حلة من باب الدعوة، ونشر العلم، وقد تعلم ابن قيم الجوزية على يد عدد كبير من الشيوخ، جمعهم الشيخ بكر أبو زيد ـ وذكر منهم: خمسة وعشرين.

منهم:قيم الجوزية: والده، وشيخ الإسلام ابن تيمية ،وابن عبد الدائم: أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي مسند وقته ، وأحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي وابن الشيرازي: ذكر في مشيخة ابن القيم، ولم يذكر نسبه فاختلف فيه.والمجد الحراني: إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء شيخ الحنابلة، وابن مكتوم: إسماعيل الملقب بصدر الدين، والمكنى بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم القيسي،والكحال: أيوب زين الدين بن نعمة النابلسي الكحال رحمه الله.،والإمام الحافظ الذهبي، الحاكم: سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي، مسند الشام، وكبير قضاتها. وشرف الدين ابن تيمية: عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري أخو شيخ الإسلام، وبنت الجوهر:

---

(١) انظر: ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين بن أبي بكر،اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق،(ص: ٢٤)، إعداد وتحقيق: الدكتور. عواد عبد الله المعتق، ط١، مطابع الفرزدق التجارية ـــ الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) العسقلاني: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (٤/ ٢١)

فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي، المسندة المحدثة رحمها الله. ومن تلاميذه كثر، ذكر منهم الشيخ بكرأبو زيد: أحد عشر، ونذكر بعضهم: البرهان بن قيم الجوزية: ابنه برهان الدين إبراهيم،والإمام الحافظ ابن كثير، الإمام ابن رجب، والسبكي: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، والإمام الحافظ الذهبي، الحافظ ابن عبد الهادي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي، والفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، صاحب القاموس.وله مؤلفات كثيرة، وقد تتبعها الشيخ بكر أبو زيد فبلغت حوالي (٩٨) كتابا[١].

ومن هذه الكتب: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

توفي رحمه الله في ليلة الخميس ٧٥١/٧/١٣هـ وقت أذان العشاء، وبه كمل له من العمر ستون سنة.

المطلب الثاني :موقف بعض المستشرقين من ابن قيم الجوزية:

ظن بعض المستشرقين أن ابن قيم الجوزية هو شخصية مطابقة لشخصية الشيخ ابن تيمية؛ لذا لم يتناوله كثير منهم على وجه الإفراد بالنقد والدراسة، وغالبا مايكون نقدهم له على أنه شخصية لا تختلف عن شخصية ابن تيمية، وكثيرا ما يجمعون بين الشيخين في كثير من انتقاداتهم ودراساتهم.

ومن المؤكد أن كثيرًا من المستشرقين سلكوا ذلك المسلك في دراساتهم. معتمدين على ماكتبه بعض أتباعهم، ونخص منهم: زاهد الكوثري. فقد ذكر عن ابن قيم الجوزية في بعض تحقيقاته قوله:

---

(١) انظر: أبو زيد: بكر عبد الله، ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده،(من ص: ١٩٩ ــ ٣٠٩)، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع ــ الرياض ١٤١٢ هـ.

ويجد القارئ في كتابنا هذا الرد على ابن تيمية، كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثاني إنما يردد صدى الأول في أبحاثه كلها، دون أن تكون له شخصية خاصة، بل هو ظل الأول في كل آرائه، وجميع أهوائه..[1].

وقوله أيضا عن ابن قيم الجوزية بأنه: «لم يكن غير شيخه في المعنى بل هما قماش واحد، ذاك ظهارته، وهذا بطانته، ذا ك يُسَود، وهذا يبيض، عمله جله تزويق بضائع شيخه بحيث تروج، يقلده في كل شيء، وليس له رأي خاص قطعا على سعته في العلم»[2].

وهذا افتراء على الشيخ ابن قيم الجوزية،فالشيخ ابن قيم الجوزية تختلف شخصيته عن شيخه ابن تيمية، فالمتتبع لمؤلفات الشيخ ابن قيم الجوزية يجد فيها جملة من المسائل التي خالف فيها شيخه، ومؤلفات لم يتطرق إليها الشيخ ابن تيمية، ومن أمثلة ذلك: (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) فمباحثه لم يتطرق إليها الشيخ ابن تيمية، كذلك كتابه (مفتاح دار السعادة) وغير ذلك من المؤلفات.

وقد استعرضت ماكتبه بعض المستشرقين عن ابن قيم الجوزية فوجدت هذا الجمع بين الشيخين في نص ورد في دائرة المعارف الإسلامية، جاء فيه عن ابن القيم: «وكان في كل شيء تلميذا أمينا لشيخه ابن تيمية، أخذ بجميع أقواله، وناله اضطهاد حتى في حياة شيخه. وقد ألقى به في السجن لما حرم الحج إلى حبرون [مسجد إبراهيم] وكان كأستاذه يحارب الفلاسفة والنصارى واليهود، كما كان يرى أن ثواب الجنة أبدي، وعذاب النار موقوت»[3].

---

(١) انظر: السبكي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي ٦٨٣هـ / ٧٥٦هـ، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، وعليها تعليقات للكوثري أسماها (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم)،(الحاشية ص: ١٩٢)، ط١، مطبعة السعادة ــ مصر، ١٣٥٦هـ.

(٢) الكوثري: محمد زاهد، صفعات البرهان على صفعات العدوان وهي نقض ماكتبه السيد محب الدين الخطيب في مجلة الزهراء ج ٥ م ٥، عني بنشرها تلميذ الأستاذ المؤلف: حسام الدين المقدسي،(ص: ٣٢ ــ ٣٣) دمشق، مطبعة الترقي عام ١٣٤٨هـ.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية،(١ / ٢٦٨)، مادة ابن قيم الجوزية كتبها بروكلمان،(الدائرة الأولى).

نقد النص:

لقد حارب ابن قيم الجوزية الفلاسفة، ولكن الصدارة كانت لشيخ الإسلام ابن تيمية، فالمتتبع لكتب ابن قيم الجوزية في هذا المجال يجد أنه لم يصل لمكانة شيخ الإسلام من التعقيب والنقض للفلاسفة.

وأما بالنسبة لليهود والنصارى فقد كان مثل شيخه، حيث بين فساد العقيدة الألوهية عند اليهود والنصارى، مستعينا بالأدلة النقلية والعقلية لبيان بطلان وفساد أقوالهم، من خلال مؤلفاته التي اشتهر بها للرد عليهم نحو: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

أما قولهم: «كان يرى أن ثواب الجنة أبدي، وعذاب النار موقوت»[1]

فيفهم من هذا النص أن ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية كانا يريان خلود النعيم في الجنة، بخلاف العذاب في النار فهو موقوت، وفي هذا الكلام نظر:

دلت النصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على خلود النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ البقرة: ١٦١ - ١٦٢.

ففي الآية دلالة واضحة على خلود الكفار في النار، وأنهم لا يخرجون منها، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ النساء: ١٤، وغير ذلك من الآيات الدالة على خلود أهل النار.

وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: ياأهل الجنة لا موت، وياأهل النار موت، كل خالد فيما هو فيه»[2].

(١) دائرة المعارف الإسلامية، (١ / ٢٦٨)، مادة ابن قيم الجوزية كتبها بروكلمان،(الدائرة الأولى).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه،(١١ / ٤٠٦)، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب.

وقال الإمام أحمد: «وإن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلا، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلقه الخلق، وخلق لها أهلا، وعذابها دائم»[(١)].

فمن خلال هذه النصوص تبين أن عقيدة أهل السنة والجماعة الاعتقاد الجازم في أبدية الجنة والنار، وأن الله خلقهما للبقاء لا للفناء.

وبالتالي فالصحيح أن الله تعالى يخرج من يشاء من النار، أما الكفار فيبقون في النار بقاء أبديا لا انقضاء له، وهذا هو المذهب الحق، لكن بعض العلماء يرى أن الكفار يمكثون في النار إلى أن يأذن الله بفناء النار، فتفنى وينتهي العذاب.

وهؤلاء العلماء اعتمدوا على بعض الآثار، ومنها الأثر المروي عن أبي هريرة ﷺ قوله: «ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ هود: ١٠٦.

وقد ذكره بسنده ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح،[(٢)] وإسناده صحيح، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في حاشية كتاب: (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) تعليقا على هذا الحديث:

قال عبيد الله (ابن معاذ شيخ إسحاق): كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين. وسنده صحيح، فالتشكيك في ثبوته كما تقدم عن البغوي مردود، إن أقره المصنف، ومعناه جزما كما قال هو»[(٣)].

فلا يدل هذا الأثر على فناء النار، كما في تتمة الأثر: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدون) وبالتالي فإن هذا الأثر لا يدل على فناء النار.

---

(١) طبقات الحنابلة، للقاضي أبي يعلى، (١ / ٣٤٤).

(٢) انظر: الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي المعروف بابن قيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، (ص: ٣٩٧)، تحقيق ودراسة الدكتور: السيد الجميلي، ط١، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـــ لبنان، توزيع دار الهدى ـــ الرياض. ١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م.

(٣) الصنعاني: السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، (ص: ٧٥ ـــ ٧٦)، الحاشية رقم (٣٢) ط١، المكتب الإسلامي ـــ بيروت ـــ دمشق، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٤.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية أدلة القائلين بفناء النار على هيئة مناظرة نقلا لحكايتهم، فقال: «قال أصحاب الفناء: الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة»(١).

وحين انتهى من ذكر مناقشاهم قال: «فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب»(٢).

وقد ادعى الحصني ومن تبعه من المستشرقين أن ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية قالا بفناء النار.

كتب الحصني منتقدا ابن تيمية في مسألة فناء النار:

«واعلم: أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفنى، وأن الله تعالى يفنيها، وأنه جعل لها أمدا تنتهي إليه، وتفنى ويزول عذابها، وهو مطالب، أين قال الله ﷻ وأين قال رسول الله ﷺ وصح عنه، وقد سفه الله تعالى في ذكره في كتابه العزيز كما سفهه في تتريهه لنفسه»(٣).

وقد تبعه زاهد الكوثري واقم شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه يتابع الجهمية في قولهم بفناء النار(٤).

وقد اعتمد زاهد الكوثري على ابن حجر الذي ذكر الأقوال في فناء النار عند ابن القيم(٥).

ولعل من نقل عن ابن تيمية قوله في فناء النار قد اعتمد على كتابه (الرد على من قال بفناء الجنة والنار) الذي يؤيد وينتصر لمقولة فناء النار، ويبدو أنه من كتب ابن تيمية في بداية حياته وهذا مائؤيده بعض المحققين، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على كلام ابن تيمية عن فناء النار:

---

(١) ابن قيم الجوزية،حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،(ص: ٤٠٠)، تحقيق الدكتور: السيد الجميلي.

(٢) ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،(ص: ٤٢٤)، تحقيق الدكتور: السيد الجميلي.

(٣) الحصني: تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي ت ٨٢٩هـ، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد،(ص: ٥٨)، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ١٣٥٠هـ .

(٤) انظر: عبد الكافي: تقي الدين أبو الحسن علي ت ٦٨٣هـ، السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل السبكى، الحاشية،(ص: ٢٤)، المكتبة الأزهرية للتراث ـ ٢٠٠٣ م.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، (١١ / ٤٢٢)

«ولعل ذلك كان منه أبان طلبه للعلم، وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسنة، وتضلعه بمعرفة الأدلة الشرعية، في الوقت الذي كان يحسن الظن بابن عربي الصوفي القائل بأن عذاب الكفار في النار لا يستمر، بل ينقلب عليهم إلى عذوبة يتلذذون بها»[١].

كما قال الصنعاني أيضا بأن ابن تيمية يقول بفناء النار، وأنه حامل لوائها، ومشيد بنائها[٢].

ومثل هؤلاء المعارضين يستدلون بنصوص مجملة، بخلاف أدلة القائلين أنه يقول بفناء النار، فقد استدلوا بنصوص صريحة.

ولكن ابن تيمية وفق للصواب كما تدل النصوص على ذلك نحو قوله:

«وقد اتفق سلف الأمة، وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم، ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك»[٣].

وقال ابن تيمية في مناقشة مسألة التسلسل: «فإن نعيم الجنة، وعذاب النار دائمان، مع تجدد الحوادث فيهما»[٤].

كذلك تلميذه ابن قيم الجوزية قال عن أبدية النار: «وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال، والأعمال، والمآكل، والمشارب، ودار الخبيثين ــ فالله تعالى ــ يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لاطيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة، فإنه لايبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض»[٥].

---

(١) الصنعاني: السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، (ص: ٢٥).

(٢) انظر:الصنعاني: السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، (ص: ٦٣).

(٣) ابن تيمية، الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٨ / ٣٠٧).

(٤) منهاج السنة النبوية، ١ / ١٤٦).

(٥) الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الشهير بابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تعليق: محمد منير أغا الدمشقي،(ص: ٢٦)، ط٣، الناشر: مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان سنة الطبع ١٣٩٢هـ.

ونقل ابن القيم عقيدة ابن الحداد،[١] وفيها:

«الجنة حق، والنار حق، وأنهما مخلوقتان، لا يبيدان، ولا يفنيان»[٢].

وقد أقره على ذلك ووافقه.

---

(١) أبو نعيم: عبيد الله بن الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني الحداد،محدث حافظ، مؤلف أطراف الصحيحين، ولد سنة ٤٦٣ هـ وتوفي سنة ٥١٧هـ (انظر: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء،(١٩ / ٤٨٦)، الترجمة رقم (٢٨٣)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط) .

(٢) ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين بن أبي بكر،اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق،(ص: ١٧٧)، إعداد وتحقيق: الدكتور. عواد عبد الله المعتق.

الفصل الخامس

موقف بعض المستشرقين من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياة محمد بن عبد الوهاب.(التعريف بالشيخ)

المبحث الثاني: افتراءات بعض المستشرقين على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته.

المطلب الأول:تسميتها بالدعوة الوهابية.

المطلب الثاني: دعوى أنها دين ومذهب جديد.

المطلب الثالث: دعوى أنها فرقة وعقيدة جديدة.

المطلب الرابع: تهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه يدعي النبوة.

المطلب الخامس: إنكار الحديث النبوي.

المطلب السادس: دعوى أنها تدين تعظيم وتقديس الأولياء والصالحين.

المطلب السابع: تهمة التكفير وفق منهج الخوارج.

المطلب الثامن: تهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالتزمت والتعصب.

المطلب الثامن: دعوى أنها تدين تعظيم وتقديس الأولياء والصالحين.

المبحث الأول

حياة محمد بن عبد الوهاب

(التعريف بالشيخ)

هو: «محمد بن عبد الوهاب،[(١)] بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن هيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»[(٢)].

«ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد التميمي سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٣م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض.ونشأ الشيخ في حجر أبيه عبد الوهاب في تلك البلدة في زمن إمارة عبدا لله بن محمد بن حمد بن مُعمَّر»[(٣)].

---

(١) لقد شكك بعض المستشرقين في اسمه حيث يقول المستشرق ج. ج. لوريمر فيما كتبه عن مؤسس الوهابية ـــ على حد تعبيره ـــ: " بل حتى اسمه مختلف عليه، فيقول البعض إنه عبد الوهاب، ويؤكد البعض الآخر أن عبد الوهاب هو اسم أبيه، وأنه هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان.

لوريمر: ج. ج. تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، جمع وتعليق: د. محمد بن سليمان الخضيري،(ص: ٢٦)، دار غارنت للنشر ـــ المملكة المتحدة، توزيع شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـــ لبنان، طبعته دارة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠١ م.

ومن المستشرقين ممن سماه عبد الوهاب المستشرق (جوهان لود فيج بوركهارت)، انظر: بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، (ص: ٩)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٠٥ هـــ / ١٩٨٥م.

وقد بين الدكتور: عبد الله الصالح العثيمين في حاشية الكتاب رقم (٢) أن منشأ الخطأ بسبب ماتناقله بعض المستشرقين عن تسمية المستشرق ديبور حيث كان ديبور أول أوربي تكلم عن الشيخ وسماه خطأ عبد الوهاب.

(٢) آل شيخ: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم،(ص: ٢٠)، تحقيق وتعليق المؤلف نفسه، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـــ ١٣٩٤هـــ.

(٣) آل بن علي:العلامة أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه) (ص: ١٥)، قدم له وصححه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،ط٢، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـــ توزيع المكتب التعليمي السعودي بالمغرب،١٣٩٣هـــ.

=

وقد أخطأ بعض المستشرقين في تاريخ ولادته، حيث ذكروا أنه ولد بتاريخ ١٦٩١م،منهم المستشرق: هيوجس (Huges)، في كتابه: (Dictionary) ص: ٦٥٩، وولفرد في (Pilgrimage to Najd) (ملحق ص: ١٢٥)وزويمر في كتابه (Thecradlo of Islam Arabia)[1].

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كنف والده الشيخ عبد الوهاب ابن مفتي الديار النجدية سليمان بن علي، وقد تنقل في شبابه مع والده الذي كان قاضيًا في سدير، ثم في العُيينة، ثم في حريملاء. وكان والده وجده وأعمامه أهل علم وفضل، ومكانة مرموقة في نجد، إذ كان والده عبد الوهاب عالمًا بالحديث، والفقه، والعربية، مرجعًا لأهل بلده في الدين، والقضاء، والفتوى[2].

وقد كان والده علامة نجد في زمنه، وقد ألف عدة رسائل في الفقه، والتفسير، والحديث، فاشتغل بالعلم منذ صغره، فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العيينة كالشيخ محمد بن ناصر، وقد درس بعض المسائل الفقهية، وأفتى، وكتب فيها. وقد توفي في حريملاء عام (١١٥٣هـ) وخلف ابنين هما الشيخ محمد، والشيخ سليمان[3].

وعم الإمام الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مشرف توجهت همته إلى الفقه وانصرف إليه بكليته، فحصَّل واستفاد، وأفاد، وكتب من كتب الفقه شيئًا كثيرًا بيده[4].

أما خال الإمام الشيخ سيف بن محمد عَـزَّاز فقد مهر في الفقه مهارة تامة وتصدى

و انظر:خزعل: حسين خلف الشيخ، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب،(ص: ٥٥)، ط ٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

(١) انظر: الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، حاشية الكتاب ،(ص: ٢٦)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي، ط١، دار الداعي للنشر والتوزيع، الرياض، مركز العلامة عبد العزيز بن باز ــ جامعة ابن تيمية ــ بيهار ــ الهند ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.

(٢) انظر:العجلان: د. عبد الله بن محمد، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث،(ص: ٣٧ ــ ٣٨)، ط١، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٣) انظر: البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال ستة قرون،(١ / ٦٦٩)، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ.

(٤) انظر: البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال سنة قرون،(١ / ١١٠).

للإفتاء والتدريس،حتى أخذ عنه جملة من علماء نجد[1].

هكذا كانت البيئة التي نشأ بها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بيئة علم، ودين، وقضاء.وظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق منذ كان صبيًا، فكان معروفًا بحدة الفهم، وسرعة الحفظ، ووقادة الذهن، كما كان فصيحًا فطنًا في كلامه[2].

ذكر المستشرق (مرجليوث) بصيغة التضعيف عن رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قوله: «ثم اتجه إلى أصفهان في بداية حكم نادرشاه (١١٤٨هـ / ١٧٣٦م) ودرس هناك ــ كما يقال ــ لمدة أربع سنين فلسفة أرسطو، والإشراقية، والصوفية، ثم اتجه إلى قم. وبعد هذا التطواف ارتاح إلى مذهب أحمد بن حنبل فغدا من كبار المدافعين عنه»[3].

والحقيقة أن هذا المستشرق اعتمد على كتاب لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب كما صرح بذلك،[4] وهذا الكتاب لمؤلف مجهول، وقد اعتمد على هذا المرجع عدد من الكتاب المستشرقين ممن كتب عن الحنابلة، لدرجة أن (مرجليوث) نفسه صرح أن مؤلف الكتاب معادٍ للشيخ محمد بن عبد الوهاب،وقد أسندت دارة الملك عبد العزيز بالرياض ــ مشكورة ــ إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل شيخ مسؤولية التحقيق والتعليق على هذا الكتاب؛ للرد على ماجاء فيه من مفتريات[5].

والحق أن الشيخ أخذ العلم عن أجل علماء نجد في بلده، كما أخذ العلم عن أجل علماء البحرين والبصرة، والتقى بعلماء الإحساء، وغيرهم من علماء الأقطار التي زارها، وفيهم عدول زمانهم، الذين اتصل بهم سند الشيخ إلى من قبلهم ممن اتصل سنده بالسلف الصالح، وجميع العلماء الذين أخذ عنهم قد أجازوه، وقرروا له التوحيد، واستحسنوا اتجاهه وأقروه

---

(١) انظر: البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال سنة قرون،(١/ ٣٢٩).

(٢) انظر:بن غنام: الشيخ الإمام حسين، تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، حرره وحققه الدكتور:ناصر الدين الأسد، قابله على أصله: الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،(١/ ٧٥)، ط٣، مطابع شركة الصفحات الذهبية ــ الرياض، ١٤٠٣هــ.

(٣) موجز دائرة المعارف،(٣٢. / ١٠١٧٣).

(٤) انظر: موجز دائرة المعارف،(٣٢. / ١٠١٧٣).

(٥) انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٨٨ ــ ٨٩).

على معرفته النيرة لحقيقة الإسلام الذي بعث الله رسوله محمدًا ﷺ به، وحرروا له المعتقد السليم، عقيدة السلف الصالح، وشاركوه في مقت الأعمال المنكرة الشائعة في بلاد المسلمين، وأن بعضها قد وصل إلى الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لمن مات عليه، ولا يصح معه إسلام.

عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيئة جاهلية، بيئة خرافة وبدعة، امتزجت بالنفوس فأصبحت جزءاً من عقيدها ولا شك أن بيئة كهذه عقيدها مناقضة لعقيدة السلف الصالح، مناقضة للإسلام الذي تربى عليه الشيخ، فكان لابد أن يخرج الشيخ إلى هذه البيئة، ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه، ليصدع بالحق ويبصر الناس بالدين الصحيح الموافق للكتاب والسنة، دون أن يخشى في الله لومة لائم[1].

وقد اعتمدت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وفق منهج السلف الصالح، وكان منهجه في الدعوة إلى العقيدة التركيز على الدعوة إلى تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، ومحاربة الشرك والبدع والخرافات. خاصة وأن مجتمعه كان مليئًا بالشركيات والبدع، وبعد الناس عن دين الله ﷻ.

جاء في دائرة المعارف البريطانية أن: «الحركة الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح»[2].

ويقول نيبوهر: «إن عبد الوهاب إنما علم الناس عقيدة السنيين الصافية، فأكبر فقهاء

---

(١) انظر:العبود: د. صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي،(ص: ٧٩)، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المجلس العلمي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

(٢) انظر: الحصين: أحمد بن عبد العزيز، دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية،(ص: ٤٦٤)، تقديم الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ط ١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـ. وانظر: القطان: أحمد، الزين: محمد طاهر، إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التاريخ ـ الدعوة ـ الجهاد ـ المراحل ـ الوفاة ـ الشبهات والرد عليها)،(ص: ٩٥)، راجعه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠١م)،وانظر:آل بن علي: أحمد بن حجر آل بوطامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه،(ص: ٢٥٠)، تقديم: عبد الله السبت، ط١، دار الفتح ـ الشارقة ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد، أو بأي واحد من الأولياء، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله»[١].

توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب «يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ست بعد المائتين والألف (١٢٠٦هـ) وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاما»[٢].

وللشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤلفات عدة في العقيدة، والحديث، والفقه، وغير ذلك من العلوم الشرعية، ومن أهم مؤلفاته وأبرزها كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وقد اعتنى به العلماء والمتعلمون،وخدموه إلى يومنا هذا، وكثرت الشروح والتعليقات عليه، فمنها تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أنه لم يتمه، فكان تمامه من تهذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بدءاً من قوله: (باب ما جاء في المصورين) إلى نهاية الكتاب، ومنها (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) وهو تهذيب وتقريب وتكميل لتيسير العزيز الحميد)، مع زيادة بعض النقول المستحسنة، تتميمًا للفائدة، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ. وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الآن[٣].

ومن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحديث:كتاب (مجموع الحديث على أبواب الفقه) وهذا الكتاب كبير الحجم، بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث، عدا الآثار من أقوال التابعين، وفتاوى الأئمة المجتهدين، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام، وفتاوى التابعين، والأئمة، والإجماع، والتصحيح،

(١) العجلاني: الأستاذ الدكتور: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول (سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته، سيرة محمد بن سعود وحروبه)،(١/ ٣٠١) .

(٢) بن غنام: الشيخ الإمام حسين، تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، حرره وحققه الدكتور:ناصر الدين الأسد، قابله على أصله: الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،(١/ ٨٤).

(٣) انظر: العبود: د. صالح بن عبد الله، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي،(ص: ١٣٢).

والتحسين، والتضعيف، وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج بهم[١].

وقد توفي في حريملاء عام (١٢٠٦هـ)[٢]..لكن بعض المستشرقين خلط في سنة وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقالوا بأنه مات في سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م عن عمر يناهز التسعين[٣].

---

(١) انظر: العبود: د. صالح بن عبد الله، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، (ص: ١٢٤).

(٢) انظر:البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال سنة قرون، (١ / ٦٦٩).

(٣) The Arabian peninsula Society and Politics، p (٥٥)، Edited by derk Hopwood، George Allen and Unwin،Ltd، London.

نقلا من: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٥٨).

المبحث الثاني

افتراءات بعض المستشرقين على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته

المطلب الأول: تسميتها بالدعوة الوهابية[١]:

سمى بعض المستشرقين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(بالوهابية) نسبة إلى والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حتى يضفوا عليها لباسًا آخر، من باب الإيهام أنها دعوة خارجة عن الدين الإسلامي، تقليدا للمعارضين للدعوة.

يقول لويس دوكورانسي[٢]: «واتخذ المصلحون لأنفسهم اسم الوهابيين، نسبة لعبد الوهاب والد الشيخ»[٣].

وهذه التسمية لم تكن معروفة عند أتباع الشيخ، بل هي وصف أطلقها المعارضون لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إبان ظهورها.

قال د.ي. مرجليوث (D.S.Margouth): «وقد أطلق أعداء هذه الجماعة ذلك الاسم (الوهابية أو الوهابيين) عليها أثناء حياة محمد بن عبد الوهاب نفسه وقد درج الأوربيون على استخدام هذا الاسم إشارة لهذه الجماعة المذكورة»[٤].

ويقول الشيخ محمد جميل زينو: «لم تكن الوهابية معروفة عند أتباع الشيخ، وإنما ينبزهم بها خصومهم، بل ينبزون بها كل من دان بمذهب السلف، حتى ولو كان في الهند، أو مصر، وإفريقيا، وغيرها، والخصوم يريدون بهذا اللقب عزل الدعوة عن المنهج السليم»[٥].

---

(١) للتوسع:انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)،(ص: ٨٦).

فقد تناول الكاتب في المبحث الأول من الفصل الثالث، مذهبية الدعوة في الرؤية الاستشراقية ونقدها، المطلب الأول: التسمية بالوهابية، حيث عرض الكاتب أقوال بعض المستشرقين في مصطلح الوهابية مبينا موقفهم من هذا المصطلح مع نقده لهذه التسمية.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) دوكورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ،(ص:٦١)، ط١، ترجمة مجموعة من الباحثين، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣م.

(٤) موجز دائرة المعارف،(٣٢ / ١٠١٧٢).

(٥) زينو: محمد بن جميل، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين،(ص: ٢٧)، ط٢، =

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين: «ومن المعروف أن خصوم أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هم أول من أطلق عليهم اسم (الوهابيين) تشويها لسمعتهم، وتنفيرًا عنهم، لكن هذا الاسم أصبح شائعًا لدى كثير من الكتَّاب، خاصة الأوروبيين، أما أتباع تلك الدعوة فيسمُّون أنفسهم المسلمين، أو الموحدين. وفي الفترة الأخيرة بدأ بعض الكتَّاب يسمّونهم السلفيين»[(١)].

قال المستشرق الفرنسي هنري لاووست: «إن السلفية لقب على الحركة الوهابية لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفائه الأول في عهد السلف الصالح، إن هذه الحركة السلفية تتميز عن غيرها بأن نظرياتها أدنى إلى العقل، وأنها تفتح باب الاجتهاد، وتكافح الخرافات، والغلو في الدين، وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر»[(٢)].

ثم إن بعض المستشرقين أنفسهم اعترفوا أن المصدر لهذه التسمية هم الخصوم المناوئون، فهاهو المستشرق جون حبيب يقول: «الوهابية، ليست وصمة، ولا هي سبة، ولكن العامة نفرت منها زمنا ما، بما غرسته الدعاية العثمانية التركية في النفوس من تشويه لها، ولأهدافها، ولسيرتها، وتاريخها.والنسبة إلى ابن عبد الوهاب، وهو من علماء الإسلام، نسبة إلى دعوة الإصلاح الديني والاجتماعي التي قام بها ابن عبد الوهاب في جزيرة العرب»[(٣)].

قال المستشرق فاسيليف: «إن الوهابية تسمية أطلقها على هذه الحركة خصومها، أو الناس من غير أبناء الجزيرة، وقد ترسخت هذه التسمية في مطبوعات المستشرقين، أما أتباع محمد بن عبد الوهاب فكانوا يسمون أنفسهم بالتوحيديين، أو المسلمين فقط، ولا يسمون

بدون ذكر بيانات الطبع.

(١) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، (ص: ٨)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٢) زينو: محمد جميل، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين،(ص:٩٢).

(٣) حبيب: جون س، الإخوان السعوديون في عقدين (١٣٢٨ـ ١٣٤٩هـ / ١٩١٠ ـ ١٩٣٠م)،عنوان الكتاب في أصله الإنجليزي: IBN SAUD WARRIORS OF ISLAM،(ص: ٣١٠)، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، راجع النص العربي عبد الله الماجد،، ط١، دار المريخ، السعودية ـ الرياض ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

بالوهابيين إطلاقا»[(١)].

قال الدكتور ناصر بن إبراهيم بن عبد الله التويم في معرض نقده لمصطلح الوهابية:

«إن المصطلح في ذاته يحمل دلالة الازدراء، لذا فمن المفترض بناء على المنهج العلمي الموضوعي في البحث وضع مصطلح دقيق لايتضمن اتجاها مذهبيا، وهذا أمر ممكن حتى لايدخل المغرضون من هذا الباب كما هو شأنهم في استخدام العبارات الموهمة، ومن قبل سد الإسلام هذا الباب، ووجه إلى استخدام هذا اللفظ المناسب للمعنى، ولذا جاء نهي المؤمنين عن استخدام كلمة راعنا، وأمرهم باستخدام كلمة انظرنا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤»[(٢)].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول ﷺ عند تعلمهم أمر الدين (رَاعِنَا) أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحًا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد. فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدًا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتمل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع تشويش واحتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة، لا تحتمل إلا الحسن، فقال: (وَقُولُوا انظُرْنَا)فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور»[(٣)].

كما أن مصطلح الوهابية وضع للدلالة على فرقة من فرق الخوارج ظهرت في المغرب

---

(١) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية،(ص: ٨٨)، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة) .

(٢) التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٨٨ ــ ٨٩).

(٣) السعدي: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق،(١/ ٦١)، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

قبل ولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١).

قال الرحالة شارل ديدييه (Charles Didier) (٢): «يرجع ظهور الوهابية إلى منتصف القرن / ١٧٩/ (الثامن عشر)، ومؤسسها هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو عربي من نجد، رجل علم جليل تجول في أنحاء الامبراطورية المختلفة، وحزن لما رآه من فساد عقيدة المسلمين، ولما لاحظه من مفاسد أدرجت ضمن العبادة، وخصوصا لدى الأتراك، وقرر حينئذ أن يقوم بإصلاح ديني عرض مسوغاته في عدد من كتبه، لقد اتخذ من القرآن الكريم وحده أساسًا لإصلاحاته بغض النظر عن كل الشروح، وكل البدع التي تشوه في نظره صفاء الفطرة الأولى، ثم بدأ يدعو إلى العودة بالإسلام إلى مبادئه الأصلية، وإلى الإيمان بالوحدة المطلقة لله ﷻ»(٣).

وبناء على ذلك يتضح ما يلي:

أولاً: خطأ استخدام مصطلح الوهابية وضرورة تجنب الكتّاب المسلمين المدركين حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب استخدام مصطلح الوهابية،وعدم التساهل في هذا الأمر.

ثانيًا: عدم صحة كلام المستشرق(باتريك)(٤)، وعدم دقته حول تسمية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه (بالوهابية) لأجل تمييزهم، فهذا المصطلح يطلق كما تقدم على فرقة سابقة فتنتفي دعوى التميز، كما أنه بالإمكان الاستعاضة عنه بمصطلح أدق كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية، أو نحو ذلك.

ثالثًا: تميز كتابة (جورج رنتز)(٥) من كتابات غيره من المستشرقين، فيما يتعلق

(١) انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٩٠).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) ديدييه: شارل، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي،(ص: ٢٣٤ ــ ٢٣٥)، ترجمة وتعليق د. محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية(مطبعة مركز الملك فيصل الثقافية)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) جورج رنتز George Rentz درس في واشنطن وفي جامعة الفلبين وجامعة كاليفورنيا تخصَّص في اللغة العربية وآدابها. عمل في السفارة الأمريكية في القاهرة. أسَّس قسم البحوث والترجمة في شركة أرامكو، شارك في مشروع التاريخ الشفوي لمنطقة الخليج العربي. عمل أمينًا لمجموعة الشرق الأوسط في جامعة ستانفورد. من =

بالمعلومات الصحيحة والدقيقة حول مفهوم مصطلح (الوهابية) لدى الغرب، وإيحاءات هذا المصطلح، ولكنه من المؤسف أنه انخرط كغيره من المستشرقين في استخدامه، وإن صرح بأنه استخدمه كما يقول لغرض الملاءمة والإيضاح. ولقد انفرد جورج عن غيره من المستشرقين باستخدام مصطلح الموحِّد في عنوان رسالته للدكتوراه بدلاً من استخدام مصطلح (الوهابية) الشائع في الغرب، فقال: «وقد فضلنا استخدام مصطلح (الموحد) عنوانا لهذه الرسالة، وفي أثنائها على مصطلح (الوهابي) إذ إن لفظة موحد كانت بالضبط هي ماأطلقه الشيخ وتلاميذه على أي من أتباعهم..»[1]. فالوهابية لقب أطلقه المعادون لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقصد التنفير منها، وتشويهها.

ولم يكن استعمال (الوهابية) شائعًا عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر أهل السنة والجماعة، فوصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (بالوهابية) يقصد به التشويه والتنفير، وحجب الحقيقة عن الآخرين. بل إن لقب (الوهابية) تعدى الأمر إلى التوسع في إطلاقه على أشخاص وحركات منحرفة عن المنهج السليم، وتخالف ما عليه السلف الصالح، وما قامت عليه هذه الدعوة المباركة، وهذا بسبب تراكمات الأكاذيب والأساطير التي نسجت حول الدعوة وأهلها بالباطل والبهتان.وفي الحقيقة فهي دعوى تنادي بالرجوع إلى الإسلام الصافي، فلا معنى لإفرادها باسم أو وصف (كالوهابية) أو غيره، لكن قد ترد على ألسنة علماء الدعوة ومؤيديها أو غيرهم بعض الأوصاف الشرعية الصحيحة لها، أو لأتباعها، والتي لا تتنافى مع رسالتها مثل، دعوة الشيخ، الدعوة الإصلاحية، دعوة التوحيد، السلفية، وقد يوصف أهلها بالسلفيين والموحدين، وأهل التوحيد، وأهل السنة، والحنابلة، والنجديين. ونحو ذلك من الأوصاف الشرعية الحسنة، أو المقبولة.وللأسف نجد بعض المؤسسات والدوائر الغربية ومن تأثر بها،وقد أصبح مصطلح(الوهابية) عندهم

أبرز اهتماماته حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث كانت موضوع رسالته للدكتوراه، وله كتابات كثيرة عن الجزيرة العربية من النواحي التاريخية والجغرافية. توفي منذ عدة سنوات. من موقع:
http://www.dorar.net/enc/adyan/٧٩٠

(١) كوبر: لي ديفيد، رينتز: جورج، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب،(ص: ١٤٠)، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الله بن ناصر الوليعي،و انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٨٧) .

مصطلحا يرادف: مصطلح التطرف، والإرهاب والعنف، والعدوانية. ونحو ذلك.

المطلب الثاني: دعوى أنها دين ومذهب جديد:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأت بدين جديد، وإنما جاء بدين الإسلام الصحيح.لكن بعض المستشرقين ظن أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد أتى بدين جديد.

قال الأستاذ مسعود الندوي رحمه الله: «ومن أغرب الأوهام ما وقع فيه رئيس المبشرين المسيحيين الراهب (زويمر)، فقد ظن الوهابية، أو الوهابي دينا، أو مذهبا مستقلا كما يشاع»(١).

وذكر الأستاذ مسعود الندوي رحمه الله أن المستشرق (ني بور): «يسمي دعوة الشيخ بدين جديد (New Religion) مع أنه في النهاية يعبر عن (مذهب عبد الوهاب الجديد) بالمحمدية»(٢).

وقال نيبور عن الحركة الوهابية: «منذ حين من الزمن نشأت حركة دينية جديدة..أشعلت ثورة في أرجاء شبه الجزيرة العربية، ومن المحتمل فيما بعد أن يزداد نفوذها في البلاد...فقد علم عبد الوهاب أن الله وحده هو الخليق بالعبادة والدعاء، كخالق الكون، وسيد العالم...واعتبر محمدا، وعيسى المسيح، وموسى، وغيرهم من الأنبياء عند السنة مجرد عظماء، يمكن قراءة سيرهم وتواريخهم مع التصحيح، وأنكر أن يكون أي كتاب قد كتب بالوحي الإلهي، أو أنزل من السماء على يد جبريل...إن دين عبد الوهاب الجديد يستحق إذن أن يعتبر إصلاحا للدين المحمدي، معيدا إياه إلى بساطته الأصلية، ولعله ذهب في ذلك إلى أبعد مما فعله غيره من المصلحين..»(٣).

وقال المستشرق بيتر برينت: «وفي منتصف القرن الثامن عشر ظهر أحد مواطني نجد،

---

(١) الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٤٨)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي.

(٢) رحلة ني بور،(٢ / ١٣٣ ــ ١٣٥)، نقلا من: الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٤٩ ــ ١٥٠)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي.

(٣) المنجد:صلاح الدين، المستشرقون الألمان (تراجمهم ومأأسهموابه في الدراسات العربية) ١/ ٨٧).

وكان قد درس في دمشق، ثم في بغداد، ولكنه كان متأثرًا بمذهب أحمد بن حنبل الصلب، واسم هذا الرجل هو محمد بن عبد الوهاب، وعندما رجع إلى الصحراء، وإلى مواطنيه من رجال القبائل، كرس حياته لنشر مذهب جديد،يمتاز بالصفاء والنقاوة والبساطة»(١).

وقال لي ديفيد كوبر وجورج رينتز: «لقد دخل الرحالة الأوائل بلاد العرب في كثير من الأحيان، وهم يظنون ـــ متأثرين بما سمعوه ـــ أن الوهابية دين جديد»(٢).

والحقيقة أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يأت بدين وبمذهب جديد كما يظن بعض المستشرقين، بل دعا إلى ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة، ثم إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يصل إلى دمشق كما قال المستشرق (بيتر برينت) حيث ذكرت المصادر التاريخية أن نفقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي كانت معه وهو متجه إلى الشام ضاعت منه في الطريق، فأثنى عائدا إلى نجد ومر في طريقه إليها بالأحساء ونزل فيها على الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي، ثم اتجه منها إلى بلدة حريملاء(٣).

وقال أيضا المستشرق جورج رنتز: «إن ابن عبد الوهاب رغب في زيارة دمشق؛ لأنها المركز القديم لعلماء الحنابلة لكنه لم يكن يملك وسائل السفر، فقرر الرجوع إلى الوطن، إلا أنه زار الأحساء ولما رجع إلى نجد، وجد أباه قد انتقل إلى حريملاءِ البلد المجاور»(٤).

والحق أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يأت بدين جديد، بل دعا الناس إلى دين الإسلام الصحيح، وإلى أركانه الصحيحة، وفي ذلك يقول رحمه الله في رسالة له إلى أحمد بن محمد العديلي

---

(١) برينيث: بيتر، بلاد العرب القاصية (رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب)،(ص: ٩٧)، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ـــ دمشق، ١٤١١هـــ / ١٩٩٠هـــ.

(٢) كوبر: لي ديفيد، رينتز: جورج، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب،(ص: ٩٢)، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الله بن ناصر الوليعي.

(٣) انظر: بن غنام: الشيخ الإمام حسين، تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، حرره وحققه الدكتور:ناصر الدين الأسد، قابله على أصله: الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، (١/ ٧٧).

(٤) The Arabian peninsula Society and Politics، p (٥٥)، Edited by derk Hopwood، George Allen and Unwin،Ltd، London

نقلا من: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٦٢).

البكبلي ما نصه: «ما نحن عليه من الدين؟ فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ آل عمران: ٨٥ .

وأما: ما دعونا الناس إليه؟ فندعوهم إلى التوحيد، الذي قال الله فيه خطابًا لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ يوسف: ١٠٨، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾ الجن: ١٨، وأماما نهينا الناس عنه، فقد نهيناهم عن الشرك، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ المائدة: ٧٢ ،وقوله تعالى لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ، وإلا فهو متزه، هو وإخوانه عن الشرك: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ الزمر: ٦٥ – ٦٦.

وغير ذلك من الآيات..»[١].

ومن أقوال بعض المستشرقين ممن شهد أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليست دعوة ديانة جديدة:

قول لويس دوكورانسيه: «إن أساس الدعوة الوهابية هو مبادئ القرآن الكريم التي نزعوا منها المعتقدات الباطلة التي شوهتها لدى المسلمين الآخرين، إذا ليست الوهابية مذهبا جديدا، ولكنها الإسلام في فطرته الأولى، وهي تتصف بكل صفات الدعوات الإصلاحية الأولى»[٢].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٩٥)، الجزء الأول (كتاب العقائد) ط٥، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م (بدون ذكر مكان الطبع).

(٢) كورنسيه: لويس الكسندر أوليفيه، تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م،(ص: ٤٧)، ترجمة: أ.د: محمد خير البقاعي، د. إبراهيم يوسف البلوي، راجع الترجمة وقدم لها وعلق عليها: أ.د. محمد خير البقاعي، ط (بدون) من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، السعودية ـ ١٤٢٦هـ.

وقال جون س[(١)]: «وفي أيام السلطان مصطفى الثالث، بدأ الناس يتحدثون بنبأ فقيه مسلم حنبلي، من أهل العيينة بنجد، اسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان أبوه قاضيًا، ونشأ هو نشأة علمية صالحة، وساءه أن يرى في قلب الجزيرة أباطيل وأضاليل، ألصقها بالإسلام جهال لاحظّ لهم منه، غير التسمي به، والانتساب إليه، فقام يدعو إلى التوحيد الخالص، وتطهير الدين مما علق به من أدران الجاهلية الأولى وبدع الجاهلية الثانية،و جهر بالزجر، فقاومه بعض عشيرته، فقوي عليهم بمناصرة آل سعود له»[(٢)].

كما نفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نفسه أن تكون دعوته دعوة إلى مذهب جديد كما يظن المخالفون والمعارضون، حيث كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة له إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف قوله:

«ولست ولله الحمد ـ أدعو إلى مذهب صوفي، أو فقيه، أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل ابن القيم، والذهبي، وابن كثير، أو غيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه: إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق»[(٣)].

وقال أيضًا الشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، في رده على الأسئلة، التي

---

(١) جون س حبيب، عربي المولد أمريكي الجنسية، يعرف العربية بحكم أن والديه عربيين ويجيد الأنجليزية بحكم تربيته ونشأته في الولايات المتحدة. هذه الثنائية اللغوية مكنته من الأطلاع على المراجع العربية والإفادة منها، يعتبر **كتابه** الأخوان السعوديون في عقدين **من** امهات الكتب التي تناولت موضوع الاخوان بفضل التوثيق الممتاز فيه، فقد لجأ الكاتب الى ثلاثة انواع من المصادر الوثائق الحكومية العامة، الكتب، المقالات الصحفية والزيارات والمقابلات الشخصية غير المنشورة.http://awraqi.wordpress.com /

(٢) حبيب: جون س، الإخوان السعوديون في عقدين (١٣٢٨ـ ١٣٤٩هـ / ١٩١٠ ـ ١٩٣٠م)، عنوان الكتاب في أصله الإنجليزي: IBN SAUD WARRIORS OF ISLAM، (ص: ٣٠٧)، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، راجع النص العربي عبد الله الماجد.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٣٧ ـ ٣٨)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

صدرت من جهة الساحل الشرقي، على يد الأخ: سعد البواردي: «السؤال الأول: قول الملحد المجادل في دين الله: إن الأمر الذي جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مذهب خامس،(١) وغش للأمة؛ فهل يكون هذا القائل سنيًا، أو مبتدعًا؟فالجواب وبالله التوفيق: هذا القائل إنما تدل مقالته هذه على أنه من أجهل خلق الله في دين الله، وأبعدهم عن الإسلام، وأبينهم ضلاله؛ فإن شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنما دعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا؛ وهذا لا يرتاب فيه مسلم، أنه دين الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.وقوله: مذهب خامس. يبين جهله، وأنه لا يعرف العلم، ولا العلماء؛ فإن الذي قام به شيخ الإسلام: لا يقال له مذهب، وإنما يقال له: دين، وملة، فإن التوحيد هو دين الله، وملة خليله إبراهيم، ودين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو: الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفًا وخلفًا، ولا يخالف في هذا إلا من هو مشرك، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ الزمر: ٢ - ٣ ، ووقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة: ٥.

فسماه الله تعالى في هاتين الآيتين، وغيرهما من آي القرآن: دينًا. ولم يسمه مذهبًا.وأما ما جرى على ألسن العلماء. من قولهم: مذهب فلان. أو ذهب إليه فلان، فإنما يقع في الأحكام، لاختلافهم بحسب بلوغ الأدلة، وفهمها، وهذا لا يختص بالأئمة الأربعة رحمهم الله، بل مذاهب العلماء قبلهم، وبعدهم في الأحكام كثيرة، فقد جرى الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم. فللصديق رضي الله عنه مذهب انفرد به، ولابن مسعود كذلك، وكذا ابن عباس، وغيرهم من الصحابة، وكذلك: الفقهاء السبعة من التابعين، وخالف بعضهم بعضًا في مسائل، وغيرهم من التابعين كذلك.وبعدهم أئمة الأمصار، كالأوزاعي إمام أهل الشام، والليث بن سعد

(١) قال المستشرق جون س. حبيب: " كيف يشوهون حركة الإصلاح الإسلامي التي قام بها ابن عبد الوهاب وناصرها آل سعود، وقبلتها جزيرة العرب؟ فليقولوا إن عبد الوهاب مبتدع ليحاربوه بسلاحه. وليزعموا أنه صاحب مذهب خامس.. ويسموا أتباعه بالوهابية. " حبيب: جون س، الإخوان السعوديون في عقدين (١٣٢٨ــ ١٣٤٩هــ / ١٩١٠ ــ ١٩٣٠م)،(ص: ٣٠٨)، ترجمة الدكتور صبري محمد حسن، راجع النص العربي عبد الله الماجد.

إمام أهل مصر، وسفيان بن عيينة، والثوري، إماما أهل العراق، فلكلٍ مذهب معروف، في الكتب المصنفة، في اختلاف العلماء، ومثلهم: الأئمة الأربعة. وجاء بعدهم أئمة مجتهدون، وخالفوا الأئمة الأربعة في مسائل معروفة عند العلماء، كأهل الظاهر، ولذلك: تجد من صنف في مسائل الخلاف، إذا عنى الأئمة الأربعة، قال: اتفقوا، وفي مسائل الإجماع، التي أجمع عليها العلماء سلفًا وخلفًا، يقول: أجمعوا.وذكر المذهب لا يختص بأهل السنة من الصحابة فمن بعدهم. فإن بعض أهل البدع: صنفوا لهم مذهبًا في الأحكام، يذكرونه عن أئمتهم، كالزيدية، لهم كتب معروفة، يفتي بها بعض أهل اليمن؛ والإمامية الرافضة، لهم مذهب مدون، خالفوا في كثير منه أهل السنة والجماعة؛ والمقصود أن قول هذا الجاهل: مذهب خامس.قول فاسد، لا معنى له، كحال أمثاله من أهل الجدل والزيغ في زماننا»[١].

فما جاء به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو دعوة لدين الإسلام الحق الذي جاء به الرسول ﷺ قال المستشرق لويس دوكورانسي: «وبصورة عامة فإن مذهب الوهابيين هو الإسلام بعد أن أزيلت عنه جميع الخرافات التي ألصقت به بين المسلمين»[٢].

المطلب الثالث: دعوى أنها فرقة وعقيدة جديدة:

أدرك بعض من المعارضين لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب خطورة الافتراق في الأمة الإسلامية فادَّعوا زورًا وبهتانًا بأن الإمام محمد بن عبد الوهاب يسعى إلى تمزيق هذه الأمة، ولهذا فقد أتى بفرقة جديدة، والسبب في ذلك الافتراء لصرف الناس عن هذه الدعوة الصحيحة، والتشكيك فيها، مع العلم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تدعو الناس للاجتماع، وتنبذ الفرقة والاختلاف، تطبيقا للشرع الحكيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ الأنعام: ١٥٣.

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٤٣٩ ــ ٤٤١)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

(٢) دوكورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ،(ص:٦٨).

قال المستشرق صمويل زويمر: «إن عبد الوهاب دعا إلى التجديد، وادعى أنه قائد الفرقة الجديدة»(١).

لكن هذا المستشرق مالبث حتى ناقض نفسه مبينا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة للإسلام القديم ــ على حد قوله ــ حيث ذكر أن إصلاح الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتمثل في الرجوع إلى الإسلام القديم(٢).

كذلك المستشرق(يوركهارت(٣)) وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنها دعوة لعقيدة جديدة حيث قال: «إن البدو من الطبقة العامة الذين اتبعوا العقيدة الجديدة كانوا في الغالب جاهلين جهلاً تامًا بمبادئها، ومضمونها الحقيقي»(٤).

فماذا يعني هذا المستشرق من كلامه؟ هل يقصد التقليل من شأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من خلال حصرها على البدو من الطبقة العامة! وكيف يصفهم بالجهل بمبادئها ومضمونها، وهي دعوة واضحة لم تخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولم تأت بجديد. فهي دعوة سلفية لمحاربة البدع والخرافات، لكن المستشرق بوركهاردت مالبث أن ناقض نفسه حيث قال:

«ومبادئ الوهابيين الأساسية ــ كما سيتضح فيما بعد ــ تتفق مع تلك التي تدرس في

---

(١) Zwemer.Samuel M،TheCradle of Islam:Arabia. Fourth editon.P.١٩٣;Fleming H Revell company
نقلا من: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:٩٤).

(٢) انظر: التويم: د.ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، (ص:١١٠).

(٣) بُرْكْهارْت(١٧٨٤ ــ ١٨١٧ م) Johann Ludwig Burckhart مستشرق سويسري الأصل، قضى حياته رحالة بين سوريا ولبنان وفلسطين. ثم مضىَ إلى الحجاز وتسمىَ بإبراهيم ابن عبد الله، فأدىَ مناسك الحج وقضىَ بمكة ثلاثة شهور (١٨١٤)، ثم عاد إلى القاهرة (سنة ١٨١٥) وتوفي في القاهرة، موصيًا بمجموعة مخطوطاته إلى جامعة كمبردج. وكتاباته كلها تدور حول رحلاته. (كرحلة للشام والأراضي المقدسة) و(رحلة لجزيرة العرب) و(معلومات عن البدو والوهابيين) و(رحلة للجزيرة العربية) ومجموعة من الأمثال العربية.) انظر: العقيقي: نجيب،(٢/ ٤٧٥).

(٤) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ٩)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

المناطق الأخرى من الإمبراطورية الإسلامية. فالقرآن والسنة لديهم مصدران أساسيان مشتملان كل الأحكام، وآراء المفسرين الأجلاء للقرآن محترمة بالرغم من أنها ليست متبعة على إطلاقها، وفي محاولة لإيضاح الأعمال الأصيلة، والمعتقدات الصافية للمؤسس الأول للإسلام وأتباعه الأوائل، كما هو ثابت في تلك الأحكام، كان لابد لهم من مهاجمة عدد من الآراء الخاطئة والفاسدة التي طرأت على الإسلام كما يدرّس الآن»[1]. في ذلك دلالة على أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة سلفية خالصة.

قال المستشرق جولد سيهر: «وإذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة، من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني، الحقيقة التالية: يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصارًا للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة، فمراد الوهابيين وغايتهم، إنما هي إعادة الإسلام الأول كما كان»[2].

المطلب الرابع: تهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه يدعي النبوة:

يبدو أن الذي حمل بعض المستشرقين على القول بهذا الادعاء هو ما ردده بعض أعداء الدعوة، حيث أنهم لم يجدوا مجالاً للطعن في الشيخ إلاَّ بهذه التهمة. ومما يؤكد كذبهم إنهم لم يصرحوا بها، فهذا أحدهم يقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة، إلاَّ أنه تستر»[3].

ويردد أحمد زيني دحلان[4] هذا الاتهام نفسه بهذه الكلمات:

---

(١) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ١٨)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٢) تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص: ٢٣٩ ــ ٢٤٠).

(٣) باعلوي: أحمد عبد الله الحداد، مصباح الأنام وجلاء الظلام، (مخطوط في المكتبة الشرقية رقم (١٢٠٥٨) الورقة (ص: ٥ ــ ٦)، نقلا من حاشية: الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٥٣)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي.

(٤) أحمد بن السيد زيني دحلان المكي المفتي ورئيس العلماء وشيخ الخطباء الشافعي المكى توفى بالمدينة المنورة في محرم من سنة ١٣٠٤ اربع وثلاثمائة والف من تصانيفه اسنى المطالب في نجاة ابى طالب. تاريخ الدول الاسلامية بالجد اول المرضية مطبوع. تنبيه الغافلين مختصر منهاج العابدين. حاشية على متن السمرقندية في الآداب. خلاصة =

«والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة، إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك»(١).

وقد تلقف بعض المستشرقين هذه الفرية،منهم المستشرق (جيبون) في مؤلفه (الهبوط والسقوط The Decline and Fall) فقال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما كتبه عن دعوته: «إنها رؤى نبي جديد وأسلحته، نبي يدعو إلى مبادئ غير واضحة المعالم»(٢).

والثابت أن الإمام محمد بن عبد الوهاب لم يدعِ النبوة، بل شهد أن نبينا محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.قال الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، لما سأله أهل القصيم عن عقيدته: «بسم الله الرحمن الرحيم، أُشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم: أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره...... وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ...وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته»(٣).

الكلام في بيان امراء البلد الحرام من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام. الدرر السنية في الرد على الوهابية. رسالة الاستعارات. رسالة اعراب جاء زيد. رسالة البينات. رسالة في بيان العلم من أي المقولات. رسالة في فضائل الصلاة على النبي ﷺ. السيرة النبوية والاثار المحمدية في مجلدين. شرح الاجرومية. فتح الجواد المنان شرح العقيدة المسماة بفيض الرحمن. الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين واهل البيت الطاهرين في مجلد. الفوائد الزينية في شرح الالفية للسيوطي. منهل العطشان على فتح الرحمن في علم القراءات. النصر في احكام صلاة العصر. (انظر: البغدادي: إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،(١/ ٢١٧)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١ اعادت طبعه بالاوفست دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان) .

(١) الدرر السنية،(ص: ٤٦)، نقلا من حاشية: الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٥٣)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي، علما أنني بحثت عن هذا النص في الدرر السنية في الأجوبة النجدية و لم أجده.

(٢) كوبر: لي ديفيد، رينتز: جورج، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب،(ص: ١٣٨)، ترجمة وتعليق: أ.د. عبد الله بن ناصر الوليعي.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٢٩ ــ ٣٢)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «والذي نعتقده: أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره، حياة برزخية، أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التتريل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد، والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته، بالاشتغال بالصلاة عليه — عليه الصلاة والسلام — الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين، وكفى همه وغمه، كما جاء في الحديث عنه»[١].

المطلب الخامس: تهمة إنكار الحديث النبوي:

ذكر الندوي أن هذا الافتراء يرجع إلى مصنف (مصباح الأنام) لأحمد عبد الله باعلوي، وسبقه غيره، وأضاف محققو كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب للندوي في التعليق على حاشية الكتاب مُصَنَفا آخر هو في مجموعه خرافات ليس إلا، وهو كتاب (تصحيح المسائل في الرد على الفرقة النجدية الأراذل) للكاتب: فضل رسول بدايوني (م ١٢٩٨هـ / ١٨١٢م) كذلك ماكتبه (آثار جمال الدين) فمن (ص: ٢٣٦ ــ ٢٣٧)، مشتمل على صفحتين تحتويان على مجموعة مؤلمة من الأخطاء، والفهم السيئ، حتى إنه لا يفرق بين عقيدة السنوسيين والوهابية النجديين في صفحة: ٢٣٩[٢].

ومن أقوال بعض المستشرقين في ذلك:قول المستشرق (لويس دكورانسي) عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«واعتمد صاحب الدعوة الجديدة القرآن في كل صفائه، وتم حذف الأحاديث والروايات التي أضيفت لإملاء حياة النبي بالأعاجيب»[٣].

وأكد هذا الطعن بقوله عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ورفض الأحاديث المقبولة

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٢٣٠)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

(٢) انظر: الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٥٥)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي.

(٣) دوكورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ،(ص:١٧).

عند المسلمين»[١].

وترددت هذه التهمة عند بعض المستشرقين مثل: المستشرق والكاتب الفرنسي (أوليفييه كورانسيز)[٢]الذي قال إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا إلى التمسك بالقرآن دون الحديث،[٣] والمستشرق (ميشو)[٤]الذي قال: «إن عقيدة الشيخ محمد هي الإسلام في صفائه الأول، وهو يقبل القرآن ولكنه يرفض الحديث»[٥].

والحق أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم ينكر السنة والأحاديث النبوية — كما يدعي هؤلاء المستشرقون — بل كان متبعًا لها، حريصًا على معرفة الصحيح والضعيف منها،قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته»[٦].

فالشيخ لم يخالف ما كان عليه رسول الله محمد ﷺ والأحاديث النبوية هي سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد شهد بعض المستشرقين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم ينكر الحديث النبوي، قال المستشرق (هيوجز Huges Thomas Petric[٧]) في مقارنة له بين الوهابية والبروتستانت:

«إن الوهابية قد توصف في بعض الأحيان بأنها فرقة بروتستنتية في الإسلام. ولكن البون بينهما شاسع فالبروتستنتية المسيحية ترى من الواجب رفض التعليمات التقليدية، مع اعترافها

---

(١) دو كورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ،(ص: ٥٨).

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) انظر: العجلاني: الأستاذ الدكتور: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول (سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته، سيرة محمد بن سعود وحروبه)،(١/ ٣٠٦)

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) العجلاني: الأستاذ الدكتور: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية،، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول (سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته، سيرة محمد بن سعود وحروبه)، (١/ ٣١٠)

(٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٣٢)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

(٧) لم أعثر له على ترجمة.

بمرتبة الكتب الإلهية المقدسة، وعلى عكس من ذلك فإن الوهابية تتمسك بالأحاديث أيضًا مع القرآن»[١].

وقد بين بوركهاردت موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الحديث النبوي عندما أورد موقفًا لعلماء القاهرة الكبار، فقال:

«ففي خريف عام ١٨١٥م أرسل الزعيم الوهابي مندوبين إلى هذه المدينة أحدهما:عالم وهابي جليل[٢]. وقد طلب محمد علي باشا منهما أن يشرحا عقيدهما لعلماء القاهرة الكبار، فتقابل العالم الوهابي معهم عدة مرات، وأحرز قصب السبق عليهم، لأنه كان يبرهن على كل مسألة عن ظهر قلب بآية من القرآن، أو حديث من السنة، وهما مما لا يمكن ردّه بطبيعة الحال. فأعلن أولئك العلماء أهم لم يجدوا أية بدع لدى الوهابيين. وبما أن هذا الإقرار قد صدر من العلماء المذكورين فإنه لا يرقى إليه أدنى شك»[٣].

المطلب السادس: تهمة التكفير وفق منهج الخوارج:

اهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأتباعه بأهم يكفرون من سواهم من أهل القبلة؛ بالرغم من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو من أعظم الناس توقفًا عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم.قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

«وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله

---

(١) الندوي، الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه،(ص: ١٥٥)، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم:د. محمد تقي الدين الهلالي.

(٢) هو عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم من آل مشرف. وهو ابن بنت الشيخ محمد بن عبد الوهاب،ولد حوالي سنة ١١٩٠هـ،وكان قاضيا في الدرعية، وآخر عمل له تولى القضاء في بلدة سوق الشيوخ العراقية حيث توفي بعد سنة ١٢٤٠ هـ.انظر ترجمته: (البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال ستة قرون،(٢ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤) ذكرذلك الدكتور عبد الله الصالح العثيمين في ترجمته لكتاب (بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ٢٣)، هامش رقم (١) .

(٣) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ٢٣، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفر، ولم يقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم))[١].

ومن جملة بعض المستشرقين الذين قالوا بهذه التهمة المستشرق فاسيلييف حيث يقول: ((كان الوهابيون يعتبرون جميع المسلمين المعاصرين لهم، والذين لا يؤمنون بتعاليمهم أكثر شركًا من الجاهليين في الجزيرة العربية))[٢].

وقال المستشرق ج. ج. لوريمر[٣] في حديثه عن الوهابية في جانبها السياسي:

((فالوهابيون من جانبهم كانوا [متعصبين أشد التعصب][٤].خاصة ضد الأتراك الذين كانوا [يعتبرونهم غير مسلمين من حيث أخلاقهم ومظاهر حياتهم][٥]،في حين أن خصومهم، الذين كانوا يعرفون مافي الدعوة الوهابية من صدق منطقي كانوا يسخطون على تمسك الوهابيين بأهداب الدين والفضيلة، ويلجؤون إلى مختلف أساليب سوء التفسير

---

(١) بن غنام: الشيخ الإمام حسين، تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، حرره وحققه الدكتور:ناصر الدين الأسد، قابله على أصله: الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،(٢ / ٢٧٣).

(٢) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية،(ص: ٩٢ ــ ٩٣)، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة).

(٣) ج.ج. **لوريمر G.G. Lorimer** موظف بريطاني في حكومة بريطانيا في الهند، زمن الاستعمار، يعد لوريمر أبرز المؤرخين والجغرافيين الذين وصفوا منطقة الخليج العربي في بداية القرن العشرين،والدليل الذي أعد (دليل الخليج) هو في أصله تقارير أعدها للحكومة البريطانية في الهند، وكان هو واحدًا من موظفيها، وكان الهدف من إعداد الدليل هو توفير مرجع لموظفي المستعمر في تعاملهم مع وجهاء وأعيان وأفراد الإمارات العربية على سواحل الخليج والقبائل العربية في الجزيرة العربية، على وجه الخصوص. والدليل هو في شكل موسوعة من أجزاء متعددة تتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ووصفًا للمنطقة وقبائلها وإماراتها ومشيخاتها وإحصائيات متنوعة.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨AC._%D%٨AC._%D%٨٤%٩D%٨٨%٩D%٨B%١D٨%٩A%D%٨٥%٩D%٨B١

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل الإنجليزي (غير متسامحين) والمقصود أنهم غير متسامحين فيما يمس جوهر العقيدة الإسلامية من البدع والخرافات، أو التساهل في تطبيق الأحكام الإسلامية التي قامت الدولة السعودية والدعوة السلفية أساسا لتصحيح مااندثر منها. (من حاشية الكتاب،(ص: ٢٨، رقم الحاشية ٦)

(٥) وردت هذه العبارة في الأصل الإنجليزي (يعتبرون أخلاقهم متساهلة ولا تتماشى مع الإسلام) (نقلا من حاشية الكتاب،(ص: ٢٨، حاشية رقم ٧).

والتصوير، والنتيجة هي أن كلا الجانبين كان يخرج الآخر عن الإسلام، وكان الوهابيون يعلنون بروح أكثر ميلا إلى الحرب أن أرواح أعدائهم وممتلكاتهم [حلال لهم[(١)]] بحكم خروجهم على الدين، وسيضطلعون هم ــ أي الوهابيون ــ بتنفيذ هذا الحكم»[(٢)].

كما أن المستشرق (بيتر برينت)[(٣)] يصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنهم يكفرون الأتراك لوقوعهم في بعض الكبائر، فيقول: «فظهرت حركة تطهيرية جديدة في بلاد العرب، وكان أحد الموالين والمشايعين لهذه الحركة أحد شيوخ القبائل المدعو محمد بن سعود، وكشخص عربي وجد أن هذا المذهب الوهابي لن يكون له أثره السلبي ما دام موجهًا ضد الأتراك، الذين كان الوهابيون يعتبرونهم كفرة في جميع أعمالهم، فهم يتجاوزون تعاليم القرآن، وأوامر النبي، فكانوا يشربون الخمر، ويزنون ويقامرون، ولهذا أصبح من الضروري طرد هؤلاء الكفرة من المدن الإسلامية»[(٤)].

وللرد على ذلك من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قوله:

«ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، لكني أرجو للمحسن، وأخاف علي المسيء، ولا أُكفر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام»[(٥)].

وقد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله منهجه في التكفير بقوله: «وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفر، وأكثر الأمة ــ ولله الحمد ــ ليسوا كذلك. وأما القتال: فلم نقاتل

---

(١) وردت هذه العبارة في الأصل الإنجليزي (مرهونة) (نقلا من حاشية الكتاب،(ص: ٢٩، حاشية رقم ١)

(٢) لوريمر: ج. ج. تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، جمع وتعليق: د. محمد بن سليمان الخضيري، (ص: ٢٨ ــ ٢٩).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) برينيث: بيتر، بلاد العرب القاصية (رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب)،(ص: ٩٧ ــ ٩٨)، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو.

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٣٢)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

أحدًا إلى اليوم، إلا دون النفس والحرمة، وهم: الذين أتونا في ديارنا؛ ولا أبقوا ممكنا.ولكن: قد نقاتل بعضهم، على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها. وكذلك من جاهر بسب دين الرسول، بعدما عرف، فإنا نبين لكم: أن هذا هو الحق، الذي لا ريب فيه، وأن الواجب: إشاعته في الناس، وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقر على نفسه؛ فإن التائب من الذنب، كمن لا ذنب له، ونسأل الله: أن يهدينا، وإياكم، لما يحبه ويرضاه»[١].

المطلب السابع: تهمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالتزمت والتعصب:

ومن المستشرقين ممن وصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بالتزمت، (بوركهاردت) بقوله: «ويمكن أن يقال باختصار شديد: إن ديانة الوهابيين ديانة محمدية متزمتة»[٢].

وقال ر. دوزي: «وإن الوهابيين في أيامنا هذه سنة ١٨٦١ م وهم الطائفة المتزمتة الصارمة»[٣].

وقال (بوركهاردت)في موقع آخر: «ولم تسمح لهم روح التعصب، التي غذاها رئيسهم بكل ما وسعه، أن يفرقوا بين أمور لا يعرفون عنها إلا معرفة غير صحيحة»[٤].

وقال لويس دوكورانسي: «ولكن الصفة التي اتصف بها الوهابيون في الشرق، أضرت بهم في بلاد كثيرة، وهذه الصفة هي التعصب، فالوهابيون متعصبون إلى أقصى الحدود»[٥].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(١/ ٧٣ ـــ ٧٤)، الجزء الأول (كتاب العقائد) .

(٢) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ٩)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٣) دوزي:ر. تاريخ مسلمي أسبانيا،(١ / ٣٣)، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور:حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز.

(٤) بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين،(ص: ١٥)، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٥) دوكورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ،(ص:٥٧).

وكذلك المستشرق فاسيلييف وصف الدعوة بالتعصب(١).

عرف عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعصبه للحق، وحماسه لاتباع الكتاب والسنة، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء؛لكن التعصب للرأي، والاعتداد به، والتمسك به، وإن خالف الدليل، فلم يثبت ذلك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذم التعصب، وحذر منه، وبين إنه طريق إلى الضلالة لا إلى الهداية، وكان من أبعد الناس عن التعصب والتقليد الأعمى، يدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ يتوخى الدليل، ويرى الاقتداء بالأئمة فيما لم يقم الدليل على خلافه من اجتهاداتهم، بل إنه خالف شيوخه في بعض المسائل الاجتهادية.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

«إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب، فنقول في محل النزاع: التراد إلى الله وإلى رسوله ﷺ لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام الأصحاب، ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجوح من الروايتين والقولين خطأً قطعًا، وقد يكون صوابًا»(٢).

والحق أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تَدْعُ إلى التعصب الذي قال به هؤلاء المستشرقون وأذنابهم، بل هي دعوة لها أصولها وثوابتها، وديننا الحنيف ينفي التعصب ويأباه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ البقرة: ٧٠.

فالتعصب للآباء قاد منكري الرسالات في الأمم السابقة إلى الكفر، فكيف توصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتعصب؟! والصواب أن التعصب الذي اشتهر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو التعصب للحق، والدعوة إليه.

---

(١) فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية،(ص: ٩٢ ــ ٩٣)، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي،(٤/ ٨، الجزء الرابع القسم الأول من كتاب العبادات.

المطلب الثامن: دعوى أنها تدين تعظيم وتقديس الأولياء والصالحين:

قال المستشرق لويس يونغ: «بدأ بعث الفكر الإسلامي في منتصف القرن الثالث عشر بظهور حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد عام ١٧٤٤.وقد هاجمت الحركة الوهابية الانحلال الذي اعترى الناس في ممارساتهم للدين، كما أدانت تقديس الأولياء، والشعائر التي أتى بها المتصوفة، وقد انتصرت هذه الحركة في مكان نشوئها رغم النكسات التي تعرضت لها.

وكان لفكرة العودة إلى تعاليم السلف الأول أثر عميق في نفوس المسلمين أحدثته الحركة الوهابية، كما كانت هذه الدعوة أول علامة للسيادة الإسلامية العربية بعد غياب هذه السيادة في عصور المغول، والترك، وغيرهم»(١).

وللأسف أن كثيرا من المستشرقين ينقلون النصوص دون التحقق من مدى صحتها، وهذا يحدث كثيرا في كتابات كثير من المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لم تُدِن تقديس الأولياء كما يقول المستشرق:(كما أدانت تقديس الأولياء) بل على العكس من ذلك فقد أنكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بدعة تقديس الأولياء والمبالغة في وصفهم، و المبالغة في نسبة الكرامات لهم، والتعلق بهم، بشهادة بعض المستشرقين أنفسهم.

قال المستشرق الألماني (داكيرت) عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه :(عبد العزيز) الصادر في ألمانيا سنة ١٩٥٣م:

«وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصلبة تقديس الأولياء، وجعلهم واسطة بين الله وبين الناس، وينادي بهدم الأضرحة، ومزارات الأولياء، وإزالة معالمها، واقتداء بالنبي الكريم، الذي حارب بدعة تقديس الهياكل، وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية»(٢)

(١) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة،(ص: ١٨٤ ـــ ١٨٥).

(٢) نقلا من كتاب : أبو طامي آل بن علي:أحمد بن حجر بن محمد، الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (دعوته الإصلاحية وعقيدته السلفية وثناء العلماء عليه)،(ص: ١١٦)، راجعه وعلق عليه وقدم له الشيخ عبد العزيز بن باز.

وقال الكاتب الأمريكي(لوثروب[١]) في حديثه عن اليقظة الإسلامية:

«فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة غرضها إصلاح الخرق، ونسخ الشبهات، وإبطال الأوهام، ونقض التفاسير المختلفة، والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع، وعبادة الأولياء، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام، والأخذ به على أوله، وأصله، ولبابه، وجوهره، أي أنها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة، صافية ساذجة[٢]، والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجردًا، وأما ما سوى ذلك فباطل، وليس في شيء من الإسلام. ويقتضي ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروضه، وقواعد الآداب، كالصلاة، والصوم، وغير ذلك»[٣].

هذه بعض الشبهات التي نسجتها افتراءات بعض المستشرقين، ومن شايعهم، فكونت شبهات حول المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

---

(١) لوثروب ستودارد Lothrop Stoddard مؤرخ أمريكي صاحب كتاب (حاضر العالم الإسلامي)، ويعتبرمن المؤلفات الحديثة التي عالجت قضايا هذا العالم ومجريات أحداثه عبر النصف الأول من هذا القرن،و الذي ترجمه الأمير شكيب أرسلان الى العربية وعلّق عليه.

http://www.almultaka.net/ShowMaqal.php?module=٧e٨e١cdc٠٦٠٢٤٣٨٧e٦cff٠٨٤٦cef٠b٣٠&cat=١١&id=٤٣٠&m=٢٠٤٠٧d٢٨٨bd٠٨٥٨١٩c٥٥٧١٩f١٩de٨٣df

(٢) أخالف المؤلف في وصفه مما يدل على حقدهم على الدعوة السلفية.

(٣) ستودارد: لوثروب الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، (١ / ٢٦٤).

الفصل السادس

موقف بعض المستشرقين من بعض أعلام أهل السنة المعاصرين.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقف بعض المستشرقين من الشيخ رحمت الله الهندي ت ١٣٠٨هـ.

وفيه تمهيد ومطالب:

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: جهود الشيخ رحمت الله الهندي في مقاومة التنصير.

أ-الأوضاع السياسية والدينية في الهند.

ب- التنصير في الهند.

ت- موقف الشيخ رحمت الله من المنصرين.

المطلب الثالث: دعوى أنها فرقة وعقيدة جديدة.

المبحث الثاني: موقف بعض المستشرقين من الشيخ رشيد رضات ١٣٥٤هـ.

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: موقفه من أهل الطرق الصوفية والبدع والخرافات.

المطلب الثالث: طرق نشرا لشيخ محمد رشيد رضا الدعوة السلفية:

أولا: مجلة المنار.

ثانيا: تفسير المنار.

المبحث الثالث: موقف بعض المستشرقين من الشيخ عبد الحميد بن باديس ت ١٣٥٩هـ.

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: جوانب من الحركة الإصلاحية في عهد الشيخ عبد الحميد بن باديس.

المطلب الثالث: الثقافة في الجزائر وأثرها الفكري.

المبحث الرابع: موقف بعض المستشرقين من الشيخ عبد الله البليهد ١٣٥٩هـ.

المطلب الأول:التعريف بالشيخ.

المطلب الثاني: سياسته الحكيمة.

المطلب الثالث:لا عزة إلا بالدين الإسلامي.

المطلب الرابع: موقف الشيخ عبد الله البليهد من التعدد.

المطلب الخامس: الدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الله البليهد في الحرم النبوي.

الفصل السادس

موقف بعض المستشرقين من بعض أعلام أهل السنة المعاصرين

المبحث الأول: رحمت الله الهندي (١٢٣٣هـ / ١٣٠٨هـ):

التمهيد:

الجدل المشروع أسلوب لإقامة الحجة وإظهار الحق بين الناس، وهو جدل أقرب إلى المناظرة، كما أنه شكل من أشكال الحوار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٥.

والدعوة بالمجادلة تبرز أهميتها؛لأن بعض المدعوين يحتاج إليها لإقناعه بالحق، وإزالة شبهته،وإقامة الحجة عليه.ومن جهة أخرى لأثرها في إظهار الحق وقطع الباطل،كما أن أهميتها تظهر بالنظر إلى نتائجها فعلا في تاريخ الدعوة عند المسلمين، ومجادلاتهم ومناظراتهم مع المخالفين.والجدل في مقام الدعوة ورد ذكره في القرآن الكريم، نحو مناظرات أولي العزم من الرسل مثل: مناظرات نوح عليه الصلاة والسلام لقومه، ومناظرات إبراهيم عليه الصلاة السلام للنمرود، وعبدة الكواكب، ومناظرات موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون، وللسحرة، ومناظرات عيسى عليه الصلاة والسلام لقومه، ومناظرات محمد ﷺ لمشركي العرب، ولليهود، والنصارى.

ومعلوم أن الجدل الشرعي، والمناظرة في مقام الدعوة، ومع المبطلين خاصة، من أظهر أنواع المجاهدة باللسان، وقد أكد أئمة الإسلام مشروعية الجدل حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس،ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[1]

وهذا موجه إلى القادر عليها،فلا بد من أن يكون لديه من العلم والحجة ما يعرف بها مداخل الخصم وشبهه وكيفية دحضها،قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله «وقد ينهون ــ

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء تعارض العقل والنقل،(١ / ٣٥٧)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

أي السلف ـــ عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة، وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المُضلُّ، كما ينهى الضعيف عن المقاتلة أن يقاتل علجًا قويًا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة...»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة. وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل.وإما أن لا يعترف به، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لأن الجدال فيه مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان، كدفع الصائل»(٢).

ويقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله: «فالآيات لمن إذا عرف الحق عمل به فهذا تنفعه الحكمة. والإنذار لمن يعرف الحق، وله هوى يصده، فينذر بالعذاب الذي يدعوه إلى مخالفة هواه، وهو خوف العذاب، وهذا هو الذي يحتاج إلى الموعظة الحسنة. وآخر لا يقبل الحق فيحتاج إلى الجدل فيجادل بالتي هي أحسن»(٣).

وقد استمر الجدل بين الدعاة إلى الإسلام وغيرهم إلى يومنا هذا، حيث غلب على التسمية مصطلح المناظرة بدلا من الجدل.

وقد ناظر بعض أعلام الدعوة المعاصرين بعض المستشرقين، وناقشوهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، سواء كانت هذه المجادلة عامة، أو خاصة بين الطرفين مشافهة أو كتابية عبر المراسلات، وفي أوساط المجلات، ومن هؤلاء: الشيخ رحمت الله الهندي، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ عبد الله بن بليهد.وغيرهم كثير، لكني اقتصرت في هذا الفصل على هؤلاء منعا للإطالة، ولتنوع أقطارهم، ولشهرتهم في مجال الدفاع عن الدين مع الغرب النصراني.

وبحكم قوة الدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية، ووقوفها ضد المنصرين ومنعهم من دخول الجزيرة العربية، فلم يكن هناك مجال للتحاور مع الغرب النصراني إلا فيما ندر

(١) ابن تيمية: الشيخ أحمد، درء تعارض العقل والنقل،(٧/ ١٧٣)

(٢) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(٢ / ٤٥).

(٣) ابن تيمية: الشيخ أحمد، مجموع الفتاوى،(١٦ / ٥٨٥).

لبعض المستشرقين المسلمين، كما حدث مع المستشرق المسلم محمد أسد، والشيخ عبد الله البليهد حتى إن الحوار في جملته لم يتم إلا في بعض الأمور البسيطة، فبعض المستشرقين الذين زاروا المملكة العربية السعودية سواء كانوا مسلمين. أو متخفين تحت ستار الإسلام تركزت كتاباتهم حول الدعوة السلفية بشكل عام. وعلى (الحركة الوهابية) ـ كما يطلقون عليها ـ بشكل خاص، ولم تكن لهم مواقف بارزة مع الأعلام بقدر موقفهم من الدعوة السلفية نفسها، والتي ظهرت مع دعاة التجديد، وكانت أغلب كتب الرحلات تعتمد على المنهج الوصفي لرحلاتهم أكثر من تعرضهم للجدل الديني؛ لذا اقتصرت في هذا الفصل على الشيخ عبد الله بن بليهد، كعلم من أعلام علماء نجد، وكشخصية تتصف بالمرونة والسياسة الحكيمة في التعامل مع الآخرين، حيث لم أجد غيره بجهدي المقل ممن تعامل مع المستشرقين في المملكة العربية السعودية.

ووقع اختياري على الشيخ: رحمت الله الهندي (١٢٣٣-١٣٠٨ هـ) من الهند لما له من دور تاريخي بارز مع القس والمستشرق الأمريكي صاحب كتاب ميزان الحق (فندر) الذي رد عليه الشيخ رحمة الله الهندي في المقابل بمؤلف سماه : (إظهار الحق) [1].

ويعد (فندر) من عمدة المستشرقين ومن أخطر المنصرين في الهند، حيث قامت بينهما مناظرة علنية في ١١- رجب- ١٢٧٠ هـ الموافق ١٠- نيسان أبريل-١٨٥٤م في مدينة أكبر آباد ، وحضر هذه المناظرة عدد كبير من أعيان البلد ووجهائهم .وأسفرت المناظرة في يومها الأول عن اعتراف القس (فندر)بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل . وفي اليوم الثاني تزايد عدد الذين حضروا المناظرة من الحكام الإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ ، وظهر ضعف القس (فندر) في المناظرة وظهر تعنته. وفي اليوم الثالث لم يعد القس إلى مجلس المناظرة التي لم تنته ، وكان كلما علم بوجود الشيخ رحمت الله في مكان ابتعد عنه ولم يستطع مواجهته [2].

(١) انظر: سمايلوفتش، أحمد : فلسفة الاستشراق ،(ص :١٢٧)

(٢) سوف نتناول ذلك بالتفصيل لاحقا.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ[١]:

هومحمد رحمت الله بن خليل الله، المعروف بخليل الرحمن، وقد ذكر ذلك الزركلـي في ترجمته بأنه: (بن خليل الرحمن)[٢] بن الحكيم الطبيب نجيب الله بن الحكيم حبيب الله بـن الحكيم عبد الرحيم...بن عمر بن أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ، ولد بحي (درباكلان) في قرية (كيرانة) التابعة لمحافظة (مظفر ناجار) بالهند في غرة جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ومائتين من الهجرة[٣].

ولقد كانت (كيرانة) في زمن قديم مقر القبيلة لقبيلة (جوهان. راجبوت) المشهور أهلها بالشجاعة والبطولة.

والشيخ رحمت الله من عائلة واسعة الثراء، عظيمة الجاه، وقد درس كتـب الـشريعة الإسلامية، واللغة العربية، وفي بلوغه الثانية عشرة كان قد قرأ القرآن، وعرف اللغة الفارسية ثم اتحل إلى دلهي يطلب التعليم العالي، ومن أساتذته الكبار: فضيلة الـشيخ محمـد حيـاة، وفضيلة الشيخ المفتي سعد الله، وفضيلة الشيخ أحمد علي الذي انتخب أخيرا وزير لولايـة (بتيالة)، والعارف بالله الشيخ عبد الرحمن الجشتي، وإمام بخش الصهبائي، والطبيب الحكيم فيض محمد الذي ألم على يده الشيخ رحمت الله علوم الطب،،والأستاذ (لوكارثم) الذي تعلم منه الشيخ رحمت الله الهندسة، وعلم الحساب.

وبعد عودته من دلهي أسس مدرسة شرعية في (كيرانه)، ودرّس فيها مدة غير طويلـة، لأن ظروف الهند كانت عصيبة مع ازدياد نفوذ النصرانية، فانشغل عن التدريس بمواجهـة

---

(١) لمزيد من التعريف بالشيخ رحمت الله الهندي: انظر ترجمته في مقدمة كتابه المحقق (الهندي: رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، إظهار الحق (أدق دراسة نقدية في إثبات وقوع التحريف والنسخ في التوراة والإنجيل وإبطال عقيدة التثليث وألوهية المسيح وإثبات إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ والرد على شبه المستشرقين والمنصرين)، دراسة وتحقيق: ملكاوي: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل،(١ / ١٥ ــ ١٦)، أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ــ ١٤١٠هــ / ١٩٨٩م.

(٢) انظر الزر كلي: خير الدين، الأعلام،(٣/ ١٨).

(٣) الموافق ٩ مارس سنة١٨١٨م.

المنصرين وذلك بدراسة النصرانية، ودحضها[1].

حيث بلغ المنصرون في هجومهم على الإسلام والمسلمين مبلغه؛ مما حدا بالشيخ رحمت الله الهندي إلى كتابة الردود، والرسائل، والمؤلفات في الرد علـى المنـصرين،مع اسـتخدام المناظرات التقريرية لكبح جماحهم. وقد ناظر الشيخ رحمت الله المنصرين ومن أشهر مناظراته المناظرة التي كانت مع القس بفندر رئيس البعثة التبشيرية في الهند، وسميت (المناظرة الكبرى) والتي من خلالها انبرت شهرته في الدفاع عن الدين.

استمر الشيخ مدافعا عن الدين، وله جهوده في نشر العلم، حتى وافاه الأجل:

«في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم، من سنة ألف وثلاث مئة وثمانية من الهجرة النبوية»[2]

الموافق أول مايو سنة ألف وثمان مئة وواحد وتسعين من الميلاد، ١/ ٥ / ١٨٩١م[3].

---

(١) انظر: سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، سعى في نشره وترجمته من اللغة الأوردية الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام، (من ص: ٢٣ ــ ٣١)، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى بمصر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مطبعة النهضة العربية ــ الفجالة.

(٢) سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي،(ص:٧٤).

(٣) انظر:سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي،(ص: ٧٤)، الحاشية رقم (١)

المطلب الثاني: جهود الشيخ رحمت الله في مقاومة التنصير:

أ / الأوضاع السياسية والدينية في الهند:

بزغ نور الإسلام في الهند في القرن الأول الهجري،(١) ودخل أهل الهند الإسلام على أيدي التجار والدعاة والفاتحين، وتتابعت حملات المسلمين لنشر الإسلام، ومن أبرزها الحملة التي قادها محمود الغزنوي(٢).

قال غوستاف لوبون(٣): «ترجع غزوات المسلمين الأولى إلى القرن السابع و لم تكن هذه الغزوات سوى غارات موفقة، ولكنها لم تسفر عن استقرار دائم، وفي أوائل القرن الحادي عشر فقط بدأ غزو المسلمين الجد للهند بقيادة محمود الغزنوي»(٤).

ويقول المؤرخ الهندوكي براساد: «إن محمودا ليعد في نظر المسلمين حتى اليوم غازيا، ومجاهدا كبيرا، آخذا على نفسه القضاء على الشرك في مهاد الوثنية.وهو في نفس الوقت عند الهنادكة طاغية مخرب،حطم مقدساتهم، ودمر معابدهم، وآذى شعورهم الديني في كثير، ولكن المؤرخ المنصف حين لا يسقط من حسابه تقاليد العصر الذي كان يعيش فيه، وسماته واعتباراته لا يسعه إلا أن يقرر أن محمودا كان زعيما بارزا من خيرة القادة والزعماء،

---

(١) انظر: الندوي: مسعود، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند،(ص: ٣)،(الفصل الأول ــ انتشار الإسلام في الهند) نشر وتوزيع الدار العربية، رمضان ١٣٦٦هـ / أغسطس ١٩٤٧م.

(٢) هو: السلطان الغزنوي (٣٦١ - ٤٢١ هـ = ٩٧١ - ١٠٣٠ م) محمود بن سبكتكين الغزنوى، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الامير ناصر الدولة أبي منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها ولادته ووفاته. (انظر: الزركلي،الأعلام،(٧ / ١٧١)

(٣) لتوسع في بيان موقف المستشرقين من محمود الغزنوي يمكن الإطلاع على رسالة علمية بعنوان (السلطان محمود الغزنوي في كتابات بعض المستشرقين) من إعداد الطالب محمد عامر عبد الحميد مظاهري، إشراف أ.د. حامد غنيم أبوسعيد، دراسة نقدية بحث مكمل لنيل درة الماجستير، للعام الجامعي ١٤١٥هـ، الصادرة من وزارة التعليم العالي ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، الدراسات العليا ــ قسم الاستشراق شعبة الدراسات الإسلامية.

(٤) انظر: لوبون: غوستاف، حضارات الهند (كتاب مصور يشتمل على ١٨٦ صورة وخريطة وفق وثائق المؤلف وتصويره الشمسي ورسمه وتخطيطه)،(ص: ٢١٧)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط١، طبع دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

وحاكما حازما، وجنديا عبقريا من الطراز الأول، اتصف بالعدالة، ورعاية الفنون والعلوم، فهو جدير بأن يعد من أعظم الملوك طرا»[1].

وبعد حكم محمود الغزنوي تتابعت دول الإسلام على حكم الإسلام في الهند حتى جاءت الدولة التيمورية (المغولية) وهي من أعظم امبراطورية في الهند، دامت أكثر من ثلاثة قرون، وعم في عصرهم الرخاء والازدهار، حتى اضمحلت بسبب البعد عن الدين الإسلامي الصحيح.

ذكر (غوستاف لوبون) أنه لما تم انحلال الدولة المغولية العظمى قامت على أنقاضها عدة ممالك، وفي الهند كان الفرنسيون والإنكليز وحدهم ثابتي الأساس قادرين على وراثة تلك التركة التي يتنازعها كثير من الخصوم.

وكان أول نزاع بين الفرنسيين والإنكليز في جنوب الهند، ووقعت الحرب بينهما سنة ١٧٤٠[2].

قال برنالد لويس: «ففي الهند حيث جاء البرتغاليون في أواخر القرن الخامس عشر، وتبعهم الهولنديون، والإنكليز، والإفرنسيون، وغيرهم، قامت حركة إحياء ديني أصولي جاءت بحياة جديدة، وعزم جديد للعقيدة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي، ولقد صاحبها في الوقت نفسه قيام الحركة النقشبندية، والإخوة الصوفية، وأصلها من أواسط آسيا، وأصبحت طليعة كحركة الإحياء، والعودة بالإسلام إلى أصوله الصافية.

لقد ضعف الإسلام في الهند إلى درجة الخطورة بسبب التهاون، والهرطقة، والتصوف المتطرف، ولقد هدد الإسلام بعودة الهندوكية تدريجيا إلى قوتها من جهة، وبالكاثوليكية النشطة التي جاء بها البرتغاليون من جهة أخرى..»[3].

---

(١) Prasad،Medieval.India.٧١٧٧

نقلا من: الساداتي: الدكتور. أحمد محمود،تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم (الجزء الأول من: الفتح العربي حتى قيام الدولة المغولية)،(ص: ٨٨ ــ ٨٩)،مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ــ المطبعة النموذجية (بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها).

(٢) انظر: لوبون: غوستاف، حضارات الهند، (ص: ٢٤٣)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٣) لويس: برنالد، الغرب والشرق الأوسط (الفصل الخامس: ثورة الإسلام،(ص: ١٢٧)، تعريب: د. نبيل صبحي، كتاب المختار (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

وكانت الهند في القرن الثالث عشر للهجرة (أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر للميلاد) قد وصلت إلى الحضيض بالانحطاط السياسي، والديني،والخلقي. وقد تفرقت عصا المغول، فكانت الهند كلها خاضعة إما لشركة الهند الشرقية، أو حلفائها، أما الأجزاء المتبقية المنعزلة منها فكانت خاضعة لسلطة الإقطاعيين، والراجاوات، والنواب، الذين كانوا ينقادون بدورهم طوعا أو كرها للإنجليز، وقد عم الشرك والبدع في المسلمين، فاتخذوا لهم شريعة خاصة لتقديس القبور والموتى، وحل المشايخ ورجال الدين في قلوبهم محل كهنة النصارى واليهود، وبلغ تقديسهم لهم مبلغ تقديس المشركين العرب لأربابهم، ودخلت طقوس وعادات للهنادك والشيعة في حياة أهل السنة، وصارت جزء لا يتجزأ منها، وأصبحت السنة والشريعة نسيا منسيا، وانصرف الناس عن الشعائر الإسلامية، وكاد العمل بالقرآن والحديث يبطل، وتضاءل الاهتمام والعناية بهما»(١).

قال مسعود الندوي:

«وأما العقائد الوثنية، والأعمال البدعية، فإنما يرجع سبيلها إلى جهل الناس بالكتاب العزيز، والسنة النبوية. وقال أيضا: فاعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء، واتخذوها أصل الدين وملاكه، دون الكتاب والسنة»(٢).

وهكذا أصبحت حالة الهند الدينية والسياسية سيئة، حيث عمت المنكرات وتفشت المحرمات، وأصبح ضعف الدولة المغولية فرصة للانقضاض على الإسلام والمسلمين، فكانت مثل هذه الأوضاع فرصة للمنصرين لاقتلاع جذور الإسلام من الهند.

قال مسعود الندوي: «إن المملكة المسلمة في الهند بدأ يضعف أمرها، ويتقلص ظلها منذ أواخر القرن السابع عشر للميلاد، ومنذ ذلك اليوم أخذ الأمر ينتقل إلى (شركة الهند الشرقية) البريطانية، حتى كاد يستتب لها الأمر في معظم أقطار الهند في بدء القرن التاسع عشر»(٣).

---

(١) انظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني، إذا هبت ريح الإيمان،(من ص: ٢٠٩ــ ٢١١)،ط١٠، مؤسسة الرسالة ــ بيروت لبنان، دار القلم ــ الكويت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

(٢) انظر: الندوي: مسعود، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، (ص: ١٦).

(٣) الندوي: مسعود، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، (ص: ١٧٩).

وقد فسر الدكتور عبد المنعم النمر سبب أطماع المستعمرين في الهند بقوله:

«وكان المسلمون يسيطرون على طرق التجارة البرية والبحرية، ويتحكمون في فرض الضرائب، فنتج عن هذا وذاك رغبة في التخلص من حكم المسلمين، بل والقضاء على سيطرتهم على البحار، بل والقضاء عليهم في الهند نفسها، وفي العالم الإسلامي ما أمكن»(١).

وقال غوستاف لوبون: «وحركت عجائب الهند الخرافية عوامل الطمع في الشعوب الأوربية في القرون الوسطى، فصار كل واحد منها يبحث عن طريق للوصول إليها غير الطريق التي منعهم المسلمون منها... والبرتغاليون هم الذين وجدوا الطريق المنشودة، فكان لاكتشافها أهم النتائج، ففي سنة ١٤٩٨ جاور فاسكودوغاما رأس أفريقية الجنوبي متوجها إلى الهند فبلغ كاليكت الواقعة على شاطئ ملبار من جنوب الهند»(٢).

فالهند توجهت لها أطماع المستعمرين للسيطرة عليها، وعلى منافذها، وخيراتها.

ب / التنصير في الهند:

التقت الدوافع السياسية والاستعمارية بالدوافع التنصيرية، لتحقيق أطماعهم؛ لذا تبنت الحكومات الأجنبية الإرساليات التنصيرية، ورعت مصالحهم، ووفرت لهم كل ما يحتاجونه، فأصبح التنصير والاستعمار يتعاونان لتحقيق هدف واحد.

وقد حاول البرتغاليون تنصير المغول، قال غوستاف لوبون: «جهدت الكنيسة زمنا طويلا لتنصير المغول»(٣).

وقال (أ. لُ شاتليه): «انتشرت إرساليات التبشير في الهند عقب إرسالية جمعية لندن التبشيرية، التي قام بها (كاري) ثم تبعتها الإرساليات الأمريكية والاسكتلندية، والهولندية، والنرويجية، وغيرها، وكلها تؤدي وظيفتها بنشاط، وتقوم بأعمالها بكل دقة»(٤).

---

(١) النمر: د. عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند،(ص: ٤٢١)، ط١، طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان ١٤٠١هـــ / ١٩٨١م.

(٢) لوبون: غوستاف، حضارات الهند، (ص: ٢٤١)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٣) لوبون: غوستاف، حضارات الهند،(ص: ١١٥)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

(٤) شاتليه: أ.لُ، الغارة على العالم الإسلامي،(ص: ٤٣)، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، ط٢، الدار السعودية للنشر ـــ جدة ١٣٨٧هـــ.

وقد عمل المنصرون على نشر الحركات الهدامة بواسطة المسلمين أنفسهم، قال (أ. لُ شاتليه): ((تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها))(١).

لذا كانت حركة السيد أحمد خان(٢)، والميرزا غلام أحمد القادياني(٣) طريقا للإنجليز لإضعاف عقيدة الجهاد في قلوب المسلمين؛ لأنها تقف ضد مخططاتهم التنصيرية والاستعمارية.

وقد أشاد المنصرون بتلك الحركة في مؤتمراتهم، قال(أ. لُ شاتليه):

((ومؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة لم يفته البحث في حركة الإصلاح التي دخلت من مسلمي الهند، والإشارة إلى (السير سيد أحمد خان) زعيم تلك النهضة، وماتبذله

(١) شاتليه: أ.لُ، الغارة على العالم الإسلامي،(ص: ٨٠)، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.

(٢) السيد أحمد خان (١٨١٧م-١٨٩٨م) هو من أكبر رجال الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند. نشأ في أسرة كان لها اتصال وثيق بالملوك المغول الذين حكموا الشبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني.ألّف العديد من الكتب، ردّ فيها على بعض المغرضين من المستشرقين، ودعى فيها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وله آراء تفرد بها. وتثير بعض أفكاره الحرة واجتهاداته الجريئة الجدل إلي اليوم بين مؤيّد ومكفّر. بصفة عامة قد إتسمت نظرته للدين بالسماحة واليسر وعمق النظر. تأثر به مفكرون مسلمون كبار من أمثال المصلح الإسلامي أمير علي (١٨٤٩م-١٩٢٨م) والفيلسوف الشاعرمحمد إقبال (١٨٧٧م-١٩٣٨م) والمجدد فضل الرحمن (١٩١٩م-١٩٨٨م). (انظر: أمين ، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، من (ص: ١٢١- ١٣٨)، دار الكتاب العربي ـــ بيروت، لبنان،(بدون ذكر الطبعة وتاريخها) وانظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٣٪D٩٪٨A%D٨٪AF_%D٨٪A٣٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٨٪AF_%D٨٪AE%D٨٪A٧٪D٩٪٨٦

(٣) مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ـــ ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وقد نشأ غلام أحمد وفيًا للاستعمار مطيعًا له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي وكان غلام أحمد معروفًا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات. (انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني،(١/ ٤١٦)

مدرسته الإسلامية في (عليكر)ومؤتمر التربية الإسلامية»[١].

فالمنصرون بذلوا جهودهم لتنصير المسلمين في الهند والدليل على ذلك ماقاله أحد بني جلدتهم، وهو:(أ. لُ شاتليه) فقال:

«جاء المبشر (هنري مارتين)[٢] فوضع أساسا قويا للتبشير بالإنجيل، فترجمه إلى الفارسية والأوردية.

ثم جاء بعده (بفندر) فترجم كتابه (ميزان الحق) من الفارسية إلى الأوردية، وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) و(مفتاح الأسرار) وبهذا أثار بفندر مجادلات شديدة مع علماء الإسلام في (دلهي) و(اكرا) و(لكنو)، وزلزل بذلك إيمان كثير من المسلمين، وإن يكن الذين تنصروا قليلا عددهم. وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المتنصرون مثل: السيد مولوي صفدر علي، ومولوي عماد الدين، وسيد عبد الله أثيم، ومنشي محمد حنيف، والدكتور برخرارخان..»[٣].

في مثل هذه الظروف حيث عم البلاء في الهند، وكثرت الفتن، ووقع المسلمون تحت سيطرة الإنجليز، ظهر الشيخ الجليل (رحمت الله الهندي) علما بارزا للدفاع عن الدين.

ج / موقف الشيخ رحمت الله من المنصرين:

نشأ الدين النصراني في الهند قويًا تحت ظلال شركة الشرق الهندية، وكانت حكومة الهند الإنجليزية تساعد الشركة، والقساوسة والمنصرين، حيث سعى المنصرون إلى تضليل مسلمي الهند، بتوزيع الكتب والنشرات وخلق الإشاعات[٤].

---

(١) شاتليه: أ.لُ، الغارة على العالم الإسلامي،(ص: ٨٩، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) شاتليه: أ.لُ، الغارة على العالم الإسلامي،(ص: ٨٦)، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.

(٤) سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، سعى في نشره وترجمته من اللغة الأوردية الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام، (ص: ١٧ ــ ١٨).

وقد بذل هؤلاء المنصرون جهودهم في الهند لتنصير المسلمين، إلا أنهم وجدوا أنه من الصعب نزع المعتقدات الإسلامية من نفوس المسلمين، لذلك سعى المنصرون للتشكيك في الإسلام بالطعن في القرآن والسنة.

وقد تنبه الشيخ رحمت الله لهذا الخطر العظيم حيث استفحل أمر المنصرين ورأي الشيخ أنه لا سبيل إلى الحد من نشاطهم إلا عن طريق المناظرة في مجمع حافل يحضره المسلمين والنصارى.

فتفرغ الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله لدراسة النصرانية من مصادرها الأصلية، حتى أصبح عالما من علمائها، ثم بدأ يؤلف كتبا في الرد على النصارى والمنصرين، ومن هذه المؤلفات: (إزالة الأوهام)وقد ألفه الشيخ باللغة الفارسية للرد على كتاب (ميزان الحق) لبفندر، ولتفنيد حجج النصارى، أيضا كتاب (إزالة الشكوك) وهذا الكتاب يجيب على ٣٩ سؤلا سألهم النصارى أهل الإسلام، كما تناول الأدلة القاطعة على إثبات نبوة محمد خاتم النبيين، أما كتابه: (الإعجاز المسيحي) فقد أثبت فيه الشيخ رحمت الله بأسلوب واضح تحريف الأناجيل ونسخها، وله أيضا كتاب: (أحسن الأحاديث في إبطال التثليث)، حيث أبطل التثليث بدلائل عقلية ونقلية، أما كتابه:(البروق اللامعة) فقد أثبت من خلاله الشيخ رحمت الله أن نبينا محمدا ﷺ مكتوب عنه في التوراة والإنجيل،ولا نبي بعده بأدلة من الكتب المقدسة، كما حقق مسألة تحريف الإنجيل من خلال مؤلفه: (البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف)، أما كتابه: (معدل اعوجاج الميزان)، فقد صنفه الشيخ ردا على ميزان الحق للقسيس بفندر، وله كتاب (تقليب المطاعن)للرد على كتاب: تحقيق الدين الحق. للقسيس لاسمند كاراوار، كما له كتاب (معيار التحقيق) للرد على كتاب (تحقيق الإيمان) للقسيس صفدر علي(١).

(١) انظر: سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، ترجمة الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام،(ص: ٤٠ ــ ٤٢).

قال الشيخ محمد سليم: «ولم يكن أحسن من الشيخ رحمت الله الذي كان هبة من عند الله عز اسمه، لقد تقدم العلماء على علم، وأسس مراكز لمناظرة القسيسين، ومطاردة أفكارهم»[١].

فعندما وصل الشيخ رحمت الله الهندي إلى دلهي لطباعة أول كتاب له يرد فيه على ميزان الحق لفندر[٢]، التقى بالدكتور/ محمد وزير خان. الحاصل على شهادة الطب من بريطانيا، والذي كان يجيد اللغة الإنجليزية،وقد اجتمع علماء المسلمين وزعماؤهم في (اكرا) بالشيخ رحمت الله،وشرحوا له الوضع التنصيري في مدينتهم، وطلبوا منه مناظرة المنصرين، فوعدهم بذلك.

وزار الشيخ رحمت الله والدكتور محمد وزير خان القسيس فرنج في بيته، وعنده القسيس كئي، فحصلت بينهما مناظرة بدون ترتيب مسبق بعيدا عن أعين الناس في شهر ربيع الآخر ١٢٧٠هـ، الموافق كانون الثاني ١٨٥٤م، وكانت الغلبة فيها للشيخ رحمت الله[٣]،لقوة حجته وتمكنه، فكانت مشجعة لطلب المناظرة العلنية في محفل عام[٤].

وبعد المناظرة الصغرى تمت مكاتبات بين القس فندر والشيخ رحمت الله وهذه المراسلات تمت قبل المناظرة الكبرى[٥]، وقد كان الشيخ رحمت الله حريصا على قبول القس

(١) سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، ترجمة الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام،(ص: ١٩).

(٢) طبعت هذه المناظرة على هامش المجلد الثاني لكتابه إزالة الشكوك بالأوردية، وسماها المناظرة الصغرى وهي مطبوعة كذلك مع كتابه إظهار الحق المترجم للأردية (حاشية كتاب الهندي: رحمت الله، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(هامش ١، ص: ١٣٤)،تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل، ط٢، مطابع الصفا / مكة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

(٣) انظر تفاصيل المناظرة في كتاب: المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(من ص: ١٤٤ ـ ١٥٦)،تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل، ط٢، مطابع الصفا / مكة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

(٤) انظر:رحمت الله، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(من ص: ١٤٣ ـ ١٤٤)،تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل.

(٥) رحمت الله، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(من ص: ١٥٧ ـ ١٨٤، حيث عرض المؤلف هذه المراسلات وفق ترتيبها التاريخي وكانت تسعة مكاتيب آخرها من الشيخ رحمت الله بالموافقة على موعد الجلسة.

فندر للمناظرة العلنية حتى أنه قبل بكل شروطه التي وضعها خلال مكاتباته، وتمت المناظرة صباح الأثنين والثلاثاء بتاريخ ١١، ١٢، رجب، سنة ١٢٧٠هـ، الموافق ١٠ — ١١، نيسان ١٨٥٤م.في خان عبد المسيح الذي كان مدرسة في السابق[١].

وقد ناظر الشيخ في هذا المحفل الكبير بثبات وقوة مع حرصه على إقناع الخصم بسوق الأدلة والبراهين، والجرأة على إظهار الحق، وتزييفه للعقائد النصرانية.

قال الشيخ محمد سليم بن محمد سعيد: «ولقد أثبت الشيخ رحمت الله في مدة يومين فقط بسعة علمه، وتوفيق من الله أن الإنجيل محرف، وانتزع من القسيس اعترافا صريحا أمام الحاضرين»[٢].

وكان من نتائج هذه المناظرة أن استطاع الشيخ رحمت الله إظهار فندر على حقيقته، وتعرية كتاباته، والحط من قدره، ومن قدر كتبه، وإظهار تناقضه في مواضع عديدة من كتبه، كما أن الشيخ رحمت الله استطاع إلزام فندر أن يتراجع عن كتابات كتبها، وعن أقوال قالها، وأن يعترف بغلطه في مواضع عديدة، كما أظهر الشيخ اضطراب فندر في كثير من أجوبته وكلامه، وكان هذا مما يرهق أعصاب فندر، ويحرجه، ويجعله متحيرا بإلمام الشيخ، كما أظهر الشيخ أن أدلة فندر ليست موضع الشاهد، مع ضآلة علمه، وتهربه من الجواب بطرق شتى[٣].

وبعد نجاح الشيخ رحمت الله في مناظرته شارك الشيخ رحمت الله في الثورة على الاستعمار الإنجليزي في الهند سنة ١٨٥٧م التي أخمدها الإنجليز بوحشية بسبب خيانة بعض أبناء الوطن، حيث دخل الإنجليز (كيرانه) بأسلحتهم الثقيلة، وفتش الإنجليز بيوت الناس؛ لأن الجواسيس أخبرتهم باختفاء الشيخ رحمت الله الذى توجه إلى القرية المجاورة لكيرانه وهي قرية (بنجيت) التي كان يسكنها المجاهدون المسلمون من قوم جوجر، ولحقته كتيبة الجيش

---

(١) انظر:رحمت الله، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر، (١٨٦)،تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل.

(٢) سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، ترجمة الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام،(ص: ٣٧).

(٣) انظر:رحمت الله، المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر،(من ص: ٣٢٨ — ٣٣٣)،تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل.

الإنجليزي، ولما علم عمدة القرية بذلك طلب منه أن يختفي، مما اضطر الشيخ أن يغير اسمه إلى اسم آخر وسمى نفسه بـ (مصلح الدين) فسافر إلى نيودلهي، ورأى الناس والعلماء يقتلون على قارعة الطريق، وتوجه إلى (سورت) يعبر الفيافي والقفار عن طريق جي بور ومازال ينتقل من بلد إلى بلد حتى وصل إلى (بومبائي) ومن ثم اليمن ثم من اليمن، إلى مكة فدخلها عام ١٢٧٤م، فصادر الإنجليز أملاكه بعد أن يئسوا منه،وفي مكة التقى الشيخ رحمت الله بالشيخ أحمد بن زيني دحلان،المدرس في المسجد الحرام وعرف الشيخ من خلال مناقشاته معه أنه ليس طالب علم، بل أستاذا عظيما، وبعد أن كشف النقاب عن شخصيته، وقص عليه قصته، وماجرى بينه وبين القس بفندر، أظهر له الشيخ أحمد زيني دحلان اعتناء بالغا، وحفاوة وتكريما، والتمس منه تأليف كتاب يضم المسائل المتنازع فيها بين المسلمين والنصارى والتمس منه أن يدرس في المسجد الحرام لينتفع به الناس، ووافق الشيخ، ودون اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم.

وللأسف أشاع بفندر في القسطنطينية أن علماء المسلمين في الهند قد فشلوا في المناظرة، وانهزموا في المقاومة، وأن النصرانية انتصرت على دين الإسلام، وفي هذا العصر كانت الخلافة العثمانية قد بسطت جناحيها على المسلمين وكان الخليفة آنذاك هو: السلطان عبد العزيز خان، ولما سمع السلطان بذلك خاف من تأثير هذه الإشاعة على المسلمين واستفسر السلطان عبد العزيز خان عن ذلك برسالة بعثها إلى والي مكة حتى يعرف حقيقة هذه المناظرة من الحجاج الهنود الوافدين، وردّ عليه الوالي بأن العالم المناظر موجود يدرس في الحرم،فطلبه السلطان ولما وصل الشيخ رحمت الله إلى القسطنطينية وسمع عن وصوله القس بفندر فر هاربا، أما السلطان عبد العزيز فقد استقبله، وأكرمه، وطلب منه أيضا تأليف كتاب يضم موضوع المناظرة خلال ستة أشهر تبدأمن رجب ١٢٨٠وظهر كتاب (إظهار الحق) الذي كتب في مقدمته أن الكتاب قد ألفه بأمر الشيخ أحمد بن زيني دحلان باعتبار أنه صاحب الفكرة ابتداء، وقد التقى الشيخ مدة إقامته في القسطنطينية بالعلماء والفضلاء، ثم رجع إلى مكة، وفكر في تأسيس مدرسة نظامية في أرض الحرم، وكان له ذلك بعد أن تبرعت سيدة ثرية من الهند بتكاليف بناء المدرسة، وهذه السيدة اسمها (صولت النساء بيغم)

والتي وصلت إلى مكة في سنة ١٢٩٠ هـ مع ابنتها وزوج ابنتها، وقد تسمت المدرسة باسمها (المدرسة الصولتية)[١].

عاش الشيخ رحمت الله في مكة مدافعا له صيته في البلاد الإسلامية، حتى وافاه الأجل، ومات في مكة، ودفن فيها، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين[٢].

(١) انظر: سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، ترجمة الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام،(من ص: ٤٢ ـ ٥٥).

(٢) هناك دراسة علمية (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم العقيدة) بعنوان: جهود الشيخ رحمت الله الهندي في الدفاع عن العقيدة، من إعداد الطالبة: عالية بنت صالح بن سعد بن مسلي آل مسلي القرني، إشراف: د. محمود بن محمد بن محمود مزروعة، ١٣٢٦هـ / ٢٠٠٥ م. ذكرت من خلال نتائج البحث أن الشيخ رحمت الله وافق الأشاعرة والماتريدية المتأخرين المتأثرين بالفلسفة كالرازي والإيجي وضربت لذلك بعض الأمثلة،(انظر:ص: ٥٠٧).

المبحث الثاني

الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢هـ / ١٣٥٤هـ)

المطلب الأول:التعريف بالشيخ:

هو: السيد محمد رشيد رضا بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا خليفة البغدادي.

والتاريخ الدقيق لمولد رشيد رضا، والذي اتفقت عليه كافة المصادر هو ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ أما مكان ولادته، ففي قرية تسمى (القلمون) على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في جبل لبنان[1].

وقد مر الشيخ محمد رشيد رضا بمرحلة تصوف وقت شبابه،[2] وغير اتجاه حياته من متصوف ناسك زاهد إلى سلفي، لقد كان الشيخ محمد رشيد رضا يتعبد على طريقة أهل الصوفية، فعدل عنها إلى طريقة أهل السنة،وكان يجاهد نفسه بالسهر، وقلة المأكل، قال رشيد رضا عن نفسه: «نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصغر، فخفت علي في الكبر، كنت من سن المراهقة أذهب إلى المسجد في السحر، ولا أعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس حتى كانت والدتي رحمها الله تقول: إنني منذ كبر رشيد ما رأيته نائما، فإنه ينام بعدنا، ويقوم قبلنا..»[3].

---

(١) انظر:السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،(ص: ١٤٩ـ ١٥١)، ط١، مكتبة المعلا ـ الكويت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م.وانظر: رضا: محمد رشيد،مجلة المنار،(٣٥ / ٤٨٠).

(٢) انظر:رضا: السيد محمد رشيد، المنار والأزهر (كتاب يشتمل على مقدمة في ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله ومقالات في الرد على مجلة الأزهر (نور الإسلام) في طعنها على المنار وتأييدها البدع والخرافات وخاتمة في خلاصة سعي صاحب المنار لإصلاح الأزهر في مدة ٣٥ سنة،(١٤٦ ـ ١٧٠)، ط١، مطبعة المنار بمصر ١٣٥٢م.

(٣) رضا: السيد محمد رشيد، المنار والأزهر،(ص: ١٤٦).

وقال الشيخ عن نفسه: «وقد حبب إليّ التصوف كتاب إحياء العلوم لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، فكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام اكتفاء بقليل من الزعتر مع الملح والسماق، وبالنوم على الأرض، وغير ذلك..»(١).

وقد رجع الشيخ محمد رشيد رضا إلى السنة، وعدل عن طريقة الصوفية في العبادة فقال: «ولما اشتغلت بالسنة، وعلمت أن قراءة هذا الورد وأمثاله من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى، على مافيه من الأمور والأقسام المنتقدة شرعا، تركت قراءته، واستبدلت بها قراءة القرآن»(٢).

ومن أساتذة الشيخ رشيد رضا: الشيخ حسين الجسر من أكبر علماء سورية في عصره، والشيخ محمود نشابة، والشيخ عبد الغني الرافعي، والشيخ محمد القاوقجي، التي لم يبق في ذهن الشيخ رشيد رضا بعد استقلاله الفكري إلا الأحاديث التي أوردها عنه.ومن أكبر أساتذته الذين كان لهم الأثر في حياته الإصلاحية السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده(٣).

قال الدكتور / تشارلز آدمز(٤) عن رشيد رضا أنه «الرجل الذي ظل يحي تعاليم الشيخ عبده خلال ربع قرن بعد وفاته»(٥).

وتوفي الشيخ محمد رشيد رضا في يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ = أغسطس ١٩٣٥م.

---

(١) رضا: السيد محمد رشيد، المنار والأزهر،(ص: ١٤٧).

(٢) رضا: محمد رشيد، المنار والأزهر، (ص: ١٤٧).

(٣) انظر: رضا: محمد رشيد،مجلة المنار،(١ / ١)
http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

(٤) آدامز، تشارلز (١٨٨٣ - ١٩٤٨ م) أمريكي، تعلم على ماكدونالد، ثم عين مديرا للمدرسة اللاهوتية في العباسية بمصر، توفي ودفن بمصر، من آثاره: الإسلام والتجديد في مصر، وهو ترجمة إنجليزية لكتاب: الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، وقد حدد فيها الآراء الإسلامية وردها إلى مصادرها، وله دراسات في مجلة عالم الإسلام.(انظر: العقيقي: نجيب، المستشرقون،(٣ / ١٠٠٤ ــ ١٠٠٥).

(٥) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر،(ص:١٦٩)، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الاعتماد ــ مصر ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م.

ودفن بجوار شيخه محمد عبده في مقابر المجاورين بالأزهر(١).

ومن آثاره(٢):

١/ الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية.

٢/ مجلة المنار: وهي المعلمة الإسلامية الكبرى، والكتر الذي احتوى ثمار تجارب رشيد رضا، وآرؤه في الإصلاح الديني والسياسي.

٣/ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وما جرى بمصر في عصره.

٤/حقوق النساء في الإسلام.٥/ الوحي المحمدي. ٦/ المنار والأزهر. ٧/ ذكر المولد النبوي.٨/ الوحدة الإسلامية.٩/ يسر الإسلام وأصول التشريع العام الخلافة أو الإمامة العظمى.١٠/ الوهابيون والحجازيون.السنة والشيعة.

١١/ مناسك الحج، أحكامه وحكمه.١٢/ تفسير القرآن الكريم، المعروف بتفسير المنار.١٣/ حقيقة الربا. ١٤/ مساواة الرجل بالمرأة. ١٥/ رسالة في حجة الإسلام الغزالي.١٦/ المقصورة الرشيدية.

المطلب الثاني: موقفه من أهل الطرق الصوفية والبدع والخرافات:

مرّ الشيخ محمد رشيد رضا بعدة أطوار في حياته الفكرية، فكان في بداياته صوفيًا، متأثرا بشيوخه الأوائل، وبمؤلفات الغزالي.

يقول الدكتور تشارلز آدمز: «أما محمد رشيد رضا فيقرر أن الغزالي كان معلمه الأول العظيم الذي اهتدى بهداه في باكورة أيامه، ويبدو أثر الغزالي فيهم من كثرة استشهادهم بمؤلفاته، بل يبدو أكثر من هذا في قولهم بالكثير من آرائه الدينية المشهورة، وفي ذكرهم لألفاظه وعباراته بنصها، وكذلك في الروح التي تطغى على تصورهم للحياة الدينية كلها،

---

(١) انظر: رضا: محمد رشيد،مجلة المنار،(١ / ١
http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book= (٢١٩٤)

(٢) انظر: رضا: محمد رشيد،مجلة المنار،(١ / ١
http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=(٢١٩٤)

وتجعلها شيئا نفسانيا، أو أمرا من أمور القلب، وشاغلا من شواغله، لا صلة بينه وبين المظاهر الخارجية على نحو تافه»[١].

لقد مر الشيخ محمد رشيد رضا بفترة تصوف في بداية حياته، ثم تلا مرحلة تصوفه تأثره بمدرسة الأستاذ محمد عبده العقلانية، ثم انتهى أخيرًا إلى مرحلة اقترب فيها كثيرًا من المدرسة السلفية.

قال البرت حوراني[٢]: «أما بصدد التطور اللاحق للفكر الصوفي، وكيفية ممارسته في الإسلام السني، فقد حذا رشيد رضا حذو محمد عبده في استنكاره، كما حذا حذوه في التمييز بين التصوف الصحيح والتصوف المزيف، فرأى أن من الضروري للمسلم أن يضيف إلى العقيدة السليمة والأعمال الصالحة التي تقتضيها الشريعة شيئا آخر، هو الصدق والإخلاص، والأخذ بالعزائم، ومحاسبة النفس، على ألا يؤدي ذلك إلى الخروج على حقائق الدين وإلى عبادات لا تؤديها الشريعة. فمثل هذا التصوف ينطوي على أخطار روحية. ذلك أن الإغراق في الاستسلام لإرادة الشيخ يصبح حاجزا بين النفس والله، كما قد تؤدي الطقوس الروحية التي ابتدعها الطرق الصوفية إلى إهمال أشكال العبادة التي أمر الله بها صراحة في القرآن، ناهيك بعادة استحضار الأرواح التي تنطوي على أخطار عقائدية، كان من المعقول أن يوافقه الإمام محمد عبده على مثل هذه الانتقادات، غير أن رشيد رضا كان يشك في بواعث المتصوفين، فقال مرددا صدى ما دار من جدل سابق بأن هذا النوع من التصوف قد دخل الإسلام على يد جماعة من الزرادشتيين لإفساد دين العرب، وتقويض

(١) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر، (ص:١٩٣)، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود.

(٢) المفكر والباحث الإنجليزي الكبير ألبرت حوراني. وقد ولد في مدينة مانشيستر بإنجلترا عام ١٩١٥ من أبوين لبنانيين. ثم أكمل دراساته العليا في أوكسفورد. وبعدئذ انتقل إلى لبنان حيث أصبح أستاذا في الجامعة الأميركية ببيروت. ثم اشتغل دبلوسيًا أو كمستشار لدى وزير الدولة البريطاني في القاهرة، وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد انتهاء الحرب عاد إلى أوكسفورد كأستاذ ذي كرسي لكي يدرس فيها طيلة حياته الجامعية من مؤلفاته: تاريخ الشعوب العربية.

www.kwtanweer.com/articles/readarticle.php?...١٠٠٨

دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي، لتتمكن تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم اللذان[١] أزالهما العرب بالإسلام»[٢].

وقد آلم الشيخ محمد رشيد رضا حال أهل الطرق الصوفية، وصمم على المضي قدما نحو إصلاح مجتمعه من الضلالات والبدع، ووقف ضد شيوخه الأوائل، وبقي الخلاف بين التلميذ وأساتذته محاولا إقناعهم بحجته الشديدة، ومع ذلك نجد الخلاف استمر بين الشيخ رشيد رضا وشيخه الجسر حتى وفاة شيخه سنة ١٩٠٩م[٣].

كما أنكر الشيخ رشيد رضا بدعة البناء على القبور،واتخاذها مساجد، والتبرك بأصحابها، يقول محمد رشيد رضا:

«إننا نصرف معظم العمر في مقاومة أمثال هذه البدع»[٤].

ومن العوامل التي ساعدت على نقلته من الصوفية إلى السلفية كتب الشيخ ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية[٥]ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٦].

كذلك أثرت فيه دعوة جريدة العروة الوثقى التي تنادي جميع المسلمين إلى التمسك بأصول الدين الصحيح.

---

(١) الصواب: اللذين.

(٢) حوراني: البرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ــ ١٩٣٩،(ص: ٢٧٨ ــ ٢٧٩)، ترجمة: كريم عزقول، ط٤، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٨٦ م.

(٣) انظر: رضا: محمد رشيد،مجلة المنار،(٢١/ ١٦٢ ــ ١٦٣).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

(٤) رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(١٤ / ٩٥٥)

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=(٢١٩٤)

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=(٢١٩٤)

(٥) انظر: تفسير المنار، الجزء الأول،(ص: ٢٥٣)، في تفسير سورة البقرة، حيث قال: ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم ــ رحمهما الله، وإنني أقول عن نفسي:إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلا إلا بممارسة هذه الكتب. " انظر:رضا: السيد محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار.

(٦) انظر: مجلة المنار،(٢٨ / ٥١)، (٣١ / ٦٨).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=(٢١٩٤)

قال الدكتور تشارلز آدمز عن رشيد رضا: «وأثرت مقالات العروة الوثقى فيه تـأثيرا قويا، وكانت كما يقول السبب في توجيه حياته وجهة جديدة.كان قبل هذا قد مـال إلى التصوف،واشتغل بالعبادة، وأخذ النفس بالتقشف والزهد، ثم أخذ يعلم القرآن للعامة مـن أهل قريته، ويبين ما جاء فيه من آيات الترهيب والإنذار،مغلبا الخوف على الرجاء، والزهد في الدنيا على القصد والاعتدال فيها»[(١)].

وقال أيضا الدكتور تشارلز آدمز: «ولا شبهة لدينا في أن المصلحين المصريين استلهموا بعض جهودهم من جهود أولئك المصلحين السابقين، لهذا لا نجد وجها للدهشة عندما نجد صاحب المنار يشكو من اتهام البعض له بالاعتزال، أو قولهم عنه إنه وهـابي عنـدما كـان يعترض على بعض العبادات الشائعة.وقد أخذ الشيخ محمد عبده. والسـيد رشـيد رضـا طريقتهما في الإفتاء من أعلام الموقعين لابن القيم؛ لأن سنده نص القرآن والسـنة. وكـان يعتمد على ابن تيمية لأنه كان من أعلم الناس،إن لم يكن أعلمهم بمثارات هذه البدع، ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الإسلامي»[(٢)].

المطلب الثالث: طرق نشرالشيخ محمد رشيد رضا الدعوة السلفية:

أولا: مجلة المنار:

كانت مجلة المنار الميدان الذي اعتمد عليه الشيخ محمد رشيد رضا في نشر دعوته السلفية المباركة،والهدف منها هو إحياء السنة، والرجوع بالدين كما عليه السلف،[(٣)] وقـد بـين الشيخ محمد رشيد رضا أغراض مجلة المنار،[(٤)]فمن الأبواب البارزة في مجلة المنار (باب البدع

(١) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر،(ص:١٧٠).

(٢) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر،(ص:١٧١)، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الاعتماد ـــ مصر ١٣٥٣هـــ / ١٩٣٥م.

(٢) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر،(ص:١٩٤)، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود.

(٣) انظر: رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(٢٢/ ٣٦٦).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=(٢١٩٤)

(٤) انظر: رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(١٢ / ١).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

والخرافات والتقاليد والعادات[1]»، حيث حث على ترك البدع والخرافات، فكان لهذه المجلة أثر في نشر السلفية في أرجاء العالم الإسلامي.

قال البرت حوراني: «أصدر العدد الأول من مجلة المنار التي أصبحت منبرا للدعوة إلى الإصلاح وفقا لمبادئ محمد عبده، وقد استمر على إصدارها بانتظام شبه كامل حتى وفاته ١٩٣٥، ويمكن القول إن المنار كانت منذ تأسيسها بمثابة سجل لحياة رشيد رضا، ففيها كان يفرغ تأملاته في الحياة الروحية، وشروحه للعقيدة، ومجادلاته اللامتناهية، والعنيفة في هجومها ودفاعها على السواء، وينشر الأخبار التي كانت تأتيه من أطراف العالم الإسلامي، وآراءه في سياسات العالم، وشروحه الكبرى للقرآن وهي الشروح التي سماها (تفسير المنار) التي بناها على محاضرات محمد عبده وكتاباته، وقد واظب على كتابتها حتى وفاته»[2].

وقد تناولت مجلة المنار بين صفحاتها كثيرا من الردود على النصارى وبعض المستشرقين،سواء كانت الردود من كتابات الشيخ محمد رشيد رضا أو من الكتاب المسلمين فكانت سبيلا للدعوة إلى الدين الحق.

ومن أمثلة ذلك:

رده على شبهات المسيحيين على الإسلام، وهذا الرد في أصله مبني على شبهات علقت في ذهن أحد القراء، قال الشيخ رشيد رضا:

«اطلعنا على صحيفة كبيرة لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التي نشرتها البعثات النصرانية في الطعن بدين الإسلام، يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت في ذهنه في مطالعة تلك الكتب، ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات؛ لأن المدافعة عن الدين أهم ما أنشئ له المنار،..»[3].

---

(١) رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(٣ / ٧١١ ــ ٧١٤).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

(٢) حوراني: البرت، الفكر العربي في عصر النهضة(١٧٩٨ ــ ١٩٣٩)، (ص: ٢٧٢ ــ ٢٧٣)، ترجمة: كريم عزقول.

(٣) مجلة المنار، المجلد الرابع، الجزء الخامس،(ص: ١٧٩)، (١٦ / محرم / ١٣١٩ ــ ٥ مايو ١٩٠١)

كما رد الشيخ رشيد رضا على كتاب تنوير الأفهام في مصادر الإسلام،[١] حيث بين الشيخ رشيد رضا سفه المؤلف وجهله، من خلال مناقشته لبعض النصوص التي أوردها صاحب كتاب تنوير الأفهام،وقد رد عليه الشيخ في مقالين ضمن مجلة المنار[٢].

كما عرض الشيخ رشيد رضا في مجلته الملاحظات التي كتبها اليزيدي من الرباط (المغرب العربي) في ٨ جمادى الأولى عام ١٣٤٨ هـ الموافق ١٢ أكتوبر / ١٩٢٩م.بعنوان (ملاحظات على كتاب المسيو درمانغام المعنون بـ (حياة محمد) وأضاف الشيخ محمد رشيد رضا تعليقاته مذيلا في آخر المقال[٣].

كما أنه رد في مجلة المنار على كتاب (لورد كرومر)، ودافع عن الإسلام والمسلمين[٤].

أيضا عرض الشيخ رشيد رضا في مجلته عنوانا: (يفترون على الله كذبا) وكتب تحته مطاعن المبشرين في صاحب الرسالة الإسلامية، لصاحب الفخامة سيف الرحمن رحمة الله فاروق (اللورد هدلي) رئيس الجمعية البريطانية الإسلامية) وكتب: نشرت المجلة الإسلامية (إسلامك رفيو) التي يصدرها الخواجة كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلي الذي ذاع في الناس خبر اعتناقه لدين الإسلام منذ عشر سنين، ردا على مفتريات المبشرين الذين لم يكتفوا بعقد مؤتمراتهم ضد العالم الإسلامي، بل هم يوجهون المطاعن البذيئة إلى النبي الكريم...ثم عرض ماكتبه اللورد هدلي[٥].

هذه نماذج لبعض ما تناولته مجلة المنار، وغير ذلك كثير للمتأمل في هذه المجلة والتي جعل معظمها للرد على شبه المنصرين، وللرد على بعض المؤلفات لبعض المستشرقين ممن طعنوا في الدين الإسلامي الحنيف.

---

(١) المقصود به كتاب: تسدل:سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، باللغة العربية، مطبوعات نور الحياة، ط بدون. LIGHT OF LIF-VILLACH-AUSTRIA،

(٢) انظر: مجلة المنار ـــ المجلد السابع ـــ الجزء الثالث،(ص: ١٠١)،(غرة صفر ١٣٢٢ ـــ ١٧ إبريل ١٩٠٤)، والمقال الثاني الذي رد فيه صاحب كتاب تنوير الأفهام أيضا: مجلة المنار ـــ المجلد السابع، الجزء الخامس،(ص: ١٦١)، (غرة ربيع الأول ١٣٢٢ ـــ ١٦ مايو ١٩٠٤).

(٣) انظر: مجلة المنار ـــ المجلد ٣٠، الجزء السادس،(ص: ٤٤٠)،(جمادى الآخرة ١٣٤٨ ـــ ديسمبر ١٩٢٩).

(٤) انظر: مجلة المنار ـــ المجلد ١١، الجزء الخامس،(ص: ٣٥٤)، (جمادى الأولى، ١٣٢٦ ـــ يونية ١٩٠٨ م).

(٥) انظر: مجلة المنار، المجلد ٢٩، الجزء الخامس،(ص: ٣٤٤)، ربيع الأول ١٣٤٧ سبتمبر ١٩٢٨).

كما دافع الشيخ محمد رشيد رضا عن الدعوة السلفية وأتباعها ومن أمثلة ذلك الدفاع عن أتباع محمد بن عبد الوهاب برده على سؤال الأستاذ: محمد إبراهيم خليل بولاق في مجلة المنار في المقالة السادسة: ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية، وقبة الحرم الشريف؟[(١)].

حيث دافع الشيخ بالحجة البالغة لما قام به أتباع الدعوة السلفية من هدم البدع المخالفة لصريح السنة،واتخاذ القبور مساجد وما إلى ذلك من إزالة بعض الأمور البدعية التي تعلقت بها قلوب ضعاف الدين[(٢)].

وقد لخص الشيخ محمد رشيد رضا أهداف مجلته في الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار، وبالرغم من ذلك فقد انتقدها الشيخ عبد الرحمن السعدي[(٣)].

كما أشادت المجلة بالشيخ ابن تيمية،[(٤)] والشيخ محمد بن عبد الوهاب[(٥)] في كثير من صفحاتها.

وفي ذلك يقول المستشرق هنري لاووست: «إن رشيد رضا ابتدأ من عام ١٩١٨ م أخذ يعنى عناية خاصة بدراسة نشأة المذهب الوهابي، وتطوره في مجلة المنار...وابتداءً من عام ١٩٢٦ م صار المنار أحد المراكز النشيطة للدفاع عن الوهابية في مصر... ثم قال: وكان في

(١) وقد نشر في الأهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ٢٥ أكتوبر. رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز،(انظر: حاشية الكتاب رقم ١ من ص: ٦٦)، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي،ط ١ الناشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، محرم ١٤٠٩هـ = سبتمبر ١٩٨٨ بالمطبعة السلفية بنارس في الهند.

(٢) انظر: مجلة المنار،المجلد الخامس والعشرون، الجزء التاسع،(من ص: ٦٨٢ ــ ٦٨٧)، بتاريخ، ٢٩ رجب سنة ١٣٤٣ / الحوت سنة ١٣٠٤ هـ ش ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٥ م. وانظر: رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز، من ص: ٦٨ ــ ٧٣)، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي،ط ١ الناشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، محرم ١٤٠٩هـ = سبتمبر ١٩٨٨ بالمطبعة السلفية بنارس في الهند.

(٣) انظر: رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(٢٩ / ١٤٣ ــ ١٤٧).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

(٤) انظر: رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(١٢ / ٣٩٤)،(و١٨ / ٣٢٨).

http://www.shamela.ws/old_site/open.php?cat=٣٣&book=٢١٩٤

(٥) انظر: رضا: محمد رشيد، مجلة المنار،(٢٨/ ٣)، فاتحة المجلد.

انهيار تركيا كقوة إسلامية وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل رشيد يلقي بثقله نحو الحركة الحنبلية الجديدة المحافظة»[١].

وقال أيضا المستشرق (كير): «وقد اعتنى رشيد ببيان عقيدة أهل نجد، وكتبهم الإصلاحية، أكثر من غيرها من الحركات»[٢].

ويقول الدكتور تشارلز آدمز: «سطع نجم من الأمل الجديد بقيام أسرة ابن السعود الوهابية في بلاد العرب، والمنار يقول: إن ابن السعود أكبر قوة إسلامية في الأرض بعد سقوط الدولة العثمانية، وصيرورة حكومة الترك لا دينية، وإن هذه القوة هي الوحيدة التي تنصر السنة، وترفض البدعة والدجل.

ويظهر أن تقدم التفكير الإسلامي في كثير من النواحي لم يصادف قبولا عند رشيد رضا، ودفع به إلى ناحية المحافظين شيئا فشيئا، وأبعده عن المجددين الأحرار، وكان من عاداته أن يسمي جماعته (الحزب المعتدل) الذي يتوسط بين الجامدين الذين تعتمد قوتهم على انقياد العامة لهم انقيادا أعمى، وبين أصحاب الآراء المتطرفة في التقدم وهم الذين يقولون بإطلاق حرية العقل، ويدعون إلى الأخذ بالحضارة الجديدة، واتباع القوانين الوضعية، وأساليب الحكم الحديثة»[٣].

وقال هنري لاووست: «الوحدة والتقدم في ظل الإسلام هما الكلمتان اللتان تلخص مذهب رشيد رضا بأكمله ونشاطه بأسره»[٤].

هكذا كان الشيخ محمد رشيد رضا في نظر بعض المستشرقين هو المدافع عن الدعوة السلفية في نجد، نابذا البدع والخرافات.حيث قام بنشر تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومراحلها قبل الدعوة وبعدها[١].

---

(١) LAOUST (H) IBID، PP. ٥٦١,٥٦٢.
نقلا من: السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: ٣٠٢).

(٢)KERR (M):IBIDP ١٥٤
نقلا من: نقلا من: السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: ٣٠٢).

(٣) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر،(ص: ١٧٧).

(٤) PP.،LAOUST (H) IBID ٥٧٤ -٥٧٥
نقلا من: السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: ٤٣٦).

يقول الدكتور تشارلز آدمز عن رشيد رضا: «وكانت غاية رشيد رضا من إنشاء المنار مواصلة السير على نهج العروة الوثقى»[٢].

و لم تقتصر مجلة المنار على الدفاع عن الدعوة السلفية، بل كان لها دور في مجال الفقه وأحكامه، حيث ذكر الدكتور وهبة الزحيلي جانبا من الدور التي كانت تقوم به مجلة المنار فقال: «ومن آثار مدرسة المنار ما يذكره بعض الباحثين أن رشيد رضا قد عالج باجتهاداته كثيرا من المشكلات الفقهية، مثل: تعدد الزوجات ومسائل العدة والطلاق، ونحوها،مما أخذت به قوانين الأحوال الشخصية في أكثر البلاد العربية في عصرنا الحاضر، وخاصة في مصر، واستفاد من ذلك واضعو هذه القوانين وعلى رأسهم (عبد الرزاق السنهوري)»[٣].

وكان له أيضا دور في الاجتهاد حيث إنه: «قد دعا رشيد رضا إلى الاجتهاد..وقام ببعض الاجتهادات، والابتكارات في إطار الشريعة الإسلامية،ولكن هذا العمل لم يعجب بعض المستشرقين الذين رأوا أن ما عمله رشيد رضا لم يكن هو ما يتمنونه من إدخال نظمهم الأوربية في شريعة المسلمين وحياتهم»[٤].

ثانيا: تفسير المنار:

يقول تشارلز آدم: «بأنه من المناسب أن يقرن هذا التفسير باسم (المنار) لأنه نشر على صفحات المنار قبل أن يطبع في تفسير مستقل، ولأن صاحب المنار له إلى حد كبير الفضل في إخراجه»[٥].

بالرغم من المآخذ على هذا التفسير[١]، إلا أنه كان من الطرق التي نشر من خلالها الشيخ محمد رشيد رضا سلفيته.

---

(١) انظر: مجلة المنار،(المجلد ٢٩، ص: ٢٠٠ ــ ٢٠٠١)

(٢) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر، ص: ١٧٢)

(٣) الزحيلي: د. وهبة، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية،(ص: ١٠ ــ ١١)، من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض) نقلا من: السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: ٥٥٤).

(٤) M.KERR: PP ٢١٩ – ٢٢٢.

نقلا من: السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص: ٤٢٧)

(٥) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر، (ص: ١٨٩)،قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود.

وقد أثنى المستشرق المجري جولد تسيهر على الشيخ محمد رشيد رضا في التعامل مع نصوص الحديث فقال: «إن مقدرة رشيد في نقد الأحاديث المختلفة وما أظهره من الكفاية العظيمة في ذلك، تذكرنا أحيانا بالنقدة من علماء الحديث المتقدمين»(٢).

أما البرت حوراني فقال: «لقد فسر رشيد رضا المذهب السني تفسيرا مستمدا من الحنبلية المتزمتة التي كانت سائدة في سوريا، خصوصا دمشق، أكثر منها في مصر. ومع أنه خالف ابن تيمية في بعض النواحي، فقد لا يقل ما استقاه من تآليفه التي نشر بعضها في المنار عما استقاه من تعاليم الغزالي، وهذا العطف على الحنبلية هو ما حمله في ما بعد على الاندفاع في تأييد انبعاث الوهابية في أواسط الجزيرة العربية، وسياسة زعيمها عبد العزيز بن سعود، مرحبا بفتح الوهابيين للحجاز، ومبرئا إياهم من تهمة الخروج على الدين معلنا أن عقيدتهم سنية صرف، ودينهم دين الأولين. فهم — وإن قاوموا كل فكرة تضع محمدا في مرتبة فوق البشر — يعتبرون رتبة محمد بين البشر أعلى الرتب، وهم فيما يختص بالأولياء لا يعارضون الفكرة القائلة بأن هؤلاء اجترحوا أعمالا خارقة، وإنما يعارضون جهل الجهلاء الذين يخصونهم بالتعبد الذي لا يجوز إلا لله وحده، ورأى رشيد رضا أن ابن سعود يكاد يكون أفضل من حافظ على المبادئ الجوهرية للسنة، ودافع عنها بعد الخلفاء الأربعة الأولين، وهو في هذا القول لم يسلم من تلميح أعدائه إلى أنه باع نفسه من ابن سعود، وقد ردّ على ذلك بأن ما حمله على التخلي عن رأيه الأول في أن الوهابية بدعة إنما هو القراءة والتفكير.،وأنه لم يتصل بابن سعود إلا فيما بعد، وأن هذا الاتصال نفسه لم يكن إلا على مستوى سياسي، وكجزء من خطة ترمي إلى تحقيق اتحاد بين زعماء العرب يقف سدا في وجه التدخل الأجنبي»(٣).

---

(١) حيث تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بالشيخ محمد عبده في التفسير بالرأي في بعض المواطن، مثل تأويل مفهوم الملائكة، وتأويل سجود الملائكة لآدم وتأويل معصية آدم (تفسير المنار،(١/ ٢٦٧ — ٢٧٠)،(و٢٦٩)، و٢٨٣.

(٢) آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر، (ص: ١٧١)، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود.

(٣) حوراني: البرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ — ١٩٣٩،(ص: ٢٧٧ — ٢٧٨).

فالشيخ محمد رشيد رضا من خلال هذا العرض الموجز ــ يتبين لنا مدى جهاده بلسانه وقلمه سواء في مجلة المنار، أو في تفسير المنار، حيث حاول من خلال ما أورده من رسائل، أو من خلال اطلاعه على ما كتبه المنصرون أن يحجمهم من خلال ردوده في مجلة المنار التي يطلع عليها كثير من المسلمين.

المبحث الثالث

عبد الحميد بن باديس (١٣٠٧هـ / ١٣٥٩هـ)

المطلب الأول:التعريف بالشيخ:

ولد عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس في ليلة الجمعة في ثاني الربيعين من سنة ١٣٠٧هـ الموافق للرابع من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٩م في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، وكان الولد البكر لوالديه،[١] وقد نشأ في أحضان أسرة عريقة في العلم والجاه، وحفظ القرآن وعمره لم يتجاوز الثالثة عشرة، رحل لطلب العلم إلى تونس، ودرس في جامع الزيتونة وحصل على الشهادة العالمية وهو ابن ثلاثة وعشرين عاما،وعاد إلى الجزائر فانتصب يحيي دروس العلم في الجامع الكبير بقسنطينة، ومنه إلى الجامع الأخضر للتدريس به، ثم ارتحل إلى الحج في عام ١٩١٣م، فالتقى بأستاذه الأول حمدان الونيسي،[٢] وعالم الهند الكبير الشيخ حسين أحمد المدني، كما التقى في المدينة المنورة بالشيخ البشير الإبراهيمي، ثم عاد إلى الجزائر ومنها سافر إلى سوريا ومصر والتقى بالشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ أبي الفضل الجيزاوي[٣].

وقد قسم الدكتور تركي رابح أساتذة الشيخ ابن باديس إلى قسمين:

القسم الأول: هم الأساتذة الذين درس عليهم فعلا، وهؤلاء عددهم كثير. ثم تناولهم بالشرح المستفيض.

---

(١) انظر: عمامرة: الدكتور تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة،(ص: ٢٧)، ط٢، موفم للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

وانظر:حميداتو: مصطفى محمد، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية،(ص: ٦١)،ط١ من كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، العدد ٥٧ المحرم ١٤١٨هـ السنة السابعة عشر،آيار (مايو) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩٧م.

(٢) حمدان الونيسي عالم من زعماء الحركة الإسلامية في الجزائر، وأستاذ عبد الحميد بن باديس، من أهل قسنطينة، درس بها، ثم هاجر إلى الديار المقدسة بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م وتوفي بالمدينة المنورة بعد سنة ١٩١٢م. (انظر: نويهض: عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،(ص: ٣٤٦)، ط٢، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ـ لبنان ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٣) انظر: حميداتو: مصطفى محمد، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، (ص: ٦٢ ـ ٦٦).

أما القسم الثاني: من أساتذة الشيخ عبد الحميد بن باديس فهم الذين لم يتلق عليهم العلم بطريق مباشر، وإنما تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتاباتهم بشكل مفصل[(١)].

وكان من الشيوخ الذين لهم الأثر في تكوينه الفكري، واتجاهه الإصلاحي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد النخيلي القيرواني، والشيخ البشير صفر، وقد أخذ عنهم الشيخ ابن باديس العلم مباشرة في جامع الزيتونة، ومن بين العلماء الذين عاصروه، وكان لهم أثر في تفكيره وأسلوبه، الأستاذ محمد رشيد رضا،والشيخ محمد بخيت المطيعي.وكان الشيخ ابن باديس له جهوده العلمية حيث قام بالتدريس في جامع الزيتونة بعد تخرجه منه، وبعد عودته من الحجاز حيث استمر يحيي الدروس العلمية على الطريقة السلفية حوالي ربع قرن حتى وافاه القدر المحتوم، كما عمل بالإفتاء مع انتصابه للتدريس.

ومن آثاره العلمية: تفسير ابن باديس. ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكتاب رجال السلف ونساؤه، كما حقق ابن باديس كتاب العواصم من القواصم.

وتوفي في مساء يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٥٩ هـ الموافق ١٦ إبريل ١٩٤٠م ودفن في مقبرة آل باديس بقسنطينة[(٢)].

المطلب الثاني:جوانب من الحركة الإصلاحية في عهد الشيخ عبد الحميد بن باديس:

لقد عاشت الجزائر في ظل الخلافة العثمانية فترة جمود ــ إن صح التعبير ــ في مجال التقدم الفكري والحضاري، فكانت تلك الثغرة التي نفذ منها المستعمر الأجنبي لطمس شخصية الجزائر دينيا وثقافيا، ولكن بعد معاناة الجزائريين الطويلة يسر الله لهم الاطلاع على الكتب والمجلات الإصلاحية، نحو مجلة المنار التي كان لها دور بارز في بث روح الحماس للحركات الإصلاحية، ونبذ البدع الدخيلة على الإسلام والمسلمين،قال المستشرق جيب: «نظمت في الجزائر جمعية علماء جزائريين لنشر مذهب المنار، كانت الجمعية تعارض بصفة

(١) للاستزادة: انظر: رابح: د. تركي، الشيخ: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر،(من ص: ١٦٣ ــ ١٧٠)، ط٤، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ــ ١٩٨٤م.

(٢) انظر: حميداتو: مصطفى محمد، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، (ص: ٦٧ ــ ٨٦) .

خاصة المرابطين والطرق الصوفية، وذهب الجزائريون إلى أبعد مما ذهب إليه حزب المنار، فزيادة عن دعايتهم المطبوعة والشفوية، شرعوا في إحياء المدارس القرآنية الابتدائية، وإنشائها في جميع أنحاء البلاد للتأثير على الجيل الصاعد، وقد تكللت جهودهم بالنجاح، إذا أخذنا في الاعتبار العراقيل التي اصطدموا بها»[(١)].

إضافة للدور البارز الذي قامت به مجلة المنار فقد أثرت الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد على الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ لأنها دعوة مبنية على توحيد الله تعالى في الألوهية والربوبية، ومحو كل آثار الشرك.

فبعد عودة ابن باديس إلى الجزائر من رحلة الحج ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، شرع في عمله بإيمان متين؛ ليسترجع دينه قوته ونفوذه في النفوس، نقيا كما بلغه الرسول الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولم يجهل ما يعترض طريقه من مصاعب جمة،حيث كان الجزائريون يعيشون في جهل وفقر، فالاستعمار الفرنسي أنساهم لغتهم وتاريخهم، فصمم على المضي قدما للدعوة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح من الكتاب والسنة، وهدي صالح سلف الأمة، وطرح البدع والضلالات، فأنشأ جريدة (المنتقد) وبرز العدد الأول منها عام ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م، فعطلتها السلطات الاستعمارية، ثم أخرج (الشهاب) واستمرت في الصدور حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، كما بذل الشيخ جهوده الإصلاحية لتطهير الجزائر من البدع والخرافات، فكان للشيخ صدام عنيف مع الصوفية ومشايخها الذين يروجون لمبادئ الباطنية، والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة الوجود، والذين ثبت أن لهم اتصالا بالقوى الاستعمارية والتحالف معها، مما كان سببا في القضاء عليه[(٢)].

(١) Gibb.Les tendances modernes del'Islamp.٤٩
Gibb t reduction francaise de B.Vernier.
G.P. Maisonneuve et Cie.Paris ١٩٤٩
نقلا من: الميلي: محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر،(ص: ١١)، ط٢، دار الثقافة ــ بيروت ١٩٧٩.

(٢) انظر: حماني: أحمد، صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، (القسم الأول / من ص: ٤٨ ــ ٦٤)، الكتاب صدر من منشورات دار البعث في الجزائر، وذيل المؤلف كتابه بالشكر لدار البعث بتاريخ ٢٢ربيع الآخر ١٤٠٤هـ / ٢٥ يناير ١٩٨٤ .

كما برز دور الشيخ عبد الحميد بن باديس في الثورة التعليمية التي أحدثها بدروسه الحية في المساجد، وكتاباته التي كانت لها ثمارها المرجوة بالعودة إلى الفهم النقي للقرآن والسنة. وقد ذكر الأستاذ محمد الميلي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس أسس منذ عام ١٩٢٥م صحيفة (المنتقد) فكانت أول صحيفة جزائرية طلائعية بالعربية،وبعدها صحيفة (الشهاب)، وبشر بالإصلاح الديني والاجتماعي[١].

وقد قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بمحاولة كشف مخاطر الصوفية الغلاة حيث سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي بالجزائر، وأصبحوا يشكلون حجرعثرة في وجه التطور والإصلاح، فقد ساهموا بخرافاتهم، وبدعهم المنافية للدين، بتقديم صورة مشوهة عن الإسلام، فكانوا يخدمون الفرنسيين من جهة ويقفون ضد الحركة الإصلاحية السلفية من جهة أخرى.

قال الشيخ الإبراهيمي: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا بالمدينة المنورة (١٩١٣) أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين:

١ ــ استعمار مادي: هو الاستعمار الفرنسي، يعتمد على الحديد والنار.

٢ ــ واستعمار روحاني: يمثله مشائخ الطرق الصوفية المؤثرون في الشعب، والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتجرون بالدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير، وثقلت وطأته على الشعب حتى أصبح يتألم، ولا يبوح بالشكوى أو الانتقاد خوفا من الله بزعمه.

والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم، فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تسعى بالمال على الثورة»[٢].

ثم إن المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر الذي يهدف إلى إيقاف النمو الحضاري والمجتمعي في الجزائر وطمس هوية الجزائريين، حيث كان التوجه الفرنسي يعتمد على معاداة

---

(١) انظر: الميلي: محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر،(ص: ١٢ ــ ١٣) (من مقدمة المؤلف).

(٢) الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٢١،(ص: ١٤٥)، القاهرة، سنة ١٩٦٤م. نقلا من: رابح: د. تركي، الشيخ: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، (ص: ١٠٠).

العروبة والإسلام؛ لذا فقد اتبع الفرنسيون سياسة تبشيرية لتنصير المسلمين، ومن فضل الله عليهم لم يتجاوب الشعب الجزائري مع السياسة الفرنسية التنصيرية، وقاوم هذه الدعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث وقف ضد الفكر الفرنسي وحال دون تحقيق أهدافهم المرسومة، وقد كتب في إحدى المجلات العلمية الفرنسية مانصه:

«إن من الأشياء المدهشة أن تنجب عائلة ابن باديس المحافظة، والموالية لفرنسا. واحدا من الرجال الذين سيوجهون أقصى الضربات للفكر الفرنسي، وللمؤسسات الفرنسية الثابتة»(١).

وقال المؤرخ الكندي (أندريه ديرلك) Andre Dirlik: «إن اهتمامات ابن باديس امتدت من النواحي الدينية إلى الشؤون السياسية، ولمس تفكيره الأمور الاجتماعية والثقافية، لقد عبر عن آرائه حول مسألة الحضارة للجزائريين وللبشرية أجمع، لقد أظهر اهتمامه لمبادئ الأخلاق في المجتمعات، وإن الذي دفعه لإبداء آرائه حول هذه الموضوعات المختلفة هي نظرته للعالم. إن فكر ابن باديس متساوق مع الوضع الذي تبناه لأهمية الإسلام للإنسانية، إنه مما يهم الطالب الجزائري أن يعرف المشاركة التي لا شك في أن ابن باديس قدمها لتغيير المجتمع الجزائري»(٢).

وقد نقل الدكتور مازن مطبقاني عن أحد المستشرقين قوله: «ويرى الباحث الكندي أن الحركة الإصلاحية هي التي وضعت قواعد الأمة للشعب الجزائري، فقد كان ابن باديس مقتنعا بالشخصية الجزائرية المستقلة فعمل جاهدا لإنضاج هذه الفكرة، ويرى الباحث أن نتيجة هذا العمل وإخلاص ابن باديس لهذه الفكرة أدى إلى ولادة الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م»(٣).

---

(١) F.De. Les Ulemu Ageriens Refomists. La Nouvelle Revue ،Richement Francais D'otre Mer No ٧-٨ annee july-August ١٩٥٥.

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي،(ص: ١٦٥، ط١، دار القلم ـــ دمشق ١٤١٠ هـــ / ١٩٨٩م.

(٢) Dirlik، Abd al Hamid Ben Badis Op;.cit.p.٢٠٣ – ٢٠٤

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ١٦١).

(٣) Dirlik، Abd al Hamid Ben Badis Op;.cit.p. ٢٧٥

=

كما أثنى بعض المستشرقين على شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث كتب المفكر الفرنسي الذي أسلم حديثا رجاء جارودي مقالا بعنوان (الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم) جاء فيه:

«وقد تحدد موقفهما [ابن باديس والإبراهيمي] برفضهما للأفكار التي دعا إليها في تركيا ضياء جوكلاب،وطبقها من بعده ببضع سنوات (Modernisation) والغربنة (Occidentlisation). وبذلك أفقد الإسلام جانبه الروحي بتقليد الغرب تقليدا أعمى. ويقول في مكان آخر من مقاله: إن ابن باديس والإبراهيمي ورجال الجمعية حاربوا التعليم الاستعماري الهادف إلى تحطيم مقومات الشخصية، وقطع الطفل الجزائري عن الثقافة العربية الإسلامية، وحاربوا كذلك العقلية الخرافية (المرابطية) فتلك العقلية بما فيها من خرافات وشعاعات تتنافى مع روح الإسلام»[(١)].

وقد وصفه عالم فرنسي بأنه: «كان لديه فقر مبتغى مستلهم من القرآن الكريم الذي يحذر الذين يكترون الأموال»[(٢)].

وكتب مراسل جريدة فرنسية هي (البتي ماتان) petit Matan ــ الذي كان يحضر حفلا في تونس يوم ٢٩ / مايو / ١٩٣٧م، أقيم بمناسبة مرور عشرين سنة على وفاة البشير صفر أستاذ التاريخ بالجامعة الزيتونية وممن تلقى ابن باديس على يديه علم التاريخ، فمما جاء في هذا الوصف مايلي:

«والشيخ ابن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب فهو قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته الجهوري يستفز الجماهير، فيثير الحروب، أو يترل في القلوب سكينة السلام، وهو الرجل الذي وصل في القطر الجزائري إلى درجة عالية من التقدير،وتسير وراء خطواته تسعة أعشار

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ١٦٣).

(١) روجي (رجاء) جارودي، الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم)، الثقافة: م ١٣٠ ع ٧٦، رمضان / شوال ١٤٠٣ هـ = يولية أغسطس ١٩٨٣م. نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي،(ص: ١٦٩).

(٢) Belguedj، Ben Budin et Mutazlizme، op. cit.

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ٤٠).

الأمة، أما سمعته فقد اخترقت البحار وأصبح الشرق يعتبره من أكبر رجاله، وإنه لنعم الخلف للبشير صفر»(١).

وقال المؤرخ الكندي (أندريه ديرلك) Andre Dirlik في رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه بعنوان (عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وقائد الحركة الوطنية الجزائرية): «لقد أخذ ابن باديس على عاتقه القيام بدور لا يقصر فيه عمله ليكون المفكر الذي ينظّر لمجتمعه نظاما فكريا، بل ليكون الحركي الذي تحرك طاقاته الواسعة جماهير شعبه من حالة الكسل التقليدية التي كانوا عليها»(٢).

المطلب الثالث:الثقافة في الجزائر وأثرها الفكري:

إن سياسة الاستعمار الفرنسي كانت في مجملها تهدف إلى إنكار وجود الأمة الجزائرية أصلا بغرض تأبيد السيطرة على الجزائر،كما أن النظام الاستعماري الفرنسي القائم على التجهيل، قصد قهر المجتمع الجزائري وتقويض دعائمه، والقضاء التام على الثقافة واللغة العربية، لتحل محلها الثقافة الفرنسية، وبذلك تضمن لنفسها السيطرة المطلقة، والتامة على الجزائر، لتصبح البلاد امتدادا لفرنسا.

وعندما دخل الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر وجد بها ثقافة عربية إسلامية كانت أصيلة؛ بالرغم من أن الثقافة في الفترة التي مرت بها سيطرة الدولة العثمانية ضعيفة، لكن وجد بها ثقافة عربية إسلامية بشهادة المستشرقين أنفسهم، حيث يعترف السيد (أوجين كومبس) Eugene Commps في تقرير له إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ الثاني من فبراير سنة ١٨٩٤ بانتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر قبل الاحتلال، وتقلصها بعده، فيقول: «مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر كان خلال عام ١٨٣٠ أكثر انتشارا وأحسن حالا مما هو عليه الآن، الأمر الذي لم يرض السلطات الفرنسية في الجزائر فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي، والثانوي، والعالي،كان يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة

---

(١) الشهاب: ج ٥ م ١٣، جمادى الأولى، ١٣٥٦هـ = ١٠ يونية ١٩٣٧م عن البتي ماتان ٢٩ مايو ١٩٣٧ م. نقلا من:مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ٤٤).

(٢) Dirlik، Abd al Hamid Ben Badis Op;.cit.p.١٦٢ نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ١٦٠).

الأكفاء،كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة، هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين اللغة العربية لطلابها»[١].

وكتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبرا) حين زار الجزائر في شهر ديسمبر ١٨٣١م، يقول:

«لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب»[٢].

وقال الكاتب الفرنسي (مارسيل أجريتو)[٣]: «أن الثقافة كانت مزدهرة نسبيا قبل دخول الفرنسيين للجزائر في عام ١٨٣٠ وعلى الرغم من تخلف العرب في مجال الحضارة، فإن الميل إلى العلم والمعرفة كان متأصلا في النفوس، وكان في الجزائر عدد كبير من رجال الأدب يتمتعون بقسط وافر من الاعتبار لدى المجتمع»[٤].

لكن المستعمرين الفرنسيين حاولوا جاهدين القضاء على اللغة العربية، ونسخ الإسلام بالمسيحية، حتى يتمكنوا من تزوير الشخصية الجزائرية، لأنهم يعلمون أن الاستعمار الثقافي والديني يمكن استمراريته، بخلاف السيطرة العسكرية التي يمكن أن تزول في أي وقت، فكانت المحاولة باستبدال القيم الحضارية بما فيها اللغة بأخرى فرنسية المنشأ لضمان استمرارية استعمار الجزائر، قال البشير الإبراهيمي: «أن الاستعمار جاء إلى هذا الوطن بثلاثة أشياء: جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة، وجاء باللغة الفرنسية ليقضي بها على اللغة العربية،

---

(١) Maurice P oulard L،enseignememt pour ies indigenes dAlgerie alger،١٩١٠، نقلا من: نقلا من: رابح: د. تركي، الشيخ: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، (ص: ١٢٥).

(٢) Sedlillot;Histoire Generale des Arabes –Page;١٨٣ نقلا من: مصطفى محمد، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، (ص: ٤٦ ــ ٤٧).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) أجريتو: مارسيل، الوطن الجزائري (كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب: ١١٤)،(ص: ٦٧، ترجمة: عبد الله نوار، الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٥٩م.

وجاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام، يبدأ بالمحاورة، ثم المضارة، ثم ترحيل الأقوى للأضعف..»[١].

وقد بذل الفرنسيون المنصرون محاولات جبارة لتنصير المسلمين في الجزائر، وبالرغم من ذلك فإن الجزائريين لم يتحولوا عن دينهم الإسلامي.وقد كان لجمعية علماء المسلمين في الجزائر الدور البارز للحفاظ على الإسلام والمسلمين من مخاطر سياسة الاندماج مع الفرنسيين، والتي كانت هدفا من أهداف المستعمر الفرنسي، سعى إليها المنصرون بكل الوسائل إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

قال (لويس فويو) كاتب الجنرال بيجو سنة ١٨٤١م = ١٢٥٦ هـ:

«إن العرب لن يكونوا لفرنسا إلا إذا صاروا فرنسيين، ولن يكونوا فرنسيين إلا إذا تنصروا»[٢].

وقال مارسيل أجريتو: «وفي سنة ١٨٦٥ بدأت الإمبراطورية تطبق بعض مبادئ الانضمام على الأهالي المسلمين، وصدر مرسوم في ١٤ يوليو عام ١٨٦٥ يعتبر المواطن المسلم الجزائري فرنسيا، مع بقائه تابعا لحكم القانون الإسلامي، ولكنه يستطيع بناء على طلبه التمتع بحقوق المواطن الفرنسي، وفي هذه الحالة تسري عليه الأحكام المدنية والسياسية الخاصة بالفرنسيين»[٣].

ولكن فتوى جمعية العلماء في التجنيس والمتجنسين حالت دون ذلك، والتي اعتبرت التجنس بجنسية غير إسلامية هي بمثابة رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع[٤]، فكانت هذه الفتوى هي المعول الذي

---

(١) الإبراهيمي: محمد البشير، عيون البصائر (مجموع المقالات التي كتبها إفتتاحيات لجريدة البصائر حاصة)،(ص: ١٦٥)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

(٢) L'abbe Dopigez، Souvenirs،١٨٤٠.

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ٢١)

(٣) أجريتو: مارسيل، الوطن الجزائري (كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب: ١١٤) (ص: ٤٢، ترجمة: عبد الله نوار.

(٤) انظر: عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الصادرة من الجزائر،(ص: ٢ العدد ٩٥، السنة الثالثة، ١٢ ذي القعدة، ١٣٥٦هـ، الموافق: ١٤ / يناير / ١٩٣٨م.

حطم سياسة المحتل الفرنسي على حمل الجزائريين بالتجنس بالجنسية الفرنسية بهدف الطمع في تخلي المسلم عن مقوماته الشخصية وهويته الإسلامية، فكانت حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس حركة قومية وحركة إصلاحية في نفس الوقت.

قال الكاتب الفرنسي مارسيل أجريتو: «أن اللغة العربية كانت تعتبر لغة أجنبية تدرس على هذا الأساس، ويمنع تدريسها في أغلب الأحيان، ولكن هيئة كبار العلماء المسلمين توصلت إلى تأسيس ٣٠٠ مدرسة للثقافة العربية التقليدية، فدأبت الحكومة على محاربة هذه المدارس بإقفالها لأوهى الأسباب ووضع مدرسيها تحت مراقبة البوليس، أو اعتقالهم،ومنع المخصصات عن أسرهم وعن الأسر التي ترسل أولادها إلى هذه المدارس، وقد أقفلت أبواب جميع هذه المدارس تقريبا على أثر الحوادث الأخيرة، ويبدو هذا الاستبداد والتعسف الثقافي في العمل على خنق كل مظاهر أدبية، أو فنية ذات صبغة قومية، فإنه قد حظر على أشهر الكتاب الجزائريين إصدار مؤلفاتهم باللغة العربية، ويجب عليهم إصدارها في فرنسا باللغة الفرنسية»(١).

وقال المستشرق والمؤرخ الكندي (أندريه ديرلك) Andre Dirlik في رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه بعنوان (عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وقائد الحركة الوطنية الجزائرية(٢)):

«لقد كانت نتائج جهود ابن باديس أن احتفظت الجزائر بشخصيتها الإسلامية العربية في حين كانت أهداف فرنسا الصريحة بأن تحطم هذه الشخصية، ولكن الجزائريين استطاعوا تجنب ذلك وتفاديه»(٣).

فمن خلال هذا العرض الموجز لنشاط ابن باديس تبين أن بعض المستشرقين أكدوا على احترام شخصية ابن باديس الدينية والثقافية، فكان محل إجلال وتقدير لكثير منهم لما بذله في

---

(١) أجريتو: مارسيل، الوطن الجزائري (كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب: ١١٤)،(ص: ٦٩)، ترجمة: عبد الله نوار.

(٢) مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي،(ص: ١٥٩) .

(٣) Dirlik، Abd al Hamid Ben Badis Op;.cit.p.٢٠

نقلا من: مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، (ص: ١٦٠).

خدمة دينه ووطنه، في حين أن من وقف ضده لا ينم موقفه إلا عن الغيرة والبغض لرجـــل مسلم أولا وقبل كل شيء.

المبحث الرابع

الشيخ عبد الله بن سليمان البليهد ١٢٧٨ ـ ١٣٥٩ هـ

المطلب الأول:التعريف بالشيخ:

هو: «العالم الجليل، المحقق المدقق، والحبر البحر، الفهامة، الشيخ عبد الله بن سليمان ابن سعود بن سالم بن محمد بن بليهد من بني خالد من آل سيار من قبائل بني عامر ابن صعصعة من هوازن العدنانية، ولد هذا العالم في قرية القرعاء من أعمال القصيم سنة ١٢٨٤هـ»(١).

ولكن الشيخ علي بن محمد الهندي في كتابه: زهر الخمائل في تراجم علماء حائل قال بأن الشيخ عبد الله البليهد ولد: «في بلدة القرعاء من قرى القصيم عام ١٢٥٩هـ»(٢).

قال الشيخ محمد بن عثمان القاضي: «ووجدت الشيخ علي الهندي في زهر الخمائل جعله من مواليد سنة ١٢٥٩هـ، والصحيح ما ذكرناه»(٣).

أما الدكتور عبد الله بن براهيم التركي فقد ذكر في دراسته التي قام بها عن الشيخ عبد الله البليهد أنه ولد عام ١٢٧٨هـ، وقد علق في حاشية بحثه مبينا أن الشيخ علي الهندي، أحد تلاميذ الشيخ، ذكر أن ميلاد الشيخ في عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م وهذا فيما يبدو غير دقيق، إذ يعني ذلك أن الملك عبد العزيز حينما عينه قاضيا في الحجاز كان عمره ٨٤ سنة(٤).

---

(١) بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح (القاضي بعنيزة)، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين،(١ / ٣٩٢، ط١، طبع مطبعة الحلبي ـ وهبة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢) الهندي: علي بن محمد الهندي (١٣٣٠ ـ ١٤١٩هـ)، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل،(ص: ٨٧)،تحقيق: الأستاذ الشيخ: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، ط١، دار الشريف للنشر ـ الرياض ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م.

(٣) بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح (القاضي بعنيزة)، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (١ / ٣٩٢).

(٤) انظر: التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) ،(ص: ١٤)، مجلة الدارة فصلية محكمة، السنة ٣١، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو ـ يونية ٢٠٠٥م.

وبما أن الدكتور عبد الله التركي قد اعتمد في كتابة بحثه على مادة علمية جمعها من عائلة الشيخ[١] فالصواب ما كتبه بناء على شهادة المقربين له.

لقد أخذ الشيخ عبد الله البليهد مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وتلقي مبادئ العلوم عن والده، ثم رحل إلى بلدة المذنب فدرس على الشيخ محمد بن عبد الله بن دخيل علوم التفسير والحديث، وكان معجبا بذكاء الشيخ ونبله،ثم رحل إلى بريدة، فلازم الشيخ العالم والقاضي محمد بن عبد الله بن سليم في بريدة، ومن شيوخه الشيخ سالم بن قرناس، والشيخ عبد الله بن فدا، فدرس عليهم علوم التفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، والتوحيد، والعقيدة، وعلوم العربية، وجد في طلب العلم وثابر عليه في أصوله وفروعه في كتب المذاهب، وكتب ابن تيمية، وابن القيم، وانتفع منها انتفاعا كبيرا، وسافر إلى الهند للعلاج، واغتنم هذه الفرصة فتلقى علوم الحديث عن علمائها، وأجيز منهم بسند متصل بالرواية، فعاد إلى بلده متقنا للعلوم الشرعية والعربية.

انتقل بعد ذلك إلى الرياض ليتلقى المزيد من العلم عن علمائها، فدرس على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، وغيرهم[٢].

جاء في الموسوعة الذهبية أنه: «قرأ القرآن والحديث والتفسير، ورحل إلى الهند للعلاج ثم رجع إلى بلاده، وتولى التدريس، والوعظ، والإرشاد في القصيم، حتى عام ١٣٣٣هـ.ثم عين قاضيا في القصيم وما حولها إلى عام ١٣٤١هـ، ثم قاضيا في جبل طي حتى دخول الملك عبد العزيز الحجاز فعينه رئيسا للقضاء بمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ ولغاية ١٣٤٥هـ. وللشيخ عبد الله من المصنفات: جامع المناسك في أحكام المناسك، كما له

---

(١) وهم الشيخ. سعود بن صالح البليهد، والأستاذ. عبد العزيز بن ناصر البليهد، والأستاذة. هيلة بنت محمد البليهد. التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) ،(ص: ١٣)، مجلة الدارة.

(٢) انظر: المقرن: محمد بن عبد الله، من أعلام القضاء: الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، مقال في مجلة العدل (مجلة فصلية محكمة) السنة الخامسة، العدد ٢٠،(ص: ١٩٥)، شوال ١٤٢٤هـ / ديسمبر ٢٠٠٣).

رسالة حول هدم القبور منشورة في جريدة أم القرى عام ١٣٤٥هـ العدد رقم (١٠٤)»[١].

وقد: «ترجم له الزركلي في أعلامه وقال: اشتهر بموالاته لحركة الإصلاح في نجد أيام الإخوان، وكان واسع العلم بالأدب الجغرافي في شبه الجزيرة..وكان يمتلك خزانة كبرى من الكتب المخطوطة..توالت عليه الأمراض بعد أن أرهقته الشيخوخة، ووافاه أجله المحتوم بالطائف مأسوفا على فقده، وذلك ليلة الاثنين الموافق ١٠ من جمادى الأولى وفي مرجع آخر في ١٥ رجب واتفاقا في عام ١٣٥٩هـ بداء السل، وصلي عليه في مسجد العباس بالطائف، وشيعه خلق عظيم»[٢].

المطلب الثاني:سياسته الحكيمة:

للشيخ عبد الله البليهد دور مشهود مع (الإخوان)[٣] وذلك في مقاومة ما يجهلونه من وسائل العصر الحديث، فكان يخاطبهم، ويعظهم، ويوجههم التوجيه الحسن، حينما كانت لهم صولات وجولات من الغلظة في مواجهة هذه الاتجاهات[١].

---

(١) الشريفي: إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية،(٣ / ١٢٢٤، نشر عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. (بدون ذكر الطبعة ومكانها).

(٢) بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح (القاضي بعنيزة)، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ١ / ٣٩٢ ـ ٣٩٦، ط١، طبع مطبعة الحلبي ـ وهبة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٣) قال الدكتور عبد الله التركي: الواقع أن الإخوان في بداية أمرهم كانوا قوة لا يستهان بها وأسهموا بدرجة كبيرة في توحيد المناطق تحت راية الملك عبد العزيز إلا أن هؤلاء بدؤوا في النظر إلى الحاضرة وإلى من يستوطن الهجر من البادية نظرة غلو وشدة، ومن مظاهر ذلك الغلو إيقاف الناس ومساءلتهم عن أصول الدين وأحكامه، بل إن بعض غلاتهم راحوا يشكون في إيمان غيرهم من الحاضرة والبادية، فحرموا ذبائحهم وأباحوا الاعتداء عليهم وقد تنبه الملك عبد العزيز إلى خطورة هذا الفكر وما قد يترتب عليه من عواقب وخيمة فاستفتى العلماء وأفتوه بأن ذلك الفكر وتلك النظرة لا تتفق مع أصول الدين وكان ذلك في عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٤، وقد أصدر هؤلاء العلماء منشورا يتضمن نصحا للإخوان بالاعتدال في نظرتهم للناس والذي يبدو أن الشيخ عبد الله بن بليهد قد شارك في هذا الاجتماع. التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) ،(ص: ٣٨ ـ ٣٩)، مجلة الدارة فصلية محكمة، السنة ٣١، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو ـ يونية ٢٠٠٥م.

قال الشيخ محمد القاضي: «كان يصدع بكلمة الحق، لا يخاف في الله لومة لائم ويبعث برسائل توجيهية ونصائح دينية تنبع من قلب مخلص، وقام بمناصحة البادية وتهدئتهم حينما كان لهم صولات، وجولات، وزيادة جهل، فنفع الله به وهدأ من روعتهم،وصبر وصابر في تحمل الأذى لرجحان عقله، وقوة جأشه، فكان يبعث لهم بالرسائل، ويجابههم بالحكمة والموعظة الحسنة»[٢].

وقد شهد له «جميع الرواة الذين عاصروه أنه كان يجابه أهل التشدد والغلو بقوة وصراحة، ولكن بحكمة بالغة، وعقل رشيد، فكان يعقد الجلسات مع وفود الإخوان وقادتهم، فيكرمهم ويتلطف معهم في الحديث، ولا يتركهم يخرجون من عنده إلا وقد وعوا الحق عنه، وعرفوا معنى الاعتدال، وفضل الطاعة لولي الأمر الذي نفع الله جل شأنه به البلاد والعباد»[٣].

ومن نماذج التشدد في عصره موقف بعض المتشددين من السيارة، حسبما ورد في كتاب أعلام علماء حائل ما نصه: «وكان استخدام السيارات من أهم الذرائع التي برر بها المتشددون تمردهم،والخروج عن طاعة ولي الأمر، فكانت سيارة الشيخ عبد الله آل بليهد هي ثاني سيارة في المنطقة، بعد سيارة سمو الأمير وكان الشيخ يستقل سيارته في تنقلاته ورحلاته في نواحي المنطقة، فكانت هذه الآلة التي يراها الكثيرون من الأهالي لأول مرة تثير فضولهم، فيتعجبون منها، ويتجمعون حولها، ويسأل بعضهم بعضا، كيف يستخدمه الشيخ وهي حرام؟ فيرد آخرون: الشيخ لا يرى أنها حراما، ولو كان استخدامها حراما لما فعله الشيخ»[٤].

---

(١) انظر: المقرن: محمد بن عبد الله، من أعلام القضاء: الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، مقال في مجلة العدل (السنة الخامسة، العدد ٢٠، (ص: ١٩٨).

(٢) بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (١ / ٣٩٣)

(٣) العفنان: سعد، البليهد: عبد العزيز، أعلام علماء حائل (٢ ـــ الشيخ عبد الله آل بليهد)،(ص: ٦٦)، ط١، مطابع المعرفة ـــ حائل ١٤٢٥هـــ.

(٤) العفنان: سعد، البليهد: عبد العزيز، أعلام علماء حائل (٢ ـــ الشيخ عبد الله آل بليهد)، (ص: ٦٧).

إن الشيخ بحكم استخدامه الفعلي للسيارة كان أكثر بلاغة في إيصال الحكم الشرعي للعامة، وبعض الجهال المتشددين. كذلك موقفهم من البرقيات حيث أكد لهم الشيخ أنها عمل بشري، ليس للسحر فيه مجال(١).

كما أن الشيخ كان له دور كبير في إزالة البدع، حيث إن البناء على القبور أمرٌ منكر نهى عنه الرسول ﷺ ولأنه وسيلة إلى الغلو فيها، وعبادتها من دون الله بالدعاء، أو بالطواف، أو الاستغاثة بها، أو الذبح لها، ولأن هذا يعد من الشرك الأكبر إذا قصد به التقرب إلى صاحب القبر؛ لذا فقد قرر الملك عبد العزيز هدم القباب المبنية على قبور الصحابة وأمهات المؤمنين لا سيما في مكة والمدينة، فأناط هذه المهمة بالشيخ عبد الله بن بليهد، ففي السابع عشر من رمضان ١٣٤٤هـ / إبريل ١٩٢٦م بعث الملك عبد العزيز رسالة إلى الشيخ عبد الله بن بليهد يأمره فيها بالعمل على هدم القباب التي على القبور، ومساواتها بالأرض(٢).

ولرجاحة عقل الشيخ عبد الله بن بليهد وحكمته السياسية، فقد اختاره الملك عبد العزيز كرجل دبلوماسي لمقابلة وفود الدول الإسلامية.

ذكر ذلك الدكتور عبد الله بن إبراهيم التركي أن الشيخ: عبد الله البليهد رحمه الله شارك في المؤتمر الإسلامي الأول الذي أقيم في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م، ممثلا عن الملك عبد العزيز ورئيسا للوفد السعودي،وإن كان طابع هذا المؤتمر سياسيا، إلا أنه دحض الحجج وفند الآراء المنادية بإعادة بناء القباب على القبور(٣).

المطلب الثالث:لا عزة إلا بالدين الإسلامي:

في عام ١٣٤٤هـ نقل الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله البليهد من حائل إلى مكة المكرمة ليكون أول رئيس للقضاة، كان الملك عبد العزيز يعرف قدر الشيخ عبد الله البليهد،

---

(١) التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) (ص: ٤٥)، مجلة الدارة.

(٢) انظر: التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) (ص: ١١)، مجلة الدارة.

(٣) انظر: التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) (ص: ١١)، مجلة الدارة.

ورجاحة عقله، وحنكته السياسية وقبوله لدى عامة الناس، ولذلك انتدبه إلى المدينة النبوية للإشراف على أعمالها الشرعية، وتنظيم القضاء والحسبة، فمكث في المدينة النبوية حتى انتظمت أجهزتها، فأعاده مرة أخرى إلى مكة المكرمة(١)، وقد التقى الشيخ عبد الله البليهد في هذه السنة في المدينة النبوية بالمستشرق المسلم (محمد أسد)(٢)، حيث رسم الشيخ عبد الله البليهد في معرض حواره مع محمد أسد حال المسلمين حثا منه على ضرورة العودة الصادقة إلى هذا الدين، والثبات عليه،عقيدةً وشريعةً ومنهاج حياة، وثقةً بهذا الدين وصلاحيته،والعمل بهذا الدين، وتطبيقه في واقع حياتنا الخاصة والعامة.

وقد دار الحوار الآتي بينهما عندما قدم محمد أسد المدينة المنورة حيث توجه إلى خزانة الكتب في المسجد النبوي التي تضم أندر أنواع المخطوطات في العالم الإسلامي،وصور حاله قائلا:

«عندما كنت أنظر إلى الكتب والمخطوطات ذات الأغلفة الجلدية، كان اختلاف الحال بين مسلمي الأمس واليوم يوجعني ككلمة مؤلمة...

سمعت صوتا أخرجني من شرودي:ماذا يشغلك يابني؟ و لم نظرة المرارة تلك المرسومة على وجهك؟

استدرت باتجاه الصوت ـــ رأيت المتحدث جالسا على بساط بين نافذتين، على ركبته مجلد ضخم، كان صديقي القديم الشيخ عبد الله البليهد كانت عيناه النافذتان تحييانني بنظرة دافئة، وأنا أقبل جبهته،وأجلس إلى جواره، كان ابن بليهد من أعظم علماء نجد، وعلى

(١) انظر: خطابه في إحدى رسائله لهم، المقرن: محمد بن عبد الله، من أعلام القضاء: الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، مقال في مجلة العدل، السنة الخامسة، العدد ٢٠،(ص: ٢٧).

(٢) المسلم محمد أسد، فايس ليوبولد فايس محمد أسد 1. Weiss: (مفكر)، وصحفي نمساوي، أشهر إسلامه، وتسمى بمحمد أسد وحكى في كتابه القيم (الطريق إلى مكة) تفاصيل رحلته إلى الإسلام. وقد أنشأ بمعاونة وليم بكتول، الذي أسلم هو الآخر، مجلة (الثقافة الإسلامية)، في حيدر آباد، الدكن ١٩٢٧ (وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام. من آثاره :ترجم صحيح البخاري بتعليق وفهرس،وألف (أصول الفقه الاسلامي)، و(الطريق إلى مكة) و(منهاج الإسلام في الحكم)، و(الإسلام على مفترق الطرق.

http://quran.maktoob.com/vb/quran/٤٩٨٠٨

الرغم من تشدد السلفيين، إلا أنه كان واحدا من أعظم العقول التي عرفتها في البلاد الإسلامية، كانت صداقتنا عونا كبيرا لي على حياتي بالجزيرة العربية، وأضفت كثيرا من البهجة والسعادة على حياتي، وكانت كلمته مسموعة في مملكة الملك عبد العزيز آل سعود أكثر من أي إنسان آخر، باستثناء الملك بالطبع،أغلق المجلد الذي كان يقرأه وأدناني منه، وهو يتطلع إلى سائلا في صمت.

فقلت له: كنت أفكر يا شيخ في المدى الذي ابتعدنا فيه عن هذا حتى وصلنا إلى حاضرنا البائس، وهوان المترلة التي نحن عليها.قلت ذلك وأنا أشير إلى الكتب. أجاب الشيخ: نحن لا نحصد يابني إلا ما زرعناه،كنا عظماء ذات يوم: الإسلام هو ما جعلنا عظماء، كنا حملة رسالة، وبقدر ما أخلصنا في حمل تلك الرسالة كانت قلوبنا ملهمة، وعقولنا مستنيرة، ولكن بمجرد أن نسينا الغرض الذي كلفنا الله به من حمل الرسالة، سقطنا..لقد ابتعدنا كثيرا عن هذا، وأشار بدوره إلى الكتب،لأننا ابتعدنا كثيرا عما علمنا إياه الرسول عليه الصلاة والسلام منذ ثلاثة عشر قرنا»[1].

نعم نحن بحاجة إلى هذا التوجيه خاصة بعد أن أصاب بعض المسلمين الوهن والضعف، وتقديم التنازلات، والظهور أمام العالم بمظهر المنهزم المتخاذل، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

المطلب الرابع:موقف الشيخ عبد الله البليهد من التعدد:

لما في الزواج من الحفاظ على النوع الإنساني،و المحافظة على الأنساب، وحماية المجتمع من الانحلال الخلقي، وسلامته من الأمراض، والحيلولة من شيوع الفاحشة، ولمافيه من سكن روحي ونفسي،حرص الشيخ عبد الله البليهد على حث المستشرق محمد أسد على الزواج، حيث سأله كما يصور الموقف محمد أسد فيقول:

«بعد فترة صمت وتأمل سألني: كيف يمضي عملك؟ كان يعلم أنني مشغول بدراسات مرتبطة بالتاريخ الإسلامي المبكر،قلت له: أعترف لك يا شيخ أنها لا تمضي على الوجه الذي

(١) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٨٣ ــ ٣٨٤)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي، عن طبعة SIMON AND SCHUSTER ١٩٥٤ تقديم: الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين (الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) ـــ نشر مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالتعاون مع مؤسسة التراث ـــ الرياض.

ابتغيته، لا أجد راحة في أعماقي، ولا أدري سببا لذلك، عدت من جديد للتجول في الصحراء،نظر إلي ابن بليهد بعيون باسمة، العيون الحكيمة التي تنفذ إلى أعماق الأمور، ثم مسد لحيته المصبوغة بالحناء بأصابعه وقال: إن لعقلك عليك حقا، كما أن لبدنك عليك حقا.. تزوج»[1].

ولكن المستشرق محمد أسد قال بأنه تزوج حيث أجاب الشيخ بقوله: «ولكنك ياشيخ تعرف أني تزوجت من عامين، ورزقت بولد هذا العام.

هز الرجل العجوز كتفيه وقال: إذا كان قلب الرجل مستريحا مع زوجته فإنه بقضي في بيته أغلب وقته، وأنت لا تمكث في البيت..وعدا ذلك لن يضر المرء أن يتخذ لنفسه زوجة ثانية»[2].

لفت الشيخ البليهد المستشرق محمد أسد إلى وجود التعدد في الإسلام حيث إن الله تعالى أباح للرجال تعدد الزوجات، فقال في كتابه العزيز:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ النساء: ٣.

فهذا نص في إباحة التعدد في شريعة الإسلام بشرط العدل في الأمور المادية ونحوها، لقوله تعالى:﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ النساء: ١٢٩.

لقد تم الحوار بين الشيخ وهذا المستشرق بطريقة علمية حديثة حيث اعتمد الشيخ على تقديم الحجة العقلية المقنعة لتبرير موقف الشيخ من التعدد، فقال: «يابني لو كانت المرأة تستحوذ على قلب زوجها كله، لن يفكر ولن يحتاج إلى الزواج بأخرى، أما إن لم يكن جماع قلبه معها، هل يفيدها أن تحتفظ بنصف قلبه، ونصف مشاعره»[3].

---

(١) أسد، محمد، الطريق إلى مكة، (ص: ٣٨٤)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

(٢) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٨٤)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

(٣) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٨٤ ــ ٣٨٥)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

لقد انطلق الشيخ في حواره من مسلمات ثابتة في الشريعة الإسلامية، حيث إن التعدد ثابت بالقرآن الكريم، ولكن الشيخ جمع بين الحجة الشرعية والعقلية في الرد على المستشرق محمد أسد حتى علق قائلا: «لم أجد بالطبع إجابة أرد بها على ذلك»(١).

هكذا انتهى الحوار في قضية التعدد بين الشيخ ومحمد أسد، فالحوار المبني على الحرص، والالتزام فهذا النوع من الحوار الهادف هو المطلوب حيث يقود إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا التواء، لقد كان حوار الشيخ خاليا من التعصّب والعنف والانفعال، بعيدًا عن المشاحنات الأنانية والمغالطات البيانيّة، مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس،ويُوغر الصدور.

المطلب الخامس:الدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الله بن بليهد في الحرم النبوي:

قال محمد أسد: «أحاط البدو بالشيخ ابن بليهد بمجرد الانتهاء من صلاة المغرب، كانوا من بدو نجد، وأبناء المدن الراغبين في الاستفادة من علمه وحكمته،بينما كان يحب أن يستمع إلى تجارب الناس، وما يواجهونه من مشاكل، وما يرونه في أسفارهم البعيدة...»(٢).

لقد تميز الشيخ بحسن الاستماع، والإنصات، وتجنب المقاطعة، واللباقة في الإصغاء، وعدم قطع حديث المُحاور، حتى وإن كان السائل يطرح سؤلا خارجا عن تعلم العلم الشرعي في مجلسه.ومن ذلك كما يذكر محمد أسد وهو يصف حوار الشيخ ابن بليهد عند سؤال شاب له: «قل يا شيخ لماذا يضع الفرنجة قبعات على رؤوسهم، وتظلل أعينهم، كيف يمكن أن يروا السماء؟ أجاب الشيخ وهو يغمز لي بعينه: لأنها آخر ما يودون رؤيته، ربما يخشون أن تذكرهم السماء بالله، وهم لا يريدون أن يتذكروه خلال أيام الأسبوع، ويتذكرونه في آخره فقط.

ضحكنا جميعا إلا أن البدوي الشاب كان مصرا على بحثه عن المعرفة، فسأل من جديد، ولماذا يكون الله كريما معهم كل هذا الكرم، ويهبهم كل هذه الثروات، وضن بها على المؤمنين؟ رد الشيخ ابن بليهد: آه الأمر سهل يابني: إنهم يعبدون الذهب، ولذلك فإلههم جيبهم، ولكن صديقي هذا ــ ووضع يده على ركبتي ــ يعلم عنهم أكثر مما أعلم، فقد أتى

(١) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٨٥)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

(٢) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٩٦)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

من بينهم، وأخرجه الله ــ جلت قدرته ــ من ذلك الظلام إلى نور الإسلام.التفت إلي البدوي المشغوف بالمعرفة، وسألني: هل ذلك صحيح يا أخي؟ هل كنت من الفرنجة؟ وعندما هززت رأسي بالإيجاب. وجدته يهمس قائلا: تبارك الله. تبارك الله الذي يهدي من يشاء. قل لي يا أخي. لماذا لا يهتم الفرنجة بذكر الله؟»[1].

أجاب محمد أسد على سؤال الشاب بسرد قصة الدجال، الذي سيأتي بعين واحدة، وقد أعطاه الله القدرة على كشف كنوز الذهب والفضة، والطيران والتحليق، ويجعل النبات ينمو بسرعة... بين أنه في المقابل الحضارة الغربية ذات عين واحدة لا تنظر إلا جانب التقدم المادي، وتهمل الجانب الروحي، وبمعارف الحضارة الغربية المعاصرة تسقط الأمطار، وتنمو النباتات أسرع من معدلاتها العادية، كما تكشف عن الثروات في باطن الأرض... صاح الشيخ ابن بليهد: أصبت يا محمد أصبت، قال ذلك وهو يدق براحة يده على ركبتي في حماس: لم ترد إلى ذهني مثل تلك الرؤية للدجال إلا أنك محق،فبدلا من أن يوقن البشر أن تقدمهم وتقدم العلوم هبة من الله، راحوا يعتقدون بشكل متزايد في حماقة أن ذلك التقدم غاية في ذاته، وأنه يستحق العبادة[2].

وكان الشيخ سهلا مرنا في تطبيق الأحكام الشرعية بما يتوافق مع النصوص الشرعية، حيث كان يسعى بين الصفا والمروة بجواده.

قال محمد حسين هيكل: «وكان الشيخ عبد الله بن بليهد عالم نجد يسعى ممتطيا جوادا، ولقد كان يحدثنا ساعة، نزلنا معا من منى أنه يريد السعي في سيارة، لأنه لا يطيق السعي ماشيا، ولا يحب السعي في محفة، ولهذا العالم النجدي عذره، فهو عالم تقدمت به السن فتضعضعت صحته، بعد أن لوح وجهه هواء الصحراء في أسفاره بين نجد والحجاز، فهو أشعث أغبر، وهو رجل ناحل الجسم يعلو عنقه الدقيق رأس عريض الجبين، ذكي النظرة تلمع عيناه ببريق لم تطفئه السنون ويدل على حيلة واسعة وبصيرة نافذة، وهذا الرجل خليفة محمد بن عبد الوهاب الحنبلي مجدد المذهب في نجد، والذي خلع اسمه على الوهابيين، الذين اقتدوا به في اتباع ابن حنبل. وابن بليهد هو لذلك روح الحركة الوهابية في هذا الدور

---

(١) أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٩٦)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

(٢) انظر: أسد، محمد، الطريق إلى مكة،(ص: ٣٩٧ ــ ٣٩٨)، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي.

الحديث من أدوار حياتها، وهو موضع التبجيل والاحترام من النجديين جميعا. من مليكهم عبد العزيز بن سعود إلى أصغر صغير فيهم، وهو مع ذلك وعلى مارأيته، من أشد الناس زهدا في الدنيا، وزخرفها وغرور متاعها»[1].

فيما مضى نستطيع أن نحدد موقف بعض المستشرقين من الشيخ عبد الله بن بليهد، فهو الشخصية الحكيمة والسياسي المحنك، الذي لديه قابلية مرنة لمناقشة الغير بحكمة، وبراعة، حيث اكتسب من سفره للهند المرونة في التعامل مع الغير وكسب الآخرين، من خلال حججه المقنعة، ورزانة عقله، وقوة حجته.

(١) هيكل: محمد حسين، في مترل الوحي، الكتاب الأول: فرض الحج،(ص: ١٠٧)، ط ٥، دار المعارف ــ مصر ١٩٧١م.

الباب السادس

آثار الدراسات الاستشراقية المتعلقة بأهل السنة والجماعة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أشهر الكتاب المتأثرين بالمستشرقين.

الفصل الثاني: أثرهم على غير المسلمين.

الفصل الأول

أشهر الكتاب المتأثرين بالمستشرقين
وفيه تمهيد وسبعة مباحث

المبحث الأول: التشكيك في إعجاز القرآن الكريم.
المبحث الثاني: التشكيك في صحة الأحاديث النبوية.
المبحث الثالث: شبهات حول السيرة النبوية وتاريخ الصحابة
أ/ الأخذ بالأخبار الموضوعة؟
ب/ استخدام المنهج الشكي الديكارتي.
ت/ التفسير المادي التاريخي.
المبحث الرابع: تشويه تاريخ أصالة الدين الإسلامي.
المبحث الخامس: تشويه الحقائق الإسلامية.
المبحث السادس: الدعوة إلى التوفيق بين الإسلام والنصرانية.
المبحث السابع: القول بتطور الشريعة الإسلامية.
المبحث الثامن: تشويه أعلام الدعوة السلفية.

الفصل الأول

أشهر الكتاب المتأثرين بالمستشرقين

إن بعض المستشرقين ليسوا وحدهم الخائضين في تاريخ الإسلام وتشريعه كذبًا وافتراء، عن سوء فهم، أو سوء قصد، وإنما هناك كثير من العرب والمسلمين شاركوهم في هذا الخوض الظالم، ممن سرى فيه مركب النقص لتفوق الغرب وتطوره، فقلدوهم في كل شيء، حتى في أفكارهم الفاسدة عن الإسلام والمسلمين.

وللأسف فإن هؤلاء عرب ومسلمون من جلدتنا، درسوا في بلاد الغرب، وتعلموا في جامعاتهم، وأهملوا المصادر الأصلية للعقيدة الإسلامية، إما جهلاً أو استكبارا، هؤلاء كما يسميهم البعض (بالمستغربين) ممن غلا في تمجيد بعض المستشرقين، والإشادة بذكرهم، والاستشهاد بكل ما يصدر عنهم من رأي خطأ أو صواب، يدافعون عنهم، ويتقلدون أقوالهم ويجعلونها فوق كل قول، وظنوا أنهم اهتدوا إلى ما لم يهتد إليه أحد من الباحثين، وأنهم بلغوا الغاية فيما اشتعلوا فيه من العلوم الإسلامية. فأخذوا العلم من غير أهله، من قوم يتخاطبون بلغة غير لغتهم، يحرفون الكلم عن موضعه، وهم طلائع المنصرين، وخطورة هؤلاء المسلمين المتأثرين ببعض المستشرقين في كتاباتهم أكثر على المسلمين وخصوصا المتخصصين في الدراسات الإسلامية؛ لأنهم يروجون آراء بعض المستشرقين وكأنها من نتاج عقولهم، فلا بد من كشف حقيقتهم؛ حتى لا ينخدع بهم المسلمون ويفسدوا عليهم عقائدهم، وعلينا الجهاد والعودة إلى تصويب ما كتبوه لئلا يغتر بهم الضعاف. ونتمنى كما تمنى د. أحمد سما يلو فتش، توجه الشرقيين للدراسات الغربية في العلوم والمعارف المفيدة بدلاً من ضياع جهودهم فيما لا ينفع، حيث قال: «وددت لو استغربنا كما استشرقوا، وودت لو تتبعنا آثارهم، واختراعاتهم الفائقة الوصف، ونقلناها إلى اللغة العربية، ولم نكتف بدراساتها في لغاتهم، فلو فعلنا ذلك لأغنينا اللغة العربية، وأمددنا النشء الجديد. بكل أنواع الثقافات الحديثة مع التبحر في العلوم والفنون»[1].

---

(١) سما يلو فتش، د. أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،(ص: ٣٥)، دار المعارف ـــ مصر ـــ ١٩٨٠م.

ويقول الدكتور أبو شهبة عن مدى نجاح بعض المستشرقين في التأثير على بعض المسلمين: «وقد نجح المستشرقون إلى حد ما في التأثير في بعض الكتّاب المسلمين في عصرنا الأخير، فاقتفوا آثارهم فيما زعموا، ورددوا من دعاوى لم تقم عليها بينات، بل وزادوا عليها من عند أنفسهم. وكل هؤلاء وأولئك نفثوا سمومهم باسم البحث والمعرفة، وحرية النقد، والله يعلم، والراسخون في العلم يعلمون، أن ما زعموا أبعد ما يكون عن العلم الصحيح، والبحث القويم، والنقد النزيه»[١].

وقد لخص الدكتور السباعي الأسباب التي جعلت بعض المسلمين ينخدع بما كتبه بعض المستشرقين عن الإسلام بما يأتي:

ـــ جهلهم بحقائق التراث الإسلامي، وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية.

ـــ انخداعهم بالأسلوب العلمي ـــ المزعوم ـــ الذي يدعيه بعض المستشرقين.

ـــ وإما رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتحرر الفكري من ربقة التقليد كما يدعون.

ـــ وقوعهم تحت تأثير أهواء وانحرافات فكرية لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أولئك المستشرقين والكاتبين[٢].

فبعض المستغربين نقلوا بعض أخطاء بعض المستشرقين، للبلاد الإسلامية، ورغم الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها بعض المستشرقين إلا أنها قد انتقلت إلى بعض المسلمين.

قال المستشرق (موروبيرجر) عن التأثيرات الغربية في الشرق الإسلامي:

«أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرًا ما قد ذهب، أو لم يذهب إلى أوربا مثلا. فقد أصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب إلى أوربا»[٣].

ويقول الأستاذ إبراهيم اللبان: «إن المستشرقين يكونون بالنسبة للمسلمين مشكلة ثقافية ودينية كبرى، لأن أفكارهم غثها وسمينها، سقيمها وصحيحها تسربت إلى بعض الجامعات العربية والإسلامية، واحتلت بعض العقول العاملة فيها، واكتسبت منهم أنصارًا، ودعاة،

---

(١) أبو شهبة: محمد بن محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، (ص: ٩٥).

(٢) انظر: السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص: ١٧ ـــ ١٨).

(٣) جريشة: الأستاذ علي، والزيبق: محمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، (ص: ٩٥).

وناشرين»[١].

وللأسف فإن بعض المستغربين قدم إلى بلده، وتقلد زمام التدريس في الجامعات والمعاهد، وبدأ يصب فكره المشوه في أذهان بعض الدارسين مخلصًا في أداء رسالته المعادية للإسلام، وإذا بنا نحن المسلمين ندعو بالويل والثبور إلا من رحم ربك.

وقد تأثر بعض المستغربين بالبيئة الأجنبية منهجا وطريقة، حتى أصبحت مناهج بعض المستغربين في الدراسات الإسلامية في مجملها مناهج غربية، فأهملوا الجانب الروحي، وركزوا على الجانب الحسي المادي، حتى صار بعضهم يعتمد على الدراسات العلمية المجردة، وإرجاع مصدر الثقافة الإسلامية إلى مصادر خارجية من بيئات ثقافية أخرى، وهو ما يسمى بمنهج (الأثر والتأثر) والانتقاص من العقلية العربية، وتجريد الفكر العربي الإسلامي من أصالته، ومحاولة تشويه السيرة النبوية والانتقاص من الصحابة ـ رضوان الله عنهم.

ومن خلال بعض الأمثلة لمناهج بعض المستشرقين ممن تبناها بعض المستغربين في الدراسات الإسلامية سوف سنتعرف على أشهر الكتاب المتأثرين ببعض المستشرقين .

---

(١) جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، (ص: ٧ ــ ٩).

المبحث الأول

التشكيك في إعجاز القرآن الكريم

اعتمد بعض المستغربين في دراساتهم عن القرآن الكريم على ما كتبه بعض المستشرقين، مما جعل أغلب دراساتهم تتسم بالنقص والتشويه، ومن أبرز الشخصيات في ذلك:

الدكتور: زكي مبارك(١٨٩١م / ١٩٥٢م):

كان مفتونا بالثقافة الغربية، ومسالكها الفكرية. حيث تناول بقلمه: «الأسلوب القرآني وإعجازه، فزعم أن القرآن يعطينا صورة للنثر الجاهلي، وإن لم يكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصورة النثرية الجاهلية، لأن القرآن نزل بلسان عربي، فهو لاينبو عن أذواق العرب وأفهامهم، ولا يخرج عما ألفوا من طرائف التعبير والبيان»[(١)].

وردعليه الأستاذ عبد المتعال الجبري: بأنه لو كان القرآن صورة مألوفة للعرب من نثرهم لما اضطربوا في أمره، حتى قالوا عنه مرة: إنه شعر، ومرة: إنه سحر، ومرة: إنه كهانة. فمثل هذا الاضطراب لا يقع في شيء مألوف لهم، ولا في شيء طرائقه معروفة عندهم، بحيث لا يخرج عما ألفوه في نثرهم. . . . ثم بين أن نثر الجاهلية خطب، وأمثال، وحكم، وأسجاع، ومحادثات ومناظرات، إما مرسلة أو مسجوعة، وقد جاء القرآن بآياته البينات فريدة في أسلوبها، ومع انفراد القرآن بأسلوبه، لم يكن هناك مانع يمنع العرب من فهمه، فقد نزل معجزة تناسب مااشتهر به العرب من الأسلوب الفصيح، ولكنه ليس من جنس هذا الأسلوب، إلى الحد الذي يعد به شاهدًا من شواهد النثر الجاهلي. . وقد قال زكي مبارك إن معجزة القرآن بقوة روحه ومعناه، لا بلفظه وأسلوبه، ليخرج من ورطته التي تورط فيها، فانحرف به الطريق عن الهدى، إذ إن بلاغة القرآن حين نقول إنها في لفظه، لا نعني بها الزخرف، وإنما نعني حسن مطابقة اللفظ لمقتضى الحال، وحسن دلالته على المعنى المراد. وقديما سئل أحد النقاد عن البلاغة أترجع إلى اللفظ، أم إلى المعنى؟ فقال: أي شقي المقص يكون هو المقص الذي يقطع؟ إن القرآن معجز بالمبنى والمعنى، وبسر من أسرار الله فيه لا ندريه، ولا يخضع لما نسميه قواعد النثر الفني أو الأدبي، وإن كانت هذه القواعد مما يحتويه

---

(١) الجبري: عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، (ص: ٨٧).

القرآن الكريم[١].

محمد حسين هيكل (١٨٨٨م ـ ١٩٥٦م):

تبع الأستاذ (محمد حسين هيكل) بعض المستشرقين في تفسيرهم لحادثة الإسراء والمعراج، وحسبنا هنا ما كتبه المستشرق ــ در منجم ــ الذي نقل عنه الدكتور(هيكل)في كتابه(حياة محمد)، حيث زعم هذا المستشرق أن أحاديث الإسراء والمعراج لم يرجح منها علماء الأحاديث رواية واحدة يعتمد عليها[٢]. وقد رد الأستاذ سالم علي البهنساوي على هذه الفرية بأسلوب ديني علمي[٣].

طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م):

استخدم نفس منهج بعض المستشرقين في عرض العقيدة الإسلامية، (أسلوب العكس) حيث الإتيان بفكرة ما، ثم البرهنة عليها من خلال الحقائق، واختراع الوقائع.

ونادى بما ينادي به المستشرق (هنري جب) في كتابه (المذهب المحمدي) من دعوى تأثير البيئة في القرآن، حيث ظهر أثر ذلك واضحًا في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي أهداه إلى صاحب الدولة (عبد الخالق ثروت باشا) في ٢٢ /من مارس /سنة ١٩٢٦. والنتيجة التي يسلم إليها هذا القول هي أن القرآن بشري، حين يقال: أخذ من البيئة والثقافات الأخرى[٤].

الشيخ محمد عمارة (١٩٣١م ـ ٢٠٠٦م):

ناقش الأستاذ سالم علي البهنساوي الشيخ محمد عمارة في كتابه (الإسلام والوحدة الوطنية) تحريفه لمفهوم موالاة أهل الكتاب،[٥] وقال عنه الدكتور: محمد البشير مغلي: «فهذا

---

(١) انظر: الجبري: عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، (ص: ٨٧ ــ٨٨).

(٢) انظر: هيكل: محمد حسين، حياة محمد، (ص: ١٦٦)، ط١، شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا ــ بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م.

(٣) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها، (ص: ٢١٢ ــ٢١٤).

(٤) انظر: الجبري: عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين،(ص: ٨٨ ــ ٩٢)، حيث تناول موضوع جب وتأثير البيئة في القرآن، وعرض مدى تأثر طه حسين بالمستشرق جب، ورد عليهم بالتفصيل.

(٥) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها، (ص: ٣١٦ ــ ٣١٧).

د. محمد عمارة يتلكأ عن الفهم الصحيح عندما يحاول فصم العلاقة الحميمة بين الدين والسياسة في الإسلام فيخرج علينا بتفسير ذاتي يتورع عنه بعض المستشرقين، حيث يصرح: فلا الحرب التي سميت بحرب الردة كانت دينية، ولا حرب علي مع خصومه كانت دينية؛ لأنها كانت حربا في سبيل (الأمر)، أي الخلافة والرئاسة والإمامة، وهذه سلطة ذات طبيعة سياسية ومدنية، ومن ثم كانت الحرب التي نشبت لأجلها سياسية ومدنية هي الأخرى»[١].

الأستاذ مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ المولود عام ١٩٢١م:

إن بعض المتأثرين بالمستشرقين يريدون الاكتفاء بماجاء في القرآن دون السنة، قال الأستاذ سالم علي البهنساوي في معرض حديثه عن تحريف النصوص بين بعض المستشرقين وعلماء الشهرة: «الدكتور (مصطفى محمود) في كتابٍ أضفى عليه اسم (التفسير العصري للقرآن) ففيه قال إن الله قد حرم الخبيث الضار، وأحل النافع المفيد ولكن (مصطفى محمود) في تفسيره للخبيث الضار ظن أن إمعان النظر إلى العاريات على شواطىء البحار ليس من الخبيث، وبالتالي فليس من المحرم، وكذلك ارتداء الفتيات الملابس القصيرة جدًا، تمشيًا مع شرف[٢] العصر ليس من الخبيث، لأن العبرة بالقلوب، وبالتالي فإمعان النظر للعاريات بالشواطىءهو تفكر في خلق الله أي من العبادة، وقد تراجع مصطفى محمود عن موقفه فهداه الله إلى الحق. والغرض من هذا التطوير قد أفصح عنه (تيومان) فهو وسيلة لغاية قال عنها: فإذا أمكن للمبادىء الإسلامية أن تتطور مع الزمن المتطور عندئذ سوف يتحرر ملايين البشر من هذه العقائد»[٣].

---

(١) عمارة: محمد، المعتزلة وأصول الحكم، سلسلة الهلال،(ص: ٢٣) العدد (٤٠٠) القاهرة، ١٩٨٤م، نقلا من: مغلي: محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب،(ص: ٢٦٨)، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م. والكتاب أصله رسالة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاستشراقية والإسلاميات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر عام ١٩٩٠م.

(٢) والحق أن يوصف بالتراجع وليس بالشرف! .

(٣) حسين: الدكتور: محمد، كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. (مرجع من الحاشية) رقم(١) (ص: ٣١٥) نقلا من: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها، (ص: ٣١٥).

المبحث الثاني

التشكيك في صحة الأحاديث النبوية

تبع بعض المستغربين بعض المستشرقين الذين عمدوا إلى التشكيك بصحة الحديث النبوي، واتهام المحدثين بتلفيق الأحاديث النبوية ووضعها، كما اتهموا فقهاء المسلمين ومحدثيهم بوضع الأسانيد وتلفيقها، وشوهوا تاريخ كبار الحفاظ وأئمة العدالة والضبط، وألصقوا فيهم ما ليس بهم، وصوروهم بصور بشعة كاذبة، ومن هؤلاء:

الأستاذ: محمد عبده (١٨٤٠ ــ ١٩٠٥م):

يعد محمد عبده (١٨٤٠ ــ ١٩٠٥م) أول عالم مسلم معاصر توجه بنقده لبعض الأحاديث المقبولة والصحيحة عند العلماء المسلمين، فقد أنكر أحاديث سحر ﷺ [(١)].

وفيما يتعلق بأشراط الساعة عموماً فإن الشيخ محمد عبده ــ كما يقول عنه الشيخ رشيد رضا ــ كان لا يثق إلا بأقل القليل مما روي في الصحاح من أحاديث الفتن . [(٢)]

قال محمد عبده : (وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى، من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي صلى الله عليه وسلم، وإزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن. [(٣)]

وتابع محمد عبده تلامذته الذين وسعوا أفكاره وفصَّلوها، وأنكروا السنة واعتمدوا على القرآن، قال تلميذه أبو رية:(إن المسلمين ليس لهم إمام في هذا العصر غير القرآن وإن الإسلام الصحيح هو ماكان عليه الصدرالأول قبل ظهور الفتن) [(٤)]

---

(١)انظر: عبده: الأستاذ محمد ، تفسير جزء عم (ص:١٨٣ ــ ١٨٤) ط. الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة، ط. الثانية، بمطبعة مجلة المنار، مصر، ١٣٢٩هـ.

(٢)نظر:رضا: محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، (٩/ ٥٠٦)

(٣) انظر:رضا: محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، (٢٩٢/٣)

(٤) انظر:ابو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص: ٤٠٥ — ٤٠٦، ط٣،دار المعارف — القاهرة.

الأستاذ محمد عبد الله السمان (ت١٩٣٠م):

شكك في السنة النبوية في كتابه : (الإسلام المصفى) ، حيث أنكر فيه بعض المسائل مثل
خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام ، وشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، ومثل هذه المسائل الثلاث، أدلة ثبوتها مقطوع بها لورود الأحاديث المتواترة بتأييدها ، ومع ذلك لم يتورع الأستاذ محمد السمان من إنكارها ! ويبدو أنه متأثر بالأستاذ رشيد رضا فإنه قد طعن في أحاديث الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، مع أنها أحاديث صحيحة متواترة ، كماصرح بذلك علماء الحديث.
كما وصف الأحاديث النبوية بالمتناقضات، وقد رد عليه الشيخ سالم البهنساوي بقوله: ((وكان الأجدر به ــ وهو الغيور على الإسلام، المدافع عنه، ...أن يتصدى للبحث والتخريج لها، ولما يعتقده من تناقضات في بعض الأحاديث النبوية. . . .))[1].

الدكتور: أحمد أمين (١٨٨٦ ــ ١٩٤٥م):

تبع بعض المستشرقين في فكرهم الدكتور: أحمد أمين، ففتح الباب على مصراعيه لنشر آراء المستشرق (جولد تسيهر) مع البعد عن المنهجية العلمية، وروج بين العامة في حديثه عن السُّنة، آراء وأفكار لم يكن أحد يتصور صدورها عن مثله من رجال الأدب العربي والفكر الإسلامي، فكانت أهم القضايا التي تعرض إليها في فصل الحديث ستة: تدوين الحديث، عدالة الصحابي، الوضع، البخاري وصحيحه، ابن المبارك، النقد. وهذه الموضوعات بعضها آخذ برقاب بعض لشدة الاتصال بينها، وهي في كل واحدة منها، وإن كان أمرها غير خفي، يحاول أن يجعل منها متكأ، بل منطلقا إلى التشكيك، أو ترويج شبهة[2]. ورد

(١) البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٦٨ ــ ٦٩)، ط ٢، دار البحوث العلمية.

(٢) انظر: ابن الخوجة: الدكتور محمد الحبيب، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، (ص: ٦١)، مجلة نصف سنوية يصدرها مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد التاسع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة عليه مفندا أكثر حججه، وآرائه[١].

وعموما فقد ردد الأستاذ أحمد أمين أكاذيب وأباطيل جولد تسيهر، وغيره من المستشرقين حول الأحاديث النبوية، وعقد فصلاً خاصا في كتابه(فجر الإسلام) عن الحديث النبوي حيث يأتي بأفكار وآراء بعض المستشرقين دون أن ينسبها إليهم. من ذلك: زعمه أن كثرة الوضع في حديث رسول الله والكذب عليه إنما نشأ ذلك من عدم تدوين الحديث، وزعم أيضا: أن الكذب على رسول الله بدأ في عهد النبي نفسه، وأن للشعوب التي دخلت في الإسلام دور بارز في الوضع الذي بلغ من الكثرة إلى درجة أن البخاري انتقى صحيحه من ستمائة ألف حديث كانت شائعة في عصره. وذكر أن جهود علماء الحديث إنما انصبت على السند من الحديث دون متنه، وشكك في ثقة وأمانة أبي هريرة، واتهم بعض علماء الحديث بعدم الدقة كعبد الله بن المبارك[٢].

يقول الدكتور السباعي مبينا هذه الحقيقة: «لما ثار النقاش حول الإمام الزهري في الأزهر سنة ١٣٦٠هـ قال الأستاذ (أحمد أمين) للدكتور: (حسن عبد القادر) وهو الذي أثيرت الضجة حوله: إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من أقوال المستشرقين أن لا تنسبها إليهم صراحة، ولكن ادفعها إليهم على أنها بحث منك، وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم، مسها كما فعلت أنا في (فجر الإسلام) وضحى الإسلام»[٣].

كما أن الدكتور أحمد أمين مقلد لبعض المستشرقين في افتراءاته على السنة النبوية، قال أحمد محمد جمال: «ومن افتراءات شاخت بل من جهالاته، قوله: إن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي، أي نقد الحديث النبوي من ناحية رواته جرحا وتعديلا ـــ ولم يعتنوا بالنقد

(١) قام الدكتور (محمد الحبيب ابن الخوجة) بعرض القضايا الستة بالتفصيل ورد على أحمد أمين ردا مفصلا. (انظر: ابن الخوجة: محمد الحبيب، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، بمجلة المجمع الفقهي الإسلامي،(ص: ٦١ ـــ ٧٠).

(٢) انظر: أمين، د. أحمد، فجر الإسلام،(٢١٠ ـــ ٢١١)، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، القاهرة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.

(٣) السباعي: د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع،(ص: ١٧٨)، الدار القومية للطباعة والنشر ـــ القاهرة.

الداخلي، أي نقد المتن! وكم كان أسفنا شديدا عندما قرأنا تقليدا لهذا الرأي للأستاذ أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام ج ٢ / ١٣٠) ثم للدكتور أحمد عبد المنعم البهي في (مجلة العربي ــ ص ــ ٨٨ س ١٩٦٦ م) فهما يزعمان الزعم نفسه، ويخطئان الخطأ ذاته. ولو أنهما بحثا في علم مصطلح الحديث بصدق وإخلاص لوجدا أن العلماء تصدوا لنقد المتن أيضا، وتحدثوا عن (الشذوذ) و(الاعتلال) في السند والمتن معًا، وقالوا: إن العلة قد تكون في المتن كما تكون في السند»[1].

وقام بالطعن في كتب الصحاح، وفند حججه الشيخ سالم علي البهنساوي في معرض حديثه عن العقل البشري والتحريف العلمي[2].

كما طالب الدكتور(أحمد أمين) بإخضاع بعض الأحاديث للتجارب الحسية أسوة ببعض المستشرقين حتى يمكن تصديقها، وقد رد عليه الأستاذ سالم علي البهنساوي برد مفصل مدللا على ذلك بالشواهد والدلائل الدينية والعلمية[3].

وتبع الدكتور: أحمد أمين المستشرق (جولد تسيهر) في التشكيك في بعض الصحابة، والطعن في بعض الأحاديث المروية عن أبي هريرة ﷺ نحو اتهام الصحابي الجليل أبي هريرة ــ ﷺ بالزيادة في الرواية فيما يضمن مصلحته الدنيوية مما دفع بالشيخ سالم البهنساوي وغيره من العلماء ينبري للدفاع عن الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ[4].

أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢ــ ١٩٥٥م)

من المستغربين الذين طغى عليهم الشعور بالانهزام الفكري والعقلي ممن افتتن بالمدنية الغربية، واعتبرها معيار التقدم والنجاح فأخذوا في تحقير علومهم وآدابهم، الأستاذ (أحمد زكي أبو شادي) حيث قال:

«ومع علم أولئك المستشرقين كعلم المستنيرين من المسلمين بأن الجمهرة من الأحاديث النبوية مختلقة اختلاق الإسنادنفسه الذي لم يكن معروفا في فجر الإسلام، فإن حظهم هو

---

(١) جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، (ص: ٤٢).

(٢) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٨٨ــ ٢٩١)،ط ٢، (دار البحوث العلمية).

(٣) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٨٨ــ ٢٩١).

(٤) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(٢٨٦ ــ ٢٨٨)،ط ٢، دار البحوث العلمية.

التعلق بكل سخيف حقير منه»[١].

وقد انتقده الدكتور (محمد الحبيب ابن الخوجة) لأنه يمضي في حقد وتهجم، كأنه مدفوع، أو موكَّل بنقص مصادر الثقافة الإسلامية، وما تركه المفسرون والمحدثون من آثار تشهد بأعمالهم وجهودهم واجتهاداتهم حيث قال: «وأما التغني بأبي داود والترمذي والنسائي الخ. . . وترديد الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم وتعاليم القرآن، وأما سوء تفسير آيات الكتاب العزيز، وأما الجهل بروح القرآن التي تشع من وراء هذه الآيات، وأما التنازل عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومك. ان ــ فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة»[٢].

وهذا من طلائع فتنة المتغربين في كثير من البلاد الإسلامية، وتقليدا لبعض المستشرقين الذين يقللون من شأن السنة النبوية، والتنويه بأن الإسلام يمثله القرآن وحده، وهذه المقارنة بين الكتاب والسنة لا تنم إلا عن جهل هؤلاء بالشريعة الإسلامية.

الشيخ: محمود أبو رية: (١٨٨٩ــ ١٩٧٠ م):

لجأ أحد رجال الأزهر الشريف الشيخ محمود أبو رية إلى الدفاع عن السنة بوسيلة جديدة ــ فوضع كتابًا باسم (قصة الحديث النبوي) لجأ فيه إلى قصر حجية السنة، على نطاق تفسير القرآن، لذا انتقده الدكتور مصطفى السباعي، فقال: (إن كذب أبي رية على السنة كثير)[٣] كما تعقب فضيلة الدكتور: (عبد الحليم محمود) شيخ الأزهر هذه المفتريات، ونقل أكاذيب أبي رية، وتضليل أبي رية، وفصلها المرحوم الدكتور السباعي، ثم قال: (إن مقاييس البحث العلمي الصحيح في كل عصر، تسقط عدالة أبو رية، وتشهد به ككذاب وكمحرف للكلم عن مواضعه كما تعقب الدكتور فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة هذا في كتابه (ظلمات أبي رية)[٤].

ومن مفتريات الشيخ محمود أبو رية على السنة بأنه يلزم عرض السنة على القرآن فإن

---

(١) ثورة الإسلام: ١٧، (الحاشية)، نقلاً من: (ابن خوجة: محمد الحبيب، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، (ص: ٥٤).

(٢) ثورة الإسلام: ٢٥، نقلاً من: (ابن الخوجة: الدكتور محمد الحبيب، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، (ص: ٥٥).

(٣) السنة ومكانتها في التشريع ص ٢٢١. (الحاشية) .

(٤) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(٢٩٥ ــ ٢٩٦)، (دار البحوث العلمية).

أتت بحكم ليس فيه فلا نأخذ به، وقد تبنى ذلك في كتابه أضواء على السنة المحمدية، فــرد الشيخ سالم البهنساوي عليه مبينا: أن السنة الزائدة عما ورد في القرآن، حجة يجب العمــل بها وإن اختلفوا في وصف هذه السنة، واستشهد بما قاله بن القيم: السنة مع القــرآن علــى ثلاثة أوجه أحدها أن تكون موافقة له من وجه. والثاني: أن تكون بيانا لمــا ورد بــالقرآن، وتفسيرا له. والثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عنه أومحرمة لماسكت عن تحريمه. ولا تخرج عن هذه الأقسام. فما كان فيها زائدًا على القرآن فهو تشريع مبتدأ، يجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته(١).

والشيخ (محمود أبو رية) صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية) قد خلط فيه مزيجا من آراء بعض المستشرقين ومن سار على طريقتهم من المسلمين. يقول عنه أبو شهبة منتقدا كتابه: «تلقف فيه كل ما قاله الأقدمون والمحدثون من طعون في الأحاديث ورجالها، وما قاله المستشرقون والمبشرون، وأذنابهم، وحرص أشد الحرص علــى أن يظهــر الــسنة بمظهــر الاختلاف، والتناقض، والتحريف، والتبديل، والسذاجة والتخريف، وفي سبيل هذا الغرض زيف الصحيح وصحح المختلق المكذوب»(٢).

ومن مزاعم أبو رية للتشكيك في أصالة التعاليم الإسلامية مانقله عن أحمد أمين: «اتصل بعض الصحابة بوهب ابن منبه وكعب الأحبار واتصل التابعون بابن جريح، وهؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة والإنجيل(٣) ـــ ثم علق بقوله: أخذ أولئك الأحبار يبثون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات يزعمون مرة أنها في كتابهم ومن مكنون علمهم، ويدعون أخرى أنها مما سمعوه من النبي ﷺ وهي في الحقيقة من مفترياتهم. . ثم قال: وتلقى الــصحابة ومن تبعهم كل ما يلقيه هؤلاء الدهاة بغير نقد أو تمحيص معتبرين أنــه صــحيح لاريــب فيه»(٤).

كما حا. ول أبو رية الطعن في أبي هريرة، والحط من مكانتــه وأنــه غــير معــروف

---

(١) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٣٩ ـــ ٤٠)، (دار البحوث العلمية) .

(٢) أبو شهبة: محمد بن محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين،(ص: ٩).

(٣) ضحى الإسلام، ٢/ ١٣٩ (حاشية رقم ١،(ص: ١٢٠).

(٤) أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١٢٠).

الاسم[١].

ثم حاول التشكيك في صحة أحاديثه بحجة أنه كان أميًا لم يكتب الحديث[٢]. وأنه كان يتشيع لبني أمية[٣]. وكان أبو رية أكثر من تكلم في حق أبي هريرة، قال الدكتور السباعي عن أبي رية: «أشهد أن أبا رية كان أفحش وأسوأ أدبا من كل من تكلم في حق أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديما وحديثا، مما يدل على دخل، وسوء عقيدة وخبث طوية، وسيجزيه الله بما افترى، وازدرى، وحرف، وشوه من الحقائق»[٤].

وقد رد عليه السباعي مبينا الحقائق التي شوهها أبو رية، وبعض المصادر التي اعتمدها في مزاعمه[٥].

كما أن محمود أبو رية كان من أشد القوم إسفافًا، وطعنًا، وتجنيًا على الصحابة والتابعين، حيث عقد فصلاً في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) بعنوان: (الإسرائيليات في الحديث)[٦] بين فيه منشأها حسب زعمه، وتعرض لعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه. من علماء أهل الكتاب الذي أسلموا، وحسن إسلامهم، متهمًا إياهم بالمكر والدهاء، والتظاهر بالدخول في الإسلام للطعن والدس فيه، وهدم أصوله وأركانه، وصوَّر الصحابة في صورة البُلَهاء السُّذَّج، المغرر بهم، الذين يصدقون كل ما يلقى إليهم من غير وعي ولا تمحيص. كما اتهم أبو رية كعب الأحبار بأنه: «أظهر الإسلام خداعا وطوى قلبه على يهوديته، وأنه سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينميه، ليلقنه كل مايريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات»[٧].

وقد كتب الدكتور محمد حسين الذهبي عن كذب وافتراء أبي رية على كعب الأحبار

(١) انظر أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١٦٨).

(٢) انظر: أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١٨٠).

(٣) انظر: أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١٨٥).

(٤) السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،(ص: ٣٥٣).

(٥) انظر: السباعي: مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،(ص: ٤٠٤ ـــ ٤٠٦).

(٦) انظر: أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية،(ص: ١١٨).

(٧) الذهبي: محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، (ص: ٧٤).

مستدلا بغزارة علم كعب الأحبار وشهادة الصحابة أنفسهم، وتوثيق العلماء له[١].

وقد أشار أيضا الدكتور محمد بن الخوجة إلى بعض الكتب التي ناقشت محمود أبو رية[٢].

السيد صالح أبو بكر:

صاحب كتاب (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها) وهو كتاب فاخر الطباعة ويباع بسعر رمزي، يزعم أن عمدة المراجع للأحاديث النبوية هو: صحيح البخاري، الذي اشتمل على مائة حديث مكذوب دسها اليهود على النبي ثم جاء البخاري وحكم بصحتها ونسبها إلى النبي ﷺ.

والمؤلف يدعي أنه اكتشف هذه الإسرائيليات في صحيح البخاري من خلال المراجع العلمية التي أوردها في الجزء الأول من كتابه، وهي:

أولاً: كتاب أضواء على السنة المحمدية للمدعو محمود أبو رية الذي قال: (ص: ٥٢) إن قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ المائدة: ٣.

معناه أن القرآن هو البداية، وهو النهاية، ولاشيء سواه وإنما جاءت البلوى من التقول على النبي، ونسبة الأحاديث إليه، وهو لم يقلها بدليل انه لم يدونها كما دون القرآن.

وهذا المرجع يزعم أن الأحاديث النبوية كلها مختلفة إسنادًا إلى هذه الآية التي أراد أن يهدم بها السنة النبوية. ولقد اختلق محمود أبو رية أقوالاً كثيرة في كتابه هذا ونسبها إلى البخاري وزعم أنها في كتاب فتح الباري[٣].

وقد كرر السيد أبو بكر روايات أبو رية المحرفة، ورد عليه الشيخ عبد الرزاق حمزة بؤلف سماه (ظلمات أبو رية) كما وصفه الشيخ عبد الحليم محمود بأنه كذاب، ومحرف

(١) انظر: الذهبي: د.محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، (ص: ٧٥ ــ ٧٦).

(٢) انظر: ابن الخوجة: الدكتور محمد الحبيب، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي،(ص: ٧٠ــ ٧٣).

(٣) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٦٧)، ط ٢، (دار البحوث العلمية ــ الصفاة / الكويت، ١٤٠١هــ / ١٩٨١م).

للكلم عن موضعه. ولو اتبعنا أبي رية فيما زعمه من أنه لا يوجد غير القرآن لأن السنة غير صحيحة، لكانت الصلوات الخمس، وأعمال الحج، ونصاب الزكاة وشروطها، من الإسرائيليات المكذوبة على الإسلام، لأنها لم ترد في القرآن الكريم، أي أن المرجع العلمي يريد هدم الإسلام عن طريق هدم السنة وهو ما يسعى إليه المبشرون وبعض المستشرقين.

وأبو رية، وكذا المتهم الجديد المدعو السيد أبو بكر لا يجهلان أن القرآن الكريم قد أمرنا باتباع سنة النبي قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ الحشر: ٧.

ولا يجهلان أن إجماع الصحابة والأمة قد انعقد على أن من رد الأحاديث النبوية كان كافرًا[١].

الدكتور: توفيق محمد صدقي:

أعلن فكرة ترك الحديث في مجلة المنار حينما كتب فيها مقالين بعنوان (الإسلام هو القرآن وحده) مستدلاً بالآيات القرآنية لعدم الحاجة إلى الحديث النبوي حسب زعمه[٢].

من الذين دعوا إلى ترك الحديث والاعتماد على القرآن وحده، وهم من عُرف باسم (أهل القرآن، أو القرآنيين)، وهم من تلامذة بعض المستشرقين وأذنابهم، فكانت كتاباتهم في حقيقتها ما هي إلا مرآة وصدى لأفكار بعض المستشرقين التي تأثروا بها. وقد قام فكر القرآنيين أساسًا على إنكار السنة، ونبذها، وعدم اعتبارها مصدرًا للتشريع الإسلامي، فتخبطوا، وضلوا، وجاءت أحكامهم ناقصة مشوشة، بعيدة عن مرادها.[٣].

---

(١) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٦٧ ــ ٢٨١)،بعنوان (وسائل جديدة لهدم السنة)، (دار البحوث العلمية)

(٢) انظر: الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي،(١ / ٢٦).

(٣) انظر: مجلة المنار ، ٢١/ ٤٨٣، وانظر: ١١/ ٧٧٤ .

المبحث الثالث

شبهات حول السيرة النبوية وتاريخ الصحابة

سار بعض المستغربين بنفس خطوات منهج بعض المستشرقين، بأسلوب مباشر وغير مباشر، في محاولة التشويه والانتقاص من الرسول محمد ﷺ وصحابته ﵃ أجمعين، وذلك بعدة طرق منها:

أ/ الأخذ بالأخبار الموضوعة:

طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م):

تبع بعض المتأثرين بالمستشرقين في الأخذ بالأخبار الموضوعة، نحو ما ورد عن قصة زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة، حيث ردد بعض المستغربين ماافتراه بعض المستشرقين من أن النبي محمدًا ﷺ أحب زينب وهي زوجة لزيد، قال طه حسين:

«يلقى في قلب النبي حب زينب زوج زيد. . . وهذه نفس محمد مضطربة أشد الاضطراب، ممتنعة أشد الامتناع، واجمة أشد الوجوم، ترفض هذا الحب، وتزور عنه ازورارا، وإذا هي حتى تنكره على نفسها، ولكن الله يبدي ما تخفي، ويعرف الناس ما تنكره. . . وإذا النبي يتزوج زينب»[(١)].

ب/ استخدام المنهج الشكي الديكارتي:

ومن أمثلة ذلك:

الدكتور/ طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م):

استخدم بعض المتأثرين بالمناهج الاستشراقية المنهج الشكي الديكارتي، حيث شكوا فيما روي من أحداث نقلتها الكتب عن حياة الصحابة، وغير ذلك من الحقائق التاريخية. منهم: (د. طه حسين)، فقد أعلن شكه فيما روي من أحداث نقلتها الكتب عن حياة أبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب. فقال:

---

(١) حسين: طه، على هامش السيرة، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين)،(٣/ ٥٥٠)، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م.

«وأنا بعد ذلك أشك أعظم الشك فيما روي عن هذه الأحداث، وأكاد أقطع بأن مافي كتب القدماء من تاريخ هذين الإمامين العظيمين، ومن تاريخ العصر القصير الذي وليا فيه أمور المسلمين أشبه بالقصص منه بتسجيل حقائق الأحداث التي كانت في أيامهما. . فالقدماء قد أكبروا هذين الشيخين الجليلين إكبارا يوشك أن يكون تقديسا لهما، ثم أرسلوا أنفسهم على سجيتها. في مدحهما، والثناء عليهما»[1].

كما شكك طه حسين في وجود سيدنا إبراهيم وإسماعيل، وفي بناء الكعبة، فقال: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة، ونشأة العرب المستعربة فيها»[2].

ثم قال طه حسين عن بناء الكعبة: «فليس هناك ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم»[3].

قال (عبد الستار فتح الله سعيد): «ومن المؤكد علميا وتاريخيا أن ماطلع به (طه حسين) على أمته من طعن في القرآن والسنة، ومن تكذيب لقصة إبراهيم وإسماعيل ــ عليهما السلام ــ ومن أقوال في الشعر الجاهلي ونحوه، كل ذلك قد استقاه ــ مباشرة ــ من أساتذته في الجامعة المصرية، كالدكتور (جويدي) الإيطالي، وكذلك من غلاة المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام، كالأستاذ (ماسينون) اليهودي الفرنسي السربوني ــ وهو أستاذه ــ وكذلك (مرجليوث) الإنجليزي»[4].

---

(١) حسين: طه، الشيخان، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين)، (الخلفاء الراشدون) المجلد الرابع،(ص: ٦)، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م.

(٢) حسين: طه، في الشعر الجاهلي (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين)،(ص: ٣١)، النص الكامل للكتاب في مجلة القاهرة، عدد ١٤٩، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، إبريل ١٩٩٥م.

(٣) حسين: طه، في الشعر الجاهلي (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين)،(ص: ٣٢).

(٤) سعيد: عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، القسم الثاني، في المؤتمر المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ، تحت عنوان: الفقه الإسلامي،(ص: ٢٣)، الرياض ــ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، المجلس العلمي، رقم (١٨)، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ج/ التفسير المادي للتاريخ الإسلامي:

الدكتور / طه حسين (١٨٨٩ ــ ١٩٧٣م):

وصف بعض المتأثرين إقبال الصحابة والتابعين على الجهاد الإسلامي؛ بأنه كان طمعا في الحصول على المال والغنيمة، وهم بذلك قلدوا بعض المستشرقين الذين فسروا الفتوحات الإسلامية تفسيرًا ماديا.

مثال ذلك: الدكتور/طه حسين، فقد فسر الفتوحات الإسلامية تفسيرًا ماديا حيث قال عن الأمة الإسلامية بأنها:

«استجابت لفتنة المال، وحب السلطان، والاستئثار بخيرات الدنيا»[(١)].

الأستاذ / علي عبد الرزاق:

ومن المتأثرين أيضا: (أ. علي عبد الرزاق) حيث وصف خلافة الخلفاء الراشدين؛ بأنها زعامة لا دينية، فهي عنده: «ليست شيئا أقل ولا أكثر من الزعامة المدنية أو السياسية، زعامة الحكومة والسلطان، لا زعامة الدين»[(٢)].

الدكتور محمد عمارة (١٩٣١م ــ ٢٠٠٦ م):

علق على الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما بأن سببها السعي لحيازة الثروات وامتلاك الأرض في البلاد الغنية المفتوحة وقد رد عليه الأستاذ/ سالم علي البهنساوي مبينا أنه لما كثرت الفتوحات الإسلامية في خلال خلافة عمر اضطر للسماح لهم بالهجرة إلى هذه البلاد ليعلموا أهلها أحكام الإسلام وليس للسلب والنهب والمطامع كما زعم الشيخ عمارة[(٣)].

---

(١) حسين: طه، مرآة الإسلام، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين)،(المجلد السابع (إسلاميات)،(ص: ٣٣٢)، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٨٢م.

(٢) عبد الرزاق: علي، الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام،(ص: ٩٢)، ط٣، مطبعة مصر ــ شركة مساهمة مصرية ــ القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

(٣) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٨٢ ــ ٢٨٣)، ط ٢، دار البحوث العلمية.

المبحث الرابع

تشويه أصالة تاريخ الفكر الإسلامي

تأثر بعض الباحثين والمفكرين بالفكر الغربي عامة وبالفكر الاستشراقي خاصة، وورثوا عن بعض المستشرقين فكرة: أن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافات الإنسانية، وظهر بعض الباحثين ينادون بعدم أصالة الفكر العربي الإسلامي، والتقليل من العقلية الإسلامية، وأن الفكر العربي الإسلامي مقتبس من الحضارات الأخرى ومقلد لها، حتى آمن البعض بالادعاء الكاذب الذي يقول: إن العقل العربي منهزم أمام العقل اليوناني، وبذلك صارت هناك تبعية فكرية للغرب من قبل بعض المتأثرين، ومن هؤلاء: الأستاذ /سلامة موسى (ت ١٣٧٨هـ = ١٩٥٧م) والدكتور/ طه حسين (١٨٨٩ ــ ١٩٧٣م)

الأستاذ / سلامة موسى (ت ١٣٧٨هـ = ١٩٥٧م):

اتهم العقلية العربية المسلمة بالتقليد، حيث قال عن المسلمين إنهم:

«نقلوا علوم الإغريق وفلسفاتهم إلى العربية، إما من الإغريقية مباشرة، وإما من السريانية»[(١)].

الدكتور/ طه حسين (١٨٨٩ ــ ١٩٧٣م):

أشاد بالفكر اليوناني وأنه أساس الفكر والحضارة الإسلامية، حيث قال: «إن الدولة الإسلامية لم ترث سياسة اليونان والفرس وحدها، وإنما ورثت حضارتهم أيضا، وورثت معها ماكان عند هذه الأمم من ثقافات متباينة، نقلتها كلها إلى اللغة العربية وصبتها كلها في القالب العربي، بحيث يمكن أن يقال: إن الحضارة الإنسانية ــ التي كان يغلب عليها الطابع اليوناني ــ قد غلب عليها الطابع العربي في القرون الأربعة الأولى للهجرة»[(٢)].

وقد عمل طه حسين على إثبات دعوى سيادة الفكر اليوناني على الفكر كله، ومنه

---

(١) موسى: سلامة، حرية الفكر،(١/ ٧٢)، ضمن سلسلة المواجهة، الهيئة المصرية للكتاب ــ القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) حسين: طه، ألوان، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين) المجلد السادس، (الأدب والنقد)،(ص: ٤٠٠ ــ ٤٠١)، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م.

الفكر الإسلامي، وذلك من خلال كتابه (قادة الفكر)[١]. حيث حاول الدكتور طه حسين مجاراة الأوربيين في تفكيرهم واقتفاء أثرهم فيما يقولون، وطالب بالتجديد، فقال في معرض إعجابه بالدراسات الاستشراقية، وضرورة التماس العلم عند بعض المستشرقين والغـربيين: «لابد من التماسه ـــ أي العلم ـــ عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطـير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا»[٢].

فالتجديد الذي طالب به طه حسين ماهو إلا فكرة تبناها بعض المستشرقين كما يقول الدكتور البهي: «فحركة التجديد في الفكر الإسلامي التي ظهرت في الشرق الإسلامي منذ بداية القرن العشرين تعتبر (تقليدا) للدراسات الإسلامية في تفكير بعض المستشرقين الغربيين، ثم أضيف إلى هذا التقليد فيما بعد ـــ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد أن تهيأ الجـو في الشرق الإسلامي للحديث في مواجهة الإسلام والمسلمين ـــ ترديد للفكر الإلحادي المـادي الغربي الوضعي والماركسي»[٣].

وقد ذكر الجندي أن طه حسين، وزكي مبارك، ومنصور فهمي، ومحمود عزمي، كانوا تلاميذ لمستشرقين يهود أمثال (دور كايم)، (ليفي برايل)[٤].

وقال الدكتور محمد عثمان عن طه حسين وغيره ممن فتنوا بالحضارة الغربية:

«كان جيل طه حسين ومنصور فهمي وتلاميذهما من غلاة المشايعين للحضارة الغربية وثقافتها خيرها وشرها حلوها ومرها، ما نحب منها وما نكره. ومن زعم غير ذلـك فهـو خادع أو مخدوع. كما عبر طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) وكمـا عـبرت مذكرات زوجته الفرنسية التي نشرتها أخيرًا»[٥].

---

(١) انظر: الجندي: أنور، محاكمة فكر طـه حسين،(ص: ١٢٢)، دار الاعتصام ـــ القاهرة ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م.

(٢) حسين: طه، مستقبل الثقافة في مصر،(ص: ١٩)، مطبعة المعارف ومكتبتها ١٩٤٤م.

(٣) البهي: د. محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار،(المقدمة ص: ٥).

(٤) انظر: الجندي: أنور، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي،(ص: ٨٨ ـــ ٨٩)، ط ٢، المكتب الإسلامي ١٩٨٣م.

(٥) مجلة العربي، الكويت، العدد (٢٥٢) سنة ١٩٧٩،(ص: ٣٥).

المبحث الخامس

تشويه الحقائق الإسلامية

ومن أمثلة ممن عمد إلى تشويه الحقائق الإسلامية:

الشيخ علي عبد الرازق:

صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) وهذا الكتاب من كتب التجديد في الفكر الإسلامي الحديث، وقد وضح فيه أن الإسلام دين لا دولة، متأثرًا بما كتبه بعض المستشرقين، وخلاصة بحثه أن الإسلام وحدة دينية، لا وحدة في الحكومة، أو الدولة، أو الترابط السياسي[1].

وقد نال إعجاب الغربيين، وترجم إلى لغاتهم، وأصبح من المصادر والمراجع المعتمدة في الجامعات الأمريكية والغربية الأخرى التي تهتم بالدراسات الإسلامية، حيث وجدت تلك الجامعات في ذلك الكتاب خير عون في تشويه الحقائق الإسلامية والتأثير من خلاله على عقيدة المسلمين، باعتباره كتابا إسلاميًا لأحد مشايخ الأزهر، وإن كان لا يخرج في كل ماجاءبه عما جاء من المستشرقين الغربيين من نظرتهم إلى الإسلام كدين، وحكمهم عليه. يقول رشيد رضا واصفًا ذلك الكتاب: «أول ما يقال في وصف هذا الكتاب أنه هدم لحكم الإسلام وشرعه من أساسه، وتفريق لجماعته، وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله في جميع الأحكام الشرعية الدنيوية وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة، والتابعين والأئمة المجتهدين»[2].

---

(١) انظر: البهي: د. محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،(ص: ٢٢٩ ـــ ٣٣٠)، ط ٤، مكتبة وهبة / القاهرة.

(٢) مقالة في مجلة المنار بعنوان الإسلام وأصول الحكم، نقلا من: الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها،(ص: ٢٥٦).

المبحث السادس

الدعوة إلى التوفيق بين الإسلام والنصرانية

ومن أمثلة ذلك:

الشيخ محمد عمارة (١٩٣١م ــ ٢٠٠٦م):

صاحب كتاب (الإسلام والوحدة الوطنية) الصادر عن دار الهلال في ربيع أول ١٣٩٩هـ فبراير ١٩٧٩م العدد ٣٣٨ وفيه زعم أن الألوهية والعمل الصالح والحساب والجزاء هي أصول الدين الواحد، أما تعدد الأنبياء والرسل فهذه مناهج ووسائل للتدين، لا تمنع دخول أصحاب هذه الديانات الجنة حتى لو ظلوا على شريعتهم بعد بعثة النبي محمد ﷺ، وأن الفارق بين المسلمين وأهل الديانات السابقة كالفارق بين العاملين بالكتاب والسنة وبين المبتدعين، وزعم أن الفوز بأجر الله وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة ــ كل ذلك حق وعد به الله سبحانه ــ لا المسلمين المؤمنين بالشريعة المحمدية فقط وإنما مطلق المؤمنين بالدين الإلهي ــ سواء منهم الذين آمنوا بشريعة محمد، أو موسى، أو عيسى، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ البقرة: ٦٢.

ثم قال: (ولقد يحسب البعض ــ وتلك قضية هامة ــ أن هؤلاء المبشرين بالنجاة من أتباع الشرائع السماوية هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية. أما من أدرك هذه البعثة، أو جاء بعدها، فلن يمنعه الإيمان بالله والآخرة والعمل الصالح إلا إذا هو آمن بشريعة محمد قد يحسب البعض هذا. ولكن نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية لن يحول بين فرائقها وبين النجاة[(١)].

ورد الأستاذ: سالم علي البهنساوي على الدكتور محمد عمارة موضحًا أن استدلاله معكوس، ومبينًا مواطن التحريف والتضليل، وما في قوله من بدعة التوفيق بين الإسلام

(١) البهنساني: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٣٣ــ ٢٣٤)، (دار البحوث العلمية) .

النصرانية بهدف إلغاء الشريعة المحمدية بكلام مطول[١].

موضحًا أن الشيخ عمارة أراد أن يخدم أوضاعًا زائلة، وأقوامًا لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، محرفًا الآيات لمجاملة اليهود والنصارى على حساب كلام الله ورسوله، ومبينًا أن قمة التضليل في كلامه أن الدين الإلهي الواحد قد ابتدعه بعض اليهود والنصارى لتحويل المسلمين عن دينهم، ولو كان لدى أصحاب هذه الدعوات أدنى درجة من الصدق لاتبعوا الرسالة الخاتمة وتركوا مزاعمهم أن الله ثالث ثلاثة، أو أن عيسى ابن الله، أو أن عزيرًا ابن الله، أو أن اليهود أبناء الله وشعبه المختار. وبين الشيخ أن هذا الدين الإلهي الواحد، لاوجودله عند أطفال المسلمين ولاعند العقلاء من المسلمين واليهود والنصارى ولكنه وسيلة عند الشيخ عمارة ليحقق به أهدافًا معلومة.

(١) انظر: البهنساوي: سالم علي، السنة المفترى عليها،(ص: ٢٣٤ ـــ ٢٤٧)، ط ٢، دار البحوث العلمية.

المبحث السابع

القول بتطور الشريعة الإسلامية

ومن أمثلة ذلك:

الدكتور عبد الرزاق السنهوري (١٨٩٥م ـ ١٩٧١م):

قال أحمد محمد جمال: «ومن الغريب المستنكر أن القانوني المصري الأستاذ عبد الرزاق السنهوري زعم في مجلة (القانون ــ السنة ١٤٨): أن الفقه الإسلامي كالقانون الروماني، من حيث المتانة، والصيانة، وقابلية التطور. وهو مثله صالح أن يكون قانونا عالميا. . ذلك أن الفقه الإسلامي من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون الروماني»[(١)].

أما قوله: (أن الفقه الإسلامي كالقانون الروماني، من حيث المتانة، والصيانة، وقابلية التطور) فالمشهور أن الفقه الإسلامي يقوم على المذاهب الأربعة وهي : المذهب الحنفي ، والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي ، والمذهب الحنبلي . وهي مذاهب يتفق أصحابها في أكثر الأمور، والخلافات بينهم حصلت في فهمهم وما وصلوا له من الأدلة في بعض فرعيات بعض المسائل، ثم أصبح لكل مذهب مسائله وطرقه في الاستنباط والاستدلال،ووجد في الأئمة مجتهدون يستخرجون الأحكام في النوازل والمسائل العصرية والمستجدة بما آتاهم الله من الفقه والفهم مستعملين الاجتهاد والقياس وقواعد المصالح الشرعية وكلام العلماء السابقين وأصول الفقه الإسلامي.

أما قوله (أن الفقه الإسلامي من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون الروماني) فالحق أن الفقه الإسلامي ليس من صنع الفقهاء، وإنما هو مستخرج من أحكام القرآن وسنة الرسول ﷺ وماااستنبطه الفقهاء من أحكام، بالقياس، أو الإجماع، إنما ردوه إلى أصل أو نص من القرآن أو السنة النبوية.

(١) جمال: أحمد محمد، مفتريات على الإسلام، (ص: ٥٣ ــ ٥٤).

الدكتور علي حسن عبد القادر:

لا يخفى على كل باحث أن جولد تسيهر نادى بمذهب التطور في الشريعة الإسلامية، والدكتور علي حسن عبد القادر صاحب كتاب (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) يعد ترجمة حرفية لآراء جولد تسيهر، الواردة في كتابيه (دراسات إسلامية) و(العقيدة والشريعة في الإسلام)[١].فقد زعم أن معنى الســـنة فى صدر الإسلام العادة والعرف الجاهلى، كما أن استعمال القرآن الكريم والسنة المطهرة لكلمة السنة بالمعنى اللغوى لا يعنى ذلك أن هذا المعنى اللغوى (الطريقة) أو (السيرة) أو(العادة) هو المراد شرعاً بالسنة،وتبع المستشرقين بقولهم:أن المعنى الاصطلاحي للسنة تحدد فى أواخر القرن الثاني الهجري[٢].

الدكتور طيب تيزيني:

قال الدكتور طيب تيزيني بنظرية التطور في تقديمه لكتاب (الإسلام قراءة غربية معاصرة) للمستشرق الفرنسي (دومينيك سورديل): «ولعل المؤلف الباحث يضع يده على واحدة من المسائل الطريفة في التطور الإسلامي الحديث المعاصر، نعني بذلك آفاق محاولات التجديـــد الديني الإسلامي في إطار مجتمعات عربية إسلامية، أو إسلامية غير عربية»[٣].

فالدكتور طيب تيزيني يتبع بعض المستشرقين في مقولتهم بالمنهج التطوري. كما أنـــه يصف الإسلام بأنه ظاهرة حضارية حيث يقول: «فقد عالج المؤلف في كتابه ما نطلق عليـــه الحضارة الإسلامية، أي الإسلام بوصفه ظاهرة حضارية تأسست في الحقول الاقتـــصادية، والاجتماعية، والسياسية. وكذلك الفنية، والفلسفية، والتصوفية، والقانونية، وغيرهـــا. ولم يهمل مع ذلك البحث في الإسلام بوصفه ظاهرة اعتقادية. وهو في هذا وذاك يلاحق الحدث التاريخي غالبًا في سياقه الذي نشأ فيه داخلاً (داخل الحضارة الإسلامية) وتحت تأثره بعناصر فكرية تحدرت من حضارات أخرى (بيزنطية، وفارسية، وهندية الخ. . .)»[٤].

---

(١) انظر: السباعي، الاستشراق والمستشرقون، (ص: ١٠).

(٢) انظر:عبد القادر: د. علي حسن، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص: ١٢٢ ــ ١٢٣،ط٣، دار الكتب الحديثة،١٩٦٥م.

(٣) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٧).

(٤) سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، (ص: ٦).

وفي هذا دليل على موافقته للمستشرقين بأن الإسلام متأثر بالحضارات الأخرى.

هكذا كان أثر الفكر الاستشراقي على المقلدين غير المبدعين، وقد ردد ورثتهم فكر ومناهج بعض المستشرقين واصطبغت أبحاثهم العلمية بها وحاولوا نشرها بين شباب المسلمين.

المبحث الثامن

تشويه أعلام الدعوة السلفية

ومن أمثلة ذلك:

الأستاذ: زاهد الكوثري ت ١٣٧١هـ:

كتب الأستاذ زاهد الكوثري عن مؤلفات ابن تيمية ووصفها بالتناقض واقم شيخ الإسلام بالخلل في عقله، وأن غالب كتبه ضار لمن يطالعها[١].

وقال الشيخ سليمان بن صالح الخراشي: ((ومن المتهمين لشيخ الإسلام بأنه منحرف عن علي ﷺ المدعو زاهد الكوثري أحد رؤوس المبتدعة في هذا القرن والذي سخر كل تآليفه وتعليقاته على الكتب في النيل من علماء السلف ممن لم يوافق مشربه البدعي))[٢].

ودافع الشيخ سليمان بن صالح الخراشي عن الشيخ ابن تيمية بجملة من الردود من أقواله وأقوال العلماء في ذلك[٣].

الدكتور: محمد عبد الستار أحمد نصار:

قال الدكتور: محمد عبد الستار أحمد نصار في معرض مناقشته لمناظرة أحمد بن حنبل لخصومه في المحنة تعقيبا على رأي ولتر باتون[٤]: «ولقد صدق (باتون) حين قرر أن الإمام أحمد يلجأ إلى الحيلة مع خصمه. ومعنى ذلك أن الأمر لا يوافق الحق المراد توضيح الرأي فيه، ويؤيد ذلك أن القول بأن القرآن الذي هو حقيقة كلام الله القديم. هو من علم الله قد لا يقره العقل، لأن في ذلك خلطا جسيما بين حقيقة الصفات، وليس في الاستدلال بقوله تعالى (أنزله بعلمه) ما ينهض أن يكون حجة مقبولة في ذلك. فإن ملابسة إنزال القرآن بعلم

---

(١) انظر: الكوثري: محمد زاهد، صفعات البرهان على صفعات العدوان وهي نقض ماكتبه السيد محب الدين الخطيب في مجلة الزهراء ج ٥ م ٥ المنقول في آخر هذه الرسالة، عني بنشرها تلميذ الأستاذ المؤلف: حسام الدين المقدسي، (ص: ٢٩ ــ ٣٠).

(٢) الخراشي: سليمان بن ناصر، شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبيًا،(ص: ٣٠)، ط١، دار الوطن للنشر ــ الرياض، السعودية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٣) انظر: الخراشي: سليمان بن ناصر، شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبا،(ص: ٣١ ــ ٣٣).

(٤) باتون: ولتر، أحمد بن حنبل والمحنة،(ص: ١٣٨).

الله لا تقتضي كونه منه. وقد كان يكفي الإمام أن يقف عند مبدئه العام، في عدم الخوض فيما لم يرد فيه نص صحيح، دون اللجوء إلى هذه الحيلة»[1].

فقد وافق الدكتور: محمد عبد الستار أحمد نصار المستشرق فيما نسبه للإمام أحمد ابن حنبل بالرغم من أن قضية خلق القرآن قد طال النقاش حولها وحسمها الإمام أحمد بن حنبل مثبتا أن القرآن كلام الله على الحقيقة، وغير مخلوق، ومن يخالف ذلك أو يشكك فيه فهو بمثابة الجاهل للحق، المعرض عنه.

ورد في كتاب الطحاوية: «وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق. ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد بالذات، أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم. وقد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين. والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقا خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة إنما سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوبًا مفترى مما لا ينازع مسلم في بطلانه. ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع - معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه لا عن كتاب، ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن عقلهم دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع»[2].

(١) نصار: محمد عبد الستار أحمد، المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام،(٢ / ٥٤٧ ــ ٥٤٨)، ط١، توزيع دار الأنصار ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية،(ص: ١٣٧ ــ ١٣٨)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

الفصل الثاني

أثرالمستشرقين على غير المسلمين

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول:بعض الآثار الإيجابية للاستشراق.

أولا: الدراسات الاستشراقية الموضوعية.

ثانيا: الرحلات الاستشراقية.

ثالثا:حفظ التراث الإسلامي.

رابعا: اعتراف بعضهم بأصالة المنهج التجريبي في البحث العلمي.

خامسا:الاعتراف بصدق الإسلام وفضله.

سادسا: دخول بعض الغرب وبعض المستشرقين في الإسلام.

سابعا: الاعتراف بفضل المسلمين على الحضارة الأوربية.

المبحث الثاني:بعض الآثار السلبية للاستشراق.

أولا: تشويه الفكر الإسلامي.

أ- تشويه مصدرية القرآن الكريم.

ب- تشويه السيرة النبوية.

ت- تشويه مبدأ الجهاد في سبيل الله.

ثانيا: إضعاف الشخصية الإسلامية.

ثالثا: الاستهزاء بالدين الإسلامي وبالمسلمين.

رابعا:إحياء المذاهب والتيارات المنحرفة.

خامسا:خدمة الاستعمار.

سادسا: ظهور حركة التبشير في الدراسات الاستشراقية

الفصل الثاني

أثرالمستشرقين على غير المسلمين

التمهيد:

يواجه العالم العربي والإسلامي تحديات عديدة ومتنوعة من قبل الاستعمار الحضاري الغربي المتفوق؛ وذلك من أجل السيطرة على العالم الإسلامي، فلم يعد تخطيط الغرب يعتمد على القوة، والسيطرة، والاستعمار، بل أصبح يعتمد على الفكر، والذكاء، والدهاء. فوقف الفكر الغربي من الفكر الإسلامي موقف العداء، وعمل الغرب على إتاحة الفرصة لتيار الفكر الاستشراقي للتوغل في العقول الإسلامية، مما جعل الغرب يعتمد على الدراسات الاستشراقية في معرفة الإسلام، فكان له أكبر الأثر في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام وفي تشكيل مواقف الغرب تجاه الإسلام.

وقد تطور نشاط بعض المستشرقين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين،[(١)] إذ إن الاستشراق يقوم على العلاقة النفعية بينه وبين مصالح الغرب الاستعماري الذي يقدم له الدعم المالي والمعنوي؛ مما ساعد على ازدهاره.

والاستشراق من الظواهر الفكرية التي لعبت دورًا كبيرًا في الفكر الغربي قديمًا، حيث نقل بعض المستشرقين مختلف العلوم والآداب من بلاد العرب والمسلمين إلى الغرب الأوربي، والتي كان لها دور أساس في بناء نهضته، كما كان الاستشراق أحد الأساليب التي استخدمها الغرب للسيطرة على العالم الشرقي، ولكن للأسف عمل الاستشراق على إشاعة تصورات وأفكار غير موضوعية عن الفكر الإسلامي في بلاد الغرب، مما يكشف عن صلة الاستشراق بالتبشير.

فالدراسات الغربية التي تناولت دراسة الشرق العربي والإسلامي ــ بوجه خاص ــ كان لها أثر على غير المسلمين، وظهر ذلك واضحًا إبان الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمان (١٠٩٧ ــ ١٢٩٥م) فهي الشرارة الأولى لدراسة الغرب الأوربي للإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر: سمايلو فيتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (ص: ٨٦).

قال محمد أسد: «إن في العقل الأوربي على العموم ــ لسبب ما ــ ميلا على الإسلام، بما هو دين، وبما هو ثقافة، إن سببا واحدًا لذلك يمكن أن يعزى إلى الإرث الذي قسم العالم يومذاك (أوربية، وبرابرة) وأما السبب الآخر وهو أشد صلة بالإسلام، فيمكننا أن نتتبعه إذا ولينا أبصارنا شطر الماضي، وخصوصا إلى تاريخ العصور الوسطى. . . ، إن الحروب الصليبية هي التي عينت ــ في المقام الأول، والأهم ــ موقف أوربة من الإسلام لبضعة قرون تتلو، ولقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة، لأنها حدثت في أثناء طفولة أوربة، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة أخذت تفرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة، تظل مستمرة ظاهرًا أو باطنا مدى الحياة التالية، وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثرا من أعمق الآثار وأبقاها في في نفسية الشعب الأوربي. . ولقد اتفق في ذلك الحين، وللمرة الأولى في التاريخ أن أوربة أدركت في نفسها وحدة ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي، ويمكننا أن نقول من غير أن نوغل في المبالغة أن أوربة ولدت من روح صليبية»[1].

لقد عمل الاستشراق في مراحله الأولى على تشويه صورة المسلمين أمام الأوربيين، خاصة بعد فشل الحروب الصليبية، حيث ظلت العقلية الغربية الأوربية تعادي الإسلام بشدة وعنف، لأن هزيمتها في الحروب الصليبية جعلتها تحمل في طياتها مرارة شديدة، وعداوة ضارية، وتسببت هذه الحروب في انتشار الاستشراق، بسبب التعصب الأوربي الذي دفعهم إلى تعلم العربية،[2] لاستخدامها كسلاح ووسيلة لفهم القرآن، ومناقشته، مما يدل على أن الاستشراق والتبشير يسيران معا في أغلب الأحوال.

ثم بدأت دراسة الإسلام أكثر موضوعية من ذي قبل في عصر النهضة الأوربية، حيث برزت النزعة العقلية متمثلة في حركة التنوير التي ظهرت في أواخر القرنين السابع عشر

(١) أسد: محمد، الإسلام على مفترق الطرق،(ص: ٥٤ ــ ٥٦).

(٢) انظر: سمايلو فيتش: أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (ص: ٧٣ ــ ٧٤) .

والثامن عشر الميلاديين[١].

ونتيجة للصبغة الموضوعية ـــ إلى حد ما ـــ في دراسة الإسلام صححت بعض الآراء الغربية التي كانت سائدة آنذاك؛ فما كان من بعض الباحثين الذين اتجهوا للبحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة إلا أن أسلموا، مثل المستشرق الفرنسي

(رينيه[٢])[٣]، وما أن قامت الدول الأوربية في الفترة الأخيرة من هجمات استعمارية، للسيطرة على العالم الإسلامي، حتى برزت العديد من الجمعيات والمجلات وعقدت العديد من المؤتمرات الاستشراقية في مختلف البلدان الأوربية[٤]، ونتيجة لذلك التطور في حركة الاستشراق أصبحت الدراسات الاستشراقية ذات طابع تخصصي، وأكثر موضوعية من ذي قبل، وذلك في نهاية القرن التاسع عشر، وظهر المتخصصون في الإسلاميات، والدراسات التخصصية، وكراسي لتدريس اللغات الشرقية في كليات وجامعات البلاد الغربية.

وبعض المستشرقين في الدراسات الإسلامية استخدموا مناهج غربية، اتسمت بالبعد عن الموضوعية، نتيجة تطبيقهم نفس المنهج النقدي الذي طبقوه على فكرهم ونتج عن ذلك بعض السلبيات، حيث شوهت الصورة الحقيقة للإسلام للدارسين الغربيين، كما ظهر فريق من المستشرقين في البلاد الغربية لاهم لهم إلا تشويه الإسلام، مع محاولة النيل من شخصية نبينا محمد ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ أجمعين. قال الدكتور شوقي أبو خليل: «ومن المستشرقين الذين ساروا على نهج الطعن والإدانة، بكتابات حاقدة، موظفة، بعيدا عن المنهج

---

(١) انظر: حسن: محمد إبراهيم، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية،(ض: ٣٨)، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، السنة الثامنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

(٢) لعله قصد بذلك (رينيه باسية Rene Baset) ١٨٥٥-١٩٢٤م فقد ولد في مدينة لونيفيل، وتعلّم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، كما تولّى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية بكلية الآداب بالجزائر، وكان من اهتماماته التفتيش عن الآثار حيث قام بهذا العمل في تونس. كما درس المعتقدات والأخلاق والعادات في الشمال الأفريقي. عمل محررًا في المجلة الأفريقية، ونشرة المراسلات الإفريقية. ومن المناصب العلمية العمل في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية. التحق بالعمل في الحكومة الفرنسية حيث عيِّن قنصلاً في الجزائر. من موقع: http: //www. dorar. net/enc/adyan/٧٩٠

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١/ ٦٩٢).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١/ ٦٩٣).

العلمي في تناول مصادرنا، على سبيل المثال: جولد تسيهر (المجري اليهودي) وتيودورنولدكة، وفينسنك، وميور، ولوي ماسينون، ولامانس، ودافيدصموئيل مرجليوث، وهملتن جب، ونيكلسون، وجوزيف شاخت. . منهجهم أقوال وأحكام بلا سند من تاريخ، أو حجة من عقل تغني عن البيان والرد، إنهم يبيتون فكرة مسبقة، ثم يلوون أعناق النصوص إليها، مع إسقاطات، ومع ذلك أقول: إن الشاذ والغريب والضعيف لا يصمد أمام النقد والتوثيق»[1].

وقد نما الفكر الاستشراقي، وظهر تأثيره في الغرب من خلال الإنتاج الفكري للمستشرقين المتعدد الاتجاهات، ممانتج عنه آثار إيجابية وسلبية عن الإسلام والمسلمين.

(١) أبو خليل: د. شوقي، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، (ص: ١٢٧).

المبحث الأول

بعض الآثار الإيجابية للاستشراق

للدراسات الاستشراقية آثار إيجابية من نواحي متعددة منها:

أولا: الدراسات الاستشراقية الموضوعية:

من المعروف أن الاستشراق نشأ وترعرع في أحضان المستعمرين ورعته الكنيسة ووجهته، وقسم كبير منه تناول مصادرنا الإسلامية بالتشويه، والتضخيم والتهويل. لكن هناك مستشرقين حاولوا دراسة الإسلام ضمن منهج علمي موضوعي، حيث أثرت بعض الدراسات الاستشراقية على بعض المستشرقين ودفعت بهم إلى البحث والتنقيب عن بعض الحقائق وتوثيق ما أظهروه من حقائق دينية، وعقدية، فكان منهم من تنازل عن تعصبه الذميم، وبنى دراساته على الوقائع الحقيقية، مما أدى إلى دخول بعضهم ودخول الكثير من الناس في الغرب في الإسلام. قال الدكتور شوقي أبو خليل:

«من المستشرقين المنصفين في تناول مصادرنا، ضمن المنهج العلمي الموضوعي: يوهان رايسكه الألماني[1]: [١٧١٦ ــ ١٧٧٤م] الذي اتهم بالزندقة لمنهجه الإيجابي من الإسلام. ولورافيشيا فاغليري الإيطالية، مؤلفة كتاب (دفاع عن الإسلام) وسلفستر دي ساسي الفرنسي[2]، الذي يرجع إليه الفضل في جعل باريس مركزا للدراسات العربية. وتوماس آرنولد البريطاني، صاحب كتاب (الدعوة إلى الإسلام). وزيغريد هونكه مؤلفة كتاب: (شمس العرب تسطع على الغرب)، والدكتورة آنا ماري شمل التي قدمت لكتاب الدكتور

---

(١) رايْسْكِه Johann Jacob Reiske: (١٧١٦ ــ ١٧٧٤ م) مستشرق ألماني، من الأطباء. تعلم العربية في ليبتسك واستكمل دراسته في جامعة ليدن وحصل على الدكتوراه من كلية الآداب، له كثير من الأعمال في الأدب اليوناني. (انظر: بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(٢٩٨ ــ ٣٠٣).

(٢) سيلفستر دي ساسي(Silvester de Sacy١٧٥٨-١٨٣٨)م، ولد في باريس عام (١٧٥٨)م، وتعلّم اللاتينية واليونانية وأتقن اللغات الأوربية، من مؤلفاته: تحقيق مقامات الحريري، الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار، وكليلة ودمنة، وترجمت فصول من من كتاب: روضة الصفاء. (انظر: بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين،(ص: ٣٣٤ ــ ٣٣٩) .

مراد هوفمان: (الإسلام كبديل)»[١].

ولاننكر أن فئة. من بعض المستشرقين عكفت على دراسة الإسلام بدافع علمي، وجاء إنتاجها العلمي أقل أخطاء من نتاج غيرهم، وقد يكون ذلك لجهلهم باللغة العربية، وتأثرهم بالمناهج الغربية. لكن لا تخلو كتاباتهم من الدس والتشويه الذي يجب أخذ الحذر منه أثناء الاستفادة من مؤلفاتهم التي كتبت عن العقيدة الإسلامية، علما أن كثيرًا من المسلمين تلقى إنتاجهم الفكري على مافيه من أخطاء، وحاول تصحيحه[٢].

وقد هدى الله قلوب بعض المستشرقين للإسلام، لكنهم ظلوا منبوذين من قبل الغرب، سواء من ناحية الكنيسة، أو من ناحية سياسة الدولة، فلم يجدون الدعم المادي مثل بقية المستشرقين الذين ساهموا في تحقيق أهداف الكنيسة. ومن المستشرقين المنصفين (موريس بوكاي) الذي حاول أن يبرز مزايا الإسلام من خلال كتابه عن القرآن والعلم الحديث بالفرنسية، والمترجم بالعربية بعنوان(دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) والذي حاول من خلاله دراسة الإسلام بموضوعية، وإن وقع في كثير من الأخطاء التي تحتاج من علمائنا الأفاضل تصويبها في ملحق خاص بالكتاب المطبوع؛ لكي لا يغتر به السفهاء.

قال موريس بوكاي: «. . وإنه لمما يبعث على التقدير ما يحدث اليوم على أعلى مستويات المناصب الرسمية، حيث يجتهد مسيحيون كاثوليكيون في إرساء أواصر الصلة مع المسلمين، ويحاولون مكافحة عدم الفهم، ويبذلون مافي وسعهم لتصحيح وجهات النظر غير الصحيحة المنتشرة عن الإسلام. لقد تحدثت في مقدمة هذا الكتاب عن التغير العظيم الذي حدث في السنوات الأخيرة، فذكرت وثيقة صادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين وعنوانها(توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين). . . ، إنها وثيقة شديدة الدلالة على المواقف الجديدة التي تُبنيت إزاء الإسلام، ففي الطبعة الثالثة ــ عام

(١) أبو خليل: د. شوقي، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، (ص: ١٢٧).

(٢) من ذلك ما قدمه الأستاذ العلامة المحامي الكبير محمد السبسبي ــ رحمه الله ــ في رده على أخطاء كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للمستشرقة (زيغريد هونكه) وقد وزعت نشراته مجانا على العلماء والمثقفين، كما نشرته بعض المجلات الإسلامية. (انظر: عتر: حسن ضياء الدين، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، ط٢،(ص: ٢٦).

١٩٧٠ ــ من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات، (بمراجعة مواقفنا إزاء الإسلام، وبنقد أحكامنا المسبقة). . و (علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية إخواننا المسيحيين، فذلك يهم قبل كل شيء). . ويجب التخلي (عن الصورة البالية التي ورَّثنا الماضي إياها، أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة). . كما(يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين). . بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان ــ التي تحتوي على مائة وخمسين صفحة تقريبا ــ ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكية عن الإسلام، كما أنها تقدم عرضا لما عليه الإسلام في الواقع»(١).

ثم قال موريس بوكاي: «وإنني لعلى يقين من أن دفاع الفاتيكان عن الإسلام سيثير دهشة كثير من معاصرينا، سواء كانوا مسلمين، أو يهودا، أو مسيحيين، فذلك إعلان يتميز بإخلاص، وبروح انفتاح، يتباينان بشكل فريد مع مواقف الماضي، ولكن كم هم قليلون حقا الغربيون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها أعلى سلطات الكنيسة الكاثوليكية»(٢).

ثانيا: الرحلات الاستشراقية:

قد يقال إن الرحلات العلمية، وما تمخض عنها من إنتاج علمي، قد أسهمت في إزالة سوء الفهم الذي تركه بعض المستشرقين من غير الرحالة الذين اعتمدوا على آثار من سبقهم من المستشرقين، فأزال بعض المستشرقين الرحالة كثيرًا من سوء الفهم والتعصب، ذلك أنهم عايشوا المجتمعات المسلمة، وعرفوها معرفة صحيحة أزالت الخوف والعداء، قال محمد علي حشيشو: «لقد رسم أوائل الرحالون صورة غامضة غريبة للشرق الأدنى، فراح من جاء بعدهم يصححونها، ويضيفون إليها حجرا بعد حجر، حتى أصبحت أقرب إلى الحقيقة»(٣).

---

(١) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ١٤٢ ــ ١٤٣).

(٢) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ١٤٥).

(٣) حشيشو: محمد علي، الرحالين الألمان إلى البلاد العربية، ضمن كتاب: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دراسات جمعها وشارك فيها: صلاح الدين المنجد،(ص: ٩٢)، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٢م.

مثال ذلك: المستشرق الهولندي (كريستيان سنوك هورخرونيه ١٨٥٧م/ ١٩٣٦م) الذي دخل مكة المكرمة باسم (عبد الغفار) وأقام فيها ستة أشهر، فمن الوقفات التي تذكر له: أنه انتقد بمرارة الرحالة الأوربيين الذين «. . يقيمون في الشرق أياما معدودة ويصدرون أحكاما سطحية وساذجة، لا تعتمد على المشاهدة، وإنما على ماهو موجود في بطون كتب المستشرقين ممن سبقهم، وبهذا تتوالى الأخطاء باستمرار في كتب هؤلاء»[1].

كذلك المستشرق الفنلندي (جورج أُوغست فالين)[2] الذي عرف في العربية باسم(الشيخ عبد الولي) الذي قال عنه يوسف إبراهيم يَزبك في مدخل كتاب هذا المستشرق:

«أما صاحبنا الشيخ عبد الولي فعرف بأنه الرائد الأوربي الحقيقي الذي وفق إلى دخول شمالي الجزيرة، إذ رحل إليه مرتين، وعاد عنه بمعلومات بكر عدها العلماء كنوزا. . . وأعظم ما عرف في جورج أوغست فالين بعد رجوعه من نجد إيمانه بصحة الدعوة

(١) هورخرونيه: ك. سنوك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري،(٢/ ٣١)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد بم محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، راجعه: محمد إبراهيم أحمد علي.

(٢) فالين(١٨١١ ــ ١٨٥٢م)جوري آوغست فالين Georg August Wallin: مستشرق فنلندي. ولد في جزائر آلاند Aland (غربي فنلندة) وتعلم في جامعتها، ووضع كتابًا باللغة اللاتينية سماه «أهم الفروق بين لهجات العرب المتأخرين والمتقدمين» ورحل إلى العاصمة الروسيةبطرسبرج(لينغراد) فازداد في جامعتها علمًا بالعربية على يد أستاذها الشيخ الطنطاوي. ورحل إلى مصر سنة ١٨٤٣ فأقام بها ست سنوات، زار في خلالها العراق ونجدًا وأصبهان وسورية، وتزيّا في رحلاته بالزيّ العربي وتسمى «عبد الولي» ثم سكن لندن سنة ١٨٤٩ ــ ١٨٥٠ واشترك في عمل خريطة لبلاد العرب. وعين سنة ١٨٥١ أستاذًا للعربية في جامعة هلسنكي Helsinki (فنلندة) وهو أول من جعل العربية فرعًا مستقلاً في هذه الجامعة. و لم يلبث أن توفي. وقد أقيم على ضريحه بهلسنكي حجر بسيط نقش عليه اسم «عبد الولي» بحروف عربية. وكانت صورته وهو في زيّ شيخ عربي ذي عمامة وقباء ونطاق، مما يزين الجامعة إلى عهد قريب، ولعله لا يزال إلى الآن. ونقل إلى بلاده كتبًا عربية منها «شرح الشيخ عبد الغني النابلسي لحائية ابن الفارض»: أوميض برق بالأبيرق لاحا. وقد نسخ هذا الشرح بخطه، وطبعه على الحجر في هلسنكي، مع ترجمة لاتينية. وله «مذكرات ــ ط» بلغته، خمس مجلدات، في وصف ما رآه أيام إقامته في البلاد العربية.

http: //www. madinacenter com/post. php?ResultSerach=١&RPID = ٤٨&DataID =٤٨&word&المستشرقين٢٠%طبقات=LID =٢

الإصلاحية (الوهابية)، وجرأته في الدفاع عنها»[١].

وبشكل عام نستطيع أن نقول إن الرحلات الاستشراقية ساهمت بدور ليس بالكبير في رسم صورة ــ وإن لم تكن دقيقة ــ عن المسلمين، إلا أنها صورة قد صححت بعض المفاهيم المغلوطة عن المسلمين.

ثالثا: حفظ التراث الإسلامي:

للمستشرقين فضل على تراث المسلمين من حيث حفظه، ونشره وتحقيقه في وقت غابت فيه أيدي كثير من العرب المسلمين عن خدمة التراث الإسلامي، هذا إذا تجاوزنا الدوافع والأهداف غير العلمية، بسبب عدم انتمائهم للثقافة التي يدرسونها، خاصة إذا عرفنا منطلق منهج بعض المستشرقين في دراستهم عن الإسلام، فهو منهج مصطنع وليد اللاهوت الأوربي، منصب على مقياس الأثر والتأثر ــ كما سبق أن شرحنا.

ومن الشواهد التي تدل على حب الغرب لجمع التراث أن: «. . البابا (نيقولا الثاني) مهتما بجمع الكتب وعلى رأسها الكتب الإسلامية، حتى إنه بعث رجاله لجمع الكتب من كل مكان في الشرق، ولم يكن البابا الثاني فقط بل كانت أوربا كلها تحاول جاهدة بشتى الطرق جمع تلك الكتب، ولقد رجع (جان غرورتر) من الأندلس وهو يحمل حصانا من الكتب الإسلامية، وكانت الحركة الغربية في اقتناء الكتب الإسلامية بشقيها العلمي، والنظري، حركة هامة ومؤثرة في تاريخ أوربا، ووصل الأمر في اقتناء الكتب إلى حد كبير، فنجد أن المستشرق (ويد ماترنز)[٢] قد باع ما جمعه من مخطوطات وكتب، وصلت أحد عشر مجلدا لدوق بروسيا عام ١٥٥٨م. (وويلهم بوستل) الذي جعلته الضائقة المالية يُفرط فيما جمعه من كتب ومخطوطات وبيعها إلى مكتبة هايدلبرج، التي أصبحت تلك المخطوطات نواة أصلية في دراسة المستشرقين في ألمانيا، وأوصى (يوركهارت) بما جمعه من مخطوطات ــ وصلت ثمانمائة مخطوطة ــ لجامعة كامبردج، واشترت مكتبة برلين من البروفسور (هايزش بترمان) حوالي ألف مخطوطة ويزيد، وجلب القنصل (البروس) في دمشق لتلك المكتبة ألفين

---

(١) فالين: جورج أوغست، (عبد الولي)، صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر،(ص: ٢ــ ٦)، ترجمة: سمير سليم شلبي، راجعه: يوسف إبراهيم يزبك، ط١، الناشر: أوراق لبنانية، تاريخ النشر ١٩٧١م.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

ومائة مخطوطة»[١].

لقد حفظ المستشرقون جزءاً كبيراًمن تراثنا الضخم، مع أن الهدف من ذلك كان الاهتمام بإخراج ما يفقد المسلمين الثقة بأمجادهم، مثل كتاب ألف ليلة وليلة، والأغاني، وغير ذلك من الكتب التي تمجد الفرق الإسلامية المخالفة، لتجديد النزاع الفكري، والسياسي، والمذهبي، ولنشر البلبلة العقدية، وتمزيق وحدة العرب والمسلمين.

وقد أشاد نجيب العقيقي بجهود بعض المستشرقين في جمع التراث، وصونه، وتقويمه، وفهرسته، مبينا أن الدافع العلمي كان وراء الجهود الاستشراقية[٢].

وهذا الجهد من بعض المستشرقين لخدمة التراث الإسلامي تبينت مقاصده من خلال عملية الانتقاء لنشر وتحقيق كتب الفرق، والبدع المخالفة، وكل ماله دور في نشر النزاع الفكري والمذهبي.

رابعا: اعتراف بعضهم بأصالة المنهج التجريبي في البحث العلمي:

حاول بعض المستشرقين نفي أصالة البحث العلمي التجريبي عن المسلمين، ونشر هذه المقولة في الغرب، لكن بعض الدراسات الاستشراقية ساهمت في تقويم هذه النظرة في الدراسات الغربية، ونسبة الفضل لأهله، والكشف أن البحث العلمي القائم على التجربة، والاختبار، والملاحظة، والتسجيل، والمقارنة، والتصنيف من أجل الوصول للحقائق،[٣] هو منهج إسلامي أصيل.

ومن ذلك ما قاله (بريفولت)[٤]: «إن ما يدين به علمنا للعرب، ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين لهم بوجوده نفسه، فالعالم القديم ـ كما رأينا ـ لم يكن فيه للعلم وجود، وقد نظم اليونان المذاهب، وعمموا الأحكام، ووضعوا

(١) سرى: طارق، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي،(ص: ٢٧)، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة ـ ٢٠٠٦.

(٢) انظر: العقيق: نجيب، المستشرقون، ١/ توطئة،(ص: ٧ ـ ٨). دار المعارف ١٩٦٤م.

(٣) للاستزادة لمعرفة أصول البحث العلمي، الزبيدي: د. طارق صالح، مفهوم البحث العلمي عند العرب، بحث منشور ضمن كتاب (بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب) ،(ص: ٧٨)، من إصدارات بيت الحكمة، بغداد ١٩٨٩م.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

النظريات. ولكن أساليب البحث في دأب وأناة، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها، والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث التجريبي، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليوناني. أما ما ندعوه العلم فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، وهذه الروح وتلك المناهج، أوصلها العرب إلى العالم الأوربي»(١).

وقال: ارنست بانرث المولود سنة١٨٩٥م: «. . كان أول من قلد العرب في التجربة الراهب(روجر بيكون) في إنكلترا. وحتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوربا العرب على إدخال طريقة التجربة العلمية، التي دلت على التطور الحديث في جميع الميادين»(٢).

خامسا: الاعتراف بصدق الإسلام وفضله:

تقول المستشرقة (زيجريد هونكة): «إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، إذا مانحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل والبحت به، وإن علينا أن تقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو»(٣).

وقال رودي بارت: «. . إن العالم الواسع المترامي الأطراف ماكان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية، ويصبحوا بذلك ذوي أهمية ـــ إن صح هذا التعبير»(٤).

سادسا: دخول بعض الغرب وبعض المستشرقين في الإسلام:

قال الدكتور دوغل. اس أرشر (عبد الله أرشر)(٥): «إن بحثي لنيل إجازة الدكتوراه كان

(١) بريفولت، من كتابه: بناء الإنسانية (The making of humanity) نقلا من: قطب: محمد، واقعنا المعاصر،(ص: ٩٠ ـــ ٩١).

(٢) بانرث: ارنست، تأثير الفلسفة الإسلامية في تطور الفكر الأوربي،(ص: ٨ ـــ ٩)، نقلا من: خليل: عماد الدين، قالوا عن الإسلام، (ص: ٣٣٦).

(٣) هونكة: زيجريد، الله ليس كذلك،(ص: ١٠١)، ترجمة: د. غريب محمد غريب.

(٤) بارت: رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة) ص: ٢٠)، ترجمة الدكتور: مصطفى ماهر.

(٥) لم أعثر له على ترجمة.

عن التربية وبناء الأمة، ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، وكذلك البناء الروحي. واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساسا عظيما، وقاعدة قيمة؛ لإعادة بناء الأمة اجتماعيا، واقتصاديا، وروحيا، ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك: لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه، تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلا من الضمير، وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء»[(١)].

وكتب الدكتو. ر: منذر عادل العبسي في مقدمة كتاب (حتى الملائكة تسأل ـــ رحلة إلى الإسلام في أمريكيا) للمستشرق الأمريكي (جفري لانغ) أستاذ الرياضيات الذي أسلم، وحكى قصة إسلامه في كتابه (الصراع من أجل الإيمان) الذي ترجمته ونشرته دار الفكر بدمشق.) إعادة مختصرة عن رحلته إلى الإسلام، عندما روى قصة إسلام هذا المستشرق بما كتبه عن نفسه بقوله:

«ولدت مسيحيا ثم إني في الثامنة عشرة من عمري أصبحت ملحدا؛ بسبب بعض الاعتراضات العقلانية على فكرة الله في المسيحية، بقيت ملحدا لمدة عشر سنوات التالية. قرأت تفسيرا للقرآن في سن الثامنة والعشرين فوجدت فيه إجابات متماسكة ومنطقية لأسئلتي. وهذا الأمر دفعني للإيمان بالله عن طريق الإسلام، ومن خلال تلك القراءة. وهكذا أصبحت مسلما»[(٢)].

سابعا:الاعتراف بفضل المسلمين على الحضارة الأوربية:

يقول المستشرق لويس يونغ: «كان للحضارة العربية تأثير كبير في أوربا، وتظهر جذور هذا التأث. ير بلا شك في مفردات الكلمات التي استعارتها اللغات الأوربية من اللغة العربية»[(٣)].

---

(١) رجال ونساء أسلموا،(٥ / ٥٦)، نقلا من: نقلا من: (خليل: عماد الدين، قالوا عن الإسلام، ص: ١٥٠ ـــ ١٥١).

(٢) لانغ: جيفري، حتى الملائكة تسأل (رحلة إلى الإسلام في أمريكيا)، مقدمة المترجم،(ص: ٧)، ط٢، دار الفكر المعاصر ـــ بيروت ـــ لبنان، ١٤٢٦هـــ / ٢٠٠٥م.

(٣) يونغ: لويس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة، (ص: ١١٨).

ثم ذكر لنا كثيرًا من الكلمات الإنجليزية، والتي هي مأخوذة من أصول عربية، وكتب في هذا الموضوع لربط صلة العرب بالعلوم الأوربية في عدة مجالات منها: الفلسفة والعلوم الطبيعية، والطب والموسيقى، والتعليم، والفنون والأدب[١].

وقال المستشرق مارسيل بوازار: «إن الحضارة العربية ــ الإسلامية قد أسهمت قطعا هي الأخرى إسهاما ملموسا في النهج الذي يكفل احترام الشخصية البشرية، ويحدد العلاقات بين الشعوب. وإذا لم يكن هذا الإسهام موضع صمت متواطأ عليه بالفعل من قبل المؤلفين الغربيين، فإنه ظل وقفا على المتخصصين، ولم يتجاوزهم إلى صفوف الجمهور المثقف العريض. ولا تتضح أسباب هذا الإهمال، بل هذه الزراية الضمنية. أيكون السبب أزلية عقدة الإغريق بإزاء برابرة الشرق،[٢] أم رفض المسيحية الاعتراف بصلاح ديانة توحيدية متأخرة عنها، ــ وهو مايبدو أكثر ملاءمة للواقع ــ إن حق الناس ذا الأصل الأوربي قد شرع أيضا لتوحيد الشعوب الأوربية ضد الإسلام ؟»[٣] .

(١) انظر: الفصل الخامس بعنوان (تأثير الحضارة العربية في أوربا. العصور الوسطى) يونغ: لوبس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قحة،(من ص: ١١٨ ــ ١٤٠).

(٢) أمير بادي، (الاغريقيون البرابرة)، وجه التاريخ الآخر، لوزان ١٩٦٣، ١٢٦ صفحة. (المترجم من الحاشية رقم ١١ صفحة ١٣).

(٣) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام،(ص: ١٣)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.

المبحث الثاني

بعض الآثار السلبية للاستشراق

من الآثار السلبية للدراسات الاستشراقية(١):

أولا: تشويه الفكر الإسلامي(٢):

لم يدرس كثير من المستشرقين الإسلام إلا وقد لغمت عقولهم بفكرة أساسية مؤداها أن دين الإسلام دين باطل، فكانوا يتناولون بعض الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتي تتماشى مع أهدافهم، حتى يتمكنوا من إقناع الناس بصدق نظريتهم، وما يرمون إليه، حتى ولو اضطرهم الأمر لبتر النصوص واستخدام المغالطات(٣).

فالدراسات الاستشراقية للأسف أصبحت مصدرا لتعليم الإسلام للغرب، فانطلق أساتذة الاستشراق في الجامعات إلى صفحات التاريخ الإسلامية الناصعة واخترعوا أسبابا

(١) عرض الدكتور: محمد عمارة شهادات غربية على قدم وتجذّر ثقافة العداء للإسلام والكراهية للمسلمين في التراث الغربي، وشهادات غربية لكوكبة من علماء الاستشراق في إنصاف الإسلام في كتاب له يمكن من خلاله الكشف عن آثار الدراسات الاستشراقية على غير المسلمين، انظر: عمارة: محمد، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء.

(٢) تناول الدكتور مونتجمري وات في كتابه (فضل الإسلام على الحضارة الغربية) في الفصل السادس بعنوان (الإسلام والوعي الأوربي) الصورة الشائهة عن الإسلام في الفكر الأوربي على شكل عدة نقاط بارزة منها (الفكرة الشائهة عن الإسلام والتي عرض فيها أن الدين الإسلامي أكذوبة وتشويه متعمد للحقيقة، وأن الإسلام دين العنف والسيف، وأن الإسلام دين يطلق لشهوات المرء العنان، وأن محمدا هو المسيح الدجال)(من ص: ٩٩ ــ ١٠٥).(انظر: وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين، ط١، دار الشروق ــ بيروت، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. والغريب أن الدكتور محمد عمارة جعله من المستشرقين المنصفين في كتابه: (عمارة: محمد، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء،(ص: ١٥٩) حيث افتتح كلامه عنه بقوله: والشهادة الغربية الثالثة المنصفة للإسلام وحضارته وثقافته بل والمؤكد على صدقه وعلى رقيه وتفوقه. . المؤرخ والباحث الإنجليزي مونتجومري وات.

(٣) انظر: الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، (التبشير ــ الاستشراق ــ الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، سلسلة أعداء الإسلام، رقم (٣)،(ص: ١٤٧)، ط٥، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

مادية لانتشار الإسلام، وأسهبوا في عرض الفتن والمحن، ولم يدرسوا التاريخ الأوربي بنفس المنهج الذي درسوا به الإسلام، وما ذلك إلا لتحطيم الشخصية الإسلامية، وبث الأساليب الدعائية النفسية لرفع شعار تفوق العنصر الغربي على العنصر الشرقي السامي، حتى ترسخ عقدة الشعور بالنقص بين المسلمين. وقد وجد من اعترف بذلك من المستشرقين ممن قام بمحاولة تشويه الفكر الإسلامي، وهو المستشرق (موريس بوكاي) الذي يقول:

«. . عندما نتحدث في بلادنا الغربية عن العلم والدين، نغفل ضم الإسلام إلى اليهودية والمسيحية، فالأحكام غير الصحيحة المؤسسة على مفاهيم مغلوطة، والتي صدرت ضد الإسلام، هي من الكثرة بحيث يصعب جدًا على المرء أن يكوِّن فكرة سليمة عما عليه الإسلام في الواقع. لذلك فإذا أردنا اليوم أن نقدم لأية مواجهة بين الإسلام والمعارف فإنه يبدو لنا ضروريًا ولازمًا أن نقدم عن الإسلام لمحة عامة، ذلك الإسلام الذي طالما أسيء فهمه في بلادنا. إن الأحكام المغلوطة تماما، التي تصدر في الغرب عن الإسلام ـ ناتجة عن الجهل حينًا، وعن ال. تسفيه العامد حينًا آخر»(1).

وقال موريس بوكاي وهو يتحدث عن الوثيقة الصادرة عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسلمين، وعنونها: (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين): «وتحت عنوان(أن نتحرر من أكثر أحكامنا المسبقة جساما) وجه أيضا مؤلفو هذه الوثيقة الدعوة التالية إلى المسيحيين: (هنا أيضا علينا أن نتطهر، وبعمق من عقلياتنا، نقول ذلك ونحن نفكر بالذات في بعض الأحكام المجهزة التي كثيرا ما نُصدرها باستخفاف عن الإسلام، ويبدو لنا هاما وأساسيا أن نكف عن أن نتمنى في مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة، بل التحكمية، تلك التي لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه)»(2) .

ومن صور تشويه الدين الإسلامي تسميته بالدين المحمدي لإثبات بشريته، قال موريس بوكاي: «. . وهكذا فإن الاستعمال السائد حتى اليوم في التسميات (الدين المحمدي)

---

(1) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، (ص: ١٤١).

(2) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ١٤٣).

و(المحمديون) ليدل على الرغبة في أن تظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطئ، القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل، وأنه ليس لله (بالمعنى الذي يدركه المسيحيون) مكان في تلك المعتقدات. . ؟ ولنضف أن كثيرا من معاصرينا المثقفين يهتمون بالجوانب الفلسفية، والاجتماعية، وا. لسياسية في الإسلام، دون أن يتساءلوا عن التزيل الإسلامي بصورة خاصة، كما كان يجب عليهم أن يفعلوه، ويرون من البديهيات أن محمدا قد اعتمد على من سبقه، وذلك بقصد استبعاد قضية الوحي منذ البدء»[(١)].

قالت المستشرقة (زيجريد هونكه): «أما لفظة (المحمديون) التي شاعت في اللغات الأوربية منذ القرن التاسع عشر، فإنها تدل على سطحية المعرفة لدى الغرب النصراني بالمسلمين»[(٢)].

وقال المستشرق مارسيل بوازار: «وقد حكم المسيحيون على الإسلام لضعفهم الفكري وجهلهم، حكمهم على الرسالات السماوية السابقة والأديان القائمة. فرأوا فيه هرتقة[(٣)] ونظروا إلى محمد نظرتهم إلى مخادع دجال. وسرعان ما أدت الدعاية والخوف الناشئ عن جهل الناس إلى انتشار أفكار وبقائها رائجة بالرغم من أن التجربة السياسية أكدت بطلانها، أفكار، من مثل أن الحرب والقتل والنهب من معتقدات الإسلام، أو أن المسلمين مبشرون بالجنة إن هم قتلوا المسيحيين. وإذ ظن المؤلفون أنهم يصيبون الدين في الصميم إذا هم شوهوا سمعة محمد، فقد صوروه ــ في مقارنة ساذجة مفرطة في التبسيط بين المسيحية والمحمدية هرطيقا، متعطشا إلى الدماء والنساء، وقد ظل هذا الحكم المسبق والنفور من الكافر، يسيطران على الفكر الغربي طوال العصور الوسطى، تغذيهما حبكة ورائية صبيانية، بل لقد كانت نارهما تذكى في أوربا أثناء الحروب الصليبية، إن لم تُذك على أرض المعركة، ثم أصبح العالم الإسلامي تحت سيطرة الغرب السياسية، فراح الإعلام الرخيص يصف الإسلام في عبارات جازمة بأنه أيديولوجية قدرية أكل عليها الدهر وشرب، وأنها السبب في تخلف الشعوب التي تعتنقها تخلفا ملحوظا على الصعيد المادي، وكان المستعمر يرى أنه لن يحصل

---

(١) بوكاي: د. موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص: ١٠).

(٢) هونكة: زيجريد، الله ليس كذلك،(ص: ١٢)، ترجمة: د. غريب محمد غريب.

(٣) والصواب هرطقة.

على شيء ذي قيمة إذا قام تبادل بينه وبين الشعوب التي يهيمن عليها[(١)]»[(٢)].

ومن صور تشويه الفكر الإسلامي:

أ / تشويه مصدرية القرآن الكريم:

من صور تشويه الفكر الإسلامي الادعاء أن القرآن من تأليف محمد ﷺ استقاه من مصادر توراتية، وهذه الفرية انتشرت بين الغربيين؛ لأن دراساتهم عن الإسلام ينقصها الموضوعية، ولأن رؤيتهم للإسلام ليست جوهرية بقدر ماهي رؤية لا هوتية التمركز؛ لأن المسيحية هيأت للفكر الغربي والعقل الأوربي العداوة للإسلام والمسلمين، قال محمد أسد عن موقف الأوربيين عن الإسلام: «لاتجد موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب — كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات: بل هوكره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية. قد لا تقبل أوربة تعاليم الفلسفة البوذية، أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب»[(٣)].

وهناك نقطة جوهرية في دراسة القرآن عند المستشرقين، والتي تمثل عقبة كبرى أمام إمكانية فهم الغرب للقرآن الكريم، ألا وهي نظرة المسيحيين لكتابهم المقدس (الإنجيل) الذي يعتبرونه نتاجا بشريا قد يعتريه النقص، وهذه النظرة انتقلت للقرآن الكريم مما جعل الغرب لا يؤمن بأن القرآن الكريم وحي من الله — عز وجل. قال هلمر رنكرن: «اعتاد المسيحيون أن ينظروا إلى كتابهم المقدس (الإنجيل) كوثيقة إنسانية إلى حد ما، يمكن بحثها بنفس الطرق التي تبحث بها أي وثيقة تاريخية، وبالرغم من أنهم يدركون قيمته كتنزيل إلهي في أمور دينية بحتة، فإنهم في كل الاعتبارات الأخرى يعتبرونه نتاجا خاصا بوقته فقط، وأنه متأثر

---

(١) لويس ماسينون، احترام الشخصية الإنسانية في الإسلام وأفضلية حق اللجوء على واجب الحرب العادلة، مجلة الصليب الأحمر الدولية، العدد ٤٠٢، جنيف، حزيران ١٩٥٢،(من صفحة ٤٤٨ — إلى صفحة ٤٦٨،(ص ٤٦٠). نقلا من حاشية الكتاب رقم الحاشية ١٠٠ من صفحة ٨٠ (المترجم).

(٢) بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام،(ص: ٧٩ — ٨٠)، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية.

(٣) أسد: محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (ص: ٥٢ — ٥٣).

ببعض نواحي النقص البشري. . كما أنه محتو على أخطاء علمية وتاريخية، إذن فإنه من الطبيعي بالنسبة لهم أن يعاملوا القرآن طبقًا لمبادئ مشابهة، كما أنه طبيعي جدًا بالنسبة لكل مسلم أن ينكر شرعية هذه النظرة»[١].

ومما يدل دلالة واضحة على تحريف أهل الكتاب ما كشفه الشيخ (رحمت الله بن خليل الرحمن الكَيْرانوي العثماني الهندي في مناظرته في نيسان (إبريل) ١٨٥٤م مع القسيسين (فندر وفرنج) في أكرا، وكانت المناظرة في يومين متتاليين في موضوعي النسخ والتحريف، وقد اعترف (فندر وفرنج) بتحريف كتب أهل الكتاب في سبعة أو ثمانية مواضع أصلية، وبوجود (٤٠) ألف اختلاف عبارة[٢].

ب /تشويه السيرة النبوية:

تعرض كثير من المستشرقين لسيرة نبينا محمد ﷺ من حياته التي سبقت بعثته، وعصر نبوته، وفق منظور الفكر الاستشراقي بكثير من الزيغ والضلال، فقد كتبوا المؤلفات الكثيرة التي تناولوا فيها شخصية الرسول محمد ﷺ وغالوا في آرائهم حول سيرته النبوية، وأثاروا الشكوك في وقائعها، وقد اعترف بعضهم أن ذلك التشويه لم يكن إلا عن عمد وإصرار، قال (كا رادي فو): «ظل محمد زمنا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه»[٣].

وقد درس الغرب سيرة نبينا محمد ﷺ بفكر غربي بعيد عن واقع المسلمين كما شهد بذلك المستشرق الفرنسي المسلم (ناصر الدين دينيه ـــ الفونس اتين دييه ـــ)[٤] في حديثه

---

(١) رنكلرن: هلمر، الإسلام في منهج البحث الغربي، مقال في مجلة: (المسلمون)،(ص: ٤٦ ـــ ٤٩)، العدد الخامس، ١٣٨١هـــ / ١٩٦٢م.

(٢) انظر: أبو خليل: د. شوقي، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، (ص: ٦٧ ـــ ٦٨).

(٣) نقرة: التهامي، القرآن والمستشرقون، بحث ضمن كتاب (مناهج المستشرقين)،(ص: ١/ ١٢٨).

(٤) ايتين دينيه (١٨٦١ - ١٩٢٩)Et. Dinet : تعلم في فرنسا، وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة بو سعادة نصف السنة من كل عام، واشهر اسلامه وتسمى بناصر الدين (١٩٢٧)، وحج إلى بيت الله الحرام (١٩٢٨) من آثاره: صنف بمعاونة سليمان بن ابراهيم (محمد في السير النبوية)، وله بالفرنسية (حياة العرب)، و(حياة الصحراء)، و(اشعة خاصة بنور الاسلام)، و(الشرق في نظر الغرب)، و(الحج الى بيت الله الحرام.

http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

عن أسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم تناقضا واضحا في الحكم على شيء واحد، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الإسلام بحسب العقلية الأوربية، فضلوا بذلك ضللا بعيدا، لأن هذا غير هذا، ولأن المنطق الأوربي لايمكن أن يأتي بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء وهؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي بهذا الأسلوب الأوربي البحت، لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم، حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم، وكان ينبغي لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة، والروايات المشهورة من السيرة النبوية، فهل تسنى لهم شيء من ذلك؟

الجواب: أنهم لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي أتى بها هؤلاء المستشرقون، من فرنسيين، وإنكليز، وألمان، وبلجيكيين، وهولنديين، وغيرهم، لا نجد إلا خلطا وخبطا، وإنك لترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم، أو ينقض ما قرره.

ثم أخذ (دينيه) يورد الأمثلة على هذه المتناقضات، وختم كلامه: (وإذا أردنا استقصاء هذه المتناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء الممحصين بزعمهم يطول بنا الأمر، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة، ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السيرة النبوية التي كتبها العرب، فأما المؤلفون الذين زعموا أنهم يريدون ترجمة محمد بصورة علمية شديدة التدقيق، فلم يتفقوا منها ولو على نقطة مهمة، وبرغم جميع مانقبوه ونقروه، وحاولوا كشفه بزعمهم، فلم يصلوا ولن يصلوا إلا إلى تمثيل أشخاص في تلك السيرة، ليسوا أعرق في الحقيقة الواقعية من أبطال أقاصيص (فالترسكوت) و(اسكندر دوماس) فهؤلاء القصاص تخيلوا أشخاصا من أبناء جنسهم يقدرون أن يفهموهم، ولم يلحظوا إلا اختلاف الأدوار بينهم، أما أولئك المستشرقون فنسوا أنه كان عليهم قبل كل شيء أن يسدوا الهوة السحيقة التي تفصل بين عقليتهم الغربية والأشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم، وأنهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا في الوهم في كل نقطة)[1].

---

(١) انظر: حبنكة الميداني: عبد الرحمن حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها،(ص: ١٠٤ ــ ١٠٦)(طبعة دار القلم ١٤٠٠هـ).

ويقول المستشرق (مونتجومري وات): «منذ أن قام (كارليل) بدراسته عن محمد في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) أدرك الغرب أن هناك أسبابًا وجيهة للاقتناع بصدق محمد. إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرًا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لاتتزعزع. فاتهام محمد بأنه دجال (Imposteur) يثير من المشاكل أكثر مما يحل. ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حُط من قدرها في الغرب كمحمد. فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد، وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنًا قبلوه»[1].

ج /تشويه مبدأ الجهاد في سبيل الله:

ركز بعض المستشرقين على تشويه مبدأ الجهاد في سبيل الله، وأن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف، وأن سبب الفتوحات الإسلامية لم تكن إلا لأهداف استعمارية، ودوافع اقتصادية، وانتشرت هذه الفرية في الدراسات الاستشراقية، حتى أصبحت من المسلمات لدى الفكر الغربي.

ومن المعلوم أن الإسلام لم ينتشر بقوة السيف، لأننا لو قارنا بين انتشار الإسلام وانتشار المسيحية لرأينا دماء غزيرة قد تدفقت أكثر بكثير قياسًا بالإسلام، ولكن المجتمعات قبلت الإسلام بلا إكراه.

والجهاد في سبيل الله من فرائض الدين، وهو ذروة سنام الإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ الحج: ٧٨ .

والجهاد وسيلة لنشر الإسلام، والدعوة إليه، من غير إكراه على اعتناقه.

---

(١) وات: مونتجومري، محمد في مكة،(ص: ٩٤)، تعريب: شعبان بركات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

فالجهاد وسيلة لحماية الدين الإسلامي والذود عنه، وليس غاية ـــ كما يظن الأعداء ـــ والله تعالى فرض الجهاد والتضحية بالمال والنفس، والجهاد لا يسمى جهاد إلا إذا قصد بــه وجه الله تعالى وأريد به إعلاء كلمته.فالجهاد عبادة، وكل عبادة لا تصح إلا بالنية الخالصة.

وللجهاد آداب فلا يقتل إلا من يقاتل في المعركة، كما حرم قتل النــساء والأطفـــال، والمرضى، والشيوخ، والإفساد في الأرض.

ولا بد من الدعوة إلى الإسلام قبل البدء في الحرب، ففي الحديث عنه ﷺ: ((وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال. ادعهم إلى الإسلام، فإن أجــابوك فاقبــل منهم، وكف عنهم، فإن أبو فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فــإن هم أبو فاستعن بالله وقاتلهم))[(١)].

وللأسف نجد من المستشرقين من يشوه سمعة آداب وشروط الجهاد الإســلامي، قـــال بروكلمان: ((يتحتم على المسلم أن يعلن غير المسلمين بالعداوة حيث وجدهم: محاربة غــير المسلمين واجب ديني، فأما أهل الوثنية فيجب أن يهاجموا، في غير ما تردد، وأما النــصارى واليهود فلا تجوز مهاجمتهم إلا بعد أن يدعوا إلى الدخول في الإسلام، فيرفضوا ثلاث مرات متواليات، حتى إذا هزم أعداء الدين كان نصيب رجالهم القتل، ونصيب نسائهم وأطفـــالهم البيع في سوق الرقيق، وكل من يقتل في الجهاد من المسلمين يكون مأواه الجنـــة، بوصـــفه شهيدا من الشهداء))[(٢)].

ويرى بعض المستشرقين أن الدافع الأساسي من الجهاد الإسلامي دافع اقتصادي، وقـــد حاولوا جاهدين تشويه الدين الإسلامي منذ بداياته في صدر الدعوة الإسلامية.

ولكن المسلمين ((لم يحاربوا قط في صدر الدعوة إلا مدافعين، أو دافعين لمـــن يـــصدون

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء،(ج٣/١٣٥٧ ح(١٧٣١).

(٢) بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص:٧٨ ـــ ٧٩)، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي.

الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية، كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم.. وقبل غزو فارس بزمن طويل، كان كسرى يبعث بعوثه في طلب صاحب الدعوة الإسلامية حيًا أو ميتا، لأنه خاطبه داعيا إلى الإسلام»[١].

إن الجهاد الإسلامي، وحركة الفاتحين ـــ لم تسلم من افتراءات المستشرقين، حيث قاسوها على حركات التوسع الاستعماري، تقول المستشرقة زيجريد هونكه: «واليوم ـــ وبعد انصرام ألف ومائتي عام ـــ لا يزال الغرب النصراني متمسكا بالحكايات المختلفة الخرافية التي كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام بالنار، وبحد السيف البتار من الهند إلى المحيط الأطلنطي. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة منطوقة، أو مكتوبة، وفي الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفي الرأي العام بل في أحداث حملات الدعاية ضد الإسلام»[٢].

كما اعترف غوستاف لوبون بأن المسلمين في فتوحاتهم الإسلامية متسامحين، يحترمون عقائد الشعوب وعاداتها[٣].

وقد جند بعض المستشرقين أقلامهم للطعن في شرعية الجهاد الإسلامي، وتشويه صورته، والتحذير منه. واحتضن المستعمر الأجنبي تلك الدعوة، ورباها في كنفه، وزودها بكل السبل التي يحتاج إليها لتحقيق مآربه.

والمستشرق (مونتجومري وات) كتب عن النظرة الغربية لدين الإسلام وأنه دين العنف والسيف، وفي معرض كلامه علق على تلك النظرة الغربية بقوله:

«وفي تلك الصورة للإسلام باعتباره دين عنف ما يراد به الإيحاء بأنه مخالف تماما لصورة المسيحية باعتبارها دين سلام انتشر عن طريق الإقناع. ومن الغريب أن يصدق الرجال المشتركون في الحروب الصليبية أن دينهم دين سلام. وأن دين خصومهم دين

---

(١) العقاد: عباس محمود، ما يقال عن الإسلام،(ص: ١٢٩)، مطبوعات مجلة الهلال ـــ مصر (بدون الطبعة وسنة الطبع).

(٢) هونكه: زيجرد، الله ليس كذلك،(ص: ٤٠ ـــ٤١)، ترجمة: د. غريب محمد غريب.

(٣) انظر:لوبون: غوستاف، حضارة العرب،(ص: ١٣٤)، ترجمة: عادل زعيتر.

عنف»[1].

والجهاد في سبيل الله الهدف منه نشر الدين الإسلامي عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس الهدف منه نشر الإسلام بقوة السلاح ـــ كما يعتقد بعض المستشرقين ـــ فلا إكراه في الدين.

قال المستشرق لويس يونغ: «والجهاد في سبيل الله بدوره أحد الأركان الهامة في رسالة النبي محمد، وبصفته رئيسا للمجتمع الإسلامي فقد أباح الدفاع عنه، وعن معتقداته بقوة السلاح. ودعا إلى محاربة الذين يقفون في وجه انتشار الدين الإسلامي، أو يرفضون تعاليمه. وهكذا أصبحت الحملات العسكرية جزءا من سياسة النبي محمد في نضاله في سبيل تحقيق انتصار الدعوة، وانتشارها»[2].

وتقول المستشرقة زيجرد هونكه عن الجهاد: «الذي يسهم في تشويه صورة الإنسان المسلم لدى الغرب، والذي لا يعرفه الغرب، ولا يستعمله إلا في أضيق أبوابه فهو (الجهاد): وليس الجهاد ببساطة ما نطلق عليه مصطلح الحرب المقدسة: فالجهاد ـــ كما يذكر الألماني المسلم أحمد شميده: (هو كل سعي مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا، حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبدًا ضد القوى الأمارة بالسوء في أنفسنا، وفي البيئة المحيطة بنا عالميا، فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص، والذي ينهل منه المسلم مستمدا الطاقة التي تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعا لإرادة الله عن وعي ويقين، إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام»[3].

وقال الدكتور فيليب حتي: «خرج العرب من موطن صحراوي قاحل مزدحم بالسكان، يحدوهم تعطش للفتح، ويُلهب أفئدتهم دين جديد، ويبعث فيهم الشجاعة وعد (بالجنة) إذا

(١) وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية،(ص: ١٠٢)، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين.

(٢) يونغ: لوبس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة، (ص: ٣٠).

(٣) هونكه: زيجرد، الله ليس كذلك،(ص: ٤٠)، ترجمة: د. غريب محمد غريب.

هم استشهدوا في سبيل الله»[١].

ثانيا: إضعاف الشخصية الإسلامية:

حاول كثير من المستشرقين تجريد الفكر الإسلامي من أصالته، وذلك بنسبة كل تقدم وازدهار في الحضارة الإسلامية إلى الثقافات الأخرى، كالنقل من التراث اليوناني وغيره، فرأوا أن العرب مقلدون، وليسوا مبدعين. من ذلك: اتهامهم أن الثقافة الإسلامية معتمدة على الفلسفة اليونانية، وهي المعين الذي استقى منه العرب مذاهبهم، وانتشرت هذه المقولة بين كثير من المستشرقين وشاعت في الغرب، لذا نجد بعض المستشرقين يحقر المسلمين، ويتهم العقلية العربية المسلمة بالجمود، ويردد ذلك في المحافل العلمية، مثال ذلك: المستشرق الفرنسي (إرنست رينان) الذي أصدر أحكاما انطباعية عن الشرق وأهله لا سيما المسلمون منهم، نحو موقفه من العرق السامي الذي يرجع إليه العنصر العربي، الذي كان منطلق انتشار الإسلام، وكان من نتائج موقفه من العرب المسلمين ما صرح به رينان بنفسه في محاضرة ألقاها في (الكوليج دي فرانس) سنة ١٨٦٢م، من أن: «الإسلام هو النفي الكامل لأوربا، الإسلام هو التعصب، الإسلام هو احتقار العلم، القضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي المرعبة، يضيّق الفكر الإنساني، يغلقه دون فكرة دقيقة، دون عاطفة لطيفة، دون كل بحث عقلاني، ليضعه أمام حشو سرمدي هو: الله هو الله»[٢].

وبعض المستشرقين حاول أن يخفف من تهمة اقتباس الإسلام للتراث اليوناني نحو المستشرق لويس يونغ الذي قال: «إن تطوير المسلمين للتراث اليوناني هو واحد من أهم حلقات التاريخ الثقافي في العالم، وليس معنى ذلك أن الحضارة الإسلامية مجرد تقليد أو انعكاس للحضارة اليونانية القديمة. يجب أن لا تغيب عن أذهاننا ـــ إذ نناقش ونقيم الحضارة الإسلامية ـــ تلك الأفكار المبدعة التي جاءت من الجزيرة العربية مع الإسلام وقبله،

(١) حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، (ص: ١٥٤)، ترجمة الدكتور: أنيس فريحة.

(٢) من كلمة للحبيب الشطي في: مارسيل بوازار، الإسلام اليوم،(ص: ٣٥)، بيروت ـــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر١٩٨٦م، نقلاً من: النملة: علي بن إبراهيم، مقال ضمن مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، بعنوان: رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين،(ص: ٥٧)، المجلد الأول ـــ العدد الأول، محرم جمادى الآخرة ١٤١٦هـــ / يونيو ـــ ديسمبر ١٩٩٥م.

واستطاع المسلمون أن يمزجوا بها التراث اليوناني، فيصنعوا من ذلك لونا جديدا سباقا فريدا»[١].

فالآراء المتوارثة بين المستشرقين جعلت الغرب ينظر للإسلام نظرة احتقار بسبب الأحكام التعسفية التي نقلها بعض المستشرقين للغرب، مما جعلها تسد الطريق إلى المعرفة الموضوعية لدراسة الإسلام.

تقول المستشرقة (زيجريد هونكه): «لقد أصر الغرب إصرارا على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة، والافتراءات الجماعية دفنا، وأهال عليها ما أهال طمسا منه لمعالمها، على الرغم من محاولاتنا المعروفة، كما يشهد بذلك كتابنا (شمس الله تسطع على الغرب) الذي صدرت أولى طبعاته عام ١٩٦٠، وكتابنا (قوافل عربية في رحاب القيصر) والذي صدر عام ١٩٧٦، حيث أخذنا على عاتقنا أن نخرج إلى النور أهم الإنجازات والتأثيرات العربية ذات الفضل على العلوم والفنون في أوربا»[٢].

ثالثا: الاستهزاء بالدين الإسلامي وبالمسلمين:

الاستهزاء بالدين الإسلامي، واتهام المسلمين بالشهوانية، ماهو إلا إسقاط الواقع الغربي الشهواني على واقع المسلمين، وقد علق مونتجومري وات على ذلك بقوله: «فأما العنف والإفراط في إشباع الشهوات اللذان اتهم بهما المسلمون، فكانا شائعين في أوربا أيضا رغم المثل المسيحية العليا»[٣].

تقول المستشرقة (لورافيشيا فاغليري) وهي تصور نظرة الغربيين للنبي محمد ﷺ: «لقد اتهموا محمدًا نفسه بالكذب، وبالقسوة، وبالشبق»[٤].

وقال المستشرق (مونتجومري وات):

«تناول بطرس المكرم فكرة لبعض علماء اللاهوت اليونانيين وهي أن الإسلام هرطقة مسيحية، وذهب إلى أن الإسلام أسوأ من هذا، وأنه من الواجب اعتبار المسلمين كفرة.

---

(١) يونغ: لويس، العرب وأوربا،(ص: ٣٦)، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة.

(٢) هونكة: زيجريد، الله ليس كذلك،(ص: ٧ ــ ٨)، ترجمة: د. غريب محمد غريب.

(٣) وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية،(ص: ١١٣)، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين.

(٤) فاغليري: لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، (ص: ٢٨ ــ ٢٩)، ترجمة: منير البعلبكي.

وكان جوهر التفكير المسيحي في هذا الصدد هو أنه حيث إن محمدا ليس بنبي، وحيث أنه أسس مع ذلك دينا جديدا، فلا بد أنه ساهم إيجابيا في مساندة قوى الشر، ولا بد أنه كان إما أداة للشيطان أو عميلا له، وبهذا جعلوا الإسلام والمسيحية على طرفي نقيض»[(١)].

وقد وصف بعض المستشرقين الإسلام بأنه دين يطلق لشهوات المرء العنان لإشباع الشهوات، خاصة الشهوة الجنسية، قال المستشرق مونتجومري وات:

«نظر الأوربيون في العصور الوسطى إلى الإسلام على أنه دين يتيح الفرصة لإشباع الشهوات، خاصة الشهوة الجنسية، وكثيرا ما كانوا يحسبون أنه لا حدود لعدد الزوجات التي يمكن للرجل الزواج به، اللهم إلا قدرته على الإنفاق. بل إن هناك من الكتاب من كان يعلم أن الإسلام لا يبيح الزواج بأكثر من أربع نساء، وكتب مع ذلك يقول إن الحد الأقصى هو سبع أو عشر. وكثيرا ماترجموا آيات قرآنية بحيث توحي بمعنى جنسي منفر، والآيات بريئة من ذلك، بل لقد وجد واحد على الأقل من الكتاب آية قرآنية زعم أنها تبيح الزِّنى، ووجد آخرون متعة في مضاعفة التفاصيل الخاصة بالحياة الجنسية لدى المسلمين، وقيل إن أشكالا حيوانية، وغير طبيعية، للاتصال الجنسي بين الأزواج يمارسها المسلمون بكثرة، ويحثون عليها، بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي يمارسها المسلمون بكثرة ويحثون عليها، بل ذهبوا إلى أن القرآن يبيح الشذوذ الجنسي ورأى البعض ذروة الإباحية الجنسية الإسلامية في التصوير القرآني للجنة، وتحدثوا طويلا عن الحور العين اللواتي سيكن من نصيب المؤمنين منها، ووجدوا في ذلك فضيحة أيما فضيحة، كذلك انتقدوا بشدة حياة محمد الزوجية، وإن كانوا كثيرا مابنوا انتقاداتهم على مبالغات أو مزاعم كاذبة»[(٢)].

واتهام المسلمين بالشهوانية، وانطباع الأوربيين عن نظام تعدد الزوجات في الإسلام وعن الجواري، جعلهم يكتبون حكايات شهوانية عن الحريم والمخصيين[(٣)].

---

(١) وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، (ص: ١٠٥)، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين.

(٢) وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية،(ص: ١٠٣)، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين، ط٢، دار الشروق، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٣) لويس: برنالد، الإسلام والغرب، (ص: ٧٤).

رابعا: إحياء المذاهب والتيارات المنحرفة:

عمل كثير من المستشرقين على إحياء المذاهب والتيارات المنحرفة، والتركيز على نقاط الخلاف بين الفرق الإسلامية، والبحث عن كتبهم، وطباعتها، وتقديمها على أنها صورة الفكر الإسلامي الصحيح، وركز بعض المستشرقين جهودهم على إبراز الفرق الكلامية ــ كالمعتزلة مثلا وتضخيم دورها وفكرها، ووضعها في صورة حركات حديثة، لطرح خلافات وقضايا كلامية قديمة، وبالتالي إحياء أنواع معينة من التراث الفلسفي والكلامي؛ بقصد إفساد عقيدة المسلمين.

يقول الدكتور عبد العظيم الديب: «إن عنايتهم بالتراث ــ كانت وما زالت، وستظل ــ من باب (اعرف عدوك) فهذه الكتب التراثية هي الخرائط والصور لعقولنا، وعواطفنا، ومشاعرنا، واتجاهاتنا، واهتماماتنا، وحبنا، وبغضنا، ورضانا، فهي المفاتيح التي عرفوا بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافيا واجتماعيا وفكريا وعلميا بعدما حطمونا عسكريا، وحربيا، وسياسيا»(١).

خامسا: خدمة الاستعمار:

لا شك أن الدراسات الاستشراقية التي ركزت على بث المطاعن والشبهات في القرآن والسنة، والتركيز على سيرة نبينا محمد ﷺ وتوجيه الطعن في نبوته، مما جعل ضعاف النفوس من المسلمين يفقد الثقة في دينه، وقد يخرج من دينه ويصبح منقاد لأفكار الغرب وعميلا لهم وهذه غاية مساعي الاستشراق المرتبط بالتبشير والاستعمار.

والاستشراق بالتأكيد يقدم خدمات جليلة للاستعمار، وهو بلا شك مصدر هام من مصادر الغزو الفكري ــ كما سبق وأن ذكرنا ذلك بالأمثلة في الباب الأول.

سادسا: ظهور حركة التبشير في الدراسات الاستشراقية:

جاء في مقدمة الطبعة الفرنسية للمستشرق (برنار فرنييه) في تعليقه على كتاب (الاتجاهات الحديثة للمستشرق، هـ. أ. جيب) ما نصه:

---

(١) الديب: الدكتور عبد العظيم، المستشرقون والتراث،(ص: ٤٣)، ط ١، مكتبة ابن تيمية / المحرق ــ البحرين، ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

«ووفق السيد جيب في أن يبرهن أيضا أنه إلى جانب هذا الأثر الغربي المباشـــر، كـــان هناك أثر آخر سلبي ألا وهو حركة التبشير المسيحية، التي أثارت ردود الفعل الدفاعية لدى العديد من المستشرقين، وذلك عن طريق بعض النواحي الجدية المكشوفة، وهذا ما جعل أهل الشرق يتلمسون الطريق نحو حليف جديد لهم، في الحركة العلمية الناهضة، كمـــا أثـــارت الحركة التبشيرية أيضا مزايدات كثيرة معقدة. [1]».

---

(١) جيب: هـــ. أ. الاتجاهات الحديثة في الإسلام،(ص: ٩)، ترجمة: هاشم الحسيني.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال البحث

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمه، ووالى عليَّ مننه، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه، وأن يكون البحث نافعًا محققًا للغرض منه، وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها:

١- بذل الغرب النصراني جهودا كبيرة لمعرفة الإسلام وأحوال المسلمين وعلومهم وثقافاتهم تحت اسم (الاستشراق) حيث بدأ الاستشراق بتشجيع من الكنيسة ورجال الدين ؛ لأن رجال الدين النصارى خافوا على مكانتهم بعد انتشار الإسلام، فوقفوا في وجه الإسلام لمحاربته وتشويهه وإبعاد النصارى عنه؛ ولذلك فإن بعض الكتابات النصرانية المبكرة فيها نوع من التعصب الواضح لمحاربة الإسلام وتشويهه، والتنفير منه، مما قادهم إلى التشكيك في مصادره، وعقائده، وعبادته، ومعاملاته، حيث حرص الغرب النصراني على الغزو الثقافي للبلاد الإسلامية من خلال التغريب الفكري و نشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية،وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، وبعدأن كشفت مخططاتهم، وأهدافهم الدينية، والاستعمارية، ظل الاستشراق متخفيا في عصرنا الراهن تحت مظلة الدراسات الإقليمية أو دراسات الشرق الأوسط.

٢- درست أوربا الإسلام عن طريق الترجمة، واستفادت من الحضارة الإسلامية في جميع مجالاتها، وعندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية نشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها، فكانت الدراسات الاستشراقية بمثابة تقرير عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية في بلاد المسلمين لخدمة الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية .

٣- تختلف مناهج المستشرقين حسب دراساتهم، وموضوعاتهم،وكثير منهم يغلب على دراسته ربط الإسلام بجذور يهودية ونصرانية،والتشكيك في القرآن، والسنة، بالاعتماد على المصادر غير الموثوقة، والضعيف، والشاذ من الروايات،مع اتباع الهوى في إصدار الأحكام والبعد عن التجرد العلمي،والأخذ بالمنهج الانتقائي في كتاباتهم حول كثير من الأحداث والقضايا.

٤- استخدم كثير من المستشرقين أساليب عدة لتحقيق أهدافهم بدعم من حكوماتهم، حيث امتدت نشاطات بعض المستشرقين في مجال الدراسات العربية والإسلامية فعقدوا المؤتمرات والندوات وألقوا المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية، فضلا عن تأليف الكتب والاشتغال بتحقيق التراث العربي والإسلامي في مجالات كثيرة، كما تسللوا إلى المجامع اللغوية في كثير من البلاد، فأصبح بعضهم أعضاء عاملين في مجمع اللغة العربية بمصر، وفي سوريا، وبغداد، والمغرب وتونس، ولا تكاد تخلو جامعة أوربية الآن من قسم متخصص في الدراسات الشرقية والإسلامية،كما قاموا بالرحلة في طلب العلم للتعرف على واقع المسلمين بتفاصيله لخدمة الاستعمار والمستعمرين.

٥- اهتم الاستشراق بالفرق التي ابتعدت عن الكتاب، والسنة، اهتماما بالغا كالمعتزلة والرافضة والإسماعيلية وغيرها من الفرق حتى تشتبه الأمور على المسلمين الجدد .

٦- أيقض بعض المستشرقين شبهات قديمة من أن القرآن مستمد من المصادر اليهودية والنصرانية وقدموها بطريقة علمية أكاديمية مستدلين على ذلك ببعض الشبه الواهية، كالتشابه القصصي بين قصص القرآن والتوراة، وهذه الفرية لايمكن قبولها لأن النبي محمد ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يثبت أن له صلة باليهود أو النصارى في مكة قبل البعثة فكيف يتأتى له أن يأخذ منهم! وبالمقارنة بين القصص القرآني والقصص في الكتب السابقة نرى مدى التحريف الذي تعرضت له الكتب السابقة، حيث طغى عليها الجانب المادي المحسوس والتفصيلات الجزئية، التي تحوي على صوراً فاحشة واتهامات باطلة لاتليق بالأنبياء السابقين في الكتب السابقة.مما يثبت أن وحدة المصدر قد تجعل من الممكن وجود تشابه بين القصص القرآني والقصص التوراتي.

٧- زعم بعض المستشرقين أن الحديث النبوي ليس حجة كاملة،حيث اكتفى بعض المسلمين بالقرآن الكريم، وقدموا القرآن على السنة، وحجتهم في ذلك وجود بعض الأحاديث التي تعارض كتابة الحديث النبوي.

والحق أن المنع عن كتابة الأحاديث كان في أوائل الدعوة الإسلامية حتى لا تختلط السنة بالقرآن الكريم، لكن السماح بالكتابة هو الأغلب وقد وجد من الصحابة من قام بالكتابة، ووجدت عدة صحف تحتوي على عدد كبير من الأحاديث.

٨- قال بعض المستشرقين: أن تطور الحياة واحتياج المسلمين إلى تشريعات جديدة لمواجهة هذا التطور،جعلهم يلجأون إلى الوضع في الحديث لمواكبة هذا التطور! وهذا جهل منهم فالحديث النبوي موجود ومرتبط بالقرآن الكريم، والسنة النبوية شارحة وموضحة للقرآن الكريم،ولعلماء الحديث جهود جبارة في المحافظة على حديث رسول الله ﷺ، منها علم مصطلح الحديث، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، وعلم مشكل الحديث، وأسباب ورود الحديث، والناسخ والمنسوخ في الحديث الشريف وغيرها. فهذه العلوم تدل دلالة واضحة على الجهود العظيمة التي بذلها المسلمون للمحافظة على الحديث الشريف.

٩- تبنى بعض دعاة التغريب الدعوة إلى الاعتماد على القرآن وحده دون السنة في التشريع الإسلامي؛ بحجة أن القرآن وحده حوى بين دفتيه تبيان كل شيء وتفصيل ما تحتاج إليه الأمة، وسموا أنفسهم (قرآنيون) وبالرغم من أن هذه التسمية لا تخصهم وحدهم؛ لأن كل المسلمين قرآنيون،فضلا عن التزكية التي يشعر بها حامل هذا اللقب، وهي تزكية لا يستحقها أمثال هؤلاء الضالين، إلا أن هذه الدعوة ظهرت وقويت شوكة أتباعها، وتعددت شبهاتهم، وقد اجتهدوا بالطعن في الحديث، وحملته من الصحابة ومن بعدهم من أهل الحديث، وهي دعوة قديمة قال بها:معتزلة البصرة والخوارج.

١٠- كل ما ساقه المستشرقون والمستغربون من مزاعم ضد مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة من: (القرآن، والسنة، والعقل، والفطرة) لا يمكن قبولها، وماهي إلا مزاعم وافتراءات لا تعتمد على برهان، وهي منقوضة بالأدلة العلمية التي ساقها علماء المسلمين.

١١- كتب بعض المستشرقين عن الصحابة، وخصوا عصر الخلافة الراشدة بكثير من افتراءاتهم؛ لأنهم رأوا أن الطعن في الصحابة طريقا لهدم الدين الإسلامي، فوصفوهم بالحرص على تولي السلطة،وفسروا الفتوحات الإسلامية بالبحث عن الغنائم، والمكاسب المادية،وغاب عنهم أن الفتوحات الإسلامية الهدف منها نشر الإسلام والدعوة إلى الله.

١٢- ركز بعض المستشرقين في كتاباتهم على الصحابة، والتابعين، والأئمة المهديين، وعلى أعلام الدعوة السلفية، فاتهموهم بالدس الخبيث في سيرهم، وذلك بانتقاء الروايات الضعيفة من كتب التاريخ، والقصص، والأدب، وترك الروايات الصحيحة عن قصد

وجهل، معتمدين في كتاباتهم على المنهج العقلي، والشكي، والمادي، والاجتماعي، والتطوري وغير ذلك، مما لا يمكن تطبيقه في دراسة أعلام السلف الصالح.

١٣- اعتمد بعض المستشرقين في توثيق دراساتهم الاستشراقية على الدراسات الاستشراقية السابقة، بالرغم من وجود الدراسات الاستشراقية الحديثة مما أدى إلى وقوع المتأخرين في نفس أخطاء المتقدمين.

١٤- تبنى بعض المستشرقين المناهج الغربية في دراسة أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ولم يعتمدوا على المصادر الأصيلة في الدراسات الإسلامية،فحدث خلط مزدوج بين تعاليم الإسلام ومعطيات الفكر الغربي، مع ترجيح الجانب المادي بتفسيراته المختلفة، وتلفيق نظريات الاقتباس، والقول بالمؤثرات؛ سعيا لضرب حقيقة مصدره وأصالته.

١٥- عظم خطر الاستشراق والمستشرقين، ونتاجهم الفكري، ومؤلفاتهم ـــ على المسلمين فقد تأثر ببعض المستشرقين عدد من الباحثين والأدباء العرب وغيرهم، فساروا على نهج بعض المستشرقين، فشوهوا صورة أعلام أهل السنة والجماعة، ولمعوا الشخصيات الفاسدة في التاريخ الإسلامي، كما ظهر تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليه العلمانية.

وأخيرا فهذا ما بذلته من جهد، فإن أحسنت فمن توفيق الله تعالى، وإن قصرت فمن نفسي وجهلي، وإن أردت إلا الإحسان ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

ويشتمل على الفهارس الآتية:

فهرس الآيات الكريمة.

فهرس أطراف الأحاديث والآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الطوائف والفرق وغيرها.

فهرس الألفاظ والمصطلحات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات الكريمة

السورة	الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴿٧﴾ ﴾	٧	٤٦٤، ٤٦٩
البقرة	﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٢٣	١٩٨
البقرة	﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	٤٧٢
البقرة	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٣٤	٣٦١
البقرة	﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	٣٤٤
البقرة	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾	٦٢	٨١٥
البقرة	﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾	٧٠	٧٣٧
البقرة	﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾	٧٥-٧٦	٣٧٢
البقرة	﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا	٧٩	٣٧٢

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾	١٧٨	٥٩٠
البقرة	﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١٧٨	٥٩١، ٥٩١
البقرة	﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾	١٧٩	٢٨٦
البقرة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾	١٨٣	١٤٥
البقرة	﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾	١٨٥	٢٠٦
البقرة	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	١٨٥	٤٦٥
البقرة	١٩٠-١٩٢		٢٨٦
البقرة	﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾	١٩٧	٢٨٦
البقرة	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾	٢١٣	٣٧١
البقرة	﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ	٢٥٣	٢٥٣

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
النساء	﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾	٢٣	٤٢٦
النساء	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٣٤٣
النساء	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	٥٩٠
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	٥٩	٢٦٢
النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	١٥٣
النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	٣٨٣
النساء	﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾	١١٥	٢٦٥
النساء	﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١١٥	٢٧٤
النساء	﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾	١٢٩	٧٨٨
النساء	﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾	١٣٦	٣٥٠

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
النساء	﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) ﴾	١٣٨-١٣٩	٤٩٥
النساء	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾	١٤٠	٤٩٦
النساء	﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾	١٤٥	٥٨٨
النساء	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) ﴾	١٥٠	٣٨٨
النساء	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾	١٥٧-١٥٨	٢١٦
النساء	﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) ﴾	١٦٤	٤٠٧، ٦٥٦
النساء	﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾	١٦٥	٣٢٨، ٣٨٨
النساء	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) ﴾	١٦٨-١٦٩	٤٤٧

السورة	الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
النساء	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾	١٧١	٣٢٩، ٣٣٠، ٤٠٩
النساء	﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢﴾	١٧٢	٣٥١
المائدة	﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾	٣	١٥٣، ٨٠٧
المائدة	﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾	٣	٢٧٩
المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾	٨	١٧٥
المائدة	﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾	١٦	٤٧٢
المائدة	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ	٤٤	٣٧٠

الصفحة	رقمها	الآيــــــة	السورة
		وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾	
٣٧٦	٤٤ – ٤٥	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾	المائدة
٣٧١	٤٦	﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾	المائدة
٣٧٢، ٣٨٣	٤٨	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ	المائدة

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
	جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾		
المائدة	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾	٥١	٤٧١
المائدة	﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾	٥١-٥٢	٤٩٥
المائدة	﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	٢٠٠، ٣٥٨، ٣٥٩
المائدة	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾	٧٢	٧٢٤
المائدة	﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾	٧٥	٢١٥
المائدة	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٤١٠
المائدة	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٧٨	٥٧٤
المائدة	﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿٨١﴾﴾	٨١	٤٨٦
المائدة	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾	١١١	٣٩٠

السورة	الآيـة	رقمها	الصفحة
الأنعام	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩)﴾	٨-٩	٣٥٢
الأنعام	﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾	٣٨	٢٦٠
الأنعام	﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾	٣٨	٤٣٩
الأنعام	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤)﴾	٥٤	٣١٢
الأنعام	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾	٧٩	٣٠٥
الأنعام	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)﴾	٨٣-٨٦	٣٨٧
الأنعام	﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾	٩١	٢١٦، ٣٧٢
الأنعام	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ	١١٤	١٨٧

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾		
الأنعام	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	١٢٥	١٨٤
الأنعام	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾	١٥٣	٧٢٧
الأنعام	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾	١٥٩	١٩١
الأنعام	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾	١٢٥	٤٦٥
الأعراف	﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٨-٩	٤٤١
الأعراف	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٣٦١
الأعراف	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾	١٢	٣٥٦
الأعراف	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾	٥٣	٦٩٠
الأعراف	﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ	٥٩	٣١٦

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
	يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾		
الأعراف	﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾	١١١	٦٢١
الأعراف	﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾	١٤٣	٤٠٨
الأعراف	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾	١٤٤	٦٥٦
الأعراف	﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٢٥، ٣٩٠
الأعراف	﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾	١٧٢-١٧٣	٣٠٤ ، ٣٣٦
الأعراف	﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾	١٧٦	٢١٨
الأعراف	﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾	١٨٠	٣١١، ٣٤٠
الأعراف	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾	٢٠٦	٣٥١
الأنفال	﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾	٢٢	٢٨٦

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
الأنفال	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾	٦٧	٣٨٣
الأنفال	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾	٧٢	٥٠٨، ٥٠٨
الأنفال	﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾	٧٢	٤٤٧
التوبة	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٨٧
التوبة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	٢٣-٢٤	٤٩٤
التوبة	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٢-٣٣	٤
التوبة	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ	٤٠	٥١٣

السورة	الآيــــــــة	رقمها	الصفحة
	سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾		
التوبة	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾	١٠٠	٥٠٠
التوبة	﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾	١٠٥	٤٧٥
التوبة	﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾	١٢٢	٦٠٧
يونس	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٢٥
يونس	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾	٤٧	٣٨٧
يونس	﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾	٦١	٤٥٦
يونس	﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾	٧١-٧٢	٣٨٩، ٣٩١

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
هود	﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾	٤٤	٣٩٢
هود	﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾	٤٩	١٤٧
هود	﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ	٦٩-٨١	٣٥٧

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)﴾		
هود	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦)﴾	١٠٦	٧٠٦
هود	﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (١١٣)﴾	١١٣	٤٩٥
يوسف	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾	٢	١٨٨
يوسف	﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾	٩	٤٧٩
يوسف	﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾	١٠٠	٦٩٠
يوسف	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)﴾	١٠٥	٢٨٦
يوسف	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾	١٠٨	٧٢٤
الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	٤٧٠
الرعد	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥)﴾	١٥	٤٧٣
الرعد	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾	١٦	٣١٨
الرعد	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)﴾	٣٨	٤٢٢
إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾	٤	٤٤٤
إبراهيم	﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾	٢٧	٤٧٢
النحل	﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾	١٧	٣١١

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
	وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾		
الإسراء	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾	١	٤٢١
الإسراء	﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ﴾	٤	٥٧٤
الإسراء	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٥٤٩
الإسراء	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾	١٨-٢١	٤٥٤
الإسراء	﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾	٢١	٤٥٤
الإسراء	﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	٣٥٣
الإسراء	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	٣٧١، ٤٥٤
الإسراء	﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾	٦٧	٣١٣
الإسراء	﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾	٩٠-٩٣	٢٠٥

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
	أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾		
الإسراء	﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٦	٢٠٦
الكهف	﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾	٥	٣٨٢، ٤١٢
الكهف	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	٣٥٦، ٣٦١
الكهف	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	٢١٤
الكهف	﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	١١٩
مريم	﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾	١٧	٣٨٥
مريم	﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ	٤١-٤٨	٣٩٧

السورة	الآيــــــة	رقمها	الصفحة
الأنبياء	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	٢٦-٢٧	٣٦٢
الأنبياء	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	١٠٥	٣٧٤
الحج	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾	٧٨	٨٤٢
المؤمنون	﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٨٤-٨٥	٣٣٧
النور	﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	٣١	١٣٢
النور	﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن	٣٥	٣٤٦

السورة	الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
	شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾		
النور	﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	١٨٤
النور	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	٥٦٠
النور	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾	٥٨	٣٥٦
النور	﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾	٦٣	٢٤٣
الفرقان	﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾	١	٣٣٠
الفرقان	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾	٤ ــ ٦	٣٨٣
الفرقان	﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾	٦	٣٨٤
الفرقان	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	١٥٢

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
الفرقان	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾	٣٢	٢٠٦
الفرقان	﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٤-٦٦	٤٤٦
الشعراء	﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	١٩٢- ١٩٥	٣٥٨
الشعراء	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾	١٩٣-١٩٥	٣٥٨
الشعراء	﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾	١٩٦	٣٩٩
الشعراء	﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾	١٩٧	،٣٩٩
النمل	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٢٠
النمل	﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٣٠٤
النمل	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾	٧٦-٧٧	٣٨٣
النمل	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾	٧٦	٥٧٤
القصص	﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ	٧-١٣	٤٠١

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
	أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾		
القصص	﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٥-٢٧	٤٠٨
القصص	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٤٠٧
القصص	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	٤٠٢
القصص	﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾	٨٤	٤٣٩

السورة	الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
	عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾		
الأحزاب	﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾	٣٧	٤٢٦
الأحزاب	﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾	٥٣	٤٢٦
الأحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾	٦٩	٣٤٧
فاطر	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧)﴾	٢٧	٣٤٤
يس	﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾	٤٠	٣٦٥
يس	﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٢)﴾	٥٢	٤٣٩
الصافات	﴿تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ (٦٥)﴾	٦٤-٦٥	٤٥٢
الزُّمَر	﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾	٢-٣	٧٢٦
الزُّمَر	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ	٣	١٤١، ٤٧١

السورة	الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
	يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾		
الزُّمَر	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾	١٧-١٨	٤٦٩
الزُّمَر	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٠	٥١٧
الزُّمَر	﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	٦٥-٦٦	٧٢٤
الزُّمَر	﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾	٦٨	٤٣٩
الزُّمَر	﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾	٧٥	٣٦٣
غافر	﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٢١٤
غافر	﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٥	٤٧٢
غافر	﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾	٥٥	٤٧٩
غافر	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾	٧٨	٣٨٧
فُصِّلَت	﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٣	٢٢٥
فُصِّلَت	﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾	٤٣	١٤٦
فُصِّلَت	﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ	٤٤	١٨٨

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
	وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤)﴾		
الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١١)﴾	١١	١٢٥، ٣٦٦، ٣٤٠، ٣٤٠،٦٦٧
الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	١١	٣٤٧
الشورى	﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣)﴾	١٣	٣٠٦، ٣٣٨، ٣٨٩
الشورى	﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾	١٣	٤٦٩
الزُّخرُف	﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ (١٩)﴾		٣٥٣
الزُّخرُف	﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾	٢٧	٣٠٥
الجاثية	﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾	٢٣	١٤١، ٢٨٠
الأحقاف	﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩)﴾	٩	١٤٥
الفتح	﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ	١٠	٥٤٥

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
	إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾		
الصف	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾	٥	٤٧٢
الصف	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾	٥-٦	٤٩٢
الصف	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾	٦-٨	٤١٤
الجمعة	﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾	٢-٤	١٩٦
التغابن	﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾	١١	٤٨٠
التحريم	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ	٦	٣٦١

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
القيامة	﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١٩٤
القيامة	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾	٢٢-٣٢	٤٣٦
القيامة	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	٤٥٥
الإنسان	﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾	٢٩-٣٠	٤٦١
النازعات	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾	٦-٧	٤٣٩
عبس	﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾	١٥-١٦	٣٥١
التكوير	﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾	٥	٤٤٠
التكوير	﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾	١٩	١٨٣
التكوير	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٧-٢٩	٤٦١
المطفّفين	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾	٧	٤٤٨
المطفّفين	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٤٤٧
المطفّفين	﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾	٢١	٣٥١
البروج	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾	٢١-٢٢	٣٨٢
الأعلى	﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾	١٨-١٩	٣٧١
الفجر	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	٦٥٨
الفجر	﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾	٢٢-٢٣	٤٥١

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
العلق	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾	١	١٩٥
العلق	﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾	١-٣	٤١٧
القدْر	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾	١	٢٠٦
البيِّنة	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾	٥	١٣٢، ٣١٦،٧٢٦
النصر	﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾	٣	٦٩٠
الإخلاص	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾	١-٤	٣٤٧

فهرس أطراف الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الطوائف والفرق وغيرها

فهرس الألفاظ والمصطلحات

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبراهيمي: محمد البشير، عيون البصائر (مجموع المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر حاصة)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٢- ابن حجر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية .

٣- ابن حجر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، فتح الباري، مطبعة مصطفى الحلبي ـــ القاهرة.

٤- الأتابكي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى ٨١٣ ـــ ٨٧٤هـــ، النجوم الزاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع.

٥- ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـــ، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: الدكتور محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد علي بيضون، ط٤، دار الكتب العلمية ـــ بيروت، لبنان ٢٠٠٢م ـــ ١٤٢٤هـــ.

٦- ابن الأثير: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ٥٤٤هـــ ـــ ٦٠٦هـــ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط١ دار إحياء الكتب العربية ـــ مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣هـــ ـــ ١٩٦٣م.

٧- الآجري: أبي بكر محمد بن لحسين، الشريعة، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م.

٨- أجريتو: مارسيل، الوطن الجزائري (كتب سياسية، مجموعة عربية، الكتاب: ١١٤)، ترجمة: عبد الله نوار، الدار القومية للطباعة والنشر ـــ القاهرة ١٩٥٩م.

٩- إدريس: د. جعفر شيخ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـــ الرياض، ١٤٠٥هـــ. وطبعة أخرى: تحت

إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس ــ إدارة الثقافة ١٩٨٥م.

١٠- آدمز: تشارلز، الإسلام والتجديد في مصر، قدم له: الأستاذ مصطفى عبد الرازق، نقله: عباس محمود، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الاعتماد ــ مصر ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م.

١١- إدوارد سعيد: الاستشراق: (المعرفة. السلطة. الإنشاء)، ترجمة: كمال أبو ديب، ط ٣، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ــ ١٩٩١م.

١٢- أركون: محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، (منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز الثقافي العربي ــ الدار البيضاء، ، ١٩٩٦م

١٣- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد ٢٨٢هـ، تهذيب اللغة، تحقيق الأستاذ: أحمد عبد العليم البردوني، مراجعة الأستاذ: علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

١٤- أسد: محمد، الإسلام على مفترق الطرق، (شبح الحروب الصليبية: من ترجمة: د. عمر فروخ، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥م.

١٥- أسد: محمد، الطريق إلى مكة، ترجمة الدكتور. رفعت السيد علي، عن طبعة SIMON AND SCHUSTER ١٩٥٤ تقديم: الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين (الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) ــ نشر مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالتعاون مع مؤسسة التراث ــ الرياض.

١٦- الأشعري: أبي الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، حققه وخرج أحاديثه: بشير محمد عيون، ط٣، مكتبة دار البيان ــ دمشق، سوريا، مكتبة المؤيد، السعودية ــ الطائف ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

١٧- الأشعري: أبي الحسن، رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق: محمد السيد الجليند، طبعت تحت مسمى (أصول أهل السنة والجماعة)، مطبعة التقدم ــ القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٨- الأشقر: عمر سليمان، القضاء والقدر، ضمن سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة (٦)، ط٣، مكتبة الفلاح ـــ بيروت، دار النفائس ـــ الكويت، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م.

١٩- الأصبهاني:الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الجزء الثاني، ط١، ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٨م، طبعة دار الكتب العلمية — بيروت.

٢٠- الأعظمي: د. محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، ط١، المكتب الإسلامي ـــ بيروت، ١٤٠٠هـــ ـــ ١٩٨٠م.

٢١- الأعظمي: وليد، السيف اليماني في نحر الأصفهاني، ط ٢، دار الوفاء ـــ المنصورة، مصر ١٤١٠هـــ / ١٩٨٩م.

٢٢- آل بن علي: أحمد بن حجر آل بوطامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، تقديم: عبد الله السبت، ط١، دار الفتح ـــ الشارقة ١٤١٥هـــ ـــ ١٩٩٥م.

٢٣- آل بن علي: العلامة أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه) قدم له وصححه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط٢، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـــ توزيع المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، ١٣٩٣هـــ.

٢٤- آل شيخ: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله، مشاهير علماء نجد وغيرهم، تحقيق وتعليق المؤلف نفسه، بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـــ ١٣٩٤هـــ.

٢٥- الألمعي: زاهر بن عواض، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط ١، مطابع الفرزدق ـــ الرياض ١٩٨٤م

٢٦- الألوائي: الدكتور. محيي الدين، النبوة المحمدية ومفتريات المستشرقين، قدم للكتاب وعقب عليه: محمد عبد الله السمان، ط١، دار الثقافة العربية للطباعة ـــ عابدين ١٤٠٠هـــ / ١٩٨٠م.

٢٧- أمين: د. أحمد، فجر الإسلام، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، القاهرة

١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.

٢٨- أمين ، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان،(بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٢٩- أوليري: دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله إلى العربية وعلق عليه: إسماعيل البيطار، ط١، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ١٩٧٢م.

٣٠- الإيجي: عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب ـ بيروت(بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع).

٣١- باتون: ولتر ملفيل، أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، راجع الترجمة: محمود محمود، دار الهلال، نسخة مترجمة عن طبعة ليدن ١٨٩٧م.

٣٢- البار: د. محمد علي، أباطيل التوراة والعهد القديم (٢) الله ﷻ والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)، ط١، دار القلم بدمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٣٣- بارت: رودي، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكة)، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٧م.

٣٤- بارتولد: ف، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة: حمزة طاهر، ط ٤، دار المعارف ـ مصر ١٩٦٦م.

٣٥- بدوي: د. عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه (مترجم عن الفرنسية) ترجمة: د. كمال جاد الله، القاهرة ـ دار الجليل ـ ١٩٩٨م.

٣٦- بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين ـ بيروت، لبنان ١٩٩٣ م.

٣٧- براون: إدوارد، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور: أحمد كمال الدين حلمي (أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة الكويت)، لجنة التأليف والتعريب والنشر ـ مجلس النشر العلمي، ط ١، مطبوعات جامعة الكويت ـ الشويخ ١٩٩٦م.

٣٨- بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، و منير البعلبكي، ط ٥، دار العلم للملايين ـــ بيروت. ١٩٦٨م.

٣٩- برينيث: بيتر، بلاد العرب القاصية (رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب)، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، بيروت، ـــ دمشق، ١٤١١هـــ / ١٩٩٠هـــ.

٤٠- البزدوي: علي بن محمد، كشف الأسرار على أصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي، ، صحح هذا الكتاب حين الطبع أحمد رامز الشهير بالشهري المدرس بدار الخلافة، طبع من طرف حسن حلمي الريزوي ١٣٠٧هـــ.

٤١- البسام: الشيخ عبد الله، علماء نجد خلال ستة قرون، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٩٨هـــ.

٤٢- البشير: عصام، أصول منهج النقد عند أهل الحديث، ط٢، مؤسسة الريان، بيروت ـــ لبنان ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م.

٤٣- البغدادي: أبي منصور عبد القاهر، أصول الدين، ط١، ١٣٤٦هـــ / ١٩٢٨م. استانبول، طبعة مصورة عنها عام ١٤٠٠هـــ ـــ ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية ـــ بيروت.

٤٤- البغدادي: إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنه ١٩٥١ اعادت طبعه بالاوفست دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان)

٤٥- البغدادي: الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ت ٤٢٩هـــ، الفرق بين الفرق، تعليق الشيخ: إبراهيم رمضان، ص: ٢٥٠ ـــ٢٦٠، ط١، دار المعرفة ـــ بيروت، ١٤١٥هـــ / ١٩٩٤م.)

٤٦- البغدادي: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـــ - ١٩٦٦م.

٤٧- بل: الفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ـــ لبنان ١٩٨١م.

٤٨- بلاشير: ريجي، القرآن (نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره)، ترجمة: رضا سعادة، وأشرف على الترجمة الأب فريد جبر، وحققه وراجعه الشيخ: محمد علي الزغبي.

٤٩- بلاشير: ريجيس، دراسة سور القرآن شكلا ومحتوى، تعريب: محمد المختار العبيدي، مقال مكتوب في حوليات الجامعة التونسية، العدد الواحد والعشرون ١٩٨٢، تونس.

٥٠- بليايف: ي: أ: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة، راجعه وقدم له: الدكتورمحمود زايد، ط١، نشر الدار المتحدة للنشر، بيروت ــ لبنان ١٩٧٣م.

٥١- البنا: حسن، الله في العقيدة الإسلامية، مع هذه الرسالة: إلى الشباب رسالة الجهاد، المناجاة، دار العلوم للطباعة، القاهرة (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٥٢- البنداق: محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، (عرض موجز بالمستندات لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معاني الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية) ط ١، منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م

٥٣- بهاء الدين: محمد، المستشرقون والحديث النبوي، ط ١، دار الفجر، ودار النفائس للنشر والتوزيع ــ الأردن، عمان ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٤- البهنساوي: المستشار سالم علي، السنة المفترى عليها، ط ٣، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دار الوفاء ــ المنصورة، دار البحوث العلمية ــ الكويت ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

٥٥- البهنساوي: سالم علي، الغزو الفكري للتاريخ والسيرة بين اليمين واليسار، ط (١)، دار القلم / الكويت، ١٤٠٦هـ.

٥٦- البهنساوى: سالم، الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ــ ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٥٧- البهوتي: منصور بن يونس، الروض المربع شرح زاد المستقنع ومعه حاشية نفيسة للشيخ العالم: محمد بن صالح العثيمين وتعليقات مفيدة من نسخة العلامة الشيخ:

عبد الرحمن بن ناصر السعدي، كتاب الصلاة، خرج أحاديثه: عبد القادر محمد نذير، دار المؤيد ــ مؤسسة الرسالة (بدون تاريخ)

٥٨- البهي: د. محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط٤، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٩٦٧م.

٥٩- البهي: د. محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، الناشر: مكتبة وهبة. ط ١٢، القاهرة ــ مكتبة وهبة، ١٤١١هــ / ١٩٩١ م.

٦٠- بوازار: مارسيل، إنسانية الإسلام، ترجمة الدكتور: عفيف دمشقية، ط٢، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣م.

٦١- بودلي: ر. ف. الرسول حياة محمد، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جوده السحار، الناشر: مكتبة مصر. (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٦٢- بوركهارت: جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٠٥ هــ / ١٩٨٥م.

٦٣- بوكاي: د. موريس، (القرآن والإنجيل والعلم)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، الناشر: مكتبة متبولي، القاهرة ٢٠٠٤م.

٦٤- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هــ - ١٩٩٤م.

٦٥- التركي: عبد الله بن عبد المحسن، أصول مذهب الإمام أحمد (دراسة أصولية مقارنة)، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م.

٦٦- تستشيجفسكا: بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي (تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها)، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م.

٦٧- تسدل: سنكلير، تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، باللغة العربية، مطبوعات نور الحياة، ط بدون. ترجمة لكتاب: (LIGHT OF LIF-VILLACH-AUSTRIA)

٦٨- تسيهر: أجناس جولد، العقيدة والشريعة في الإسلام (تاريخ التطور العقدي

والتشريعي في الديانة الإسلامية)، نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه: محمد يوسف موسى، عبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي بيروت ــ لبنان، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصري بتاريخ فبراير ١٩٤٦م.

٦٩- تسيهر: أجنتس جولد، مذاهب التفسير الإسلامية، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، ط٢، دار اقرأ ــ بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٧٠- التَنير: محمد بن طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد الله الشرقاوي، ط٢، دار الصحوة للنشر، القاهرة ــ المعارف، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

٧١- التو مي: محمد، دراسات قرآنية ــ ٢ ــ الجدل في القرآن الكريم، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، طبع الشركة التونسية، تونس، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م

٧٢- تُورميدَا: القس إنْسِلْم (الشهير بعبد الله الترجمان الأندلسي) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور محمود علي حماية (أستاذ ورئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر بأسيوط) ط٣، دار المعارف ــ القاهرة (بدو ذكر الطبعة وتاريخها)

٧٣- توماس: سير، أرنولد: و، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠.

٧٤- التومي: محمد، الجدل في القرآن الكريم فعالية في بناء العقلية الإسلامية، سلسلة دراسات قرآنية (٢)، طبع الشركة التونسية ــ تونس ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.

٧٥- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، الصفدية، ط٢، مكتبة ابن تيمية ــ القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٧٦- ابن تيمية: الشيخ أحمد، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية (نقض أساس التقديس)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن القاسم، مطبعة قرطبة (بدون تاريخ الطبعة ومكانها وسنة الطبع)

٧٧- ابن تيمية: الشيخ أحمد، تحقيق القول في مسألة: عيسى كلمة الله والقرآن كلام الله،

تحقيق ودراسة: قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث بطنطا، ، ط١، دار التراث للصحابة ــ طنطا ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٧٨- ابن تيمية: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ــ المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٧٩- ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط(٢)، دار الكنوز الأدبية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٨٠- ابن تيمية: منهاج السنة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

٨١- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية.

٨٢- جار الله: زهدي حسن، المعتزلة، منشورات النادي العربي في يافا، مطبعة مصر ــ القاهرة ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٧م.

٨٣- جاكسون: بيتر، سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، تعريب: فاضل جتكر، ط ١، مطابع العبيكان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

٨٤- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع لصاحبها عبد القادر محمود البكار، ط٢، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

٨٥- جاويش: الشيخ عبد العزيز، الإسلام دين الفطرة والحرية، دار المعارف ــ مصر (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع)

٨٦- جب: هاملتون، التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى، المركز العربي للكتاب، دمشق. (بدون رقم وتاريخ الطبعة)

٨٧- جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، ط ٢، دار العلم

للملايين ــ بيروت ١٩٧٤م.

٨٨- جب: هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانفوردشو، وليم بولك، ترجمة: د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمود زايد، ط ٢، دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٧٤م.

٨٩- جب، هــ. أ. ر، وجهة الإسلام (نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي)، ط١، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة وقدم لها: الأستاذ: جب، المطبعة الإسلامية بالقاهرة ــ ١٣٥٣هــ ــ ١٩٣٤م.

٩٠- الجبري: عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م.

٩١- جرونيباوم: جوستاف. أ. فون، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية: الأستاذ عبد العزيز جاويد، وراجعه الأستاذ: عبد الحميد العبادي، نشر: مكتبة مصرــ الفجالة، دار مصر للطباعة، بإشراف: إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر. (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع)

٩٢- جريشة: الأستاذ علي، الزيبق: محمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ط٣، القاهرة، دار الاعتصام، ١٣٩٩هــ / ١٩٨٩م.

٩٣- الجزيري: العلامة المؤرخ عبد القادربن محمد بن محمد، عمدة الصفوة في حل القهوة، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، ط١، منشورات المجمع الثقافي ــ أبو ظبي / الإمارات ١٩٩٦م.

٩٤- الجزيري: سلسلة الإسلام من منظور آخر (٧) أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين، دحض لــ: ميزان الحق، وتنوير الأفهام، ومقالة في الإسلام وغيرها، ط بدون، منشورات أسمار ــ باريس ٢٠٠٧ م.

٩٥- جمال: أحمد محمد (أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز)، مفتريات على الإسلام، ط١، دار الفكر ــ بيروت ١٣٩٢هــ ــ ١٩٧٢م.

٩٦- الجندي: أنور، الموسوعة الإسلامية العربية (٦) أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت (بدون

ذكر الطبعة وتاريخها)

٩٧- الجندي: أنور، الموسوعة الإسلامية العربية، ٦، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ واللغة والأدب والاجتماع، ط (بدون)، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧٤م.

٩٨- الجندي: أنور، سموم الاستشراق والمستشرقين، ط ٢، دار الجيل، بيروت / مكتبة التراث الإسلامي ــ القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

٩٩- الجندي: أنور، شبهات التغريب في الفكر الإسلامي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ــ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م، وأيضا اعتمدت على طبعة المكتب الإسلامي دمشق / ١٩٨٣م، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٠٠- الجندي: أنور، محاكمة فكر طـه حسين، دار الاعتصام ــ القاهرة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.

١٠١- جواتياين: س. د. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق: الدكتور: عطية القوصي، ط١، وكالت المطبوعات، الكويت ١٩٨٠.

١٠٢- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، نشره محمود مهدي الإستانبولي ١٣٩٦هـ، واعتمدت أيضا على طبعة دار الكتب العلمية / بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

١٠٣- ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٠٤- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ، الموضوعات، ط ٢، دار الفكر، ج٣، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٠٥- الجوزية: ابن قيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٠٦- الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الشهير بابن القيم،

الوابل الصيب من الكلم الطيب، تعليق: محمد منير أغا الدمشقي، ط٣، الناشر: مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان سنة الطبع ١٣٩٢هـ.

١٠٧- الجوزية: أبي عبد الله محمد بن قيم، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، ط١، مكتبة دار البيان، دمشق ـ بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، و مكتبة المؤيد ـ الرياض.

١٠٨- الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزراعي الدمشقي المعروف بابن قيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق ودراسة الدكتور: السيد الجميلي، ط١، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، توزيع دار الهدى ـ الرياض. ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٠٩- جيب: هـ. أ. ر. الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، ط (بدون) منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٦م.

١١٠- جيبون: إدوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ فرع مصر ١٩٦٩م.

١١١- ابن أبي حاتم الرازي: أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧هـ، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، ط١، طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن ـ الهند سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

١١٢- الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي(الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ط ١، دار المدار الإسلامي، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٢م.

١١٣- الحاكم النيسابوري: محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١١٤- حتي: فيليب خوري، تاريخ العرب، ترجمة: د. عمر فروخ، دار غندور ـ ١٩٨٦م.

١١٥- حتي: فيليب، الإسلام منهج حياة، ترجمة: د. عمر فروخ، ط٢، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٩٧٩م.

١١٦- حتي: فيليب، العرب تاريخ موجز، ط٥، طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

١١٧- حتي: فيليب، تاريخ العرب، ترجمة: د. ادوارد جرجي، ط٤، دار الكشاف ــ بيروت ١٩٦٥م.

١١٨- حتي: فيليب، موجز تاريخ الشرق الأدنى، ترجمة: الدكتور: أنيس فريحة، ط (بدون) دار الثقافة ــ بيروت، لبنان ١٩٦٥م.

١١٩- أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

١٢٠- الحربي: أحمد بن عوض الله، الماتريدية دراسة وتقويماً، ط٢، دار الصميعي للطباعة والنشر، السعودية ــ الرياض ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٢١- ابن حزم الظاهري، الإمام أبي محمد علي بن أحمد ت ٤٥٦هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل ــ بيروت ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

١٢٢- ابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، منشورات: دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ــ ١٩٧٩م.

١٢٣- حسن: الشيخ د. ناصر بن على عائض، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١٢٤- حسن: عثمان بن علي، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، ط٢، مكتبة الرشد ــ الرياض ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٢٥- حسين: طــه، الشيخان، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طــه حسين)، (الخلفاء الراشدون) المجلد الرابع، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م.

١٢٦- حسين: طــه، ألوان، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طــه حسين) المجلد السادس، (الأدب والنقد)، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م.

١٢٧- حسين: طــه، على هامش السيرة، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طــه حسين)، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣م.

١٢٨- حسين: طـــه، في الشعر الجاهلي (المجموعة الكاملة لمؤلفات طـــه حسين)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، إبريل ١٩٩٥م.

١٢٩- حسين: طـــه، مرآة الإسلام، (المجموعة الكاملة لمؤلفات طـــه حسين)، دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت ١٩٨٢م.

١٣٠- الحسيني: مبشر الطرازي، إلى الدين الفطري الأبدي، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع)

١٣١- الحصني: تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي ت ٨٢٩هـــ، دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ـــ مصر ١٣٥٠هـــ

١٣٢- الحصين: أحمد بن عبد العزيز، دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، تقديم الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ط ١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٠هـــ

١٣٣- الحكمي: حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حققه وعلق عليه وضبط نصه وخرج أحاديثه وآثاره: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط ١، دار ابن الجوزي، السعودية ١٤٢٠هـــ ـــ ١٩٩٩م.

١٣٤- الحلبي الأثري: علي بن حسن بن عبد الحميد، دلائل التحقيق لأبطال قصة الغرانيق (رواية ودراية)، ط (بدون) مكتبة الصحابة ـــ جدة ـــ الشرفية ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م.

١٣٥- حلبي: خالص، في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي للحركة الإسلامية، ط ٣، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت١٤٠٥ه ـــ ١٩٨٥م.

١٣٦- حمادة: محمد محي الدين، الإسلام وزيف الأقلام: الجزء الأول: إبراهيم ﷺ، قدم له: الدكتور: مصطفى سعيد الخن، الأستاذ: محمد خير الطرشان، ط١، دار أقرأ ـــ سوريا / دمشق ١٤٢٣هـــ / ٢٠٠٢م.

١٣٧- حماني: أحمد، صراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، الكتاب صدر من منشورات دار البعث في الجزائر، وذيل المؤلف

كتابه بالشكر لدار البعث بتاريخ ٢٢ربيع الآخر ١٤٠٤هـ / ٢٥ يناير ١٩٨٤

١٣٨- حمدان: نذير، مستشرقون جامعيون سياسيون مجمعيون، ط١، مكتبة الصديق، المملكة العربية السعودية ــ الطائف ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

١٣٩- ابن حنبل: أحمد، السنة، مطبوع مع الرد على الجهمية والمعتزلة، تصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتار و الدعوة والإرشاد ــ السعودية (بدون رقم الطبعة وتاريخها)

١٤٠- الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية، ص: ١٢٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط (بدون) طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.

١٤١- حوراني: البرت، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ــ ١٩٣٩، ترجمة: كريم عزقول، ط٤، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٨٦ م.

١٤٢- الخراشي: سليمان بن ناصر، شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً، ط١، دار الوطن للنشر ــ الرياض، السعودية ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٤٣- خزعل: حسين خلف الشيخ، تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ط ٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

١٤٤- الخضري بك: الشيخ محمد، أصول الفقه، ط ٦، المكتبة التجارية ــ مصر، ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩م.

١٤٥- الخطيب البغدادي: الإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ت ٤٦٣هـ، كتاب الكفاية في علم الرواية، تقديم المحدث: محمد الحافظ التيجاني، مراجعة الأستاذين: عبد الحليم محمد عبد الحليم، عبد الرحمن حسن محمود، ، ط٢، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة دار التراث العربي (بدون ذكر تاريخ الطبعة)

١٤٦- الخطيب البغدادي: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ٣٩٢ ــ ٤٦٣هـ، تقييد العلم، تصدير وتحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٥م.

١٤٧- الخطيب: محب الدين، الندوي: سليمان، السباعي: مصطفى، دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه، ط (بدون) الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام ١٤ شارع علي عبد اللطيف بمصر.

١٤٨- الخطيب: محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط ٢، الناشر: مكتبة وهبة ـــ عابدين ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٨م.

١٤٩- الخلال: أبي بكر أحمد بن محمد ت٣١١هـــ، السنة، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، ط٢، دار الراية ـــ الرياض ١٩٩٤هـــ / ١٤١٥هـــ.

١٥٠- الخلال: أبي بكر أحمد بن محمد٣١١هـــ، السنة، دراسة وتحقيق: د. عطية الزهراني، ط٢، دار الراية ـــ الرياض ١٩٩٤هـــ / ١٤١٥هـــ

١٥١- ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور: سهيل زكار، ط (بدون) دار الفكر ـــ بيروت لبنان ١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠١م.

١٥٢- الخلف: د. سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط١، مكتبة أضواء السلف ـــ الرياض ١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠٢م.

١٥٣- خلف: نجم الدين عبد الرحمن، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـــ /١٩٨٨م ـــالرياض.

١٥٤- أبو خليل: د. شوقي، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا ـــ ١٩٩٩م.

١٥٥- أبو خليل: د. شوقي، الحوار دائما وحوار مع مستشرق، ط٤، دار الفكر بدمشق ١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م.

١٥٦- أبو خليل: شوقي، الإسلام في قفص الاتمام، ط ٤، دار الفكر ـــ دمشق، ١٤٠٠هـــ / ١٩٨٠م.

١٥٧- خليل: د. عماد الدين، قالوا عن الإسلام، من إصدارات الندوة العالمية للشباب

المسلم، ط١، السعودية ـــ الرياض، ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م.

١٥٨- خليل: شوقي، موضوعية فيليب حـــتي في كتابه تاريخ العرب المطول، ، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر ـــ دمشق، ١٤٠٦هـــ ـــ ١٩٨٥م.)

١٥٩- دائرة المعارف الإسلامية وتقع في خمسة عشر مجلدا، المسماة: (الدائرة الأولى)، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، مراجعة وزارة المعارف، عضو إدارتها المنتدب حافظ جلال، رئيس تحريرها: إبراهيم زكي خورشيد، ٢ / ٣١٩، جمادى الثانية ١٣٥٢هـــ / ١٩٣٣م، طبع انتشارات جهان تران ـــ بوذرجمرى.

١٦٠- دائرة المعارف الإسلامية، الله، ماكدونالد، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، ويشرف على تحريرها تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية: هوتسما، فنسنك، وكب، وهفننك، وليفي بروفنسال، وشاده، وباسيه، وهارتمان، وأرنولد، وباور، ولويس، وبلا، وشاخت، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس، ط٢، طبعة دار الشعب ـــ القاهرة ١٩٦٩م.

١٦١- دراز: د. محمد عبد الله، الدين: بحوث ممهدة لدراسة الأديان، ط٣، الناشر: دار القلم ـــ الكويت ١٣٩٤هـــ ـــ ١٩٧٤م.

١٦٢- دراز: محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم (عرض تاريخي مقارن)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعةالدكتور: السيد محمد بدوي، ط (بدون)، دار المعرفة الجامعية ـــ الإسكندرية ١٩٩٠م.

١٦٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، الجزء الأول (كتاب العقائد) ط٥، ١٤١٣هـــ / ١٩٩٢م (بدون ذكر مكان الطبع)

١٦٤- درمنغم: إميل، حياة محمد، نقله إلى العربية: محمد عادل زعيتر، ط بدون، نشر: دار إحياء الكتب العربية بدون ذكر سنة الطبع.

١٦٥- دوزي: ر. تاريخ مسلمي أسبانيا، (الحروب الأهلية) ترجمة: الدكتور: حسن حبشي، ومراجعة: الدكتور: جمال محرز، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع. ملتزم الطبع والنشر ــ دار المعارف ــ القاهرة. ١٩٦٣م.

١٦٦- دوكورانسي: لويس، الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ، ط١، ترجمة مجموعة من الباحثين، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٣م.

١٦٧- دي بور: ت. ج. ، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، دار النهضة العربية ــ بيروت ١٩٨١م.

١٦٨- دي كاستري: هنري، الإسلام: خواطر وسوانح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١م.

١٦٩- الديب: عبد العظيم محمود، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ط١، من كتاب الأمة السابع والعشرون، ضمن سلسلة الكتب التي يصدرها مركز البحوث والمعلومات، برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

١٧٠- ديدييه: شارل، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ترجمة وتعليق د. محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية(مطبعة مركز الملك فيصل الثقافية)، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

١٧١- ديكارت: رينيه، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: عثمان أمين، ط٣، مكتبة القاهرة الحديثة ــ ١٩٦٥م.

١٧٢- الذهبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار المعرفة بيروت ــ لبنان ١١٩٦م)

١٧٣- الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ط٢، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت ــ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م وأيضا اعتمدت على: ط٣، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٥هـ /

١٩٨٥م.

١٧٤- الذهبي: محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، الناشر: مكتبة وهبة ـــ القاهرة (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع)

١٧٥- الذهبي: محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط ٧، الناشر: مكتبة وهبة ـــ ٢٠٠٠م.

١٧٦- رابح: د. تركي، الشيخ: عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط٤، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ـــ ١٩٨٤م

١٧٧- الرازي: فخر الدين، أساس التقديس، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ط١، دار الجيل ـــ بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٧٨- الراغب الأصفهاني: أبي القاسم الحسين بن محمد ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

١٧٩- الرامهرمزي: القاضي الحسن بن عبد الرحمن ٢٦٠ ـــ ٣٦٠هـ، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط ١، دار الفكر ـــ بيروت، ١٣٩١ هـ / ١٧٧١م.

١٨٠- راندال: جون هرمان، و بُوخلر: جوستاس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة: الدكتور: ملحم قربان، دار العلم للملايين ـــ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت ـــ نيويورك ١٩٦٣م.

١٨١- ابن رجب الحنبلي: الحافظ عبد الرحمن بن ٧٣٦ـــ ٧٩٥هـ، شرح علل الترمذي، حققه وكمل فوائده بتعليقات حافلة: نور الدين عتر، دار الملاح، ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٨٢- ابن رجب: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي، الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة ـــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع)

١٨٣- رضا: أحمد، معجم متن اللغة، (موسوعة لغوية حديثة)، ط (بدون) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـــ ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م.

١٨٤- رضا: السيد محمد رشيد، المنار والأزهر (كتاب يشتمل على مقدمة في ماضي الأزهر

وحاضره ومستقبله ومقالات في الرد على مجلة الأزهر (نور الإسلام) في طعنها على المنار وتأييدها البدع والخرافات وخاتمة في خلاصة سعي صاحب المنار لإصلاح الأزهر في مدة ٣٥ سنة، ط١، مطبعة المنار بمصر ١٣٥٢م.

١٨٥- رضا: السيد محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام، دين الأخوة الإنسانية والسلام)، ط٣، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان ١٤٠٦هـ.

١٨٦- رضا: محمد رشيد، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ﷺ، جمعه وعلق عليه وأعد فهارسه: سليمان بن سليم البواب، ط١، دار الحكمة للطباعة والنشر ــ دمشق ــ سوريا (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

١٨٧- رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواتي، ط ١ الناشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، محرم ١٤٠٩هـ = سبتمبر ١٩٨٨ بالمطبعة السلفية بنارس في الهند.

١٨٨- رضا: محمد رشيد، الوهابيون والحجاز، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواتي، ط ١ الناشر إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ببنارس، محرم ١٤٠٩هـ = سبتمبر ١٩٨٨ بالمطبعة السلفية بنارس في الهند.

١٨٩- رضا: محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ط ١، مطبعة المنار بشارع مصر القديمة، بدئ بها في أواخر سنة ١٣٣٨هـ الموافق آخر سنة ١٢٩٨هـ.

١٩٠- الرومي: ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: الدكتور: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي بيروت ــ لبنان ١٩٩٣م.

١٩١- أبو رية: محمود، أضواء على السنة المحمدية، مطبعة دار التأليف بمصر، ط ١، ١٣٧٧هـ ــ ١٩٧٦ م. .

١٩٢- الزبيدي: د. طارق صالح، مفهوم البحث العلمي عند العرب، بحث منشور ضمن كتاب (بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب) من إصدارات بيت الحكمة، بغداد ١٩٨٩م.

١٩٣- الزبيدي: محمد بن محمد الحسيني، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط (بدون) دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٩٤- الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس، منشورات مكتبة الحياة ــ بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٦هـ.

١٩٥- الزرقاء: مصطفى أحمد، في الحديث النبوي، (آمال ومحاضرات لطلاب شهادة علوم اللغة العربية في كلية الآداب من الجامعة السورية)، ط ٢، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م.

١٩٦- زقزوق: أ. د. محمود حمدي (إشراف وتقديم)، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، للمؤلفين: أ. د. عبد الصبور مرزوق، أ. د. عبد العظيم المطعني، أ. د. علي جمعة محمد، أ. د. محمد عمارة، أ. د. محمود حمدي زقزوق، التحرير والمراجعة: أ. د. علي جمعة محمد، الشبهة السابعة والتسعون (ابنة فرعون أو زوجته) كتبها: الأستاذ الدكتور: علي جمعة، ط (بدون) من إصدار جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف ــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

١٩٧- زقزوق: محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط (بدون)، دار المعارف ــ القاهرة، ١٩٩٧م.

١٩٨- أبو زهرة: محمد، الشافعي (حياته وعصره وآراؤه الفقهية)، ط٢، مطبعة دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

١٩٩- أبو زهرة: محمد، محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرت بها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم)، ط٤، طبع ونشر: الرئاسة العامة إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ــ السعودية ١٤٠٤هـ.

٢٠٠- الزهري: محمد بن سعد بن منيع، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: د. محمد عمر، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي ــ مصر ــ القاهرة. ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.

٢٠١- أبو زهو: محمد محمد، الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ــ

السعودية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤هـ.

٢٠٢- الزيادي: د. محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله(دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون)، ط ١، دار قتيبة، ١٩٩٨م، واعتمدت أيضا على طبعة ط١٢، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

٢٠٣- أبو زيد: بكر عبد الله، ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع ــ الرياض ١٤١٢ هـ.

٢٠٤- الزين: محمد فاروق، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط٣، توزيع دار الفكر بدمشق ١٤٢٤م ــ ٢٠٠٣م.

٢٠٥- س. بينيس، مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذهب اليونان والهنود ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازي، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م.

٢٠٦- الساداتي: الدكتور. أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم (الجزء الأول من: الفتح العربي حتى قيام الدولة المغولية)، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ــ المطبعة النموذجية (بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها)

٢٠٧- السامرائي: أ. د. نعمان، قراءة في كتاب (إ ظهار الإسلام لروجيه دُوَبا سكويه)، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م.

٢٠٨- سانتيلا. د، تاريخ المذاهب الإسلامية، تحقيق: عصام الدين محمد علي، منشورات مؤسسة ومكتبة الخافقين ــ دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٠٩- السباعي: الدكتور الشيخ مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط١، الناشر: المكتب الإسلامي ــ دار الوراق ٢٠٠٠م، واعتمدت أيضا: الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة.

٢١٠- السباعي: د. مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، ط٢، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ــ دمشق ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

٢١١- السبكي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي ٦٨٣هـ / ٧٥٦هـ، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، وعليها تعليقات للكوثري أسماها (تبديد الظلام

المخيم من نونية ابن القيم)، ط١، مطبعة السعادة ــ مصر، ١٣٥٦هـ.

٢١٢- ستودارد الأمريكي: لوثروب، حاضر العالم الإسلامي، وفيه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث، (البعثة المحمدية)، بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير: شكيب أرسلان، ط٢، دار الفكر العربي ــ ١٣٥١هـ.

٢١٣- السجستاني الحنبلي: أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ٢٣٠هـ ــ ٣١٦هـ، كتاب المصاحف، دراسة وتحقيق ونقد، د. محب الدين عبد السبحان واعظ، الأستاذالمساعدبجامعة أم القرى، الفصل الرابع من المجلد الأول، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ دولة قطر.

٢١٤- السجستاني: أبي بكر عبد الله بن أبي داود(ت٣١٦هـ)، المصاحف، تحقيق: المستشرق الإنجليزي/آثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ومعه ملحقه الذي نشرسنة١٩٣٧م، طبعة ليدن.

٢١٥- السدحان: د. فهد بن محمد، مناقشة الاستدلال بالإجماع (دراسة تأصيلية تطبيقية)، ط١، مطبعة العبيكان ــ الرياض، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣ م.

٢١٦- سرى: طارق، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ط١، مكتبة النافذة، الجيزة ــ ٢٠٠٦م.

٢١٧- سزكين: فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: د. محمد فهمي حجازي، راجعه: د. عرفة مصطفى، د. سعيد عبد الرحيم، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي سلمان بن عبد العزيز، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

٢١٨- السعدي: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢١٩- السعدي: محمد بن محمد أبي بكر، الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل،

تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، مطبعة هجر ــ مصر ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

٢٢٠- سعيد: عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، القسم الثاني، في المؤتمر المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ، تحت عنوان: الفقه الإسلامي، الرياض ــ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، المجلس العلمي، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢٢١- سعيد: محمد سليم بن محمد، أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي، سعى في نشره وترجمته من اللغة الأوردية الدكتور أحمد حجازي السقا، والشيخ السيد عبد الله محمد علام، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى بمصر ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مطبعة النهضة العربية ــ الفجالة.

٢٢٢- السلمان: محمد بن عبد الله، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط١، مكتبة المعلا ــ الكويت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م.

٢٢٣- سما يلو فتش: د. أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي ــ القاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، وأيضا اعتمدت على طبعة: دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٨٠م.

٢٢٤- سورديل: دومنيك وجانين، الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة: حسني زينة، ط١، نشر دار الحقيقة، بيروت ــ لبنان ١٩٨٠م.

٢٢٥- سورديل: دومنينيك، الإسلام قراءة غربية معاصرة، ترجمة: سليم قندلفت، تقديم: د. طيب تيزيني، (ترجمة عن الطبعة الثانية عشرة باللغة الفرنسية) الناشر: دار حوران / سوريا — دمشق، الطبعة العربية الثانية: ٢٠٠٣م.

٢٢٦- سيديو: ل. أ. تاريخ العرب العام، نقله للعربية: عادل زعيتر، ط (٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٢٢٧- سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ط٢، دار الآثار ــ بيروت ١٤٠٠هـ.

٢٢٨- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون وهو عبارة عن: (نقد وترجمة لكتاب مختصر حياة محمد للمستشرق. م. سفاري)، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، نقد وتحقيق

وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري، ط ١، دار الدعوة للطبع والنشر ــ الإسكندرية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٢٢٩- السيوطي: الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، الاتقان في علوم القرآن، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة للشؤون العلمية، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية.

٢٣٠- السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق: عزت عطية وموسى محمد علي، (دار الكتب الحديثة ــ القاهرة /١٩٨٠م)

٢٣١- السيوطي: جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، حيث ذكر ملخص الشيخ إسماعيل الهروي الأنصاري ت (٤٨١) في ذم علم الكلام، علق عليه: : د. علي سامي النشار، منشورات عباس أحمد البازـ المروة، مكة المكرمة ــ (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٢٣٢- شاتليه: أ. ل، الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي و محب الدين الخطيب، ط٢، الدار السعودية للنشرـ جدة ١٣٨٧هـ.

٢٣٣- شاخت: جوزيف، بوزورث: كليفورد، تراث الإسلام، ترجمة: دز محمد زهير السمهوري، د. حسين مؤنس، د. إحسان صدقي العمد، ط٣، عالم المعرفة (٢٣٣)، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المحرم ١٤١٩هـ / مايو / أيار ١٩٩٨م.

٢٣٤- شاخت: يوسف، أصول الفقه (الكتاب الخامس من كتب دائرة المعارف)، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٨١م.

٢٣٥- الشاطبي: أبي إسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت ٧٩٠هـ، الموافقات في أصول الشريعة وعليه شرح جليل لتحرير دعاويه وكشف مرميه، وتخريج أحاديثه ونقد آرائه نقدا علميا يعتمد على النظر العقلي وعلى روح التشريع ونصوصه، بقلم: شيخ علماء دمياط الشيخ: عبد الله دراز، وقد عني بضبطه ووضع

تراجمه الأستاذمحمد عبد الله دراز، الجزء الثاني وهو كتاب المقاصد وهو القسم الثالث من الموافقات، طبعة دار الفكر العربي (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع)

٢٣٦- الشاطبي: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمدالغرناطي ت(٧٠٩هـ)، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط٣، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية / الخبر ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م

٢٣٧- الشافعي: الإمام محمد بن إدريس، الأم، تحقيق وتخريج: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، دار الوفاء للطبع والنشر ـ المنصورة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢٣٨- أبو شامة: الشيخ الإمام شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي ت ٦٦٥هـ، الباعث على إنكار البدع والحوادث، ط٢، مطبعة النهضة الحديثة، مكة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٢٣٩- شامة: د. محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، ط ١، دار التراث ـ مكتبة وهبة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٤٠- شاهين: د. عبد الصبور، تاريخ القرآن، دار الاعتصام ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٤١- شراب: محمد محمد حسن، المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي (الرواية الصحيحة للتاريخ الحضاري السياسي والاقتصادي والعلمي للمدينة المنورة)، ط١، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت ـ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٤٢- الشرقاوي: محمد عبد الله، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات تحليلية تقويمية، منشورات مطبعة المدينة ـ القاهرة (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٢٤٣- الشريفي: إبراهيم جار الله بن دخنة، الموسوعة الذهبية في أنساب قبائل وأسر شبه الجزيرة العربية، نشر عام ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م. (بدون ذكر الطبعة ومكانها)

٢٤٤- شلبي: عبد الفتاح إسماعيل، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم (دوافعها ودفعها) مقدمة الكتاب ط٢، (دار الشروق، جدة ـ السعودية، ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣).

٢٤٥- شلبي: متولي يوسف، أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)، ط (بدون)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٩٧٥م.

٢٤٦- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب ـــ بيروت

٢٤٧- الشنقيطي: محمد الأمين، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، مطبوعات جامعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠١هـــ.

٢٤٨- أبو شهبة: محمد بن محمد، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة عن السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا، ويليه: الرد على من ينكر حجية السنة للدكتور: الشيخ عبد الغني عبد الخالق ـــ رحمه الله ـــ، مكتبة السنة ـــ القاهرة، ١٤٠٩هـــ / ١٩٨٩م.

٢٤٩- الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، علي حسن فاعور، ط١، دار المعرفة، بيروت ـــ لبنان، ١٤١٠هـــ /١٩٩٠م

٢٥٠- الشوكاني: الإمام محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٥هـــ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، ، حققه وخرج أحاديثه وفهرسها: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، ط١، دار الحرمين للطباعة، دار الحديث ـــ القاهرة، ، ١٤١٣هـــ / ١٩٩٣م.

٢٥١- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط١، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـــ / ١٩٣٧م.

٢٥٢- الشوكاني: محمد بن علي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط٢، ١٣٩٢هـــ.

٢٥٣- الشيخ: د. ناصر بن على عائض حسن، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ط٢، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـــ / ١٩٩٥م.

٢٥٤- الصالح: صبحي: علوم الحديث ومصطلحا ته، ط٥، دار العلم للملايين ـــ بيروت، ١٣٨٨هـــ ـــ ١٩٦٩م.

٢٥٥- الصالح: صبحي، مباحث في علوم القرآن، أسماء القرآن وموارد اشتقاقها: (ص: ٢٠)، ط ٢٤، (دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثاني ـــ يناير ٢٠٠٠م)

٢٥٦- صبحي: د. أحمد محمود، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (٢) الأشاعرة، ط٥، دار النهضة العربية ــ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٥٧- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ، الوافي بالوفيات، طالعه: يحيى بن حجي الشافعي بن أيبك الصفدي، أحمد بن مسعود، تحقيق واعتناء: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م.

٢٥٨- الصلابي: د. علي محمد محمد، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (شخصيته وعصره)، ط١، دار القمة، دار الإيمان ــ الإسكندرية ٢٠٠٢م.

٢٥٩- الصلابي: د. علي محمد محمد، سلسلة تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره)، طبعة دار ابن كثير الأولى، سوريا ــ دمشق، دار طيبة الخضراء ــ مكة، ١٣٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٦٠- الصلابي: علي محمد محمد، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين من الميلاد حتى الاستشهاد (شخصيته وعصره) ضمن سلسلة عصر الخلفاء الراشدين، ط (بدون) دار الكتاب الثقافي، الأردن ــ إربد، ٢٠٠٨م ــ ١٤٢٩هـ.

٢٦١- ابن الصلاح: ابن عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، لشيخ الإسلام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي تـ ٨٠٦هـ وتعليقاته على الذيل، ناشر الكتابين: محمد راغب الطباخ الحلبي سماهما (المصباح على مقدمة ابن الصلاح) ط١، المطبعة العلمية بحلب ــ ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

٢٦٢- ابن الصلاح: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٦٣- الصنعاني: السيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، ط١، المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ دمشق، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤.

٢٦٤- الضاري: حارث سليمان، الإمام الزهري وأثره في السنة، رسالة دكتوراه مطبوعة من جامعة الأ زهر بكلية أصول الدين ــ شعبة الحديث، تحت إشراف فضيلة الدكتور: محمد سيد ندا، منشورات مكتبة بسام، الموصل ــ العراق ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م.

٢٦٥- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير ٢٢٤هـــ ـــ ٣١٠هـــ، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف ـــ مصر ١٩٦٨م.

٢٦٦- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـــ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، مطبعة بولاق ـــ مصر ١٣٢٣ هـــ. و(طبعة دار الفكر ١٤٠٨هـــ ـــ ١٩٨٨م، بيروت ـــ لبنان.)

٢٦٧- الطحان: د. محمود، تيسير مصطلح الحديث، ط ٧، مكتبة المعارف ـــ الرياض، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م.

٢٦٨- طعيمة: د. صابر، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ـــ بحوث في العقائد الوافدة، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٤ م.

٢٦٩- الطنجي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه: عبد الهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية ـــ سلسلة التراث، ١٤١٧هـــ / ١٩٩٧ م.

٢٧٠- ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، السنة، مطبوع في جزئين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي ـــ بيروت، ١٤٠٠هـــ / ١٩٨٠.

٢٧١- العالم: عمر لطفي، المستشرقون والقرآن، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، ط١، منشورات مركز دراساسات العالم الإسلامي ـــ مالطا ١٩٩١م.

٢٧٢- بني عامر: الدكتور. محمد أمين حسن محمد، المستشرقون والقرآن الكريم، ط١، دار الأمل للنشر والتوزيع ـــ الأردن، إربد ٢٠٠٤م.)

٢٧٣- عبد الجبار: القاضي أبي الحسن، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصه: إبراهيم الأبياري، إشراف: طه حسين، ط١، مطبعة دار الكتب ــ الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر المكتبة العربية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦١م.

٢٧٤- عبد الرزاق: علي، الإسلام وأصول الحكم، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، ط٣، مطبعة مصر ــ شركة مساهمة مصرية ــ القاهرة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

٢٧٥- عبد الكافي: تقي الدين أبو الحسن علي ت ٦٨٣هـ ــ، السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل السبكى، الحاشية، المكتبة الأزهرية للتراث ــ ٢٠٠٣ م.

٢٧٦- عبد القادر: د. علي حسن، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي،ط٣، دار الكتب الحديثة،١٩٦٥م.

٢٧٧- عبد المحسن: عبد الراضي محمد، الغارة على القرآن الكريم، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر ــ القاهرة، ٢٠٠١

٢٧٨- عبده: الأستاذ محمد ، تفسير جزء عم، ط. الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة، ط. الثانية، بمطبعة مجلة المنار، مصر، ١٣٢٩هـ.

٢٧٩- العبود: د. صالح بن عبد الله بن عبدِ الرحمن، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المجلس العلمي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

٢٨٠- عتر: الأستاذ الدكتور: حسن ضياء الدين، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة (نقض مزاعم المستشرقين)، ط٣، دار المكتبي ــ سورية، دمشق، حلبوني ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٨١- بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح (القاضي بعنيزة)، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط١، طبع مطبعة الحلبي ــ وهبة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٨٢- بن عثمان: محمد بن عثمان بن صالح (القاضي بعنيزة)، روضة الناظرين عن مآثر

علماء نجد وحوادث السنين، ط١، طبع مطبعة الحلبي ــ وهبة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. .

٢٨٣- العجلان: د. عبد الله بن محمد، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث، ط١، الرياض، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢٨٤- العجلاني: الأستاذ الدكتور: منير، تاريخ البلاد العربية السعودية، ، الجزء الأول: الدولة السعودية الأولى، القسم الأول (سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته، سيرة محمد بن سعود وحروبه)، ط٢، طبع بمطابع دار الشبل للنشر والتوزيع ــ الرياض، ١٣١٣هـ / ١٩٩٣م.

٢٨٥- ابن العجمي: إبراهيم بن محمد بن سبط، التبيين لأسماء المدلسين، ط١، تحقيق: يحيى شفيق، دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.

٢٨٦- العراقي: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسن ٧٢٥ ــ ٨٠٦هـ، طرح التثريب في شرح التقريب (وهو شرح على تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، ط (بدون) منشورة عن جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٥٣هـ ــ ١٣٥٤هـ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

٢٨٧- أبي العز الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية ــ السعودية ١٤١٨هـ.

٢٨٨- ابن عساكر الدمشقي: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت (٥٧١هـ)، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مقدمة الكوثري، تعليق: زاهد الكوثري، دار الفكر ــ دمشق ١٣٩٩هـ

٢٨٩- العسقلاني الشافعي: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٢٩٠- العسقلاني: الحافظ أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢هـ، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادرعطا، طبعة مقابلة على نسخة بخط المؤلف وعلى تهذيب

التهذيب وتهذيب الكمال الجزء الأول، ط٢، دار الكتب العلمية ــ بيروت، لبنان ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٥م.

٢٩١- العسقلاني: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر ت ٨٥٢هــ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة ــ عابدين / مطبعة المدني ــ ١٣٨٥هــ / ١٩٦٦م.

٢٩٢- العفنان: سعد، البليهد: عبد العزيز، أعلام علماء حائل (٢ ــ الشيخ عبد الله آل بليهد)، ط١، مطابع المعرفة ــ حائل ١٤٢٥هــ.

٢٩٣- العقل: ناصر بن عبد الكريم، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ط ١، دار أشبيليا، السعودية ــ الرياض، ١٤١٨هــ / ١٩٩٧م.

٢٩٤- العقيقي: نجيب، المستشرقون، (موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم)، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٤م، واعتمدت على طبعة دار المعارف ــ مصر ١٩٦٥م.

٢٩٥- عمارة: محمد، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، ط٢، دار الشروق ــ مصر ١٤٢٧هــ / ٢٠٠٦م.

٢٩٦- عمامرة: الدكتور تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط٢، موفم للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٤٢٤هــ / ٢٠٠٣م.

٢٩٧- العمري: د. أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدة، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤ هــ - ١٩٩٤ م.

٢٩٨- العمري: د. أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، ط١، مركز الدراسات والأعلام دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هــ /١٩٩٧م

٢٩٩- عميرة: عبد الرحمن، أضواء على البحث والمصادر، ط٤، دار الجيل ــ بيروت١٤٠٦هــ /١٩٨٦م.

٣٠٠- عوض: إبراهيم، المستشرقون والقرآن، دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه، دار القاهرة ــ القاهرة ١٤٢٣هــ /٢٠٠٣م.

٣٠١- غراب: أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، ط ٢، صدر عن المنتدى الإسلامي ــ لندن، توزيع مؤسسة المؤتمن ــ الرياض، ١٤١١هـ.
٣٠٢- غرديــه: لويس، قنواتي: ج، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: الشيخ الدكتور: صبحي الصالح، الأب الدكتور: فريد جبر، ط١، دار العلم للملايين ــ بيروت ١٩٦٧م.
٣٠٣- الغبان: د. محمد بن عبد الله، فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، ط١،السعودية – مطابع العبيكان – ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.
٣٠٤- الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة ــ بيروت، لبنان. (بدون تاريخ)
٣٠٥- الغزالي: محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ط٤، دار الكتب الحديثة ــ مصر، عابدين ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م
٣٠٦- الغصن: سليمان بن عبد العزيز، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (عرضاً ونقداً) ط١، دار العاصمة ــ الرياض ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.
٣٠٧- بن غنام: الشيخ الإمام حسين، تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، حرره وحققه الدكتور: ناصر الدين الأسد، قابله على أصله: الشيخ: عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط٣، مطابع شركة الصفحات الذهبية ــ الرياض، ١٤٠٣هـ.
٣٠٨- الغيث: خالد بن محمد، استشهاد عثمان ﷺ ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.
٣٠٩- فؤاد: د. عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ــ عرض ونقد، ط١، مكتبة العبيكان ــ السعودية، الرياض ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣١٠- فؤاد: د. عبد المنعم، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ــ عرض ونقد، ط١، مكتبة العبيكان ــ السعودية، الرياض ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣١١- فاسيلييف، تاريخ العربية السعودية، ترجمة: خيري الضامن (المقدمة والجزء الأول) وجلال الماشطة: (الجزء الثاني والخاتمة) الترجمة إلى اللغة العربية: دار التقدم،

١٩٨٦، طبع في الاتحاد السوفييتي، موسكو.

٣١٢- فاغليرى: لورافيشيا، دفاع عن الإسلام، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين ــ بيروت كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م.

٣١٣- فالين: جورج أوغست، (عبد الولي)، صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير سليم شلبي، راجعه: يوسف إبراهيم يزبك، ط١، الناشر: أوراق لبنانية، تاريخ النشر ١٩٧١م.

٣١٤- فامبري: ارمنيوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وعلق عليه: د. أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له، د. يحيى الخشاب (العميد السابق لكليات الآداب بجامعة القاهرة ورئيس قسم اللغات الشرقية) ط (بدون) مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

٣١٥- فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله عن الألمانية: الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة، راجع الترجمة: د. حسين مؤنس، نشر لجنة التأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٥٨م.

٣١٦- فلهوزن: يوليوس، تاريخ الدول العربية: من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة الدكتور: محمد عبد الهادي أبو ريدة، نشر لجنة التأليف والنشر ــ القاهرة ١٩٥٨م.

٣١٧- فلوتن: فان، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه: الدكتور حسن إبراهيم ومحمد زكي إبراهيم، ط٢، مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٦٥م.

٣١٨- ابن فورك: محمد بن الحسن، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، المكتبة العصرية ــ بيروت. (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣١٩- الفوزان: د. صالح بن فوزان عبد الله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط٥، دار ابن الجوزي ــ السعودية ١٤٢١هـ.

٣٢٠- فوزي: أ. د فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ــ ١٩٩٨م.

٣٢١- فوك: يوهان، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين)، ط ٢، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي ـــ بيروت / لبنان ٢٠٠١م.

٣٢٢- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب٧٢٩ ـــ ٨١٧هـــ، القاموس المحيط، دار الجيل ـــ بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٢٣- القاضي: عبد الفتاح عبد الغني، القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، ط (بدون) الجامعة الإسلامية ـــ المدينة المنورة، الناشر: مكتبة الدار، ١٤٠٢هـــ

٣٢٤- ابن قتيبة: أبو محمد ت ٢٢٧هـــ، تأويل مختلف الحديث، راجع أحاديثه وعلق عليها: أبو المظفر سعيد بن محمد السناري، ط(بدون)، دار الحديث ـــ القاهرة ١٤٢٧هـــ ـــ ٢٠٠٦م.

٣٢٥- ابن قدامة المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤هـــ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد ـــ الرياض (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٢٦- ابن قدامه، تحريم النظر في كتب الكلام، تحقيق: عبد الرحمن بن سعيد دمشقية، ط١، دار عالم الكتب ـــ الرياض ١٤١٠ هـــ / ١٩٩٠م.

٣٢٧- القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرق سوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان ١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م.

٣٢٨- القرطبي: أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري ت ٤٦٣هـــ، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وأبي حنيفة) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم، عن نسخة دار الكتب المصرية مع اتمامها ومقابلة بعضها بنسخة خزانة كوبريلي محمد باشا بالآستانة، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٢٩- القزويني: أبو القاسم عمر بن عبد الرحمن بن عمر، مختصر شعب الإيمان للإمام المحدث أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر

الأرنؤوط، ط١، مكتبة دار البيان ــ دمشق، ١٤٠٣هــ ــ ١٩٨٣م.

٣٣٠- القزويني: محمد بن يزيد أبو عبدالله، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٣١- القشيري النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٣٢- القطان: أحمد، الزين: محمد طاهر، إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (التاريخ ــ الدعوة ــ الجهاد ــ المراحل ــ الوفاة ــ الشبهات والرد عليها)، راجعه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠١م

٣٣٣- القطان: مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، ط٥، مكتبة وهبة، القاهرة ــ عابدين، ٢٠٠١ م.

٣٣٤- قطان: مناع، مباحث في علوم القرآن، ط ١٢، (مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ١٤٠٣ هــ / ١٩٨٣ م)

٣٣٥- قطب: محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط٤، بيروت ــ ١٩٦٥م.

٣٣٦- القفاري: د. ناصر بن عبد الله بن علي، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية ــ الرياض، ١٤١٦هــ.

٣٣٧- ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين بن أبي بكر، اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق، إعداد وتحقيق: الدكتور. عواد عبد الله المعتق، ط١، مطابع الفرزدق التجارية ــ الرياض ١٤٠٨هــ / ١٩٨٨م.

٣٣٨- ابن قيم الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين، تحقيق وضبط: عبد الرحمن الوكيل، ط (بدون) دار إحياء التراث العربي ــ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ــ لبنان ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٣م.

٣٣٩- ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٢، دار العاصمة ــ السعودية ــ الرياض، ١٤١٢هــ.

٣٤٠- ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هــ، هداية الحيارى في

أجوبة اليهود والنصارى، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، ط ٤، المكتبة القيمة للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٤٠٧هـ.

٣٤١- ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ٤٨، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، ط ٤، المكتبة القيمة للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٤٠٧هـ.

٣٤٢- كارلسون: إنجمار كارلسون، الإسلام وأوربا، تعايش أم مجابهة، ترجمة: سمير بوتاني، ط ١، مكتبة الشروق الدولية ــ القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.)

٣٤٣- كاستري: هنري دي، الإسلام خواطر وسو انح، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، (مطبعة الشعب ــ القاهرة، ١٩١١ م.

٣٤٤- كافي: أبو بكر، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، ط ١، الناشر: دار ابن حزم، بيروت ــ ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م.

٣٤٥- كاهن: كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية، نقله إلى العربية: الدكتور: بدر الدين القاسم، ط٣، دار الحقيقة للطباعة والنشر ــ بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٤٦- الكبيسي: فاضل محمد عواد، فيليب حتي عصر النبوة والخلافة الراشدة، دراسة نقدية، ط١، دار الفرقان ــ الأردن ــ عمان ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

٣٤٧- الكتاب المقدس

٣٤٨- ابن كثير القرشي الدمشقي: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر (٧٠٠ ــ ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، محقق عن نسخة خطية كاملة، وعن مطبوعة الشعب وأكثر من عشر نسخ خطية أخرى يستوعب مجموعها التفسير كله) تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، السعودية ــ الرياض ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م.

٣٤٩- ابن كثير القرشي الدمشقي: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، على أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، وهذه

الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، ط١، مؤسسة قرطبة ــ الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٣٥٠- ابن كثير: الحافظ أبي الفداء إسماعيل، صفة الجنة ومافيها من النعيم المقيم، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط١، دار ابن كثير ــ بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م. .

٣٥١- ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر ٧٠١ ــ ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، ط١، مصر ــ إمبابة ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

٣٥٢- ابن كثير: الحافظ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن الكريم)، للعلامة المحقق: أحمد شاكر، أعده: أنور الباز، ط ٢، دار الوفاء للطباعة والنشر ــ المنصورة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٣٥٣- كرم: يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية ــ ط٥، دار المعارف ــ القاهرة (بدون تاريخ)

٣٥٤- الكناني: أبو الحسن علي بن محمد بن عراق، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، ط١، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٣٩٩هـ

٣٥٥- كوبر: لي ديفيد، رينتز: جورج، الحركة الوهابية في عيون الرحالة الأجانب، ترجمة وتعليق: أ. د. عبد الله بن ناصر الوليعي، ط١، مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٥٦- الكوثري: محمد زاهد، صفعات البرهان على صفعات العدوان وهي نقض ماكتبه السيد محب الدين الخطيب في مجلة الزهراء، عني بنشرها تلميذ الأستاذ المؤلف: حسام الدين المقدسي، دمشق، مطبعة الترقي عام ١٣٤٨هـ.

٣٥٧- كولسون: ن. ج. في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة وتعليق: د. محمد أحمد سراج، مراجعة: د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، ط١، دار العروبة بالكويت بإشراف دار الفصحى بالقاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣٥٨- اللالكائي: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، ط٢، دار طيبة للنشر ـــ الرياض ١٤١١هـــ.

٣٥٩- لاندو: روم، الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ـــ لبنان ١٩٧٧م.

٣٦٠- لانغ: جيفري، حتى الملائكة تسأل (رحلة إلى الإسلام في أمريكيا)، ط٢، دار الفكر المعاصر ـــ بيروت ـــ لبنان، ١٤٢٦هـــ / ٢٠٠٥م.

٣٦١- اللاوندي: د. سعيد، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، مركز الحضارة العربية، ط ١، القاهرة ـــ ٢٠٠١.

٣٦٢- لاووست: هنري، شرائع الإسلام في منهج ابن تيمية، دار الدعوة، ١٩٩٧م.

٣٦٣- لاووست: هنري، نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تقديم وتعليق: الدكتور: مصطفى حلمي، ٢/ ٢٨م، مطابع السفير ـــ الإسكندرية ـــ ١٩٧٩م.

٣٦٤- لوبد: سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، العرب في القرن العشرين)، نقله إلى العربية: طـــه باقر أمين المتحف العراقي، بشير فرنسيس مفتش الآثار القديمة، نقله إلى العربية بإذن المؤلف والناشرين أصحاب مطبعة جامعة أكسفورد، المتحف العراقي، بغداد. ط (بدون تاريخ).

٣٦٥- لوبون: غوستاف، حضارات الهند (كتاب مصور يشتمل على ١٨٦ صورة وخريطة وفق وثائق المؤلف وتصويره الشمسي ورسمه وتخطيطه)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط١، طبع دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـــ / ١٩٤٨م.

٣٦٦- لوبون: غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط (بدون) طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٦٩م.

٣٦٧- لوريمر: ج. ج. تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، جمع وتعليق: د. محمد بن سليمان الخضيري، دار غارنت للنشر ـــ المملكة المتحدة، توزيع شركة المطبوعات

للتوزيع والنشر، بيروت ــ لبنان، طبعته دارة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١ م.

٣٦٨- لويس: برنارد، الإسلام والغرب، ترجمة: قسم التأليف والترجمة بدار الرشيد، دمشق ــ بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت ــ لبنان ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٦٩- لويس: برنالد، الإسلام والغرب، ط١، دار الرشيد ــ دمشق ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٣٧٠- لويس: برنالد، الغرب والشرق الأوسط، تعريب: د. نبيل صبحي، كتاب المختار (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)

٣٧١- أبو ليلة: محمد محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (دراسة تحليلية نقدية) ط١، دار النشر للجامعات ــ مصر ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م.

٣٧٢- ماسينون: لويس، (محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ إلى ٢٤ إبريل سنة ١٩١٣)، تصدير بقلم الدكتور: الأستاذ الدكتور: إبراهيم مدكور، حققته وكتبت مقدمته وحواشيه دكتورة زينب محمود الخضيري، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٣٧٣- ماسيه: هنري، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، علق عليه وقدم له: سماحة الدكتور: مصطفى الرافعي، وسماحة الشيخ: محمد جواد مغنيه، ط٣، منشورات عويدات، بيروت ــ باريس ١٩٨٨م.

٣٧٤- ماضي: د. محمود، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، ط ١، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣٧٥- ماكدونالد وكارديه، الله، تعليق: إبراهيم الابياري ــ أحمد محمد شاكر ــ أحمد محمد جاد المولى ــ محمد حامد الفقي ــ محمد عاشور الصرفي ــ محمد عرفة، إعداد: إبراهيم زكي خورشيد، د. عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٧٩م. مطابع دار الشعب بالقاهرة.

٣٧٦- المالكي: أبي بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمود مهدي الاستانبولي، حققه وعلق

على حواشيه: محب الدين الخطيب، وثقه وزاد التحقيق والتعليق عليه: مركز السنة للبحث العلمي، ط٦، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها شرف حجازي القاهرة، (دار الجيل للطباعة ـــ الفجالة ـــ مصر) ١٤١٢هـــ.

٣٧٧- متز: آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوعصر النهضة في الإسلام، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، ط٤، مكتبة الخانجي، ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت، ١٣٨٧هـــ / ١٩٦٧م.

٣٧٨- المجدوب: د. أحمد علي، أهل الكهف في التوراة والإنجيل، فقد تناولت دراسته الفرق بين ما جاء في القرآن وما تناولته الأسطورة المسيحية، حيث فاتهم إدراك أن معجزة النوم لمدة طويلة تختلف عن معجزة الموت ثم البعث فخلطوا بين الأمرين، بل وخلطوا بين أمور كثيرة لم يفطنوا لها، ط ٢، (الدار المصرية اللبنانية ـــ القاهرة)

٣٧٩- محزون: الدكتور: محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين) ويقع الكتاب في جزئين من منشورات دار طيبة ومكتبة الكوثر بالرياض، ط٣، ١٤٢٠هـــ / ١٩٩٩م.

٣٨٠- محمود: عبد الحليم، التفكير الفلسفي في الإسلام، ط١، منشورات الكتاب اللبناني ـــ بيروت ١٩٧٤م.

٣٨١- المدخلي: ربيع هادي عمير، منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف، ط ٢، دار المنار ١٤١٣هـــ / ١٩٩٣م.

٣٨٢- مدكور: د. إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيق) ط٢، سميركو للطباعة والنشر ـــ مصر من منشورات مكتبة الدار الفلسفية، بدون تاريخ.

٣٨٣- المرصفي: الدكتور سعد محمد محمد الشيخ، أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ط ١، دار القلم للنشر والتوزيع ـــ الكويت، ١٤٠٨هـــ / ١٩٨٨م.

٣٨٤- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق: عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي، ط١، دار طيبة ـــ الرياض ١٤١٢هـــ.

٣٨٥- المستشرق جيب، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، ص: ٤٥، ترجمة: د. عادل

العوا، ط٢، منشورات عويدات، بيروت ــ باريس ١٩٨٩م.

٣٨٦- مسلم النيسابوري: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ٢٠٦ ــ ٢٦١هــ، كتاب التميز، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ،الناشر: جامعة الرياض ــ الرياض / ١٣٩٥هــ

٣٨٧- مطبقاني: مازن صلاح، عبد الحميد بن باديس، العالم الرباني والزعيم السياسي، ط١، دار القلم ــ دمشق ١٤١٠ هــ / ١٩٨٩م.

٣٨٨- المطعني: الدكتور عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ط٢، دار الوفاء ــ المنصورة ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٢م.

٣٨٩- المعتزلي: القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، ط٢، منشورات مكتبة وهبة ــ القاهرة رمضان ١٤٠٨هــ / إبريل ١٩٨٨م.

٣٩٠- المعتق: عواد بن عبد الله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منه، ط١، دار العاصمة ــ الرياض ١٤٠٩هــ.

٣٩١- المعجم الوسيط الصادر من جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط (٤)، إشراف: د. شوقي ضيف، ونخبة من أساتذة مجمع اللغة العربية وهم: شعبان عبد العاطي عطية، أحمد حامد حسين، جمال مراد حلمي، ومدير مكتبة الشروق الدولية: عبد العزيز النجار، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هــ / ٢٠٠٤م.

٣٩٢- المغراوي: محمد عبد الرحمن، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، ط (١)، نشر مؤسسة الرسالة ــ دار القرآن ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م.

٣٩٣- المغربي: د. علي عبد الفتاح، إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، ط١، مطبعة الدعوة الإسلامية، الناشر: مكتبة وهبة، ١٤٠٥هــ / ١٩٨٥م.

٣٩٤- مغلي: محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هــ / ٢٠٠٢م.

والكتاب أصله رسالة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الاستشراقية والإسلاميات بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر عام ١٩٩٠م.

٣٩٥- المقدسي: أحمد بن عبد الرحمن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، تعليق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان ــ دمشق، ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨م، مؤسسة علوم القرآن للطباعة والنشر ــ بيروت.

٣٩٦- المقريزي: تقي الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد، الخطط المقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مصورة طبعة بولاق، دار صادر ــ بيروت (بدون تاريخ الطبعة وسنة الطبع)

٣٩٧- المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر، ، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد القادر خليل، ط٢، مطابع الصفا / مكة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م.

٣٩٨- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، تونس ــ إدارة الثقافة ١٩٨٥م.

٣٩٩- المنجد: صلاح الدين، المستشرقون الألمان (تراجمهم وماأسهموابه في الدراسات العربية)، ط(بدون) ١/ ٧٩ــ ٩٢، حيث كتب الأستاذ: محمد علي حشيشو عن: الرحالون الألمان إلى البلاد العربية) دار الكتاب الجديد، بيروت / لبنان.

٤٠٠- ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، الناشر: دار المعارف ــ القاهرة / ١١١٩م

٤٠١- موجز دائرة المعارف الإسلامية، وتقع في ستة وثلاثين مجلداً، أ. جى. بريل، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و، أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء الأولى من (أ) إلى (ع) إعداد وتحرير نخبة من العلماء بإشراف: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د. عبد الحميد يونس. الأجزاء من (ع) إلى (ى) ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، وقد صدرت الترجمة الكاملة عن طريق مركز الشارقة للإبداع الفكري بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب، طبعت برعاية كريمه من

سمو الشيخ الدكتور: سلطان بن محمد القاسمي.

٤٠٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، ط ٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ.

٤٠٣- موسى: د. جلال، نشأة الأشعرية وتطورها، ط١، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٤٠٤- موسى: د. محمد يوسف، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، ط٢، دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

٤٠٥- موسى: سلامة، حرية الفكر، ضمن سلسلة المواجهة، الهيئة المصرية للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٣م.

٤٠٦- الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، (التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه دراسة منهجية شاملة للغزو الفكري، سلسلة أعداء الإسلام، رقم (٣) ط٥، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م. واعتمدت أيضا على طبعة: ط ٢، دار القلم، دمشق ـ بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. وأيضا: ط ٨، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٠٧- ميكيل: أندريه، الإسلام وحضارته، ص: ٨٦، ترجمة الدكتورة: زينب عبد العزيز، مراجعة: كمال الدين الحناوي نشر المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت. ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، وقد نشر هذا الكتاب ضمن ساسلة مصائر العالم بإشراف (فرناند بروديل)

٤٠٨- الميلي: محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر، ط٢، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٧٩.

٤٠٩- نبي: مالك بن، مشكلات الحضارة (الظاهرة القرآنية)، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط ٣، (الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)

٤١٠- الندوي: أبو الحسن علي الحسني، إذا هبت ريح الإيمان، ط١٠، مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان، دار القلم ـ الكويت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.

٤١١- الندوي: أبو الحسن علي الحسني، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.

٤١٢- الندوي: الأستاذ مسعود، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، ترجمة وتعليق: د. عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم: د. محمد تقي الدين الهلالي، ط١، دار الداعي للنشر والتوزيع، الرياض، مركز العلامة عبد العزيز بن باز ــ جامعة ابن تيمية ــ بيهار ــ الهند ١٤٢٤هــ ــ ٢٠٠٣م.

٤١٣- الندوي: مسعود، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ط (بدون) نشر وتوزيع الدار العربية، رمضان ١٣٦٦هــ، أغسطس ١٩٤٧م.

٤١٤- النشار: د. علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (الزهد والتصوف في القرنين الأول والثاني الهجريين) ط٨، طبعة دار المعارف ــ القاهرة (بدون تاريخ)

٤١٥- النشمي: د. عجيل جاسم النشمي (مدرس بكلية الشريعة / جامعة الكويت)، المستشرقون ومصادر التشريع، ط ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤هــ /١٩٨٤م.

٤١٦- نصار: محمد عبد الستار أحمد، المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام، ط١، توزيع دار الأنصار ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م.

٤١٧- نعناعة: د. رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ط١، نشر: دار القلم بدمشق، و دار الضياء ببيروت، ١٣٩٠هــ / ١٩٧٠م.

٤١٨- النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسة تاريخية لآراء (وات ــ بروكلمان ــ فلها وزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية (٢١)، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن ــ فيرجينيا ــ الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٧هــ /١٩٩٧م.

٤١٩- النمر: د. عبد المنعم، تاريخ الإسلام في الهند، ط١، طبع المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان ١٤٠١هــ / ١٩٨١م.

٤٢٠- النمَري: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣هــ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، صححه وخرج أحاديثه: عادل مرشد، ط١، دار الإعلام ــ الأردن ــ عمان ١٤٢٣هــ / ٢٠٠٢م.)

٤٢١- النملة: الدكتور علي بن إبراهيم، الاستشراق في الأدبيات العربية، الرياض: مركز

الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٢٢- النووي: : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، صحيح مسلم بشرح النووي ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـــ ١٣٩٢هـ

٤٢٣- نويهض: عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ، ط٢، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ـــ لبنان ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٤٢٤- النيسابوري: أبي الحسن علي بن أحمد الو احدي، أسباب الترول، طبعة مؤسسة الحلبي ـــ القاهرة.

٤٢٥- النيسابوري: الحاكم، معرفة علوم الحديث، ط ١، دار النفائس، بيروت، عمان، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

٤٢٦- نيكلسون: ر. أ، الصوفية في الإسلام، ترجمه وعلق عليه: نور الدين شربية، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧١هـ ـــ ١٩٥١م.

٤٢٧- هارت: مايكل، المئة الأوائل، ترجمة: خالد أسعد عيسى، والمحامي: أحمد غسان سبانو، ط ١٢، نشر دار ابن قتيبة، دمشق ـــ سوريا، بيروت ـــ لبنان ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.)

٤٢٨- هاشم: أحمد عمر، السنة النبوية وعلومها ـــ دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها في أعظم عصور التدوين ودفاع عن السنة ورد لشبهات المستشرقين وأعداء الإسلام، ط (بدون) الناشر مكتبة غريب ـــ الفجالة / القاهرة ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٩م.

٤٢٩- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ)، سيرة النبي ﷺ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١ / ٢٢١ـــ٢٤٢، (مطبعة حجازي / القاهرة، ، نشر المكتبة التجارية بدون تاريخ)

٤٣٠- الهمذاني: القاضي عبد الجبار، المنية والأمل، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، وحققه وعلق عليه: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ـــ الإسكندرية ١٩٨٥م.

٤٣١- الهندي: رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، إظهار الحق (أدق دراسة نقدية في إثبات وقوع التحريف والنسخ في التوراة والإنجيل وإبطال عقيدة التثليث

وألوهية المسيح وإثبات إعجاز القرآن ونبوة محمد ـــ ﷺ ـــ والرد على شبه المستشرقين والمنصرين)، دراسة وتحقيق: ملكاوي: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل، أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ـــ ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٤٣٢- الهندي: علي بن محمد الهندي (١٣٣٠ ـــ ١٤١٩هـ)، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، تحقيق: الأستاذ الشيخ: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، ط١، دار الشريف للنشر ـــ الرياض ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م.

٤٣٣- هورخرونية سنوك: ك، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: الدكتور: محمد محمود السرياني، والدكتور: معراج نواب مرزا، ، راجعه: محمد إبراهيم علي، نشر دار الملك عبد العزيز، ١٤١٩م ـــ ١٩٩٩م.

٤٣٤- هوفمان: د. مراد، الإسلام كبديل، ط ٤، طبعة خاصة صدرت باتقان خاص من مكتبة العبيكان والناشران الأصليين (مجلة النور الكويتية، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات) مكتبة العبيكان ـــ الرياض ١٤٢٣ / ٢٠٠٢م.

٤٣٥- هونكة: زيجريد، الله ليس كذلك، ترجمة: غريب محمد غريب، ط٢، دار الشروق، مؤسسة بافاريا، مجلة النور الكويتية، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٦م.

٤٣٦- هونكة: زيغريد، العقيدة والمعرفة، ترجمة: عمر لطفي العالم، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر ـــ بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٤٣٧- هونكة: زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربه)، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الحوري، ط٨، دار الآفاق الجديدة ـــ دار الجيل ـــ بيروت ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م.

٤٣٨- هونكه: زيغرد، التوجه الأوربي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وقدر محتوم، ترجمة: د. هاني صالح، ط١، دار الرشيد، دمشق ـــ بيروت، ١٤١٩هـ ـــ

١٩٩٨م.

٤٣٩- هيكل: محمد حسين، حياة محمد، ط١، شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا ــ بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ ــ ٢٠٠٦م. واعتمدت أيضا على: ط١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

٤٤٠- هيكل: محمد حسين، في مترل الوحي، الكتاب الأول: فرض الحج، ط ٥، دار المعارف ــ مصر ١٩٧١م.

٤٤١- وات: مونتجومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية: حسين أحمد أمين، ط١، دار الشروق ــ بيروت، القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، واعتمدت أيضا على طبعة: ط٢، دار الشروق، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

٤٤٢- وات: مونتجومري، محمد في مكة، تعريب: شعبان بركات، ط (بدون)، منشورات المطبعة العصرية، صيدا ــ بيروت.

٤٤٣- ياسين: الشيخ خليل، ياسين: د. محمد، محمد عند علماء الغرب، ط١، دار العلم والحكمة ــ بيروت ٢٠٠٧ م.

٤٤٤- ياسين: محمد نعيم، الإيمان (أركانه، حقيقته، نوا قضه) ط ١، مكتبة السنة ــ القاهرة ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م.

٤٤٥- يونغ: لوبس، العرب وأوربا، ترجمة: ميشيل أزرق، مراجعة: محمد قجة، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر ــ بيروت ١٩٧٩م.

الدوريات والمجلات:

١- أرنولد: توماس، الدعاية الإسلامية، ترجمة الأساتذة: السرنجاوي: عبد الفتاح، عمر الدسوقي، عبد العزيز عبد المجيد، مقال في مجلة الرسالة، العدد (٣٠٥) القاهرة في يوم الأثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٥٨ ــ الموافق ٨ مايو سنة ١٩٣٩م، السنة السابعة.

٢- اسحق: خالد. م. (المحامي ــ كراتشي ــ باكستان)، مقال بعنوان (إسهام الإسلام في الفكر السياسي العالمي)، مجلة المسلم المعاصر، السنة (١٢)، العدد(٤٥)، محرم ــ صفر ــ ربيع الأول ١٤٠٦هـ.

٣- آل مسلي القرني: عالية بنت صالح بن سعد بن مسلي، جهود الشيخ رحمت الله الهندي في الدفاع عن العقيدة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى ــ كلية الدعوة وأصول الدين ــ قسم العقيدة، إشراف: د. محمود بن محمد بن محمود مزروعة، ١٣٢٦هـ / ٢٠٠٥ م.

٤- بوكاي: موريس، صحة النص القرآني وطريقة تدوينه، ترجمة: إبراهيم عكاشة، مقال ضمن مجلة الفيصل، العدد (٤٣) محرم ١٤٠١هـ، السنة الرابعة، الموافق تشرين الثاني، (نوفمبر) كانون الأول، (ديسمبر) ١٩٩٠م.

٥- بوكاي: موريس، محاضرة بعنوان: (الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلال ترجمتهم للقرآن الكريم،)، مجلة الوحدة الإسلامية، (العروة الوثقى) العدد الثامن والعشرون، الرقم المسلسل (٤٦) عدد الشتاء ١٤٠٧هـ، تصدر عن مكتب العروة الوثقى في جنيف ــ سويسرا.

٦- التركي: د. عبد الله بن إبراهيم، مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) مجلة الدارة فصلية محكمة، السنة ٣١، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو ــ يونية ٢٠٠٥م.

٧- التويم: د. ناصر بن إبراهيم بن عبد الله، الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية (دراسة نقدية)، ط١، سلسلة الكتاب الإسلامي رقم (٧) سلسلة علمية دورية محكمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ /

٢٠٠٢م.

٨- جريدة الرياض، الخميس ٢٧رمضان ١٤٢٧هـ - ١٩أكتوبر ٢٠٠٦م - العدد (١٣٩٩٦)

٩- الجهني: فهد سعد سعيد، القياس عند الإمام الشافعي (دراسة تأصيلية تطبيقية على كتاب الأم) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول الفقه)، أشرف على الرسالة الدكتور: حمزة حسين الفعر الشريف، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع الفقه والأصول، شعبة الأصول، عام١٤٢١/ ١٤٢٢هـ.

١٠- الحرقان: نورة حمد، الأسماء والصفات عند متأخري الحنابلة في القرنين الخامس والسادس الهجريين في ضوء الكتاب والسنة، بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من قسم العقيدة ـ قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض)، إشراف: أ. د: محمد أبو الغيط الفرت ١٤١٧هـ

١١- حسن: محمد إبراهيم، الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، السنة الثامنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

١٢- الحميد: حميد بن ناصر خالد الحميد، الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة ـ المدينة المنورة (قسم الاستشراق) ١٤١٥هـ.

١٣- حميداتو: مصطفى محمد، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ، ط١ من كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، العدد ٥٧ المحرم ١٤١٨هـ السنة السابعة عشر، آيار (مايو) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩٧م.

١٤- ابن الخوجة: الدكتور محمد الحبيب، مقال بعنوان: السنة النبوية في العصر الحديث بين أنصارها وخصومه، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، مجلة نصف سنوية يصدرها مجمع

الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، السنة السابعة، العدد التاسع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٥- أبو رابية: عبد الخالق سيد، في جولة مع المستشرقين، (دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ويشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، العدد: ١٧٩، السنة السادسة عشر ١٥ من صفر سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٦م.

١٦- الرسائل الجامعية:

١٧- رنكلرن: هلمر، الإسلام في منهج البحث الغربي، مقال في مجلة: (المسلمون)، العدد الخامس، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

١٨- السلمي: د. محمد بن صامل، مقال بعنوان (مسائل في منهج دراسة السيرة النبوية) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، مجلد (١٤) العدد (٢٤) ربيع الأول ١٤٢٣ هـ / مايو (آيا ر) ٢٠٠٢م.

١٩- سويسي: المحسن بن علي، مفهوم القدر في دراسات المستشرقين، قسم الاستشراق في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، عام /١٤١١هـ

٢٠- الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) مجلة الدارة فصلية محكمة، السنة ٣١، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو ـ يونية ٢٠٠٥م.

٢١- صالح: محمد أحمد رضوان، منا هج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي، مقال في مجلة المنهل، العدد (٤٨٤) المجلد (٥٢) ربيع الآخر وجمادى الأولى، ١٤١١هـ، أكتوبر ـ نوفمبر ـ ١٩٩٠ م.

٢٢- طه: د. عزية علي (من كلية الشريعة ـ جامعة الكويت)، مقال بعنوان: (من افتراءات المستشرقين على مسند الإمام أحمد بن حنبل) مجلة منار الإسلام، مجلة تصدر في غرة كل شهر عربي عن وزارة الشؤون الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة ـ أبو ظبي، العدد الخامس، السنة الرابعة عشرة، جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ ـ ١١ ديسمبر ١٩٨٨م.

٢٣- طه: د. عزية علي، مقال بعنوان: (صور من افتراءات المستشرقين حول موطأ الإمام مالك بن أنس) مجلة منار الإسلام، مجلة تصدر في غرة كل شهر عربي عن وزارة الشؤون الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة ــ أبو ظبي، العدد الثالث، السنة الثانية عشر، ربيع الأول ١٤٠٨هـ ــ نوفمبر ١٩٨٧م.

٢٤- طــه: د. عزية، مقال بعنوان (من افتراءات المستشرقين على أحاديث التوحيد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (علمية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت كل أربعة أشهر) السنة السادسة، العدد الثالث عشر، رمضان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢٥- طــه: عزيه علي، من افتراءات المستشرقين على أساليب المحدثين، مقال ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١)، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، الأمانة العامة لكبار العلماء، رئيس التحرير د. محمد بن سعد الشويعر، المشرف العام سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، لجنة الإشراف: د. عبد العزيز العبد المنعم، د. عبد الله بن جبرين، الشيخ أحمد الدويش، د. محمد الشويعر

٢٦- عبد الحميد بن باديس، جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الصادرة من الجزائر، العدد ٩٥، السنة الثالثة، ١٢ ذي القعدة، ١٣٥٦هـ، الموافق: ١٤ / يناير / ١٩٣٨م.

٢٧- عبد العال: د. إسماعيل سالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد ١٠٤، تصدرها رابطة العالم الإسلامي، مكة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٢٨- العمري: الأستاذ الدكتور. أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة النبوية، العدد الثامن ١٤١٥هـ /١٩٩٤ــ١٩٩٥م ــ جامعة قطر.

٢٩- مجلة أضواء الشريعة، كلية الشريعة، الرياض، العدد السابع، السنة ١٩٧٦م.

٣٠- مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مقال بعنوان: نقد ترجمة القرآن إلى الفرنسية في ضوء المنهج السياقي ــ ترجمة جاك

بيرك ــ نموذجاً، المجلد الخامس، العدد الأول، محرم ــ ربيع الأول ١٤٢٤ هــ / ابريل ــ يونية / ٢٠٠٣ م

٣١- مجلة الفيصل بعنوان (رحلة في كتاب ــ دفاع عن القرآن ضد منتقديه للدكتور: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: ثابت عيد ــزيورخ ــ سويسرا، العدد (٣١٥)

٣٢- مجلة الفيصل، العدد ٣١٥، ضمن مقا ل بعنوان (رحلة في كتاب د. عبد الرحمن بدوي دفاع عن القرآن ضد منتقديه بالفرنسية) ترجمه د. كمال جاد الله، القاهرة، دار الجليل للكتب والنشر/١٩٩٧م، مراجعة ثابت عيد، زيورخ ــ سويسرا)

٣٣- مجلة المنار ــ المجلد السابع ــ الجزء الثالث، (غرة صفر ١٣٢٢ ــ ١٧ إبريل ١٩٠٤)، و المجلد السابع، الجزء الخامس، (غرة ربيع الأول ١٣٢٢ ــ ١٦ مايو ١٩٠٤

٣٤- مجلة المنار، المجلد ٢٩، الجزء الخامس، ص: ٣٤٤، ربيع الأول ١٣٤٧ سبتمبر ١٩٢٨

٣٥- مجلة المنار، المجلد الخامس والعشرون، الجزء التاسع، بتاريخ، ٢٩ رجب سنة ١٣٤٣ / الحوت سنة ١٣٠٤ هــ ش ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٥ م

٣٦- مجلة المنهل، العدد (٤٧١) السنة (٥٥) مجلد (٥٠) رمضان وشوال ١٤٠٩هــ / ابريل ومايو ١٩٨٩م) ص ٩٢، بعنوان: (دراسات استشراقية)

٣٧- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، بعنوان: رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين، (نصف سنوية مُحكّمة) المجلد الأول ــ العدد الأول، محرم جمادى الآخرة ١٤١٦هــ / يونيو ــ ديسمبر ١٩٩٥م.

٣٨- محيسن: د. محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق تصدر مع مطلع كل شهر عربي، السنة الثانية ١٤٠٢ هــ جمادى الآخرة (١٥) ط ٢، ١٤١٤ هــ، (طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي / مكة المكرمة) مكرر

٣٩- مطبقاني: مازن بن صلاح، منهج المستشرق برنالد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد خليفة حسن أحمد (رئيس قسم الاستشراق) وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الاستشراق بالمدينة المنورة ١٤١٤هــ.

٤٠- مظاهري: محمد عامر عبد الحميد، السلطان محمود الغزنوي في كتابات بعض

المستشرقين، إشراف أ. د. حامد غنيم أبوسعيد، دراسة نقدية بحث مكمل لنيل درة الماجستير، للعام الجامعي ١٤١٥هـ، الصادرة من وزارة التعليم العالي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، الدراسات العليا ـ قسم الاستشراق شعبة الدراسات الإسلامية.

٤١- مظاهري: محمد عامر عبد الحميد، مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في دائرة المعارف الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية) رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: حامد غنيم أبو سعيد للعام الجامعي ١٤٢٢هـ / ١٤٢٣هـ.

٤٢- مقال بعنوان (الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة، دراسة تاريخية) مجلة الدارة فصلية محكمة، السنة ٣١، العدد ٢، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ / مايو ـ يونية ٢٠٠٥م.

٤٣- مقال ضمن كتاب دوري محكم تحت مسمى (دراسات استشراقية وحضارية) يصدر من مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية من كلية الدعوة في المدينة المنورة، العدد الأول لعام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م، من منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٤- المقرن: محمد بن عبد الله، من أعلام القضاء: الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، مقال في مجلة العدل (مجلة فصلية محكمة) السنة الخامسة، العدد ٢٠، ص: ١٩٥، شوال ١٤٢٤هـ / ديسمبر ٢٠٠٣)

٤٥- النشمي: الدكتور: عجيل جاسم، مجلة المنهل، مقال بعنوان: (الخلفاء الراشدون ودورهم في التشريع في نظر المستشرقين) العدد٤٧١ المجلد ٥٠ رمضان وشوال ١٤٠٩هـ / ابريل ومايو١٩٨٩م والكاتب لم يشر إلى مصادره في النقل عن المستشرقين في هذا المقال.

٤٦- النملة: علي بن إبراهيم، مقال ضمن مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، بعنوان: رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين، (نصف سنوية مُحكَّمة) المجلد الأول ـ العدد الأول، محرم جمادى الآخرة ١٤١٦هـ / يونيو ـ

ديسمبر ١٩٩٥م.

٤٧- وزان: د. عدنان محمد، دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، مقال في مجلة المنهل، العدد (٤٧١) السنة (٥٥) المجلد (٥٠) رمضان ــ شوال ١٤٠٩هـ، إبريل ومايو ١٩٨٩م.

الندوات العالمية:

١- جمال الدين. أ. د. محمد السعيد، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة)

٢- الخطيب: د. عبد الله بن عبد الرحمن، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، في الفترة ١٥ـــ١٧/٣/ ١٤٢٥هـــ الموافق ٤ ـــ٦/٥/٢٠٠٤م، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

٣- عبد العزيز: زينب، بحث بعنوان (مشروع لترجمة معاني القرآن الكريم)، بحث ضمن الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـــ ليبيا، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـــ ايسسكو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢١ ـــ٢٣، أي النار ـــ يناير ١٣٦٩من وفاة الرسول ﷺ، ٢٠٠١ مسيحي.

٤- العزوزي: د. حسن (أستاذ الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ـــ جامعة القيروان ـــ فاس) بحث بعنوان " القرآن الكريم وإشكاليات الترجمة، دراسة تقويمية لمحاولة المستشرق الفرنسي أندريه شورا كي) ضمن الندوة الدولية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ـــ ليبيا، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـــ ايسسكو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢١ ـــ٢٣، أي النار ـــ يناير ١٣٦٩من وفاة الرسول ﷺ، ٢٠٠١ مسيحي.

مواقع الشبكة العالمية:

1- http: //www. madinacenter. com/post. php?ResultSerach=١&RPID=٤٨&DataID=٤٨&word=طبقات%٢٠المستشرقين&LID =٢

2- http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=1&RPID=0&LID=0

3- http: //www. dahsha. com/viewarticle. php?id=٢٦٥٧٧

4- http: //www. gom. com. eg/algomhuria/٢٣/٠١/٢٠٠٣/deen/detail٠٠. shtml

5- http: //www. madinacenter. com/post. php?DataID=٥٠

6- http: //ar. wikipedia. org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%8A%D9%8A

7- http: //www. dorar. net/enc/adyan/٧٨٢

8- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

9- http: //docs. ksu. edu. sa/DOC/Articles٤٢/Article٤٢٠٧٣٩. doc

10- http: //www. moqatel. com/openshare/Mostlhat/Alaam/Mokatel٢٠_٢٦-١. htm_cvt. htm

11- http: //www. islamonline. net/arabic/In_Depth/Translation_Bridges/Civilization/ ٠٧/٠١/٢٠٠٥. shtml

12- http: //docs. ksu. edu. sa/DOC/Articles٤٢/Article٤٢٠٧٣٩. doc

13- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

14- http: //www. ebnmasr. net/forum/t٢٥٨٧٢. html

15- http: //ar. wikipedia. org/wiki/%D%٨A%٥D%٨B%٣D%٨AD%D%٨A%٧D ٨٢%٩_%D%٨٦%٩D٨%٩A%D%٨٨%٩D%٨AA%D٨٦%٩

16- http: //www. marefa. org/index. php/%D%٨A%٥D%٨٥%٩D٨%٩A%D٨٤%٩_%D٨

17- http: //www. nfaes. com/Articliesfiles/34fklhjl. doc

18- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

19- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

20- http: //209. 85. 135. 132/search?q=cache: znavbIZn6OgJ: www. coptichistory. org/new_page_344. htm+%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%A7 %D8%AF%D8%A9+%D8%A3%D9%8A: &cd=4&hl=ar&ct=clnk&gl=sa

21- http: //www. almujtamaa-mag. com/Detail. asp?InNewsItemID=198860

22- http: //www. almujtamaa-mag. com/Detail. asp?InNewsItemID=198860

23- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

24- http: //www. phy٤all. net/scientest/maxb. htm

25- http: //www. d-sunnah. net/forum/archive/index. php/t-١٧٧٤٢

26- http: //www. odabasham. net/show. php?sid=،٩١٢٦

27- http: //www. dorar. net/enc/adyan/٧٩٠

28- http: //awraqi. wordpress. com/

29- http: //ar. wikipedia. org/wiki/%D%٨AC. _%D%٨AC. _%D%٨٤%٩D%٨٨%٩D%٨B%١D٨%٩A%D%٨٥%٩D%٨B١

30- www. kwtanweer. com/articles/readarticle. php?. . . 1008

31- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

32- http: //www. dorar. net/enc/adyan/٧٩٠

33- http: //www. madinacenter. com/post. php?ResultSerach=١&RPID=٤٨&DataID=٤٨&word&طبقات%٢٠المستشرقين&LID = ٢

34- http: //quran. maktoob. com/vb/quran/٤٩٨٠٨

35- http: //www. shamela. ws/old_site/open. php?cat=٢٣&book=٢١٩٤

36- http: //www. almultaka. net/ShowMaqal. php?module=٧e٨e١cdc٠٦٠٢٤٣٨٧e٦cff٠٨٤٦cef٠b٣٠&cat=١١&id=٤٣٠&m=٢٠٤٠٧d٢٨٨bd٠٨٥٨١٩c٥٥٧١٩f١٩de٨٣df

37- http: //www. islammessage. com/articles. aspx?cid=١&acid=١٤٠&aid=#٦٦٥٧_ftnref٣٥

38- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%AF_%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%AE%D8%A7%D9%8

فهرس الموضوعات

الباب السادس ٧٩٢